وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة الشهيد حمه لخضر - الوادي -

قسم العلوم الإنسانية - شعبة التاريخ

عنوان الأطروحة

النشاط الثقافي للحركة السنوسية في أفريقيا 1787 - 1911 م

أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه العلوم في التاريخ

تخصص : تاريخ حديث ومعاصر

إعداد الطالب :

محمد الكامل حسيني

إشراف :

الدكتور: رشيد قسيبة

لجنة المناقشة

الاسم واللقب	الرتبة العلمية	الجامعة	الصفة
د/ محمد السعيد عقيب	أستاذ التعليم العالي	جامعة الوادي	رئيسا
د/ رشيد قسيبة	أستاذ محاضر أ	جامعة الوادي	مشرفا ومقررا
د/ موسى بن موسى	أستاذ التعليم العالي	جامعة الوادي	مناقشا
د/ عثمان بن زقب	أستاذ محاضر أ	جامعة الوادي	مناقشا
د/عبد الكريم بلبالي	أستاذ محاضر أ	جامعة أدرار	مناقشا
د/ محمد مبارك كديدة	أستاذ محاضر أ	جامعة تامنغست	مناقشا

السنة الجامعية 1442 - 1443هـ / 2021 - 2022م

إهداء

أهدي هذا العمل المتواضع إلى

روح أمي وأبي،

وإلى أولادي وإخوتي وأخواتي.

كلمة شكر

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ، الشكر لله على نعمه وفضله.

أتوجه بالشكر إلى كل من قدَّم لي يد المساعدة في إعداد هذه الأطروحة، وإلى كل من شجعني من قريب أو بعيد، وأخص بالذكر أستاذي المشرف د/قسيبة رشيد الذي لم يبخل علي بوقته وإرشاداته ونصائحه وتصحيحاته، فقد كان نعم السند والناصح رغم انشغالات الحياة والتزاماته المتعددة.

كما أتقدّم بالشكر إلى ابن أختي الدكتور عبد الله حمادو، والدكتور علي غنابزية بروفيسور بجامعة الوادي، والبروفيسور أرويعي مُحَمَّد قناوي من جامعة بنغازي في دولة ليبيا الشقيقة، وصديقي الأستاذ أسامة معاش، أسأل الله أن يجعل جهدهم في ميزان حسناتهم.

وفي الأخير، أتمنى من الله أن يتقبل منا هذا العمل ويجعله خالصا لوجهه الكريم، اللهم علّمنا وزدنا علما وانفعنا بما علّمتنا، يا رب، آمين.

قائمة الاختصارات والرموز

باللغة العربية	باللغة الأجنبية
ج ع ل ش ا ع : الجماهيرية العربية الليبية الشعبية الاشتراكية العظمى	A.O.M : Archive d'Outre-Mer (Aix-en-Provence)
ت : توفي	B.N.F : Bibliothèque nationale de France
تح : تحقيق	Ibid : Ibidem
تر : ترجمة	K.O : Kilo-octet
تع : تعليق	M : Monsieur
تق : تقديم	N° : Numero
د د ن : دون دار نشر	Op.Cit : Opere citato
د ر ص : دون رقم صفحة	P.P : Plusieurs pages
د ت ب : دون تحديد بلد	S.D : Sans date
د ت : دون تاريخ الطبع	S.N.P : Sans numero de page
مج : مجلد	T : Tome
ج : جزء	Trad : Traduction
مخ : مخطوط	Vol : Volume
مر: مراجعة	Préf : Préfacer
م د ج ل ض غ إ : مركز دراسة جهاد الليبيين ضد الغزو الإيطالي	Pré : Présentation
م ج ل د ت : مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية	S.P : Sans pays
/ : إشارة بين التاريخ الهجري وما يقابله بالميلادي	
[ ] : علامة للإضافات	
كلم : كيلومتر	

مقدمـــــــــــة

تمهيد :

إن الدارس لتاريخ الإسلام في أفريقيا، يلاحظ الدور الأساسي الذي قامت به الطرق الصوفية في نشر الدين الإسلامي، وتنوير الشعوب وترسيخ القيم الإنسانية والحضارية فيها، وتعتبر الطريقة السنوسية نموذجًا لتلك الطرق الصوفية التي ظهرت في القرن التاسع عشر، ورغم حداثة نشأتها ومحدودية انتشارها جغرافيا والذي تركز بالأساس في طرابلس الغرب والسودان الأوسط إلا أن نشاطها الثقافي كان واسعًا جدًّا ومتنوعًا أيضًا، شمل تأثيره عدة مجالات والتي ستظهر في ثنايا هذه الأطروحة.

والمضمون العام للأطروحة يتمحور حول الجانب الثقافي للسنوسية كطريقة تصوف، ثم كحركةٍ دينيةٍ إصلاحيةٍ، وهذه دراسة جديدة عالجت المحور الأساسي للسنوسية والسبب الرئيسي لظهورها ونشأتها في البداية، في حين حظيت من كثير من المؤرخين بدراسة جانبها السياسي الذي تبلور ونضج في مرحلة لاحقة من تاريخها.

حدود الدراسة :

إن حدود الدراسة مكانيا تشمل أفريقيا الشمالية وجنوب صحرائها، إضافة إلى الحجاز الذي يعتبر جزء لا يتجزأ من تراث وثقافة السنوسية، والذي لا يمكن تجاوزه بأي شكل من الأشكال، وهذه المناطق شملت نشأة الشيخ السنوسي وخلفائه، إضافة إلى الرحلات والمراسلات وتأسيس الزوايا وغيرها، أما الإطار الزماني يبدأ من سنة 1787م وهو تاريخ مولد الشيخ مُحَمَّد بن علي السنوسي مؤسس الطريقة السنوسية، إلى غاية الاحتلال الإيطالي لطرابلس الغرب سنة 1911م، واخترنا هذه السنة كنهاية للدراسة، باعتبارها تاريخ شهد تراجع نشاط الحركة السنوسية ثقافيًا نتيجة الآثار والانعكاسات المتعددة للاحتلال.

دواعي اختيار الدراسة :

لقد لاحظت اهتمام المؤرخين كثيرًا بالجانب السياسي للحركة السنوسية ودراسته بإسهاب، بينما أدبروا عن الجانب الثقافي الذي يمثل بالأساس صلب السنوسية، لأنها برزت في البداية كحركة إسلامية إصلاحية تجديدية في القرن التاسع عشر، وعالجت الجانب العقائدي والروحي قبل أن تهتم بالسياسة، وظهرت أفكارها في المصنفات والمؤلفات والرسائل العديدة التي تركتها في مختلف المجالات، ورأيت أن ذلك يستحق البحث، ومن هنا جاءت فكرة اختياري للموضوع وهو "النشاط الثقافي للحركة السنوسية في أفريقيا 1787-1911م" كعنوان لأطروحة دكتوراه، كما أن ميولي للتراث والثقافة واهتماماتي بالتصوف منذ دراستي في الجامعة دفعني إلى ذلك أيضًا.

الإشكالية :

تعتبر السنوسية إحدى الطرق الصوفية الحديثة التي ظهرت بإفريقيا في القرن التاسع عشر، وقد أسسها الشيخ مُحَمَّد بن علي السنوسي الذي اتخذ من برقة مقرا رئيسيا لها، وباعتبارها طريقة تصوف فإن نشاطها تركز بالأساس في الزوايا والمساجد والخلاوي والكتاتيب، وقامت بنشاطات متعددة وفي ميادين مختلفة منها الميدان الثقافي الذي يعد محور دراستنا، ورغبة منا في التعريف بهذه الطريقة بحجمها الحقيقي، وإبراز نشاطها، قدمنا هذه الدراسة، وطرحنا الإشكالية التالية : ما المقصود بالطريقة السنوسية وما دوافع تأسيسها ؟ وكيف ظهرت ؟ وما هي أبرز نشاطاتها الثقافية في أفريقيا ؟ وما هو أهم تراثها الثقافي المادي واللامادي ؟

وتتفرع عن الإشكالية الرئيسية أسئلة فرعية وهي : بماذا تميزت الحركة السنوسية عن غيرها من الطرق الصوفية من الناحية الثقافية ؟ وما هي أبرز آلياتها في الإصلاح والتنوير، خاصة أمام انتشار الجهل والخرافات والبدع ؟ وهل كانت طريقة صوفية مؤثرة، أم تأثرت هي أيضًا ثقافيًا بالمجتمعات التي ظهرت فيها ؟ والإشكالية الأساسية والتي تطرح نفسها وبقوة هي : ما موقف الحركة السنوسية من السلفية التي مثلتها الحركة الوهابية، خاصة وأنها كانت في قلب الحدث أي بالحجاز، حيث تأسست عام 1837 مع إنشاء زاوية أبي قُبيس بمكة، ونتسائل أيضا ما موقف الوهابية من السنوسية ؟ وهل أثر ذلك على نشاطها الثقافي خاصة مع جدلية مشروعية التصوف من عدمه ؟

الدراسات السابقة :

إن الدراسات السابقة حول موضوع النشاط الثقافي للسنوسية شحيحة جدًا لحد علمي، وأبرزها :

1- أطروحة الدكتوراه الموسومة بِ : "واحة الجغبوب ودورها في التعليم الديني في ليبيا (1855-1926م)"، وهي من إعداد السنوسي يونس علي بالقاسم، كلية الآداب، قسم التاريخ، جامعة عين شمس بمصر، عام 1434هـ/2013م. ورغم اقتصار الدراسة على الجانب التعليمي إلا أنني اعتبرها ركيزة أساسية، لأنها أفادتني كثيرا في بحثي، باعتبار أن التعليم يعد من الجوانب الثقافية الأساسية للحركة السنوسية.

2- دراسات المؤرخ الفرنسي جون لويس تريو حول السنوسية، وأهمها أطروحة دكتوراه دولة عام 1994م الموسومة بِ :" La légende noire de la Sanusiyya une confrérie musulmane saharienne sous le regard français (1840-1930)"، وقد نُشِرت في كتاب من مجلدين سنة 1995م عن دار علوم الإنسان بباريس، بإشراف معهد البحوث والدراسات للعالم العربي والإسلامي، وبالرغم من

تخصص الكتاب في الجانب السياسي إلا أنني استفدت من بعض معلومات جزئه الأول المنشور في الموقع الالكتروني للمكتبة الوطنية الفرنسية وهو Bnf.Gallica.

يعتبر جون لويس تريو من المؤرخين المعاصرين والأساسيين الذين درسوا السنوسية، إنه مؤرخ أكاديمي متخصص في الحركة السنوسية، ولا يمكن لأي باحث في السنوسية أن يتجاهل دراساته ومقالاته المنشورة في المواقع والمجلات الإلكترونية المتخصصة في الدراسات الإفريقية والعالم العربي الإسلامي، وسيرته الذاتية تثبت ذلك حيث اشتغل كأستاذ بجامعة بروفانس (مرسيليا 1 سابقا)، وأيضا بجامعة أبيدجان ونيامي وباريس7، وهو عضو في مركز دراسات العالم الإفريقي، ومسئول عن مجلة "الإسلام ومجتمع جنوب الصحراء"، ومتخصص في السنوسية وتشاد.

3- أطروحة فيكور كنوت باللغة الانجليزية لنيل درجة الدكتوراه في التاريخ من جامعة بيرغن النرويجية سنة 1995م، الموسومة بِـ : " Sufi and Scholar on the Desert Edge Muhammad b Ali al-Sanusi and his brotherhood"، وهي أطروحة هامة جدا لكنها غير منشورة، لكن تمت الإشارة إليها في مجلة "دراسات إفريقية" العدد 14، يناير سنة 1996م والتي يصدرها مركز البحوث والترجمة بجامعة إفريقيا العالمية بالخرطوم في السودان، وذلك بواسطة مقال للدكتور علي صالح كرار الموسوم بِـ : "عالم وصوفي على هامش الصحراء مُحَّد بن علي السنوسي (1787-1859) مؤسس الطريقة السنوسية". وبالرغم من استعراض محتوى الأطروحة بطريقة مقتضبة وتغطيتها لفترة قليلة من الإطار الزماني لبحثي إلا أنني استفدت منها كثيرا، لأنها تعد من بين الأبحاث القليلة التي اهتمت بالجانب الثقافي للسنوسية بشكل موسع، ومن خلالها أمكنني الاطلاع على نشأة السنوسية وآثارها الدينية والفكرية، إضافة إلى أهم المصادر والمراجع في هذا المجال.

والجدير بالذكر أن فيكور كنوت هو مدير مركز الدراسات الإسلامية للشرق الأوسط بجامعة برغن في النرويج، وأبحاثه ودراساته من الأعمال الأكاديمية الهامة والرصينة، والتي تندرج في إطار الاستشراق المعاصر، لذلك فهي مهمة لأي باحث لاسيما في تاريخ الحركة السنوسية.

4- رسالة الماجستير الموسومة بِـ : "الحركة السنوسية وأثرها الثقافي في شمال إفريقيا"، من إعداد ابن إدريس السيد الحسن الإدريسي، جامعة القاهرة عام 1977م، ورغم أهمية هذه الدراسة إلا أنني لم أتمكن من الاطلاع عليها.

منهج الدراسة :

نظرًا لطبيعة الموضوع الخاص بالنشاط الثقافي والذي يشكل التصوف جزء كبير منه، فقد اعتمدت على المنهج التاريخي القائم على جمع المادة التاريخية من مصادرها الأولية ومراجعتها وتحليلها وفق ثلاثة عمليات وهي : التفسير

والنقد والاستنباط، وهذا ما يناسب بحثي، واستعملت أيضًا المنهج المقارن لمعرفة مدى مطابقة الحركة السنوسية للكتاب والسنة، لأن الموضوع تضمن مسائل فقهية وعقائدية، كما استعملت مناهج أخرى من حين إلى آخر حسب ما تقتضيه الضرورة، أبرزها المنهج التاريخي الاسترادي الذي يقوم على استرداد الحدث التاريخي وقت حدوثه، والحكم عليه من منطلق الفترة الزمنية التي وقع فيها.

مصادر ومراجع الدراسة :

اعتمدت في دراستي على عدة مصادر ومراجع، ندرجها كما يلي عرضًا وتحليلًا :

أولًا، المؤلفات باللغة العربية (الكتب والمخطوطات) :

1- مؤلفات الشيخ مُحَمَّد بن علي السنوسي : إنها ثمانية كتب مطبوعة تمثل مجموعة مختارة من أعمال الإمام السنوسي نشرت في إطار تظاهرة تلمسان عاصمة الثقافة الإسلامية 2011م، تحت إشراف الدكتور نجيب بن خيرة، وهي : إيقاظ الوسنان في العمل بالحديث والقرآن، وشفاء الصدر بأري المسائل العشر من درر الفقه المالكي، ومقدمة مُوَطَّأ الإمام مالك ﷺ، والدُّرر السنية في أخبار السلالة الإدريسية، والمسلسلات العشرة في الأحاديث النبوية على صاحبها أفضل الصلاة والتسليم، وكتاب المسائل العشر المسمى بغية المقاصد في خلاصة المراصد، والسّلسبيل المعين في الطرائق الأربعين، والمنهل الروي الرائق في أسانيد العلوم وأصول الطرائق، وقد وظفت هذه المصادر في أغلب فصول الأطروحة.

2- مصنفات الشيخ أحمد الشريف السنوسي أبرزها الموسوم بِـ: "الفيوضات الربانية في إجازة الطريقة السنوسية الأحمدية الإدريسية"، حيث يعد من المصادر الهامة في أسانيد التصوف وشيوخ الطريقة السنوسية، لذلك كان سندًا هامًا للأطروحة في أغلب فصولها، وكذلك كتاب "الدُّرة الفردية في بيان مبنى الطريقة السنوسية المحمدية"، والذي يتضمن مجموعة من الأوراد والأذكار الخاصة بالسنوسية، لذلك يعد من أهم المصادر التي تناولت الجانب التصوفي والاعتقادي للسنوسية، وقد أفادني كثيرا خاصة في الفصل الأول والثالث.

3- الفوائد الجلية في تاريخ العائلة السنوسية الحاكمة بليبيا، تأليف عبد المالك بن عبد القادر بن علي : يعد هذا الكتاب بلا جدال أهم المصادر الموثوقة عن السنوسية لأن المؤلف كان مؤرخا لتاريخ العائلة السنوسية، وأخذ المعلومات مشافهة من أحمد الشريف السنوسي، لقد تناول بدقة نشأة السنوسية وتطورها وأرخ لشخصياتها البارزة، فلم يخل منذ صدوره أي بحث جاد أو كتاب رصين باللغة العربية أو الأجنبية من نقل أو اقتباس منه، وذلك لما

احتواه من معلوماتٍ دقيقةٍ وتصحيحاتٍ مهمةٍ عن السنوسية، تاريخًا ومذهبًا ورجالًا، ولأن مؤلفه أيضًا من أتباع الطريقة السنوسية، وقد عاصر اثنين من زعمائها هما : السيد مُحَمَّد إدريس السنوسي(ملك المملكة الليبية)، وقائد الجهاد الليبي السيد أحمد الشريف السنوسي الذي رافقه وأخذ عنه لمدة تزيد عن عشر سنوات، واعتمدت على هذا المصدر كثيرًا خاصة في الفصل الأول.

4- رحلة الحشائشى التي تسمى "جلاء الكرب عن طرابلس الغرب"، تأليف مُحَمَّد بن عثمان الحشائشي : تعتبر هذه الرحلة وثيقة حية، باعتبار أن مؤلفها زار ليبيا في نهاية ق 19م، واستمد معلوماته من عدة مصادر، كما سجل مشاهداته وما سمعه من روايات شفوية، وركز على النشاط الديني والعلمي للسنوسية. وفي الحقيقة كان الحشائشي يتجسس على السنوسية لصالح فرنسا، وقد صرح بذلك بل تفاخر أيضًا، وقد استغرقت رحلته حوالي 9 أشهر ابتداءً من ماي 1896م إلى غاية فيفري 1897م، رغم أن نيقولا زياده يقول أنه زار الجغبوب سنة 1895م. وسجل الحشائشي رحلته من ذاكرته، وسُميت في أول نسخة بعنوان "النفحات المسكية في أخبار المملكة الطرابلسية"، وظهرت مختصرة باللغة الفرنسية عام 1930م بقلم فيكتور سار، وقام بتحقيقها الأستاذ مصطفي المصراتي عام 1965م، وقد اعتمدت على هذا المصدر- أي الرحلة- في أغلب فصول الأطروحة.

5- برقة العربية أمس واليوم، تأليف مُحَمَّد الطيب الأشهب : يعتبر هذا الكتاب من أبرز مصادر السنوسية، لأنه يُعدّ عصارة جهد طويل للمؤلف؛ من تمحيص للوثائق العربية والأعجمية، وجمع الصحف القديمة، والبحث عن المصادر الموثوقة والنادرة منذ 1936م وغيرها، والكتاب أهداه المؤلف إلى سمو أمير ليبيا مُحَمَّد إدريس المهدي السنوسي حسب ما جاء في مقدمته سنة 1945م، ورغم طبعه سنة 1947م بالقاهرة إلا أنه نادرًا ما توفر في المكاتب، لكن بعون الله وبعد جهد تحصلت على نسخة منه من مكتبة بلدية الإسكندرية، وتضمن – إضافة إلى التاريخ – معلومات جغرافية وأثنية عن برقة، مدعمة بأبيات شعرية ومرفقة بخرائط وصور، وسرد المؤلف – الذي يعد أحد منتسبي السنوسية – معلومات قيمة عن عائلة السنوسي، من مؤسسها الإمام الأول إلى غاية أحفاده، إضافة إلى معلومات عن الإخوان وزوايا السنوسية في طرابلس الغرب وتشاد، لذلك كان المصدر سندًا قويًا للأطروحة في أغلب فصولها.

6- السنوسي الكبير عرض وتحليل لدعامة حركة الإصلاح السنوسي، تأليف مُحَمَّد الطيب الأشهب : بمناسبة الذكرى المئوية لوفاة الشيخ العلامة مُحَمَّد بن علي السنوسي تم تأليف هذا الكتاب، وقد ركز المؤلف على حياة

الشيخ المؤسس وزوايا الحركة السنوسية والإخوان، وأرفقه بنسخ مخطوطات وصور هامة ونادرة للسنوسية، وقد أفادني هذا المصدر كثيرا خاصة في الفصل الأول والثاني.

7- الحركة السنوسية نشأتها ونموها في القرن التاسع عشر، تأليف أحمد صدقي الدجاني : يعتبر هذا الكتاب من أهم المصادر لأن المؤلف عاصر الملك مُحَمَّد إدريس السنوسي واستقى بعض معلوماته منه مباشرة، والمؤلف فلسطيني الجنسية، استغل فترة عمله بليبيا كأستاذ في جمع المعلومات والمخطوطات عن السنوسية لعدة سنوات، وتميز كتابه عن غيره بدراسته النشاط الثقافي للسنوسية بشكل أكثر تفصيلا، لذلك استفدت منه كثيرا خاصة ملاحقه التي تمثل رسائل هامة للحركة السنوسية، وقد وظفت هذا المصدر في أغلب فصول الأطروحة.

8- مؤلفات الأمير شكيب أرسلان (1869-1946م) الذي عاصر الحركة السنوسية خاصة فترة أحمد الشريف السنوسي في بداية القرن العشرين، حيث أفرد له كتابا خاصا سماه : "خلاصة رحلة السيد أحمد الشريف السنوسي"، وللأمير تعليق على كتاب "حاضر العالم الإسلامي"، المجلد الثاني الخاص بإفريقيا وهو من تأليف لوثروب ستودارد الأمريكي، وقد وردت فيه معلومات عن السنوسية استفدت منها خاصة في الفصل الثاني.

9- الدُّرة الفردية في بيان مبنى الطريقة السنوسية المحمدية، تأليف أحمد الشريف السنوسي : يتضمن هذا الكتاب مجموعة من الأوراد والأذكار الخاصة بالسنوسية، ويعتبر من أهم المصادر التي تناولت الجانب التصوفي والاعتقادي للسنوسية، وقد أفادني كثيرا خاصة في الفصل الأول والثالث.

10- السنوسية دين ودولة : تأليف المؤرخ المصري مُحَمَّد فؤاد شكري، تم طبع هذا الكتاب سنة 1948م، ويُعدّ من المصادر الهامة لاحتوائه على معلومات قيمة، استفدت منها في أغلب فصول الأطروحة.

11- الأوراد السنوسية لسيدي الإمام مُحَمَّد بن علي السنوسي رضي الله عنه، لمؤلف مجهول : لقد تم نشر هذا الكتاب بمطبعة جوامع الكلم بالقاهرة سنة 2009م، ويبدو أن مؤلفه من أتباع الطرق الصوفية، لكن من المؤكد أنه من الفترة المعاصرة لأن الكتاب تضمن قصيدة شعرية بعنوان "يا ساكن الجغبوب" لصاحبها الشيخ صالح الجعفري شيخ الطريقة الجعفرية الأحمدية حاليًا، وأرجّح أن يكون هو مؤلف هذا الكتاب، لأنه سبق أن نشر في نفس دار النشر مجموعة من كتب الشيخ أحمد إدريس أستاذ السنوسي مثل كتاب "العقد النفيس في نظم جواهر التدريس" و"النفحات الكبرى".

وقد استهل كتاب الأوراد السنوسية بترجمة للشيخ أحمد بن إدريس، وأردفها بأخرى للإمام السنوسي، وهذه نسخة غير رائجة في المكاتب، وقد تحصلت عليها بعون الله وبعد جهد مضن من مكتبة الإسكندرية، ويعد هذا الكتاب من أبرز المراجع الهامة والنادرة التي شرحت أوراد الطريقة السنوسية بكل دقة وتفصيل، واعتمدت عليه خاصة في الفصل الأول، والجدير بالذكر أن مضمونه يتطابق بنسبة كبيرة مع كتاب "الدُّرة الفردية في بيان مبنى الطريقة السنوسية المحمدية " لأحمد الشريف السنوسي، واعتقد أن المؤلف المجهول نقل منه.

12- رحلة إلى وداي : تأليف مُحَمَّد بن عمر التونسي، وهو كاتب أصله تونسي أقام رفقة أبيه مدة طويلة في السودان الأوسط في النصف الأول من القرن التاسع عشر، ثم استقر بالقاهرة وبأمر من الفرنسيين ألَّف كتابًا من جزأين : الأول حول دارفور سماه "تشحيذ الأذهان بسيرة بلاد العرب والسودان"، والثاني حول مملكة وداي وسماه "الرحلة إلى وداي"، وقد استفدت من هذا المصدر أي الرحلة إلى وداي في التعريف بالمنطقة جغرافيا وتحديد قبائلها وانتشار الإسلام فيها، خاصة وأن أحداثه تزامنت مع ظهور السنوسية التي كانت تربطها علاقات وثيقة بالمملكة، ويعتبر هذا الكتاب المصدر الوحيد باللغة العربية الذي تكلم عن وداي في النصف الأول من القرن 19م، ذلك أن مؤلفه عاش بين سنتي 1790 و1857م، وهذه النسخة التي اعتمدت عليها من تحقيق ودراسة الأستاذ الدكتور عبد الباقي مُحَمَّد كبير، أستاذ التاريخ بجامعة أم درمان ومدير جامعة الفاشر.

13 – المخطوطات : اعتمدت على خمسة مخطوطات رئيسية : مخطوطان موجودان بالمكتبة الوطنية الجزائرية، أحدهما بعنوان "هذا كتاب فيه أسانيد الشيخ السنوسي في التصوف" مسجل تحت رقم : 948، والآخر بعنوان "البدور السافرة في عوالي الأسانيد الفاخرة" تحت رقم : 2522، والثالث نسخة أيضًا من البدور السافرة لكن من خزانة الحرم المكي تحت رقم : 747، وهذه النسخ الثلاثة من جديد المخطوطات التي تميزت بها أطروحتي، والمخطوط الرابع عنوانه "السّلسبيل المعين" وهي نسخة موجودة في جامعة أم القرى مكتبة الملك عبد الله بن عبد العزيز بالمملكة العربية السعودية، وتحصلت عليها من موقع مدونة برج بن عزوز في الانترنت، أما المخطوط الخامس هو "الدُّر الفريد الوهاج بالرحلة المنيرة من الجغبوب إلى التاج"، والنسخة موجودة بجامعة الإمام مُحَمَّد بن سعود الإسلامية في الرياض بالمملكة العربية السعودية، قسم المخطوطات رقم : 1416، وهي مصورة عن مكتبة روضة خيري بمصر رقم : 689، وقام مؤخرًا الأستاذ الدكتور عبد المولى صالح الحرير أستاذ التاريخ المعاصر بجامعة بنغازي بتقديم المخطوط وتحقيقه، لكنني للأسف لم أستطع الحصول على نسخة منه.

ومن جديد أطروحتي، نسخة من كناش قيم للسيد أحمد بن إدريس موجود في خزانة الحرم المكي، وهو عبارة عن مراسلة إلى بعض تلاميذه ومنهم الشيخ السنوسي، تضمن وصفات علاجية من الطب الشعبي.

ثانيًا، الأرشيف :

لقد دعمت الأطروحة ببعض وثائق الأرشيف العثماني منها كتاب رقم : 125، بعنوان : "طرابلس الغرب في الوثائق العثمانية" طبع اسطنبول سنة 2013م، وهو من تأليف مجموعة من الكتاب، وتعريب صالح سعداوي، إضافة إلى وثائق أخرى من أرشيف اسطنبول، واستفدت أيضا من وثائق أرشيف ما وراء البحار بأكس أون بروفانس بفرنسا (A.O.M, Aix-en-Provence) الخاص بتقارير ومراسلات القنصلية الفرنسية بطرابلس الغرب حول السنوسية بين عامي 1875-1885م، وقد أفادني بها الدكتور علي غنابزية أستاذ التاريخ بجامعة الوادي، ووظفت كذلك بعض من وثائق أرشيف مركز الجهاد الليبي للدراسات التاريخية.

ثالثًا، المؤلفات باللغة الأجنبية :

اشتهر بها عدد كبير من المؤلفين نذكر أبرزهم :

1- إيفانز بريتشارد Evans-Pritchard (1902-1973م) : عالم انثروبولوجي انجليزي في جامعة أكسفورد، يعتبر مصدرًا ومؤرخًا هامًا للسنوسية، لأنه أقام ببرقة خلال الحرب العالمية الثانية عندما كان ضابطًا في الجيش البريطاني، وتمكن من جمع معلومات غزيرة عن السنوسية، وألَّف عدة كتبٍ أبرزها " The Sanusi of Cyrenaica"، وقد استفدت منه كثيرًا خاصةً في الفصل الأول والثاني.

2- لويس رين Louis Rinn : ألّف كتابه " Marabouts et Khouan études sur l'islam en Algérie"، وقد نُشِر بالجزائر عام 1884م، وأفادني هذا المصدر كثيرًا في أطروحتي، لأن رين يعد مؤرخًا متخصصًا في الطرق الصوفية بصفة عامة خلال القرن 19م ومنها السنوسية، لذلك لا يمكن لأي باحث في التصوف الاستغناء عنه.

3- نيقولا زياده Nicola Ziadeh : أستاذ بقسم التاريخ في الجامعة الأمريكية ببيروت، له كتاب "Sanusiyah. A study of a rivalist movement in islam"، وهو مرجع هام، تكلم فيه عن السنوسية بإسهاب، وتضمن معلومات هامة استفدت منها في أغلب فصول الأطروحة.

4- جون لويس تريو Jean-Louis Triaud : له كتاب " Tchad 1900-1902 une guerre Franco-Libienne oublié ?"، تضمن 38 نسخة من رسائل أصلية متبادلة بين زعماء سنوسيين وملوك أفارقة، وذلك بين عامي 1898- 1902م، وقد أدرجت بعضها في الملاحق، وهي من الجديد الذي تميز به بحثي، وقد قمت بإماطة اللثام عنها بعد ما بقيت حبيسة هذا الكتاب لمدة أكثر من ثلث قرن.

5- مؤلفات الرحالة والمكتشفون الأوروبيون :

يعد المكتشف الفرنسي هنري دوفيري Henri Duveyrier من أبرز من اهتم بالسنوسية، حيث شغل منصب نائب رئيس الجمعية الجغرافية الفرنسية التي تخصصت في الاكتشافات، وله عدة مؤلفات أبرزها كتاب : "La confrérie musulmane, Sidi Mohammed Ben Ali Es-senousi "، وقد ألّفه سنة 1883م. واشتهر دوفيري بتصميم خريطة تعد مصدرا أساسيا لمواقع زوايا ومراكز السنوسية في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، وله أيضًا كتابٌ آخرٌ سماه "Les Touareg du nord" أي طوارق الشمال والذي نشره عام 1864م، لخص فيه رحلته إلى بلاد آزجر بين عامي 1859 و 1861م، وخصص فصلا كاملا للحركة السنوسية، وقد وظفت الكتابين خاصة في الفصل الثاني.

وما لا يختلف فيه اثنان أهمية مؤلفات دوفيري، باعتبارها مصدرًا أساسيًا، إلا أنه يجب الحذر منها نظرًا لما تضمنت من أفكار مغرضة وعدائية ضد الحركة السنوسية.

وبالنسبة للرحالة الألمان، اشتهر منهم كل من غرهارد رولفس، وغوستاف ناشتيغال :

يعد غرهارد رولفس Guerhard Rohlfs من أبرز الرحالة الألمان الذين اكتشفوا أفريقيا في القرن التاسع عشر، حيث زار عدة مناطق كالمغرب والصحراء الإفريقية والحبشة والإسكندرية وبرنو وخليج غينيا وغيرها، وتميز هذا الرحالة عن غيره بزيارة واكتشاف الكفرة بين 1878-1879م، واعتمدت في أطروحتي على كتابه الموسوم بعنوان : "Voyages et explorations au Sahara"، Tome v، ترجمة : Jacques Debetz، حيث نقل لنا مؤلفه معلومات قيمة عن الحركة السنوسية في واحات جالو وأوجلة والجغبوب وغيرها، وذلك زمن مُحَمَّد المهدي السنوسي.

وبالنسبة لغوستاف ناشتيغال Gustav Nachtigal، فهو طبيب ورحالة، زار الصحراء وبلاد السودان، ومكث بها ست سنوات كاملةً، وذلك بين عامي 1869-1875م، وقد كتب رحلته في أربع مجلدات باسم :

"الصحراء وبلاد السودان" صدرت أول مرة بالألمانية بعنوان : " Sahara und Sudan, Ergebnisse Sechsgahriger reisen in Africa"، ولدي ثلاثة نسخ منها : واحدة نشر برلين سنة 1879م، وأخرى نشر سنة 1881م، ونسخة ثالثة نشر ليبزيغ سنة 1889م، ووظفت كتابا آخرا من تأليفه أيضا بعنوان : "رحلة إلى وداي ودارفور يناير 1873 – أغسطس 1974م" ويمثل في الحقيقة المجلد الرابع من كتبه، وهو من تعريب الأستاذ سيد علي مُحَّد ديدان المحامي، ورغم شح المعلومات حول السنوسية إلا أنها أفادتني في دراستي.

ومن انجلترا جيمس هاميلتون James Hamilton ، وهو رحالة وعالم أثري اكتشف السنوسية عام 1852م، وزار الجبل الأخضر والتقى بالشيخ السنوسي وتحدث معه، وتوجه إلى واحة أوجلة وجالو وسيوة، وله كتاب بعنوان : "Wanderings in North Africa"، والذي يعتبر مصدرًا هامًا، حيث تضمن معلومات حول السنوسية خاصة زواياها، وقد تُرجم مؤخرًا إلى اللغة العربية من طرف الأستاذ المبروك مُحَّد الصويعي بعنوان : "جولات في شمال إفريقيا"، لكن لم أتمكن من الحصول على نسخة منه.

ومن المصادر الهامة أيضا النقيب الفرنسي كورنت Le Capitaine Cornet الذي ألَّف كتابًا بعنوان : "Au Tchad trois ans chez les Senoussistes. Les Ouaddaiens et les Krids"، وهو عبارة عن رحلة قام بها المؤلف من الكونغو إلى تشاد سنة 1904م، حيث تضمن معلومات جغرافية واجتماعية حول ممالك تشاد، وقد أفادني هذا الكتاب في بعض نشاط السنوسية في السودان الأوسط.

رابعًا، الزيارات الميدانية والروايات الشفوية :

– زيارة زاوية ابن تكوك بمستغانم يوم الأربعاء 17 أوت 2016م : لقد اطلعت على معالم زاوية العرعار ببوقيراط وهي الزاوية السنوسية الوحيدة في الجزائر، وللأسف لم أستطع مقابلة شيخ الزاوية مصطفى تكوك بسبب مرضه.

– زيارة زاوية ابن تكوك بمستغانم يوم السبت 28 جويلية 2018م : تمت زيارة بعض الأشخاص من عائلة ابن تكوك في بوقيراط على أمل الحصول على بعض المصادر حول السنوسية، لأنه من المفروض أن تكون متوفرة باعتبار الزاوية تنتمي إلى الطريقة السنوسية، لكن للأسف ما تحصلت عليه سوى معلومات عامة متوفرة في الشبكة العنكبوتية.

– زيارة زاوية ابن تكوك بمستغانم يوم الأربعاء 19 فيفري 2020م : كانت هذه الزيارة للمرة الثالثة والأخيرة حيث تمت مقابلة شيخ الزاوية الجديد مُحَّد الحسن تكوك في مقر زاوية العرعار ببوقيراط على الساعة 10:30، وقد

خلف الشيخ أباه الذي توفي عام 2017م، كما تعرَّفنا على خطاب تكوك رئيس جمعية "الشيخ مُحَمَّد بن علي السنوسي لترقية التراث الصوفي"، وهو حفيد حفيد مؤسس زاوية ابن تكوك بمستغانم، وقد أفادني ببعض الروايات الشفوية، إضافة إلى بعض الوثائق الهامة وهذا عبر شبكة التواصل الاجتماعي "فايسبوك".

– زيارة مدينة جانت لمدة أسبوع ابتداءً من يوم الخميس 29 ديسمبر 2022م، وقد تحصلت على معلومات قيمة عبارة عن روايات وشهادات شفوية، وبعض الوثائق والصور حول نشاط الحركة السنوسية في منطقة الطاسيلي ن آزجر في نهاية القرن 19م وبداية القرن 20م، وفي هذا الصدد أثمن مساعدة جمعية أمنيلال لحفظ التراث والمخطوطات بجانت التي تأسست عام 2013م، رقم الاعتماد : 06/2013 عن بلدية جانت.

خطة الدراسة :

بعد دراسة للمصادر والمراجع والوثائق التي توفرت لدينا، انتظمت الأطروحة في مقدمة وأربعة فصول وخاتمة، نستعرضها كما يلي :

خصصت الفصل الأول للتعريف بالطريقة السنوسية بعنوان "نشأة الطريقة السنوسية"، وهو فصل افتتاحي يستعرض حياة الشيخ مُحَمَّد بن علي السنوسي من مولده إلى غاية وفاته، وبعده خلفائه، وتضمن مبحثين رئيسيين : الأول خصصته لحياة الشيخ المؤسس، ويتفرع إلى سبعة مطالب هي : مولده ونسبه، ثم نشأته ودراسته، ويليه رحلاته العلمية، ثم استقراره ببرقة، ثم صفاته وأخلاقه ومناقبه، وبعده وفاته، وأخيرا خلفائه، أما المبحث الثاني خاص بظهور الطريقة السنوسية، ويتفرع إلى ثلاثة مطالب هي : تعريف الطريقة السنوسية، تليها أورادها، ثم مبادئها.

ويلي بعد ذلك الفصل الثاني، ليوضح أهمية الزوايا السنوسية باعتبارها اللبنة الأساسية للنشاط الثقافي بعنوان "زوايا وشيوخ الحركة السنوسية"، وقسمته إلى أربعة مباحث : الأول خاص بتنظيم الزوايا السنوسية، والثاني مصادرها المالية، والمبحث الثالث خاص بعدد الزوايا، ويتفرع إلى مطلبين : الأول خاص بمنطقة شمال أفريقيا، والثاني يشمل أفريقيا جنوب الصحراء باعتبارها منطقة مختلفة لها مميزات أثنية وجغرافية خاصة، أما المبحث الرابع تطرقت فيه إلى كبار الإخوان، وقسمته أيضًا إلى مطلبين على نمط سابقه، أي مطلب خاص بشمال أفريقيا، وآخر لإفريقيا جنوب الصحراء.

وخصصت الفصل الثالث إلى أبرز النشاطات الثقافية للحركة السنوسية تحت عنوان : "الدور الثقافي للحركة السنوسية وأبعاده الدينية والفكرية والاجتماعية"، وقسمته إلى عشرة مبحث : تطرق الأول إلى التعليم، والثاني خاص بالعلوم والفنون، وأفردت الثالث إلى الأمثال والحكم والقصص، ووضحت في المبحث الرابع نشر الطريقة السنوسية، وخصصت الخامس للدعوة والإرشاد، وعالجت في السادس نشاط السنوسية في ميدان التصوف، وتضمن المبحث السابع أعمال البر والإحسان، ودرست في المبحث الثامن احتفالات الزوايا السنوسية بالأعياد الدينية ومختلف المناسبات، وفي المبحث التاسع وضحت دور الحركة السنوسية في القضاء والإفتاء، أما المبحث العاشر والأخير تطرقت فيه إلى مسألة الاجتهاد التي تميز بها السنوسي، ودعا إليها بقوة وأحدث بها جدلًا كبيرًا.

وأفردت الفصل الرابع والأخير لدراسة تراث الحركة السنوسية، وهو خاص بمؤلفاتها من كتب ومخطوطات بعنوان : "تراث الحركة السنوسية"، وركزت على العائلة السنوسية، وللعلم فقد اهتم كثيرٌ من الباحثين والمؤرخين بجمع هذا التراث، واعتقد أن أغلبه لا زال مفقودًا، أي أنه موجود لكن مجهول المكان، وقد بذلت جهدي في تقصي بعض أثره، ووفقني الله إلى بعض النسخ، وأخرى كعناوين وجدتها في خزائن ومكتبات متعددة، وبناءً على هذا، فقد قسمت هذا الفصل إلى ثلاثة مباحث : الأول خاص بالكتب المطبوعة، والثاني تضمن المخطوطات، أما المبحث الثالث والأخير، أبرزت فيه أهمية وإسهامات تراث الحركة السنوسية.

أما الخاتمة، فقد اشتملت على ملخص لما توصلت إليه من نتائج بعد هذه الدراسة المتواضعة، وبينت من خلالها أهمية الطريقة السنوسية كحركة إسلامية تصوفية إصلاحية تجديدية في القرن التاسع عشر، ويكفي أن نقر بأنها أصلحت المجتمع في طرابلس الغرب خاصة في برقة، وأخرجته من الجهل وغيرته تغييرا جذريًا دينيًا ودنيويًا، وفي الحقيقة مهما درسنا هذه الحركة لن نفي حقها، نظرًا لمسيرتها الطويلة وتعدد نشاطاتها، وما هذا البحث إلا غيض من فيض.

الصعوبات :

لقد صادفتني صعوبات كثيرة أبرزها : عدم استطاعتي السفر إلى ليبيا للاطلاع على وثائق المركز الليبي للمحفوظات والدراسات التاريخية بطرابلس (مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية سابقا)، والذي يعتبر مصدرًا هاما للدراسات التاريخية الليبية لما يحتويه من وثائق هامة، لذلك اكتفيت فقط ببعض منشوراته والتي كانت شحيحة جدا، ومن الصعوبات أيضًا ظروف العمل ومتطلبات الحياة وابتعادي عن ميدان الجامعة ومخابر بحثها، ومما صعب الأمر أكثر ظهور وباء كورونا المستجد الذي حد من تحركاتي وجعل عملية البحث بأكملها رهينة له.

ولم أتحصل على مخطوطات أو وثائق من زاوية ابن تكوك بمستغانم باعتبارها زاوية سنوسية، والأكيد أنها موجودة في خزانتها، وهذه الظاهرة –أي حجب الوثائق– يعاني منها أغلب الباحثين الجزائريين، حيث يفضل القائمون على الزوايا أن يبقى تراثها حبيس الأدراج بدلا من أن يرى النور، والأسباب مبررة أحيانًا وليست كذلك أحيانًا أخرى.

وصادفتني صعوبات أخرى وهي كثرة التواريخ الواردة بالتقويم الهجري في المصادر والمراجع، واضطررت إلى تحويل أغلبها بوضع سنين ميلادية أمام التواريخ الهجرية، وهي تواريخ تقريبية لما هو معروف في اختلاف رؤوس السنين بين التقويمين، فقد يكون التاريخ المعطى متقدمًا بسنة أو متأخرًا بها، ومن الصعوبات أيضًا كثرة التصحيف والتحريف لأسماء بعض الأعلام والأماكن والمصنفات والتواريخ وغيرها، وردت وتكررت في عدة مصادر ومراجع، مما تطلب في عدة مرات تصحيحها أو الإشارة إليها، ورغم ذلك سبب بعض الإخلالات.

وقد يلاحظ القارئ تداخل الجانب الثقافي مع الجانب الديني والاجتماعي أحيانا، وتبرير ذلك طبيعة الحركة السنوسية نفسها، باعتبارها حركة دينية إصلاحية بالدرجة الأولى، حيث كان لنشاطها الثقافي أبعاد مختلفة في مجالات شتى يصعب فصلها.

لقد اتسمت دراستي للطريقة السنوسية بالموضوعية، ولم أحكم لها أو عليها، وإنما حاولت الوصول إلى الحقيقة بقدر الامكان بعيدا عن التعصب الذي تميز به من انتسب إليها من المؤرخين، أو نظرة رجال الطرقيين وغلوهم في التصوف، واعتمدت بالأساس على استنطاق الوثائق وتحليلها، وخاصة مطابقتها بما جاء في الكتاب والسنة.

وفي الأخير، أتمنى أن أكون قد أعطيت هذا البحث حقه، وبلغت نسبة كبيرة في الإحاطة به، ووفقت في دراسة هذه الطريقة من جانبها الثقافي، حيث كنت من بين قلائل من بحث فيها حسب علمي، وهدفي الرئيسي إثراء المكتبة العربية، وسد بعض الفراغات، وتسهيل الدراسة، وفتح آفاق جديدة للبحث. ومهما يكن من أمر، فإني أفوض أمري لله وهو المستعان، ولا أدعي الكمال، لأن أي عمل لا يسلم من الخطأ أو النقص، فكما قيل قديمًا "إني رأيت أنه لا يكتب إنسان كتابًا في يومه، إلّا قال في غده : لو غير هذا لكان أحسن، ولو زيد كذا لكان يستحسن"، وما توفيقي إلا بالله العلي العظيم.

الفصل الأول : نشأة الحركة السنوسية

حياة الشيخ مُحَمَّد بن علي السنوسي :

ظهور الحركة السنوسية :

1- حياة الشيخ مُحَمَّد بن علي السنوسي :

1-1- مولده ونسبه :

ولد مُحَمَّد بن علي السنوسي يوم 12 ربيع الأول سنة 1202هـ /22 ديسمبر 1787م[1]، وقد ذكر ذلك هو بنفسه قائلًا : « ... فكان المولد على ما استعين عند الاقارب ليلة اثني عشر ربيع الاول من سنة غرب[كذا] سنة 1203 او سنة شرب سنة[كذا] وبسببه سميت مُحَمَّدا اذ طابق مولدي المولد الشريف ... »[2]، أمّا عن مكان مولده فقد كان في محلة الواسطة على ضفتي وادي الشلف من بلدة مستغانم الواقعة على الساحل الجزائري من عمالة وهران[3]، وتقع هذه البلدة بالقرب من منطقة تسمى الطرش أو مينا المعروفة اليوم باسم "يلل"[4]. وإذا كان المؤرخون قد اتفقوا على مكان الولادة، فإنهم اختلفوا اختلافا كبيرا في تحديد تاريخ المولد، والأغرب أنها جاءت متباعدة جدًّا[5]، وأكد المؤرخ الدجاني أن أغلب المخالفين أجانب مثل أدمس وستدارد ورين وديبون وكوبولاني، وهؤلاء حددوه بسنة 1791م، غير أن المصادر العربية الموثوقة أكدت التاريخ القطعي وهو سنة 1787م، ونقصد بذلك كل من الطيب الأشهب ومُحَمَّد فؤاد شكري وعبد المالك بن علي بن عبد القادر، وأيضا حفيد السنوسي وملك ليبيا مُحَمَّد إدريس السنوسي[6]، أمّا بطرس البستاني فقد حدده بتاريخ الرابعة أو الخامسة بعد المائتين وألف -كما قال-[7]، وهو ما يطابق عام 1789م أو 1790م.

---

(1) - أحمد صدقي الدجاني، **الحركة السّنوسيَّة نشأتها ونموّهَا في القَرنِ التَاسِع عَشَر**، ط1، بيروت، لبنان: دار لبنان للطباعة والنشر، 1967، ص37.

(2) - مُحَمَّد بن علي السنوسي، **البدور السافرة في عوالي الأسانيد الفاخرة**، خزانة الحرم المكي، رقم 747، مخ.

(3) - أحمد صدقي الدجاني، مرجع سابق، ص37.

(4) - مُحَمَّد بن علي السنوسي، **شفاء الصدر بأربي المسائل العشر من درر الفقه المالكي**، إشراف نجيب بن خيرة، الجزائر، دار زمورة للنشر والتوزيع، 2011، ص2.

(5) - ذُكِرت التواريخ الميلادية الآتية : 1791، 1792، 1796، 1803، 1806. ينظر:

Nicola.A.Ziadeh, **Sanusiyah a study of a revivalist movement in islam**, Leiden Netherlands, 1958, p 35.

(6) - Ibid, p 35.

(7) - بطرس البستاني، **دائرة المعارف**، بيروت.لبنان، دار المعرفة، د ت، مج10، ص146.

لقد تطابقت ولادته مع تاريخ مولد الرسول ﷺ باليوم والشهر أي يوم الاثنين 12 ربيع الأول، حيث سماه أبوه محمدًا تيمنًا بجده المصطفى ﷺ حسب ما صرح به السنوسي نفسه، وهذا ما أكده أيضًا حفيده أحمد الشريف في كتابه " الكوكب الزاهر"، ولا شك أن ذلك كان عاملًا قويًا في تكوين شخصيته والتأثير عليها، ودافعًا قويًا في تنشئته الإسلامية منذ صباه، وسلوك المنهج القويم، والتمسك بالأخلاق الفاضلة.

أمّا عن نسب مُحَمَّد بن علي السنوسي، فهو من أسرة شريفة عريقة تعود جذورها إلى دولة الأدارسة الحسينيين بالمغرب الأقصى التي أسسها –كما هو معلوم – إدريس الأكبر، بعد أن فرّ من اضطهاد العباسيين سنة 172 هـ. وأحسن من يعرّف نسب السنوسي هو نفسه، حيث كان يكتب رسائله ويمضيها باسم "مُحَمَّد بن علي بن السنوسي الخطابي الحسني الإدريسي"[1]، ونضيف إليها لقب المجاهري[2] الذي اشتهر به أيضًا، واختلف مؤرخو السنوسية في كتابة اسمه، فمثلًا اختار الدجاني لقب "ابن السنوسي"[3]، بينما يسميه الأشهب "السنوسي الكبير" وأحيانًا "الإمام الأكبر"[4]، غير أن أغلب المصادر والمراجع العربية منها والأجنبية تسميه "مُحَمَّد بن علي السنوسي". وأسرة السنوسي تنتمي إلى قبيلة الخطاطبة[5] نسبة إلى سيدي عبد الله[6] بن خطاب الشلفي، ومنها أخذ لقب "الخطابي"، ويتصل نسب آل خطاب إلى الحسن السبط بن علي بن أبي طالب وفاطمة بنت رسول الله ﷺ، وقد

---

[1] – ينظر الملحق رقم 1، ص 406.

[2] - نسبة إلى قبيلة "مجاهر" بمستغانم، ينظر : مُحَمَّد بن علي السنوسي، **شفاء الصدر بأري المسائل العشر في درر الفقه المالكي**، مرجع سابق، ص2.

[3] – أحمد صدقي الدجاني، مرجع سابق، ص37.

[4] – مُحَمَّد الطيب الأشهب، **السنوسي الكبير عرض وتحليل لدعامة حركة الإصلاح السنوسي**، القاهرة.مصر، مطبعة مُحَمَّد عاطف، دت، ص ص3-154.

[5] – ورد ذكرها في كتاب الأشراف المسمى "سلسلة الأصول"، حيث قال مؤلفه حشلاف : "...وممن اشتهر ذكرهم وطار في الآفاق صيتهم من الفروع العمرانيين السادات الخطابيون يعرف بأولاد سيدي عبد الله... وتفرعت عن الشجرة الخطابية خمسة فروع كرام ببلدة مجاهر بن زغبة ابن عامر القرشي وفروع مجاهر الذين هم بجوز مستغانم مثل مجاهر ومالف وشافع وبوكامل كلهم يعظمون الفروع الخطابية غاية التعظيم، ومن الفروع الخطابية السلالة السنوسية منهم شيخ الشيوخ ذو الأنوار الساطعة رئيس الطريقة السنوسية سيدي مُحَمَّد بن علي المشهور بالسنوسي صاحب جبل قبيس شهير الزوايا بالجبل الأخضر وطرابلس الغرب وبنغازي...". ينظر : عبد الله حشلاف، **سلسلة الأصول في شجرة أبناء الرسول**، تونس، المطبعة التونسية، 1929، ص ص97-100.

[6] – سيدي عبد الله : دفين ثغر مدينة مستغانم بقرية الممطر[كذا] منها عليه مزارة عظيمة وله قبر ثان بقرية عيزب على شاطئ نهر وادي شلف عند مصبه في البحر وعليه مزارة عظيمة تقصده الزوار ... ينظر : نفسه، ص97.

أثبت ابن خلدون التلمساني وغيره شجرة آل خطاب[1]، أما لقب الإدريسي يعود إلى إدريس الأكبر الذي أسس دولة الأدارسة بفاس، وقد ألَّف مُحَمَّد بن علي السنوسي كتابًا استعرض فيه تاريخها سماه "الدُّرر السنية في أخبار السلالة الإدريسية".

وقد ورد نسب السنوسي كما يلي: مُحَمَّد بن علي بن السيد السنوسي بن العربي الأطرش بن مُحَمَّد بن عبد القادر بن أحمد شهيدة بن مُحَمَّد شائب الذراع بن يوسف أبو ذهيبة بن عبد الله بن خطاب بن علي أبو العسل بن يحي بن راشد بن أحمد المرابط بن منداس بن عبد القوي بن عبد الرحمن بن يوسف بن زيان بن زين العابدين بن يوسف بن الحسن بن إدريس بن عبد الله بن أحمد بن مُحَمَّد بن عبد الله بن حمزة بن سعيد بن يعقوب بن داوود بن حمزة بن علي بن عمران بن إدريس الأزهر الأصغر أمير المسلمين وباني فاس ابن الإمام إدريس الأكبر أول ملوك السادة الأدارسة بالمغرب بن عبد الله الكامل بن الحسن المثنى بن الإمام الحسن السبط بن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ وكرم الله وجهه وفاطمة الزهراء بضعة المصطفى سيدنا رسول الله صلى الله عليه و آله وسلم تسليما[2].

ونلاحظ أن هذه السلسلة الشريفة ضمت إحدى وأربعين جَدًّا، بداية من الأب علي إلى غاية الرسول ﷺ، غير أن هذه الشجرة عند الحشائشي ضمت سبعة وثلاثين جَدًّا فقط، بداية من الأب علي وصولًا إلى الرسول ﷺ، كما أن الجد الرابع اسمه عبد العزيز وليس عبد القادر[3]، مما يجعلنا في حيرة، ومما يحيرنا أكثر ما أورده الملك إدريس حفيد السنوسي حول نسبه، في ترجمة لجده التي قدم بها لكتاب إيقاظ الوسنان، حيث ذكر ثلاثة وثلاثين جَدًّا فقط، ابتداءً من الأب علي إلى غاية الرسول ﷺ[4]، وفي هذا السياق ذكر الدجاني المؤرخين الذين يقرون النسب الشريف لمحمد بن علي السنوسي، وهم : أرسلان، والأشهب، والبستاني[5].

---

[1] – " وهذه شجرة آل خطاب منهم حسبما أثبته ابن خلدون التلمساني وغيره هكذا عبد الله بن خطاب بن علي بن يحي بن راشد بن مرابط بن منداس ...بن علي بن أبي طالب (ﷺ) وفاطمة بنت رسول الله ﷺ ". ينظر : مُحَمَّد بن علي السنوسي، **الدُّرَرُ السّنيّة في أخبارِ السُّلالةِ الإدريسِيّة**، إشراف نجيب بن خيرة، طبعة خاصة، الجزائر، دار زمورة، 2011، ص ص182، 183.

[2] – عبد المالك بن عبد القادر بن علي، **الفوائد الجلية في تاريخ العائلة السنوسية الحاكمة بليبيا**، دمشق، مطبعة دار الجزائر العربية، 1966، القسم الأول، ص6.

[3] – مُحَمَّد بن عثمان الحشائشي، **رحلة الحشائشي إلى ليبيا سنة 1895 < جَلاء الكرَبْ عَن طرَابلس الغَربْ >**، تق. وتح. علي مصطفى المصراتي، ط1، بيروت، دار لبنان للطباعة والنشر، 1965، ص144.

[4] – أحمد صدقي الدجاني، مرجع سابق، ص ص35، 36.

[5] – نفسه، ص35.

واهتمام العرب بالأنساب عادة قديمة دأب عليها الآباء والأجداد، وحافظ عليها الأولاد والأحفاد، وتميز بها خاصة من ادعى النسب الشريف كنوع من الامتياز والتفاخر، وأسرة السنوسي لم تكن استثناءً[1]، وفي هذا المجال أصبح الكل يلهث وراء إثبات النسب الشريف خاصة المرابطين وشيوخ الطرق الصوفية، وذلك لإضفاء نوع من الشرعية الدينية على زواياهم، والحصول على مكانة مهابة واحترام الناس حسب العرف الاجتماعي، بل نجد هناك من يُقِّر النسب الشريف من جهة الأم مثلما ذهب إليه علماء بجاية.

ولقب السنوسي مشهور جدًا في الغرب الجزائري بل في شمال أفريقيا عمومًا، وقد لُقِّب به عددٌ كبيرٌ من المشاهير في مختلف المجالات وفي أزمنة متقاربة، ولا ندري إن كانت هناك صلة قرابة بينهم، غير أن أصل لقب مُحَمَّد بن علي السنوسي يعود إلى الإمام مُحَمَّد بن يوسف السنوسي[2] (832-895هـ/1428-1490م) صاحب العقائد في التوحيد، والذي تربى في قبيلة بني سنوس بتلمسان، وللعلم فهي قبيلة بربرية[3]، وقد أكد ابن خلدون أنها بطن من كومية[4].

---

[1] - نظم نسب السنوسي العلامة السيد عبد الرحيم المحبوب في قصيدة، وكذلك السيد العلامة أحمد بن إدريس الأشهب، وكانت المنظومتان ضمن ما يحفظه طلبة الجغبوب، وكان خديوي مصر إسماعيل باشا قد أمر بنقش سلسلة هذا النسب الكريم بأحرف ذهبية داخل إطار مذهب، وأهداه ليُعلَّق بحائط الضريح السنوسي الشريف، وعُرضت اللوحة التي تحمل هذا النسب على مُحَمَّد المهدي السنوسي، فعلَّق عليها أبيات شعرية مطلعها.

سلسلة عسجدية قد نظمت بالجوهر المضيء من ضوء سما

ينظر : مُحَمَّد الطيب الأشهب، مرجع سابق، ص ص7، 8.

[2] – مُحَمَّد بن يوسف بن عمر بن شعيب السنوسي، به عُرف نسبة لقبيلة بالغرب، الحسني نسبة للحسن بن علي من جهة أم أبيه، التلمساني، قال تلميذه الملالي أنه كان من أروع أهل زمانه، وعقيدته الكبرى أول ما صنفه ثم الوسطى والصغرى ، انفرد بعلم الباطن والظاهر، وكان آية في العلم والصلاح والهدى والزهد والورع. ينظر : أحمد بابا التنبكتي، **كفاية المحتاج لمعرفة من ليس في الديباج**، تعليق عبد الله الكندري، ط1، بيروت.لبنان، دار ابن حزم 2002، ص ص445-452. وهو عالم تلمسان وإمامها وبركتها، صاحب العقائد، وحواشي الصحيح وغيرهما، المتوفي سنة 895هـ، ودفن بتلمسان ... ينظر : عبد الحي الكتاني، **فهْرَس الفهَارس وَالأثبَات ومعجَم المعَاجم وَالمشيخَات وَالمسَلسَلات**، ج2، ط2، دار الغرب الإسلامي.بيروت، 1982، ص ص998، 999.

[3]- Revue Africaine, V.49, Année 1905, pp 69-51.

[4] – بطرس البستاني، مرجع سابق، مج10، ص148.

وكان الإمام مُحَمَّد بن يوسف السنوسي من أشهر علماء عصره لاسيما في المغرب العربي، وقد اشتهر بالزهد والورع والتصوف وظهرت له كرامات، وكان على درجة عالية من الصلاح والتقوى، فنال محبة الناس واحترامهم وكسب قلوبهم وتعلقوا به إلى درجة أن سموا أبنائهم باسمه تبركًا به[1]، وكان ممن سُمِّي بلقب "السنوسي" ابن للسيد عبد القادر بن أحمد شهيدة، وهو الجد الرابع لمحمد بن علي السنوسي، وقد توفي بتلمسان وقبره هناك، وهو أول من تسمّى بالسنوسي في عائلة آل الخطاب بمستغانم[2]، وأشار المؤرخ الدجاني إلى أسرة السنوسي بالجزائر، وذكر بأنها تُعرف باسم عائلة "الأطرش"، وفي حقيقة الأمر فإن أفراد هذه العائلة هم أبناء عم أحمد الشريف السنوسي[3]، وقد أشار رين إلى هذا اللقب أيضًا لكن باسم "بالأطرش"[4].

ونظرا لشهرة مُحَمَّد بن يوسف السنوسي الواسعة والتي تعدت حدود بلاده مشرقًا ومغربًا، فإن الكثير من يخلط بينه وبين مُحَمَّد بن علي السنوسي وهذا بسبب تشابه اللقب، لذلك كثيرا ما يُكنّى مُحَمَّد بن علي السنوسي بأبي عبد الله وهي كنية خاصة بمحمد بن يوسف السنوسي، وقد وقع في هذا الالتباس عددٌ كبيرٌ من المؤرخين[5]، ولم يقتصر الأمر على الكنية فقط، بل تجاوزه إلى الخلط في التعريف بالشخصيتين؛ ففي كثير من الأحيان يُعرَّف أحدهما على أساس أنه الآخر وهذا من طرف باحثين أكاديميين[6].

---

[1] – يشير أبو القاسم سعد الله إلى تأسيس زاوية السنوسي بتلمسان في القرن 9هـ، ينظر : أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي من القرن العاشر إلى الرابع عشر الهجري (16–20م)**، الجزائر، ش و ن ت، 1981، ج1، ص ص39، 40.

[2] – عبد المالك بن عبد القادر بن علي، مرجع سابق، ص6.

[3] – ورد في كتاب سلسلة الأصول ما يلي : "... الآن سيدي أحمد الشريف هناك وأبناء عمه ببلدة مجاهر منهم الآن تاج الفضلاء ونخبة الكرماء القائد السيد احمد بن سيدي الحاج السنوسي المكنى الاطرش النائب المالي بالولاية العامة ... ". ينظر : عبد الله حشلاف، مرجع سابق، ص100.

[4] – في معرض حديثه عن أسباب رحيل السنوسي إلى فاس، قال : "رحل السنوسي بسبب خلاف مع ابن عمه مُحَمَّد بالأطرش ...". ينظر :

Louis Rinn, **Marabouts et Khouan**, **étude sur l'islam en Algérie**, Alger, Adolphe Jourdan-libraire éditeur, 1884, p 483.

[5] – عمر رضا كحالة، **معجم المؤلفين**، ط1، بيروت، مؤسسة الرسالة، 1993، ج3، ص 514. وأيضًا : عادل نويهض، **معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر**، الجزائر، دار الوعي، 2017، ص237.

[6] – عَرَّف المحققون مُحَمَّد بن علي السنوسي على أساس أنه مُحَمَّد بن يوسف السنوسي. ينظر : عبد القادر بن محي الدين، **مذكرات الأمير عبد القادر .سيرة ذاتية**، تح.مُحَمَّد الصغير بناني وآخران، ط7، الجزائر، شركة دار الأمة للنشر والتوزيع، 2010، ص59.

1-2- نشأته ودراسته :

نشأ مُحَمَّد بن علي السنوسي يتيمًا وعمره عامين، وذلك عندما توفي أبوه وهو في عز شبابه عن عمر خمس وعشرين سنة، وبعد فترة قليلة أعقبته أمه، وأمام هذه الظروف الصعبة احتضنته عمته فاطمة وربته واعتنت به، وكانت نعم الصدر الحنون، وبقي معها إلى أن توفيت بالطاعون وكان حينها في سن السابعة[1]. كانت عمته معلمته الأولى خاصة علم العقائد الذي أتقنه رغم صعوبته، ومن أبرز شيوخه في تلك الفترة زوج عمته مُحَمَّد بن قعمش الطهراوي وابنه عبد القادر، حيث أخذ عنهما القرآن الكريم برواياته السبع[2]، وبعد وفاة عمته كفله ابن عمه الشيخ مُحَمَّد السنوسي[3]، والذي يعتبر بمثابة فقيه العائلة، حيث أتم تحفيظه القرآن الكريم برواياته السبع مع علم رسم الخط للمصحف والضبط، وأقرأه الرسالات الآتية : مورد الضمآن، والمصباح، والعقيلية، والندى، والجزرية الهدية في القراءة المكية، وحرز الأماني للشاطبي، وعلمه أيضًا الفقه واللغة العربية وعلم الحديث والتصوف[4]، وظل مُحَمَّد بن علي السنوسي ينهل العلم بالتدريج، ويتلقى تنشئة حسنة عمادها السنة النبوية المطهرة، والتأسي بسلوك أجداده، إلى أن توفي كفيله ابن عمه سنة 1219هـ[5]، عندئذ انتقل للدراسة في المدينة أي مستغانم.

لقد تنوعت وتعددت المدارس التي تعلم فيها الفتى مُحَمَّد بن علي السنوسي، لذلك تدرج في مراحل مختلفة من التعليم صعودًا إلى مراتب أعلى في عدة مدن تماشيا مع مراحل عمره، والمدن التي تعلم فيها هي :

---

(1) – مُحَمَّد بن علي السنوسي، **البدور السافرة في عوالي الأسانيد الفاخرة**، المكتبة الوطنية الجزائرية، رقم 2522، مخ.

(2) – القراءات السبع هي : قراءة نافع من المدينة، وابن كثير من مكة، وقراءة كل من عاصم وحمزة والكسائي من الكوفة، وأبو عمرو بن العلا من البصرة، ومن الشام عبد الله بن عامر. ينظر : ابن مجاهد، **كتاب السبعة في القراءات**، تح.شوقي ضيف، مصر، دار المعارف، 1972، ص18.

(3) – عبد المالك بن عبد القادر بن علي، مرجع سابق، ص7. لكن ذكر الدجاني اسم "الشارف" ابن عم مُحَمَّد بن علي السنوسي أيضا، وقال أنه توفي عام 1220هـ. ينظر : أحمد صدقي الدجاني، مرجع سابق، ص39.

(4) – احتمال أن يكون مُحَمَّد بن علي السنوسي قد اتبع الطريقة الشاذلية. ينظر:

Knut S.VikØR, **Sufi and scholar on the desert edge Muhammad b.'Ali al-Sanûsî and his brotherhood**, Evansto.Illinois, Northwestern university press, 1995, p 28.

(5) - علي مُحَمَّد الصلابي، **تَاريخ الحَرَكَة السَّنُوسيَّة في أفريقيا**، ط1، بيروت.لبنان، دار المعرفة، 2005، ص 22.

1-2-1- مستغانـــم :

مدينة عريقة عرفت ازدهارًا ثقافيًا منذ قرون[1]، وتعد مسقط رأس الفتى السنوسي الذي التحق بها لإتمام دراسته، وقد جلس عند المشايخ : محي الدين بن شهلة، ومُحَمَّد بن أبي زوينة، وعبد القادر بن عمور المستغانمي، ومُحَمَّد بن عبد الله المستغانمي، وسي عبد الحليم، ومُحَمَّد بن القندوز.

ويعتبر الشيخ مُحَمَّد بن القندوز من جهابذة العلماء، فقد كان له معهد بسيدار مينة قرب مدينة البطحاء يُعلِّم القرآن لنحو أربعمائة طالب، لكن جاءه الباي حسن بجنوده وأخذوه إلى مازونة وقتلوه[2]، وذلك بسبب استقلاله برأيه وابتعاده عن التودد للحكام، وكان للقندوز طالبًا يسمى الشارف بن تكوك، وهو قريب مُحَمَّد بن علي السنوسي، رثى شيخه في قصيدة غوثية، جاء فيها :

ارحم شيخي بالقندوز مريد الشيخ المعـــزوز
عبد القادر به نفـــوز عند رجال اللزميـــــا
بالقندوز المزهـــــــد في وسط الطلبة عابـد
لا بد في الذكر يمجد يخدم ربي بالنيـــــة

إلى أن يقول :

يا رب عذب حسن بكت رب البيت تعيان
والطلبة قعدت تنهان وافترقوا في بكريـــــا

وأرّخ للحادثة، فقال :

في شهر الله صفـــر دارت به العساكـــر
بالثلاثة بعد الفجـــر ولى أيد بن العديـــه

---

[1] – عرفت مستغانم ازدهارًا حضاريًا منذ مجيء الأندلسيين في القرن 16م، وازدادت إشعاعًا ثقافيًا عندما أصبحت مقر البايلك في عهد الباي بوشلاغم، حيث ضمت عدة مدارس بلغ عددها عام 1834م ثمانية، واحدة منها لليهود. ينظر : فتيحة الواليش، **الحياة الحضرية في بايلك الغرب الجزائري خلال القرن الثامن عشر**، رسالة ماجستير، جامعة الجزائر، 1993-1994، ص ص48-161.

[2] – أحمد بن سحنون، **الثغر الجماني في ابتِسام الثغر الوهراني**، تح وتق. المهدي البوعبدلي، ط1، المحمدية.الجزائر، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، 2013، ص53.

عام الخمسة والأربعين(1245) توفي ليلة الاثنيـــن[1]

أُعدم الشيخ مُحَمَّد بلقندوز عام 1829م، وقبل إعدامه قال : "سوف ينزل السوء بمازونة من جراء أخطائه(أي أخطاء حسن بك)، وسوف ينزل بالأتراك السوء بسبب ابن القندوز"[2]، وتحقّقت نبوءته، إذ احتلت فرنسا الجزائر بعد عام فقط، وخرج الأتراك، وتأثر مُحَمَّد بن علي السنوسي كثيرًا بتلك الفاجعة، أي مقتل شيخه، ومنذ ذلك الحين ظل يأخذ الحيطة والحذر من الأتراك، وبقي يدرس في مستغانم زهاء عامين، ثم ذهب إلى مازونة لأنه تخطى المرحلة الإبتدائية، وتطَّلع إلى مرحلة أعلى ومستوى يناسب سنه بعد أن أصبح شابًا يافعًا.

وتميز السنوسي بشخصية منطوية، حيث كان منذ صباه يميل إلى الانزواء محبًا للعزلة والوحدة، يقضي ساعات طويلة في التفكير، ومما يدل على ذلك ما ذكره المؤرخون، بأن أحد أساتذته سأله يوما، وقد وجده جالسًا على كثيب من الرمال وهو في تفكير عميق، فقال له : « فيم تفكر يا بني؟ » أجاب : « إنني أفكر في حالة العالم الإسلامي الذي أصبح لا يعدو أن يكون قطيعا من الغنم لا راعي له ... » ، وعندما سأله الأستاذ عن الحل، أجابه : « سأجتهد »[3].

1-2-2- مازونـــة :

تقع مازونة في الحافة اليمنى لوادي وازران أحد روافد نهر الشلف، وأصبحت عاصمة لبايلك الغرب ابتداءً من سنة 1563م إلى غاية 1700م[4]، وتشتهر هذه المدينة بمدرستها[5] التي أخذت شهرةً مغاربيةً، فقد كانت مقصدًا لطلاب العلم من كل مكان، حتى من المغرب الأقصى، لذلك ذاع صيتها في شمال أفريقيا، وإضافة إلى علمائها فقد اشتهرت أيضًا بنوازلها الفقهية، مما جعلها بمثابة دار للإفتاء في عصرها.

وحلَّ مُحَمَّد بن علي السنوسي بهذه المدينة سنة 1806م[6]، ومكث بها عامًا واحدًا، ظل ينهل العلم من شيوخ اعتُبِروا جهابذة الفقهاء وفطاحل العلماء في عصرهم، وهم : مُحَمَّد بن علي بن أبي طالب، وأبو المهل أبو

---

(1) – أحمد بن سحنون، مرجع سابق، ص ص54، 55.

(2) – مُحَمَّد فؤاد شكري، **السّنوسية دين ودولة**، مصر، دار الفكر العربي، 1948، ص12.

(3) – مُحَمَّد الطيب الأشهب، مرجع سابق، ص ص12، 13.

(4) – فتيحة الواليش، مرجع سابق، ص ص47، 48.

(5) – تأسست مدرسة مازونة في نهاية القرن 16م من طرف الشيخ مُحَمَّد بن شريف الأندلسي. ينظر : نفسه، ص169.

(6) – عبد المالك بن عبد القادر بن علي، مرجع سابق، ص8.

زوينة، وسي بوطالب، وسيدي مُحَمَّد بن علي بن شارف المازوني[1] الذي ذكره السنوسي في أحد مصنفاته، حيث قال بأنه كان يأمرهم بقراءة القرآن ثم الحديث والموطّأ[2]، وكان عالما محترمًا ذا شخصية مهابة[3].

وأشهر شيوخ مازونة علمًا أبو راس المعسكري (1150-1238هـ/1737-1824م) صاحب التصانيف العديدة مثل "لب أفياخي في عدة أشياخي"، و"درء الشقاوة في فتنة درقاوة"، و"تفسير القرآن"، و"الزمردة الوردية في الملوك السعدية"، و"حاشية على الشرح الكبير "للخراشي، و"شرح الحلل السندسية" وغيرها[4]، ويعد أبو راس علامةً وحافظًا ومؤرخًا وفقيهًا ورحالةً أيضًا، حيث اشتهر برحلة سماها "عجائب الأسفار ولطائف الأخبار"، ذكر فيها سياحته للمشرق والمغرب، ومن لقي من الأعيان، ويعد أيضًا من أبرز من أنجبتهم مدرسة مازونة، وقد درس عنده مُحَمَّد بن علي السنوسي، وهو من شيوخه القلائل الذين أثنى عليهم وذكرهم في كتبه، وأشار خاصة إلى تفسيره للقرآن الكريم الذي اعتبره أحد أبرز التفاسير التي اعتمد عليها[5]، وقد روى السنوسي عنه، لذلك يعتبر أحد أسانيد شيخه[6]. وعن علمه ومنزلته قال : « كان حافظا متقنا لجميع العلوم عارفا بالمذاهب الأربعة لا يسأل عن

---

[1] – هو العالم المعمر الصالح أبو طالب مُحَمَّد بن علي بن عبد الرحمن بن مُحَمَّد المعروف بابن الشارف المازوني المتوفي سن 1233هـ عن أزيد من المائة، وقد قال الشيخ السنوسي في كتابه "البدور السافرة" : ((كان مولد أبي طالب على ما أخبرني به بعض أصحابه أواخر المائة الحادية عشر أو مقارنًا لأول الثانية، وهو يروي عن جده عن الثعالبي واللقاني بإجازتهما العامة، ا هـ)). ينظر : عبد الحي الكتاني، مرجع سابق، ج1، ص ص506، 507. وهو من أبرز علماء مازونة خلال القرن 18م، تولى التدريس في المدرسة الفقهية لمدة أربع وأربعين سنة بعد وفاة والده سنة 1775م، فنال شهرة كبيرة، وتوفي عام 1818م، له عدة مؤلفات منها : شرح قصيدة[كذا]الصغرى للشيخ السنوسي التلمساني في التوحيد سماها "درة الحواشي في حل ألفاظ الخرشي". ينظر : قدور بوجلال، **مظاهر التقارب والقطيعة بين العلماء والسلطة العثمانية في بايلك الغرب فترة الدايات 1671– 1830م**، أطروحة دكتوراه، جامعة وهران 1 أحمد بن بلة، 2016-2017م، ص ص101، 102.

[2] - مُحَمَّد بن علي السنوسي، **المنهل الروي الرائق في أسانيد العلوم وأصول الطرائق**، إشراف نجيب بن خيرة، طبعة خاصة، الجزائر، دار زمورة، 2011، ص78.

[3] – كان مُطاعًا عند الطلبة مُهابًا بينهم، ما أمر بشيء إلا امتثلوه، ولا نهى عن غيره إلا تجنبوه. ينظر : أحمد بن سحنون، مرجع سابق، ص242.

[4] – عادل نويهض، مرجع سابق، ص408.

[5] – مُحَمَّد بن علي السنوسي، **المنهل الروي الرائق في أسانيد العلوم وأصول الطرائق**، مرجع سابق، ص71.

[6] - يروى الكتاني تفسير أبي راس المعسكري للقرآن الكريم بإسناد عن السنوسي، حيث قال : « نعم نروي عن أبي اليسر المهنوي عن الأستاذ السنوسي تفسير الشيخ أبي رأس عنه، والغالب على الظن أن الأستاذ السنوسي لا يغفل استجازته عامة... ». ينظر: عبد الحي الكتاني، مرجع سابق، ج1، ص ص151، 152.

نازلة إلا ويجيب عنها بداهة كأنها حاضرة بين شفتيه. محققا لمذهب مالك غايةً لاسيما مختصر خليل[1] فله فيه الملكة التامة بحيث يلقيه على طلبته في أربعين يوما والخلاصة في عشر أيام »[2]، وشهد له بذلك أيضًا أحمد الشريف السنوسي، حيث قال بأنه كان حافظًا عارفًا بالمذاهب الأربعة، لا يسأل عن أي نازلة إلا ويجيب عنها[3].

والعلوم التي تدرس بمازونة هي الفقه والحديث وعلم الكلام، وقد تخصصت هذه المدرسة بتدريس الكتاب المشهور "الدُّرر المكنونة في نوازل مازونة" الذي ألَّفه يحي بن موسى المغيلي المازوني، ولم يكتف مُحَمَّد بن علي السنوسي بتحصيل العلوم، بل تعرَّف أيضا على بعض الطرق الصوفية بالمدينة، منها الطريقة الخلوتية التي رواها له الشيخ أبو المهل المازوني[4]. وطريقة الالتحاق بمدرسة مازونة- كغيرها من المدارس- تتم بدخول الطالب إلى مكان الدرس، ثم ينظم باختياره إلى أحد حلقات المدرس التي تضم مجموعة من الطلاب، والمدرس حر في وضع البرنامج الدراسي الذي يراه مناسبًا، وفي تحديد أوقات التدريس أيضًا[5]، وقاعة الدراسة تتسع ما بين ستين إلى ثمانين طالبًا[6]، يأتون من عدة مدن لاسيما من ندرومة ومستغانم وتنس وتلمسان، بل حتى من المغرب الأقصى، أما الأكل والمبيت - كما جرت العادة - فهي من ريع أوقاف المدرسة أو الزاوية أو المسجد، أو من الهبات والصدقات التي يقدمها أهل البر والخير الذين لا ينضبون أبدًا في هذه الحياة.

1-2-3- تلمسان :

شكلت تلمسان عاصمة المغرب الأوسط مدة قرنين من الزمن، امتدت من القرن 14 إلى غاية القرن 16م وذلك في عهد بني زيان، وتحتل المدينة موقعًا استراتيجيًا، باعتبارها ملتقى الطرق بين إحدى أكبر حاضرتين

---

(1) - من أبرز مصادر الفقه المالكي لصاحبه الشيخ خليل (000-776هـ/000-1374م) : خليل بن إسحاق بن موسى، ضياء الدين الجندي : فقيه مالكيّ، من أهل مصر، كان يلبس زيّ الجند، تعلم في القاهرة، وولي الإفتاء على مذهب مالك، له ((المختصر-ط)) في الفقه، يعرف بمختصر خليل، وقد شرحه كثيرون، وترجم إلى الفرنسية. ينظر : خير الدين الزركلي، **الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين**، ط15، بيروت.لبنان، دار العلم للملايين، أيار/مايو 2002، ج2، ص315.

(2) - عبد الحي الكتاني، مرجع سابق، ج1، ص ص150، 151.

(3) - أحمد الشريف السنوسي، **الفيوضات الربانية في إجازة الطريقةِ السَّنوسيّة الأحمدِية الإدريسيّة**، استانبول، مطبعة عامرة 1339-1342، ص9.

(4) - مُحَمَّد بن علي السنوسي، **المنهل الروي الرائق في أسانيد العلوم وأصول الطرائق**، مرجع سابق، ص130.

(5) - أبو القاسم سعد الله، مرجع سابق، ج1، ص ص348، 349.

(6) - فتيحة الواليش، مرجع سابق، ص161.

بالمغرب هما فاس ووهران، وظلت تمثل مركزًا حضاريًا وإشعاعًا علميًا كبيرًا لعدة قرون، فقد بلغ عدد مدارسها خمسون، يتردد عليها ما يقارب ألفين تلميذًا و ثمانمائة طالبًا[1].

وكغيرها من الحواضر العلمية الكبرى، كانت تلمسان هي الأخرى وجهة علمية رئيسية لطلاب العلم، لذلك قصدها مُحَمَّد بن علي السنوسي وحل بها سنة 1807م[2]، ومكث بها عامًا تقريبًا[3]، ولم يُفَصّل المؤرخون في إقامته هناك، بل لم يذكروا أساتذته أيضًا.

والأرجح أن مُحَمَّد بن علي السنوسي كان قد تنقل إلى مدن أخرى طلبًا للعلم أيضًا، لأن أغلب مدن الغرب الجزائري عبارة عن حواضر علمية ومقرات زوايا وطرق صوفية وكتاتيب، تشتهر بالتأليف وحركة نسخ المخطوطات وغيرها من النشاطات العلمية، فمثلًا ضمت كل من تلمسان ومازونة وندرومة ومستغانم أكثر من عشرين مكتبة، إضافة إلى المكتبة الهامة التي أوقفها الباي مُحَمَّد الكبير على المدرسة المحمدية بمعسكر[4]، وقد عرفت هذه المدينة – أي معسكر – هي الأخرى ازدهارًا ثقافيًا كبيرًا، خاصة بعد أن انتقل مقر البايلك إليها بدلا من مازونة سنة 1701م، وإضافة إلى أبي راس المعسكري اشتهرت أيضًا بعدد آخر من العلماء منهم : الرماصي القلعي، وعبد القادر المشرفي، كما اشتهرت أيضًا بزاوية القيطنة[5].

وتغيرت الأوضاع بعد الانتفاضة الدرقاوية[6]، فلم يعد يلق العلماء الاحترام من طرف الدولة العثمانية خاصة في الغرب الجزائري، حيث اشتد الخناق على زعماء الطرق الصوفية ورجال الدين عامة، حتى الموالين للأتراك مثل الشيخ أبي راس المعسكري، الذي كان سلفيًا مضادًا لتلك الانتفاضة والتي أرخ لها في كتاب سماه "درء الشقاوة في فتنة درقاوة"، ورغم ذلك عُزِل من منصبيه الرسميين الإفتاء والقضاء، وفي خضم هذه الفتنة فضَّل الكثير الفرار إلى

---

(1) – فتيحة الواليش، مرجع سابق، ص160.

(2) – عبد المالك بن عبد بن علي، مرجع سابق، ص8.

(3) – نفسه، ص8.

(4) – فتيحة الواليش، مرجع سابق، ص170.

(5) – أبو القاسم سعد الله، مرجع سابق، ج1، ص ص178، 179.

(6) – قام بها الشيخ عبد القادر بن الشريف سنة 1219هـ ضد الباي مصطفى الذي انهزم وفر منفردا إلى معسكر على فرس دون سرج. وكان هذا الثائر درقاويا حيث ذهب إلى المغرب والتحق بمعهد الشيخ العربي بن أحمد الدرقاوي في بني زروال وأُجيز هناك، ثم رجع إلى بلاده وعينه أستاذه مقدمًا للطريقة الدرقاوية. ينظر : أحمد بن سحنون، مرجع سابق، ص ص42، 43.

الخارج ومنهم مُحَمَّد بن علي السنوسي[1]، ويؤكد بعض المؤرخين أنه كان درقاويًا[2]. والدرقاوية هي إحدى الطرق الصوفية المعروفة والمنتشرة خاصة في الغرب الجزائري، ويتميز مريدوها ببعض الطقوس والعادات منها تطويق الرقبة بالسبحة، ولبس المرقعة عليها الببوش، وهو نوع من الديباج يستعمل أحيانًا كسلسلة تعلق على الجبة المرقعة، وكثيرًا ما يستخدمه الدراويش إلى اليوم.

1-3- رحلاته العلمية :

تنوعت وتعددت رحلات مُحَمَّد بن على السنوسي مغربًا ومشرقًا، حتى اختلف المؤرخون في ضبط تواريخها وتحديد عددها، وإذا تتبعنا مساره نلاحظ أنه أفنى حياته في التنقل والترحال، تعرَّف خلالها على شعوب من مختلف الأماكن والأمصار، وكان لذلك تأثير بالغ في صقل شخصيته، وإخراجها إلى ما آلت إليه من نبوغ وثقافة وعلم وحداقة، بل وشيخ طريقة صوفية يُحتدى بها، وأهم رحلاته نستعرضها كما يلي :

1-3-1- فـــاس :

اختلفت مصادر السنوسية في تحديد تاريخ رحيل مُحَمَّد بن علي السنوسي إلى فاس؛ لقد حددها ابن علي بسنة 1809م[3]، وشكري عام 1822م[4]، والحشائشي عام 1813م[5]، ورين عام 1237هـ/1821-1822م[6]، أما الدجاني يرجح عام 1220هـ، أي ما يوافق عام 1805م، معتمدًا على رواية الملك إدريس له[7].

---

[1] – أبو القاسم سعد الله، مرجع سابق، ج1، ص221.

[2] – أحمد صدقي الدجاني، مرجع سابق، ص46.

[3] – عبد المالك بن عبد القادر بن علي، مرجع سابق، ص8.

[4] – مُحَمَّد فؤاد شكري، مرجع سابق، ص13.

[5] - مُحَمَّد بن عثمان الحشائشي، مرجع سابق، ص70.

[6] – قال رين : "رحل السنوسي إلى فاس وعمره 30 سنة، بعد أن تشاجر مع ابن عمه مُحَمَّد بالأطرش عام 1237هـ/1821-1822م، ونظرت المحكمة في هذا الخلاف". ينظر : Louis Rinn, op.cit, p 483.

[7] – رفض الدجاني كل التواريخ الأخرى، واعتمد على هذا التاريخ بناءً على مجموعة من القرائن : منها أنه منسجم مع مخطط تفصيل حياته، وأنه لا يتعارض مع أي جزء، وما يجعله أكثر اطمئنانا – حسب رأيه – اعتماده على رواية الملك إدريس بأن جده غادر مستغانم سنة 1220 وهو في سن الثامنة عشرة من عمره. ينظر : أحمد صدقي الدجاني، مرجع سابق، ص ص43، 44.

وباستثناء روش[1]، يجمع أغلب المؤرخين أن مُحَمَّد بن السنوسي مكث بفاس سبع سنوات متتالية[2]، ويتفقون على أن غرضه كان طلب العلم، وقد حثنا الله على الاستزادة منه كما جاء في الآية الكريمة :﴿ وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴾[3]، وأوضح لنا سبحانه أن الفارق كبير بين الذين عرفوا العلم وبين غيرهم، فقال: ﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾[4]، ومن الأحاديث النبوية ما يدعو إلى طلب العلم ما قاله الرسول ﷺ : ((من سلك طريقا يطلب فيه علما سلك الله عز وجل به طريقا من طرق الجنة، وأن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم))[5].

ويذكر بعض المؤرخين أن سبب رحيل السنوسي خلافٌ عائليٌ حدث مع ابن عمه الأطرش[6]، ونعتقد أن ذلك غير منطقي، لأنه لو كان كذلك لاتجه إلى أي مكان آخر وليس خارج وطنه، وقصده فاس بالذات يجعلنا نرجح وبقوة أن السبب الرئيسي هو طلب العلم، وهذا ما أكده أغلب مؤرخي السنوسية[7]. وتمثل فاس أهم حاضرة في المغرب الأقصى، وتشتهر بالخصوص بجامع القرويين الذي يعتبر أول جامعة في العالم، ويعد منارة حقيقية لتحصيل العلم، حيث يستقطب الطلاب من كل أنحاء العالم، وهذا منذ تأسيسه عام 245هـ/859م[8]،

---

(1) - قال روش بأن السنوسي درس بفاس مدة إحدى عشرة سنة. ينظر:

Jean-Louis Triaud, **La Légende noire de la Sanûsiyya une confrérie musulmane saharienne sous le regard Français** (**1840-1930**), Paris, éditions de la maison des sciences de l'homme, 1995, vol 1 , p 46.

(2) – عبد المالك بن عبد القادر، مرجع سابق، ص8. وينظر أيضًا : Louis Rinn, op.cit, p 483. مكث بين عامي 1808 و1815م. ينظر : Knut S.VikØR, op.cit, p 30.

(3) – سورة طه : الآية 114.

(4) – سورة الزمر : الآية 9.

(5) – سليمان أبو داود، **سنن أبي داود**، ط1، دمشق، دار الرسالة العالمية، 2009، ج5، ص 485.

(6)- Knut S.VikØR, op.cit, p 46.

(7) – أحمد صدقي الدجاني، مرجع سابق، ص44.

(8) – بَنَتهُ فاطمة ابنة الفقيه أبو عبد الله مُحَمَّد بن عبد الله الفهري القيرواني من مالها الخاص. ينظر : عبد الهادي التازي، **جامع القرويين المسجد والجامعة بمدينة فاس موسوعة لتاريخها المعماري والفكري**، ط2، الرباط.المغرب، دار نشر المعرفة، 2000، مج2، ص ص46، 47.

وأصل اسمه يعود إلى المهاجرين من القيروان كما هو معلوم، وحاضرة فاس عموما تعد مدينةً عظيمةً، عامرة بالعلم والعلماء، تمثل دار الإفتاء والقضاء منذ دولة الأدارسة وصولا إلى العلويين، ولها أهمية عظيمة إلى درجة أن بيعتها تضفي الشرعية على الحكم بالمغرب.

وانضم مُحَمَّد بن علي السنوسي إلى جامع القرويين، وكان يشترط في الطالب الذي يرغب في الالتحاق بهذا الجامع مستوى علمي معين يؤهله للانخراط ضمن طلابه[1]، وقد نهل العلم بشغف، وبرع في تحصيله، لذلك رُشِّح لمشيخة[2] جامع القرويين وعمره لم يتجاوز الثلاثين، لكنه لم يقبل هذا التقيد[3]، ويعد منصب "الشيخ"[4] الركيزة الأساسية في جامع القرويين، والكفاءة هي المؤهل الرئيسي للتعيين والتدريس. وأبان مُحَمَّد بن علي السنوسي خلال مساره الدراسي عن نبوغه وتفوقه وفطنته، وكان قد جلس للدراسة بفاس عند عدة شيوخٍ[5]، وقال شكري بأنه أخذ العلم عنهم بالرواية[6]، وحسب اطلاعنا على المصادر نذكر :

1-3-1-1- الشيخ ابن عجيبة (1747-1809م)[7] :

هو العالم العارف أبو العباس أحمد بن مُحَمَّد بن المهدي بن عجيبة اللنجري، المفسر، الفقيه، الحسني نسبًا، والتطواني دارًا، والفاسي معلمًا، مالكي المذهب وشاذلي الطريقة، يعد من بين أبرز وأشهر علماء وفقهاء المغرب

---

[1] – صالح كرار، "**عالم وصوفي على هامش الصحراء مُحَمَّد بن علي السنوسي(1787-1859) مؤسس الطريقة السنوسية**"، دراسات إفريقية، 14، يناير 1996، ص56.

[2] – المشيخة – بفتح الميم وكسرها وفتح التحتية وضمها وأيضًا وفتح الميم وكسر الشين المعجمة أي وإسكان إلياء[كذا]- جمع شيخ بالفتح، وهو لغة من استبان فيه السن ... ينظر : عبد الحي الكتاني، مرجع سابق، ج2، ص624.

[3] – عبد المالك بن عبد القادر بن علي، مرجع سابق، ص8.

[4] - الشيخ لغةً : هو الذي استبان فيه السن وظهر فيه الشيب، وقيل هو من خمسين إلى آخره، أما اصطلاحًا : هو الإنسان الذي بلغ الكمال في علوم الشريعة والطريقة والحقيقة، ولو كان يافعًا. ينظر : فلاح حسن سالم الجبوري، **العهد والبيعة عند السادة الصوفية**، ط1، بيروت.لبنان، دار الكتب العلمية، 2006، ص73.

[5] – ذكر عبد المالك أربعة عشرة شيخًا، وهم : حمدون بن الحاج، والطيب الكيراني، وأبو بكر بن زيان الإدريسي الجوطي، وأبو العلا إدريس العراقي وابنه عبد الرحمن، ومُحَمَّد أبو بكر اليازعي، ومُحَمَّد بن عامر المعداني، ومُحَمَّد بن مُحَمَّد بن عبد السلام بناني، وأحمد بن المكي السدراتي شارح الموطأ، والحافظ مُحَمَّد بن بن عبد السلام الناصري وابنه مُحَمَّد المدني، ومُحَمَّد بن منصور، ومُحَمَّد الزروالي، والعربي بن مُحَمَّد. ينظر : عبد المالك بن عبد القادر بن علي، مرجع سابق، ص8.

[6] – مُحَمَّد فؤاد شكري، مرجع سابق، ص13.

[7]- Knut S.VikØR, op.cit, p 31.

الأقصى، كرس حياته للعلم والمعرفة[1]، له عدة مؤلفات أبرزها : تفسير القرآن الكريم الذي سماه "البحر المديد في تفسير القرآن المجيد"[2] في أربعة مجلدات ضخمة[3]، وحاشية الجامع الصغير للسيوطي، وشرح البردة والهمزية، والأربعين حديثًا في الأصول والفروع، وطبقات الفقهاء المالكية إلى زمانه على ترتيب وجودهم، وشرح الحصن، وتأليف في الأذكار النبوية، وفهرسة ذكر فيها نسبه ونشأته وأسانيده وإجازاته وغيرها[4]، وشرح على الأجرومية، وشرح على الوظيفة الزروقية[5]، وشرح على الحزب الكبير للإمام الشاذلي، وشرح على المنفرجة[6]، وله أيضًا شرح كتاب في التصوف اسمه "إيقاظ الهمم في شرح متن الحكم"، وأزهار البستان.خ بالخزانة الزيدانية بمكناس. لم يتمه. في طبقات الأعيان المالكية، ومنه مخطوطة في خزانة الرباط، وشرح صلوات ابن مشيش، والفتوحات الإلهية في شرح المباحث الأصلية[7]، وغير ذلك.

وانفرد الأشهب دون غيره من مؤرخي السنوسية بأن ابن عجيبة كان أستاذ السنوسي[8]– كما مر معنا–، لكن اختلط عليه الأمر حيث صنفه ضمن أساتذته بالجزائر عوض فاس[9]، ويبدو أنه نقل حرفيا مما جاء في كتاب

---

[1] – ذكر الكتاني أنه ولد عام 1161هـ/(1747م)، وتوفي يوم الأربعاء 7 شوال 1224هـ/(1809م). ينظر : عبد الحي الكتاني، مرجع سابق، ج2، ص854.

[2] – أحمد بن عجيبة، **البحر المديد في تفسير القرآن المجيد**، تح وتع. أحمد عبد الله، القاهرة، 1999، ج1، ص ص19–38.

[3] – ألّفه بطلب من الشيخ البوزيدي عن إذن الشيخ العربي الدرقاوي. ينظر : عبد السلام بن عبد القادر ابن سودة، **إتحافُ المطالع بوفيات أعلام القرن الثالث عشر والرابع 1171–1400هـ/1766–1980**، تح.مُحَمَّد حجّي، ط1، بيروت، دار الغرب الإسلامي، 1997، ج1، ص104.

[4] – افتتحها بالكلام عن نسبه، وذكر آبائه ثم نشأته وتربيته، وفيها ذكر ولادته وهي سنة 1161هـ، وتوفي يوم الأربعاء 7شوال عام 1224هـ بالطاعون. ينظر : عبد الحي الكتاني، مرجع سابق، ج2، ص854.

[5] – وردت أيضًا باسم "تبصرة الطائفة الزرقاوية". ينظر : خير الدين الزركلي، مرجع سابق، ج1، ص245.

[6] – عبد السلام بن عبد القادر ابن سودة، مرجع سابق، ج1، ص104.

[7] – خير الدين الزركلي، مرجع سابق، ج1، ص245.

[8] – مُحَمَّد الطيب الأشهب، مرجع سابق، ص15. ورد هذا أيضًا في مقال من مجلة دراسات إفريقية، ع14، سنة 1996، لكن سُمي الشيخ – تصحيفًا– "ابن عجيب". ينظر : صالح كرار، مرجع سابق، ص56.

[9] – قال الأشهب : « ... ومن مشاهير بلاده الذين أخذ عنهم وأستصغى[كذا] ما لديهم الشيخ الصالح أبو طالب المازوني، وسيدي أبو المهل وابن قندوز المستغانمى وأبو رأس المعسكرى، وابن عجيبة صاحب التفسير العجيب، وسيدي مُحَمَّد بن عبد القادر ... ومن مشاهير فاس الإمام العلامة المحقق في المعقول والمنقول الغيث النجاج[كذا] والبحر المتلاطم الأمواج سيدي أحمد بن الحاج ... ». ينظر : مُحَمَّد الطيب الأشهب، مرجع سابق، ص15.

"المنهل العذب في تاريخ طرابلس الغرب" لأحمد نائب الأنصاري[1]. وورد في دراسة استشراقية للسيد فيكور كنوت أن السنوسي التقى بابن عجيبة وأخذ عنه التصوف والتفسير[2]، وأضاف بأن اللقاء كان وجيزًا بينهما، لأن الشيخ في الحقيقة عندما قدم السنوسي لم يطل كثيرًا حتى توفي. والغريب أنه – أي فيكور كنوت– شكك في اللقاء أصلًا بحجة أن الشيخ عاش في تطوان[3]، ونحن نرى بأن دراسة السنوسي عند الشيخ ابن عجيبة مؤكدة وهذا حسب الأشهب وأحمد نائب الأنصاري، لكن لم يجيزه في رواية تفسير القرآن الكريم لصغر سنه –كما أسلفنا–، حيث صرح السنوسي بنفسه بذلك قائلًا : « وأروي تفسير العلامة ابن عجيبة عن غير واحد من أصحابه عنه إذ مات رحمه الله ولست في سن الأخذ عنه »[4]، وبناءً على هذا يعد ابن عجيبة من أوائل أساتذة السنوسي بفاس.

1-3-1-2- الشيخ مُحَمَّد بن أمير المداني التادلي (ت 1816 أو 1819م) :

يعتبر الشيخ مُحَمَّد التادلي من الأساتذة والعلماء الكبار في المغرب، ونظرًا لمكانته العلمية فقد كان شيخ مولاي سليمان[5]، وشيخنا السنوسي أخذ عنه صحيح البخاري، وقد أشار إليه في مصنفه الموطّأ[6].

---

[1] – قال الأنصاري –نقلًا عن فالح الظاهري– : « ... ومن مشاهير بلاده الذين أخذ عنهم، واستصفى ما لديهم، الشيخ الصالح (أبو طالب المأزوني)، كسيدي (أبي المهل) و(ابن القندوز المستغانمي) و(أبو رأس المعسكري) كابن (عجيبية)[كذا] صاحب التفسير العجيب وسيدي (مُحَمَّد بن عبد القادر) ... ومن مشاهير فاس الإمام العلامة المحقق في المعقول، الغيث الثجاج ... ». ينظر : أحمد النائب الأنصاري، **المنهل العذب في تاريخ طرابلس الغرب**، ليبيا، منشورات مكتبة الفرجاني، د ت، ص369.

[2]- Knut S.VikØR, op.cit, p 46.

[3]- Ibid, p 46.

[4] – مُحَمَّد بن علي السنوسي، **المنهل الروي الرائق في أسانيد وعلوم الطرائق**، مرجع سابق، ص71.

[5] – السلطان المولى سليمان : هو أبو الربيع سليمان بن مُحَمَّد بن عبد الله بن إسماعيل السلطان العلوي الشريف العالم الصالح الورع، ولد سنة 1180هـ/1767م، بعد مقتل المولى يزيد بويع سنة 1206هـ/1792م بمحضر عدة علماء كالتاودي بن سودة والطيب بن كيران وغيرهما. وتبحر هذا السلطان في علم الحديث والتفسير والأدب والتاريخ وأنساب العرب والنوادر ... وتميز بتدينه وانتقاده الفرق الضالة وتصديه للبدع، له ثلاثة عشرة مصنفًا. توفي في 13 ربيع الأول من عام 1238هـ/1822م، ودفن يوم الجمعة بضريح مولاي علي الشريف قرب ضريح القاضي عياض. ينظر : أبو القاسم الزياني، **جَمْهَرة التّيجَان وفَهرسَة الياقوت واللؤلؤ والمرجَان في ذِكرِ المُلوك وَأشياخ السّلْطان المَوْلى سُلَيمان**، تق.وتح.عبد المجيد خيالي، ط1، بيروت.لبنان، دار الكتب العلمية، 2003م، ص ص5-11. وصفه سكيرج كما يلي : « السلطان الهمام حامل ألوية الاسلام عالم السلاطين وكهف الضعفاء والمساكين ... كان إماما عادلًا وعالمًا ... ». ينظر : أحمد سكيرج، **كشف الحجاب عَمنْ تلاقى مع أشياخ التجاني مِنَ الأصحاب**، د ب، د د ن، 1961، ج6، ص495.

[6]- Knut S.VikØR, op.cit, p 47.

1-3-1-3- الشيخ حمدون بن عبد الرحمن بن الحاج (ت 1232هـ)[1] / 1816م[2] :

هو حمدون بن عبد الرحمان بن مُحَّد بن العربي بن مُحَّد بن علي بن مُحَّد ابن الحاج السلمي المرداسي، ولد عام 1174هـ، الشيخ الشهير رئيس المنطوق والمفهوم، المفسر المحدث الأديب الشاعر المطلع، ولي حسبة فاس مدة، اشتغل بالتدريس والتأليف؛ من آثاره : حاشية على مختصر السعد، وتفسير سورة من القرآن الكريم، ومنظومة ميمية في السيرة على نهج البردة في نحو أربعة آلاف بيت، وأرجوزة في المنطق، وأرجوزة في علم الكلام، ومقصورة في علم العروض وشرحها، وتحفة المسك الداري لقارئ صحيح البخاري، ونظم فيه مقدمة ابن حجر، ونظم الحكم، وديوان شعر في مجلدين، وديوان في الأمداح التي صدرت منه في السلطان المولى سليمان سماه "النفحات المسكية في الأمداح السليمانية" في مجلد، ... وغيرها[3]، ولم تذكر المصادر العلوم التي أخذها السنوسي عنه لكن أكد الكتاني أنه أجازه.

ووصفه سكيرج قائلًا : « علامة زمانه وفريد عصره وأوانه خاتمة المحققين والمتوج بتاج المعرفة بين العارفين ذو الفتح المبين بقية السلف الصالح العلم الواضح نابغة الشعراء وقس الفصحاء أبو المكارم والمحامد المقصود لكل محتاج ... هو أحد العلماء الجلة من فحول هذه الملة ... »[4].

وإضافة إلى علمه كان متصوفًا، حيث أخذ الطريقة التجانية من طرق مختلفة، لأنه لم يكن كثير التردد على زاوية سيدي أحمد التجاني[5]، وكان شاعرًا أيضًا، وقد وقفت على أبياتٍ شعريةٍ يمدح فيها آل الكتاني، ويثني على شرفهم النبيل، قائلًا :

حزمتم من الشرف الاثبل ما به قد زاحمتم منكب الجوزاء في أفق[6]

---

(1) - أحمد الشريف السنوسي، مرجع سابق، ص9.

(2) – أبو القاسم الزياني، مرجع سابق، ص128. توفي عشية يوم الاثنين 7 ربيع الثاني سنة 1232هـ، ودفن بقباب الفتوح. ينظر: أحمد سكيرج، مرجع سابق، ج6، ص494.

(3) – عبد السلام بن عبد القادر ابن سودة، مرجع سابق، ج1، ص120.

(4) – أحمد سكيرج، مرجع سابق، ج6، ص ص493، 494.

(5) – نفسه، ص495.

(6) – مُحَّد بن جعفر الكتاني، **سلوة الأنفاس ومحادثة الأكياس بمن أقبر من العلماء والصلحاء بفاس**، دب، ددن، دت، ج2، ص223.

1-3-1-4- الشيخ مُحَمَّد بن أبي بكر اليازغي :

هو مُحَمَّد بن أبي بكر اليازغي الزهني[1]، ذكره الكتاني في الفهارس[2]، وقال بأنه من بين من أجاز السنوسي في فاس[3]، وهو من أبرز أساتذته بجامع القرويين، وهذا حسب ما أورده كذلك عدة مؤرخين[4]، ولم تذكر المصادر العلوم التي أخذها عنه تلميذه السنوسي الذي كان يصغره بنحو عشرة سنوات فقط، والأرجح هي الأدب العربي والنحو والصرف التي نبغ فيها هذا الشيخ، ودليلنا دراسة وصفته بالأديب، إضافة إلى مخطوطة نُسبت إليه بعنوان : " مَقامُ الحَمْدِ بَيْنَ الجُمْلةِ الاِسْمِيّة والفِعْلِيّة "[5].

1-3-1-5- الشيخ أبو زيد سيدي عبد الرحمن بن أبي العلاء العراقي[6] (ت 1234هـ)[7] :

اشتغل هذا الشيخ إمامًا بمسجد السمارين الموالي لسوق الرصيف، وولي أيضًا الوراقة بالمسجد الأعظم من فاس مثل أخيه، وتميز بفصاحة اللسان، وكان يجتمع عليه كثير من الناس، وقد أخذ العلم عن والده، وحضر مجلس الشيخ سيدي التاودي بن سودة[8]. وكان يطالع كثيرًا علم التفسير، وكتب الحديث واصطلاحه، ومن مؤلفاته

---

[1] – هو الإمام العلامة الأديب المؤرخ المشارك المحقق أبو عبد الله مُحَمَّد بن أبي بكر بن عبد الكريم بن علي بن عمر بن أبي بكر بن إدريس الزهني اليازغي، الفاسي المراكشي، ينتسب إلى قبيلة بني يازغة، وهي إحدى القبائل الأمازيغية التي تسكن في موقع مدينة فاس قبل بنائها. ولد بمدينة فاس عام 1190هـ، وعاصر ثلاثة سلاطين آخرهم المولى سليمان، له عدة آثار. توفي بمراكش عام 1238هـ، ودفن بضريح أبي العباس السبتي. ينظر : علي بن سعيد العواجي، " **مَقامُ الحَمْدِ بَيْنَ الجُمْلةِ الاِسْمِيّة والفِعْلِيّة لأبي عبد الله مُحَمَّد بن أبي بكر الزّهني اليازغي، المتوفى سنة 1238هـ. دراسةً وتحقيقًا** "، حولية كلية اللغة العربية بالزقازيق، جامعة الأزهر، مصر، مجلد 43، عدد 2، 2023، ص ص621-638.

[2] – عبد الحي الكتاني، مرجع سابق، ج2، ص1041.

[3] – نفسه، ص1041.

[4] - ورد مصحفًا بعدة أسماءٍ : "البازعي". ينظر : مُحَمَّد فؤاد شكري، مرجع سابق، ص14. و"اليازعي". ينظر : عبد المالك بن عبد القادر بن علي، مرجع سابق، ص8. و"الباعزي". ينظر : أحمد صدقي الدجاني، مرجع سابق، ص48.

[5] – مزج فيها المؤلف بين علم العربية، وعلم المنطق، وعلم أصول الفقه. ينظر : علي بن سعيد العواجي، مرجع سابق، ص ص629-654.

[6] – هو عُقب أبي العلا إدريس بن مُحَمَّد بن حمدون العراقي الحسني الفاسي (ت1183هـ). ينظر : عبد الحي الكتاني، مرجع سابق، ج2، ص ص818-824.

[7] – نفسه، ص824.

[8] – التاودي بن سودة : شيخ الجماعة بفاس، والعلامة، والمحدث، والصالح، والمعمر، وإمام فقهاء المغرب. ينظر : نفسه، ج1، ص256.

الجرح والتعديل جمع فيه بين الاستيعاب والميزان والإصابة[1]، ومختصر في الصحابة[2] اختصر فيه ((الإصابة)) لكن لم يكمله[3]، وله كذلك اختصار ((لسان الميزان)) لابن حجر على استقلاله، وقد وقف الكتاني عليه، وهو في نحو 25 كراسة بخطه الدقيق[4]، وعند وفاة مترجمنا دُفن في الروضة[5].

وصف الكتاني هذا الشيخ- أي العراقي - بالواعظ والمحدث والناسك، وقال بأن الشيخ السنوسي أخذ عنه في فاس، وسمع عليه الصحيح وأجازه[6].

1-3-1-6- الشيخ إدريس بن زيان العراقي (ت1228هـ)[7] :

إنه العالم الفهامة الحافظ المشارك[8]، يسمى "سيبويه زمانه وسيد علماء أوانه"، اللغوي النحوي الأريب، كان يحفظ التصريح وحواشيه عن ظهر قلب[9]، له مجلس بالقرويين غاص بالطلبة، يُدَرِّس فيه الألفية والمختصر وغيرهما، له فهم ثاقب في علم العروض[10] والنحو، وقد أخذ عنه عامة الشيوخ بفاس[11]، ومنهم الشيخ السنوسي الذي درس عنه علوم الرياضيات والهندسة والطبيعة والفلك[12].

---

[1] - عبد الحي الكتاني، مرجع سابق، ج2، ص ص824-825.

[2] - مُحَمَّد بن جعفر الكتاني، مرجع سابق، ج3، د ر ص.

[3] - وصل إلى حرف العين. ينظر : عبد الحي الكتاني، مرجع سابق، ج2، ص825.

[4] - نفسه، ص825.

[5] - مُحَمَّد بن جعفر الكتاني، مرجع سابق، ج3، د ر ص.

[6] - صرّح أيضًا الكتاني بأنه يتصل بالعراقي عن طريق الشيخ السنوسي دفين الجغبوب. ينظر: عبد الحي الكتاني، مرجع سابق، ج2، ص825.

[7] - سيدي إدريس العراقي بن زين العابدين : الوارد في كتب التراجم إدريس بن زيان العراقي الحسيني الفاسي، توفي سنة 1228هـ/1813م. ينظر : أبو القاسم الزياني، مرجع سابق، ص133.

[8] - كان علامة مشاركًا متقنًا، له فهم ثاقب، كثير التدريس والإفادة. ينظر: عبد السلام بن عبد القادر ابن سودة، مرجع سابق، ج1، ص110.

[9] - مُحَمَّد مخلوف، **شجرة النُور الزكية في طبقاتِ المالكية**، القاهرة، المطبعة السلفية، 1349، ج1، ص377.

[10] - علم العروض : علم يبحث فيه عن أحوال الأوزان المعتبرة، وأول من اخترع هذا الفن الإمام الخليل بن أحمد. ينظر : حاجي خليفة، **كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون**، بيروت.لبنان، دار إحياء التراث العربي، دت، مج2، ص1133.

[11] - مُحَمَّد بن جعفر الكتاني، مرجع سابق، ج3، د ر ص.

[12] - يونس علي بالقاسم السنوسي، **واحة الجغبوب ودورها في التعليم الديني في ليبيا (1855-1926م)**، دكتوراه، كلية الآداب، قسم التاريخ، جامعة عين شمس، 1434هـ/2013م، ص19.

1-3-1-7- الشيخ ابن عبد السلام الناصري الدرعي (ت1229هـ)[1] :

هو الإمام الفقيه المحدث المسند[2]، أبو عبد الله مُحَمَّد بن عبد السلام بن عبد الله بن مُحَمَّد الكبير بن الشيخ أبي عبد الله مُحَمَّد بن ناصر الدرعي التمكروتي المغربي، أعلم علماء البيت الناصري بالفقه والحديث، وأوسعهم روايةً وأجسرهم قلمًا وأعلاهم إسنادًا، حج عام 1196هـ وأجازه عدة علماء منهم المعمر إسماعيل بن عبد الرحمن الفجيجي الأغواطي، وقاضي قابس أبو بكر بن أحمد بن تامر، وغيرهما، وأعظم من لقي بالمشرق الحافظ مرتضى الزبيدي الحسني[3]. وشيخنا هذا صوفي الفكر، لكنه استنكر على إخوانه عددًا من البدع والمحْدثات، ومنهم أتباع الزاوية الناصرية نفسها، وقد ألّف كتابًا في هذا الإطار سماه "المزايا فيما حدث من البدع بأم الزوايا"، ومن البدع التي أنكرها: خروج الناس إلى المصلى جماعات يهللون ويكبرون، والدعاء جماعةً عند الرجوع منه، وزيارة القبور يوم العيد، والمجيء بالزكاة للزاوية وصرف الأحباس لغير مصارفها الشرعية، والدعاء للسلاطين في العيد ويوم الجمعة[4].

وللشيخ عبد السلام فهرسة نسبها له تلميذه السنوسي، وله أيضًا مجموعة إجازات من مشايخه مغاربة ومشارقة وهي في مجلد تُعرف بِ : "كنّاشة ابن عبد السلام الناصري"، وله كذلك شرح أربعين حديثًا[5]، واعتبر الكتاني السنوسي أقرب الناس إلى التسمية بِ : "الحافظ"، بعد وفاة أستاذه الشيخ عبد السلام[6].

1-3-1-8- الشيخ مُحَمَّد بن الشريف الفيلالي :

قرأ مُحَمَّد بن علي السنوسي على هذا الشيخ مختصر السعد، وجمع الجوامع، والسلم، وجزء من مختصر خليل، وهذا حسب ما نقله أرسلان شكيب عن أحمد الشريف السنوسي[7].

---

(1) – أحمد الشريف السنوسي، مرجع سابق، ص9. لكن عند الكتاني تاريخ وفاته صفر 1239هـ. ينظر : عبد الحي الكتاني، مرجع سابق، ج2، ص847.

(2) – المسند بكسر النون هو من يروي الحديث بإسناده، سواء كان له علم به أو ليس له إلاّ لمجرد الرواية. ينظر : نفسه، ج1، ص71.

(3) – نفسه، ج2، ص844.

(4) – مصطفى باحو، **علماء المغرب ومقاومتهم للبدع والتصوف والقبورية والمواسم**، ط2، دب، جريدة السلسبيل، 2007، ص ص36، 37.

(5) – عبد الحي الكتاني، مرجع سابق، ج2، ص ص843-848.

(6) – نفسه، ص847.

(7) – أحمد صدقي الدجاني، مرجع سابق، ص47.

ويعتبر الشيخ الفيلالي من أبرز من جلس إليهم السنوسي في فاس، وقد أخذ عنه عدة علوم، تكلل ذلك في آخر المطاف بأن أجازه إجازة عامة مطلقة تامة في كل مقروء ومسموع، وقد أكدها حفيده أحمد الشريف.

1-3-1-9- الشيخ أحمد بن الحاج المكي السدراتي السلاوي :

يُكنىّ أبو العباس، وهو الفقيهُ[1] والعلّامةُ والمحدثُ والمشاركُ والمتفنن والفهامة، أحد علماء فاس[2]، وشيخ السنوسي[3]، توفي عام 1253هـ/1837م، وشهد جنازته كثيرٌ من الناس، وقد أَمَّهم العلامة القاضي أبو عبد الله مُحَمَّد الهاشمي طوبى، ومن أهم مؤلفاته شرح موطأ مالك[4]، يسمى "تقريب المسالك لموطأ مالك.خ"[5].

1-3-1-10- الشيخ الطيب عبد المجيد بن كيران[6](ت1227هـ)/1812م[7] :

هو أبو عبد الله سيدي مُحَمَّد الطيب بن عبد المجيد بن عبد السلام بن كيران، ولد بفاس سنة 1172هـ[8] ونشأ بها[9]، واشتهر بعلم الأصول والفروع، وكان حافظًا لا يجارى في العلوم كلها، أخذ عن الشيخ عبد القادر بن شقرون، وجسوس، ومُحَمَّد الهواري، ومُحَمَّد البناني، والعربي المعطي[10]، وأيضًا عن أبي حفص الفاسي، و أبي عبد الله مُحَمَّد التاودي، وابن سودة المري أبي مُحَمَّد بن عبد الكريم اليازغي، وزين العابدين العراقي، وغيرهم، وأجازه خاتمة الحفاظ بالديار المغربية أبو عبيد الله سيدي مُحَمَّد بن عبد السلام الناصري الدرعي، وفي المقابل أخذ عنه ولده أبو بكر، وسيدي حمدون، وابن الحاج، وأبي عبد الله بن منصور، وغيرهم[11].

---

(1) – فقيه مالكي من أهل سلا. ينظر : خير الدين الزركلي، مرجع سابق، ج1، ص ص259، 260.

(2) – مُحَمَّد مخلوف، مرجع سابق، ج1، ص396.

(3) - عبد المالك بن عبد القادر بن علي، مرجع سابق، ص8.

(4) – أحمد بن خالد الناصري، **الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى**، تح.جعفر الناصري ومُحَمَّد الناصري، الدار البيضاء، دار الكتاب، 1997، ج9، ص46.

(5) – خير الدين الزركلي، مرجع سابق، ج1، ص ص259، 260.

(6) - ورد باسم : " الطيب الكيراني ". ينظر : عبد المالك بن عبد القادر بن علي، مرجع سابق، ص8.

(7) – أبو القاسم الزياني، مرجع سابق، ص127.

(8) - مُحَمَّد مخلوف، مرجع سابق، ج1، ص377.

(9) – ولد عام 1172هـ. ينظر : عبد السلام بن عبد القادر ابن سودة، مرجع سابق، ج1، ص108.

(10) – مُحَمَّد مخلوف، مرجع سابق، ج1، ص ص376، 377.

(11) – مُحَمَّد بن جعفر الكتاني، مرجع سابق، ج3، د ر ص.

وحلاه ابن سودة بالشيخ العلامة المشارك المطلع الحافظ[1]، وأضاف بأن له اطلاع واسع ومعرفة جيدة واتقان وقلم سيال، لذلك اشتهر بعدة مؤلفات[2]، وتوفي بالشهدة في المحرم سنة 1227هـ[3]، ويعد هذا الشيخ من أبرز أساتذة السنوسي[4]، وقد أخذ عنه علم التوحيد وأصول الدين[5].

1-3-1-11- الشيخ مُحَمَّد بن منصور (ت1232هـ) :

هو أبو عبد الله سيدي مُحَمَّد بن منصور الشفشاوني الأصل، الفاسي دارًا ومنشأً، الفقيه المشارك المتفنن في المعقول والمنقول، الحافظ لمذهب مالك، كان ملازمًا للتدريس والتقييد، وله حاشية على التصريح وحاشية على مختصر السعد وغيرهما، ويعتبر هذا الشيخ من أبرز علماء عصره، ويكفي أن نذكر بأن علماء أجلاء أخذوا عنه منهم : الطيب بن كيران، وبناني، والتاودي، وسيدي عبد الكريم اليازغي، وغيرهم[6]، وقد نهل السنوسي منه أيضًا، حيث أخذ عنه الفقه المالكي.

1-3-1-12- الشيخ العربي بن أحمد الدرقاوي :

هو العربي بن أحمد بن الحسين بن علي الحسني الإدريسي الشهير بالدرقاوي، الشيخ الشهير، والمربي الكبير، صاحب الأتباع الكثيرين، ولد ببني زروال عام 1737م، وتوفي عام 1823م[7]، له زوايا في جل مدن المغرب[8]، وهو من أشياخ الطريقة الشاذلية[9]، ثم أسس الطريقة الدرقاوية، ويعد أحد شيوخ السنوسي بفاس.

---

(1) – عبد السلام بن عبد القادر ابن سودة، مرجع سابق، ج1، ص108.

(2) – فسَّر عدة سور، وشرح الحكم العطائية بأمر من السلطان مُحَمَّد بن عبد الله، وشرح ألفية العراقي في السيرة، وشرح الخريدة للشيخ حمدون بن الحاج في المنطق، وشرح توحيد ابن عاشر بإشارة من المولى سليمان، وشرح توحيد الرسالة (لم يتم)، وشرح العشرة الأخيرة من الأربعين حديثًا للنووي، ... ينظر : نفسه، ص108.

(3) – مُحَمَّد مخلوف، مرجع سابق، ج1، ص377.

(4) – عبد المالك بن عبد القادر بن علي، مرجع سابق، ص8.

(5) – يونس علي بالقاسم السنوسي، مرجع سابق، ص19.

(6) – مُحَمَّد بن جعفر الكتاني، مرجع سابق، ج3، د ر ص.

(7) - عبد القادر مداح، **التواصل الثقافي بين المغرب وغرب الجزائر 1518-1830م الطريقة الهبرية نموذجا**، أطروحة دكتوراه، جامعة جيلالي اليابس سيدي بلعباس، 2016-2017، ص172.

(8) – عبد السلام بن عبد القادر ابن سودة، مرجع سابق، ج1، ص133.

(9) – أحمد صدقي الدحاني، مرجع سابق، ص48.

1-3-1-13- الشيخ مُحَمَّد الزرواليّ (ت 1230هـ)[1] :

هو مُحَمَّد بن عمرو بن عبد الله الزرواليّ نسبًا والأغصاوي الفاسي أصلًا، من أولاد ابن عليلو من مدشر دار ابن هَيْدور، سكن والده بمدشر العطار من بني زروال من قبائل الهبط، وهو من أشياخ المولى سليمان[2]، وُصِف بِ : "العلّامة المحقق الحبر الفهامة المتقن في العلوم"[3]، وأخذ عن الشيخ الطيب بن كيران والشيخ التاودي والشيخ اليازغي وغيرهم[4].

وقال عنه مؤرخ العائلة السنوسية ابن علي بأنه أحد أساتذة مُحَمَّد بن علي السنوسي في فاس[5]، لكن لم يذكر العلوم التي أخذها عنه تلميذه.

1-3-1-14- الشيخ مُحَمَّد المدني :

هو العلامة أبو عبد الله مُحَمَّد المدني بن الحافظ مُحَمَّد بن عبد السلام الناصري الدرعي، ولد سنة 1204هـ، وتوفي في حياة أبيه سنة 1238هـ، وانقرض عقبه. أخذ عن أبيه وأجازه وقدمه في طريقته وهذا في حياته[6]، وأخذ أيضًا عن عمه شيخ الجماعة أبي المحاسن يوسف وورث سره، والشيخ التاودي والشيخ البناني وغيرهم، وعن جماعة من أهل المشرق والمغرب[7].

وبالرغم من أنه يصغر السنوسي بعامين إلا أنه كان أستاذه بفاس[8]، بل وأجازه أيضًا، وهذا حسب رواية الكتاني[9].

---

(1) - أبو عبد الله سيدي مُحَمَّد الزرواليّ، توفي سنة 1230هـ/1814م. ينظر : أبو القاسم الزياني، مرجع سابق، ص129.

(2) – عبد السلام بن عبد القادر ابن سودة، مرجع سابق، ج1، ص115.

(3) – مُحَمَّد مخلوف، مرجع سابق، ج1، ص377.

(4) – نفسه، ص377.

(5) – عبد المالك بن عبد القادر بن علي، مرجع سابق، ص8.

(6) – في هذا الصدد قال الكتاني : « ...وعندي شرحه بخطه على غرا في صحيح ذكر فيه أنه صنفه وهو ابن خمس وعشرين سنة وأتمه سنة 1226... ». ينظر : عبد الحي الكتاني، مرجع سابق، ج2، ص550.

(7) – مُحَمَّد مخلوف، مرجع سابق، ج1، ص381.

(8) – عبد المالك بن عبد القادر بن علي، مرجع سابق، ص8.

(9) – عبد الحي الكتاني، مرجع سابق، ج2، ص550.

1-3-1-15- الشيخ أبو بكر بن زياد الإدريسي الجوطي[1](ت1243هـ/1827م)[2] :

نقل لنا شكيب أرسلان عن أحمد الشريف السنوسي ما درسه جده عن هذا الشيخ، فقال : « ... ومنهم العلامة أبو المواهب سيدي أبو بكر بن زياد الإدريسي حضرته في علوم كثيرة وقرأت عليه الفرائض والحساب والأربعين ... »[3].

وفي حقيقة الأمر، كان مُحَمَّد بن علي السنوسي شغوفًا، لا يتردد في طلب العلم، ولا يؤجل موعدًا ولا يعرف التسويف، وكان حريصًا على الوصول إلى مبتغاه، وأثناء إقامته بفاس درس على عدة شيوخ آخرين منهم : عبد الرحمن بن أبي بكر بن زيان الإدريسي الجوطي، والشيخ مُحَمَّد بن عامر المعداني، والشيخ مُحَمَّد بن مُحَمَّد بن عبد السلام بناني، والشيخ العربي بن مُحَمَّد[4]، وسي إدريس البكراوي، وسي تاودي بن سودة صاحب الشرح المميز لكتاب ابن آسم[5]، وذكر الحشائشي سيدي مُحَمَّدبن عبد العـ [بياض]ـفور السندي، وسيدي عبد الله المنياوي[6]، وسيدي عبد الله شاه القادري الملقب برئيس الخلفاء، وسيدي مُحَمَّد بتاني[كذا]، والشيخ أبو الوفا الهندي، وغيرهم[7].

ونعتقد أن مُحَمَّد بن علي السنوسي كان ينتقل من حلقةٍ إلى أخرى، ومن مجلس علمي إلى آخرٍ لينهل العلوم، وربما انتقل إلى مدن أخرى لذات الغرض، وهذا ما يفسر كثرة العلماء الذين أخذ عنهم دراسةً أو مشافهةً أو مراسلةً أو مناولةً أو إجازةً. وللعلم كان بالمغرب الأقصى حواضر علمية أخرى لا تقل أهمية عن فاس مثل مكناس وسلا وطنجة ودرعة وغيرها، ويرجح أن السنوسي زارها لأخذ العلم، ومما يرجح فرضيتنا أن السنوسي أجيز من علماء كانوا مستقرين في مدنهم تلك.

---

[1] – ورد باسم "أبي بكر بن زيان الادريسي". ينظر : أبو القاسم الزياني، مرجع سابق، ص134.

[2] – نفسه، ص134.

[3] – علي مُحَمَّد الصلابي، **الثمار الزّكية للحركة السَّنوسيّة في ليبيا الإمام مُحَمَّد بن علي السّنوسي ومنهجه في التأسيس (التعليمي والحركي والتربوي والدعوي والسياسي)**، ط1، الشارقة.الإمارات، مكتبة الصحابة، 2001، ج1، ص27.

[4] – عبد المالك بن عبد القادر بن علي، مرجع سابق، ص8.

[5]– Louis Rinn, op.cit, p 483.

[6] – لعله يقصد الشيخ المناوي. ينظر : عبد الحي الكتاني، مرجع سابق، ج2، ص ص560-562.

[7] – لم يكن الحشائشي دقيقًا في عرضه لشيوخ السنوسي بفاس، فمثلًا ذكر شيخين هما : سيدي أحمد بن إدريس، وسيدي أبي العباس العرائشي، وفي الحقيقة هما شخص واحد، وصنَّف الشيخ أحمد بن إدريس ضمن أساتذة السنوسي بفاس، في حين يعد أستاذه بالحجاز، وللأسف لم يشر المحقق إلى هذا اللبس. ينظر : مُحَمَّد بن عثمان الحشائشي، مرجع سابق، ص148.

وفي هذا السياق تساءل المستشرق فيكتور كنوت عن العلامة سيدي مُحَمَّد بن أحمد السنوسي الحسني[1]، حيث قال بأن مصادر السنوسية لم تشر إليه، وقد كان موجودًا وقت مُحَمَّد بن علي السنوسي[2]، والأكيد أنه سمع به لأنه يحمل نفس لقبه، فضلًا عن شهرته وكراماته، إضافة لكونه إمامًا بارزًا، وحافظًا، وعالمًا، وقد تولى الإمامة والخطابة بالضريح الإدريسي، وكانت له فيه وفي مسجد القرويين مجالس للعلم، انتفع بها خلقٌ كثيرٌ في ذلك الزمن[3]، وكان يكبر مُحَمَّد بن علي السنوسي بعشرين عامًا، وهو أحد التلاميذ الثلاثة المتبقين الذين درسوا عن سودة، وقد توفي عام 1257هـ[4]/ 1841م[5]، ودفن بالقباب بروضة العلويين. وفي الحقيقة، لقد وقفت على مخطوط للشيخ مُحَمَّد بن علي السنوسي ذكر فيه هذا العالم الجليل كأحد أسانيده في التصوف[6]، مما يرجح أن عدد أساتذة السنوسي في فاس يتجاوز العشرين، خاصة وأنه مكث مدة طويلة؛ على الأقل سبع سنوات، إضافة إلى كثرة العلوم والطرق الصوفية التي درسها وأخذها هناك.

لقد درس ابن السنوسي العلوم العقلية والنقلية[7]، وأصبح مرجعًا فيها، وتفوق في علم الحديث والتفسير والتصوف والتاريخ وعلم الأنساب والرياضيات، إضافة إلى نبوغه في علوم النحو والصرف واللغة[8]، ودرس أيضًا

---

[1] – مُحَمَّد بن أحمد الشهير بالسنوسي الحسني، كان علامةً مشاركًا مدرسًا خطيبًا بمسجد المولى إدريس الأزهر. ينظر : عبد السلام بن عبد القادر ابن سودة، مرجع سابق، ج1، ص170. وكان إمامًا فاضلًا وعالمًا خطيبًا بالضريح الادريسي، أخذ الطريقة التجانية عن شيخها بعد أن ترك ورد طريقة سيدي أحمد بن ناصر الدرعي، توفي في 16 ربيع الأول سنة 1257هـ، ودُفِن بباب الفتوح. ينظر : أحمد سكيرج، مرجع سابق، ج3، ص ص195، 196.

[2]- Knut S.VikØR, op.cit, p 47.

[3] – مُحَمَّد بن جعفر الكتاني، مرجع سابق، ج2، ص493.

[4] – توفي في 16 ربيع الأول. ينظر : عبد السلام بن عبد القادر ابن سودة، مرجع سابق، ج1، ص170.

[5]- Knut S.VikØR, op.cit, p 47.

[6] – مُحَمَّد بن علي السنوسي، **هذا كتاب فيه أسانيد الشيخ السنوسي في التصوف**، المكتبة الوطنية الجزائرية رقم : 948. مخ، ص30.

[7] – العلوم العقلية سبعة، وهي : المنطق، والتعاليم، والهندسة، والهيئة، والموسيقى، والطبيعيات، والإلهيات. ولكل علم فروع. ينظر: عبد الرحمن بن خلدون، **المقدمة**، ط8، بيروت.لبنان، منشورات دار الكتب العلمية، 2003، ص ص392، 393، أمّا العلوم النقلية هي : علم الكلام(التوحيد)، والتفسير، والحديث، والقراءات، والأنصاص القرآنية، وختامات صحيح البخاري ومناسباتها، والسيرة النبوية، والفقه. ينظر : إبراهيم عبو، **العلوم النقلية في الجزائر خلال العهد العثماني 10–13هـ/16–19م**، أطروحة دكتوراه، جامعة جيلالي اليابس سيدي بلعباس، 2018/2017، ص157.

[8] – مُحَمَّد الطيب الأشهب، **برقة العربية أمس واليوم**، مصر، مطبعة الهواري، 1967، ص134.

علوم القرآن[1]، وعلومًا أخرى، كما تعلم تفسير القرآن وأثنى على ثلاثة شيوخ ذكرهم في أحد مصنفاته قائلًا : « ... وأروي تفسير شيخنا وشيخ مشايخنا الحافظ مولانا الطيب بن كيران عن جامعة من بيضته شيخنا السيد أبي بكر الإدريسي شيخنا العلامة ابن الحاج عنه ... »[2]. ووضح لنا حفيده أحمد الشريف بكل دقة نوع العلوم التي أخذها جده عن أحد الشيوخ وهو أبو بكر بن زياد – الذي مر معنا–، فقال على لسانه : « ... ومنهم العلامة أبو المواهب سيدي أبو بكر بن زياد الإدريسي حضرته في علوم كثيرة وقرأت عليه الفرائض والحساب والأربعين ومضاعفاتها والإسطرلابين[3] وصناعتها والعلوم الأربعة الرياضة والهندسة والهيئة والطبيعة والأرثماطيقي[4]وأصول قواعد الموسيقى والمساحة والتعديل والتقويم وعلم الأحكام والنسب والوفق والقواعد الجغرافية والأصول الزايرجية[5] والبسط والتكسير والجبر والمقابلة ... »[6].

وباستقرائنا تلك العلوم، ندرك المستوى الرفيع لجامع القرويين ولمدرسيه أيضا، ونعرف القيمة العلمية والمؤهلات الكبيرة التي اكتسبها مُحَمَّد بن علي السنوسي، إلى درجة أن أُسندت إليه مهمة التدريس في الجامع الكبير بفاس، وإذا نظرنا إلى نظام التعليم في جامع القرويين فإننا نلاحظ عدم وجود شهادات علمية، لكن الإجازات التي كان يمنحها الشيوخ لمن يستحقها تعتبر بمثابة شهادات علمية بمصطلح زماننا اليوم، ولها دلالات علمية كبيرة، لأنها

---

[1] – عددها 47، منها : معرفة سبب النزول، والمناسبات بين الآيات، ومعرفة الأمثال الكائنة فيه، والناسخ والمنسوخ...إلخ. ينظر: بدر الدين مُحَمَّد بن عبد الله الزركشي، **البرهان في علوم القرآن**، تح.مُحَمَّد أبو الفضل إبراهيم،ط3، القاهرة.مصر، مكتبة التراث، 1984، ج1، ص ص9-12.

[2] – مُحَمَّد بن علي السنوسي، **المنهل الروي الرائق في أسانيد العلوم وأصول الطرائق**، مرجع سابق، ص71.

[3] – الإسطرلاب آلة رائعة للتوجيه في الزمان والمكان، ينظر : حسين الصديق، **حكايا الإسطرلاب**، ط1، د ب، دار الستنبولي للطباعة والنشر والتوزيع، 2019، ص8. والإسطرلاب كلمة أعجمية معناها متتبع للنجوم أو مدركا لها. ينظر : نزار محمود قاسم الشيخ، **"دور علماء المسلمين في تطوير المعايير الفلكية لدورتي الشمس والقمر"، المؤتمر الدولي الثاني في تاريخ العلوم عند العرب والمسلمين**، الشارقة، 8-2014/12/11، ص ص14-16.

[4] – علم الحساب المسمى باللغة الإفرنجية الأرثيماطيقي، وهو أحد العلوم الرياضية الخالصة. ينظر : رفاعة رافع الطهطاوي، **تخليص الإبريز في تلخيص باريز (3)**، د ب، مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1993، ص378.

[5] – الزايرجة هي الاتصال بعلم الأرواح، وقد وصف الحسن الوزان كيفية رسمها، ورأى بنفسه زايرجة مبلطة بالرخام الأبيض الثمين في باحة مدرسة أبي عنان بفاس. ينظر : الحسن الوزان، **وصف إفريقيا**، تر.عبد الرحمن حميدة، د ب، مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب، 2005، ص ص366-368.

[6] – أحمد صدقي الدجاني، مرجع سابق، ص47.

تثبت اعتراف الشيخ المجيز للمجاز بالكفاءة والتفوق والدرجة العليا، وقد تحصل مُحَمَّد بن علي السنوسي على العديد منها وفي مختلف التخصصات.

وخلال إقامته بفاس درس التصوف واتبع الطريقة الشاذلية[1]، وذلك بعد أن تعرف عليها بواسطة شيخه العربي بن أحمد الدرقاوي، واحتمال أيضًا أن يكون قد اتبع الطريقة الدرقاوية، وفي الحقيقة لا يوجد تناقضا بين الشاذلية والدرقاوية، باعتبار أن الدرقاوية تفرعت عن الشاذلية[2]. ومعظم الطرق الصوفية التي ظهرت في المغرب العربي بعد القرن الرابع عشر الميلادي تتصل بطريقة أو بأخرى بتعاليم الشاذلية، ورغم أن الشاذلي[3] مؤسس هذه الطريقة ذهب إلى مصر وتوفي هناك إلا أن تعاليمه ظلت قوية بالمغرب العربي، وللعلم فقد تم إحصاء عدد الطرق الصوفية بالمغرب العربي في أواخر القرن التاسع عشر الميلادي، ووجدت ثلاث عشرة طريقة من مجموع ست عشرة، شاذلية الأصل[4].

وإضافةً إلى الشاذلية، تعرَّف مُحَمَّد بن على السنوسي على عدة طرق صوفية أخرى منها : الناصرية والحبيبية والجزولية والسريانية والمحمدية[5]، ويذكر لويس رين أنه اتبع طرقًا أخرى كالصديقة والعويسية والخضرية، كما أخذ الطريقتين الزيانية والمحمدية المتواجدتين على التوالي بقنادسة وكرزاز[6]، ومقرهما بالصحراء الجزائرية، وهذا يتطابق تمامًا مع ما أكده الأشهب بأن السنوسي تنقل إلى توات، ونظرا لكثرة تلك الطرق وقد تجاوزت العشرة نتساءل كيف أمكن له أن يسلكها كلها ؟! خاصةً وأن المؤرخين لم يُفصِّلوا في ذلك، ونعتقد أنه تعرَّف عليها وأخذ أورادها فقط، أو أُجيز فيها، وفرضًا أنه اتبعها كلها فالأرجح أنه كان يتخلى عن إحداها ليتبع أخرى، كما دأب عليه الكثير من الشيوخ، ويختلط الأمر على الكثير بين مصطلح "أخذ" و"اتبع"، وفي عرف السادة الصوفية –كما هو معلوم– فإن إتباع الطريقة لا يتم إلا بواسطة ميثاق متين يسمى "العهد والبيعة".

---

[1] – أخذ الطريقة الشاذلية عن آله وعن أبي حامد مولاي العربي الدرقاوي وسيدي مُحَمَّد بن أبي جد الريفي، وغيرهم. ينظر : عبد الحي الكتاني، مرجع سابق، ج2، 1041.

[2] – عبد القادر مداح، مرجع سابق، ص155.

[3] – أبو الحسن علي بن عبد الله بن عبد الجبار الشاذلي : ولد بقرية غمارة ببلاد المغرب عام 593هـ، نزيل الإسكندرية، توفي بمصر عام 656هـ. ينظر : معدِّى الحسينى الحسينى، **موسوعة الصُّوفيّة**، ط1، القاهرة، كنوز للنشر والتوزيع، 2013، ص612.

[4] – أبو القاسم سعد الله، مرجع سابق، ج1، ص466.

[5] – مُحَمَّد الطيب الأشهب، **السنوسي الكبير عرض وتحليل لدعامة حركة الإصلاح السنوسي**، مرجع سابق، ص16.

[6]– Louis Rinn, op.cit, pp 483,484.

وورد عن بعض المؤرخين أن مُحَمَّد بن علي السنوسي اتبع الطريقة التجانية أيضًا، وأخذها عن شيخها أحمد التجاني[1] نفسه[2]، وقد أكد ذلك حفيده أحمد الشريف، والذي أشار إلى حضوره جنازته بل وشرب من ماء تغسيله[3]، ويذهب الدجاني إلى أكثر من ذلك حيث يعتبر التجاني أستاذ السنوسي[4]، أما مؤرخ العائلة السنوسية عبد القادر بن علي قال بأن السنوسي أخذ عن التجاني[5]، ونفس الأمر كتبه الحشائشي[6]. وللعلم – وحسب ما ذكره نقولا زياده نقلا عن "كارلوجيغليو"– فإن مُحَمَّد بن علي السنوسي لم يذكر أبدًا اسم التجاني ولا طريقته في فهرسته[7]، وما يجب الإشارة إليه أيضا أنه لم يرد اسم السنوسي من بين من لقيهم التجاني من أصحاب، وذلك حسب مصنف سكيرج[8] الموسوم بِ : "كشف الحجاب عن تلاقي مع أشياخ التجاني من الأصحاب". وقد ذاع صيت الطريقة التجانية منذ أن ظهرت سنة 1782م عند الفتح الكبير بأبي سمغون، وأصبح لها نفوذ قوي، فإضافة إلى بايات تونس تبناها سلاطين المغرب أيضًا، ومنهم مولاي سليمان الذي حكم بين سنتي 1797– 1822م[9]، وبالتالي فقد عاصره مُحَمَّد بن علي السنوسي أثناء إقامته بفاس.

وبعد مرور سبع سنوات، قرر مُحَمَّد بن علي السنوسي مغادرة فاس، واختلف المؤرخون في الأسباب :

---

[1] – ولد بعين ماضي سنة 1150هـ، قرأ على شيوخها القرآن، وعندما بلغ نحو العشرين ذهب إلى فاس أين أخذ وتلقي الأوراد والأذكار من عدة طرق، وبعد فاس تردد على الصحراء وتلمسان وبقي بها خمس سنوات (1181–1186هـ)، ثم ذهب إلى الحج، وبعد عامين عاد إلى تلمسان، ثم انعزل في توات وأبي سمغون، لكن بايات وهران لاحقوه، فاتجه إلى فاس مع عائلته وتوفي بها سنة 1230هـ. ينظر : أبو القاسم سعد الله، مرجع سابق، ج1، ص ص517، 518.

[2] – أحمد النائب الأنصاري، مرجع سابق، ص372.

[3] – أحمد صدقي الدجاني، مرجع سابق، ص ص49، 50.

[4] – نفسه، ص48.

[5] – قال ابن علي : « ... وأخذه عن السادة الصوفية كالشيخ التجاني المتوفي في شوال سنة 1230هجري سبتمبر 1815 ميلادي». ينظر : عبد المالك بن عبد القادر بن علي، مرجع سابق، ص ص8، 9.

[6] – مُحَمَّد بن عثمان الحشائشي، مرجع سابق، ص148.

[7] – أحمد صدقي الدجاني، مرجع سابق، ص49.

[8] – أحمد بن الحاج العياشي سكيرج (1295–1363هـ/1878–1844م) الخزرجي الأنصاري، الفاسي مولدًا ودارًا، قاضٍ. له علم بالتراجم، مغربي من أهل الطريقة التجانية، تخرج بالقرويين ودرّس بها. له عدة كتب منها كشف الحجاب عمن تلاقى مع التجاني من الأصحاب–ط–"وذيله" ورفع النقاب بعد كشف الحجاب ط. والرحلة الحبيبية الوهرانية ط ذكر فيها أنه كان بطنجة سنة 1329 ووصل إلى مستغانم وتلمسان وعاد إلى فاس. ينظر : خير الدين الزركلي، مرجع سابق، ج1، ص190.

[9] – السلطان مولاي سليمان : أخذ الطريقة التجانية، وكان كثيرًا ما يطلب من الشيخ ﷺ أن يريه النبي ﷺ يقظة ، وقد أذن له بناء الزاوية المباركة بفاس. ينظر : أحمد سكيرج، مرجع سابق، ج6، ص ص495–501.

أشار البعض إلى فتنة حدثت بفاس قبل سنة 1235هـ/1819م، بسبب خروج أهل فاس على السلطان مولاي سليمان وبيعتهم للولي إبراهيم بن يزيد، وقد اشترك في هذه البيعة مُحَمَّد العربي الدرقاوي شيخ السنوسي وكان مصيره السجن[1]، وقد ذكر صاحب الاستقصا هذه الفتنة في مصنفه[2]، والأكيد أن مُحَمَّد بن علي السنوسي تعرض حينها للمراقبة والمضايقة، لكن ليس لدرجة قرار الهجرة، لأنه لم يكن له دور أساسي في تلك الفتنة[3].

وأورد شكري رأيًا آخرًا، حيث أرجع سبب رحيله إلى تزايد نفوذه وكثرة عدد مريديه بسبب دعوته إلى الإصلاح، وأضاف بأنه أصبح يشكل خطرًا على السلطان، إذ يمكن أن تتحول دعوته الدينية إلى قوةٍ سياسيةٍ تهدد أمن البلاد وتسقط عرشها، وأدى ذلك إلى لفت الأنظار إليه والانزعاج منه خاصة مع نسبه الشريف، لذلك قرر الرحيل[4]، وقد استبعد الدجاني هذا السبب ونحن نؤيده، لأن السنوسي- رغم اهتمامه المبكر بالسياسة – إلا أنه لم تكن له في تلك الفترة طموحات في السلطة والحكم[5].

وأرجع البعض سبب رحيله إلى أداء فريضة الحج، وكان ذلك في رحلة سنة 1815م[6]، لكنه عاد إلى فاس عام 1817م، وبقي فيها ستة أشهر، ثم غادرها مرة ثانية وعاد إلى الجزائر[7]، وبقيت مدة فراغ دامت حوالي عامين أي من عام 1817 إلى غاية فتنة فاس 1819م، لا نعرف شيئا عن السنوسي، ومهما يكن من أمر، فإننا نعتقد أنه عندما غادر فاس كان ينوي الاستقرار في الجزائر، لأنه عندما عاد تزوج هناك، وبقي مدة عاما كاملًا تقريبا، ولم تتضح فكرة الرحيل إلى الحج والاستقرار بالحجاز إلا بعد فترة من الزمن.

ونظرًا لطبيعة السنوسي الانعزالية وتنصله من الحكام وعدم التقرب منهم، أرجح أن يكون هذا هو سبب مغادرته فاس، ذلك أن مولاي سليمان حاول جلب السنوسي إلى البلاط، لكنه عانده ولم يطاوعه، وهذا ما أكده

---

(1) – أحمد صدقي الدجاني، مرجع سابق، ص ص55، 56.

(2) – أحمد بن خالد الناصري، مرجع سابق، ج8، ص ص150، 151.

(3) – أحمد صدقي الدجاني، مرجع سابق، ص56.

(4) – مُحَمَّد فؤاد شكري، مرجع سابق، ص14.

(5) – أحمد صدقي الدجاني، مرجع سابق، ص53.

(6) – عبد المالك عبد القادر بن علي، مرجع سابق، ص9.

(7) – نفسه، ص10.

لويس رين حيث قال بأن السلطان أمره بتحرير تقرير حول مخطوط ثمين لكنه رفض[1]، ولم يرض أن يكون رجل بلاط حسبما ذكره الدجاني[2]، والأكيد أن السلطان امتعض منه، لذلك فضّل الرحيل وعدم الاحتكاك بالسلطة.

1-3-2- المشرق العربي :

كانت رغبة مُحَمَّد بن على السنوسي الذهاب إلى المشرق، بناءً على نصيحة من أحد شيوخه الذي قال له بأن أحسن مكان للاستزادة من العلم هو مكة، ونفهم من هذا أنه تشبع بالعلوم في فاس ورغب في الجديد، وكانت مكة إضافة لكونها مركز الإسلام، فهي قبلة للعلماء من مختلف أنحاء العالم الإسلامي، منهم مغاربة كانت لهم بصمة في العلم، والأكيد أنه رغب في ملاقاتهم، لذلك همَّ بالبحث عنهم وتعقب أثرهم.

واختلف المؤرخون اختلافًا كبيرًا في تحديد تاريخ رحيله من فاس؛ لقد حدد عبد المالك عبد القادر بن علي تاريخين لرحلتين : الأول نهاية عام 1815م والثاني سنة 1820م[3]، أما الأشهب ذكر سنة 1823م، بينما حدده الحشائشي بعام 1245هـ/1829م[4]، وهذا التاريخ الأخير يبدو غير منطقي[5]، وما يخلط الأمور أكثر رواية لويس رين الذي قال أنه رحل عشية الاحتلال الفرنسي للجزائر أي سنة 1830 أو 1831م لكنه لم يذكر مصادره، وأكد بأن السنوسي نفسه صرح بذلك قائلا : « مررت بالصحراء الجزائرية عندما احتلت الجزائر »[6]، ولشارل فيرو نفس رواية رين بأن السنوسي رحل عشية احتلال فرنسا للجزائر، بل وأكد أنه أصبح مشتبهًا فيه عندما اتجه إلى جبل عمور[7]. والهجرة في نظر السنوسية لها أصلا شرعيا أسوة بالرسول ﷺ، وتصبح واجبة إذا قام

---

[1]- Louis Rinn, op.cit, pp 483,484.

[2] – أحمد صدقي الدجاني، مرجع سابق، ص52.

[3] - عبد المالك بن عبد القادر بن علي، مرجع سابق، ص ص9، 10.

[4] – مُحَمَّد بن عثمان الحشائشي، مرجع سابق، ص ص148، 149.

[5] – كان مُحَمَّد بن علي السنوسي موجودًا في مكة قبل هذا التاريخ بعامين فقط، والتقى أثناء موسم الحج بالأمير عبد القادر ووالده. ينظر : عبد المنعم القاسمي، **أعلام التّصوُّف في الجزائر من البدايات إلى غاية الحرب العالميّة الأولى (دراسة إحصائية تحليليّة)**، ط1، بوسعادة.المسيلة، دار الخليل القاسمي للنشر والتوزيع، 2005، ص210.

[6]- Louis Rinn, op.cit, p 484.

[7]- Laurent Charles Féraud, **Histoire des sultans de Touggourt et sud Algérien les Ben-Djellab et consorts**, préf.Kamel Chehrit, Alger, éditions grand-Alger livres, 2006, p 149.

الكفار باحتلال البلد المسلم، بحيث لا يستطيع المسلمون ممارسة دينهم، وهذا ما ذهب إليه رين الذي قال بأن السنوسي طبق العقيدة الإسلامية لذلك غادر الجزائر، وزياده وشكري يؤكدان أيضًا نفس الفكرة، أي الهجرة من "دار الحرب" إلى "دار الإسلام"[1].

ونحن نعتقد بأنه كانت للسنوسي أكثر من رحلةٍ إلى المشرق العربي، على الأقل اثنتين كما أورد عبد المالك بن عبد القادر بن علي، وهذا ما أكده أيضا بريتشارد الذي قال بأن السنوسي سافر إلى المشرق ثم عاد إلى مستغانم عام 1829م، ولم يرجع إلى الحجاز إلا عام 1833م[2].

وقد أفنى مُحَمَّد بن علي السنوسي نصف عمره تقريبا في الترحال مع قوافل الجمال شرقًا وغربًا، ودام ذلك ستة وثلاثين عاما[3]، مما أحدث لبسًا وتداخلًا لدى المؤرخين، ولهذا يعتقد بعضهم بأنه كانت له أكثر من رحلة من المغرب إلى المشرق قبل استقراره ببرقه، وأشار إلى ذلك الأشهب[4]، وتبعه فؤاد شكري[5]، ومما يعزز صحة هذه الفرضية أن المؤرخ الأشهب وجد مخطوطا تضمن سبع رحلات كاملةً، قام بها السنوسي إلى الحجاز بداية من عام 1232هـ[6]/1816-1817م.

وقد فصل حفيد السنوسي الملك إدريس في الخلاف حول تاريخ انطلاق رحلة جده، حيث حدده بسنة 1235هـ[7]/1819م، ووافقه الدجاني في ذلك، ونحن نرجح أيضًا هذا التاريخ، لأنه يتطابق تمامًا مع مسار

---

[1] – إن المقصود بِ : "دار الحرب" هي بلاد الكفر، و"دار السلام" هي بلاد المسلمين. ينظر : مُحَمَّد فؤاد شكري، مرجع سابق، ص54.

[2]– Edward Evan Evans-Pritchard, **The Sanusi of Cyrenaica**, Great Britain, Oxford university press, 1949, p 12.

[3] – مُحَمَّد الطيب الأشهب، **برقة العربية أمس واليوم**، مرجع سابق، ص196.

[4] – أكد الأشهب أن السنوسي سافر إلى الحجاز عام 1823م، وبعد إتمام ما أراد رجع إلى بلاده، ثم بعد ثمان سنوات على الأكثر سافر إلى مصر. ينظر : نفسه، ص ص134، 135.

[5] – سافر السنوسي إلى الحجاز سنة 1815م، ثم عاد إلى فاس سنة 1818م، ثم رحل من جديد عام 1820م ووصل إلى مكة عام 1826م. ينظر : مُحَمَّد فؤاد شكري، مرجع سابق، ص ص9-17.

[6] – مُحَمَّد الطيب الأشهب، **السنوسي الكبير عرض وتحليل لدعامة حركة الإصلاح السنوسي**، مرجع سابق، ص11.

[7] – أحمد صدقي الدجاني، مرجع سابق، ص54.

الرحلة، وأكد ذلك أيضًا حفيده الآخر أحمد الشريف الذي قال بأن جده اجتمع بعمران بن بركة أحد مريديه في زليطن قرب طرابلس سنة 1238هـ/1822م، عند سفره إلى المشرق قادما من المغرب.

ونشير إلى أن قبيل رحيل السنوسي إلى المشرق، عاد إلى الجزائر-كما أسلفنا-، وذهب أولًا إلى جبل عمور وزار عين ماضي، وأقام قليلًا في الأغواط دَرَّس فيها القواعد والحقوق[1]، ثم ذهب إلى مسعد ودَرَّس فيها علم اللاهوت والتشريع كما أشار إلى ذلك تريو، وفي هذه المدينة ألّف كتابه الأول الموسوم بِ : "بغية السول في الاجتهاد والعمل بحديث الرسول"[2]. وقال رين بأن السنوسي تزوج في منطقة أولاد نايل بامرأة من أولاد توابة اسمها منة بنت سي مُحَمَّد بن عبد الرحمن، لكن طلقها وهي حاملًا[3]، وهذا بعد أن رفضت مرافقته في هجرته إلى المشرق، لكن يذكر بعض المؤرخين أن الزواج والطلاق تم في مستغانم بعد أن رجع إليها[4]، وبعدها صفّى كل أملاكه، ونحن نعلم أنه كان في خلاف مع أقاربه، وقد حكمت المحكمة لصالحه وأمرت بسجن خصومه، غير أنه أصفح عنهم ورحل.

ومما يَسَّر رحيل السنوسي أن السفر يتم بكل حرية دون قيود؛ لقد كان العالم الإسلامي وطنًا واحدًا يتنقل الإنسان من طرفه إلى طرفه الآخر دون أن يسأله أحدٌ إلى أين هو ذاهبٌ[5]، لكن نشير أن هذه الميزة تغيرت في الجزائر عقب الاحتلال الفرنسي، وقُيِّدت حرية التنقل تلك، فأصبح السفر إلى الخارج يتم بجواز سفرٍ[6]، بل وأصبحت فرنسا تفرض على الجزائريين ختم جوازاتهم في قنصلياتها باعتبارهم رعايا فرنسيين، وذلك في مراكز عبور وقنصليات في مدن معينة، مثل صفاقس وطرابلس وبنغازي.

---

[1]- Nicola.A.Ziadeh, op.cit, p 37.

[2] – أحمد مُحَمَّد جاد الله، "**لمحات عن الحركة العلمية في الزاوية السنوسية (1841–1969)**"، السنوسية من الزاوية إلى الدولة 1841-1969 أعمال الندوة العلمية الثانية المنعقدة بالجغبوب يومي 23-24 ديسمبر 2019م، دار الكتب الوطنية، بنغازي، ليبيا، ص191.

[3] – ولدت ابنتها الوحيدة أي ابنة مُحَمَّد بن علي السنوسي واسمها سعيدة، والتي تزوجت بشخص اسمه الشيخ بن داود، وكانت في سنة 1874م حية، أمَّا أمها فقد أعادت الزواج مع رجل من أولاد خناتة. ينظر : Louis Rinn, op.cit, p 484.

[4] – بعد عودته من فاس، تزوج إحدى بنات عمومته، وأنجب منها طفلًا لكنه مات. ينظر: أحمد صدقي الدجاني، مرجع سابق، ص58. رجع السنوسي إلى مستغانم عام 1818م، ومكث بها حوالي سنة ونصف، تزوج وأنجب مولودًا لكنه مات صغيرًا. ينظر: عبد المالك بن عبد القادر بن علي، مرجع سابق، ص10.

[5] – أبو القاسم سعد الله، مرجع سابق، ج1، ص440.

[6]- A O M, 16H55, N°71.

وبدأ السنوسي مساره برحيله من مسعد إلى الجلفة عام 1235هـ/ مايو 1820م[1]، ثم بوسعادة، وبعدها توجه إلى وادي ريغ وبالضبط تماسين قرب توقرت، وقد زار الشيخ علي التماسيني[2]، وأكد ذلك فرجمول دو بوسكنار قائد مركز بسكرة[3]، ومنها سافر إلى الجريد التونسي الذي يتشكل من عدة مدنٍ أبرزها توزر ونفطة، ثم واصل مساره، وهنا نذكر روايتين مختلفتين : الأولى، لمؤرخ العائلة السنوسية ابن علي الذي قال بأن السنوسي بعد أن اتجه إلى قابس عطف على مدينة تونس ومكث بها أسابيع قلائل ودخل جامعها الزيتونة، بل وأخذ عن بعض علمائها[4]، والرواية الثانية للحشائشي؛ والذي أكد أن السنوسي لم يدخل مدينة تونس[5]، وأضاف بأنه التقى الشيخ إبراهيم الرياحي لاحقا في الحج. ونحن نؤيد رواية الحشائشي لأن مدينة تونس لا تقع في طريق قوافل الحج الصحراوية التي تأخذ في العادة مسارًا جنوبيًا من الجريد في اتجاه قابس، وهذا معناه أنه لم يزر جامع الزيتونة تلك المنارة العلمية الشامخة، كما لم ترد في المصادر السنوسية أن السنوسي استُجيز من علماء هذا الجامع. وأثناء مروره بتونس تعلّق الناس به لأخلاقه وورعه وتقواه، وبالرغم من المدة القصيرة التي قضاها هناك إلا أنه ظهرت له

---

(1) - عبد المالك بن عبد القادر بن علي، مرجع سابق، ص10.

(2) – علي بن عيسى التماسيني : (ت 1260هـ/1844م)، شيخ زاوية تماسين قرب بسكرة، أصله من الحجاز، يعد من خاصة خاصة الشيخ أحمد التيجاني[كذا] وقال عنه صاحب البغية في تعداده لرجال الطريقة التيجانية[كذا] المشهود لهم بالفتح :

وغوث عصرنا التماسيني قطب الورى سيدنا علي

ينظر : عبد المنعم القاسمي، مرجع سابق، ص246.

وحلاه سكيرج بِ : "القطب" و"الغوث"، ووصفه كما يلي : « القطب سيدي الحاج علي التماسيني ﷺ القطب الكامل والغوث الفاضل ذو الكرامات الجمة والفضائل الشائعة بين هذه الأمة ... من خاصة الخاصة من أصحاب الشيخ التجاني المشهود لهم بالفتح الكبير في حياة شيخه وبعدها، وكان له التصرف التام قيد حياته ... التماسيني نسبة إلى تماسين من أرض الجريد[كذا]،كان بعد استيطان الشيخ ﷺ مدينة فاس يأتي إلى زيارته. وبعد وفاة الشيخ ظهرت عليه آثار الفتح الكبير، وظهر عليه فيضان وجداني لا يوجد مثله في كمل المشايخ، فصار الناس يأتون من سائر الآفاق للأخذ عنه والتبرك به، توفي سنة 1260هـ، ودُفِن بداره في تماسين ». ينظر : أحمد سكيرج، مرجع سابق، ج2، ص ص126-132.

(3) – صرح فرجمول دو بوسكنار عام 1860م أن الشيخ السنوسي مرَّ بزاوية تماسين وكان ذلك عام 1830م، واستقبله سي الحاج علي والد سي مُحَمَّد العيد وسي معمر، وهذا الأخير تذَّكره جيدًا وأكد رؤيته في تماسين ومنها رحل إلى مكة. ينظر:

Jean-Louis Triaud, op.cit, p 121.

(4) –كان هذا بين ماي وسبتمبر سنة 1235هـ/ 1820م. ينظر : عبد المالك بن عبد القادر بن علي، مرجع سابق، ص10.

(5) - مُحَمَّد بن عثمان الحشائشي، مرجع سابق، ص149.

كرامات[1] وذاع صيته في أرجاء البلاد، وأصبحت شهرته تسبقه أينما حل في مسار رحلته إلى الحجاز، وقال الحشائشي بأن السنوسي احتمال أن يكون قد مر بجربة[2].

وواصل سفره رفقة صديقه عبد الله التواتي قاصدا طرابلس الغرب[3] أي ليبيا[4] التي وصلها عام 1238هـ/(1822-1823م)، حسب قول حفيده أحمد الشريف كما أسلفنا، وكانت حينها تحت حكم يوسف القرمانلي. وتعتبر طرابلس الغرب بالنسبة للمغاربة طريق حج رئيسي، ومحطة استراحة ضرورية لركب الحجاج، لأن الرحلة شاقة وتستغرق وقتًا طويلًا؛ حوالي ثمانية أشهر، تبدأ عادة من أول ربيع الثاني إلى غاية خمسة من ذي الحجة[5]، وكثير من الحجاج استقروا بها نهائيا لأنهم وجدوا الظروف أحسن من بلدهم.

وأُعجب بمدينة طرابلس كثيرون، ونُوِّه بها نظرا لدورها الكبير في خدمة الحجيج، ووُصفت بأجمل الأشعار، مثل ما جاء في الرحلة الناصرية :

---

[1] – في قابس سقط السنوسي من دابة فانكسرت ذراعه، وعند معالجته بمطارق من حديد تُحمى بالنار، لم تؤثر في ذراعه، وتعجب الناس من ذلك، عندئذ عرفوا فضله. ينظر : مُحَمَّد بن عثمان الحشائشي، مرجع سابق، ص154.

[2] – نفسه، ص149.

[3] - طرابلس الغرب مصطلح أطلقه العرب والمسلمون عامة على مدينة طرابلس وأقاليمها في الفترة التي أعقبت الفتح الإسلامي، واستمر العمل به حتى 12 فبراير 1912م عندما ضمت إيطاليا طرابلس وبرقة إلى ممتلكاتها تحت اسم مستعمرة ليبيا. ينظر : عز الدين عبد السلام مختار العالم، **السياسة الخارجية الليبية تجاه إفريقيا دراسة في التاريخ الدبلوماسي والعلاقات الدولية (1951–1977)**، ط1، طرابلس.ج ع ل ش ع، د د ن، 2009، ص41.

[4] - عن تسمية ليبيا، تقول دائرة المعارف الإيطالية : « ... أول من أخرجه إلى الاستعمال العالم الجغرافي مينوتلي في كتابه (جغرافية ليبيا) المطبوع في تورينو سنة 1903م، ليدل به على الولاية التركية التي تشمل طرابلس وبرقة، واتخذته إيطاليا اسما رسميا بعد أن أعلنت سيادتها عليها شاملا طرابلس وبرقة وفزان ». ينظر : أحمد شلبي، **موسوعة التاريخ**، ط10، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، 1995، ج4، ص366. واسم ليبيا ظهر في الكتابات المصرية منذ أكثر من أربعة آلاف سنة، ويطلق على مناطق غرب مصر. ينظر : عبد العزيز طريح شرف، **جغرافية ليبيا**، ط2، الإسكندرية، منشأة المعارف، 1971، ص6. ويطلق لفظ "لوبيا" كمنطقة إدارية من كور مصر الغربية، وظهر اسم "ليبو" في النصوص الفرعونية في عهد الملك "مرنتباح" من الأسرة 19 مكتوبًا بخط هيروغليفي، وأُطلق اسم "ليبيا" رسميا بمرسوم ملكي إيطالي صادر في 5 نوفمبر 1911م. ينظر : مُحَمَّد مصطفى بازمه، **ليبيا هذا الاسم في جذوره التاريخية**، ط2، بنغازي، منشورات مكتبة قورينا للنشر والتوزيع، د ت، ص ص14-29.

[5] – أبو سالم العياشي، **ماء الموائد (رحلة العياشي)**، تح.سعد زغلول عبد الحميد وآخرون، الإسكندرية، منشأة المعارف، د ت، ص32.

طال ما كان للحجيج فيها مناخ ولزوار طيبة مستراحـــا
وهي ثغر مبارك وربـــــــاط من فواه بها غزا واستراحا

وجاء فيها أيضًا :

يا طرابلس زد هناء ويمنـــــا وأمانا وعزة ونجاحـــا
قهر الكفر بالجهاد وتنال فتحا وفوزا ورفعة وفلاحـــا
واخدمي الركب إن أتاك غدوا واخدميه إن أتاك رواحا[1]

ومكث السنوسي بطرابلس مدةً من الزمن يلقي الدروس والمواعظ، وتعرَّف عليه الناس وأحبوه وأكرموا ضيافته، مثل عائلة المنتصر[2] والمحجوب وغيرهما، ثم واصل رحلته وسلك الطريق الساحلي مارًا بزليطن[3]، ثم مصراتة[4]. وواصل سيره شرقًا إلى أن وصل برقة مرورًا بالجبل الأخضر، وبعدها توجه إلى مصر التي وصلها سنة 1824م، وكانت تحت حكم مُحَمَّد علي باشا. وبدأ يتردد على جامع الأزهر[5] الذي كان دومًا مركز جلب العلماء من مختلف مناطق العالم الإسلامي، حتى خُصِّصت فيه أمكنة لجهات معينة مثل "رواق المغاربة"، وتَعرَّف في البداية على بعض العلماء كالبولاقي[6]، وفتح الله، والعدوي، والسفاقسي[كذا]، وجاد الرب، والدمنهوري، والبناني،

---

[1] - أحمد النائب الأنصاري، **نفحات النسرين والريحان فيمن كان بطرابلس من الأعيان**، تق. وتع.مُحَمَّد زينهم مُحَمَّد عنب، د ب، دار الفرجاني للنشر والتوزيع، د ت، ص ص59-61.

[2] – في مدينة طرابلس، أغلب نزول السنوسي وإقامته عند الشيخ أحمد باشا المنتصر. ينظر : عبد المالك بن عبد القادر بن علي، مرجع سابق، ص11.

[3] – زليطن أو ازليتن : بلاد الأشراف الفواتير، والمدفون بها الولي الكبير الشيخ عبد السلام الأسمر، وقد درَّس السنوسي في مسجد الشيخ. ينظر : نفسه، ص11.

[4] – بها مقام الشيخ أحمد زروق، وقد نزل السنوسي عند السادة المحاجيب، ودرّس في زاويتهم، وأقام مدة تزيد عن السنة. ينظر : نفسه، ص11.

[5] – بناه جوهر الصقلي بالقاهرة بداية من سنة 970هـ، وسُمي بالأزهر للإشادة بفاطمة الزهراء وتمجيدًا لأهل البيت. ينظر : مارتاين تيودور هوتسما وآخرون، **موجز دائرة المعارف الإسلامية**، تحق.إبراهيم زكي خورشيد وآخرون، ط1، د ب، مركز الشارقة للإبداع الفكري، 1998، ج1، ص ص623، 624.

[6] – البولاقي : هو الشيخ العلامة مصطفى بن رمضان بن عبد الكريم بن سليمان بن رجب البُرلسي البولاقي، أبو يحي، فقيه مالكي من علماء الأزهر، أصله من (البُرُلُّس) –من الغربية بمصر–، ويقال له (البولاقي)؛ لأنه ولد وتوفي في (بولاق) بالقاهرة، ولد عام 1215هـ، وتصدى للإفتاء والتدريس بالأزهر سنة (1223هـ)، واستمر إلى وفاته سنة (1263هـ)، له عدة مؤلفات منها : المنهل السيَّال في الحرام والحلال. ينظر : مصطفى البولاقي، **السّيفُ اليماني لمن قال بحل سماع الآلات والمغاني أو السم القاتل للمفتي المتساهل**، تح.أبو عبد الله الداني الزهوي، ط1، بيروت.لبنان، دار اللؤلؤة للطباعة والنشر، 2010، ص ص12-22.

والحلو، وحبيش، والشباسي، والسنباوي، والسلموني[1]، وأخذ عن من كانت لهم خبرة أكثر مثل الأمير[2]، والقويسني[3]، والتونسي، والصاوي[4]، وثعيليب[5]، وسي منيلي[6]. وتعلَّم على يد شيخ الأزهر نفسه الشيخ العطار[7] ابن بلده، صاحب التصانيف العديدة[8]، والذي يعتبر رائد الحركة الإصلاحية بالأزهر، ومن الأوائل الذين نادوا بتحديثه لكي يساير التطور العلمي، وذلك بواسطة البعثات العلمية إلى الخارج وكان أبرزهم الشيخ

---

[1] – صنّف الدجاني هؤلاء الشيوخ ضمن طبقة من العلماء ظهرت حديثًا غير التي اشتهرت في بداية القرن. ينظر : أحمد صدقي الدجاني، مرجع سابق، ص62.

[2] – الأمير : هو شيخ الشيوخ علامة الديار المصرية أبو عبد الله مُحَمَّد بن مُحَمَّد بن أحمد بن عبد القادر الأمير، المالكي المغربي الأصل المصري الدار الأزهري، المتوفي عاشر ذي القعدة سنة 1232هـ، والمولود سنة 1154هـ. ينظر : عبد الحي الكتاني، مرجع سابق، ج1، ص ص133، 134.

[3] - الشيخ القويسني : ولد في قرية قويسنا التي سُمي بها، وكانت تابعة لمركز الجعفرية التابع لمحافظة الغربية، تولى مشيخة الأزهر عام 1834م – بعد العطار – و مكث بها أربع سنين، ومن مؤلفاته : شرح للسلم – في المنطق– سنن القويسني، ورسالة في المواريث، وعلم الفقه، توفي عام 1838م. ينظر : مُحَمَّد عبد المنعم خفاجي وعلى على صبح، **الأزهر في ألف عام**، ط2، القاهرة، المكتبة الأزهرية للتراث، 2011، ج2، ص ص53-56.

[4] – الصاوي : (1175-1241هـ/1761-1825م) أحمد بن مُحَمَّد الخلوتي، الشهير بالصاوي : فقيه مالكي، نسبة إلى "صاء الحجر" في إقليم الغربية بمصر، توفي بالمدينة المنورة. من كتبه "حاشية على تفسير الجلالين–ط"، وحواشي على بعض كتب الشيخ الدردير في فقه المالكية و"الغرائد السنية.خ"، وشرح همزية البوصيري. ينظر : خير الدين الزركلي، مرجع سابق، ج1، 246.

[5] – الشيخ ثعيليب : هو ثعيلب بن سالم الفشني الأزهري الشافعي المصري الضرير المعمر، ولد كما في معجم السيد مرتضى الزبيدي سنة 1151 وقال : " سمع على شيخنا التاودي بعض الموطأ، وأجازه شيخنا الحفني، وروى كثيراً عن أقرانه من فضلاء الوقت، وهو إنسان حسن منصف له حافظة ومعرفة ... ". ينظر : عبد الحي الكتاني، مرجع سابق، ج1، ص268. وهو إمام توحد في الفضائل، وهمام تفرد بين الأفاضل، توفي سنة ألف ومائتين وإحدى وأربعين (1241هـ). ينظر : عبد الرزاق البيطار، **حِليةُ البشَرِ في تاريخ القرن الثالث عشر**، تح.وتنسيق.وتعل.مُحَمَّد بهجة البيطار، ط2، بيروت.لبنان، دار صادر، 1993، ج1، ص433.

[6] – ذكره تريو، حيث قال ذهب السنوسي إلى القاهرة ودرس على يد الأستاذ الكبير سي منيلي " Si Menili ". ينظر : Jean-Louis Triaud, op.cit, p 102.

[7] – حسن العطار عالم جزائري من مواليد القاهرة بعد سنة 1766م، تخرج من جامع الأزهر، عاش في سوريا وتركيا، وعُين شيخًا للأزهر عام 1830م، و تتلمذ عليه العديد من المثقفين المصريين كرفاعة الطهطاوي، توفي عام 1835م. ينظر : رابح خدوسي وآخرون، **موسوعة العلماء والأدباء الجزائريين**، تق.مُحَمَّد الأمين بلغيث، الجزائر، منشورات الحضارة، 2014، ص ص70، 71.

[8] – له مؤلفات منها : حاشية العطار على الجواهر المنتظمات في عقود المقولات، وحاشية العطار على التهذيب للإمام الجنيصي، وحاشية العطار على جمع الجوامع في أصول الفقه، وحاشيته على الأجرومية والسمرقندية، وديوان العطار يجمع مئات القصائد ... ينظر : مُحَمَّد عبد المنعم خفاجي وعلى على صبح، مرجع سابق، ج2، ص237.

الطهطاوي[1]. والأزهر من المعالم العلمية القليلة المشهورة التي ذكرها السنوسي – وربما الوحيد–، وذلك عندما تحدث عن مجلس الشيخ الشوني[2] قائلًا : « ولسيدي الشيخ نور الدين الشوني كيفيات في الصلاة على النبي ﷺ كان يذكر بها في مجلسه بالجامع الأزهر ... »[3].

ولم يلبث مُحَمَّد بن علي السنوسي طويلًا حتى أصبح مدرسًا بجامع الأزهر، بفضل كفاءاته التي اكتسبها من جامع القرويين، وتميز بالوقار، وكان معتزًا برأيه، ذو شهامة وأنفة، لكن لم يطل به المقام كثيرًا بمصر لذلك غادرها[4]، وفي الحقيقة لم يطب له المقام لعدة أسباب منها :

ا– حالة الضعف العلمي في جامع الأزهر، مما تسبب في خيبة أمل السنوسي، حيث لم يجد ما كان يأمله من علوم وفقه وتصوف ونحوها، وربما لم يجد أيضًا التقدير والاحترام الذي عهده في المغرب[5].

ب– اشتغال الأزهر بالسياسة، حيث كان مشايخه تحت إمرة وسلطة مُحَمَّد علي باشا، الأمر الذي ينفر منه السنوسي، ومما زاد الأمر سوءًا الصراعات والخلافات بين شيوخه إلى درجة حبك الدسائس والمؤامرات، وقد وُصفوا بأنهم يتسابقون إلى الولائم في الأفراح والأقراح، ويتكالبون على الأسمطة كالبهائم[6].

---

[1] – الشيخ الطهطاوي رفاعة الشريف الحسني : ولد سنة 1206هـ، وأخذ عن أعلام علماء الأزهر ولازم الشيخ حسن العطار، جعله عزيز مصر مُحَمَّد علي باشا إماما لأول بعثة علمية أرسلها إلى باريس، له عدة مؤلفات منها تلخيص الإبريز إلى تخليص باريز، توفي سنة 1290هـ. ينظر : مُحَمَّد مخلوف، مرجع سابق، ج1، ص ص394، 395.

[2] – نور الدين الشوني : من مدينة شوني بمديرية الغربية بمصر نواحي طنطا بلد سيدي أحمد البدوي، أنشأ بالجامع الأزهر مجلس الصلاة على رسول الله ﷺ في عام سبع وتسعين وثمانمائة... توفي سنة أربع وأربعين وتسعمائة، ودفن بالقبة المجاورة لباب المدرسة القادرية، ويعد أحد شيوخ الشعراني الذي كتب عنه في الطبقات فقال : « ... ومن أهل الله تعالى شيخي ووالدي وقدوتي الشيخ نو الدين الشوني وهو أطول أشياخي خدمة خدمته خمسا وثلاثين سنة لم يتغير عليّ يوما واحدا ... ». ينظر : مبارك علي باشا، **الخطط التوفيقية الجديدة لمصر القاهرة ومدنها وبلادها القديمة والشهيرة**، ط1، بولاق.مصر، المطبعة الكبرى الأميرية، 1305هـ، ج12، ص145.

[3] – مُحَمَّد علي السنوسي، **السَّلسبيل المعين في الطرائق الأربعين**، إشراف نجيب بن خيرة، طبعة خاصة، الجزائر، دار زمورة، 2011، ، ص37.

[4] – أقام السنوسي بمصر مدة عامين ونصف. ينظر : عبد المالك بن عبد القادر بن علي، مرجع سابق، ص19.

[5] – أحمد صدقي الدجاني، مرجع سابق، ص64.

[6] – علي مُحَمَّد الصلابي، **الثمار الزكية للحركة السنوسية في ليبيا الإمام مُحَمَّد بن علي السنوسي ومنهجه في التأسيس (التعليمي والحركي والتربوي والدعوي والسياسي)**، مرجع سابق، ج1، ص17.

ج- حالة الجمود والانغلاق التي وجدها السنوسي في الأزهر، وعدم تشجيع التجديد والاجتهاد اللذان يؤمن بهما ويدافع عنهما بقوة.

د- معارضة مُحَمَّد بن علي السنوسي سياسة مُحَمَّد علي باشا التي تميزت بالإصلاحات على الطراز الأوروبي خاصة الفرنسي منه، حيث رآها وسيلة للتدخل الأجنبي، وزيادة الجشع التركي على حساب العرب[1]، كما عارض أيضًا إصلاحات السلطان عبد المجيد الذي حكم بين عامي 1839-1861م، وقد سماها الدجاني "فرمان الكولخانة"[2]، بينما سماها تريو "التنظيمات"[3]، حيث اعتبرها السنوسي معادية للإسلام[4].

هـ- صغر سن شيوخ وأساتذة جامع الأزهر مقارنة بعمر الشيخ السنوسي؛ فعلى سبيل المثال الشيخ مصطفى البولاقي وقد تولى التدريس بل الإفتاء أيضًا-كما أسلفنا- وكان يصغر الشيخ السنوسي بثلاثة عشرة سنة، واعتقد أن هذا الأمر- وقد أغفله المؤرخون- أحد الأسباب التي جعلت السنوسي يغادر مصر، باعتباره قامة من قامات القرويين إلى درجة أنه أُسنِدت إليه المشيخة ورفضها-كما مر معنا-، ورأى نفسه بأنه أكبر من بعض أساتذة الأزهر علمًا وسنًا.

و- لم تكن مصر وجهة السنوسي الرئيسية منذ البداية، لقد كان الحجاز مقصده الأساسي، ومثلما أخذ بنصيحة أحد شيوخه بالمغرب بالرحلة إلى مكة، ها هو أيضًا يتبع رأي رجل فقير لقيه بالصدفة في ميضة جامع الأزهر، واعتبره السنوسي وليًا لأنه ناداه باسمه وهو لا يعرفه، بل اعتقد أنه من يبحث عنه وهو أحمد بن إدريس، غير أن الرجل نفى ذلك وأشار عليه بالتوجه إلى مكة لملاقاة من يسعى إليه[5]، ومن خلال هذه الحادثة نستنتج أن مُحَمَّد

---

[1] – قال شكري : " لم يكن السيد مرتاحاً إلى نوع الحكم الذي أقامه مُحَمَّد علي باشا في مصر ... والحقيقة أن السيد رحمه الله ما كان يرى في إصلاحات مُحَمَّد علي باشا في مصر سوى ((الافراط والمبالغة)) الذي جعل هذه الإصلاحات المفيدة ((من الأمور التي يقصد بها —كما رأى السيد- الإستخفاف بالحقوق الإسلامية)) ... ". ينظر : مُحَمَّد فؤاد شكري، مرجع سابق، ص17.

[2] – قال الدجاني : « وقد حاول عبد المجيد الاصلاح....وأصدر عقب توليته سنة 1839 أمرًا ساميا ... وعرف هذا الأمر باسم ((فرمان الكولخانة)) وهو يكشف عن أحوال الدولة ومحاولات الاصلاح. وهذا بعض ما جاء فيه : ((... واعتماداً على المعونة الالهية واستناداً على الامدادات الروحانية النبوية فقد رؤي من الآن فصاعداً أهمية لزوم وضع وتأسيس قوانين جديدة تتحسن بها إدارة مملكتنا العلية المحروسة. والمواد الأساسية لهذه القوانين هي عبارة عن الأمن على الأرواح وحفظ العرض والناموس والمال وتعيين الخراج وهيئة طلب العساكر للخدمة ومدة استخدامهم ...)) ». ينظر : أحمد صدقي الدجاني، مرجع سابق، ص ص18-20.

[3]- Jean-Louis Triaud, op.cit, p 102.

[4]- Ibid, p 102.

[5] – أحمد صدقي الدجاني، مرجع سابق، ص ص63، 64.

بن علي السنوسي كان يسعى منذ البداية لملاقاة الشيخ أحمد بن إدريس، والذي لقيه بالفعل لاحقا بمكة وكان يعتقد أنه موجود بمصر. وبوصوله مصر كان قد مر بعدة مناطق ذكرها بنفسه قائلًا : « فقد وقع الاجتماع في بعض ما قدر لنا من الرحل حال الترحال من محل إلى محل بجماعة وافرة ... منهم زمر بنواحي الأغواط وأطراف الجريد، وآخرون بطرابلس الغرب وعمالها من قريب أو بعيد، وآخرون مراسلون من تونس وما حواليها من البلاد كبعض من حل بتينك المصرين من حاضر وباد وآخرون بالمعمور من زوايا برقة القافرة، وآخرون بالبعض من كور مصر القاهرة ... »[1].

وواصل مُحَمَّد بن علي السنوسي رحلته إلى الحجاز الذي وصله عام 1825م، ونزل بمكة المكرمة وكانت تحت حكم مُحَمَّد علي باشا، والتقى بشيخه أحمد بن إدريس العرائشي الذي ظل يتعقبه طويلًا، وسيكون هذا الشيخ أستاذه الأول، وللعلم فإن أصله مغربي، ويبدو أن للمغاربة علاقات خاصة فيما بينهم تعتمد على التآزر والتآخي، وهذا ما قام به السنوسي هو أيضًا، إذ بعد مدة استضاف الأمير عبد القادر الجزائري[2] عندما قدم حاجًا إلى مكة رفقة أبيه عام 1827م[3]، وقد توسم فيه خيرًا[4]، ولاحقًا آوى مُحَمَّد بن عبد الله[5] الذي نفته فرنسا من

---

[1] – مُحَمَّد بن علي السنوسي، **المنهل الروي الرائق في أسانيد العلوم وأصول الطرائق**، مرجع سابق، ص5.

[2] – الأمير أبو مُحَمَّد عبد القادر بن محي الدين بن مصطفى الحسني، ولد عام 1222هـ، وفي سنة 1248هـ بايعه أهل الجزائر ولوه على القيام بأمر المدافعة عن الوطن والدين ... وجرت بينه وبين دولة فرنسا حروب دامت سنين، وفي سنة 1271هـ انتقل إلى دمشق، توفي سنة 1300هـ، ودفن بحجرة الشيخ الأكبر. ينظر : مُحَمَّد مخلوف، مرجع سابق، ج1، ص ص406-407.

[3] – في سنة 1241هـ سافر الأمير عبد القادر مع والده إلى الحجاز لأداء فريضة الحج، ومنه توجها إلى دمشق رفقة الركب الشامي، ثم إلى بغداد فزارا مقام سيدي عبد القادر الجيلاني، ثم رجعا إلى الحجاز وحجّا مرة ثانية، وأخيرًا عادا إلى الجزائر سنة 1243هـ/1827م. ينظر : عبد المنعم القاسمي، مرجع سابق، ص210. ذهب الأمير عبد القادر إلى الحج بحرًا سنة 1825م. ينظر : قدور بوجلال، مرجع سابق، ص304.

[4] – قال السنوسي للفقيه محي الدين عام 1828م : « ... إني أستوصيك بولدنا عبد القادر هذا خيرا فإنه من سيدافع عن حرمات الاسلام ويرفع راية الجهاد ... ». ينظر : عبد المالك بن عبد القادر بن علي، مرجع سابق، ص27.

[5] - ينتمي مُحَمَّد بن عبد الله إلى سيدي أحمد بن يوسف فرع قبيلة أهل روسل قرب عين تموشنت، كان في عام 1840م رجل خامل الذكر لا سمعة له، فتوجه إلى تلمسان واشتغل معلمًا للقرآن الكريم في زاوية أولاد سيدي يعقوب المنتمية إلى أولاد سيدي الشيخ، ومنحته فرنسا لقب "السلطان" وعينته خليفة على القبائل الغربية بالمنطقة. وتميز بمعارضته لمقاومة الأمير عبد القادر، وكانت فرنسا تشك في تعاونه معها بدليل أن الجنرال بيدو حاكم تلمسان طلب منه أن يحلف على المصحف لتأكيد إخلاصه لها. ينظر : يحي بوعزيز، **ثورات الجزائر في القرنين التاسع عشر والعشرين ثورات القرن التاسع عشر**، طبعة خاصة، الجزائر، دار البصائر للنشر والتوزيع، 2009، ص ص155،154.

الجزائر[1]، ولقي في الحج أيضًا إبراهيم الرياحي[2] كما أشار إلى ذلك الحشائشي كما مر معنا- لكنه لم يحدد التاريخ، وللعلم فقد حج الرياحي مرتين[3]، ولا ندري أي منهما المقصود بالضبط.

وبالعودة إلى الشيخ أحمد إدريس، فقد كان علَّامة عصره، حيث اشتهر في الفقه والتصوف وتفسير القرآن الكريم، وقد اكتسب تلك المكانة من خلال مسيرة علمية طويلة جدًا، بدأت في المغرب أين ولد وترعرع وذلك في بلدة العرائش عام 1750م، ثم حفظ القرآن وكثيرًا من المتون والعلوم، والتحق بجامع القرويين في سن العشرين، ومن شيوخه بفاس الشيخ مُحَمَّد التاودي بن سودة (ت 1795م) والشيخ أبي عبد الكريم الذهبي (ت 1785م) وخاصة الشيخ عبد الوهاب التازي[4]. وظل أحمد بن إدريس يَدْرُس ويُدَرِّس مدة ثلاثين عاما[5]، ثم هاجر إلى الحجاز وكان قد مر ببنغازي، وأقام بها مدة من الزمن[6]، وجمع بين العلم والتصوف، وكان حينها شيخ الطريقة الخضرية التي هي فرع من الشاذلية، وقد اتبعها لمدة ثلاث وثلاثين سنة قبل قدومه إلى الحجاز[7]، وله عدة

---

[1] - في إحدى الأيام من عام 1844م استيقظ الفرنسيون صباحًا ليجدوا مكتوبًا على جدران مدينة تلمسان : "مُحَمَّد بن عبد الله ناصر الدين أبقاه الله وسلطه على رقاب الكافرين"، وقد يكون هذا هو السبب الذي جعل فرنسا تتخلص منه وتنفيه إلى الحجاز، لذلك رحل رفقة عائلته غاضبًا، وأدى فريضة الحج، وهناك التقى بالشيخ مُحَمَّد بن علي السنوسي وبعض الجزائريين الذين كانت تصفهم فرنسا بِـ : "المشوشين". ينظر : يحي بوعزيز، مرجع سابق، ص156.

[2] – إبراهيم الرياحي : ولد عام 1180هـ، شيخ الجماعة أبو إسحاق إبراهيم بن عبد القادر الرياحي الطرابلسي التستوري المنشأ التونسي القرار، رئيس المفتين بها وإمامها وخطيبها بالجامع الأعظم وأستاذ الأساتذة، أخذ الطريقة الشاذلية عن أستاذه البشير عبد الرحمن الونيسي، ثم في سنة 1216هـ أخذ الطريقة التجانية عن الشيخ علي حرازم. أسس زاوية قرب حوانيت عاشور. وحمل رسالة الأمير المولى حمودة باشا باي إلى سلطان المغرب مولاي سليمان سنة 1218هـ، واجتمع بالشيخ التجاني. توفي بالطاعون في رمضان سنة 1266هـ، ودُفن بزاويته المذكورة. ينظر : مُحَمَّد مخلوف، مرجع سابق، ج2، ص ص386-389.

[3] – حج الشيخ الرياحي مرتين : الأولى عام 1241هـ/1825م، والثانية عام 1253هـ/1837م. ينظر : نفسه، ص ص386-389.

[4] – عبد المالك بن عبد القادر بن علي، مرجع سابق، ص17.

[5] – درس أحمد بن إدريس عن الشيخ عبد الوهاب التازي، والشيخ المجيدري الشنقيطي، والشيخ المحدث الكبير مُحَمَّد التاودي بن سودة (ت 1209هـ/1795م)، والشيخ مُحَمَّد أبو عبد الكريم الذهبي (ت 1199هـ/1785م)، والشيخ عبد القادر بن أحمد العربي بن شقرون (ت 1216هـ/1801م). ينظر : نفسه، ص ص17-20. لكن ورد في "كشف الحجاب" أن عبد القادر بن شقرون توفي في 11 شعبان سنة 1219هـ. ينظر : أحمد سكيرج، مرجع سابق، ص491.

[6] – علي مُحَمَّد الصلابي، **تَاريخ الحرَكَة السَّنُوسيَّة في أفريقيا**، مرجع سابق، ص ص36، 37.

[7]- Alfred Le Chatelier, **Les confreries musulmanes du Hejaz**, Paris, Ernest Leroux éditeur, 1887, p 13.

مصنفات في التصوف مثل "العقد النفيس في نظم جواهر التدريس"، و"روح السنة"، و"كيمياء اليقين"، إضافة إلى أذكار وأدعية[1].

وأَحبّ الأستاذ أحمد بن إدريس تلميذه السنوسي لما رأى فيه من أخلاق فاضلة وتمسكه بالكتاب والسنة وسعة اطلاعه، وللعلم فإن الاثنين معًا من خرجي مدرسةٍ واحدةٍ وهي جامع القرويين، لكن طبعا في فترة مختلفة، ونعتقد أن مُحَمَّد بن علي السنوسي كان قد سمع عن شيخه منذ إقامته بفاس، ونشير إلى أن للشيخ أحمد إدريس تأثيرٌ كبيرٌ على تلميذه عند قدومه إليه، إلى درجة أنه كان وراء زواجه الثاني من امرأة حبشية اسمها خديجة[2]، والتي لا يعرف بلدها الأصلي، لكنها كانت امرأةً صالحةً، والغريب أنها أنجبت له أربعة عشرة ولدًا كلهم ماتوا[3].

وظلّ مُحَمَّد بن علي السنوسي يدرس عن شيخه أحمد إدريس حوالي خمسة عشرة سنة، أخذ عنه جميع علوم القرآن الكريم؛ من قراءات، وتفاسير، وأحكام، ولغات، وآداب، إضافة إلى الكتب العشرة في الحديث، والمسانيد والمجاميع والمعاجم، كما أخذ عنه الطرق الصوفية، منها الطريقة الشاذلية بجميع فروعها[4].

وقد تعرّض الشيخ أحمد بن إدريس إلى مضايقة الأتراك بمكة، وصار علماؤها ينتقدونه، لذلك رحل إلى اليمن سنة 1827م، وأقام في صبيا وكانت وهابية ضمن أملاك الدولة السعودية، وتبعه مُحَمَّد بن علي السنوسي لكن بصفةٍ مؤقتةٍ، حيث عاد إلى مكة عقب إقامة قصيرة في اليمن[5].

وشرع الشيخ أحمد بن إدريس يلقي الدروس ويُعَلِّم الناس حتى ذاع صيته في الحجاز واليمن وشرق أفريقيا، وأصبح أحد شيوخ التصوف البارزين في زمانه، وانتشرت طريقته التي أصبحت تسمى "الإدريسية"، وبعد وفاته

---

[1] – وردت أغلبها عن شيخه أحمد بن إدريس كلبس الخرقة والدعاء السيفي والتلقين والذكر، في كتاب المنهل الروي الرائق في أسانيد العلوم وأصول الطرائق. ينظر : مُحَمَّد بن علي السنوسي، **المنهل الروي الرائق في أسانيد العلوم وأصول الطرائق**، مرجع سابق، ص ص93-158..

[2] – توفيت سنة 1296هـ ودُفنت بالجغبوب. ينظر : أحمد صدقي الدجاني، مرجع سابق، ص72.

[3] – عبد المالك بن عبد القادر بن علي، مرجع سابق، ص ص21، 22.

[4] – أحمد النائب الأنصاري، **المنهل العذب في تاريخ طرابلس الغرب**، مرجع سابق، ص370.

[5] – شيوخ السنوسي في اليمن هم : السيد يوسف البطاح الأهدل، والشيخ الأمير الصنعاني، والشيخ مُحَمَّد العمراني الصنعاني، والشيخ مُحَمَّد بن سليمان قاضي مخا، والشيخ مُحَمَّد بن سليمان الأهدل قاضي زبيد، والسيد الحازمي، والشيخ مُحَمَّد عاكش الصبياني. ينظر : عبد المالك بن عبد القادر بن علي، مرجع سابق، ص9.

باليمن 31 أكتوبر 1837م[1] حاول تلميذه مُحَمَّد عثمان الميرغني[2] منافسة مُحَمَّد بن علي السنوسي على خلافته، لكن الأستاذ كان قد حسم الأمر سابقًا، وصرّح علنًا بأن السنوسي نائبه، وأضاف بأن الله اختاره، وحذَّر الإخوان من أذيته، وكان قد أجازه أيضًا، وأذن له بإعطاء العهود وتلقين الذكر، ومن هنا نفهم أنه كان يفضله على غيره من مريديه، وهناك دليلٌ آخرٌ، وهو كتاب يحفظه أهل السودان أرسله الأستاذ إلى مُحَمَّد عثمان المرغني عبارة عن موعظةٍ له، وفي نفس الوقت امتنانًا للسنوسي الذي أشار إليه مع أصحابه بعبارة "جماعة المغاربة"، فقال : « ... واعلم أنه قد صحبنا بعدك جماعة من إخواننا المغاربة فعلت همتهم في الله فحازوا قصب السبق في المعرفة بالله فانفتح لهم الباب من الله فصاروا من المحدثين من حضرة الحق بلا وسائط حتى أن كل واحد منهم جمع كتابا فيما فتح الله به عليهم من البشائر والمكاشفات ... »[3]. وكان السنوسي مبتهجًا بإقامته بالحرمين ومجاورته للعلماء، وعبّر عن ذلك قائلًا : « فإن من أعظم نعم الله علينا، وأجل مواهبه المسداة لنا، ما خولنا به من النعم الحلول بالحرمين الشريفين ... »[4]. وممن أخذ عنهم – إضافة إلى أحمد إدريس – عدد كبير من علماء مكة أبرزهم أبي سليمان عبد الحفيظ العجيمي مفتي مكة وقاضيها، وأبي حفص عمر بن عبد الرسول العطار[5]، وقد ذكرهما في

---

[1] – صالح كرار، مرجع سابق، ص58. وأكد أحمد الشريف السنوسي أنه توفي ليلة السبت 21 رجب عام 1253هـ. ينظر : أحمد الشريف السنوسي، مرجع سابق، ص3.

[2] – هو مُحَمَّد عثمان الشهير بِ : "الختم"، ينحدر من أسرة عريقة في نسبها، ولد بالطائف عام 1208هـ/1793م، تتلمذ على يد أستاذه السيد أحمد بن إدريس، حيث أخذ عنه العلم والتصوف، وسلك مسلكه، وبعد وفاة أستاذه عام 1837م دخل في صراع مع الشيخ السنوسي حول خلافة شيخهما على رئاسة الطريقة الإدريسية، وبعدها انتقل إلى مكة وأسس الطريقة الختمية، وبعث أبنائه للدعوة في اليمن والسودان وحضرموت وغيرها، وبعد نشاط حافل بالتصوف والإرشاد توفي في 22 شوال 1368هـ/2 مايو 1852م. ينظر :

طارق أحمد عثمان مُحَمَّد، **الختمية في السودان (دراسة تحليلية لأثارها الدينية والاجتماعية والسياسية)**، ط1، أبو ظبي.الإمارات العربية المتحدة، د د ن، 2017، ص ص32-49.

[3] – بطرس البستاني، مرجع سابق، مج10، ص ص146، 147.

[4] – مُحَمَّد بن علي السنوسي، **كتاب المسائل العشر المسمى بغية المقاصد في خلاصة المراصد**، إش.نجيب بن خيرة، طبعة خاصة، الجزائر، دار زمورة للنشر، 2011، ص5.

[5] – هو عمر بن عبد الكريم بن عبد الرسول العطار، المكي الشافعي، العلّامة، المحدث الصالح، مسند مكة المكرمة، وعالمها المتوفي بالطاعون عام 1249هـ ... له ثبت صغير، قال الكتاني بأنه يرويه عن طريق شيوخ منهم الشيخ مُحَمَّد بن علي السنوسي الجغبوبي. ينظر : عبد الحي الكتاني، مرجع سابق، ج2، ص796.

مقدمة الموطأ، وكذلك أخذ عن مُحَمَّد البناني، ومُحَمَّد عابد السندي، ويس مرغني[1]، وآخرين[2]، وفي المدينة المنورة درس أيضًا على يد شيوخ أجلاء[3].

لقد أنشأ السنوسي زاوية أبي قُبيس[4] بمكة سنة 1837م، وأقام بجوارها[5]، وحسب الحشائشي فإنه كان مأذونًا، الأمر الذي جعل شريف مكة يتراجع عن هدمها[6]، وذلك عقب منام رأى فيه رسول الله ﷺ يمنعه مما عزم عليه[7]، وذكر البستاني أنها بُنيت في حياة أستاذه أحمد بن إدريس، ونحن نوافق هذا الرأي لأن الأستاذ أذن للسنوسي بإعطاء العهود وتلقين الذكر، ولا يعقل أن يقوم بذلك إلا بوجود مقر، وهي الزاوية، وللعلم فإن جبل أبي قُبيس يرتبط بالسيرة النبوية، فهو أحد الأخشبين اللذين قصدهما جبريل عليه السلام عندما أراد أن يطبق بهما على أهل الطائف عقب أديتهم للرسول قبل الهجرة.

وتعتبر أبي قُبيس أول زاوية أنشأها الشيخ السنوسي، وتعد الحجر الأساسي لطريقته التي سُميت في البداية "الطريقة المحمدية" والتي ستصبح فيما بعد "الطريقة السنوسية"، وقد اكتسب من خلالها شهرةً واحترامًا كبيرين لما كان يقدمه من صدقات وخدمات متنوعة، وبالرغم من انتشار الفكر الوهابي السلفي الذي حارب وبلا هوادة

---

[1] – صالح كرار، مرجع سابق، ص57. ورد عند ابن علي باسم "ياسين المرغني". ينظر : عبد المالك بن عبد القادر بن علي، مرجع سابق، ص9.

[2] – الشيوخ هم : حسن بن عبد الله العطار، وعبد الرحمن يوسف المدني، ومُحَمَّد صالح الرئيس، ومُحَمَّد السلمي الشافعي، ومُحَمَّد القابسي المالكي، ومُحَمَّد الهذبيني، ومُحَمَّد بن عبد الله الفخري. ينظر: نفسه، ص9.

[3] – شيوخ السنوسي في المدينة المنورة : صالح البدري، عبد الرحمن الأنصاري، مُحَمَّد سفر بن مُحَمَّد سفر، عبد الباقي الشعّاب، مُحَمَّد بن الحاج المغيربي، مُحَمَّد بن عبد الله المجدوب. ينظر : نفسه، ص9.

[4] – أبو قُبيس : هو الجبل المشرف على الصفا إلى السويداء إلى الخندمة، وسُمي في الجاهلية الأمين، وسُمي بأبي قُبيس نسبة إلى رجل اسمه أبو قُبيس كان أول من نهض في البناء فيه. وهو أحد أخشبي مكة، والأخشب الآخر جبل يسمى الأحمر مشرف وجهه على قيقعان. ينظر : أبو الوليد مُحَمَّد الأزرقي، **أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار**، تح.رشدي الصالح ملحس، ط3، بيروت.لبنان، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع، 1983، ج2، ص ص266، 267.

[5] – يقول هاملتون –الذي تشرف بالتحدث إلى الشيخ السنوسي– بأن بيته بجوار أبي قبيس. ينظر : أحمد صدقي الدجاني، مرجع سابق، ص94. شرع الشيخ السنوسي في بناء مسجد أولًا عام 1826م، ثم خلوات للإخوان بجواره، وسُمي المسجد وما يتبعه "زاوية جبل أبي قُبيس". ينظر : عبد المالك بن عبد القادر بن علي، مرجع سابق، ص22.

[6] – كانت حجة شريف مكة في الهدم بأن السنوسي أساء الأدب مع الله ورسوله، لأنه لا ينبغي أن يعلو بناء على بيت الله أي الكعبة. ينظر : مُحَمَّد بن عثمان الحشائشي، مرجع سابق، ص149.

[7] – نفسه، ص149.

الطرقيين والبدعيين في شبه الجزيرة العربية، إلا أن زاويته ظلت قائمةً ولم تتعرض للمضايقة، وهذا ما فسّره البعض بمطابقة أفكار السنوسي للفكر السلفي الذي يدعو إلى التمسك بالكتاب والسنة ومحاربة البدع[1].

إن المراد بالسلفية هم الصحابة[2] ﷺ والتابعون[3] لهم بإحسان من القرون الثلاثة الأولى، وسموا بالسلف لتقدمهم عنا في الزمن، وكان منهجهم أفضل المناهج لأنهم أقرب إلى الإسلام[4]، وثبت ذلك في حديث رسول الله ﷺ حيث قال : ((خير الناس قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، ثم يأتي من بعدهم قوم يتسمنون ويحبون السمن، يعطون الشهادة قبل أن يسألوها))[5]. وقد أخبرنا الرسول ﷺ بانقسام الأمم السابقة من اليهود والنصارى إلى اثنان وسبعين فرقة، وتنبأ أيضا بانقسام أمته إلى عدة فرق، فقال : ((إلا أن من قبلكم من أهل الكتاب افترقوا على تنتين وسبعين ملة، وأن هذه الملة ستفترق على ثلاث وسبعين : ثنتان وسبعون كلها في النار وواحدة في الجنة، وهي الجماعة))[6].

وقد عاد الإسلام غريبا في عقر داره، حيث انتشر الجهل واستفحلت البدع والخرافات، وفي خضم تلك الظروف ظهرت حركة إصلاحية سلفية في الحجاز بزعامة الشيخ مُحَمَّد بن عبد الوهاب في القرن 18م عرفت بالحركة الوهابية هدفها العودة إلى مذهب أهل السنة والجماعة، أي منهج أصحاب النبي ﷺ، والتابعين لهم بإحسان المتمسكين بآثارهم إلى يوم القيامة، وهم الفرقة الناجية التي بشر بها النبي ﷺ، وأكد الدجاني أن الشيخ السنوسي تعرف على السلفية عن قرب عندما رحل إلى الحجاز، وأضاف بأنه اطلع على كتب ابن تيمية وتعرف على آرائه، واحتك بدعاة السلفية من الوهابية الذين اتخذوا من ابن تيمية مرشدًا لهم عقيدةً وفكرًا وفقهًا، والأرجح أن السنوسي كان قد علم بالوهابية قبل ذلك بكثير، أي عندما كان تلميذًا، لأن أستاذه أبي راس كان سلفيًا، ومن

---

(1) – البدع : جمع بدعة، وهي عرفا ما حدثوه بعد النبي ﷺ من العادات والتقاليد. ينظر : حاجي خليفة، مرجع سابق، مج1، ص231.

(2) – مفرد صحابي : قال ابن حجر : "الصحابي من لقي النبي ﷺ مؤمنا به، ومات على الإسلام". ينظر : نور الدين عتر، **منهج النقد في علوم الحديث**، ط2، دمشق، دار الفكر، 1979، ص116.

(3) – مفرد تابعي : قال الحاكم : "هو من شافه أصحاب رسول الله ﷺ "، وجعلهم خمس عشرة طبقة، ذكر منها ثلاث طبقات فقط، في مقدمتها : الذين لحقوا العشرة الذين شهد لهم الرسول بالجنة، وآخر طبقات التابعين من لقي أنس بن مالك من أهل البصرة مثل أبو حنيفة. ينظر : نفسه، ص ص147، 148.

(4) - أحمد القطان و مُحَمَّد طاهر الزين، **إمام التوحيد الشيخ مُحَمَّد عبد الوهاب الدعوة والدولة**، مر.عبد العزيز بن عبد الله بن باز، إسكندرية، دار الإيمان، 2001، ص3.

(5) – أبو عيسى الترمذي، **سنن الترمذي**، دراسة وتحقيق مركز البحوث وتقنية المعلومات، القاهرة، دار التأصيل، مج3، ص355.

(6) – سليمان أبو داود، مرجع سابق، ج7، ص6.

المؤكد أيضًا أنه عرفها أو على الأقل سمع بها عندما رحل إلى فاس، لأن المولى سليمان كان مهتمًا بالسلفية، حيث أصدر منشورًا رسميًا مؤيدًا لاتجاهها، ويقال أنه ألّف خطبة ألقاها الأئمة على منابر المساجد، وتعزز ذلك بمشاركة مجالس المولى سليمان العلمية في المجلس التاريخي بالحجاز سنة 1227هـ، تحت رئاسة السلطان سعود حول الفكر الوهابي[1]، وكان السنوسي حينها يدرس بفاس.

وانفرد كل من الأشهب والدجاني من بين المؤرخين بفكرة ميول أحمد بن إدريس السلفية[2]، وكذلك تلميذه السنوسي، وذكر الصلابي بأن إقامة السنوسي مع أستاذه في صبيا دليلًا على سلفيته على أساس أن صبيا أرض وهابية[3]، وفي الحقيقة لم أقف على ما يثبت سلفية السنوسي أو أستاذه في مصنفاتهما، بل العكس فقد ثبت معارضة علماء عسير لأحمد بن إدريس وكانوا من أتباع الوهابية[4]، أضف إلى ذلك أن أحمد إدريس كان غارقًا في التصوف إلى درجة الغلو، ويظهر ذلك جليًا في مصنفاته وأفكاره، وكذلك كتاب وضعه ابنه يوضح أذكار أبيه لم ترد عن السلف قط بعنوان "حزب المحامد الثمانية"[5]، كما أن الإقامة في صبيا لا يحسم الأمر، ولست هنا بصدد الدفاع عن الفكر الشيعي الذي يتخذ من السنوسية وسيلة لضرب الوهابية، لكنها الحقيقة التاريخية.

لقد تطابقت السنوسية مع الوهابية في طابعهما الدعوي الإصلاحي، لكن بالغ المؤرخون كثيرًا في ربط العلاقة بينهما، ومنهم الأشهب الذي سرد معلومات خاطئة حينما قال بأن الشيخ السنوسي زار نجد وأعجب بنهضة الإمام مُحَمَّد عبد الوهاب ودعا له بالتوفيق[6]، فكيف يدعو بالتوفيق لإنسان قد مات منذ زمن بعيد!

وبالعودة إلى الشيخ السنوسي، فإنه وطّد نفوذه الديني بقوة في الحجاز عقب إنشائه زاوية أبي قُبيس، وكان قد اختارها بدقة كبيرة حيث عين لها مكانًا مرتفعًا، وأصبحت بذلك تشرف مباشرة على المسجد الحرام أي مركز الحج، إضافة إلى أهمية مكة ورمزيتها الدينية باعتبارها مدينة مقدسة وقبلة المسلمين. وقد تعددت وظائف هذه

---

(1) – آسية الهاشمي البلغيثي، **المجالس العلمية السلطانية على عهد الدولة العلوية الشريفية**، المملكة المغربية، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، 1996، ج1، ص ص406-412.

(2) - أحمد صدقي الدجاني، مرجع سابق، ص68.

(3) - علي مُحَمَّد الصلابي، **تَاريخ الحرَكَة السَّنُوسيَّة في أفريقيا**، مرجع سابق، ص37.

(4) - يحي مُحَمَّد إبراهيم، **مصادر مدرسة السيد أحمد بن إدريس المغربي**، دراسات أفريقية، 14، 1996، ص71.

(5) - أحمد صدقي الدجاني، مرجع سابق، ص67.

(6) – مُحَمَّد الطيب الأشهب، **السنوسي الكبير عرض وتحليل لدعامة حركة الإصلاح السنوسي**، مرجع سابق، ص22.

الزاوية، فهي تتكون من مسجد، ومدرسة، ومساكن للزوار والمسافرين[1]، ومكتبة[2]، وغيرها، كما كانت بمثابة استراحة ومسكنا للحجاج وملجأً للفقراء ومقصدًا للوافدين من كل أنحاء العالم الإسلامي. وبفضلها تمكن السنوسي من الاتصال بالمسلمين مشرقًا ومغربًا، وجنوبًا أيضًا، والتعرف على أحوالهم وتوطيد العلاقة معهم، لذلك ذاع صيته كشيخ ومرابط وناسك وزاهد في الحياة، وأدى ذلك إلى تزايد عدد مريديه، خاصة وأنه أنشأ زوايا أخرى مثل زاوية الطائف[3]، والأكيد أن ذلك ساعده أيضًا في نشر طريقته لاحقًا في أفريقيا، والتعريف بها خاصة في طرابلس الغرب. ولم ينس الشيخ مُحَمَّد بن علي السنوسي بلده الجزائر عندما وقع في المحنة، حيث كان يتابع الأحداث بشغف ويتحرى أخبار المقاومات الشعبية عبر الحجيج والمعتمرين الذين يتوافدون على مكة، مما يدل على فطنته ووعيه وإيمانه بفكرة الجهاد، وهذا ما يميزه عن غيره من شيوخ تلك الفترة والذين استكانوا للخمول والجمود، بينما هو كان مدركًا لحقيقة الأمور وعارفًا بالمخاطر التي تهدد العالم الإسلامي، بدليلٍ أنه الوحيد الذي عارض ليون روش[4] عندما جاء إلى الحجاز بالفتوى[5] الخبيثة التي نصت على تحريم الجهاد ضد فرنسا، وقد صرح

---

[1] – تستضيف الزوايا السنوسية المسافر ثلاثة أيام مجانًا. ينظر : روزيتا فوربس، **سر الصحراء الكبرى : الكفرة**، تر.وتقد. صبري مُحَمَّد حسن، مر. يوسف فايد، ط1، القاهرة، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، 2013، ص450.

[2] – احتوت المكتبة على 8000 مجلد. ينظر:

Henri Duveyrier, **La confrérie musulmane de sîdi Mohammed ben Ali Essenoûsî et son domaine géographique**, **en l'année 1300 de l'hégire=1883 de notre ère**, Paris, société géographie, 1884, p 60.

[3] – كان الشيخ السنوسي بين الفينة والأخرى يزور مدينة الطائف، وقد بنى بها زاوية سنة 1254هـ/ 1837-1838م، وشيخها هو مُحَمَّد بن إبراهيم الغماري، ثم خلفه حامد بن مُحَمَّد غانم، والذي بقي في منصبه إلى غاية وفاته بالمدينة المنورة عام 1303هـ/1886م، فعين الخليفة الشيخ مُحَمَّد المهدي مكانه ابنه المسمى "مُحَمَّد السنوسي" والذي كان كثير التردد على الجغبوب، وقد توفي في الكفرة عام 1320هـ/1902م عندما كان قاصدا زيارة السادة السنوسيين. ينظر : عبد المالك بن عبد القادر بن علي، مرجع سابق، ص ص24، 25.

[4] - جاسوس فرنسي جاء إلى الجزائر بعد الاحتلال، وتعلم فيها اللغة العربية وقواعد الإسلام، ثم أعلن إسلامه خدعة وسمى نفسه (عمر). ينظر : أبو القاسم سعد الله، **الحركة الوطنية الجزائرية 1830–1900**، ط1، بيروت.لبنان، دار الغرب الإسلامي، 1992، ج1، ص ص236-238.

[5] – تنص الفتوى عن ما يلي : يباح لمسلمي الجزائر العيش تحت الحكم الفرنسي المسيحي إذا احترمت مؤسساتهم الدينية والقضائية، وبالتالي يجب ترك الجهاد الذي يعد حينئذ إلقاء النفس إلى التهلكة. ينظر : ليون روش، **اثنان وثلاثون سنة في رحاب الإسلام**، تع.وتق.وتعل.مُحَمَّد خير محمود البقاعي، ط1، ببيروت.لبنان، جداول للنشر والتوزيع، 2011، ص21.

روش ذلك بنفسه[1]. ورأى الشيخ السنوسي أن مكانه الحقيقي في الجزائر، ولابد من اغتنام فرصة الجهاد في سبيل الله التي أراد روش تحريمها ليوطد أركان الاستعمار الفرنسي، وعندما قرر الرحيل عين السيد عبد الله التواتي رفيقه المخلص وكيلا عنه بالحجاز، وعهد إليه إدارة شؤون الزاوية بمكة، وقيل أنه السيد مُحَمَّد الخالدي. ويرى بعض المؤرخين أن مُحَمَّد بن علي السنوسي غادر مكة باتجاه المغرب العربي سنة 1840م[2]، والبعض ذكر أنه وصل برقة في ذات السنة[3]، وهذا غير منطقي لأن ليون روش صاحب الفتوى الخبيثة التي حضرها السنوسي انطلق من الجزائر في 19 جويلية 1841م[4]، والأكيد أن السنوسي غادر الحجاز على الأقل نهاية عام 1841م أي بعد الفتوى مباشرة، وأصبحنا الآن نعرف سبب رحيله وهو الجهاد الذي هو فرض في الإسلام، بغض النظر كونه فرض عينٍ أو كفاية. وكان السنوسي رفقة عائلته وبعض مريديه حينما توجه في البداية إلى ينبع[5]، ثم العقبة بالأردن، وبعدها واصل سيره نحو القاهرة ودخل جامع الأزهر، وإذا كان قد عُرف سابقا كمدرس، ففي هذه المرة سبقته شهرته كعالمٍ كبيرٍ وشيخٍ جليلٍ، وهذا ما صرح به أحد المدرسين عندما رآه، فقام وقال : « أنصتوا أيها العلماء، فقد حل بين أظهركم عالم الأمة المحمدية ونبراس الشريعة المطهرة وشمس سماء المعارف الإلهية، ألا وهو الشيخ الكامل سيدي مُحَمَّد بن علي السنوسي الحسني الإدريسي. فارتج الجامع الأزهر بعلمائه »[6]، والأكيد أن مُحَمَّد بن علي السنوسي لم يستصغ هذا الثناء والمدح، لأنه كان غاضبًا من الفتوى التي وافق عليها الأزهر بكل سذاجة[7].

---

[1] – قال ليون روش : « قدم رفيقاي الميلود بن سالم الأغواطي، ومقدم التيجاني[كذا] فتوى القيروان التي أقرها علماء القاهرة إلى مجلس الطائف، وقد أثارت السخط والمعارضة الشديدة التي أبداها الشيخ السنوسي ... ». ينظر: نفسه، ليون روش، ص148.

[2] – مُحَمَّد فؤاد شكري، مرجع سابق، ص21.

[3] – مُحَمَّد الطيب الأشهب، **برقة العربية أمس واليوم**، مرجع سابق، ص26.

[4] – انطلقت الرحلة في 19 جويلية 1841م متوجهة إلى القيروان بواسطة القوافل، وفي 7 أوت وصلت إلى قابس، ثم مصر (الجامع الأزهر) وبعدها الحجاز. وعاد ليون روش إلى الجزائر ماي 1842م. ينظر : يوسف مناصرية، **مهمة ليون روش في الجزائر والمغرب 1832–1847**، الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، 1990، ص41.

[5] – ميناء في البحر الأحمر تابع للحجاز، يُنتقل إليه من مدينة السويس بواسطة مراكب شراعية. ينظر : عبد القادر بن عبد المالك بن علي، مرجع سابق، ص ص39، 40.

[6] – مُحَمَّد بن عثمان الحشائشي، مرجع سابق، ص148.

[7] – لم يذكر روش أي عالم من علماء الأزهر، وإنما قال : إن الذي ترأس الاجتماع هو إمام الجامع الأزهر، وأن الذي قدّم الفتوى للمجلس هو الميلود بن سالم مبعوث مُحَمَّد الصغير التيجاني[كذا] شيخ الزاوية التيجانية[كذا] في عين ماضي، والوحيد الذي عارض الفتوى هو الشيخ القادري لأنه من الطريقة القادرية. ينظر : ليون روش، مرجع سابق، ص ص23–25.

وأثناء إقامته بمصر أرسل زوجته بحرًا رفقة الشيخ التواتي وبعض الإخوان إلى قابس[1]، على أمل أن يلتقي بهم لاحقًا، ويبدو جليا أنه كان يخشى شيئا من ركوبه البحر، ولا أعتقد أنه البحر نفسه بدليل أنه أبحر من ميناء ينبع في البحر الأحمر، والأرجح أنها مسألة أمنية احتياطية، وبعد مدة واصل سيره عبر الواحات نحو سيوة[2] أين أصيب بمرض أقعده فراشًا مدة ستة أشهر، وكان من قبل في القاهرة قد مرض أيضًا بسبب شرب حليب يُعتقد أنه كان مسمومًا[3]، لكن شفي منه. وفي سيوه جرت حادثة ارتأينا أن نسردها لأنها تبين بعض من أفكار السنوسي وهي: سُمع صيحات درقاويين وقت الغروب وكانوا في حالة ذكر، لكن لم ينظم إليهم السنوسي، بل انتقد الدرقاويين في طريقة نطقهم اسم الجلالة واعتبرها ليست من الكتاب والسنة، ورغم ذلك اعترف بأن الشيخ العربي الدرقاوي كان أستاذه، وأضاف بأنه كان يجمع تلاميذه وينصحهم بأخذ ما وافق الكتاب والسنة وترك ما خالفهما[4]، ونستنتج من هذا الكلام الذي صرح به السنوسي للإخوان أنه كان على الأرجح درقاويًا، ثم تخلى عن هذه الطريقة. وبعد سيوة واصل رحلته ومر بأوجلة وجالو[5] رفقة الشيخ عمر بوحوا ومُحَمَّد الشفيع والمهدي الفيلالي، ثم اتجه غربًا إلى أن وصل طرابلس، وبعدها قصد قابس أين التقى بعائلته التي وصلت بحرًا.

وكانت قابس محطته الأخيرة لأنه لم يتمكن من دخول الجزائر، فقد علم أن فرنسا تتربص به وتريد القبض عليه، ولم تذكر المصادر التهمة سوى الإشارة إلى خطورته على فرنسا والتي وصفته بالرجل "المثير"[6]، بينما ذكرت

---

[1] – علي مُحَمَّد الصلابي، **تَاريخ الحرَكَة السَّنُوسيَّة في أفريقيا**، مرجع سابق، ص40.

[2] – تقع على مسافة 20 ميل من البحر، ذكرها العرب باسم سنتريه، وابن خلدون باسم تِيسْوَه، واليعقوبي باسم سِوا، وسماها اليونانيون أمونيوم، وذكرها ياقوت الحموي بأنها آخر أعمال مصر، وقال البكري أن أهلها بربر، ولغتهم تعرف بالسيوية تقرب من لغة زناتة، وبها حدائق ونخل. وفي سنة 1838م نزل بها مُحَمَّد السنوسي وأخذ ينشر طريقته السنوسية، واجتمع حوله كثير من المريدين والأنصار. ينظر : إسماعيل العربي، **الصحراء الكبرى وشواطئها**، الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، 1983، ص ص129، 130. اسمها القديم أمون أو أمنيوم، وهي واحة صحراوية غربي وادي النيل، وحسب تقرير رولفس الذي زارها عام 1884م تقع في عرض 12.'29° شمالًا وطولًا 30.'25° شرقا. ينظر : بطرس البستاني، مرجع سابق، مج10، ص360.

[3] – بسبب الغيرة وضع له خادمه السم في الحليب. ينظر : عبد المالك بن عبد القادر بن علي، مرجع سابق، ص29.

[4] – أحمد صدقي الدجاني، مرجع سابق، ص ص156، 157.

[5] – واحة تقع على بعد 240 كلم من ساحل البحر، ونحو 600 كلم عن الكفرة. ينظر : أحمد مُحَمَّد حسنين، **الواحات المفقودة**، تر.أمير نبيه وعبد الرحمن حجازي، مر.طلعت الشايب، ط2، القاهرة.مصر، المركز القومي للترجمة، 2009، ص103.

[6] – عبد المالك بن عبد القادر بن علي، مرجع سابق، ص30.

مراجع السبب وهو الاشتباه بتمويله للثوار الجزائريين[1]، والأكيد أن ذلك كله كان بإيعاز من الحاقدين عليه وعلى رأسهم ليون روش.

وكانت فرنسا قد أخطرت حاكم تونس وطالبته بمنع السنوسي من الدخول إلى الجزائر[2]، ويبدو أنه كان يشكل خطرًا كبيرًا عليها على غرار قادة المقاومات الشعبية المسلحة آنذاك، ولم يجد منفذًا للمرور، عندئذ رجع أدراجه نحو طرابلس برًا، بينما أرسل عائلته – كما جرت العادة بحرا – إلى بنغازي.

ومكث الشيخ السنوسي في طرابلس شهرًا كاملًا يُدَرِّس ويعظ الناس، كما تلقى العلم على بعض شيوخ المدينة[3]، والتقى خلالها بأحمد بن فرج الله الفيتوري– صهره مستقبلًا –، وتعلق هذا الرجل كثيرا بالسنوسي إلى درجة أن أحرق مرقعته، وأخذ عنه الطريقة المحمدية بعد أن تخلى عن الدرقاوية، ورغم شيخوخته أراد مرافقته، لكن طلب منه تأجيل ذلك، وبعد كل هذه الأحداث توجه السنوسي إلى برقة سنة 1842م وجعلها مستقرًا له.

1–4– استقراره في برقـــــــة :

إن برقة جزء من ولاية طرابلس الغرب تابعة للدولة العثمانية[4]، تتكون من عدة واحات ساحلية : أجدابيا، بنغازي[5]، توكره، تولميثة، حنية، سوسة(أبولونيا)، درنة، بانبا، طبرق[6].

لقد كانت السلطة العثمانية متركزة بالأساس في الساحل، وتميز حكمها بالتسلط على الأهالي خاصة جمع الضرائب، كما أنها لم تهتم بالعلم والثقافة على غرار أغلب أيالتها، وحاول السنوسي بقدر الإمكان عدم الاحتكاك

---

(1) – علي مُحَمَّد الصلابي، **تَاريخ الحرَكَة السَّنُوسيَّة في أفريقيا**، مرجع سابق، ص41.

(2) – عبد المالك بن عبد القادر بن علي، مرجع سابق، ص30.

(3) – من أهم شيوخه بطرابلس الغرب الإمام أبي العباس أحمد بن أبي زيد عبد الرحمن الطبولي الشريف الحسني. ينظر : أحمد النائب الأنصاري، **المنهل العذب في تاريخ طرابلس الغرب**، مرجع سابق، ص372.

(4) – كانت برقة وعاصمتها بنغازي تابعة للإدارة العثمانية بطرابلس ابتداءً من العهد العثماني الثاني إلى غاية 1863م، حيث انفصلت عن طرابلس، وصارت لواءً مستقلا تابعًا لوزارة الداخلية بالأستانة حتى عام 1911م حين حصل الغزو الإيطالي. ينظر : مُحَمَّد الطيب الأشهب، **برقة العربية أمس واليوم**، مرجع سابق، ص129.

(5) – ثانية المدن الليبية وحاضرة قطر برقة، يرجع عهد إنشائها إلى ما قبل أربعة قرون ونصف بالتقريب. ينظر : نفسه، ص30.

(6)- Nicola.A.Ziadeh, op.cit, p 11.

بها، وفضل مهادنتها والاعتراف بها كسلطة قائمة تمثل الخلافة[1]، بالرغم من أنه يعتبر أن القرشي أحق بالحكم[2]، وهو لم يبتدع هذا الحق، بل ورد كما هو معلوم في السيرة النبوية[3]، ورغم كل ذلك ظل ولاؤه قائمًا للعثمانيين، ونلمسه في الدعوات للخليفة العثماني في خطبة الجمعة بالمساجد التابعة للطريقة السنوسية[4].

واختيار السنوسي برقة للإقامة فيها لم يكن صدفةً، بل تضافرت مجموعة من العوامل ذكرها المؤرخون وهي :

ا- لم يختر تونس لوجود جامع الزيتونة الذي كان تحت سيطرة المحافظين مثل الأزهر في مصر تمامًا، أما الجزائر فكانت محتلةً، ولم يبق للسنوسي سوى برقة التي كانت شبه فارغة سياسيًا، أي بعيدةً عن مركز القرار بطرابلس، فكانت المكان الأمثل لنشر الدعوة السنوسية[5].

ب- قال الأشهب أن مُحَمَّد بن علي السنوسي أراد العودة إلى الحجاز، لكن قبائل الجبل الأخضر طلبوا منه البقاء[6]، وبالرغم من وجود مرابطين آخرين ببرقة أشهرهم أحمد بن عبد الله السكوري والمرتضى فركاش[7]، إلا أن الشيخ السنوسي كسب قلوب العباد هناك، وأصبح المرابط الأوحد الذي يرضى به الناس ويتبركون به.

ج- يرى المؤرخ بريتشارد أن السنوسي كان مجبرًا على الإقامة ببرقة، لأن طريق المغرب كان مغلقًا من قبل الفرنسيين، وطريق المشرق كذلك ومن طرف سلطات القاهرة ومكة، لكن هذا التخمين لا يجيب بدقة عن الإشكال، لأنه لم يوضح لماذا اختيار برقة دون طرابلس مثلًا ؟

---

(1) – الخلافة هي رياسة في أمور الدين والدنيا نيابة عن رسول الله، وأن منزلة الخليفة من الأمة منزلة رسول الله من المؤمنين، له عليهم الولاية العامة والطاعة التامة. ينظر : علي حسني الخربوطلي، **الإسلام والخلافة**، بيروت، دار بيروت للطباعة والنشر، 1969، ص29.

(2) – مُحَمَّد بن علي السنوسي، **الدُّرر السُّنية في أخبار السلالة الإدريسية**، مرجع سابق، ص8.

(3) – مسلم أبو الحسن، **صحيح مسلم**، ترتيب وترقيم مُحَمَّد فؤاد عبد الباقي، ط1، وهران، الألفية الثالثة للنشر والتوزيع، د ت : 1819/3.

(4)– Edward Evan Evans-Pritchard, op.cit, p 92.

(5)– Nicola.A.Ziadeh, op.cit, p 45.

(6) – مُحَمَّد الطيب الأشهب، **السنوسي الكبير عرض وتحليل لدعامة حركة الإصلاح السنوسي**، مرجع سابق، ص18.

(7) – نيكولاي إيليتش بروشين، **تاريخ ليبيا من نهاية القرن التاسع عشر حتى عام 1969**، تر.وتق.عماد حاتم، ط2، بنغازي.ليبيا، دار الكتاب الجديد المتحدة، 2001، ص80.

د- طبيعة البداوة ببرقة التي تتميز بخصال قبليةٍ أصيلةٍ، حيث وصف الأشهب أهلها قائلًا : "إذا جئت إليهم خائفا تطمئن، وإذا جئتهم سائلا تُعطى، وإذا جئتهم جائعا تشبع"[1]. وتمتاز البادية -عموما- ببساطة العيش، ونظامها قبلي يخضع لشيخ القبيلة الذي يمثل السلطة الحقيقة، حيث ينظم مجتمعه في السلم والحرب، وفي الشدة والرخاء، وفي كل الأحوال، وهذه النقطة أساسية وهامة، لأن النظام العشائري متينٌ في تسلسله يخضع لشيخ العشيرة، وكلمته قانونٌ تسري على أفراد قبيلته بكل سهولة ودون اعتراض، فيكفي أن يتبنى الشيخ طريقة صوفية لتعم كل العشيرة، وهذا ما قام به بالضبط الشيخ السنوسي مع شيوخ وزعماء برقة أين وجد قبولًا كبيرًا.

هـ- تعتبر السنوسية طريقة صوفية حديثة، وقد ظهرت قبلها طرق أخرى انتشرت وتواجدت بقوة في شمال إفريقية وهي : القادرية التي سيطرت على الإقليم الوهراني، والتجانية والرحمانية في الصحراء القسنطينية وجنوب تونس، والمدنية[2] والشاذلية في تونس وطرابلس، كما توجد زوايا عريقة أيضًا بطرابلس الغرب، كالزاوية الزروقية[3] في مصراتة، والأسمرية[4] في زليطن، واللتان لهما حضورًا قويًا في قلوب الناس منذ قرون، ولم يبق سوى برقة التي كانت منعزلة سياسيا وبعيدة عن مركز القرار السياسي والإداري العثماني في طرابلس. ورغم وجود بها عدة طرق صوفية[5] إلا أن الشيخ السنوسي استطاع أن يفرض نفسه وبسرعة كبيرةً جدًا، حيث كسب قلوب الناس، وقد ساعده على ذلك نسبه الشريف، وكراماته المتعددة التي اشتهر بها وعرفها الناس منذ رحيله من فاس.

---

[1] – مُحَمَّد الطيب الأشهب، **برقة العربية أمس واليوم**، مرجع سابق، ص80.

[2] – أنشأ الشيخ مُحَمَّد المدني زاوية قرب مصراتة، وبعد وفاته أكمل ابنه بناءها. ينظر:

Henry Barth,**Travels and discoveries in north and central Africa**, **London**, The Minerva library of famous books, 1890, p 82.

[3] – تُنتسب إلى أحمد بن أحمد بن مُحَمَّد بن عيسى البرنسي الفاسي الشهير بِـ"زروق"، ولفظ زروق جاء من جهة الجد وكان أزرق العينين، والبرنسي نسبة إلى قبيلة برنس بالمغرب، وقد ولد سنة 1443م ثم اشتغل بالتصوف والتوحيد، وانتقل في آخر حياته إلى ليبيا وعاش في مصراتة أين توفي بها سنة 1494م. ينظر : عبد المنعم القاسمي، مرجع سابق، ص ص63-65.

[4] – نسبة إلى عبد السلام الأسمر الفيتوري الذي ولد بزليطن سنة 880هـ، وكان كثير العبادات والذكر، توفي سنة 981هـ، ودفن بزاويته بزليطن، ينظر : ناصر الدين مُحَمَّد الشريف، **الجواهر الإكليلية في أعيان علماء ليبيا من المالكية**، ط1، عمان.الأردن، دار البيارق، 1999، ص ص161-166.

[5] – الطرق الصوفية هي : القادرية، والرفاعية، والعروسية، والعيساوية، والطيبية، والعزوزية، والمدنية، والسعدية. ينظر:

Edward Evan Evans-Pritchard, op.cit, p 84.

ونضيف إليها السلامية، والزروقية، والتيجانية، والرحمانية، والشاذلية. ينظر : مُحَمَّد بن عثمان الحشائشي، مرجع سابق، ص143.

وإذا تأملنا في أصل النُّساك وشيوخ الطرق الصوفية ببرقة، فإننا نلاحظ أن أغلبهم قدموا من الخارج وبالضبط من الغرب مثل عائلة الدردافي والإسماعيلي من طرابلس، وعائلة غوماري من المغرب، وعائلة عمور وبوجبالي وخطاب وتواتي من الجزائر[1]، إلى درجة أن بعض المدن سميت باسمهم أبرزها بنغازي[2]، وتعد رحلات الحج السبب الرئيسي، أضف إلى ذلك الاستعمار الفرنسي الذي تسبب في هجرة الكثير من أهالي المغرب نحو ليبيا.

و- كان إقليم فزان[3] يخضع لمتصرف تركي ذي حكم مستبد، مقره مدينة مرزق، وقد دخل هذا الإقليم في سلطة طرابلس سنة 1828م في عهد يوسف باشا، وأرى بأنه لا يناسب إقامة السنوسي الذي ظل ينفر من الأتراك ويتحاشاهم.

ز- لم يكن تواجد الطرق الصوفية المصرية قويًا ببرقة رغم القرب الجغرافي[4]، مما سمح للسنوسي من ملء الفراغ الموجود بها، بما فيها الصحراء الغربية لمصر أين تنتشر قبائل أولاد علي ذات الأصول الليبية.

ح- الوضع غير المستقر في المنطقة الغربية بسبب ثورة غومة المحمودي ضد جور الأتراك زمن الوالي عشقر باشا، والتي ألهبت المنطقة بأكملها وامتدت إلى جنوب تونس.

هذه جملة من الأسباب أوردها المؤرخون، غير أنني أضيف أسبابًا أخرى أراها هامة جدًا ورئيسية، دفعت الشيخ السنوسي إلى الإقامة ببرقة دون غيرها وهي :

أولًا، انتشار المذهب الإباضي بالمنطقة الغربية ونقصد بذلك جبل نفوسة[5] وفزان، وقد تبنى هذا المذهب أغلب البربر منذ زمن بعيد، والخلافة عندهم لا يشترط فيها القرشية بل ولا حتى العروبة، والأتقى هو الأحق بها

---

(1)- Edward Evan Evans-Pritchard, op.cit, p 82.

(2) – نسبة إلى سيدي غازي، الولي المدفون بالمقبرة الكبرى المعروفة بمقبرة "سيدي خريبيش". ينظر : مُحَمَّد الطيب الأشهب، **برقة العربية أمس واليوم**، مرجع سابق، ص30.

(3) – تعتبر الخلفية الصحراوية لطرابلس، وتبلغ مساحتها 600000 كلم^2، وسكانها خليط من طوارق وتبو وزنوج وعرب، تمثل سبها عاصمتها الاقتصادية. ينظر : إسماعيل العربي، مرجع سابق، ص ص131-134.

(4)- Edward Evan Evans-Pritchard, op.cit, p 86.

(5) – جبل نفوسة : سلسلة جبلية تمتد من الغرب إلى الشرق، تبدأ من غربي نالوت وينتهي بحدود غريان الشرقية بطول 200 كلم، وهي موطن البربر وسُميت بهذا الاسم نسبة إلى قبيلة نفوسة البربرية، وهي أكبر مواقع تجمع الإباضية. ينظر : الطاهر أحمد الزاوي، **معجم البلدان الليبية**، ط1، طرابلس.ليبيا، مكتبة النور، 1968، ص ص97، 98.

ولو كان عبدًا حبشيًا على ظاهر الحديث الشريف، ولطالما كان الجبل الغربي ملجأً للخوارج عبر التاريخ[1]، وهذه المنطقة لا تناسب السنوسي باعتباره مالكي المذهب.

ثانيًا، اتبع السنوسي خطى أستاذه أحمد إدريس الذي مر ببرقة وأقام بين أهلها[2] أثناء رحلته من فاس إلى مكة، والأرجح أن السنوسي التقى بأهل برقة رفقة أستاذه أثناء مواسم الحج وتعرَّف عليهم، وتكونت بذلك نوع من الصداقة التي ستكون سببًا في إقامته بجوارهم لاحقًا.

ثالثًا،كانت بعض الطرق الصوفية في طرابلس مناوئةً للطريقة السنوسية أو على الأقل ليست في وئام معها وأبرزها الطريقة المدنية، ودليلنا هو ليون روش الذي سخر الشيخ المدني للتجسس على السنوسية، ومراقبتها لتقويض نشاطاتها، لذلك كانت تصل إلى الحاكم العام بالجزائر كثيرًا من التقارير حول هذا الموضوع[3].

رابعًا، إقليم فزان غير مناسبٍ للإقامة فيه، لأنه بعيد عن مسار طريق الحج المبتغى الأساسي للشيخ السنوسي.

خامسًا، اعتقاد السنوسي بالرؤى جعله يتجه إلى الجبل الأخضر[4] مباشرة دون تردد، امتثالًا لمنام رأى فيه عمر بن الخطاب يصف له ذلك الجبل بالفوز الأكبر، وينصحه بقصده والإقامة فيه[5].

واختار مُحَمَّد بن علي السنوسي في البداية مدينة البيضاء في الجبل الأخضر للإقامة فيها، وأول عمل قام به بناء زاوية عام 1842م حملت اسم المدينة أي "الزاوية البيضاء"، وذلك قرب ضريح الصحابي رويفع الأنصاري، ويذكر

---

(1) – أحمد النائب الأنصاري، **نفحات النسرين والريحان فيمن كان بطرابلس من الأعيان**، مرجع سابق، ص18.

(2) – بدأت رحلة أحمد بن إدريس من فاس عام 1797م، ثم مرّ ببنغازي ومكث بها مدة، تعرف خلالها على عائلات وألقى دروسًا بمساجدها، وأثنى على أهلها والجبل الخضر، وقال فيها : « هذه بلادنا فيها تحيا أورادنا، حيها سعيد وبيتها شهيد، طوبى لمن أراد الخير لأهلها وويل لمن أراد الشر بأهلها ». ينظر:
مُحَمَّد الصديق الرضا السنوسي، **تاريخ العائلة السنوسية**، [http://www.ishraqnews.com]، 16 نوفمبر 2014، 152 كيلو أوكتي (زيارة الموقع 26 نوفمبر 2018، الساعة 02:19).

(3)- Jean-Louis Triaud, op.cit, p 45.

(4) – استمد اسمه من الغابات الدائمة الخضرة، ويشغل معظم شبه جزيرة برقة، حيث يمتد من خليج بومبا شرقًا إلى خليج سرت غربًا. ينظر : سالم علي الحجاجي، **ليبيا الجديدة دراسة جغرافية اجتماعية اقتصادية وسياسية**، ج ع ل ش إ، منشورات مجمع الفاتح، 1989، ص64.

(5) – عبد المالك بن عبد القادر بن علي، مرجع سابق، ص43.

المؤرخون أن أتباعه شرعوا في بنائها بأمر منه عندما كان في طرابلس عائدًا من قابس، وتعد هذه الزاوية الحجر الأساس في انطلاق الدعوة السنوسية في الجبل الأخضر، لذلك أُطلق عليها اسم "الزاوية الأم"[1].

واندمج السنوسي مع أهالي برقة بسرعة وأصبح واحدًا منهم، وطاب له المقام ورغد له العيش معهم، وساعدته في ذلك قبيلة البراعصة[2] التي تعد من أعتد القبائل، حيث رحبت به وساندت دعوته بدليل أن الزاوية البيضاء بُنيت في أرضها[3]، وتمكن السنوسي من كسب ود قبيلةٍ كبيرةٍ أخرى ببرقة وهي قبيلة العواقير[4]، وذلك حينما استطاع أن يعالج شيخها أبي شنيف الكزة الذي كان مريضًا على فراش الموت ببنغازي، ثم وبإلحاح من السكان تضرع إلى الله وقرأ الفاتحة فنزل الغيث[5]، وهاتان كرامتان[6] فتحتا له باب المشيخة على مصراعيها، وجعلتا منه أحد أولياء الله الوافدين من الحج، يتبرك به أهالي برقة كلها، وغالبا يكون عن طريق تقبيل يده[7]، بل أصبحوا يحلفون اليمين باسمه، واحترامًا له أطلق عليه السكان اسم "الشيخ" و"سيدي" و"السنوسي الكبير".

ورغم تلك الكرامات[8] العديدة والمكانة الرفيعة فقد بقي الشيخ السنوسي على سجيته المتمثلة في التواضع والتقوى، ولم يستغل الناس على عادة المرابطين والدراويش في جمع المال وبث الخرافات والشعوذة وتخويف الناس

---

(1) – أحمد صدقي الدجاني، مرجع سابق، ص83.

(2) – البراعصة أو (أولاد حمد) : هم أبناء حمد بن حرب، ومن المعروف أن برعاص الذي تتكون منه قبيلة البراعصة ليس بولد لحمد، ولكن حمد بن حرب تبناه، حيث تزوج والدته التي جاء بها زوجها من المغرب بعد أن توفي في طريقه إلى الحجاز. ينظر : مُحَمَّد الطيب الأشهب، **برقة العربية أمس واليوم**، مرجع سابق، ص64.

(3) – مُحَمَّد طه الحاجري، **دراسات وصور من تاريخ الحياة الأدبية في المغرب العربي**، ط1، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، 1983، ص ص289-313.

(4) – هم أبناء الأبح بن جبريل بن برغوث. ينظر : مُحَمَّد الطيب الأشهب، **برقة العربية أمس واليوم**، مرجع سابق، ص63.

(5) – أحمد الشريف السنوسي، **الدُّر الفريد الوهاج بالرحلة المنيرة من الجغبوب إلى التاج**، جامعة الإمام مُحَمَّد بن سعود الإسلامية، الرياض، المملكة العربية السعودية، قسم المخطوطات رقم : 1416، مخ.

(6) – اعتبر الصلابي أن شفاء المريض رقية، وقد استجاب الله للسنوسي لأنه أخلص في دعوته، حيث قرأ عليه الأدعية النبوية المباركة والقرآن الكريم وهذا جائز شرعًا. ينظر : علي مُحَمَّد الصلابي، **الثمار الزكية للحركة السنوسية في ليبيا الإمام مُحَمَّد بن علي السنوسي ومنهجه في التأسيس (التعليمي والحركي والتربوي والدعوي والسياسي)**، مرجع سابق، ج1، ص ص51، 52.

(7)– Edward Evan Evans-Pritchard, op.cit, p 82.

(8) – حُكي عن سهل بن عبد الله أنه قال : الآيات لله، والمعجزات للأنبياء، والكرامات للأولياء ولخيار المسلمين. ينظر : أبو نصر السراج الطوسي، **اللمع**، تح. وتق. عبد الحليم محمود وطه عبد الباقي سرور، مصر، دار الكتاب الحديثة، 1960، ص390.

بالوعيد وإبهارهم بالخوارق كاللعب بالحيات وأكل النار والضرب بالسيوف وغيرها، لأنه –كما جرت العادة– أن يكون لكل قبيلة وليًا يسمونه "مرابط"، وعلامته العلم الأخضر الذي يحمله بيده أو يعلقه على خيمته، وعادة ما يدعي البراعة في التنبؤ والقدرات العجيبة، وهذا ما يحمل الناس على أن يضعوا ثقتهم فيه، وإذا نظرنا إلى هذه الصفات فإن المرابط يصبح أقرب إلى مصطلح الدرويش في معناه الشعبي، أي الرجل الأبله صاحب البركات.

وفيما يخص السنوسي فإنه لم يؤمن بتلك الخزعبلات التي كانت رائجة في برقة، بل حاربها، وبالمقابل كان يمثل المرابط[1] العالم الورع، لذلك عمل على توعية الناس وتعليم أبنائهم وأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر، وبالتالي كسب محبة الناس ورضاهم، وهو بهذا طبق فكر أبي يزيد البسطامي الذي قال : « إذا رأيتم الرجل يطير في الهوى ويمشي في الماء فلا تغتروا به حتى تروه عند الأمر والنهي وحفظ الحدود وأداء الشريعة ».

وفي الحقيقة كان مجيء السنوسي إلى برقة أمرًا إيجابيًا وفأل خيرٍ، حيث آلف بين الناس، ونبذ الخصومات التي كانت سائدة بين القبائل[2]، وتمكن من حل النزاعات التي غالبًا ما كانت تؤدي إلى حروب لأتفه الأسباب، خاصة حول نقاط المياه ومناطق الرعي، وساعده على ذلك حنكته ورجاحة عقله وبصيرته وعلمه الغزير، وطبعًا نسبه الشريف الذي يمنح صاحبه وسام الاستحقاق الاجتماعي حسب عرف العامة والخاصة، ويرتقي به إلى درجة عليا مع المرابطين الأشراف، لذلك عُدّ من ليس من طبقة الأشراف من غير المحظوظين حتى ولو كان عالما[3].

وكانت برقة تعاني من التخلف وانتشار الجهل بشكل رهيبٍ وكأنها في الجاهلية، وقد زارها العياشي في القرن السابع عشر الميلادي وحكم على أهلها حكمًا قاسيًا، حيث قال بأنهم عرب فقراء لا يوصفون إلا بالكفر والنفاق

---

[1] – المرابط يعني شيخ طريقة. ينظر : أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي من القرن العاشر إلى الرابع عشر الهجري (16–20م)**، مرجع سابق، ج1، ص183.

[2] – الحرب بين البراعصة والعبيدات، وبين الجبارنة والجوازي، وغيرها. ينظر : مُحَمَّد الطيب الأشهب، **برقة العربية أمس واليوم**، مرجع سابق، ص109.

[3] – تعرض مثلًا أبا راس المعسكري –أستاذ السنوسي– إلى مضايقة أعيان غريس من أولاد سيدي دحو وأولاد سيدي علي الشريف وغيرهم، لأنه لا ينتمي إلى الشرفاء. ينظر : حرحيرة مداني، **الرمزية الصوفية في الأزمات الاجتماعية الكرامات وتمثلاتها في المغرب الأوسط (ق10هـ/ق14هـ)**، رسالة ماجستير في الفلسفة، جامعة وهران، 2012 – 2013، ص106. بالرغم من أن أبا راس يقر بنسبه الشريف. ينظر : مُحَمَّد أبو راس المعسكري، **فتح الإله ومنته في التحدث بفضل ربي ونعمته**، حققه وضبطه وعلق عليه. مُحَمَّد بن عبد الكريم، دب، المؤسسة الوطنية للكتاب، د ت ن، ص25.

ولا يعلمون حدود الله تعالى[1]. ومن مظاهر الجهل ما سرده بعض المؤرخين، منها أن السكان لا يرون ضرورة صيام رمضان وإنما يُكلِّفون ثلاثين شابًا قويًا يصومون يومًا واحدًا، ويعتقدون بذلك أنهم صاموا شهرًا كاملًا، وبنى السكان بنيانًا شبيهًا بالكعبة الحقيقية في الجبل الأخضر، وعمل البدو على ترويج فكرة مفادها أن الحج إليها يعوض الحج الحقيقي، وغير ذلك.

وفي الحقيقة لم تكن برقة وحدها من تعاني الجهل، لأن العالم الإسلامي كله كان شبيهًا بحالتها، فهذه جارتها مصر لم تكن بأفضل حال، حيث كان المصريون يعيشون في جهلٍ كبيرٍ إلى درجة تبركهم بعنزة بدعوى أن السيدة نفيسة أوصت بها، وكان من يقف وراء ذلك غرضه جني المال لا غير، ولم ينته الأمر إلا عندما قام الشيخ العطار بذبح "العنزة المباركة"[2]، وهذه الحادثة تعبر بصدق عن حالة التخلف والخزعبلات التي وصل إليها الناس.

أصبحت برقة الموطن الجديد للشيخ السنوسي ومقر الدعوة السنوسية، وأهم الأعمال التي قام بها :

1-4-1- نشر العلم والإصلاح :

قام مُحَمَّد بن علي السنوسي بنشر العلم ببرقة ومحاربة الدّجالين، ولم يتقاعس في أداء المعروف وفعل الخير، فقد كرس جهده ووقته لإخراج الناس من الجهل وتثبيت الأسس الصحيحة للدين بالتمسك بالكتاب والسنة، واعتبرت الزاوية البيضاء منارة للتعليم، حيث كانت القبائل ترسل أطفالها فرادى وجماعات للتعلم والتزود بالمعرفة.

ووفّق أيضًا في حل النزاعات التي طالما نخرت المجتمع البرقاوي ومزقته، حيث استطاع أن ينظم الأمور الاقتصادية والثقافية والاجتماعية بل ويحل الخلافات السياسية، فغالبًا ما يكون هو الوسيط بين القبائل المتنازعة، وبين القبائل والحكومة العثمانية من جهة أخرى، لذلك أصبح هو الحاكم والقاضي في نفس الوقت.

وانتشرت الدعوة السنوسية وقوي ساعدها بين الإخوان وكثر مريدوها، وكان الشيخ السنوسي يثني كثيرًا على قبائل برقة خاصة البراعصة والعواقير اللتين يعتبرهما ساعده المتين[3]، وسرعان ما تحولت الدعوة الإصلاحية تلك إلى

---

[1] – العياشي أبو سالم، مرجع سابق، ص37.

[2] – مُحَمَّد عبد الغني حسن، **حسن العطار**، ط2، مصر، دار المعارف، 1993، ص ص13-21.

[3] – ذكر عقيلة الزوي أن ابن السنوسي سأله مرة عن الكفرة، ثم قال له : « لا بد لنا من زاوية فيها، وإن لم تقيموا بها (يقصد قوم عقيلة قبيلة الزوية) نجد الذي يقيم بها وهم إخواننا البراعصة والعواقير ». ينظر : أحمد صدقي الدجاني، مرجع سابق، ص ص114، 115.

حركة سياسية واقتصادية وعسكرية، ولم يكن البدو يعرفون حكمًا أو قضاءً سوى سلطة السنوسية التي أصبحت تكون دينًا ودولةً في نفس الوقت، أي الجمع بين الدين والسياسة، وتجسد ذلك بوضوح في تعدد وظائف الزوايا التي انتشرت بشكل كبير جدًا في برقة وخارجها، وتخضع كلها إلى سلطة واحدة هي سلطة الشيخ السنوسي.

1-4-2- زواجه الثالث :

بعد مجيء أحمد بن فرج الله إلى بنغازي قادمًا من طرابلس، تزوج مُحَمَّد بن علي السنوسي إحدى بناته واسمها فاطمة، بناءً على منام رأى فيه الرسول ﷺ يأمره بذلك[1]، وأنجبت له ولدين : الأول مُحَمَّد المهدي الذي ولد بماسة في الجبل الأخضر عام 1844م، وفرح به والده كثيرًا لشعوره بالأبوة وهو شيخ، والثاني مُحَمَّد الشريف الذي ولد عام 1846م بدرنة، ويبدو أن للإسمين معنى عند السنوسي، فقد سُئِل أبوهما عنهما فقال : « إننا لا نحيد بأسمائنا عن أسماء النبي ﷺ، مُحَمَّد المهدي ليحوز أنواع الهداية، ومُحَمَّد الشريف ليحوز أنواع الشرف»[2].

1-4-3- العودة إلى الحجاز :

عاد الشيخ السنوسي إلى الحجاز سنة 1846م، وأرجع المؤرخون ذلك إلى رغبته في جعل زاوية أبي قُبيس المركز الرئيسي لدعوته[3]، ومهما يكن سبب عودته، فالأكيد أن قلبه كان متعلقًا بأم القرى وطيبة ثراها وعطر هوائها، وهو من الرجال الذين يظلون في شوقٍ دائمٍ للحج[4]، كما قال تعالى : ﴿ وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴾[5]. ومثلما آزرته قبيلتي البراعصة والعواقير ببرقة، وجد بالحجاز قبيلتي حرب وبني حارثة أقوى سندٍ له، فكانتا خير دعامة للحركة السنوسية هناك، ورحلته الثانية هذه إلى الحجاز ما هي إلا تكملةً لجهوده التي باشر بها في الرحلة الأولى، لذلك واصل أعماله وصب اهتمامه على أربعة أمور أساسية : بناء الزوايا[6]، وخدمة الحجيج، والتدريس، وتأليف الكتب.

---

[1] – عبد المالك بن عبد القادر بن علي، مرجع سابق، ص33.

[2] – أحمد صدقي الدجاني، مرجع سابق، ص180.

[3] – مُحَمَّد طه الحاجري، مرجع سابق، ص290.

[4] – كان الشيخ السنوسي يحج كل عام تقريبًا أثناء إقامته بالحجاز. ينظر : أحمد صدقي الدجاني، مرجع سابق، ص91.

[5] – سورة الحج : الآية 27.

[6] - أحصى دوفيري اثنتي عشرة زاوية بالحجاز، كلها في حالة نشاط. ينظر : Henri Duveyrier, op.cit, p 24.

واشتهر الشيخ السنوسي في الحجاز كعالمٍ وفقيهٍ، واكتسب شهرةً واسعةً من خلال تدريسه عدة علومٍ كالفقه والحديث والتصوف، ومن تلاميذه الشيخ مُحَمَّد البكري وأخيه أحمد بن صادق البكري، والشيخ حامد بن مُحَمَّد غانم، وخاصة فالح الظاهري الذي درس عنه في المدينة المنورة سنة 1852م، وأصبح أحد أبرز مريديه، بل ورافقه في رحلته النهائية إلى الجغبوب لاحقًا.

وأثناء إقامته بالحجاز تزوج – للمرة الرابعة والأخيرة – من فاطمة ابنة السيد حسن البسكري سنة 1267هـ/1850م، وقد قدِمت زوجته من درنة مع عائلتها بعد وفاة أبيها، وتم الزواج بمكة، وولدت ولدًا لكنه توفي صغيرا[1]، وذكر الأشهب أن اسمه علي، ومن خلال هذا الزواج نستنتج أن الشيخ السنوسي كان مزواجًا، واعترف هو نفسه بذلك، حيث أكّد بأن أكبر سلطانٍ يؤثر في الإنسان هو سلطان النساء، واستدّل بقول رسول الله ﷺ : « حبب إلي من دنياكم الطيب والنساء »[2].

واشتاقت نفس السنوسي لعائلته ببرقة، لذلك أرسل في طلب ابنه مُحَمَّد المهدي عندما بلغ السابعة، واعتقدُ أنه أراد أن يعلّمه بنفسه ويطمئن عليه بوجوده قربه، لذلك عندما وصل، طلب لوحته فوجد قد كُتِب في أولها الآية : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾[3]، فسُرَّ لذلك سرورًا عظيمًا[4].

وفي عام 1269هـ أرسل في طلب ابنه الآخر مُحَمَّد الشريف، حيث سافر هذا الأخير مع والدته وجدّه لأمه أحمد بن فرج الله، ووصلوا جميعهم إلى المدينة المنورة ثم اتجهوا إلى مكة، وفي الطريق توفي غيلة السيد عبد الله التواتي[5] والذي يعتبر وكيل السنوسي بالحجاز، وله مكانةٌ خاصةٌ عنده لأنه من أوائل رفاقه، وبهذه المناسبة الأليمة رثاه الشاعر عبد الرحيم المحبوب (المغبوب) في قصيدةٍ مؤثرةٍ جاء فيها :

عهدي بروض السني يهتز من طرب ... وبلبل الأنس يشفينا بألحان
والدهر سلم لسلمى فهي آمنة ... تقول حذار اليوم عاداني
أشك والى الله ما ألقاه من أسف ... شب الغضا بين احشاءي [كذا] وأضناني

---

[1] – أحمد صدقي الدجاني، مرجع سابق، ص ص92، 93.

[2] – مُحَمَّد بن علي السنوسي، **السّلسبيل المعين في الطّرائق الأربعين**، مرجع سابق، ص73.

[3] – سورة القلم : الآية 4.

[4] – أحمد صدقي الدجاني، مرجع سابق، ص177.

[5] – مُحَمَّد الطيب الأشهب، **برقة العربية أمس واليوم**، مرجع سابق، ص228.

عادا جفوني لذيذ النوم مذ فقــدت رأياك (يا بن التواتي) ملجؤ العاني[1]

وقد اشتاق الإخوان للشيخ السنوسي، لذلك اتصلوا به في موسم الحج وألحّوا عليه بالعودة إلى برقة، ومنهم : الشيخ علي لطيوش شيخ قبيلة المغاربة ببرقة البيضاء، والشيخ بوشنيف الكزة، والشيخ يونس الكزة، والشيخ بوبكر حدوث وابن عمه الشيخ عمر بوجلفاف، والشيخ مقرب حدوث، والشيخ الكاسح بوديهوم، ومن طرابلس الحاج أحمد باشا المنتصر[2].

وفي الحقيقة كان الشيخ السنوسي ينوي في هذه الأثناء زيارة الشام إلا أنه لم يتسن له ذلك، ولم تذكر المصادر السبب، والغريب في الأمر أنه مكث طويلًا جدًّا في الحجاز حوالي ثلاثة وعشرين سنة بين الرحلة الأولى والثانية، ولم يقم بتلك الزيارة وهذا غريب! وكان الأمير عبد القادر الجزائري قبله قد زار العراق والشام معًا في موسم حجٍ واحدٍ، وللعلم فإن للقدس فضلٌ عظيمٌ، ونقصد هنا المسجد الأقصى الذي يعد من المساجد الثلاثة التي تُشد الرحال إليها، كما قال الرسول ﷺ : « لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد مسجدي هذا ومسجد الحرام ومسجد الأقصى»[3].

1-4-4- العودة إلى برقة نهائيا :

كان آخر حج للشيخ السنوسي سنة 1852م عقب وصول نجله الثاني مُحَمَّد الشريف، وفي نهاية سنة 1853م قام بتغريبته الثانية والأخيرة، حيث غادر الحجاز نهائيًا وعاد إلى برقة لكن دون ولديه[4]، وترجع أسباب مغادرته اتهامه من طرف السلطة العثمانية بأنه ساند سرًا تمرد شريف مكة عبد المطلب بن غالب ضدها[5]، وذكرت مصادر أنه اتُّهم بالاتصال بالوهابية في صبيا[6]، واعتبر السنوسي ذلك ناقوس خطر، وأحس بأنه غير مرغوب فيه، لذلك فضَّل المغادرة أو أُجبر عليها، ومهما يكن من أمر فقد عُدّ ذلك الرحيل طوق نجاة له، لأنه يدرك جيدًا ظلم وجبروت الأتراك، وما حوادث ثورة الدرقاوة ومقتل شيخه بلقندوز في الجزائر ببعيدة.

---

[1] – مُحَمَّد الطيب الأشهب، **برقة العربية أمس واليوم**، مرجع سابق، ص586.

[2] – عبد المالك بن عبد القادر بن علي، مرجع سابق، ص38.

[3] – مسلم أبو الحسن، مرجع سابق : 1397/511.

[4] – عبد المالك بن عبد القادر بن علي، مرجع سابق، ص43.

[5] – بطرس البستاني، مرجع سابق، مج10، ص147.

[6] – أحمد صدقي الدجاني، مرجع سابق، ص74.

وعند وصوله برقة توجه إلى العِزيَّات[1] التي وصلها في غرة ربيع الأول 1271هـ/ 22 نوفمبر 1854م[2]، ومكث بها مدة عامين قام خلالها ببناء زاوية وترميم قصر قديم، وبعدها فكر في التوغل جنوبا، وبدأ البحث عن مكانٍ آخر، لذلك أرسل وفدًا برئاسة عمران بن بركة الفيتوري لاختيار المكان المناسب ليجعله مقرًا جديدًا لدعوته[3]، فكان الاختيار على الجغبوب[4] والذي لم يكن صدفة حسب الحشائشي بل بأمر إلهي[5]، وليسهل التنقل إلى المقر الجديد قام بإصلاح بعض الصهاريج[6] الخربة لحفظ الماء، وحفر آبار والتي اشتهر منها بئر حكيم.

وانفرد المؤرخ عبد المالك بن عبد القادر بتحديد تاريخ بداية إنشاء زاوية الجغبوب وهو عام 1271هـ/1854م[7]، واستمر البناء مدة عامين متتاليين، ولم تذكر هذا الأمر مصادر السنوسية الأخرى مثل الأشهب وشكري والدجاني، لكنهم صرحوا بأن السنوسي غادر العزيات عام 1856م[8]، ووصل في نفس العام إلى الجغبوب[9]، مما أخلط على البعض تاريخ التأسيس[10].

---

[1] – اسمها الحقيقي "الغزيات" الذي اعتبره السنوسي اسمًا مستهجنًا، فقام بتغييره إلى "العزيات"، وقام أيضًا بتغيير عدة أسماء أخرى مستهجنة سواء للأشخاص أو العائلات أو الأماكن، مثل المغبوب إلى المحبوب، والأطرش إلى الأسمع، والمقرحي إلى المفرحي، وغيرها. ينظر : مُحَمَّد الطيب الأشهب، **السنوسي الكبير عرض وتحليل لدعامة تاريخ الإصلاح السنوسي**، مرجع سابق، ص43.

[2] – مُحَمَّد فؤاد شكري، مرجع سابق، ص33.

[3] – بعث الشيخ السنوسي في البداية الشيخ المقعاوي ليأتيه بالأخبار عن المكان، ثم بعث وفدًا برئاسة الشيخ عمران بن بركة ضم مجموعة من الإخوان منهم : مصطفى المحجوب، ومصطفى الدردفي، ورجب المجبري، وغيرهم، وذلك لاختيار أفضل المواقع. ينظر : يونس علي بالقاسم السنوسي، مرجع سابق، ص36.

[4] – واحة تقع في تقاطع خط طول 25^0 شرقًا ودائرة عرض 30^0 شمالًا، تبعد عن البحر المتوسط بحوالي 200 كلم، وعن واحة سيوة بمصر بِ : 105 كلم. ينظر : سالم علي الحجاجي، مرجع سابق، ص80.

[5] – لا نعرف نوع هذا الأمر ولا طريقة حدوثه للسنوسي، لكن الحشائشي قال بأن إذنا إلهيا صدر له يأمره بالعودة من الحجاز إلى الجبل الأخضر، ثم يبني زاوية الجغبوب. ينظر : **رحلة الحشائشي إلى ليبيا سنة 1895**. مرجع سابق، ص150.

[6] – تُحفر الصهاريج لحفظ ماء المطر. ينظر : يونس علي بالقاسم السنوسي، مرجع سابق، ص41.

[7] – عبد المالك بن عبد القادر بن علي، مرجع سابق، ص45.

[8] – بنى الشيخ السنوسي زاوية بالعزيات قبل مغادرتها، ومقدمها هو الشيخ سيدي الحسين الحلاف، وأصله من تلمسان (الجزائر). ينظر : Henri Duveyrier, op.cit, p 61.

[9] – ينظر : أحمد صدقي الدجاني، مرجع سابق، ص ص99-101. ومُحَمَّد فؤاد شكري، مرجع سابق، ص37. وأيضًا، مُحَمَّد الطيب الأشهب، **السنوسي الكبير عرض وتحليل لدعامة تاريخ الإصلاح السنوسي**، مرجع سابق، ص42.

[10] – ورد عند الكتاني بأن الجغبوب تأسس عام 1273هـ / 1856م. ينظر : عبد الحي الكتاني، مرجع سابق، ج2، ص1041. بينما ذكرت دراسة أنه تأسس عام 1855م. ينظر : يونس علي بالقاسم السنوسي، مرجع سابق، ص18.

تقع الجغبوب في واحة جرداء وفي صحراء قاحلة قريبة من سيوة، ماؤها مالحٌ أجاجٌ، لا يقصدها إلا اللصوص والدُّعار، وقد احتار المؤرخون وحتى الإخوان في تحديد دوافع اختيارها، وإصرار السنوسي عليها لتكون مقرًا للحركة السنوسية، وبناءً على المعطيات التاريخية يمكن أن نستخلص الأسباب التالية :

ا –كثرة العيون وانتشار الأجانب في المدن الساحلية لبرقة، إضافة إلى تواجد جاليات أجنبية كثيرة لا يأمن لهم جانبًا منهم اليهود[1]، وأثار ذلك نفور السنوسي وامتعاضه، لأن طبيعته تميل إلى التصوف والانعزال.

ب– كانت الجغبوب عبارة عن قفارٍ بعيدة عن ملكية أي قبيلة ببرقة، وبعيدة أيضًا عن الأراضي الأميرية[2]، وخارجة عن قبضة الترك والفرنسيين والمصريين[3]، وبالتالي تعد مكانًا مثاليًا يستطيع السنوسي أن يستصلح الأرض ويحييها ويتملكها أيضًا، وبناءً على ذلك أرى أن هذا دافعًا قويًا للاستقرار هناك[4]،كما جاء في صحيح البخاري في باب من أحيا أرضًا مواتًا، أن رسول الله ﷺ قال : ((من أعمر أرضا ليس لأحد فهو أحق))[5]، وقال ﷺ أيضًا : ((من أحيا أرضا ميتة فهي له))[6].

ج– الرقابة الشديدة والمضايقات التي تعرضت لها السنوسية من طرف القناصلة الأوروبيين خاصة في الساحل، ومحاولتهم –لاسيما قنصلية فرنسا ببنغازي– تأليب الرأي العام التركي والدولي ضدها، وما يجب التذكير به أن فرنسا كانت تبحث عن أدنى ذريعة للتدخل في طرابلس الغرب خاصة بعد احتلالها الجزائر سنة 1830م، ورغبتها في بسط نفوذها في الصحراء الإفريقية كان قويًا، خاصة مع تزايد المنافسين لها، لاسيما من طرف بروسيا وبريطانيا. وفي سياق الأحداث التاريخية فقد كانت الدولة العثمانية مرغمةً على مهادنة بريطانيا وفرنسا من أجل

---

[1] – كان عدد سكان بنغازي خمسة آلاف نسمة بين عامي 1817 و1818م، نصفهم تجار يهود. ينظر : نيكولاي إيليتش بروشين، مرجع سابق، ص82.

[2] – هي الأراضي التي تملكها الدولة العثمانية، وتمنحها لمن تشاء بموجب شروط مثل التيمار والزعامات والملك الخاص. ينظر : محمود عامر، **"المصطلحات المتداولة في الدولة العثمانية"**، مجلة دراسات تاريخية، 117– 118، 2012، ص359.

[3] – أحمد صدقي الدجاني، مرجع سابق، ص113.

[4] – إضافة إلى الجغبوب، بنى السنوسي للإخوان والطلبة مساكن ومسجدًا كبيرًا وعدة مخابز ... ينظر : يونس علي بالقاسم السنوسي، مرجع سابق، ص41.

[5] – زين الدين الزبيدي، **مختصر صحيح البخاري**، ط1، دب، مؤسسة زاد للنشر والتوزيع، 2013، ص273.

[6] – ابن حجر العسقلاني، **بلوغ المرام من أدلة الأحكام**، إعداد وتح. لجنة البحوث والدراسات عن النسخة التي حققها حامد الفقهي، ط1، بيروت.لبنان، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، 2004، ص ص307، 308.

حمايتها ضد الخطر الروسي في حرب القرم 1854-1856م ولو بصفة مؤقتة، وربما كان تشجيع الأتراك للشيخ السنوسي على الاستقرار في الجغبوب بعيدًا عن الساحل مجاملةً لفرنسا أكثر منه دعمًا له.

د-إن اختيار السنوسي للجغبوب بناءً على رؤى وكشف، وقد سُئِل عن ذلك فأجاب :« نحن مأمورون »[1].

هـ- وقوع واحة الجغبوب في طريق حج رئيسي يربط شمال غرب أفريقيا ومكة عبر مصر، وطريق تجاري هام يربط الساحل شمالًا والسودان جنوبًا[2].

ونعتقد بأن تحول السنوسي إلى الجغبوب هروبًا من الأتراك احتمالٌ ضعيفٌ، ذلك أنه رغم معارضته لسياسة الدولة العثمانية ولاسيما الإصلاحات التي عاصرها والتي عُرِفت تاريخيا بالتنظيمات[3] وإيمانه بأحقية القرشي في الحكم كما أسلفنا، إلا أنه بقي دومًا معاضدًا لها ومتمسكًا بها باعتبارها مقرًا للخلافة الإسلامية، لذلك ظلت علاقته حسنة معها، بدليل حصوله على فرمان 1856م من السلطان عبد المجيد ينص على إعفاء أملاك الزوايا من الضرائب[4]، وفي الحقيقة كانت هذه رغبة الشيخ السنوسي، حيث كان قد بعث عبد الرحيم المغبوب رفقة الشيخ مُحَمَّد إلى اسطنبول، وذكر الحشائشي أنهما قابلا السلطان ونجحا نجاحًا باهرًا في امتحان علمي في مجلسه، تمثل في شرح الآيتين الكريمتين : ﴿ طَٰهَٰ ۝١ مَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡقُرۡءَانَ لِتَشۡقَىٰٓ ﴾[5]، ودل ذلك في حقيقة الأمر على سعة علم أستاذهما السنوسي الذي يعود الفضل إليه في تعليمهما[6].

وإذا حللنا الفرمان السابق فإنه يخص الإعفاء عن الأداء الميري على عقارات زوايا الطريقة السنوسية، وفي المقابل يسمح لها بجمع الأعشار من الأهالي المنتسبين إليها، ومما شجع الدولة العثمانية على اتخاذ مثل هذا الموقف

---

(1) – أحمد صدقي الدجاني، مرجع سابق، ص112.

(2) – نفسه، ص113.

(3) – إصلاحات أصدرها السلطان عبد المجيد عامي 1845 و1856م، تنص على تنظيم شؤون الإمبراطورية وفق المنهج الغربي، واستبعاد العمل بالشريعة الإسلامية. ينظر : عبد الحميد، **مذكرات السلطان عبد الحميد**، تق. وتر.مُحَمَّد حرب، ط3، دمشق، دار القلم، 1991، ص17.

(4) – أحمد صدقي الدجاني، مرجع سابق، ص105.

(5) – سورة طه : الآيتين 1، 2.

(6) – مُحَمَّد بن عثمان الحشائشي، مرجع سابق، ص ص156، 157.

– في اعتقادنا – اختلاف المذهبين الحنفي والمالكي، واتباع السنوسية المذهب المالكي وهو نفس مذهب أهل طرابلس الغرب يمنحها الأفضلية في رعاية شؤونهم الدينية بدلًا من الدولة العثمانية التي تتبع المذهب الحنفي.

وقد أسهب المؤرخون كثيرًا في تخصيص الإعفاءات الضريبية للسنوسية من خلال حصولها على فرمانات، وفي الحقيقة فإن ذلك الامتياز لم يخص السنوسية وحدها بل شمل عدة زوايا أخرى[1]، وقد استفادت قبائل أخرى أيضًا من نفس الامتياز لأنها كانت تقدم خدمات للسلطة التركية مثل أداء الخدمة العسكرية المجانية وغيرها[2].

وما لا يختلف فيه اثنان أن الضرائب تعد أهم المداخيل[3]، ونحن نستغرب كيف سمح الخليفة العثماني في حقه الشرعي وهو الخراج، الذي يعتبر من أبرز الحقوق التي كانت تحرص الدولة العثمانية على جبايتها ليس في طرابلس الغرب فحسب بل في كل آيالاتها، وكانت تقوم بحملات عسكرية دون هوادة ضد المتهاونين والممتنعين، وعليه فإن تفسير الفرمان – حسب اعتقادنا – هو محاولة الدولة العثمانية كسب ثقة السنوسية وتسخيرها لخدمتها، وجعلها وكيلةً عنها في سياستها لدى بدو برقة، أي أن الإعفاءات العثمانية ليس مجانًا بل كانت مقابل خدمات، لذلك نجد نفس الامتياز –أي الإعفاء الضريبي– مُنِح للعديد من المرابطين[4]، حتى تتمكن الدولة العثمانية من خلالهم التحكم في السكان، لما لهم من سلطة روحية واحترام مقدس لدى عامة الشعب.

استقر الشيخ السنوسي في زاويته الكبيرة الجغبوب، رفقة الرعيل الأول من الإخوان الذين رافقوه من مختلف الأوطان مشرقا ومغربا، وبدأ يدَّرس وينشر العلم بين الناس، خاصة البدو في برقة وغيرها من المناطق، وبعد فترة من استقراره استقدم ولديه من الحجاز، فعاد مُحَمَّد المهدي أولًا عام 1857م ثم أعقبه أخوه مُحَمَّد الشريف، ورغم صغر

---

(1) – تحصلت زاوية الطواهرية في غريان على أمرٍ ولائيٍ، بإعفاء من ضرائب الدولة والعشور المفروضة على المزارعين، صادرًا من والي طرابلس في 21 رمضان 1276هـ. ينظر : الطاهر أحمد الزاوي، مرجع سابق، ص163.

(2) – شارل فيرو، **الحوليات الليبية منذ الفتح العربي حتى الغزو الإيطالي**، تر.مُحَمَّد عبد الكريم الوافي، ط3، بنغازي، منشورات جامعة قار يونس، 1994، ص475.

(3) – إن الشطر الأساسي من الأموال الذي يُجبى من الضرائب في ليبيا كان يذهب إلى تركيا، ويُصرف جانب منه في تمويل الجيش التركي والإدارة في ليبيا. ينظر : نيكولاي إيليتش بروشين، مرجع سابق، ص45.

(4) – تحصل أولاد بوسيف –الذين ينتمون إلى قبيلة مرابطية تتمركز جنوب مزدا– على إعفاءٍ ضريبي. ينظر :

A O M. 16H55, Rapport de M.Delaporte à M.le Duc Decazes ministre des affaires étrangères. Tripoli, le 24 Août 1877.

سنهما سارع أبوهما إلى تزويجهما سنة 1859م[1]، وهذا قبيل وفاته بأشهر، بينما ورد عند الدجاني بأن الزواج تمّ قبل وفاته بعام[2]، وهنأ أبو سيف مقرب الشيخ السنوسي بمناسبة زواج ابنه المهدي، وكان موافقا لذكرى المولد النبوي الشريف، فأصبح العيد عيدين، حيث قال :

وليلة وضع المصطفى حلّ منزلًا ... من النور إذنٌ من جزيل المواهب
فصار لنا عيدان في ليلة معًا ... بوضع الكريم ثم غوث المطيَّب[3]

1-5- صفاته وأخلاقه ومناقبه :

ينتمي مُحَمَّد بن علي السنوسي إلى أسرة شريفة، تربى منذ صغره على الأخلاق الفاضلة، وقد تعلق به كل من رآه أو اتصل به، وحسب المصادر التاريخية لم تصدر منه خطيئة أو حتى ازدراء أو تعزير، ووصفه الأشهب بِ : "الفقيه" و"الإمام" و"الإمام الأعظم" و"المصلح الأكبر"، ونحو ذلك، وتبلورت شخصيه وتميزت كما يلي :

1-5-1- الأصالة والتواضع :

كان الشيخ مُحَمَّد بن علي السنوسي حسن المظهر متمسكا بالعادات والتقاليد العربية على سجية أهل طرابلس الغرب كلباس الجرد[4]، ووُصِف لهاملتون بأنه كان مثل القديس العربي، دقيقًا في فهم الدين، كريمًا، يمتطي جوادا،

---

(1) – تزوج مُحَمَّد المهدي وشقيقه مُحَمَّد الشريف في عام واحد وهو سنة 1859م، وعقد قرانهما على ابنتي السيد عمران بن بركة. ينظر: عبد المالك بن عبد القادر بن علي، مرجع سابق، ص47. وعمومًا، تزوج مُحَمَّد المهدي ثمانية نساء، رُزِق بستة عشرة مولودًا : ثمانية ذكور وثمانية إناث، عاش من الذكور اثنان فقط هما الملك إدريس وأخوه مُحَمَّد رضا ولي العهد الأول والد الحسن الرضا ولي العهد الثاني، ومن الإناث أربعة أميرات هن : صفية ونفيسة وفاطمة وعاتكة التي توفيت قبل زواجها، أما مُحَمَّد الشريف تزوج أربع نساء، وخلّف خمسة ذكور هم : أحمد الشريف، ومُحَمَّد عابد، وعلي الخطابي، ومُحَمَّد هلال ومُحَمَّد صفي الدين، وثلاثة بنات هن : فاطمة وسكينة وعائشة. ينظر : نفسه، ص ص53-55.

(2) – تزوج مُحَمَّد المهدي سنة 1858م. ينظر : أحمد صدقي الدجاني، مرجع سابق، ص173.

(3) – أحمد الحابوني، " **الأغراض الشعرية عند شعراء السنوسية** "، Kastamouni universitesi llahiyat Fakultesi dergisi, cilt: 3, sayi: 1-2, 2019, p77.

(4) – الجرد : اللباس الوطني الليبي، يشبه لباس الرومان قديمًا، عبارة عن قطعة قماش كبيرة 6.4×1.5م، تُنسج من صوف الغنم، وغالبًا ما يكون له أبيض، وقد أطلق عليه اسم"الحولي"،... ينظر : إفالد بانزه، **طرابلس مطلع القرن العشرين في وصف الجغرافي الألماني إفالد بانزه**، دراسة وتر.عماد الدين غانم، ج ع ل ش إ ع، منشورات م ج ل د ت سلسلة نصوص ووثائق (26)، 1997، ص ص78-90.

يكحل عينيه، ويصبغ يديه ولحيته بالحناء[1]، ونضيف إلى ذلك "العكاز" الذي يعتبر رمزًا للبركة والتشريف والمقام الرفيع، حيث لا يفارق أبدًا الصلحاء[2]، ولا يمكن تصور شيخًا بدونه.

والتواضع خصال العلماء مهما بلغت مراتبهم، وهذا ما تميز به الشيخ السنوسي رغم مكانته الرفيعة في مجتمعه وغزارة علمه، لأنه يدرك أن الإنسان مصيره الموت، وينبغي أن يكون هدفه في الحياة رضى الرحمن لا غير، وفي هذا المجال نظم يقول :

هب أني علمت الكيمياء ونلتها ... وانتقيتها صيفا وأتقنتها صنعا
ولخصت تيسيرا للكواكب كلها ... ببحثي وتدقيقي ونلت بها مسعى
وملكت أموال البرايا بأمرها ... وجلت البلدان أصفهان إلى صنعا
أليس مصيري بعد ذلك كله ... إلى تحت التراب في حالة شنعا؟
فقل للذي يسعى ويصبح همه ... بغير رضى الرحمن يا خيبة المسعى[3]

1-5-2- الزهد :

كان الشيخ السنوسي إنسانًا بسيطًا، عفيفًا، زاهدًا في الدنيا، يزدري الحياة غير مكترثٍ لملذاتها، حيث وصفه الصلابي : "كان ابن السنوسي زاهداً في الدنيا، راغباً في الآخرة، حريصا على دعوة الناس للحق، ولم يحرص على جمع الأموال وحطام الدنيا الفاني ..."[4]، ولخَّص السنوسي طبعه – بنفسه – في أبياتٍ شعريةٍ، فقال :

ألا إنما الدنيا غضارة أيكة ... إذا أخضر منها جانب جف جانب
هي الدار ما الآمال إلا فجائع ... علينا ولا اللذات إلا العطايب
وما لذة الأولاد والمال والمنى ... لدنيا ولا الأموال إلا المصائب
فلا تكتحل عيناك يوما بعبرة ... على ذاهب منها فإنك ذاهب[5]

---

(1) – James Hamilton, **Wanderings in north Africa**, **London**, **John Murray**.**Albemarle street**, 1856, p 268.

(2) - زين الدين مُحَمَّد عبد الرؤوف المناوي، **الكواكب الدرية في تراجم السادة الصوفية**، تق. وتعل. أحمد فريد المزيري، بيروت.لبنان، دار الكتب العلمية، 1971، ج2، ص68.

(3) – مُحَمَّد بن علي السنوسي، **شفاء الصدر بأربي المسائل العشر من درر الفقه المالكي**، مرجع سابق، ص16.

(4) - علي مُحَمَّد الصلابي، **تاريخ الحرَكَة السَّنُوسيَّة في أفريقيا**، مرجع سابق، ص146.

(5) - نفسه، ص146.

1-5-3- التقوى :

تعتبر التقوى من أهم خصال السنوسي التي تميز بها. وشدة التعلق بالله ﷻ والورع والتقوى تعد من أبرز مسالك العلم عند الله ﷻ، وساق الغزالي كثيرا من شواهد الشرع على صحة هذا المسلك الذي هو طريق أهل التصوف في اكتساب المعرفة، منها قوله تعالى : ﴿ وَمَنْ يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝2 وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ۚ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمْرِهِۦ ۚ قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَىْءٍ قَدْرًا ﴾[1]، أي مخرجًا من الإشكالات والشبه، ومعنى يرزقه من حيث لا يحتسب : يعلمه علمًا من غير تعلم، ويؤكد الغزالي بأن هذا هو العلم الباطن الذي هو سر من أسرار الله تعالى، يقذفه في قلوب أحبابه، ولم يطلع عليه ملك ولا بشر[2]، وهو ما كان يسعي إليه الشيخ السنوسي دومًا.

والتقوى والعبادة متلازمتان، وهما من علامات المؤمن التقي الورع، وفي هذا المجال قال هاملتون بأن الشيخ السنوسي يصلي خمسين ركعة في اليوم، ويصوم في مناسبات معينة وهي : شعبان، و27 رجب بمناسبة الإسراء والمعراج، و9 ذي الحجة.

1-5-4- العلم :

يُصنف الشيخ السنوسي من جهابذة العلماء في عصره، وشملت معرفته مختلف العلوم العقلية والنقلية وقد برع فيها، الأمر الذي أهله أن يتبوأ مكانة الأستاذية في جامع القرويين والأزهر وفي مكة والمدينة المنورة، وبعدها طبعًا في معهد الجغبوب، ومصنفاته ورسائله التي تركها تبين مكانته العلمية المرموقة، وكما هو معلوم يعد العلم الإرث الحقيقي للعلماء كما أكد ذلك ابن قيم الجوزية الذي قال في هذا الصدد: "فإن العلماء هم ورثة الأنبياء لم يورثوا دينارا ولا درهما، وإنما ورثوا العلم، فمن أخذه أخذ بحظ وافر"[3].

وإضافة إلى العلم كان قوي الحجة، والقدرة على الإقناع والمناظرة، كما اتصف بصفات الدعاة الربانيين، من الصدق والإخلاص، والدعوة إلى الله على بصيرة.

---

[1] – سورة الطلاق : الآيتين 2، 3.

[2] – أبو حامد الغزالي، **إحياء علوم الدين**، تق.بدوي طبانة، دب، مكتبة ومطبعة كرياطة فوترا، دت، ج1، ص36.

[3] – ابن قيم الجوزية، **إعلام الموقعين عن رب العالمين**، تق. وتع.أبو عبيدة مشهور بن حسين آل سليمان، ط1، الرياض.الملكة العربية السعودية، دار ابن الجوزي، 1423، مج2، ص11.

أصبح الشيخ السنوسي عالما جليلًا، مجددًا[1] ومجتهدًا، يشد الطلاب الرحال إليه للاستزادة من علمه، وأصبح الجغبوب بذلك صرحًا علميًا كبيرًا، ومنارةً للعلم ومجمعًا للعلماء، في حين كان العالم الإسلامي مصابًا بالجذب العلمي والشلل الفكري، وسيطر عليه التقليد والنقل والاقتصار على المختصرات والحواشي.

وفي هذا المجال، مدح السيد صالح الجعفري الشيخ السنوسي في قصيدةٍ عصماءٍ، منوهًا بعلمه، رغم مرور السنين بعد وفاته، فقال :

ابن الشفيع آت بمكة فاهتـــــدى	لغيوث علمك لم يكن بالقافل
وكذا عبد العال جاءك راحـــــلا	يا بحر علم زاخر متكامـــــل
قلته علما بديعا محكما	أمم أتته بحبها بقوافـــــــل
يا ابن السنوسي الذي سعدت به	أمم أتته بحبها بقوافل
فسقاهم صافي الشراب معطرا	زهدوا الحطام وكل أمر زائل[2]

ومما زاد من نبوغ السنوسي ذكاؤه وتواضعه وحرصه على مجالسة العلماء والأدباء منذ صغره، إلى أن شَبَّ على تلك الأخلاق الفاضلة، لذلك برع في علوم الدين أبرزها التفقه في الدين الذي أوصانا به الرسول ﷺ[3]، حيث كان على دراية بالمذاهب الأربعة بل تعداها إلى المذاهب المنقرضة كالثوري والأوزاعي وغيرهما.

1-5-5- الفراسة :

الفراسة عبارة عن الاستدلال بالأحوال الظاهرة على الأخلاق الباطنة، والدليل من الكتاب قوله تعالى : ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ ﴾[4]، وقد أفرد ابن القيم للفراسة منزلة من منازل ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾[5]، في كتابه : مدارج السالكين.

---

[1] – اعتبر الحشائشي الشيخ السنوسي من المجددين على رأس المائة الثالثة عشر. ينظر : مُحَمَّد بن عثمان الحشائشي، مرجع سابق، ص153.

[2] – مجهول، **الأوراد السّنوسية لسيدي الإمام مُحَمَّد بن علي السنوسي** ﷺ، القاهرة، دار جوامع الكلم، 2009، ص24.

[3] - قال الرسول ﷺ : ((مَنْ يُرِدْ اللهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ))، حديث صحيح. ينظر : أبو عيسى الترمذي، مرجع سابق، مج4، ص27.

[4] – سورة الحجر : الآية 75.

[5] – سورة الفاتحة : الآية 4.

لقد منح الله تعالى الشيخ السنوسي فطنةً ونباهةً وفراسةً، يمكن أن نسميها كرامات، وقد ظهرت وتجلت في عدة مناسبات نوردها كما يلي :

كان السنوسي- بخلاف الغالب على مشايخ الطرق الصوفية - خبيرًا بأحوال السياسة العالمية، وقد صرح لأتباعه بأن النابلطان[1] أي الإيطاليين مغيرون لا محالة على برقة في يوم ما[2]، حيث قال للإخوان أثناء بناء الزاوية البيضاء : « إن الأفرنج سيأتون يومًا إلى هناك ويهدمون قبة الصحابي سيدي رافع ﷺ ويربطون خيولهم في مسجد الزاوية البيضاء، ويأخذون حجرًا من بنيان البيضاء قديمًا منحوتًا مكتوبًا عليه عبارات لاتينية »[3]، وهو ما تحقق مستقبلًا[4].

وفي الحجاز عقب زيارة أم الأمير عباس للسنوسي، دعى لابنها وتنبأ أن يحكم مصر، وفعلًا قدر الله تعالى وفاة مُحَمَّد علي وإبراهيم في سنة واحدة وهي سنة 1848م، وخلى العرش للأمير[5]، وتحققت بذلك نبؤة السنوسي، مما جعل الأمير يبني له زاوية بالقاهرة تكريما له، لكنه رفضها[6]، وأرجع المؤرخون ذلك إلى زهده ونفوره من الحكام إلى درجة رفض هداياهم[7].

وأثناء بناء الزاوية البيضاء، جُرح السيد أبو سيف مقرب جرحًا بليغًا في رأسه حتى كاد أن يهلك، وبعد أن عالجه الشيخ السنوسي بتضميد رأسه بقطعة من عمامته، قال له بأن رأسه سيُملأ بالعلم والحكمة، وفعلا أصبح بعدها أحد أكبر أساتذة الجغبوب، وأشهرهم أدبًا وعلمًا، وقد انتفع منه خلق كثير[8].

---

[1] – النابلطان هم أهل نابولي، ينظر : مُحَمَّد فؤاد شكري، مرجع سابق، ص31.

[2] – عباس محمود العقاد، **الإسلام في القرن العشرين حاضره ومستقبله**، صيدا.بيروت، منشورات المكتبة العصرية، 1979، ص88.

[3] – مُحَمَّد فؤاد شكري، مرجع سابق، ص31.

[4] – يذكر الأمير شكيب أرسلان أن المعمرين الذين سمعوا هذا الكلام رأوا مصداقه كله في آخر حياتهم. ينظر : نفسه، ص31.

[5] - أحمد صدقي الدجاني، مرجع سابق، ص ص97، 98.

[6] - ظل الأمير عباس يشيد الزاوية لمدة عام ونصف، وبالغ في زخرفتها لتكون فريدة من نوعها، واقتطع لها ثلاثمائة فدانًا كوقفٍ، لكن قام خلفه سعيد باشا فيما بعد بهدمها، وحولها إلى أرض أميرية ملكًا للدولة. ينظر : عبد المالك بن عبد القادر بن علي، مرجع سابق، ص37.

[7] - رفض هدية أم عباس بالطائف، وهي صرة مملوءة بالذهب. ينظر : أحمد صدقي الدجاني، مرجع سابق، ص97.

[8] – مُحَمَّد الطيب الأشهب، **برقة العربية أمس واليوم**، مرجع سابق، ص153.

وأكبر فراسة تلك التي تنبأ بها لولديه، فقال : « للمهدي السيف وللشريف القلم »، وقد صدق في ذلك لأن مُحَمَّد المهدي اشتهر بالجهاد في سبيل الله ضد الاستعمار الفرنسي خاصة في السودان الأوسط، وأصبح مُحَمَّد الشريف من كبار أساتذة الجغبوب وأوسعهم علمًا.

1-5-6- تقديس العمل :

كان الشيخ السنوسي يحث الإخوان دائما على العمل، ويشجع طلابه على الاشتغال بكل الحِرَف وإتقانها مثل البناء والنجارة والحدادة والنسيج وغيرها، وقد خُصِّص يوم الخميس من كل أسبوع من أجل ذلك[1].

إن أبرز ما يميز الطريقة السنوسية حب العمل والكسب بعرق الجبين، وهذا عكس ما عُرِف على الطرق الصوفية التي تعتمد على التواكل والكسل وانتظار الأقوات من عند الله، لذلك عادة ما يشترط في المنتسبين إليها – أي السنوسية – معرفة أصول التجارة التي تعتبر أهم الأعمال المحببة، إضافة إلى الزراعة وصناعة السلاح، وهذه الأعمال أعطت قوة وهيبة للسنوسيين دينيًا وسياسيًا واقتصاديًا وعسكريًا في الفيافي والصحاري الإفريقية.

1-5-7- الجهاد :

الجهاد من أعظم العبادات في الإسلام، وهو من أبرز سمات الحركة السنوسية، لذلك لم ينس الشيخ السنوسي وطنه الجزائر، حيث أراد مساعدته في محنته عندما وقع فريسة للاستعمار الفرنسي، ومما يدل على حنكته ومدى اطلاعه على السياسة أنه استغل الفوضى والاضطرابات التي وقعت فيها فرنسا عقب ثورة 1848م وبعث تلميذه مُحَمَّد بن عبد الله الذي اتخذ من ورقلة قاعدة للجهاد ضد فرنسا خاصة في الجنوب الشرقي الجزائري، وظل ينسق معه كما يوضحه خطاب مرسل من الجزائر إلى مدير غدامس بتاريخ 6 جمادي الثاني 1268هـ[2].

---

[1] – أحمد صدقي الدجاني، مرجع سابق، ص193.

[2] – الخطاب مرسل من الشريف عبد الله إلى مدير غدامس الحاج موسى آغا جاء فيه بعد السلام : " ... وأما أنا عبد الله حين قدمت إلى بلاد وارقلة ففتح الله علينا بها وصارت مُحَمَّدية بعدما كانت في يد الرومي دمره الله ... سبحان من حكّم الضعيف في القوي وصار القوي من عباده مخذولًا مذمومًا لكن من بركة الشريف شيخنا سيدي مُحَمَّد السنوسي ﷺ ونفعنا وإياكم به آمين. وصاروا عربان وارقلة وقصورها وقبائل الشعامبة[كذا]وقصور تغورت وعربانها والأرباع الخرزلية والحجاج وكثير من عربان الظهرة وقصور بني مصاب[كذا]كلهم تحت طاعة الله ورسوله وطاعتنا ... ". ينظر : أحمد صدقي الدجاني، مرجع سابق، ص ص295، 296.

1-5-8- العفو والصفح :

للشيخ السنوسي مواقفٌ كثيرةٌ أثبتت سماحته مع الناس، منها ما ذكره حفيده أحمد الشريف أن رجلا من الطريقة الدرقاوية أساء الأدب مع جده في سيوة، وهمَّ الإخوان إلى النيل منه، لكن الشيخ السنوسي لم تأخذه العزة بالإثم، وأمرهم بتركه، فاختفى الرجل وذهب بعيدًا يرتعد خوفًا، ورأينا أيضًا -كما مرّ معنا- كيف أصفح وسامح أبناء عمه في الجزائر، كما أنه لم يرد على الشيخ عليش الذي اتهمه بالمروق والكفر، بل عفى عنه وسامحه[1].

وقد حاول كثير من الأوروبيين تشويه صورة السنوسي، وتأليب الناس عليه، وأبرزهم دوفيري الذي ادعى أن السنوسي يحرم الكلام مع النصراني واليهودي أو التجارة معهما أو حتى تحيتهما[2]، وهذا غير صحيح، بل هي افتراءات تدخل في إطار المناورات للنيل من السنوسية التي وقفت بكل حزم ضد الأطماع الفرنسية في أفريقيا.

وإذا أردنا أن نحصي مناقب الشيخ السنوسي فهي كثيرة يصعب حصرها، وهذا ما عبَّر عنه أحد الإخوان وهو السيد أحمد الطائفي سنة 1264هـ في قصيدة بعثها من درنة، حينما اشتاق لأستاذه وهو بالحجاز، فقال :

ابن السنوسي المعظم قـــدره ... من خص بالأسرار والعرفـــان
أكرم به من سيد ذي سـؤدد ... ومناقب جلت عن التبيـــان
لم استطع تعداد بعض صفاته ... ولو استطعت لكل عنها بياني[3]

ولا نستطيع أن نفي السنوسي حقه مهما عددنا خصاله، وقد قيل في هذا الشأن :

ولو أن ما بين الثريا إلى الثرى ... صحائف والكتاب عرب وأعجام
وراموا بان يحصوا جميل صفاته ... لما بلغوا معشار عشر الذي راموا[4]

1-6- وفاتـــــه :

توفي الشيخ مُحَمَّد بن علي السنوسي يوم الأربعاء 9 صفر 1276هـ الموافق لِ : 7 سبتمبر 1859م، ودُفن بالجغبوب يوم الجمعة، وبهذه المناسبة الأليمة اشتهر الشيخ عبد الرحيم المحبوب بمرثيته والتي مطلعها :

---

[1] – مُحَمَّد الطيب الأشهب، **السنوسي الكبير عرض وتحليل لدعامة حركة الإصلاح السنوسي**، مرجع سابق، ص16.

[2]- Henri Duveyrier, op.cit, p 7.

[3] – مُحَمَّد الطيب الأشهب، **برقة العربية أمس واليوم**، مرجع سابق، ص168.

[4] – نفسه، ص175.

ما بال عينيك لا بالنوم تكتحل ودمعها لا يزال اليوم ينهمل[1]

وكعادة المتصوفة فإن ذلك الحدث ارتبط بأمر عظيم كنوع من الكرامة، وهذا ما صرح به بالضبط حفيده أحمد الشريف، حيث أكد أن شعل من الشهب – والمراد بها ذوات الأذناب – ظهرت بقدرة الله تعالى في شهر صفر، وزعم الحكماء أن ذلك لا يحدث إلا عندما يكون هناك حدث عظيم[2]، وقد وصفه الشاعر عبد الرحيم المحبوب قائلا :

واظلم البدر اشعارا بأن له منه اقتباسا ومن فقدانه وجل
وامست الشهب من جل الذي علمت من بينه وعلى أذنابها شعل[3]

وفي الكلمة التأبينية التي ألقاها السيد عمران بن بركة، أكد فيها بعد البسملة بأن الموت حق على كل إنسان، لكنه بالغ كثيرا عندما استبعد أن يأتي شخص آخر مثل السنوسي، وربما صرح بذلك لشدة تعلقه به، واستطرد واصفًا أستاذه بعدة ألقاب مثل "حافظ العصر"، و"القطب"، و"شيخ الإسلام"، و"خاتمة الأعلام"، و"خلاصة الدهر"، و"المتبرك به شرقا وغربا"[4]، وتعظيمًا لشأنه ظل الإخوان يقرؤون القرآن الكريم ليلًا نهارًا، مدة أربعين يومًا بعد وفاته.

وعندما توفي الشيخ السنوسي ترك ثلاثة أرامل وهن : خديجة الحبشية وقد توفيت بالمدينة، وفاطمة بنت فرج الله الفيتوري والدة المهدي والشريف وقد توفيت بالجغبوب، والثالثة هي فاطمة البسكرية وتوفيت بالجغبوب أيضًا[5].

ووصف الحشائشي ضريح السنوسي، بأنه عبارة عن تابوت مغطى برداءٍ من الحرير، منقوشٌ عليه آيات قرآنية، وفوق القبر لوح كُتِبت فيه بيتان من الشعر هذا نصهما :

هذا الحمى روضة بالفضل منضورة صارت بنجل رسول الله مشهــورة

---

[1] – ينظر : الملحق رقم 2، ص407.

[2] – أحمد الشريف السنوسي، **الدُّر الفريد الوهاج بالرحلة المنيرة من الجغبوب إلى التاج**، مرجع سابق، مخ.

[3] – عبد الرحيم المحبوب، **مرثية في مُحَمَّد بن علي السنوسي (المتوفي 1276هـ)**، رقم: 1256، المكتبة المصور عنها المخطوط ورقمه : روضة خيري بمصر 162، جامعة الإمام مُحَمَّد بن سعود الإسلامية، المملكة العربية السعودية، مخ.

[4] – أحمد صدقي الدجاني، مرجع سابق، ص ص124- 129.

[5] – عبد المالك بن عبد القادر بن علي، مرجع سابق، ص48.

سرت بسوسنا المهدي أرخـــــه على السنوسي شمير اليمن مقصورة[1]

ووصف السيد عبد الرحيم المحبوب حالة الحزن الشديد التي خيمت على الإخوان والجغبوب بعد وفاة الشيخ السنوسي، فقال :

وادي الجغايب كم تاهت رباك عـلى خصر الرياض وكم قد حفها جذل
وعطرت بشذاها الجو باسمة وجناها العلم والعمل
وأشرقت بسنى الأنوار مائدة طوع النسيم حكاها الشارب النسل
وجدت العيس والنجب الجياد غدت إليك شاحبة ما شابها ملل
وكم دعى الشوق أشواقا وهاجمهم شجوا لذكرك لم ترقا لهم مقل
يا للوفد وللزوار قد بلغوا منك المنى بعد ما حلو وقد رحلوا[2]

ورثاه أيضًا شاعر ليبيا أحمد رفيق المهدوي[3] عام 1956م، بمناسبة مرور مائة عام على وفاته، قائلًا :

خلدوا ذكرى إمام المصلحين سيدا المجتهدين العارفين
الإمام، ابن السنوسي، الذي فاق صنف العلماء العاملين
عبقري قد تسمى للعلا بجلال العلم والدين المتين
وبإصلاح ترى آثاره لم تزل تهد على مر السنين
نشر الدين بعزم صارم وجهاد كجهاد المرسلين
وهدى قوما على غير هدى بين جهل وضلال عائشين[4]

وكغيره من الأولياء عندما يتوفون، بُنِيت فوق قبره قبةً، وأصبح ضريحه مقصدًا للزيارة، ومقامًا للتبرك والاستغاثة والتوسل، يأتيه الناس من كل مكان ومن القفار البعيدة، وذكر حفيده أنه صادف أثناء الرحلة إلى الكفرة وفدًا من مكان اسمه الزيتون يقع على بعد أربعة كلم من الجغبوب، متجهًا للزيارة والتبرك، وهذه هي عادة ذوي العقول الساذجة.

---

[1] – مُحَمَّد بن عثمان الحشائشي، مرجع سابق، ص154.

[2] – مُحَمَّد الطيب الأشهب، **السنوسي الكبير عرض وتحليل لدعامة حركة الإصلاح السنوسي**، مرجع سابق، ص54.

[3] – أحمد رفيق المهدوي البرقاوي : شاعر ليبي، ولد سنة 1898م في قرية "فساطو" بجبل نفوسة، تعلم بالإسكندرية، وتوفي عام 1961م. ينظر : خير الدين الزركلي، مرجع سابق، ج1، ص126.

[4] – علي مُحَمَّد الصلابي، **تَاريخ الحرَكَة السَّنُوسيَّة في أفريقيا**، مرجع سابق، ص152.

وعند تتبع مسيرة مُحَمَّد بن على السنوسي، نلاحظ أنه أفنى عمره في العلم والتعلم، والكسب الحلال، والإنفاق والإحسان، والزهد في الحياة، ولعمري لقد كان مدركًا لحديث رسول الله : ((لا تزال قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن أربع : عن علم ما عمل فيه، وعن عمره فيم أفناه، وعن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه، وعن جسده فيم أبلاه)).

1-7- خلفاؤه :

ترك الشيخ السنوسي عدة أبناء وأحفاد كوَّنُوا أسرة آل السنوسي الحاكمة في ليبيا[1]، وخلفاؤه في رئاسة الحركة ثلاثة : الخليفة الأول مُحَمَّد المهدي، والثاني أحمد الشريف، والثالث الأمير مُحَمَّد إدريس، وأفردنا للخليفة الأول والثاني دراسة مستفيضة، بينما لم نتطرق للثالث تقَيُّدًا بالإطار الزماني للأطروحة.

1-7-1- مُحَمَّد المهدي السنوسي :

إنه الخليفة الأول للحركة السنوسية من سنة 1859 إلى غاية 1902م، وقد كان صغير السن لم يتجاوز خمس عشرة سنة عقب وفاة أبيه، لذلك أُوكِل التنظيم في البداية إلى مجلس وصاية، ضم عشرة شيخا مهمتهم تسيير الحركة إلى أن يبلغ مُحَمَّد المهدي سن الرشد[2]، ورغم ذلك تمت مبايعته قبل ذلك من طرف الإخوان، يتقدمهم عمران بن بركة الذي ألقى خطبة تأبين شيخه السنوسي الكبير، جاء فيها : « ... وأن تجعل تأييد الدين وتمامه على لسان ويد نجله الطاهر وفرعه الزاهر ووارثه الباهر سيدي ومولاي سيدي مُحَمَّد المهدي ... »[3].

وفي الحقيقة كان والده قد هيأه لهذا المنصب في حياته، ولمح إليه كم من مرة وفي عدة مناسبات، منها أنه ألبسه السيف وقدّمه لإمامة الصلاة، وبعدها أوقفه وألبسه جردًا، وأفرغ في يده سبحة، أعقبتها مصافحة من الإخوان[4]، فكان ذلك نوع من المبايعة للمهدي على الخلافة، وأدرك الإخوان ذلك. ويروي المؤرخ الدجاني قصة على لسان ستودارد – قال بأنه لم يجد لها أصلًا – وهي أن السنوسي أراد أن يختبر شجاعة ولديه، فدعاهما إليه وأمرهما بأن يتسلقا نخلة باسقة، فلما بلغا عاليها استحلفهما أن يهويا إلى الأرض، ففعل المهدي ذلك سالمًا،

---

(1) – ينظر : الملحق رقم 3، ص408.

(2) – صالح كرار، مرجع سابق، ص60.

(3) – أحمد صدقي الدجاني، مرجع سابق، ص173.

(4) – مُحَمَّد فؤاد شكري، مرجع سابق، ص55.

ولبث الآخر في عالي النخلة، فقال السنوسي للإخوان : « ... الخلافة من بعدي إنما هي لولدي هذا المهدي ... »[1]، وعندما سألهم عن رأيهم أجابوا بالقبول ورضاهم بخلافة كل من هو من صلب السنوسي، وقد دعا حينها بأن يعمر الله المكان بأبنائه من بعده إلى يوم القيامة[2]، ومنذ ذلك الحين طبقت السنوسية مبدأ الوراثة للإبن الأكبر سنا في العائلة، كما طبقت أيضا مبدأ الشورى وذلك بأخذ رأي الإخوان.

وكان مُحَمَّد المهدي نبيهًا منذ صغره، فقد حفظ القرآن الكريم في سن الرابعة عشرة وقيل في الثامنة، وتعلم أولًا عن والده عدة علوم أبرزها التفسير والتصوف، ثم درس علومًا أخرى عن شيوخ فضلاء وعلماء جهابذة جميعهم من المغرب العربي، مثل الحافظ سيدي مدين، والصفاقسي، وأحمد الريفي، وأحمد الغماري، والمدني بن مصطفى بن أحمد التلمساني، وعبد المولى التونسي، وعمران بن بركة.

وقد ورث عن أبيه الحزم والشجاعة، وحب الجهاد في سبيل الله، وإعلاء راية الإسلام ومحاربة الكفار، وتحققت بذلك فراسة أبيه فيه، وتميز أيضًا بحسن الخَلْق والخُلُق، ووصفه الحشائشي قائلًا : « ... مُحَمَّد المهدي المشهور بالبدر لجماله ... فهو أبيض اللون ... أحور ذو شعر كثيف بذراعيه، بوسط لحيته شيب، أقنى الأنف»[3]، وذكر بعض لباسه منها شاشية وعراقية تونسيتين، وعمامة بيضاء وبرنس من الجريد، ونعله من قابس، وأضاف بأنه لا يلبس الحرير تورعا ... [4]، وأكّد بأن له مائتي عبدًا مسخرين لخدمة الزوار، وطعامه الأرز ولحم البعير والعيش الشبيه بالعصيدة[5].

وكان مُحَمَّد المهدي ذي حلم وعلم وزهد، كثير العبادات، يقوم الليل ولا ينام إلا بضعة ساعات، رؤوفًا بالعباد، ذي شفقة ورحمة، ولا يقابل أحدًا بما يكره، واتصف أيضًا بالمروءة، فكان خير خلف لأبيه، ومدحه الشعراء وأثنوا على خصاله منهم الأمير شكيب أرسلان الذي عدّد مناقبه وصفاته – ولو بمبالغة – في قصيدة، جاء فيها :

هل ترى ينتهي إليه الثناء ... سيد ينتهي إليه السناء
وتؤدى له البلاغة حقا ... ويوفى أخباره الإنشاء

---

[1] – أحمد صدقي الدجاني، مرجع سابق، ص172.

[2] – نفسه، ص123.

[3] – مُحَمَّد بن عثمان الحشائشي، مرجع سابق، ص ص184، 185.

[4] – نفسه، ص ص184، 185.

[5] – نفسه، ص ص184، 185.

ويجلى القريض صورة معناه ولو بالشعرى أتى الشعراء
قد كفانا وصفه انه المهدي مذ قد تجلت الأسماء
نجل قطب قد كان في الشرق والغرب سراجا بنوره يستضاء
هو بحر الشريعة ابن السنوسي الذي عنه سارت الأنبياء[1]

ولمحمد المهدي كرامات؛ منها ما رواه قائمقام جالو بأنه انقده مع رفاقه من الموت، بسبب العطش عقب تيههم في الصحراء، حيث أرسل إليهم قافلة محملة بالماء، وهذا بعد أن رأى حالهم في المنام في تلك الليلة يطلبون النجدة[2]، وبفضل مثل هذه الكرامة كان البدو يتهافتون لأخذ "البركة" منه، وذلك بتقبيل يده، تمامًا مثل أبيه.

وساهم مُحَمَّد المهدي في توطيد دعائم الحركة السنوسية بواسطة القرارات والاجتماعات الحاسمة[3]، وكان يترأس بنفسه اجتماعات "مجلس المقدمين" للزوايا السنوسية في الجبل الأخضر، وهذا ما رصدته القنصلية الفرنسية العامة في اجتماع له ببنغازي، بتاريخ 21 نوفمبر 1878م[4].

وفيما يتعلق بعلاقته بالدولة العثمانية ظل مُحَمَّد المهدي محافظا على نهج أبيه، أي مهادنتها واعتبارها مقر الخلافة ودار الإسلام، لذلك كان يرى وجوب تقديم فروض الطاعة، ويذكر الدجاني أن أباه أوصاه بذلك، لذلك كانت العلاقات متميزة جدا بين مُحَمَّد المهدي والسلطان عبد الحميد الثاني، وعبَّر كل واحد منهما عن الود والتقارب بتبادل الهدايا الثمينة[5]، وعند زيارة الصادق بك المؤيد ياور السلطان الكفرة، مدح مُحَمَّد المهدي في قصيدة جاء فيها :

ملك ملوك الأرض مذ كان في المهد توالت هداياه على السيد المهدي
هدايا عظيم أهديت لمعظم فمن هو كالهدي إليه وكالمهدي
كعبد الحميد المليك يحمي حماة من؟ وكالسيد المهدي فمن هدية يهدي؟
يجوب الفيافي لا يميل إلى الكرب حليف السرى يهوي مواصلة المهدي

---

(1) – مُحَمَّد عبد المنعم خفاجي، **قصة الأدب في ليبيا العربية**، ط1، بيروت، دار الجيل، 1992، ص ص201، 202.

(2) – أحمد مُحَمَّد حسنين، مرجع سابق، ص105.

(3) – ينظر : الملحق رقم 4، ص409.

(4) – ينظر : الملحق رقم 5، ص410.

(5) – من بين الهدايا التي أرسلها مُحَمَّد المهدي سبحةً وبرنوسًا من الجوخ وجبةً من الحرير، وفي المقابل أرسل السلطان عبد الحميد كتبًا وهدايا أخرى. ينظر : مُحَمَّد الطيب الأشهب، **برقة العربية أمس واليوم**، مرجع سابق، ص231.

يرى الصعب سهلا والمتاعب راحة وبعد المدى قربا ومامر كالشهد
فحل رحاب الفضل بالرحب وأثنى بحسن الثنا المأثور عن صادق العهد[1]

وتحصلت الحركة السنوسية على فرمانين جديدين خاصين بالإعفاء الضريبي عامي 1860 و1866م، وفرمان ثالث عام 1886م في عهد السلطان عبد الحميد والذي يؤكد ما جاء في الفرمانين السابقين[2]، والغريب رغم أهمية الفرمانات، فإنه لم يعثر المؤرخون على نسخ منها[3]، لذلك تُدرج في عداد الوثائق الضائعة.

وفي عهد مُحَمَّد المهدي ازدادت الحركة السنوسية اتساعا ووصلت إلى أقصاها شرقًا وغربًا، ويعود الفضل إليه أيضا في انتشارها جنوبًا وتمتين نفوذها هناك، وكانت البداية بنقل المقر إلى التاج بالكفرة[4] عام 1895م، ثم إلى قرو بتشاد مرة أخرى، وكان هدفه الأساسي الجهاد في سبيل الله، وذلك بمحاربة الاستعمار الفرنسي الذي تغلغل في أفريقيا جنوب الصحراء في نهاية القرن التاسع عشر وأصبح على التماس مع السنوسية، وكانت الحركة السنوسية تمثل قوةً كبيرةً في عهد مُحَمَّد المهدي، ومما يؤكد ذلك تصريح السلطان عبد الحميد في مذكراته السياسية بأنها تستطيع جمع ثلاثين ألفًا من الرجال.

توفي مُحَمَّد المهدي في 2 جوان 1902م في زاوية قرو بتشاد، وبأمر من السيد أحمد الريفي نقل جثمانه إلى الكفرة ودفن بزاوية التاج، وكانت لوفاته وقعٌ كبيرٌ على الإخوان، وقد رثاه أحمد بن إدريس الأشهب قائلًا :

سرى كوكب المجد الرفيع سناؤه إلى الأفق العالي علينا سماؤه
ومنها وسار مسير الشمس في أفق العلا ولكنها في الفضل تجري وراؤه

---

[1] – مُحَمَّد الطيب الأشهب، **برقة العربية أمس واليوم**، مرجع سابق، ص ص230، 231.

[2] – أرسل مُحَمَّد المهدي الشيخ أبي القاسم العيساوي إلى اسطنبول وتحصل على فرمان الإعفاء الضريبي وهذا عام 1860م، وبعد وفاة السلطان عبد المجيد أوفد الشيخ عبد الرحيم المحبوب شيخ زاوية بنغازي وتحصل على فرمان من السلطان عبد العزيز عام 1866م يؤكد ما جاء في الفرمان الأول. ينظر : مركز د ج ل ض غ إ، **الوثائق الإيطالية المجموعة الأولى**، تر.شمس الدين عرابي بن عمران، وإع.سالم الشريف الفرجاني، ج ع ل ش إ ع، د د ن، 1989، ص106.

[3] – عثر الدجاني في دار المحفوظات بطرابلس على صورة بيورولدي (مرسوم ولائي) مؤرخ سنة 1287هـ صدر في حق السيد المهدي السنوسي أشار إلى فرمان مرسل من والي الولاية حالت باشا إلى متصرف الجبل. ينظر : أحمد صدقي الدجاني، مرجع سابق، ص ص105، 106.

[4] – الكفرة : تقع على بعد حوالي ستمائة كيلومترا في اتجاه الجنوب، وكانت تسمى كبابو في القديم، والقرية الرئيسية فيها هي الجوف. ينظر : روزيتا فوربس، مرجع سابق، ص47.

وسار مسير البدر عند تمامه وقد كملت أنواره وضياؤه
وسار مسير الصالحين من الورى وكان بأنواع النعيم جزاؤه

إلى أن يقول :

ومن عجب نقل لجسم منعم إلى جهة فيها أريد بقاؤه
فسبحان من أبداه للناس رحمه وأودعه من علمه ما يشاؤه
فما هو إلا للخلائق رحمة وما هو إلا للمريض شفاؤه[1]

1-7-2- أحمد الشريف السنوسي :

ولد أحمد الشريف بالجغبوب سنة 1873م حسب اتفاق المؤرخين[2]، وهو حفيد الشيخ مُحَمَّد بن علي السنوسي، وأرى أن هذا التاريخ غير منطقي نظرا لتاريخ زواج أبيه مُحَمَّد الشريف الذي كان عام 1859م، وأرجح أنه ولد قبل هذا التاريخ باعتباره الابن البكر، وهذا ما أكده الكتاني الذي حدد تاريخ ولادته عام 1284هـ[3]، وهو ما يوافق تاريخ 1866م.

وتعلّم أحمد الشريف على يد أبيه مُحَمَّد الشريف، والسيد أحمد الريفي، وعمران بن بركة، وتنقل في الرحلة المشهورة مع عمه من الجغبوب إلى الكفرة ثم إلى السودان، وفوجئ خلالها بوفاة أبيه في 27 رمضان 1313هـ[4]، وتكفل حينها عمه مُحَمَّد المهدي بتربيته، بداية من تحفيظه القرآن الكريم والذي أتمه على يد شيوخ الجغبوب خاصة السيد مُحَمَّد بن مصطفى التلمساني، وعادة ما كان يعرض ما يكتبه على اللوح قراءةً أمام عمه، وعندما يجيزه يحفظه أمام الشيخ المدني، ولمحمد المهدي فضلٌ كبيرٌ على ابن أخيه أحمد الشريف، ليس في تعلم وحفظ القرآن فقط بل في تنشئته وتربيته على الشجاعة والمروءة أيضًا، واعترف أحمد الشريف بجميل عمه كثيرًا، وغالبًا ما كان يسميه في مصنفاته ورسائله بِ : "أستاذنا" احترامًا وتقديرًا له. ويعتبر أحمد الشريف السنوسي الخليفة الثاني للحركة السنوسية، وكان ذلك عقب وفاة عمه مُحَمَّد المهدي، حيث اجتمع الإخوان في 19 جوان 1902م بالكفرة

---

[1] – مُحَمَّد الطيب الأشهب، **برقة العربية أمس واليوم**، مرجع سابق، ص248.

[2] – علي مُحَمَّد الصلابي، **تَاريخ الحرَكَة السَّنُوسيَّة في أفريقيا**، مرجع سابق، ص215.

[3] – أكد هذا التاريخ ابن عم السنوسي؛ أحمد بن تكوك المستغانمي الذي زار منزل الكتاني بفاس عام 1334هـ. ينظر : عبد الحي الكتاني، مرجع سابق، ج1، ص208.

[4] – أُتُّخِذ من يوم وفاة مُحَمَّد الشريف السنوسي 27 رمضان 1313هـ ذكرى من كل سنة، تُعقر في كل زاوية الخرز، وتُقدم الصدقات للفقراء والمساكين، وتُقام حفلات تأبين، ويُقرأ القرآن. ينظر : مُحَمَّد الطيب الأشهب، **برقة العربية أمس واليوم**، مرجع سابق، ص223.

وانتخبوه على سجادة الإمامة، ورأى الإخوان فيه الأهلية لتبوأ هذا المنصب لضمان استمرارية حكم العائلة السنوسية، وكان أحمد الشريف قد اكتسب خبرة طويلة باحتكاكه بعمه، أهلته أن يقود الحركة السنوسية بصفة مؤقتة، لأن مُحَمَّد إدريس[1] بن مُحَمَّد المهدي الخليفة الشرعي كان صغيرًا.

وواصل أحمد الشريف الجهاد ضد فرنسا في الصحراء، ثم إيطاليا في الجبل الأخضر، تحت شعار "الجنة تحت ضلال السيوف"، وعُرِف عنه موالاته للدولة العثمانية، وباعتبارها دار الخلافة للمسلمين وجب طاعتها، لذلك عارض الثورة التركية عام 1908م بقيادة جمعية الاتحاد والترقي التي انتهت بخلع السلطان عبد الحميد عام 1909م. وخلال الغزو الإيطالي لليبيا نسق جهوده العسكرية مع الأتراك – رغم خذلانهم –، وبقي مخلصًا لهم، وكوفئ بتعيينه نائب السلطان على طرابلس الغرب وبنغازي[2]، وعُين أيضًا نائب الخليفة وقائد المجاهدين برتبة مشير من الدرجة الأولى، ووزيرًا للسلطان بموجب فرمان مؤرخ في 28 محرم 1337هـ، ومُنح النيشان العثماني المرصع العلي الشأن والباشوية من الدرجة الأولى[3]، وبقي الأتراك يكرمونه إلى درجة أن كمال أتاتورك[4]كان مستعدًا لمبايعته بالخلافة[5]. واشتهر أحمد الشريف السنوسي بغزارة علمه وكثرة تأليفه على غرار جده، وظل طيلة حياته شغوفًا بالعلم ومجالسة العلماء والأدباء، لذلك حلاه الكتاني بالعالم العامل الناسك الرئيس الأنجد، الشهم الغيور الأمجد[6]، ووصفه مصطفى أحمد بن حليم في مذكراته بأنه كان عالما، وتقيًا ورعًا، يحب الجهاد ويتفانى في خدمة الدين، أمّا بخصوص السياسة استطرد قائلًا بأنه لم يكن يجيدها ولا يدرك مكائدها ولا مناوراتها.

---

[1] – ولد بزاوية الجغبوب 12 مارس 1890م، حفظ القرآن على يد أبيه، ثم كفله ابن عمه أحمد الشريف بعد وفاة أبيه، وتعلم ودرس على يد العربي الفاسي وأحمد أبي سيف والسيد العربي الغماري والسيد حسن السنوسي، ودرس علومًا كثيرةً منها التاريخ وتقويم البلدان، وتحصل على إجازات، وانتهى من دور التحصيل وعمره عشرين سنة وذلك في سنة 1909م. ينظر: مُحَمَّد فؤاد شكري، مرجع سابق، ص ص183، 184.

[2] – مُنِح أحمد الشريف لقب "نائب السلطان على طرابلس الغرب وبنغازي" عام 1916م، تقديرًا لمساعيه الجليلة في الحرب. ينظر : أغور أونال وآخرون، **طرابلس الغرب في الوثائق العثمانية**، الكتاب رقم: 125، تر.صالح سعداوي، استانبول، د د ن، 2013، ص576.

[3] – مُحَمَّد الطيب الأشهب، **برقة العربية أمس واليوم**، مرجع سابق، ص321.

[4] – كمال أتاتورك : من أبرز القادة العسكريين الأتراك، تولى قيادة معسكر درنة، وكان تحت إمرة أنور باشا القائد العام لمعسكرات برقة عام 1912م. ينظر : نفسه، ص263.

[5] – جمال باشا، **مذكرات جمال باشا**، إعداد مُحَمَّد السعيدي، ط1، بيروت.لبنان، دار الفارابي، 2013، ص141.

[6] – عبد الحي الكتاني، مرجع سابق، ج2، ص927.

وقد خسر أحمد الشريف السنوسي الحرب التي خاضها ضد الانجليز في الحدود المصرية الغربية، وانتهى به المطاف إلى مغادرة برقة سنة 1918م على متن غواصة ألمانية، واتجه إلى اسطنبول تاركًا القيادة لابن عمه مُحَمَّد إدريس الوريث الشرعي للطريقة السنوسية، وبعد بروز الحركة الكمالية في تركيا رحل إلى الحجاز وتوفي هناك في 11 مارس 1933م، ودفن بالبقيع.

وعلى إثر وفاته، نعاه العلامة ابن باديس في مقال تأبيني جاء فيه : « ... أما الصوفي السني فهو السيد أحمد الشريف السنوسي الذي توفاه الله منذ أشهر بالمدينة المنورة فقد كان على جانب عظيم من التمسك بالكتاب والسنة والتخلق بأخلاق السلف الصالح ... »[1].

2- ظهور الطريقة السنوسية :

2-1- تعريفهـــــــا :

السنوسية دعوة إسلامية وطريقة[2] تصوف وحركة إصلاحية ظهرت في القرن 19م، أسسها الشيخ مُحَمَّد بن علي السنوسي، وسُميت باسمه، وقد عرَّفها الأشهب قائلا : « هي حركة إسلامية عظيمة لها شأنها في العصر الحديث »، وعرَّفها أيضا أحمد حلمي زاده لكن أكثر شمولية فقال : « الطريقة السنوسية هي عبارة عن جمعية مذهبية وطريقة صوفية وسياسية واجتماعية ولو أنها من الناحية السياسية ليس لها أغراض تمردية على الدولة »[3]، أما مُحَمَّد المهدي السنوسي قال عنها : « إن هذا الطريق يقال لها سنوسية إدريسية قادرية ناصرية شاذلية وكلها مرجعها مُحَمَّدية »[4].

---

[1] – عمار طالبي، **آثار ابن باديس مقالات اجتماعية تربوية أخلاقية دينية سياسية**، ط1، الجزائر، الشركة الجزائرية، 1968، مج2، ص48.

[2] - الطريقة كمصطلح هي ذلك المسلك الذي يسلكه الصوفي للوصول إلى الله، والطريقة عند الصوفية إنما هي سفر إلى الله تعالى، ولها معنيين : حسي وهي الخط في الشيء والأخدود في الأرض، ومعنوي وهي الحال والسيرة. ينظر : معدّى الحسيني الحسيني، مرجع سابق، ص520. أما لغويًا : جاء في لسان العرب أن الطريقة هي السيرة، وطريق الرجل مذهبه. ينظر : ابن منظور، **لسان العرب**، بيروت.لبنان، دار صادر، دت، مج10، ص221.

[3] – أحمد صدقي الدجاني، مرجع سابق، ص256.

[4] – أحمد الشريف السنوسي، **الدُّرة الفردية في بيان مبنى الطريقة السنوسية المحمدية**، د ب: الطبعة الحجازية، دت، ص4.

وفي العرف الصوفي، فإن أي طريقة صوفية جديدة لابد لها من أوراد وسلوك وذكر خاص يميزها عن غيرها، إضافة إلى كرامات خارقة، كالفتح الأكبر للتجاني[1] ودلائل الخيرات للجزولي[2] مثلًا، إلا أن هذا لم يحدث للطريقة السنوسية، بل نجدها متأثرة بأحمد بن إدريس أستاذ السنوسي وقدوته، وكل المصادر التاريخية بما فيها مصنفات أحمد الشريف السنوسي تدرج أذكار أحمد بن إدريس على أنها أوراد الطريقة السنوسية، إذ غالبًا ما يعرف أحمد بن إدريس إلى جانب مُحَمَّد بن علي السنوسي في ديباجة المقدمة[3]، لكن ما يميز السنوسية هو أن من تمسك بها مات على حسن الخاتمة غنيًا[4].

والطريقة السنوسية يديرها ويرأسها شيخ الطريقة كعادة الطرق الصوفية، وهذا المنصب وراثي يُسند إلى الابن الأكبر سنًا بناءً على وصية من الشيخ، كما تتم البيعة للوريث الشرعي من طرف الإخوان، وبهذا النظام يضمن الشيخ المؤسس وراثة عقبه له وسيرورة طريقته وبركاته عبر الأجيال.

وما يلاحظ أن اهتمامات السنوسية تجاوزت التصوف إلى مجالات أخرى كالسياسة والاجتماع والاقتصاد وغيرها، لذلك لا يعدها البعض طريقة تصوف بل يعتبرونها "جمعية"[5]، وبالتالي فالسنوسية ليست مذهبًا وإنما أُخوة في الله أو طريقة يتبعها من شاء من المسلمين، ولا يطلب من أتباعها إلا شرط قراءة الفاتحة على العهد[6]، بينما ورد في بعض المراجع وصية للشيخ السنوسي تفرض شرطًا مختلفًا للدخول في الطريقة السنوسية، وهو ترديد أنواع الورد والسر "يا لطيف" ألف مرة[7]، وفي الحقيقة لم أقف إلى ما يشير إلى هذا في مصادرها.

---

[1] – المقصود بالفتح الكبير عند التجانية هو رؤية الشيخ التجاني الرسول ﷺ في قرية أبي سمغون، وكان عمره اذاك حوالي 45 عاما. ينظر : أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي من القرن العاشر إلى الرابع عشر الهجري(16–20م)**، مرجع سابق، ج1، ص518.

[2] – دلائل الخيرات وشوارق الأنوار في ذكر الصلاة على النبي المختار : أوله الحمد لله الذي هدانا للايمان، وهذا الكتاب آية من آيات الله في الصلاة على النبي عليه الصلاة والسلام. ينظر : حاجي خليفة، مرجع سابق، مج1، ص759. وسبب تأليفه كرامة حدثت له في موضع بئر عندما أراد الوضوء. ينظر : حسن بن عمر، **أبو عبد الله مُحَمَّد بن سليمان الجزولي السملالي حياته وآثاره مع تحقيق كتابه المسمى : دلائل الخيرات وشوارق الأنوار في ذكر الصلاة على النبي المختار**، رسالة ماجستير، جامعة أبي بكر بلقائد تلمسان، 2002–2003، ص23

[3] – أحمد الشريف السنوسي، **الدُّرة الفردية في بيان مبنى الطريقة السنوسية المحمدية**، مرجع سابق، ص4.

[4] – مُحَمَّد بن عثمان الحشائشي، مرجع سابق، ص184.

[5] – أطلق عليها مُحَمَّد فؤاد شكري "الجمعية السنوسية"، وأكد أن ذلك هو التعريف الصحيح لها، لأنها ليست شعبة من الطريقة الشاذلية، وقال بأنها تشكلت من نظام لم يسبق له مثيل في سائر الجمعيات : سياسية كانت أو دينية، خفية أو علنية. ينظر : مُحَمَّد فؤاد شكري، مرجع سابق، ص44.

[6] – عباس محمود العقاد، مرجع سابق، ص86.

[7] – هذه من وصايا الشيخ السنوسي. ينظر : مارتاين تيودور هوتسما وآخرون، مرجع سابق، ج19، ص5912.

ونحن نرى بأن السنوسية طريقة من طرق التصوف، تأسست في البداية على أساس الذكر والتعليم، لكن تطورت اهتماماتها بعد ذلك إلى الدعوة والإصلاح والإرشاد، مما جعلها في احتكاك مباشر مع السلطة أي الأتراك، لذلك أصبح الشيخ مُحَمَّد بن علي السنوسي أقرب إلى الداعية والمصلح منه إلى شيخ طريقة، وقد فضّل التوغل في الصحاري لممارسة نشاطه بكل حرية دون ضغط من أي سلطة سياسية.

2-2- أورادهـــــا[1] :

تعتبر السنوسية طريقة تصوف، لذلك فإن لها أوراد[2]، يلتزم بها المريد[3]، وتمسك الشيخ السنوسي بها وحث الإخوان على مداومتها في كل الزوايا السنوسية وما يتبعها من كتاتيب وخلاوي، وتتمثل تلك الأوراد في ما يلي :

2-2-1- الحزب السيفي[4] :

الحزب السيفي دعاء ومناجاة واستغاثة إلى الله تعالى، ويعد من أبرز أوراد الطريقة السنوسية، ويبدأ بعد البسملة والتصلية بهذه الصيغة : « اللهم إني أُقَدِّم إليك بين يدي كل نفس ولمحة وطرفة يطرف بها أهل السموات وأهل الأرض وكل شيء هو في علمك كائن أو قد كان؛ أُقدِّم إليك بين يدي ذلك كله ... اللهم أنت أمرتنا بدعائك ووعدتنا بإجابتك، وقد دعوناك كما أمرتنا فأجبنا كما وعدتنا يا ذا الجلال والإكرام إنك لا تخلف الميعاد ... (اللهم هذا الدعاء ومنك الإجابة، وهذا الجهد مني وعليك التُكلان، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، ثلاثا) والحمد لله أولا وآخرا وظاهرا وباطنا. وصلى الله على سيدنا مُحَمَّد وآله وأصحابه الطيبين الطاهرين وسلم تسليما كثيرا أثيرا دائما أبدا إلى يوم الدين، وحسبنا الله ونعم الوكيل، سبحان ربك رب العزة عما يصفون، وسلام على المرسلين، والحمد لله رب العالمين »[5].

---

[1] – طُبِع كتاب بعنوان : "أوراد الطريقة السنوسية"، على نفقة الملك مُحَمَّد إدريس المهدي السنوسي سنة 1398هـ/1978م، فيه ختم كتب عليه : مالك العربي أحمد السنوسي، المدينة المنورة. ينظر : مجموع فيه : رقم 743، مكتبة الحرم المكي، المملكة العربية السعودية. وينظر : الملحق رقم 6، ص411.

[2] - الورد – بكسر الواو– تعني وقتا معينا من ليل أو نهار يخصصه المؤمنون لأداء صلوات خاصة، أو ترديد دعاء خاص، بخلاف الصلوات الخمس المفروضة، والوِرد أيضا صيغ مخصوصة للدعاء يرددها المسلم وتسمى حزبًا. ينظر : مارتاين تيودور هوتسما وآخرون، مرجع سابق، ج32، ص10131. وجاء في لسان العرب أن الوِرد بمعنى النصيب من قراءة القرآن مثل السبع أو نصف السبع أو ما شابه. ينظر : ابن منظور، مرجع سابق، مج3، ص458.

[3] - المريد هو سالك الطريق الصوفي الذي يسير في الطريقة حسب إرشادات شيخه بخطوات ثلاثة يقطعها، وهي : التوبة، وأخذ العهد، والتلقين. ينظر : معدِّى الحسيني الحسيني، مرجع سابق، ص525.

[4] – ورد بلفظين مختلفين : "الحزب"، و"الدعاء". ينظر : مجهول، مرجع سابق، ص ص26-50.

[5] – نفسه، ص ص26-50.

وذكر الشيخ السنوسي الدعاء السيفي قائلًا : « وأروي الدعاء السيفي من غير هذا الطريق عاليا عن شيخنا أبي العباس العرايشي ... وأخبرني أنه رواه عنه ﷺ وأمره بزيادة بعض كلمات لتمام نفعها ... »[1]، وأضاف بأن النبي ﷺ خص السنوسيين بقراءة خاصة للإنتفاع به، حيث قال : « أوقفني عليها ﷺ وأخبرني أنه قال له عليه السلام (أنتم اقرأوه لله يعني لا كغيركم الذين يقرأون لتحصيل خواصه ومنافعه) »[2].

ويعتبر الدعاء السيفي من أوراد الطريقة السنوسية وأدعيتها وأذكارها المشهورة، بالرغم من أنه مأخوذٌ عن الشيخ أحمد بن إدريس[3] – كما مر معنا–، ويُقرأ وقت السحور وإن لم يُتيسر يُقضى في عامة النهار، ولهذا الدعاء أهمية عند السادة السنوسيين، لأن قراءته – في اعتقادهم – تعدل عبادة سنة بصيامها وقيامها، حيث قال السنوسي : « ورد أن قراءته مرة عبادة سنة بصيامها وقيامها »[4].

2–2–2– الحزب المغني :

يُنسب الحزب المغني إلى الشيخ أويس القرني، وهو عبارة عن ابتهال واستغاثة وتضرع إلى الله تعالى بأسلوب تذللٍ وخضوعٍ تامين، طمعًا في رحمته ومغفرته، ويبدأ بعد البسملة : ((اللهم بك استعنت فاعني وبك استغنيت فاغنني وعيك توكلت فاكفني، يا كافي اكفني المهمات من أمر الدنيا والآخرة، يا رحمان الدنيا والآخرة ورحيمها إني عبدك ببابك ذليلك ببابك أسيرك ببابك مسكينك ببابك ضيفك ببابك، يا رب العالمين الطالح ببابك ...))[5].

2–2–3– دعاء الاختتام :

إن دعاء الاختتام عبارة عن دعاء استغاثةٍ إلى الله ثلاث مرات، ويكون بعد البسملة والتصلية بهذه العبارة : « الله أكبر ... سبحان الله القادر القاهر القوي الجبار الحي القيوم بلا معين، برحمتك استغيث يا أرحم الراحمين ... » إلى غاية قول : « ... اللهم بحق هذه الأسرار وبحق كرمك الخفي وبحق الاسم الأعظم أن تقضي حاجتي وتهلك عدوي وتوصلني إلى مرادي وتدفع عني شر جميع عبادك يا أرحم الراحمين يا رب العالمين، آمين »[6].

---

[1] – مُحَمَّد بن علي السنوسي، **المنهل الروي الرائق في أسانيد العلوم وأصول الطرائق**، مرجع سابق، ص93.

[2] – نفسه، ص93.

[3] – تلقى أحمد بن إدريس الدعاء السيفي عن العلامة المجيدري، بروايته عن القاقائي[كذا] قطب الجان، عن سيدنا علي–كرم الله وجهه. ينظر : مجهول، مرجع سابق، ص14. بينما ورد في المنهل الروي : ((عن العلامة المجيدري عن الشيخ الققاوي[كذا] قطب الجن عن سيدنا علي بن أبي طالب ...)). ينظر : مُحَمَّد بن علي السنوسي، **المنهل الروي الرائق في أسانيد العلوم وأصول الطرائق**، مرجع سابق ، ص93.

[4] – نفسه، ص93..

[5] – مجهول، مرجع سابق، ص ص51–56.

[6] – نفسه، ص ص57، 58.

2-2-4- المحامد الثماني :

إن المحاميد الثماني عبارة عن امتنانٍ وتضرعٍ لله تعالى، وسُمِيت بِ "المحامد" لأن أغلبها تضمن كلمة "الحمد لله" وهذا بعد البسملة، وعددها ثمانية، كل حمد مختلف عن الآخر في أسلوبه ومضمونه، وتتوزع هذه الأدعية على عدد أيام الأسبوع بداية من يوم الاثنين، وبما أن عدد أيام الأسبوع سبعة فإنه خُصِّص يوم السبت لقراءة الحمد السادس والسابع معًا، أما الثامن فهو – طبعا – يوم الأحد. وتُقرأ المحامد الثمانية ثلاث مرات في اليوم، أي أربع وعشرين مرة خلال الأسبوع، وكمثالٍ يُقرأ الحمد الأول بهذه الصيغة : "الحمد لله بجميع محامده كلها ما علمت منها وما لم أعلم، على جميع نعمه كلها ما علمت وما لم أعلم ثلاثا"[1].

2-2-5- التسبيع :

التسبيع عبارة عن أدعية وأذكار واستغاثة خلال أسبوعين، وتكون البداية من يوم الاثنين، أي يوجد تسبيع أول وتسبيع ثاني، ويكون ذلك بالتضرع إلى الله ومناجاته، وغالبًا ما يستشهد السنوسي بأحاديث وآيات قرآنية مناسبة لكل موضع مما يعطي ذلك قوة للمناجاة، وفي بعض الأحيان يطلب من المولى تعالى أمرا غير منطقي وغير مقبولٍ وهو التجلي[2]، ويعتقد أن ذلك ممكنًا، واستشهد بالآية : ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعۡجِزَهُۥ مِن شَيۡءٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَلِيمٗا قَدِيرٗا ﴾[3]، ويضيف السنوسي أن للإنسان أسرار كامنة في نفسه لا بد من اكتشافها ويستدل بالآية : ﴿ أَوَلَمۡ يَتَفَكَّرُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡۗ مَّا خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَآ إِلَّا بِٱلۡحَقِّ وَأَجَلٖ مُّسَمّٗىۗ وَإِنَّ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلنَّاسِ بِلِقَآئِ رَبِّهِمۡ لَكَٰفِرُونَ ﴾[4]، وبآية أخرى : ﴿ سَنُرِيهِمۡ ءَايَٰتِنَا فِي ٱلۡأٓفَاقِ وَفِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمۡ أَنَّهُ ٱلۡحَقُّۗ أَوَلَمۡ يَكۡفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٌ ﴾[5].

ويتخلل الأسبوع دعاءان هما : "التبر الأفخر" و"التجلي الأكبر" وهذا يوم الخميس من تسبيع الأسبوع الأول، ولدعاء التجلي أهمية في الأوراد السنوسية، ويكون بشكل رجاء ودعاء في نفس الوقت، تتكرر في أغلب فقراته العبارة الآتية بعد البسملة : " اللهم صل وسلم وبارك على مولانا مُحَمَّد وعلى اله في كل لمحة ونفس عدد ما

---

[1] – مجهول، مرجع سابق، ص ص59-64.

[2] – نفسه، ص ص185-199.

[3] – سورة فاطر : الآية 44.

[4] – سورة الروم : الآية 8.

[5] – سورة فصلت : الآية 53.

وسعه علم الله. اللهم إني أُقدِّم إليك بين يدي كل نفس ولمحة وطرفة يطرف بها أهل السماوات وأهل الأرض وكل شيء هو في علمك كائن أو قد كان، أُقدِّم إليك بين يدي ذلك كله"[1].

ويعتبر الشيخ السنوسي أن الدعاء وسيلة للصلة بالله تعالى، مؤكدًا على أحقيته في الاستجابة، وذلك بناءً على وعد الله تعالى لعباده المؤمنين كما قال : ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴾[2]، واستشهد بأحاديثٍ نبويةٍ أيضًا، تؤكد أهمية العشق الإلهي وهو بمقام الإحسان كقول رسول الله ﷺ : ((اعبد الله كأنك تراه))[3]، ويقول السنوسي إن الله قريبٌ من عبده، مذكرًا بالحديث القدسي[4]: ((إذا تقرب إلي العبد شبرا تقربت إليه ذراعا، وإذا تقرب إلى ذراعا تقربت منه باعا، وإذا أتاني هرولة أتيته سعيا)).

2-2-6- الحصون المنيعة :

هي أدعية من تأليف السيد أحمد بن إدريس، تشبه الأدعية السابقة من حيث طريقة التوسل والعبارات والألفاظ المستعملة، ومضمونها-كما يدل اسمها- مخصصة للتحصين من السحر والعين والأمراض والجن والشياطين وغيرها من الشرور[5].

2-2-7- النفحات الإلهية :

هي آخر أوراد السنوسية واسمها بالكامل "النفحات الإلهية بالأوراد الأحمدية والنسمات المحمدية بفيض الإمداد النبوية"، وهي كذلك من تأليف أحمد بن إدريس، تضمنت أقوالًا وأفعالًا، هدفها الأسمى رؤية النبي ﷺ[6]، فبالنسبة للأقوال فهي متنوعة تصل إلى أربعة وعشرون نوعا، يردد السالك أدعية واستغاثة وابتهال إلى الله بعدد معين مثل "لا إله إلا الله مُحَمَّد رسول الله في كل لمحة ونفس عدد ما وسعه علم الله" ثلاثة آلاف مرة في صلاة الصبح، و"الاستغفار الكبير"[7] سبعين مرة وقت السحر، و"الصلاة العظيمية" مائة مرة بين الليل والنهار،

---

(1) – مجهول، مرجع سابق، ص ص185-199.

(2) – سورة غافر : الآية 60.

(3) – سليمان أبو داود، مرجع سابق، ج7، ص81.

(4) – الحديث القدسي : هو ما أضيف إلى رسول الله ﷺ وأسنده إلى ربه عز وجل، ويقال له أيضًا الحديث الإلهي أو الرباني. ينظر: نور الدين عتر، مرجع سابق، ص323.

(5) – مجهول، مرجع سابق، ص ص185-199.

(6) – نفسه، ص ص201-222.

(7) – تبدأ بكلمة "استغفر الله". ينظر : نفسه، ص202.

و"الحفيظة النبوية"[1] ثلاث مرات، وتلاوة "أسماء الله الحسنى" عقب الصلوات أو في الصبح أو المغرب. والجدير بالإشارة أن الصلاة العظيمية هامة جدا بالنسبة للسادة السنوسيين، وهي من تأليف الشيخ أحمد إدريس أيضا، وقد سُميت بِ : "العظيمية" لتكرار لفظة "عظيم" كما يلي : « اللهم إني أسالك بنور وجه الله العظيم الذي ملأ أركان عرش الله العظيم وقامت به عوالم الله العظيم أن تصلي على مولانا مُحَّد ذي القدر العظيم في كل لمحة ونفس عدد ما في علم الله العظيم صلاة دائمة بدوام الله العظيم تعظيما لحقك يا مولانا يا مُحَّد يا ذا الخلق العظيم وسلم عليه وعلى آله مثل ذلك واجمع بيني وبينه كما جمعت بين الروح والنفس ظاهرا وباطنا يقظة ومناما، واجعله يا رب روحا لذاتي من جميع الوجوه في الدنيا قبل الآخرة يا عظيم »[2]. وبخصوص الأفعال، فهي تنقسم إلى نهاريةٍ وليليةٍ، وتتمثل في الغسل، ثم الصلاة أربعة ركعات: اثنتين في الصبح ومثليهما ليلًا، إضافة إلى الاستغفار والصلاة على النبي ﷺ، وأذكار كثيرة أخرى فرعية، كل واحدة بعدد معين، أبرزها كلمة التوحيد وهي"لا إله إلا الله"، تُردد سبعين ألف مرة[3]. والإخوان ملتزمون بترديد أوراد الطريقة السنوسية، وهذا ما ذكره أحمد الشريف السنوسي في الرحلة مع عمه مُحَّد المهدي، حيث قال بأن عمه وجميع مرافقيه يقرؤون الأحزاب[4] على مر أيام الأسبوع.

وإذا تأملنا أوراد الطريقة السنوسية، فإننا نجدها تشبه إلى حدٍ كبيرٍ كتاب "دلائل الخيرات" في طريقة الاستغاثة وتقسيم أوقات الذكر على عدد أيام الأسبوع[5]، ويعتبر هذا الكتاب الذي ألَّفه الإمام مُحَّد بن سليمان الجزولي[6] بفاس من الأوراد العظيمة والصلوات الشريفة التي استحسنها المسلمون، ورغم أن الإمام الجزولي كان شاذلي الطريقة إلا أن أدعيته اشتهرت عند السادة الصوفية على مختلف مشاربهم[7].

---

[1] – بدايتها : " أعوذ بكلمات الله التامات ... ". ينظر : مجهول، مرجع سابق، ص ص210، 211.

[2] – أحمد صدقي الدجاني، مرجع سابق، ص251.

[3] – مجهول، مرجع سابق، ص ص201-222.

[4] - من الأحزاب : الحزب السيفي وحزب المغني ودعاء الاختتام، وحزب المحامد الثمان وحزب النور الأعظم والكنز المطلسم وحزب التجلي الأكبر والسر الأفخر والصلوات الثمان والورد الأحمدي والحصون المنيعة النبوية والأوراد الأحمدية. ينظر : أحمد صدقي الدجاني، مرجع سابق، ص251.

[5] – يتضمن دلائل الخيرات سبعة أحزاب موزعة على أيام الأسبوع، تبدأ يوم الاثنين وتنتهي بالأحد، وهي عبارة عن صلوات على النبي ﷺ، كل يوم بعدد معين كالآتي : (50+138+44+45+67+43+50) أي المجموع 434 مرة في الأسبوع. ينظر : حسن بن عمر، مرجع سابق، ص26.

[6] – ولد الجزولي في تانكرت في سوس سنة 807هـ/ 1405م، تربى على ذكر القرآن وحفظه، ثم ذهب إلى فاس والتحق بمدرسة الصفارين، وتتلمذ على يد الشيخ الجليل زروق، طاف عدة مناطق منها طنجة، ومكة، وبيت المقدس ومصر وغيرها، وتأثر بالطريقة الشاذلية، ومن أشهر مؤلفاته "دلائل الخيرات"، توفي مقتولا بالسم سنة 1464م. ينظر : نفسه، ص ص5-20.

[7] – مُحَّد بن سليمان الجزولي، **دلائل الخيرات وشوارق الأنوار في ذكر الصلاة على النبي المختار** ﷺ، تح.مخلف يحي العلي، ط1، د ب، مشيخة الطريقة القادرية العلمية، 2018، ص ص6-16.

والجدير بالإشارة أن دراسة حديثة سردت أورادًا أخرى غير التي مرت معنا، حيث أكدت أن أولها القرآن الكريم، ثم الاستغفار، والتهليل، والصلاة على النبي ﷺ[1]، ولتعميم الفائدة نقتبس منها ما يلي : ((ثم إنَّ أوراد طريقتنا المتداولة اليوم عند العموم : أوَّلها القرآن الكريم، ثمَّ الاستغفار، والتهليل، والصلاة على النبيِّ ﷺ. وقد كتب سيَّدي مُحَمَّد المهديُ ﷺ بخطّه ما نصُّه : " الورد المحمَّديُّ ثلاثة أصناف: الأوَّل: استغفر الله : (100) مرَّة، والاستغفار الكبير (70) مرَّة. الثاني : لا إله إلا الله مُحَمَّد رسول الله، في كلّ لمحة ونفَس عدد ما وسعه علم الله : من (300)، إلى (3000)، إلى (12000)"، إلى (24000) ... والصنف الثالث : الصلاة على النبيّ ﷺ بأيِّ صيغة كانت؛ الأمِّيَّة، أو الفاتحيَّة، أو العظيميَّة وهي أفضلها ..."))[2]، وما يجلب الانتباه في هذه الدراسة أنها اعتبرت صلوات في أوقات معينة[3] من أوراد السنوسية وعددها خمسون ركعة[4]، والجدير بالملاحظة على هذه الدراسة أنها جعلت القرآن الكريم من أوراد الطريقة السنوسية، والأرجح أن المقصود من ذلك قراءة وِرد من القرآن الكريم يوميًا والتي تسمى "قراءة الحزب" أو "الحزب الراتب" -كما سنرى لاحقًا-، وسُمي بِ: "الوِرد العمومي"[5].

وفي الختام، نُذكِّر بأن الشيخ مُحَمَّد بن علي السنوسي كان متأثرًا كثيرًا بأستاذه أحمد إدريس، في الأفكار والأفعال، وهو سنده الأول في الروايات، خاصة الطرق الصوفية، وقد أخذ عنه طريقته الخاصة وتأثر بها، وما أوراد السنوسية إلا اقتباسا شبه كلي لأوراد الطريقة الأحمدية الإدريسية[6]، وقد أكد ذلك أحمد الشريف السنوسي الذي قال بأن أوراد السنوسية عبارة عن مجموعة شريفة يعود سندها إلى قطب دائرة التقديس سيدي أحمد بن إدريس، ما عدى الحزب السيفي الذي تعود روايته وإسناده العالي إلى الإمام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه[7]، ومقولة أحمد بن إدريس الآتية توضح وتلخص العلاقة المتينة التي كانت بينه وبين السنوسي إلى درجة التطابق، حيث قال: « ابن السنوسي أنا وأنا ابن السنوسي فمن تبعه تبعنا ومن خالفه خالفنا »[8].

---

(1) - أحمد الشريف السنوسي، **مختصر الأنوار القدسية في مقدمة الطريقة السنوسية**، اعتنى به.أحمد مُحَمَّد جاد الله، ط1، بنغازي.ليبيا، دار الكتب الوطنية، 1442 هـ-2021 م، ص62.

(2) – نفسه، ص62.

(3) – مثلًا : الفجر اثنتان، والضحى أربع، وقبل الظهر أربع ... ينظر : نفسه، ص ص63، 64.

(4) – مقسمة كما يلي : (32) ركعة من النوافل، مع الفريضة [17] سبع عشرة ركعة، وبالوتر [18] ثماني عشرة، فالجملة [50] خمسون. ينظر : نفسه، ص63.

(5) – الوِرد العمومي : هو القرآن الكريم. ينظر : نفسه، ص65.

(6) – مُحَمَّد بن أحمد بن إدريس، **رسالة الأوراد الإدريسية**، تح.صالح الجعفري، ط2، القاهرة، دار جوامع الكلم، 2007، ص ص3-52.

(7) – أحمد الشريف السنوسي، **الدُرّة الفردية في بيان مبنى الطريقة السنوسية المحمدية**، مرجع سابق، ص74.

(8) – عبد المالك بن عبد القادر بن علي، مرجع سابق، ص21.

2-3- مبادؤهـــــــا :

2-3-1- التصوف :

التصوف ظاهرة دينية وأسلوب عبادة عرفه التاريخ الإسلامي، قوامه فلسفة روحية ترتكز على الذكر والاعتكاف، وفق أساليب تربوية مرهقة للنفس لحملها على الطاعة، حتى تزكو وترتقي إلى مراتب عليا من الإيمان.

وأكد السهروردي أن التصوف أوله علم وأوسطه عمل وآخره موهبة من الله تعالى[1]، ولم يرد في القرآن الكريم صراحة لفظ التصوف، بل ورد بمعنى الصوف في قوله تعالى : ﴿وَمِنَ اَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَآ أَثَٰثًا وَمَتَٰعًا إِلَىٰ حِينٍ﴾[2]، ويرى البعض أن الصوفي منسوب إلى لبسه الصوف[3]، وفي الحقيقة تعددت الآراء كثيرًا حول اشتقاق كلمة التصوف، وشُرحت بإسهاب، إلا أن المجال لا يسمح لنا بذكرها.

ويعتبر الشيوخ والعلماء وحتى الفقهاء أن التصوف طريق للوصول إلى الحقائق الدينية، ولأهميته جعله إمام دار الهجرة مالك مقترنًا مع الفقه، ولا يمكن فصل أحدهما عن الآخر، فقال : « من تصوف ولم يتفقه فقد تزندق، ومن تفقه ولم يتصوف فقد تفسق، ومن جمع بينهما فقد تحقق»[4]، واعتبره الجنيد أشرف العلوم، حيث قال : « لو علمت أن تحت أديم السماء أشرف من هذا العلم الذي نتكلم فيه مع أصحابنا لسعيت إليه»[5].

وتعتمد السنوسية على التصوف كمبدأ أساسي، وقد دأب الشيخ السنوسي وأبناؤه من بعده والإخوان على التحلي بصفات، يتمسك بها كل المتصوفة مهما اختلفت مشاربهم، وقد عددها الطوسي في كتابه اللمع قائلا : « القناعة بقليل الدنيا عن كثيرها، والاكتفاء بالقوت الذي لابد منه، والاختصار على ما لا بد منه من مهنة الدنيا من الملبوس والمفروش والمأكول، واختيار الفقر على الغنى ... وإيثار الجوع على الشبع والقليل على الكثير، وترك العلو على الترفع، وبذل الجاه والشفقة على الخلق، والتواضع للصغير والكبير، المسارعة إلى جميع الخيرات، والتوجه إلى الله والانقطاع إليه، والعكوف على بلائه والرضا عن قضائه، والصبر على دوام المجاهدة ومخالفة الهوى ومجانبة النفس إذ وصفها الله تعالى بأنها أمارة بالسوء»[6].

---

[1] - السهروردي، **عوارف المعارف**، تح.أحمد عبد الرحيم السايح وتوفيق علي وهبة، ط1، القاهرة، مكتبة الثقافة الدينية، 2006، ج1، ص68.

[2] – سورة النحل : الآية 80.

[3] - الراغب الأصفهاني، **مفردات ألفاظ القرآن**، تح.صفوان عدنان داوودي، ط4، دمشق، دار العلم، 2009، ص499.

[4] – أحمد زروق، **قَواعِدُ التَّصوُّفِ**، تق.وتح. عبد المجيد خيالي، ط2، بيروت.لبنان، دار الكتب العلمية، 2005، ص22.

[5] – نفسه، ص ص26، 27.

[6] – أبو نصر السراج الطوسي، مرجع سابق، ص29.

وكان الشيخ السنوسي حجةً في التصوف، ومرجعًا أساسيًا في طرق الصوفية، لأنه أُجيز في أربعين طريقة حسب ما ذكره في مصنفه "السّلسبيل المعين في الطرائق الأربعين"، لذلك مدح أقطاب التصوف من مختلف الأزمنة والأمكنة مشرقا ومغربا، وعدد أغلب مصنفاتهم، وأثنى كثيرا على الطرق الصوفية واعتبرها وسيلة للتبرك، فقال : « ولنا بحمد الله اتصالات بطرق عديدة ... إلا أننا أخذنا بعضها عن مشايخنا إرادة وبعضها تبركا ...»[1].

وتعاملت الحركة السنوسية بمبدأ التسامح مع الطرق الصوفية الأخرى الموجودة في برقة وخارجها، لأنها لا ترى فرقا بينها، ولم تذكر – أبدا – مصادر السنوسية الموثوق بها مواقف مناوئة أو خصومات بين السنوسية وطرق صوفية أخرى في أي منطقة، بل العكس كان هناك نوع من التسامح والتعايش والوئام بينها، وكل ما ورد ضد السنوسية من طرف الأوروبيين لاسيما الفرنسيين ما هو إلا ضغينة ومحاولة تأليب.

والشيخ السنوسي يؤكد أن الطرق الصوفية واحدة وإن تعددت، واستشهد برأي أبي إسحاق الكوراني الذي قال: « إن الطرق إلى الله تعالى كثيرة الشاذلية والسهروردية والقادرية إلى غير ذلك حتى قال بعضهم إنها بعدد أنفاس الخلائق وهي وإن تشعبت فهي في الحقيقة واحدة إذ مطلوب الكل واحد.أ هـ. »[2]، وإذا تأملنا في الطرق الصوفية منذ نشأتها مشرقًا ومغربًا، نجدها متفرعة من بعضها البعض، ومرتبطة بواسطة الإسناد والذي عادة ما ينتهي بالإسناد العالي المرفوع، أي النبي ﷺ.

2-3-2- الزهد :

الزهد هو خلو القلب من التعلق بغير الرب أو برودة الدنيا من القلب وعزوف النفس عنها[3]، ويعتبر من أبرز سمات المتصوفة، ويعني أيضا ترك ملذات الحياة والاعتكاف للعبادة والتقرب إلى الله، وقد اتصف به الشيخ السنوسي – كما مر معنا –.

وقد ورد لفظ الزهد في القرآن الكريم وذلك في كلمة "الزهيد" أي الشيء القليل[4]، وهذا في قوله تعالى : ﴿ وَكَانُوا۟ فِيهِ مِنَ ٱلزَّٰهِدِينَ ﴾[5]، وقد اشتهر به أقطاب التصوف، ودعوا إليه كمنهج في الحياة، مثل الإمام الغزالي والحسن البصري والسهروردي والجنيد والطوسي وغيرهم.

---

[1] – مُحَمَّد بن علي السنوسي، **السَّلسبيل المعين في الطرائق الأربعين**، مرجع سابق، ص6.

[2] – نفسه، ص6.

[3] – أحمد بن عجيبة، **مصطلحات التصوف**، إع. وتق. عبد الحميد صالح حمدان، ط1، القاهرة، مكتبة مدبولي، 1999، ص5.

[4] - الراغب الأصفهاني، مرجع سابق، ص384.

[5] – سورة يوسف : الآية 20.

والزهد مسلك لتزكية النفس والابتعاد عن شهوات الدنيا، وقد عُرف لدى المتصوفة على أنه الصوم والتعود على الجوع والاكتفاء بالأسودين، أي التمر والماء، اقتداءً بالرسول ﷺ، وغيرها من مظاهر التقشف والزهد في الحياة. وبالنسبة للسنوسية فهي تتشدد في أمور العبادة فلا تقبل حياة البذخ، كما تتميز بساطة الأكل والملبس، ولا يولي الشيخ السنوسي لهذه الحياة أية قيمة لأنها في نظره لا تساوي شيئا، وهذا يطابق تماما حديث رسول الله ﷺ : ((لو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة، ما سقى كافرا منها شربة))[1].

وحرص الشيخ السنوسي على ترسيخ قيم الزهد في نفوس الإخوان، حيث كان يرفض بشدة كل ما يقدم له من هدايا مادية، وهذا ما لاحظناه عندما قام البدو – تعبيرًا عن فرحتهم – بتقديم هدايا متكونة من إبل وأبقار وغنم إلى إحدى بعثاته المؤلفة من السيد مرتضى فركاش وحسن الغرياني، وعندما علم بما جرى غضب وأمرهما بإرجاع الهدايا لأصحابها، وأكد بأنه لم يأت لجمع المال، وإنما هدفه الأسمى هو نشر العلم والدين[2]، ونستنتج من هذا الموقف التزام السنوسي بالزهد وابتعاده عن ملذات الحياة، ونلاحظ أيضا تشدده الواضح والتحفظ غير المبرر، ربما فسر تلك الهدايا بهدف المحاباة من أجل الحصول على امتيازات، وردة فعله تلك غرضها قطع الطريق عن الانتهازيين، لكن تعتبر الهدايا من جهة أخرى من شيم وكرم العرب أيضا، وقد استحسنها الرسول ﷺ وقبلها، وقد لاحظنا اختلاف أسلوب ابنه مُحَمَّد المهدي من بعده والذي كان يتبادل أثمن الهدايا مع الملوك والأمراء وغيرهم، ومن بينهم السلطان عبد الحميد الثاني، وحتى أحمد الشريف الذي كان يرتدي اللباس المطرز بكامل الأوسمة والنياشين التي تحصل عليها، ونعتقد أن ذلك لا ينقص شيئا من درجة الإيمان والتقرب إلى الله.

وفي الحقيقة، فإن الدين الإسلامي دعا إلى الوسطية والاعتدال، وخلَق الله الإنسان للعبادة ولم يحرمه من حلال الدنيا وطيباتها، أي العمل للآخرة مع عدم التفريط في الدنيا، امتثالا لقوله تعالى : ﴿ وَابْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْـَٔاخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴾[3]، وقال أيضا مبينا أهمية الرزق وأكل الحلال الطيب في الدنيا : ﴿ **قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ ۚ قُلْ هِىَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْـَٔايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ** ﴾[4].

---

[1] - أبو عيسى الترمذي، مرجع سابق، مج3، ص410.

[2] – عبد الرازق درغام أبو شعيشع عيسى، "**الأسلوب الدعوي عند الإمام مُحَمَّد بن علي السنوسي**"، مجلة الجامعة الأسمرية، عدد 26، سنة 13، ص226.

[3] – سورة القصص : الآية 77.

[4] – سورة الأعراف : الآية 32.

2-3-3- التمسك بالكتاب والسنة :

أكد الشيخ السنوسي على ضرورة التمسك بالكتاب والسنة، وتكرر ذلك كثيرًا في أغلب مصنفاته، وأولى لهذه النقطة اهتماما كبيرًا، ومجالًا واسعًا، وذلك بالشرح والتعليل والتفصيل، وكان هدفه التأكيد على ضرورة فتح باب الاجتهاد، ومعرفة الحقائق من مصادرها، وعدم الاكتفاء بالتقليد.

ويحصر الشيخ مُحَّد بن على السنوسي أصول الدين في مصدرين أساسيين هما : القرآن الكريم والحديث الشريف، لذلك دعا إلى التمسك بهما دون غيرهما، وعارض وبشدة تقليد فقه الأئمة الأربعة والالتزام بأحد مذاهبهم، وقد أفرد لهذه المسألة كتابا خاصا سماه "إيقاظ الوسنان بالعمل بالحديث والقرآن"، جاء فيه دليل قاطع على ما ذكرناه فقال : « يورد على الألسنة من أن العمل على الفقه لا على الحديث، فتفوه لا معنى له إذ من البين أن مبنى الفقه ليس إلا الكتاب والسنة، وأما الإجماع والقياس فكل واحد منهما يرجع إلى كل من الكتاب والسنة، فما معنى إثبات العمل على الفقه ونفي العمل بالحديث؟ »[1].

والتمسك بالكتاب والسنة من أبرز مبادئ الطريقة السنوسية، ويعتقد الكثيرون أن السنوسي قصد بذلك العودة إلى منهج السلف، ومنهم الدجاني الذي قال بأن ابن السنوسي كان غرضه من الطريقة الصوفية أن يشد أتباعه إلى السنة النبوية، ولتدعيم رأيه استشهد بتصريح الصادق المؤيد، والذي قال : « ومع أن الطريقة السنوسية مثل الطرق الأخرى لها أذكار وأوراد، إلا أن الشيخ عندما يلقن الطريقة للمريدين يقصد إلى تعليمهم الشريعة الغراء ويلح عليهم بالتمسك بأحكامها ... »[2]، ونحن نعلم أن أوراد السنوسية ليست من السنة، كما أن شهادة صادق المؤيد ليست قرينة أو دليلا، لأن بكل بساطة هذا الرجل سياسي ومبعوث السلطان، وليس فقيهًا أو عالما أو مفتيًا ليصدر الأحكام. وفي الحقيقة كان الشيخ السنوسي يقصد من الكتاب والسنة "اللامذهبية"، أي عدم الالتزام بالمذاهب الأربعة رغم أنه مالكي المذهب حسب أقوال المؤرخين[3]، ودعا صراحة إلى الأخذ من أين أخذ أئمة المذاهب وهما الكتاب والسنة، واعتبر ذلك واجبًا شرعيًا.

ويرى السنوسي بأن أي شخص يمكن أن يصل إلى ما وصل إليه أئمة المذاهب، وذلك بالعودة إلى القرآن الكريم والحديث الشريف، ولم يذكر القياس والإجماع، وهو بهذا يدعو صراحة إلى تطبيق ما جاء في الآية الكريمة :

---

[1] – مُحَّد بن علي السنوسي، **إيقاظ الوسنان في العمل بالحديث والقرآن**، إش.نجيب بن خيرة، طبعة خاصة، الجزائر، دار زمورة للنشر، 2011، ص146.

[2] – أحمد صدقي الدجاني، مرجع سابق، ص252.

[3] – علي مُحَّد الصلابي، **تَاريخ الحرَكَة السَّنُوسيَّة في أفريقيا**، مرجع سابق، ص78.

﴿ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ﴾[1]، واستدل بحديث رسول ﷺ : ((تركت فيكم اثنتين لن تضلوا بعدهما كتاب الله وسنتي))[2].

لقد كان الشيخ السنوسي يعارض فكرة التمسك بالمذاهب لأنها لم تكن موجودة حتى في عهد الأئمة والذين أكدوا بأنفسهم أن آرائهم واجتهاداتهم ليست حتمية، واستدل بقول مالك بن أنس نفسه الذي قال : « إنما أنا بشر أخطئ وأصيب، فانظروا في رأيي فكل ما وافق الكتاب والسنة فخذوه وكل ما لم يوافق الكتاب والسنة فاتركوه»[3]، وأكد السنوسي أن التعصب للمذاهب من حيل الشيطان، وقال في هذا الشأن : « ... ولا شك أن هذا بدعة مذمومة وخصلة شنيعة، احتال بها (إبليس اللعين) على تفريق جماعة المسلمين وتشتيت شملهم، وإيقاع العداوة والبغضاء بينهم، ... »[4].

2-3-4- نشر العلم :

يعتبر نشر العلم من أبرز الأهداف التي رسمها الشيخ السنوسي لطريقته، وقد تخرج من زوايا السنوسية علماء وأساتذة كبار أثبتوا تفوقهم العلمي عبر مناظراتهم ومقارعتهم لفطاحل العلماء وفي مختلف العلوم. ويعد حفظ القرآن الكريم أساس العلوم كلها، لذلك تخرج العديد من حفظة القرآن من مدارس السنوسية[5]، ونبغ الإخوان السنوسيون في علوم التفسير والحديث والتوحيد والسيرة واللغة وغيرها، وكان الفرق واضحا بين من تردد على الزوايا السنوسية وغيرهم ممن لم يسعفه الحظ. واهتمت السنوسية بنشر العلم بين البدو الذين سارعوا إلى إرسال أولادهم للتعلم وحفظ القرآن، لذلك كانت الزوايا والمدارس القرآنية والخلاوي تعج بالأولاد في مختلف المناطق، وقد تخرج منها فطاحل العلماء والفقهاء والأدباء وأصبحوا هم بدورهم معلمين حملوا مشعل التدريس، وللقضاء على الأمية اهتمت الطريقة السنوسية بنشر اللغة العربية، خاصة في المناطق الأعجمية كمناطق الطوارق والتبو[6] وغيرهم[7].

---

[1] – سورة النساء : الآية 59.

[2] – مُحَمَّد بن علي السنوسي، **إيقاظ الوسنان في العمل بالحديث والقرآن**، مرجع سابق، ص50.

[3] – نفسه، ص24.

[4] – نفسه، ص141.

[5] – تخرج في إحدى السنين ثمانون طالبا من مدرسة الجغبوب القرآنية ينتمون لقبيلة واحدة هي حسين البراعصة. ينظر : مُحَمَّد الطيب الأشهب، **السنوسي الكبير عرض وتحليل لدعامة حركة الإصلاح السنوسي**، مرجع سابق، ص48.

[6] – كانت ملابس التبو بدائية مصنوعة من جلد الحيوانات، ومعروف أن مُحَمَّد المهدي هو الذي أدخل الجيرد والجبة. ينظر : روزيتا فوربس، مرجع سابق، ص294.

[7] - أنشأت الحركة السنوسية مدارس لتعليم الأطفال في منطقة التبو، واهتمت خاصة بتعليم الفتيات. ينظر:
Henri Duveyrier, op.cit, p 17.

وتعتبر الزوايا السنوسية مراكز تعليمية وإشعاع ثقافي في زمن كان العالم الإسلامي يعيش في أمية وتخلف رهيب، وكان إنشاء الشيخ السنوسي لأول زاوية وهي البيضاء بغرض نشر العلم والقضاء على الجهل، وكانت البداية إرسال البدو أولادهم إلى الزوايا والكتاتيب لحفظ القرآن، ثم إلى معهد الجغبوب بعد تأسيسه، والذي أصبح بمثابة معهد عالي يقارع المراكز الإسلامية التقليدية كالأزهر والزيتونة والقرويين، وأثبت الإخوان السنوسيون المتخرجون منه على تفوقهم ونبوغهم في مختلف العلوم، ومنهم من أصبح موضع احترام وثقة السلاطين العثمانيين بالأستانة على غرار الشيخ فالح الظاهري.

ونشر العلم ومحاربة الجهل من الأهداف الأولى التي أُنشئت من أجلها الطريقة السنوسية، وهذا ما وقفنا عليه في رسالة بعثها الشيخ السنوسي إلى حاكم برقة العثماني مُحَمَّد صالح باشا حول نشاط بعض الزوايا السنوسية، حيث قال : « ... رتبنا لكل واحدة خليفة يقوم فيها بما ذكر يوم الجمعة، وتعليم القرآن، ودرس العلم، ودلالة الخلق على دينهم، ودعوتهم إلى ربهم ... »[1].

2-3-5- نصرة الحق والذود عن الإسلام :

تلتزم الحركة السنوسية بالدفاع عن الأوطان الإسلامية، ويعتبر الجهاد في سبيل الله من أبرز مبادئها، وقد رأينا كيف بادر الشيخ السنوسي إلى الدفاع عن وطنه الجزائر ضد الاحتلال الفرنسي، وعندما لم يستطع جاهد بماله وسلاحه وذلك بواسطة دعم الشريف بن عبد الله[2].

وكانت السنوسية السباقة لمواجهة الاحتلال الإيطالي والدفاع عن طرابلس الغرب، ولم تتوان في تقديم الشهداء فداءً للوطن، وهي تعتبر الجهاد فرضًا، والدفاع عن بيضة الإسلام والمسلمين في أي مكان واجبًا مقدسًا، وما إنشاء الزوايا السنوسية في البداية على شكل رباطات وحصون وثغور إلا دليلًا على ذلك، وقد كان الهاجس الأكبر للشيخ السنوسي دخول الأعداء الذين أشار إليهم بالنابلطان وتوقع قدومهم، لذلك كان يعد العدة وهي السلاح الذي كان موجودًا في الجغبوب وفي أغلب الزوايا السنوسية، وقد اقترن اسم السنوسية دوما بالجهاد في سبيل الله ومواجهة النصارى الكفار في عموم أفريقيا.

وتواصل نفس النهج والمسيرة أي الذود عن الإسلام مع مُحَمَّد المهدي، ثم مع أحمد الشريف السنوسي الذي أفرد رسالةً خاصة بالجهاد، سماها "بغية المساعد في أحكام المجاهد"، وفي هذا الإطار يقول مُحَمَّد عبد الله السني :

---

[1] – مُحَمَّد الطيب الأشهب، **السنوسي الكبير عرض وتحليل لدعامة حركة الإصلاح السنوسي**، مرجع سابق، ص24.

[2] – رسالة أرسلها أحد تلاميذ السنوسي من الجزائر إلى مدير غدامس سنة 1268هـ، تبين دور السنوسية في الجهاد ودعم الشريف بن عبد الله جهة ورقلة وتوقرت وقصور بني ميزاب وغيرها، وكان ابن السنوسي في هذا التاريخ في الحجاز. ينظر : علي مُحَمَّد الصلابي، **تَاريخ الحرَكَة السَّنُوسيَّة في أفريقيا**، مرجع سابق، ص41.

قد آن للبيض أن ينهمـــل وابلها وعن سناها ظلام الكفر ينحسر
تغذوا الصوارم في أيدي الضراغم من آل الرسول لها في الكفر معتبر

وخير من لخص مبادئ الطريقة السنوسية مؤرخ العائلة عبد المالك بن علي، حيث قال بأنها تقوم على ثلاثة أصول وهي : تعلم العلم وتعليمه، وإرشاد العباد لرب العباد ودعوتهم له، والجهاد في سبيل الله[1].

وفي ختام هذا الفصل، نذكّر بأننا تتبعنا حياة الشيخ السنوسي، ورأينا كيف أنه بعد رحلات متعددة مغربا ومشرقا استقر به المطاف هو وعائلته في برقة، وقد أسس طريقة تصوف عرفت باسمه وهي "الطريقة السنوسية"، وشرحنا أورادها وأسسها ومبادئها، وتطرقنا أيضا إلى خليفته مُحَمَّد المهدي السنوسي وحفيده أحمد الشريف السنوسي، وسنتطرق في الفصل الثاني إلى أحد أبرز نشاطات الحركة السنوسية والتي تعد لبنتها الأساسية، ونقصد بذلك تأسيس الزوايا وأبرز شيوخها.

[1] – عبد المالك بن عبد القادر بن علي، مرجع سابق، ص ص27، 28.

الفصل الثاني : زوايا وشيوخ الحركة السنوسية

تنظيم الزوايا السنوسية :

المصادر المالية للزوايا السنوسية :

عدد الزوايا السنوسية :

كبار الإخوان :

1– تنظيم الزوايا السنوسية :

أولت الحركة السنوسية اهتمامًا كبيرًا للزاوية[1]، سواء من حيث البناء أو التنظيم أو المهام، وقد عرَّفها الشيخ السنوسي قائلًا : « والزاوية في الحقيقة إنما هي بيت من بيوت الله ومسجد من مساجده»[2]، ونفهم من هذا التعريف أن السنوسي يعتبر الزاوية بيت من بيوت الله، لذلك حث الناس على فعل الخير ببناء المساجد مذكرًا في نفس السياق بحديث الرسول ﷺ : ((من بنى مسجدا لله ولو مفحص[كذا] قطاة بنى الله له قصرا في الجنة))[3].

إن تنظيم الزوايا السنوسية من مسؤولية شيخ الطريقة، الذي يأمر المقدمين بتطبيق أوامره وتعاليمه وتجنب نواهيه، وقد عرفت السنوسية تنظيما محكمًا قلما نجده في الطرق الصوفية الأخرى، قوامه التسلسل الهرمي، وارتباط الزوايا عبر بريد مترابط في الداخل والخارج، وقد أثبت نجاعته في مواجهة الاستعمار الفرنسي والإيطالي.

ومنذ الوهلة الأولى كان الشيخ السنوسي يتوقع قدوم الخطر من البحر، لذلك بنى الزوايا في طرابلس الغرب بشكل قلاع ورباطات تقوم بدور دفاعي، وتم إنشاؤها بشكل خطين دفاعيين : الأول على طول الساحل، وتمثل زاوية مسوس القاعدة الأمامية الأولى، والثاني يقع خلف الأول وموازيا له، وتمثل الجغبوب القاعدة الجنوبية للزوايا السنوسية، وتعمَّد الشيخ السنوسي بناء زواياه بهذا الشكل، حتى إذا هوجمت الزوايا الأمامية التي بالشاطئ استطاع الإخوان أن ينتقلوا إلى الزوايا الخلفية بكل أمنٍ، وللعلم فإن المسافة بين كل زاوية وأخرى لا تتعدى في الغالب ست ساعات.

وكانت الزاوية السنوسية في البداية تشبه الرباط[4]، إلا أنها تحولت – خاصة في الصحراء – إلى خلاّوي ومراكز لمجاهدة النفس، والعبادة والذكر في الليل والنهار، وقد ورد ذكر مصطلح الرباط في إحدى رسائل الشيخ السنوسي الموجهة إلى وكيله عبد الله التواتي بتاريخ 28 صفر 1265هـ تؤكد ما ذهبنا إليه، فقال بعد البسملة : « ... وما ذكرتموه من شأن الرباط المذكور وأنه فيه كذا وكذا خلوة وفيه موضع للصلاة بمحرابه فهذا أنسب من جميع

---

(1) - الزاوية في الأصل ركن البناء، وفي شمال أفريقيا تُطلق على كل بناء أو طائفة من الأبنية ذات طابع ديني، تشمل عدة مباني منها : غرفة للصلاة بها محراب، وضريح لأحد المرابطين أو ولي من الأشراف تعلوه قبة، وغرفة قصرت على تلاوة القرآن، وكتب أو مدرسة لتحفيظ القرآن، ثم غرف مخصصة لضيوف الزاوية وللحجاج والمسافرين والطلبة، وهي مرادفة للخانقاه أو التكة لدى صوفية الفرس. ينظر : مارتاين تيودور هوتسما وآخرون، مرجع سابق، ج17، ص ص5239- 5242.

(2) – مُحَمَّد الطيب الأشهب، **السنوسي الكبير عرض وتحليل لدعامة حركة الإصلاح السنوسي**، مرجع سابق، ص 142.

(3) – نفسه، ص142.

(4) - الرباط في الأصل عبارة عن ثكنة من صحن وعشرات الغرف الانفرادية حوله، ويتكون من طبقات تعلو جوانبه، وينتهي بجامع كبير وصومعة مستديرة للأذان وخصوصًا لمراقبة السواحل من غدرات الأعداء، كما يستعمل لإقامة العلامات النارية ليلًا. ينظر : رأفت غنيمي الشيخ، **تطور التعليم في ليبيا في العصور الحديثة**، ط1، بنغازي، دار التنمية للنشر، 1972، ص89.

ما ذكرتم ... »[1]، وأردف موضحًا بعض شروط بنائه، حيث قال : «... هل فيه أحد ساكن أم لا ؟ فإن لم يكن فيه أحد فهو المطلوب، وإن كان فيه أحد فسكنى الأخوان فيه مع غيرهم غير ممكن لأن المراد منه أن يكون محلا لإقامة ذكر الله وبث العلم على عادة ما علمتوه من زوايانا السابقة، وأيضا ما علمنا هل بإزائه ومحاذاته أرض براح أن أريد زيادة شيء فيه ليكون معدا لمن يفد من الأخوان ؟ وما كيفية خلاويه من جهة السعة والضيق ... »[2].

وقد عدد الأشهب أربع عشرة تعليمة يقوم عليها تنظيم الزوايا السنوسية، وهي[3] :

ا- تُبنى الزاوية في أرض باتفاق السيد السنوسي أو من يمثله مع القبيلة التي تملك تلك الناحية.

ب- يُعيِن السيد السنوسي للزاوية رئيسًا بلقب "شيخ"[4]، وتكون أرضها وقفًا.

ج- يتكفل الأهالي ببناء مسكن الشيخ والمدرسة والمسجد.

د- يكون رئيس الزاوية حَكمًا للقبيلة وفق الشرع الإسلامي.

هـ- للزاوية حرمٌ[5] يحيط بها من الجهات الأربع.

و- يستعد كل فرد أن يتبرع بيومٍ على دابته.

ز- لرئيس الزاوية عشرة كساوي في العام، وله الحق في شراء فرس وامتلاك خادم وبندقية، ويستطيع أن يتزوج زوجة واحدة تكون مصاريفها من واردات الزاوية شرط أن لا تكون من الذهب والفضة إلا ما اتفق عليه في عقد النكاح.

ح- يُعيِن رئيس الزاوية معلمًا ومؤذنًا وإمامًا بالأجرة، ويتكفل الرئيس بغذاء وعشاء الضيوف، وذلك بتوفير عشرة وجبات يوميًا.

---

[1] – مُحَمَّد الطيب الأشهب، **السنوسي الكبير عرض وتحليل لدعامة حركة الإصلاح السنوسي**، مرجع سابق، ص ص152، 153.

[2] – نفسه، ص153.

[3] – مُحَمَّد الطيب الأشهب، **برقة العربية أمس واليوم**، مرجع سابق، ص ص200، 201.

[4] – يسمى أيضًا المقدم، ويشترط فيه أن يكون أعلم أهل المنطقة التي تقع فيها الزاوية، وأحفظهم للقرآن الكريم، وأكثرهم تقوى وتدينًا. ينظر : صالح كرار، مرجع سابق، ص59.

[5] – الحرم هي الأرض المحيطة بالزاوية من الجهات الأربعة، يضمن سلامة كل من يلجأ إليه بطلب العون أو الحماية، ولا يسمح فيه استخدام السلاح، وعلى الشخص الذي دخل الزاوية أن يلتزم بالآداب الشرعية والاجتماعية. ينظر : يونس علي بالقاسم السنوسي، مرجع سابق، ص ص125، 126.

ط- عابري السبيل لهم الحق في ذبيحة(شاة) إذا كانوا أكثر من خمسة، وفي ذبيحتين إذا تجاوز عددهم عشرة.

ي- لرئيس الزاوية الحق في عُشر واردات الزاوية من حبوب وحيوانات، ويحتفظ بالموارد بما يكفي الزاوية عامًا والباقي يرسل إلى الجغبوب.

ك- قريب رئيس الزاوية وأصهاره ومن ينتمون إليه لا حق لهم في الذبيحة من ممتلكات الزاوية.

ل- للزاوية حدود معينة، ولا يتعدى شيخ كل زاوية حدود زاويته.

م- يحق لرؤساء الزوايا الاجتماع سنويًا إذا اقتضت الحالة سواء بالجغبوب أو غيره.

ن- إذا التجأ إنسان لإحدى الزوايا وكان قد قتل أو يخشى القتل فلا يجوز أن يُعتدى عليه، وعلى رئيسي الزاويتين الوافد منها واللاجئ إليها الشخص أن يحلا المشكل بالطرق المشروعة بالتشاور مع شيوخ القبيلتين.

وارتأيت أن أضيف مكانا آخرا – أحسبه هام – وهو "مقبرة الزاوية"[1]، ليصبح العدد خمسة عشر، وقد خُصِّصت لدفن موتى أهل المنطقة تبركًا بالطريقة السنوسية وشيوخها، ولا يختلف اثنان في كون المقبرة مرفقا اجتماعيا ضروريا لا يمكن الاستغناء عنه.

ومن بين الشروط التي يفرضها السنوسي لبناء زاوية عند أي قبيلة – كما أسلفنا – أن تكون أرضها وقفًا، والوقف من الأعمال الخيرية التي تميز وانفرد بها المسلون دون غيرهم وذلك منذ عهودٍ، وبفضله تم إعمار الأرض، وإرساء قواعد وأسس التكافل والتضامن الاجتماعي. وكما هو معلوم فإن أراضي الوقف لا يمكن بيعها، ولا توريثها أيضا[2]، بل تبقى على اسم الزاوية إلى الأبد إذا حُبست لها[3]، والجدير بالإشارة أن السنوسية لا تقوم ببناء الزوايا من تلقاء نفسها، وإنما يتلقى شيخ الطريقة طلبات من الأهالي، ويقوم هو أو خلفاؤه أو من ينوب عنه بدراسة الطلب، ثم الموافقة عليه ومباركته[4].

وساهم الأهالي خاصة في برقة في دعم الزوايا السنوسية ماديا، وكدليل على ذلك أن بطون قبائل البراعصة وطرش دينا والشليماني تعهدت في وثيقة موقعة بتقديم هبات إلى زاوية توكره، تتمثل في المواشي وجزء من المحصول،

---

(1) – مصطفى عبد الله بعيو، **دراسات في التاريخ اللوبي**، الاسكندرية، مطابع عابدين، 1953، ص56.

(2) – نيكولاي إيليتش بروشين، مرجع سابق، ص77.

(3) - تمكنت السنوسية من امتلاك أراضي شاسعة جدا تجاوزت مائتي ألف هكتار، تسيطر زوايا برقة على معظمها؛ حيث نجد في سنة 1914م أربع عشرة زاوية منها تملك خمسين ألف هكتار، أي ربع المساحة. ينظر : نفسه، ص77.

(4) – غالبًا ما تبعث قبيلة أو فخذ منها برسول إلى السنوسي الكبير، يطلب منه تزويد عشيرته بشيخ ليعلم أطفالهم ويقوم بمسائلهم الدينية ويفض خصوماتهم ونحو ذلك، وكان السنوسي يرحب بمثل هذه الطلبات، بل ويشجع أصحابها بشكرهم، ويرسل إليهم شيخا لمساعدتهم، ويقوم الأهالي بأنفسهم ببناء الزاوية. ينظر : مصطفى عبد الله بعيو، مرجع سابق، ص ص57، 58.

وبتأمين الإبل لنقل المواد والبضائع إلى الجغبوب، ومساعدات أخرى تحت شعار "كل واحد للزاوية والزاوية لكل واحد"[1].

وتعتمد السنوسية في تنظيمها على مبدأ الشورى –كما أسلفنا –، وذلك بالتشاور مع الإخوان، والتحكيم إليهم خاصة العقلاء منهم في حال حدوث خلاف أو نزاع، ولم يكن الشيخ السنوسي مستبدًا برأيه، بل كان غالبًا ما يستشير الإخوان خاصة رفقاء دربه كعبد الله التواتي وأحمد الريفي وعمران بن بركة وغيرهم، وسار على هذا المنوال أيضًا ابنه مُحَمَّد المهدي، بينما قصَّر أحمد الشريف نوعا ما في الشورى خاصة في الحرب العالمية الأولى.

والشورى من أبرز أسس ومبادئ النظام الإسلامي، بل تعتبر من الواجبات الشرعية التي يلتزم بها المسلم دينيًا ودنيويًا، وقد أوصى الله بها كما جاء في القرآن الكريم : ﴿ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴾[2]، وقد التزمت السنوسية بذلك بدليل أنه في كل عام بمناسبة عيد الأضحى يستدعي شيخ الطريقة المقدمين إلى اجتماع تشاوري في الجغبوب لدراسة أحوال الزوايا، ويتعزز ذلك كل سنة بتقرير مفصلٍ يقدمه شيوخ الزوايا لرئيس الحركة، وعادة ما يرافقهم وجهاء وأعيان القبائل[3]، وأكدت دراسة أنهم يقدمون كل نهاية عام هجري إلى السنوسي الكبير تقريرًا سنويًا حول وقف الزاوية الموكلة إليهم[4].

والتنظيم الهرمي للزاوية السنوسية يتكون كما يلي[5] :

أولًا، شيخ الطريقة : يمثل السلطة العليا للطريقة السنوسية.

ثانيًا، مجلس الإخوان : يمثل مجلس الشورى للطريقة السنوسية، ويتشكل من عدد محدودٍ من العلماء والأعيان[6]، ومن مهامه فض النزاعات وإصلاح ذات البين واقتراح التعويضات والديّات والعقوبات، وغيرها.

ثالثًا، شيوخ الزوايا : يطلق عليهم "المقدمين"، ومن مهامهم فض النزاعات تمامًا مثل مجلس الإخوان، وتبليغ الأوامر الصادرة من رأس النظام، إضافة إلى مهام صلاة الجمعة والصلوات الخمس وعقود النكاح وصلاة الجنائز وغيرها.

---

[1] – نيكولاي إيليتش بروشين، مرجع سابق، ص78.

[2] – سورة الشورى : الآية 38.

[3] – نيكولاي إيليتش بروشين، مرجع سابق، ص78.

[4] – مصطفى عبد الله بعيو، مرجع سابق، ص57.

[5] – علي مُحَمَّد الصلابي، **تَاريخ الحرَكَة السَّنُوسيَّة في أفريقيا**، مرجع سابق، ص ص81-87.

[6] – يسمى "مجلس الخواص"، وهو مجموعة من الشيوخ والعلماء من غير الأسرة السنوسية يؤلفون قيادة تحت إمرة شيخ الطريقة، يطلق عليهم اسم "الحضرة"، في عهد الشيخ السنوسي كانوا أربعة وهم : عبد الله التواتي، عمران بن بركة، حامد المكاوي، وعلي بن عبد المولى. ينظر : يونس علي بالقاسم السنوسي، مرجع سابق، ص ص74، 75.

رابعًا، وكيل الدخل والخرج : يتكفل بأمور الزراعة والاقتصاد.

خامسًا، الإخوان : مهمتهم كسب وضم الأعضاء العاديين إلى الحركة.

وينظم شيخ الطريقة السنوسية الإخوان ويشرف عليهم، حيث يعقد اجتماعات دورية يلتقي فيها شيوخ الزوايا، يتدارسون خلالها أحوالهم ويتشاورون، ويقدمون النصح فيما بينهم، إضافة إلى قرارات حاسمة، لذلك كانت تلك الاجتماعات في كثير من الأحيان تحت مرصد المخبرين والعيون والجواسيس[1].

وأمّا التنظيم على المستوى الخارجي، اعتمدت الحركة السنوسية على الاتصالات من خلال تنظيم البريد الذي قُسِّم إلى أربع محطات رئيسية وهي : طرابلس، وبرقة، ومصر، والسودان. ويتم الاتصال بين الزوايا بدقة، ويكون غالبًا عبر الرسائل التي تنقلها القوافل أو ينقلها مبعوثون خواص في حالة الاستعجال، والهدف من ذلك تطبيق القرارات ونقل الأخبار والتنسيق بين الزوايا وأمور أخرى، وتوخيًا للحيطة كانت تستعمل في كثير من الأحيان رموزًا مشفرةً، خاصة في الرسائل التي كان مضمونها خطيرًا كالأسلحة، وهذا بهدف تأمين السلامة التي تتطلبها تلك الظروف، منها كثرة العيون الأوروبية، بما في ذلك القناصلة خاصة الفرنسيين منهم، مثل شارل فيرو، ونائبه أوجين ريكارد، ودولابورت، وغيرهم[2].

ونستنتج مما سبق أن للزوايا السنوسية تنظيمًا محكمًا ودقيقًا في الداخل والخارج، شكلت به وحدة متكاملة، لكن ظروف الحرب ضد فرنسا، ثُم الاحتلال الإيطالي، أدَّت إلى تغيير كبير في تنظيم الزوايا السنوسية، وبعض الهياكل اختفت أصلا ولم تعد موجودة مثل "المجلس السنوسي"[3]، وحتى المقر تغير وتحول إلى أجدابيا[4].

---

[1] – بعث مدير القنصلية الفرنسية العامة بطرابلس تقريرًا إلى وزير الخارجية في 21 نوفمبر 1878م، يتضمن معلومات بعثها السيد ريكارد حول اجتماع مجلس ببنغازي ضم الشيخ المهدي السنوسي ومقدمي الزوايا، وتمحور اللقاء حول تقوية مكانة الشيخ في الجبل الأخضر. ينظر :

A O M, 16H55, Rapport de M. le gérant du consulat général de France à M. le Ministre des affaires étrangères. Tripoli, le 21 Novembre 1878.

وينظر : الملحق رقم 5، ص410.

[2] – مُحَمَّد الكامل حسيني، "**قراءة في أرشيف ما وراء البحار بأكس أون بروفانس الخاص بالسنوسية 1875– 1888**"، الحوار المتوسطي، المجلد الحادي عشر، العدد3، ديسمبر 2020، ص ص204-223.

[3] – قال نيقولا زياده أن المجلس السنوسي الذي يسمى "الخواص"، والذي يتكون من جماعة صغيرة من الإخوان العلماء وعددهم أربعة، لم يعد موجودًا. ينظر : نقولا زياده، **محاضرات في تاريخ ليبيا من الاستعمار الايطالي إلى الاستقلال**، د ب، المطبعة الكمالية، 1958، ص75.

[4] – تقع أجدابيا وسط بطحاء جنوبي بنغازي، على بعد 10 كلم من البحر، أصبحت عاصمة للإمارة السنوسية ومركزًا لحكومتها عندما احتلها الطليان عام 1923م. ينظر : مُحَمَّد الطيب الأشهب، **برقة العربية أمس واليوم**، مرجع سابق، ص ص48-50.

2 – المصادر المالية للزوايا السنوسية :

2-1- الزكاة :

لقد أعفت الدولة العثمانية الزوايا السنوسية من الضرائب – كما أسلفنا –، وبالمقابل سمحت لها بجمع الزكاة والأعشار[1] من القبائل الموالية لها في طرابلس الغرب عمومًا، وكانت السنوسية تجد ترحيبًا كبيرًا لدى البدو خاصة في برقة، عكس الموظفين الأتراك الذين يُعتبرون طغاةً، أثقلوا كاهل السكان بالضرائب بكل الطرق التعسفية، إلى درجة استعمال القوة العسكرية لتحصيلها كعادتهم في الآيالات التابعة لهم.

وتعتبر الزكاة من أبرز المهام التي أُوكلت للحركة السنوسية من طرف الباب العالي، واعتقد أن الأمر يعود بالأساس إلى اختلاف فقهيٍ بين المذهب الحنفي والمالكي، إذ من المعلوم أن المذهب الحنفي هو المذهب الرسمي للدولة العثمانية، وقد بقي محصورًا فقط على طائفة الأتراك والكراغلة الذين يعيشون في طرابلس الغرب، بينما أغلبية الأهالي ظلت على المذهب المالكي رغم تشدده في بعض أحكامه مثل زكاة الوقف مقارنةً بالمذهب الحنفي الذي تميز باليسر نوعًا ما، وقد تكفلت الحركة السنوسية بجمع الزكاة من البدو وتوزيعها على مستحقيها الثمانية كما نص عليه الشرع الإسلامي حسب الفقه المالكي.

ويتكفل "المجلس العالي للإخوان" بالجغبوب الذي يتشكل من كبار العلماء بجمع الزكاة والأعشار من الزوايا، وفي حقيقة الأمر كان علماء السنوسية مؤهلين قبل غيرهم لتلك المهمة، لأن جمع الزكاة يتطلب علمًا غزيرًا في عدة علومٍ، منها علم الأصول والفروع والفقه ومعرفة دقيقة في علم الحساب[2] والفرائض[3] وغيرها، وهذا ما لم يتوفر لدى البدو، إذ ليس بمقدورهم القيام بذلك بسبب جهلهم وانتشار الأمية في أوساطهم.

وبغرض تسهيل عملية جمع الزكاة تم تشكيل خزانة حكومية خاصة ببيت المال، وأُنشِئت هيئة استشارية في عهد المهدي السنوسي، مهمتها الإشراف على القضايا المالية، من جمع الزكاة وجرود التبرعات والهبات وغيرها[4]، وكان للزوايا السنوسية موظفٌ خاصٌ بالاقتصاد يسمى "وكيل الدخل والخرج"، وآخر خاص بالزكاة يسمى" آغا الزكاة ". ويبدو أن شيخ الطريقة السنوسية كان يتحكم في الإيرادات المالية، بدليل أن كل الزوايا السنوسية سواء التي بُنيت في ليبيا أو خارجها كانت تَسُوق محاصيل بساتينها ومزارعها وإيراداتها المالية إلى المركز الرئيسي للسنوسية

---

(1) – أوجب في الذهب والفضة والتجارة ربع العشر، وفي الزروع والثمار نصف العشر أو العشر، وفي المعدن الخمس. ينظر : ابن قيم الجوزية، مرجع سابق، مج2، ص333.

(2) – علم الحساب : هو علم بقواعد يعرف بها طرق استخراج المجهولات العددية من المعلومات العددية. ينظر: حاجي خليفة، مرجع سابق، مج1، ص662.

(3) – علم الفرائض : هو علم بقواعد وجزئيات تعرف بها كيفية صرف التركة إلى الوارث. ينظر: نفسه، مج2، ص1244.

(4) – نيكولاي إيليتش بروشين، مرجع سابق، ص86.

بالجغبوب[1]، ويتولى شيخ الطريقة السنوسية صرف الأموال العينية والنقدية بنفسه، ويتصرف في الفائض إما بتخزينه أو استبداله أو بيعه للإنفاق على عملية التعليم وغيرها، وهذا يعني أن السنوسية تتصرف في الإيرادات المالية بعيدًا عن السلطة العثمانية، ولم توضح الدراسات إن كان هذا في طرابلس الغرب فقط أم خارجها أيضا.

2-2- الهبات والتبرعات :

تنوعت الهبات والتبرعات التي قُدمت للسنوسية، وأبرزها العقار الذي يعتبر الأثمن، وغالبًا ما كانت تُمنح أرض من طرف قبيلتين متنازعتين إلى الطريقة السنوسية لتكون كمنطقة محايدة[2]، وهكذا توسعت الأراضي وأصبحت تشكل ضيعات واسعة جدا بمثابة إقطاعيات خاصة بقبائل المرابطين السنوسيين الذين كان البدو ينظرون إليهم كأصحاب خير وبركة، وسرعان ما ساهم ذلك بطريقة غير مباشرة في بروز طبقات اجتماعية ثرية لعائلة آل السنوسي، عُدَّت في نظر البعض طبقات إقطاعية لها امتيازات خاصة، وذلك على حساب الفلاحين البسطاء على غرار ما كان سائدًا آنذاك.

ومهما يكن من أمر، فإن إمداد الدعوة السنوسية بأسباب الحياة وتقوية ساعدها، يعود إلى البرقاويين الذين أمدّوها بالهبات، ومنتجات مزروعاتهم، وحيواناتهم، وتبرعاتهم، وصدقاتهم، وهداياهم، وغيرها، وهذا ليس في زمن الشيخ السنوسي فحسب، بل تعداه إلى أبنائه وأحفاده أيضا.

2-3- الأوقاف :

إن أغلب أملاك الزوايا السنوسية موقوفة[3]، ويتم وقفها بعدة طرق، منها : الهبة، والتبرع، والشراء، وإحياء الأراضي البور، وإصلاح الآبار الخربة، وضم المواقع المتنازع عليها بين القبائل وتحويلها إلى الزاوية برضى المتخاصمين، وغيرها، وعادة ما تُخصص من مداخيل الأحباس – أي الأوقاف- صرف مرتبات موظفي وكلاء الأوقاف والأئمة والمؤذنين وغيرهم، كما تُخصص من المداخل أموالًا لشراء الزرابي والأثاث، وثمن الترميمات، والإنارة، وغيرها من الخدمات الضرورية للمساجد والزوايا والخلاوي والكتاتيب ونحوها، إضافة إلى النفقات على الفقراء والمساكين والمحتاجين وعابري السبيل وغيرهم.

---

[1] – يونس علي العسكري السنوسي، **"الموارد الاقتصادية والنظم الإدارية للزوايا السنوسية"**، المجلة الليبية العالمية، عدد22، 25 جوان 2017، ص ص5، 6.

[2] – نيكولاي إيليتش بروشين، مرجع سابق، ص86.

[3] – سبعون ألف نخلة موقوفة وارداتها للزاوية المخصصة لإقامة الشيخ السنوسي. ينظر : علي الجميل الموصلي، **التحفة السنية في المشايخ السنوسية**، دب، مطبعة سرسم في الموصل، 1331، ص34.

ويأخذ الوقف[1] صبغة قانونية بواسطة توثيقه لدى السلطة العثمانية، ومن الأمثلة على ذلك محل ببرقة يقال له "أجدابية قصرين معلومات"، رغب فيه أهل المغاربة والزوية إنشاء زاوية فيه، لذلك راسلا قائمقام الوقف في 15 محرم 1276هـ (قبل وفاة السنوسي بشهر) من أجل استصدار بيورولدي حتى لا يُتعدى على الأرض[2]، ونفهم من هذا المثال حرص القبيلتين المذكورتين على إصدار مرسوم لتحويل الأرض إلى وقف، واحتمال أن يكون الهدف من ذلك التهرب من دفع الضرائب أيضًا، باعتبار أن الزوايا السنوسية أُعفيت منها منذ فرمان 1856م. وقد عانى السكان كثيرًا وضاقوا الأمرين من الدولة العثمانية التي كانت تفرض ضرائب ثقيلة على الأراضي الزراعية، حيث تقوم هي بتقييم غلاتها حتى تضمن أغلى سعر ممكن، ولم تسلم حتى آبارها من الرسوم والضرائب والأتاوات، بل كانت تستغل أخشابها أيضًا، ولم يكن بوسع الأهالي تملك الأرض لأن أغلبها تعد أملاكًا عمومية وأراضي ميرية، أي أملاك عمومية تابعة للدولة العثمانية لا يستفيد منها الخواص.

وعند دخول الاستعمار الإيطالي حُرمت الحركة السنوسية من هذا المصدر الإسلامي الهام وهو الوقف، وذلك بالسطو على أوقافها ومصادرتها[3]، وتطبيق الاستيطان، ثم إلحاق ليبيا بإيطاليا تحت اسم "الشاطئ الرابع".

2-4- الزراعة :

تعتبر الزراعة من أهم مداخيل الزوايا السنوسية، وذكر بعض المؤرخين أن الأراضي المزروعة للزوايا السنوسية بلغت مساحات شاسعة تجاوزت أحيانا (2.5) ألف [كذا] هكتار بما في ذلك أراضي الرعي[4]، وللعلم فإن ممتلكات الحركة السنوسية تجاوزت مائتي ألف هكتار[5]، وفي كثير من الأحيان يستعمل العبيد في زراعتها بسبب قلة السكان، إذ لم يكن يتجاوز في العادة عدد سكان الزاوية الواحدة خمسون شخصا[6]، خاصة في الواحات الصحراوية، وجرت العادة أن يتبرع كل فرد من أفراد القبيلة التي تُبنى الزاوية في أرضها بحراثة يوم، وحصاد يوم، ودراسة يوم آخر، وساهم هذا كثيرا في زيادة المداخيل والثراء وإعمار الأرض. وعادة ما يكون بجوار كل زاوية جنان

---

(1) – الوقف من معانيه في اللغة "الحبس"، وعرفه ابن عرفة من المالكية فقال : الوقف – مصدرا – إعطاء منفعة شيء مدة وجوده لازما بقاؤه في ملك معطيه ولو تقديرا. ينظر : وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية الكويت، **الموسوعة الفقهية**، ط2، الكويت، طباعة ذات السلاسل، 1983، ج44، ص183.

(2) – أحمد صدقي الدجاني، مرجع سابق، ص ص240، 241.

(3) – صدر مرسوما ملكيًا في الجريدة الرسمية في العهد الفاشستي ينص على مصادرة أوقاف الزوايا السنوسية. ينظر : علي مُحَمَّد الصلابي، **الحركة السّنوسية في ليبيا سيرة الزعيمين مُحَمَّد إدريس السنوسي وعمر المختار**، ط1، صيدا.بيروت.لبنان، المكتبة العصرية، 1428هـ/2007م، ج3، ص142.

(4) – نيكولاي إيليتش بروشين، مرجع سابق، ص77.

(5) – نفسه، ص77.

(6) – نفسه، ص77.

أو بستان تغرس فيها أنواع مختلفة من الأشجار، وحرص الإخوان على ذلك إلى درجة استجلاب أصناف أخرى من أقاصي البلدان وغرسها خاصة في المناطق الجرداء مثل زوايا الكفرة، لذلك اخضرت الأرض وأثمرت البساتين والحقول، وأنتجت الفواكه والثمار والبقول والزروع، وتحولت الصحراء الجرداء إلى غابات وواحات خضراء، وساهم ذلك في تحقيق الاكتفاء الذاتي، وترسيخ فكرة الاعتماد على النفس.

وكان الشيخ السنوسي يوصي أتباعه بالزراعة، لأنه رأى فيها الخير الكثير، واعتبرها مفتاح النجاح والسعادة، وهذا ما ورد بالضبط في رسالة بعثها إلى مصطفى المحجوب شيخ زاوية الطيلمون، في محرم سنة 1276هـ، قال فيها : « ... وابذلوا الوسع في حصاد الزرع والدراس والتحفظ عليه من التشتيت بأيد الناس، ومثلكم لا يحتاج إلى التوصية فيما هو بين يديه، جعلك[كذا] الله دليلا للسعادة ... »[1].

2-5- التجارة :

إن ممارسة التجارة ومعرفة الأسواق وحالتها من حنكة الإخوان، وتعد مصدرًا ماليًا رئيسيًا للحركة السنوسية، إذ يخصص قسم من الأرباح للزوايا، بينما يخصص الباقي للطريقة السنوسية نفسها[2]، والتضلع في التجارة ومعرفة فنونها من بين الشروط التي تفرض على المريدين الجدد، وقد تحصلت السنوسية على أرباح طائلة مصدرها التجارة، فمثلا أصبحت تملك آلاف النخيل في الكفرة من جراء تجارة التمور، ومحلات تجارية في المرج وبنغازي ودرنة وغيرها[3]، وكانت مداخيلها متنوعة مثل الشعير، والجلود والصوف، والحبوب المسلى، والعسل، واللحوم والأغنام، وقد يكون من بين دخلها أيضًا النقود، أو البضائع المستوردة، كالأرز والشاي والسكر والأقمشة وغيرها[4].

ونستخلص مما سبق أن السنوسية لم تعتمد على الكسب السهل من الهبات والتبرعات وجمع الزكاة، بل كانت تشجع على العمل للكسب والادخار إلى درجة أنها كانت تحرم على أتباعها التسول[5]، لذلك نجد مُحَمَّد المهدي السنوسي يحث الإخوان على الكد، ويخصص لهم بعض أيام الأسبوع لتعلم نوع من الحرف، فمثلًا خصّ يوم الخميس -كما مر معنا- لتعلم البناء والنجارة والحدادة والنسيج، وغيرها.

وعمومًا، تعتبر الزاوية اللبنة الأساسية في مسار وتاريخ الحركة السنوسية، فكانت بمثابة منارات علم وإشعاع ديني ومعرفي لاسيما في الصحاري والقفار البعيدة، وفي هذا الإطار يقول الشاعر أحمد رفيق المهدوي :

---

[1] – أحمد صدقي الدجاني، مرجع سابق، ص158.

[2] – مُحَمَّد فؤاد شكري، مرجع سابق، ص ص48، 49.

[3]- Edward Evan Evans-Pritchard, op.cit, p 78.

[4] – مصطفى عبد الله بعيو، مرجع سابق، ص57.

[5] – مُحَمَّد فؤاد شكري، مرجع سابق، ص48.

في صحاري يلفح القيظ بها كشواظ النار فيها الساكنين
وبلاد في غمار مطبق بظلام البؤس والغيم المشين
عمها دينا ودنيا فقدا أهلها من علماء المسلمين
وبنى فيها (زوايا) أصبحت منهلا عذبا أورد الضامئين
ومنارات تشع العلم من قابس عن نور رب العالمين[1]

3- عدد الزوايا السنوسية[2] :

لقد بلغ عدد الزوايا السنوسية عند وفاة الشيخ السنوسي اثنتان وعشرون زاوية، منها ثمانية عشرة في برقة وحدها[3]، واختلف المؤرخون بعد ذلك في تحديد عددها، بالنسبة لدوفيري ذكر مائة وواحد وعشرين زاوية سنة 1883م[4]، أما رين حصرها في ثمانية وسبعين زاوية سنة 1884م عندما نشر كتابه "أخوان ومرابط"، وشكيب أرسلان حددها بمائة وثمانية وثلاثين زاوية[5]، أما الأشهب أحصى مائة وسبعة زاوية، وأكبر عدد ذكره إيفانس بريتشارد وهو مائة وستة وأربعين زاوية[6]، بينما انفرد كل من دبون وكوبولاني بإحصاء أقل عددٍ وهو ستة وأربعين زاوية فقط وذلك في كتابهما "طرق التصوف الإسلامية" الذي نُشر سنة 1897م[7]، ورغم اختلاف المؤرخين في تحديد عدد زوايا السنوسية، إلا أنهم اتفقوا على أن أغلبها يتركز في برقة[8].

---

[1] - علي مُحَمَّد الصلابي، **تَاريخ الحرَكَة السَّنُوسيَّة في أفريقيا**، مرجع سابق، ص152.

[2] - ينظر : الملحق رقم 13، ص418.

[3] - مُحَمَّد فؤاد شكري، مرجع سابق، ص35.

[4] - أحصى دوفيري مائة وواحد وعشرين زاوية، موزعة على إحدى عشرة منطقة كما يلي : **1**- مصر: (17 زاوية)، **2**- تركيا : (1)، **3**- آسيا : (2)، **4**- طرابلس وبرقة : (66)، **5**- التبو والبائلي : (6)، **6**- السودان الشرقي : (1)، **7**- تونس : (10)، **8**- الجزائر : (8)، **9**- المغرب : (5)، **10**- الصحراء المستقلة : (4)، **11**- السودان الغربي : (1). ينظر :
Henri Duveyrier, op.cit, pp 57-80.

[5] - 138 زاوية، موزعة على ستة مناطق كما يلي : ليبيا : (75)، مصر: (32)، الحجاز : (13)، إفريقيا الوسطى : (10)، تونس : (6)، الجزائر : (2). ينظر : Nicola.A.Ziadeh, op.cit, pp 102.

[6] - أحصى بريتشارد مائة وستة وأربعين زاوية، موزعة على سبعة مناطق كما يلي : 1- برقة : (45 زاوية)، 2- مصر : (31)، 3- العربية : (17)، 4- طرابلس : (18)، 5- فزان : (15)، 6- الكفرة : (6)، 7- السودان : (14). ينظر :
Edward Evan Evans-Pritchard, op.cit, p 25.

[7] - 46 زاوية وُزعت على ستة مناطق كما يلي : برقة : (33 زاوية)، طرابلس : (5)، العربية : (3)، السودان الشرقي : (3)، الجزائر : (1)، مصر : (1). ينظر : Nicola.A.Ziadeh, op.cit, pp 101, 102.

[8] - بلغ عددها 38 زاوية سنة 1885م، ثم ارتفع إلى 49 سنة 1932م. ينظر : مُحَمَّد فؤاد شكري، مرجع سابق، ص62.

ونلاحظ أن عدد الزوايا ارتفع بشكل واضح في عهد الخليفة الثاني للحركة السنوسية الشيخ مُحَمَّد المهدي الذي تميزت سياسته بالتوغل جنوبًا في الصحراء الإفريقية الكبرى، وظل عددها ثابتًا تقريبًا في عهد أحمد الشريف – وربما نقص قليلا –، لأن الحركة السنوسية لم تهتم كثيرًا ببناء الزوايا، بل كان هاجسها الرئيسي الجهاد وصد العدوان.

والجدير بالإشارة أن دراستنا شملت الزوايا السنوسية وعمائرها الدينية أيضًا، ونقصد بذلك المساجد والكتاتيب والخلاوي والمدارس القرآنية[1] والتي لم أخصص لها دراسة منفردة، لأنها تابعة ضمنيًا إلى الزوايا وتُعد جزءًا لا يتجزأ منها، كما أن أغلبها يقع في حيزها الجغرافي، ونظرًا للعدد الهائل للزوايا ارتأيت أن أتطرق للأهم منها، وركزت على التي كان لها دور ملموس في النشاطات الثقافية، وذلك من خلال شيوخها وأئمتها وعلمائها، وقسمتها إلى منطقتين رئيسيتين، الأولى شمال أفريقيا، والثانية أفريقيا جنوب الصحراء :

3-1- زوايا شمال أفريقيا :

3-1- 1- طرابلس الغرب :

3-1-1- 1- الزاوية البيضاء[2]:

حملت هذه الزاوية اسم المدينة التي تقع فيها وهي مدينة البيضاء بالجبل الأخضر، وتُعد أول زاوية بناها الشيخ السنوسي في برقة وذلك في عام 1257هـ[3]/ 1841م، والغريب في الأمر أن حجر أساس[4] بنائها الذي اكتُشِف مؤخرًا يشير إلى سنة 1840م والذي أكده أيضًا شيخ الزاوية الحالي الشيخ العلمي[5]، مبينًا أن أول شيوخها هو السيد الفيلالي المغربي.

---

[1] – مثلًا، كانت بأجدابيا مدرسة قرآنية كبيرة تعد في طليعة الكتاتيب القرآنية، تأسست في حياة الشيخ السنوسي ولها نفس نهج الجغبوب في التدريس، ومعلمها هو الشيخ سيدي الحاج طاهر المراكشي، وتقوم هذه المدرسة بتخريج حفظة القرآن الكريم بأعداد كبيرة، غالبًا ما يكونون أئمة لصلاة التراويح. ينظر : مُحَمَّد الطيب الأشهب، **برقة العربية أمس واليوم**، مرجع سابق، ص565.

[2] – ينظر الملحق رقم 7، ص412.

[3] - ورد سنة 1275هـ تصحيفًا. ينظر : مُحَمَّد الطيب الأشهب، **السنوسي الكبير عرض وتحليل لدعامة حركة الإصلاح السنوسي**، مرجع سابق، ص18.

[4] – وضع الشيخ السنوسي حجر الأساس بيده الكريمة، وهذا الحجر موجود بعينه في جدار المسجد. ينظر : عبد المالك بن عبد القادر بن علي، مرجع سابق، ص ص30، 31.

[5] - قال الشيخ العلمي –شيخ الزاوية الحالي ومدرس بجامعة مُحَمَّد بن علي السنوسي الإسلامية– أن الزاوية البيضاء تأسست عام 1257هـ/1840م[كذا]، والتاريخ منقوش في حجر الأساس الذي وضعه الشيخ السنوسي، وقد اكتُشف مؤخرًا. ينظر : مُحَمَّد أبو بكر السنوسي، **الزاوية السنوسية في مدينة البيضاء (دراسة ميدانية)**، رسالة ليسانس غير منشورة، جامعة السيد مُحَمَّد بن علي السنوسي الإسلامية، 2019-2020، ص19.

ومساحة الزاوية مستطيلة الشكل[1] قياس (26.4×25 متر)، تتكون من مسجد، وسبعة عشرة خلاوي[2] متساوية المساحة بقياس (3×4 متر)، وتتكون أيضًا من كتاب، ومسكن للشيخ والوافدين، وإسطبلات، ومكتبة، وصهريج ماء، وحانوت[3]، ويوجد بها تسع قاعات[4] مستطيلة الشكل أقلها مساحة قياس (3×5 متر)، وأكبرها قياس (4×7 متر) إحداها بها أحواض لغسل الألواح[5]، إضافة إلى صحن[6] فسيحٍ يقع في الوسط، وتتميز هذه الزاوية بمئذنتها الرائعة ذات الشكل الأسطواني، منتهية بقمة مخروطية مدببة[7].

وإضافة إلى الصلاة وترديد الذكر، لهذه الزاوية دور علمي، يتمثل في معهدها العلمي الذي يقوم بتحفيظ القرآن الكريم للأطفال والكبار على السواء، وتدريس علوم أخرى.

وعندما غزى الطليان الجبل الأخضر خرَّبوا الزاوية ودنَّسوها، وذلك بأن جعلوا فناء المسجد والخلاوي مربطًا للخيول والبغال، ومصلى المسجد مخزنًا للعلف، كما هدموا معهدها[8]، وبذلك صدقت فراسة الشيخ السنوسي التي تطرقنا إليها سلفا.

3-1-1- 2- زاوية الجغبوب[9] :

تعد زاوية الجغبوب المقر الرئيسي للحركة السنوسية، وتُسمى أيضًا "الجغايب"، وتقع على بعد مائة وسبعين ميلا من طبرق قرب الحدود المصرية[10]، وبُنيت فوق ربوة عالية[11]، كموقع حصين واستراتيجي، وقد أشرف الشيخ السنوسي بنفسه على تشييدها، وذلك بمراقبة العمال وإيجاد ظروف العمل المناسبة؛ كتوفير العتاد ونقل الماء لاسيما من بئر حكيم، وتوجيه البنائين، وتقديم العون بكل أشكاله رغم شيخوخته والظروف الصحية الصعبة

---

(1) – زارها المفتي الطاهر أحمد الزاوي سنة 1965م، وقال بأنها مربعة الشكل، بها 23 حجرة مخصصة لسكنى الطلبة وحفظة القرآن. ينظر : الطاهر أحمد الزاوي، مرجع سابق، ص161.

(2) – ينظر : الملحق رقم 8، ص413.

(3) – مُحَمَّد أبو بكر السنوسي، مرجع سابق، ص ص29-37.

(4) – ينظر : الملحق رقم 8، ص413.

(5) – مُحَمَّد أبو بكر السنوسي، مرجع سابق، ص ص36-37.

(6) – ينظر : الملحق رقم 8، ص413.

(7) – ينظر : الملحق رقم 8، ص413.

(8) – مُحَمَّد عبد المنعم خفاجي، مرجع سابق، ص ص220، 221.

(9) – ينظر : الملحق رقم 9، ص414.

(10) – أباحت الحكومة المصرية للسيد السنوسي أن يبني الجغبوب لأنه يقع ضمن أملاكها، وهذا إكراما له باعتباره يريد نشر الدعوة الإسلامية في الصحاري. ينظر : رأفت غنيمي الشيخ، مرجع سابق، ص103.

(11) – يونس علي بالقاسم السنوسي، مرجع سابق، ص ص40، 41.

بالمنطقة[1]، كما كان مرحًا وحكيمًا أثناء العمل، حيث يهيئ الجو الملائم بالحكايات المشوقة والدعابة الهادفة ونحو ذلك.

وكان الشيخ متعلقًا جدًا بزاوية الجغبوب ويوليها مكانة خاصة، ويعتبرها مكانًا مقدسًا، له قيمة روحية كبيرة، وهذا ما قاله بالضبط الأشهب : « كان الإمام الأكبر السيد مُحَمَّد بن علي السنوسي يسمي زاوية الجغبوب بالزاوية الخضرية (نسبة للخضر عليه السلام) ويسميها أيضا بوادي الإيمان والدرر المرصعة ... »[2].

والمباني الرئيسية لزاوية الجغبوب هي : المسجد[3]، والصحن[4]، وبيت الصلاة[5]، والمحراب[6]، والميضأة، والمئذنة[7]، وقاعات الدراسة[8]، والأروقة، والخلوات[9]، والمكتبة، والضريح[10]، إضافة إلى مرافق أخرى تابعة للزاوية اقتضت الضرورة أن تكون بعيدة نوعا ما، منها : منزل الشيخ، والمضيفة، والمستودعات، والإسطبلات،

---

(1) – كان مرض الملاريا منتشرًا بالجغبوب. ينظر : Nicola.A.Ziadeh, op.cit, p 105.

(2) – مُحَمَّد الطيب الأشهب، **السنوسي الكبير عرض وتحليل لدعامة حركة الإصلاح السنوسي**، مرجع سابق، ص51.

(3) – تُؤدى فيه الفرائض، ويجتمع فيه الإخوان للذكر وقراءة القرآن الكريم بشكل جماعي وترديد أوراد الطريقة السنوسية. ينظر : يونس علي بالقاسم السنوسي، مرجع سابق، ص108.

(4) – يقع في الجهة الجنوبية الشرقية من بيت الصلاة والقبة، مربع الشكل طول ضلعه 25.00 متر. ينظر : نفسه، ص108.

(5) – بيت الصلاة مستطيلة الشكل 20.60م × 18.60م بها نوافذ، قُسمت إلى ستة أساكيب موازية لجدار القبلة بواسطة خمسة بوائك، مرتكزة على دعامات. ينظر : يوسف خليفة خليفة ويونس امُحَمَّد عبد الله سرافيل، " **المجمع الديني بالجغبوب (الزاوية السنوسية) (ملامح** العمارة والتخطيط) "، مجلة الارادة العلمية المحكمة، العدد الأول، سبتمبر 2021، ص286.

(6) – يتوسط المحراب جدار القبلة بحنية نصف دائرية على شكل حدوة الفرس، مزخرف في إطار بارز ارتفاعه 2.50م، وعمقه 0.90سم، وعرضه 0.88سم. ينظر: نفسه، ص286.

(7) – وحدة منفصلة عن المسجد، تتألف من ثلاثة أجزاء (القاعدة، البدن، نهاية المئذنة)، مثمنة الشكل، طولها 26م، وهذا النوع من الآذن اشتهر في العمارة العثمانية عامة، وفي ليبيا خاصة مثل جامع أحمد باشا القرمانلي في طرابلس، ونهاية المئذنة دائرية الشكل تنتهي بقبة مخروطية الشكل يعلوها هلال. ينظر : نفسه، ص ص157، 288.

(8) – عددها ست وأربعون قاعة. ينظر : يونس علي بلقاسم، مرجع سابق، ص112.

(9) – عددها عشرون خلوة يسكنها الطلاب ويتعبدون فيها، وهي مستطيلة الشكل 2 × 3 متر، تتكون من سدتين، كل واحدة تعلو الأخرى، مسقوفتين بجذوع النخل والجريد. ينظر : نفسه، ص113. والخلوات مخصصة لسكن الطلاب الغرباء، ويختلون فيها أيضًا للتعبد ليلًا، ومن هنا جاءت التسمية، وهي تشبه نظام الأروقة في جامع الأزهر الشريف، وتُسمى "رباطات"،كل واحد مخصص لبلد معين، مثل رباط السودان ورباط سيوة، ورباط المغاربة، وغيرها. ينظر : مصطفى عبد الله بعيو، مرجع سابق، ص ص45-47.

(10) – يونس علي بالقاسم السنوسي، مرجع سابق، ص ص108-116. والضريح مستطيل الشكل 8.50م × 15.50م. ينظر: روزيتا فوربس، مرجع سابق، ص288.

ومساكن العمال[1]. ويحيط بالجغبوب سور حجري له سبعة أبواب، لكل واحدة اسم وهي : الاستسقاء، والعين، والكرة، والكوادير، والبحري، والغربي، والرحمة[2]، بينما ذكر رين أربعة أبواب فقط، ووصف الجغبوب كما يلي : يحيط به سور، وبه أربعة أبواب واحدة منها كبيرة مخصصة لدخول قوافل الحجيج، وبجواره واحة صغيرة تتكون من ثلاثة عشرة مزرعة، بها ثلاثة عشرة بئرا وأشجار زيتون، وما بين مائة وخمسين ومائتين نخلة، إضافة إلى مخازن السلاح والذخيرة. وكانت روزيتا فوربس قد زارته رفقة أحمد مُحَمَّد حسنين عام 1920م ووصفته قائلة : « دخلنا عبر قنطرة بيضاء إلى فناء واسع في وسطه بئر ... وليس الجغبوب مدينة بمعنى الكلمة، بل هو عبارة عن مبنى ضخم وسميك، به قليل من النوافذ، وبه ممرات وأقسام ومبنى خاص للطلاب، ومنزل كبير لعائلة السنوسي، ومسجد واسع به قبة سيدي بن علي »[3]، وأضافت قائلة : « ... هذا المبنى الضخم مقام على صخرة عليها سلالم (درج) نازلة إلى حدائق النخيل، وإلى بئر كبيرة تستعمل في أمداد المستوطنة كلها بالماء ... »[4].

وكان مخطط الجغبوب في البداية بسيطًا[5]، ضم مرافقًا محدودة، لكنه نمى وتوسع بعد استقرار الإخوان، حيث أُنشِئت العديد من المرافق الخدماتية الأخرى الضرورية للحياة؛ كالمخابز، وعيون الماء، والصهاريج لحفظ ماء المطر، وكوشة جير، ومعاصر الزيت، وغيرها[6]. وازداد عدد سكان الجغبوب، حيث بلغ أكثر من ثلاثمائة شخص عندما زاره الحشائشي، وذكر صادق المؤيد مبعوث السلطان الذي زاره أيضا في عهد المهدي سنة 1307هـ أن عدد سكانه لا يزيد عن خمسمائة من المقيمين، يضاف إليهم خمسمائة آخرين من غير المقيمين[7]، ونلاحظ الاختلاف بين الإحصائيين، إلا أنني أرجح رقم صادق المؤيد لأنه يمثل السلطة العثمانية وكان في مهمة رسمية، والغريب في الأمر أن دوفيري – والذي سبقهما – ذكر إحصائيات أخرى، والأغرب أنها أكبر من تلك الأرقام بكثير[8].

---

(1) – يونس بلقاسم السنوسي، مرجع سابق، ص ص119-122.

(2) – يوسف خليفة خليفة ويونس مُحَمَّد عبد الله سرافيل، مرجع سابق، ص284.

(3)- Nicola.A.Ziadeh, op.cit, pp 100-107.

(4) – روزيتا فوربيس، مرجع سابق، ص408.

(5) – ينظر : الملحق رقم 10، ص415.

(6) – مُحَمَّد الطيب الأشهب، **برقة العربية أمس واليوم**، مرجع سابق، ص ص190، 191.

(7) – أحمد صدقي الدجاني، مرجع سابق، ص115.

(8) - بلغ عدد سكان الجغبوب حوالي أربعة ألف شخص، منهم جزائريون يمثلون حراس الشيخ مُحَمَّد المهدي، وفي عام 1881م أشار دوفيري إلى وجود هناك بوشندورة صاحب اضطرابات الجلفة التي حدثت عام 1861م. ينظر:

Henri Duveyrier, op.cit, pp 57, 58.

وظل الجغبوب عاصمة للحركة السنوسية، ومركز إشعاع ثقافي وديني بامتياز، ومنارةً للعلم، يقصده الطلاب والعلماء من كل مكان في العالم مشرقًا ومغربًا وجنوبًا، بدليل أن الرحالة رولفس[1] عندما كان بالكفرة سنة 1876م رأى وصول وفدٍ من السنغال لزيارة مُحَمَّد المهدي السنوسي، ولم يعودوا إلى بلدهم إلا بعد زيارة الجغبوب[2]، وفي سنة 1310هـ/ 1892م وصل إلى المقر وفد حجازي مؤلف من عدة علماء منهم السيد السنوسي حامد، كما وصل وفد من الجزائر والمغرب على رأسه أحمد بن تكوك[3] ممثل السنوسية هناك[4]، ويبدو أن الشيخ ابن تكوك –عقب وفاة أبيه وكان ذلك قبل عامين– جاء ليجدد العهد والولاء للشيخ مُحَمَّد المهدي السنوسي، مما يؤكد العلاقة الوطيدة بين الإخوان مهما بعدت المسافات، وأيضا مدى الحرص الشديد على صلة الرحم بين أبناء العمومة، ونقصد بين آل تكوك وآل السنوسي.

وللجغبوب مكانة مقدسة عند الإخوان، وفي هذا الصدد ينظم الأشهب :

(جغبوب) كنت لنا المأوى إذا نزلت ... بنا الشدائد في الحالين ترعانا
وكنت مفخرة الاسلام في زمن ... حتى رفعت له بالعز عمدانا
عهدى بذلك الحمي والشمل مجتمع ... وغادة الحي أهواها وتهوانا[5]

ولم يبق الجغبوب سالما، حيث تعرض إلى التخريب عندما احتلته إيطاليا سنة 1926م، وبهذه المناسبة الأليمة نظم الشاعر السوداني صالح أفندي عبد القادر قصيدةً جاء فيها :

لا مرحبا بك أيها العام ... عام به تتجدد الآلام
فإذا كتبت لمصر بعد الفصل في ... جغبوب ليلة زلزل الأهرام
في ساعة نشر الوزير بيانه ... وتبججت روما ودار الجام
(جغبوب) تلك آخر الماسات على ... عيون (صدقى) عن سواك تنام

---

[1] – رولفس أول أوروبي يزور الكفرة، وكتب هذا المكتشف الألماني في "مجلة الجمعية الافريقية". ينظر : روزيتا فوربس، مرجع سابق، ص23.

[2] – مُحَمَّد فؤاد شكري، مرجع سابق، ص64.

[3] – أحمد بن تكوك : حلاه حشلاف بلقب : "البركة والعلامة الجليل والشيخ"، حيث قال : « ... وفي الفروع الخطابية سادات فضلاء أجلة وبدور أهلة وأولياء عظام ورجال فخام خصوصا رئيس الطريقة السنوسية البركة العلامة الجليل الشريف الأصل الشيخ السيد الحاج أحمد الملقب التكوكي بن البركة الشيخ مُحَمَّد الشارف بن سيدي الجيلالي، المتوفي سنة 1925 مسيحية وانجاله الكرام الآن منهم رئيس الطريقة السنوسية التكوكية بزاوية أولاد شافع الاعلامة المبجل الشيخ عبد القادر ... ». ينظر : عبد الله حشلاف، مرجع سابق، ص98.

[4] – مُحَمَّد الطيب الأشهب، **برقة العربية أمس واليوم**، مرجع سابق، ص209.

[5] – نفسه، ص195.

على الحوادث عند فضلك تنتهي فكيف عن سوادنا المستنام[1]

3-1- 1- 3-زاوية التاج :

تقع زاوية التاج في الكفرة[2]، وبناؤها كانت رغبة الشيخ السنوسي وذلك منذ أمد بعيد، حيث طلب من الزوي بناء زاوية في صحراء برقة، وخيَّر بينهم وبين العواقير في حالة تقاعسهم، وكان غرضه تحفيز الزوي على ذلك، وهذه وسيلة ذكية والتفاتة طيبة من جنابه، وقد نجح في ذلك.

وقصة بناء هذه الزاوية كانت عقب رحلة دامت شهرين قام بها مُحَمَّد المهدي من الجغبوب إلى هذه المنطقة، رفقة وفد كبير من الإخوان ضم عائلته وأخيه مُحَمَّد الشريف والطفل أحمد الشريف وأخته السيدة عائشة، وعقب وصول الموكب إلى واحة الجوف حظي باستقبال بهيج أتحفته الزغاريد والطبول من أهالي قبيلة الزوية التي أوفت بعهدها للإمام السنوسي الكبير، وفي 1 ربيع الأول 1313هـ/1895م أمر مُحَمَّد المهدي بناء هذه الزاوية، وكان ذلك فوق ربوة قرب زاوية الجوف على بعد ميل ونصف، ومن حينها أصبحت مقرًا للحركة السنوسية.

وتعود أسباب رحيل مُحَمَّد المهدي إلى رغبته في الابتعاد عن الرقابة العثمانية المتكررة للجغبوب بحجة التفتيش عن السلاح، وقد أُحرِج عدة مرات[3]، ورغم صداقة السلطان عبد الحميد لمحمد المهدي إلا أنه انزعج من تزايد شكاوي واتهامات الأوروبيين ضد السنوسية[4]، وفي الحقيقة كان غرضهم – كعادتهم – تأليب الأتراك لا غير، وفعلًا في سنة 1889م زار والي بنغازي رشيد باشا الجغبوب على رأس قوة مسلحة، متذرعًا بحجة توجيه دعوة إلى مُحَمَّد المهدي السنوسي لزيارة اسطنبول، ويذكر المؤرخون أن غرضه كان القبض عليه ونفيه، وهو ما أدركه مُحَمَّد المهدي فورا، وكانت هذه عادة الأتراك المألوفة في التخلص من أي زعيم يهدد مصالحهم، وهذا ما ذهب إليه

---

(1) – مُحَمَّد الطيب الأشهب، **برقة العربية أمس واليوم**، مرجع سابق، ص ص194، 195.

(2) – مجموعة واحات في صحراء ليبيا، تقع بين دائرتي عرض 23° و26° شمالًا وخطي طول 21° و24° شرقًا، على بعد 995 كلم جنوب بنغازي، واسم الكفرة من الكفر ضد الإيمان، وسكنها التبو وكانوا كفارا، وواحاتها هي : تازربو، الزيغن، بوزيما، ربيانة الهوارى، الهويرى، الجوف، البومة، البويمة، الطلاب، التاج، كبابو وهي آخر واحة في الكفرة جنوبًا، وسكان الكفرة الزوي والتبو. ينظر : الطاهر أحمد الزاوي، مرجع سابق، ص ص291-293.

(3) – تلقت وزارة الداخلية في اسطنبول أخبارا خطيرة عن نشاط مسلحٍ في الزوايا السنوسية، لذلك أرسلت مفتشًا إلى بنغازي للتحقيق، وأسفر ذلك عن تقرير بعثه والي طرابلس كمال باشا في 8 ربيع الأول 1287هـ/1870م. ينظر : أحمد صدقي الدجاني، مرجع سابق، ص204.

(4) – حاولت بعض الدراسات الاستشراقية المغرضة ربط توجه السنوسية جنوبا ونقل مقرها هناك بتجارة العبيد. ينظر:

Knut S.VikØR, op.cit, p 21.

البستاني أيضا[1]، بينما يرى الحشائشي أن سبب رحيل المهدي إلى الكفرة هو الرغبة في الانزواء. ومهما يكن من أمر فإن الحكومة التركية كانت مرحبة برحيل المهدي عن الجغبوب، بدليل مجيء وفد كبير من موظفي الحكومة التركية لتوديعه في جالو. ونحن نعتقد أن الضغط العثماني والمراقبة المستمرة للزوايا السنوسية، إضافة إلى العيون الأوروبية خاصة الفرنسية منها، هو سبب رحيل المهدي، إذ ليس من المعقول أن يقوم بتلك الرحلة الكبيرة والطويلة رفقة عائلته وأخيه لمجرد الرغبة في الانزواء.

لقد تأثر الإخوان كثيرًا لرحيل المهدي، ويوم الوداع نظم السيد أبو سيف قصيدةً عبّر فيها عن حزنه للفراق، جاء فيها :

هموا هيجو يوم الذي برح أشجاني ... وحاديهم لما ترنم أشجاني
وهم سلبوا لي والبس بينهم ... رداء الردى جسمي وأثواب أحزاني
وهم غادروا جسمي لقي بعد مهجة ... جرى ذوبها من بحر مدمعى القاني
فو الله لا أنسى عشية ودعوا ... فأودعتهم صبري وأودعت سلواني
وضاعف أحزاني مواقف جمة ... وبرح بي فقدانهن وأضناني
يسائلني مولاي تسئال [كذا] رحمة ... يجل بها شأني ويبتئس الشاني
ومن أعجب الأشياء رحلة معشر ... غدت محشرا أوهت قوي كل إنسان
تبلد من جرائها كل سوقة ... وطأطأ إجلالا لها كل سلطان
وزلزلت الدنيا وماجت بأهلها ... وعادت عواديين ترك وعربان
لك الله من ركب تيمم كفرة ... تناخم كيوار المتاخم سودان

ويستطرد واصفًا حالة الجغبوب بعد الرحيل قائلًا :

وخلوا بجغبوب المقدس علية ... يعلون بعدا النهل طلاب عرفان
وقصرا مشيدا كان مطمح أنفس ... ومطلع مطعام ومطعن مطعان
وربما عهدنا بهوه وهو آهل ... بإنجاب اشبال وآساد خفان
وكانت لهم فيه مواقف جمة ... أناب بها فخرا على كل إيوان

ويختم معبرًا عن أمله في اللقاء قائلًا :

فإني من رجعاكم لست أيسا ... ولا يأس من روح ورحمة رحمن
وإني مقيم سادتي برحابكم ... على عهدكم حتى ألف بأكفان

[1] – بطرس البستاني، مرجع سابق، مج10، ص148.

وإني أرجو نظرة من جمالكم تسلي عن الدنيا وزخرفها الفاني
عليكم سلام الله ما هبت الصبا تحية صب خافق القلب هيمان[1]

وواصلت زاوية التاج آداء دورها العلمي والحضاري، وهي مقدسة عند السنوسيين[2]، وقد انتقلت إليها جميع اختصاصات زاوية الجغبوب ابتداءً من سنة 1895م، ويذكر الملك إدريس أنه درس في مدرستها علوم الحديث والتفسير والشريعة والفقه والتاريخ والحساب، وعمره لم يتجاوز آنذاك الثانية عشرة[3]، مما يؤكد المستوى العلمي الرفيع ونبوغ الطلاب السنوسيين في سن مبكرة، وقد كان لقدوم الإخوان السنوسيين إلى التاج والكفرة عمومًا دور بارز في عمرانها، خاصة في تشييد بيوت الله التي كان يقصدها المصلون من كل مكان[4]. وظلت هذه الزاوية تؤدي دورها كمقر للحركة السنوسية إلى غاية سنة 1899م، حينما قرر الشيخ مُحَمَّد المهدي السنوسي نقل المقر للمرة الثانية إلى زاوية قرو في تشاد، واستمر ذلك حتى وفاته سنة 1902م، وبعدها نُقِل إلى الكفرة. ونشير إلى أن زاوية التاج- كغيرها من الزوايا – تعرضت للتخريب والتدنيس من طرف الاحتلال الإيطالي[5].

ونستخلص مما سبق أن مقر الحركة السنوسية تمركز في ثلاث زوايا : الأولى زاوية الجغبوب 1856-1895م، والثانية زاوية التاج 1895-1899م، والثالثة زاوية قرو 1899-1902م، وبعدها العودة إلى زاوية الكفرة 1902-1913م[6]، والمقصود بها زاوية "التاج" مكان مبايعة أحمد الشريف السنوسي –كما أسلفنا –.

---

(1) – مُحَمَّد الطيب الأشهب، **برقة العربية أمس واليوم**، مرجع سابق، ص ص217، 218.

(2) – قرية التاج هي قدس أقداس العقيدة السنوسية. ينظر : روزيتا فوربس، مرجع سابق، ص47.

(3) – إيريك آمار فولي دي كاندول، **الملك إدريس عاهل ليبيا حياته وعصره**، تر.مجهول، منشستر، الناشر مُحَمَّد عبده بن غلبون، 1989، ص13.

(4) – وصف أحمد مُحَمَّد حسنين سنة 1923م أحد مساجد الكفرة في صلاة الجمعة، بأنه جميل من الداخل وحوائطه عارية لكن مدهونة بالجير الأبيض النظيف، بينما فرشت الأرض بالسجاجيد والحصر، وللأمراء السنوسيين مكان خاص بهم يوم الجمعة، ورأى مصلين يستعينون بِ : "المسبحة" في الذكر، وآخرين يحسبون بأصابع أيديهم. ينظر : أحمد مُحَمَّد حسنين، مرجع سابق، ص197. ووصفت فوربس صلاة الجمعة في هذه الزاوية، حيث قالت بأن السنوسيين يرتدون لباسا فاخرا للصلاة، ويصلون في موكب رسمي يتشكل من سيدي محي الدين وسيدي إبراهيم ابني سيدي أحمد الشريف، وسيدي السنوسي ولد سيدي العابد، رفقة القائمقام، ويتجه المصلون بعد نهاية الصلاة إلى غرفة داخلية معتمة لتحية قبة سيدي المهدي. ينظر : روزيتا فوربس، مرجع سابق، ص 341.

(5) - قام الجنود الإيطاليون بقتل علماء ومشايخ زاوية التاج، وجعلوها حانة لشرب الخمر، وألقوا بالمصاحف القرآنية والكتب العلمية في الإسطبلات، وعبثوا بها إلى درجة أن أوقدوا بها النار لطهي الطعام. ينظر : علي مُحَمَّد الصلابي، **الحركة السّنوسية في ليبيا سيرة الزعيمين مُحَمَّد إدريس السنوسي وعمر المختار**، مرجع سابق، ج3، ص ص139، 140.

(6) – في عام 1902م اتخذ أحمد الشريف السنوسي من الكفرة عاصمة للحركة السنوسية، وفي عام 1913م تحول إلى الجغبوب ليكون قريبًا من ساحة الوغى. ينظر : علي مُحَمَّد الصلابي، **تَاريخ الحرَكَة السَّنُوسيَّة في أفريقيا**، مرجع سابق، ص ص217-254.

3-1-1-4- زاوية الجوف :

تقع زاوية الجوف في الكفرة في صحراء برقة، وتسمى أيضا زاوية الأستاذ[1]، وسماها دوفيري – تحريفًا – زاوية "الأستات"[2]، وقد بناها الشيخ بوحوا بتكليف من الإمام السنوسي، وأصبح مقدمها[3]. والزاوية عبارة عن بنيان ضخم على شكل قلعة، بها مسجد كبير ومدرسة ومنازل ومساكن، تقع على مسافة ثلاثة كلم شمال شرق قرية الجوف، بها عدد كبير من النخيل يقدر بربع مجموع نخيل الكفرة، لذلك اعتبرها دوفيري الزاوية الثانية من حيث الأهمية[4].

3-1-1-5- زاوية العزيات :

لم يحدد دوفيري المكان الجغرافي لهذه الزاوية، وقال بأنه غير معروف، ولم يحدد موقعها الفلكي أيضًا على عكس الزوايا الأخرى، لكنه اعتقد أن يكون جنوب الطريق بين درنة وترت، وبالمقابل أكد أن مقدمها أصله من تلمسان واسمه سيدي حسين الحلاف[5].

3-1-1-6- زاوية القصور :

لم يحدد دوفيري موقعها الفلكي، لكن جغرافيًا يعتقد أنها توجد في الطريق بين درنة والترت بمتصرفية بنغازي، ومقدمها هو سيدي مُحَمَّد المخلوف التواتي[6]، بينما ورد عند الصلابي أن أول شيخ لها هو العلامة مُحَمَّد المبخوت التواتي، ثم خلفه كل من مُحَمَّد مقرب حدوث والشهيد عمر المختار على التوالي[7].

3-1-1-7- زاوية عين المرعى :

تقع هذه الزاوية على بعد 1 كلم من منبع عين المرعى، وثلاثين كلم جنوب غرب درنة في متصرفية بنغازي، ومقدمها هو سيدي أحمد بوسيف[8].

---

(1) - Edward Evan Evans-Pritchard, op.cit, p 16.

(2) - تقع فلكيًا بين "24°31'0 شمالًا و"28°59'0 شرقًا. ينظر : Henri Duveyrier, op.cit, p 61.

(3) - زاوية بناها عمر بوهوا [كذا] الذي بعثه الشيخ السنوسي نيابة عنه، وذلك تلبية لرغبة الزوي الذين أرادوا أن يُنصِّبوا الشيخ زعيما عليهم، لذلك اقترحوا عليه ثلث ممتلكاتهم بالكفرة. ينظر : أحمد مُحَمَّد حسنين، مرجع سابق، ص65.

(4) - Henri Duveyrier, op.cit, p 61.

(5) - Ibid, p 61.

(6) - Ibid, p 62.

(7) – علي مُحَمَّد الصلابي، **تاريخ الحركة السَّنُوسيَّة في أفريقيا**، مرجع سابق، ص91.

(8) - Henri Duveyrier, op.cit, p 62.

3-1-1-8- زاوية مراد مسعود :

لم يحدد دوفيري موقعها الفلكي، لكن جغرافيًا يُعتقد أنها تقع في الطريق بين درنة وترت في متصرفية بنغازي، ومقدمها هو سيدي بوزيد[1].

3-1-1-9- زاوية البشارة :

بقي موقع هذه الزاوية مجهولًا، لكن دوفيري يعتقد أنها توجد في الطريق بين ترت ومرطوبة، ومقدمها هو سيدي علي المسماري[2].

3-1-1-10- زاوية زنزور دفانة :

يعتقد دوفيري أنها تقع في الطريق بين مرطوبة وأوجيلة، ومقدمها هو سيدي حسين الغرياني[3].

3-1-1-11- زاوية العربوب[كذا][4] :

وردت هذه الزاوية بهذا الاسم عند دوفيري، ولم يحدد بالضبط موقعها، لكنه رجح أنها توجد في الطريق بين ترت ودرنة، ومقدمها هو سيدي مُحَمَّد الجبالي، وأصله من بني سناسن[5].

3-1-1-12- زاوية ترت[6] :

تقع هذه الزاوية في برقة[7]، وحدد دوفيري موقعها بدقة[8]، وقال الصلابي بأن أول شيوخها هو عبد القادر الغزالي وظلت المشيخة في عقبه[9]، في حين ذكر دوفيري أن مقدمها اسمه سيدي عبد الله الغزالي، وأضاف بأن هذا المنصب ظل شاغرًا منذ عام 1883م[10].

---

(1) – ذكر دوفيري أن سيدي بوزيد هو أخ سيدي مُحَمَّد بن علي السنوسي. ينظر : Henri Duveyrier, op.cit, p 62.

(2) - Ibid, p 62.

(3) - Ibid, p 62.

(4) – وردت أيضا باسم زاوية "العرقوب". ينظر : علي مُحَمَّد الصلابي، **تَاريخ الحرَكَة السَّنُوسيَّة في أفريقيا**، مرجع سابق، ص91.

(5) - Henri Duveyrier, op.cit, p 62.

(6) – تسمى أيضًا "ترث". ينظر : Ibid, p 62.

(7) - علي مُحَمَّد الصلابي، **تَاريخ الحرَكَة السَّنُوسيَّة في أفريقيا**، مرجع سابق، ص93.

(8) – تقع فلكيًا : بين "0'43°32 شمالًا و"0'47'19 شرقًا. ينظر : Henri Duveyrier, op.cit, p 62.

(9) - علي مُحَمَّد الصلابي، **تَاريخ الحرَكَة السَّنُوسيَّة في أفريقيا**، مرجع سابق، ص93.

(10) - Henri Duveyrier, op.cit, p 62.

3-1-1-13- زاوية سوسة :

تقع هذه الزاوية في مرسى سوسة في منطقة قبيلة الحاسة[1]، ومقدمها هو سيدي مُحَمَّد الأيسر[2].

3-1-1-14- زاوية الفائدية :

تبعد هذه الزاوية بمسافة خمسة كلم شمال غرب القعيقب في متصرفية بنغازي، ومقدمها هو سيدي إسماعيل الفزاني[3].

3-1-1-15- زاوية لاشكرى :

تقع هذه الزاوية شمال غرب قرية لبّة بواحة أوجيلة في متصرفية بنغازي، وفي عام 1879م كان مقدمها سيدي أجيل، وخلفه سيدي عبد القادر بعد مرور أربع سنوات أي في عام 1883م[4].

3-1-1-16- زاوية العرق :

حدد دوفيري موقعها الفلكي، لكن تكلم عنها بشكل مقتضبٍ جدًّا[5].

3-1-1-17- زاوية الحنية :

يعتقد دوفيري أن هذه الزاوية تتواجد في الطريق بين درنة وترت، ومقدمها هو سيدي علي العبدي، وأصله من طرابلس[6].

3-1-1-18- زاوية قفنطة :

تقع هذه الزاوية في طريق الجبل الأخضر، ومقدمها هو سيدي مُحَمَّد بن عمر، وأصله من مستغانم[7].

---

(1) – "الحاسة" : هم أبناء حواس بن حرب، وينقسمون إلى ثلاثة أقسام : قلابطة، وشارقة، وبخايت، وكل قسم يتفرع إلى بطون. ينظر : مُحَمَّد الطيب الأشهب، **برقة العربية أمس واليوم**، مرجع سابق، ص64.

(2) - Henri Duveyrier, op.cit, p 63.

(3) - Ibid, p 63.

(4) – Ibid, p 63.

(5) – اكتفى بوصفها بأنها زاويةٌ كبيرةٌ. ينظر : Ibid, p 63.

(6) - Ibid, p 64.

(7) - Ibid, p 64.

3-1-1-19- زاوية بوتودا :

سمّى دوفيري هذه الزاوية أيضا باسم زاوية "بوتودر" و"العرقوب"، وهي تقع غرب شمال غرب قصر بني قدم بمتصرفية بنغازي، ومقدمها اسمه سيدي مصطفى الغرياني[1].

3-1-1-20- زاوية العقا :

يرجح دوفيري موقع زاوية العقا في الطريق بين درنة وأوجيلة، ومقدمها هو سيدي إبراهيم مسيبا[2].

3-1-1-21- زاوية نجيلة :

لم يحدد دوفيري مكانها، ويعتقد أنها في نفس مكان سابقتها، أي بين درنة وأوجيلة، في حين ذكر مقدمها وهو مُحَمَّد بن عمار، وقال بأن أصله من غليزان[3].

3-1-1-22- زاوية تازربو :

تقع هذه الزاوية في إحدى واحات الكفرة التابعة لمتصرفية بنغازي، وكانت في عام 1873م تحت إدارة المقدم حسن أفندي[4].

3-1-1-23- زاوية القصرين :

تقع هذه الزاوية شمال أولاد إبراهيم في الطريق بين توكره وزاوية بوتودا التابعة لمتصرفية بنغازي، ومقدمها هو سيد[كذا] مُحَمَّد العربي، وأصله من عرش المجاهر[5].

3-1-1-24- زاوية أوجلة :

تقع هذه الزاوية في واحة جالو-أوجلة في متصرفية بنغازي، وتضم عدد كبير من الإخوان، في سنة 1879م كان مقدمها سيدي عمر بوحوا[6].

---

(1) - Henri Duveyrier, op.cit, p 64.

(2) - Ibid, p 64.

(3) - Ibid, p 64.

(4) - Ibid, p 64.

(5) - Ibid, p 64.

(6) - Ibid, p 64.

3-1-1-25- زاوية الحوايز :

تقع هذه الزاوية على بعد عشرين كلم من المرج، ومقدمها اسمه سيدي مُحَمَّد الخليلي[1].

3-1-1-26- زاوية طلميثة :

تقع هذه الزاوية على مسافة ألف وخمسمائة متر من آثار بطولومايس[2]، وممن تولى مشيختها مُحَمَّد الكليلي[3].

3-1-1-27- زاوية توكره :

تقع زاوية توكره في برقة، وبالضبط شمال غرب الآثار قرب الميناء، في أرضي قبيلة بوغريطة التي لها تأثير كبير في متصرفية بنغازي، ومقدمها هو سيدي علي بن عبد القادر الجيلاني الذي أصله من عرش مجاهر الجزائري[4]، وممن تولى مشيختها أيضًا -حسب الصلابي- عبد الله عمر الفضيل، ويونس الموهوب[5].

3-1-1-28- زاوية سيدي بوشنافة :

تقع هذه الزاوية على بعد ثمانية وأربعين كلم جنوب شرق بنغازي[6].

3-1-1-29- زاوية دريانة :

تقع هذه الزاوية قرب البحر في أرض العواقير، على بعد 23 كلم غرب جنوب غرب توكره، و36 كلم عن بنغازي، مقدمها أصله من تطوان وهو سيدي مُحَمَّد الغماري حَمُ سيدي عبد الرحيم مقدم زاوية بنغازي[7].

3-1-1-30- زاوية أم السوس :

تُسمى هذه الزاوية أيضًا "زاوية مسوس"، وهي تقع في طريق بين دريانة والطيلمون، ومقدمها هو سيدي عبد الربة ولد الشيخ خريَس[8].

---

(1) - Henri Duveyrier, op.cit, p 64.

(2) - Ibid, p 65.

(3) - علي مُحَمَّد الصلابي، **تَاريخ الحرَكَة السَّنُوسيَّة في أفريقيا**، مرجع سابق، ص93.

(4) - Henri Duveyrier, op.cit, p 65.

(5) - علي مُحَمَّد الصلابي، **تَاريخ الحرَكَة السَّنُوسيَّة في أفريقيا**، مرجع سابق، ص93.

(6) - Henri Duveyrier, op.cit, p 65.

(7) - Ibid, p 65.

(8) - Ibid, p 65.

3-1-1-31- زاويتا سيدي سويكر :

تنسبان هاتين الزاويتين إلى الشيخ المرابط سيدي سويكر، وتقعان غرب جنوب غرب قبته في متصرفية بنغازي، وقد حدد دوفيري موقعهما الفلكي بدقة[1].

3-1-1-32- زاوية أجدابيا :

كانت هذه الزاوية في السابق تابعة إلى طريقة سيدي المدني، ثم تحولت إلى الطريقة السنوسية[2].

3-1-1-33- زاوية زلة :

زلة عبارة عن واحة تقع في متصرفية فزان، بها زاوية يُرجح أن تكون قد تأسست في عام 1879م[3].

3-1-1-34- زاوية لوا :

ذكر دوفيري هذه الزاوية، وقال بأن موقعها غير معروف، لكنه رجح أن يكون في الطريق بين الجغبوب ولاشكري، وبالمقابل أشار إلى مقدمها وهو سيدي آدم البدوي[4].

3-1-1-35- زاوية شحات :

شحات مدينة أثرية تقع في برقة، تبعد عن البيضاء بحوالي عشرة كلم، أسسها الإغريق باسم قورينا (cyrène) حوالي سنة 631 ق م.

وبنى الشيخ السنوسي زاوية بهذه المدينة وحملت اسمها أي "شحات" سنة 1846م، وأُسنِدت مشيختها إلى أحد تلاميذه وهو السيد مصطفى الدردفي المصراتي، ثم أعقبه ابنه مُحَمَّد الدردفي بعد وفاته، وفي سنة 1340هـ ترأسها السيد رويفع بدر فركاش بأمر من سمو الأمير مُحَمَّد إدريس السنوسي[5].

3-1-1-36- زاوية مسوس :

تقع هذه الزاوية في الجبل الأخضر، تعاقب على مشيختها عددٌ كبيرٌ من الشيوخ منهم أحمد علي أبو سيف والعلامة عمر الأشهب، وتعتبر مسوس من الزوايا السنوسية الغنية والتي تمون الحركة بأموال كبيرة، فهي تنتج من

---

(1) – فلكليًا : بين "20'16°32 شمالًا و"0'55°17 شرقًا. ينظر : Henri Duveyrier, op.cit, p 65.

(2) - Ibid, p 65.

(3) - Ibid, p 66.

(4) - Ibid, p 61.

(5) – مُحَمَّد الطيب الأشهب، **برقة العربية أمس واليوم**، مرجع سابق، ص ص38، 39.

ألفين إلى أربعة آلاف قنطار من القمح والشعير، وتملك حوالي خمسة آلاف أذواذ من الإبل[1]، وحوالي خمسة عشرة شلايا من الغنم والماعز[2]، والجدير بالإشارة، فإن السنوسية تعين مواشيها بعلامات خاصة بها[3].

3-1-1-37- زاوية درنة :

تقع في الجبل الأخضر، وحملت اسم المدينة التي تقع فيها وهي درنة، وتعد هذه الزاوية من أبرز زوايا برقة وأقدمها، وأول شيوخها العلامة عمر الأشهب، وللعلم فقد عُرِفت عائلة الأشهب بالثراء والجاه، وكانت من أبز الداعمين للحركة السنوسية، وروى المؤرخ الأشهب أن نسبها شريفٌ[4].

3-1-1-38- زاوية بنغازي :

سُميت هذه الزاوية باسم مدينة بنغازي عاصمة متصرفية برقة، وتسمى أيضًا "زاوية الإخوان" و"الزاوية السنوسية"[5]، وأول من تولى مشيختها العلامة عبد الله التواتي، ثم الشيخ عبد الرحيم المحبوب، وتبعهما بعد ذلك شيوخ آخرون وهم : مُحَمَّد أبو القاسم العيساوي، والسيد صالح العوامي، والعلامة أحمد أبو القاسم العيساوي[6]، وفي عام 1881م أُضيفت زاوية ثانية حسبما أشار إليه كل من النقيب بوتجليا والسيد مامولي، وللعلم فإن وجود أكثر من زاوية في هذه المدينة أمر طبيعي، نظرًا لأهميتها الإدارية والسياسية والتجارية[7]، وعند زيارة الحشائشي لليبيا عام 1895م ذكر زاوية سنوسية ببنغازي لكنه لم يحددها بدقة، غير أنه وصفها بأنها عظيمة[8].

---

(1) – 1 ذوذ= بين ثمانين ومائة جملًا. ينظر : مُحَمَّد أبو بكر السنوسي، مرجع سابق، ص24.

(2) – 1 شلية= بين ثلاثمائة وأربعمائة رأس غنم. ينظر : نفسه، ص24.

(3) – الأغنام والخيول والإبل معينة بحديد أحمر وعليها ختم الزاوية السنوسية، وذلك في ولاية بنغازي. ينظر:
Henri Duveyrier, op.cit, p 10.

(4) – قال الأشهب : « بدأ السيد الأكبر يسأل كل واحد من الإخوان عن نسبه وكل واحد من المسؤلين يرد بما يعرفه حتى جاء دور السيد عمر الاشهب فكان جوابه لا نسب لي يا سيدي يشرفني غير طريقتكم وانتسابي علي حضرتكم وكفى بالاسلام نسب يقربني منكم فأجابه الاستاذ ﷺ بقوله إنك شريف حسني وإن جدك جاء إلى زليتن من فاس وقد سكن مدة بغريان وسأعطيك وثيقة نسبك ». ينظر : مُحَمَّد الطيب الأشهب، **برقة العربية أمس واليوم**، مرجع سابق، ص75.

(5) - Henri Duveyrier, op.cit, p 66.

(6) - علي مُحَمَّد الصلابي، **تاريخ الحرَكَة السَّنُوسيَّة في أفريقيا**، مرجع سابق، ص91.

(7) – يقيم في بنغازي السيد مفتاح بن واني الوكيل التجاري للحركة السنوسية، وعدد من الإخوان السنوسيين لهم تأثير كبير، ونخص بالذكر قاضي المدينة السيد طاهر أفندي الذي شغل مفتي دمشق، أثناء المجزرة التي تعرض لها المسيحيين على يد الطائفة الاسماعيلية الدرزية عام 1860م. ينظر : Henri Duveyrier, op.cit, p 66.

(8) – مُحَمَّد بن عثمان الحشائشي، مرجع سابق، ص94.

3-1-1-39- زاوية المرج :

تبعد المرج عن بنغازي مسافة 102 كلم، بنى الشيخ السنوسي بها مسجدًا أولًا سنة 1842م، ثم الزاوية التي ترأسها أول مرة علي بن سعد، ثم أعقبه أحد تلاميذه وهو الشيخ مُحَمَّد السكوري[1]، وتُسمى هذه الزاوية أيضا "زاوية الإخوان" و"الزاوية السنوسية"[2]، وهما نفس الاسمين اللذين أطلقا على زاوية بنغازي السالفة الذكر!

3-1-1-40- زاوية الطيلمون :

تقع زاوية الطيلمون في برقة في الطريق بين بنغازي وأوجلة[3]، وأول شيوخها هو مصطفى المحجوب، ثم العلامة علي المحجوب، فالسيد أحمد مُحَمَّد المحجوب [4].

وتعتبر هذه الزاوية أغنى زاوية سنوسية في كامل برقة؛ فقد وصفها ابن شاعة بأنها مملوءة بالقمح، ومصدر ثرائها يعود إلى ثلاثة عوامل : الزراعة، وتخصيص العرب يومًا لخدمة الزاوية، ودفع 10٪ كمداخيل للزاوية[5].

3-1-1-41- زاوية سيدي السنوسي :

توجد زاويان تحملان نفس هذا الإسم، ذكرهما دوفيري وهما :

الأولى، حدد موقعها الفلكي ب: "0'30°32 شمالًا و"0'8°20 شرقًا، وأكد أنها تقع في مرطوبة على الطريق بين درنة والجغبوب قرب الحدود المصرية بين الشهبات وزاوية الشمّاس، وكان مقدمها الشيخ سيدي سعد، ثم خلفه الشيخ سيدي المرتضى فركاش[6].

والثانية، تقع فلكيًا في : "30'48°32 شمالًا و"20'24°19 شرقًا، على بعد 1800 متر شمال غرب منبع أبولون (حاليا منبع شحات)، ومقدمها هو سيدي مصطفى بن دردافي من سنة 1845م إلى 1883م[7].

---

(1) – مُحَمَّد الطيب الأشهب، **برقة العربية أمس واليوم**، مرجع سابق، ص41.

(2) - Henri Duveyrier, op.cit, p 65.

(3) - Ibid, p 65.

(4) – علي مُحَمَّد الصلابي، **تَاريخ الحرَكَة السَّنُوسيَّة في أفريقيا**، مرجع سابق، ص91.

(5)– Glauco Ciammaichella, **Libyens et français au Tchad 1897-1914**, **la confrerie Senoussie et le commerce transsaharien**, pref.de J.L.Miège, Paris, éditions du centre national de la recherche scientifique, 1987, p 22.

(6) - Henri Duveyrier, op.cit, p 62.

(7) - Ibid, p 63.

3-1-1-42- زاوية سيدي مُحَمَّد السنوسي :

يختلف اسم هذه الزاوية عن ما سلفها بزيادة اسم "مُحَمَّد"، وتختلف أيضا في المكان، حيث تقع في أقصى غرب ليبيا قرب حدود الجزائر، إذ حددها دوفيري فلكيًا في : "30°8'0 شمالًا و"6°43'0 شرقًا، ويعتقد بأنها تأسست عام 1858 أو 1859م، وتقع على بعد أربعمائة وخمسين مترًا من زاوية سيدي المعبد، وثلاثة كلم غرب شمال غرب غدامس، أما مقدمها في عام 1860م كان الحاج الطاهر، ثم خلفه مُحَمَّد بن موسى، ومنذ عام 1879م أصبح على رأس الزاوية رجل من مدينة غدامس اسمه مُحَمَّد بن بلقاسم الوحشي، ووصفه دوفيري بالخطير[1].

3-1-1-43- زاوية الحمامة :

تقع هذه الزاوية في الآثار الرومانية، على بعد أربعة كلم غرب جنوب غرب رأس الحمامة بمتصرفية بنغازي، مقدمها هو أخ سيدي مصطفى الدردافي[2].

3-1-1-44- زاوية سيدي المهدي :

يُطلق على زاوية سيدي المهدي اسم : زاوية "الإخوان"، وتقع في درنة بمتصرفية بنغازي، ومقدمها القديم هو الشيخ سيدي سعد، وقال دوفيري أنه لم يعوض في سنة 1883م[3].

3-1-1-45- زاوية طرابلس (المدينة) :

تضاربت الأخبار حول تواجد السنوسية في مدينة طرابلس، فمن جهة أشارت دراسات أن الزاوية السنوسية أُنشئت في وقت متأخرٍ، وذلك في عام 1300هـ/ 1882م، وأول شيوخها هو السيد عبد الوهاب أبو القاسم العيساوي[4]، أما بالنسبة لسيدي حمزة بن جعفر أصبح مقدمًا للسنوسية بهذه المدينة، وهو شقيق الشيخ مُحَمَّد بن جعفر مستشار السلطان عبد الحميد[5]، ومن جهة أخرى أكد دوفيري أن تواجد السنوسية كان قبل ذلك بسنوات، وبالضبط في عام 1876م، لكن ليس بشكل زاوية، وإنما عن طريق ما سماها "وكالة عامة للسنوسية"

---

(1) - Henri Duveyrier, op.cit, p 70.

(2) - Ibid, p 63.

(3) - Ibid, p 61.

(4) - نيكولاي إيليتش بروشين، مرجع سابق، ص82.

(5) – مُحَمَّد فؤاد شكري، مرجع سابق، ص79.

تحت إدارة رئيس بلدية المدينة (شيخ البلاد)، واسمه مُحَمَّد بن مصطفى وهو ابن أخ حمزة بن ظافر، وذلك بمساعدة المقدم سيدي مُحَمَّد بن طاهر، ثم المغربي المقدم الحاج المبارك ابتداءً من سنتي 1879-1880م[1].

ونلاحظ قلة زوايا الطريقة السنوسية في هذه المدينة رغم أنها عاصمة الأيالة[2]، وربما يعود ذلك إلى بيروقراطية الإدارة العثمانية، مع انتشار الفساد الإداري الذي نخر جسم الدولة العثمانية منذ فترة بعيدة، ودليلنا ما ذكره تقرير موثق في الأرشيف الفرنسي، بأن أحد الإخوان وأصله مغربي يُدعى الحاج مبارك – الذي سبق ذكره- تحصل على فرمان عام 1858م من القسطنطنية، ينص على بناء زاوية سنوسية بطرابلس وتخصيص مبلغ لها بقيمة خمسة وثمانين ألف قرش، لكن لم ينفذ الفرمان بسبب معارضة بعض الموظفين الإداريين، ولم يُعرف مصير الأموال، وأصبح صاحب الفرمان نفسه بعد مدة فقيرًا مُقعدًا، يعيش على الصدقة[3].

3-1-1-46- زاوية واو[4] :

تُسمى هذه الزاوية أيضًا بِ : "واو الشعوف"[5]، وحدد الزاوي موقعها وهو في جنوب شرق أم الأرانب في فزان، بنحو 205 كلم، وهي إحدى زوايا الصحراء الليبية[6]، وأول شيوخها العلامة أحمد أبو القاسم التواتي[7]، وممن تولى مشيختها بالوكالة العلامة مُحَمَّد بن الشفيع ، وبعده الشيخ مُحَمَّد علي بن عمر الأشهب، ثم أعقبه ابنه نجم الدين.

---

(1) – قال دوفيري بأن وكالة[كذا] السنوسية بطرابلس تأسست – ومعها وكالة المدنية – قرب مسكن قديم لبنك يسمى "ترانس أطلانتيك"، تحت إدارة الشيخ حمزة بن ظافر الذي كان ينتمي إلى الطريقة المدنية، ثم تحول إلى السنوسية، وأضاف باحتمال وجود زاوية سنوسية ثانية قرب المنشية، بناءً على تصريح زكي باشا القائد العام لمجموعة أتراك طرابلس. ينظر:

Henri Duveyrier, op.cit, pp 67, 68.

(2) – إن تواجد زوايا الطريقة السنوسية في إقليم طرابلس الغرب ضعيف. ينظر : Ibid, p 27.

(3)- A O M, 16H55, Rapport de M.Delaporte à M.le Duc Decazes ministre des affaires étrangères. Tripoli, le 24 Août 1877.

(4) – بُنيت في الصحراء في أرض التبو، جنوب زويلة بمسافة 208 كلم. ينظر:

Henri Duveyrier, **Les Touareg du nord** : **exploration du Sahara**, Paris, Challamel Alné-libraire éditeur, 1864, p 363.

(5) – مُحَمَّد الكامل حسيني، مرجع سابق، ص215.

(6) - تقع زاوية واو بمسافة مائتي وثمانية كلم جنوب زويلة. ينظر :

Henri Duveyrier, **Les Touareg du Nord** : **exploitation du Sahara**, op.cit, p 304.

(7) - علي مُحَمَّد الصلابي، **تَاريخ الحرَكَة السَّنُوسيَّة في أفريقيا**، مرجع سابق، ص92.

ووصف دوفيري واحة "واو" بأنها عبارة عن غابة من أشجار النخيل، يسكنها الإخوان السنوسيون وعددهم تسعة رجال وامرأتان كلهم نساك، وللإشارة فإن هذه الزاوية وردت عند دوفيري باسم "واو الكبير"[1]، وقال بأنها تأسست عام 1856م، أمّا مقدمها في عام 1862م كان سيدي حسن السنوسي[2]. وقد بقيت زاوية واو منعزلة في الصحراء ولم تزدهر، رغم أنها من الزوايا القديمة التي أُنشئت منذ زمن الشيخ مُحَمَّد بن علي السنوسي، وللعلم فإن الرحالة ناشتيغال زار منطقة تيبستي وأشار إلى زاوية واو لكنه لم يقل بأنها سنوسية.

3-1-1-47- زاوية الفوغا :

تحمل هذه الزاوية اسم المدينة التي توجد فيها وهي فوغا، وقال دوفيري بأنها مدينة صحراوية في فزان[3].

3-1-1-48- زاوية تمسة :

تقع هذه الزاوية في المديرية الشرقية بإقليم فزان[4].

3-1-1-49- زاوية ودان :

قال الحشائشي بأن ودان من أعمال طرابلس الغرب، وأغلب أهلها من الأشراف، وزاويتها السنوسية يشرف عليها الشيخ بوبكر بن أحمد، والذي وصفه بأنه رجل محب للأدب[5].

3-1-1-50- زاوية هون :

تقع هذه الزاوية في مديرية الجفرة بإقليم فزان[6]، وأول شيوخها هو أحمد بن علي بن عبيد زمن الإمام السنوسي، وممن تولى مشيختها أيضا سيدي مصطفى الهوني.

---

(1) - Henri Duveyrier, **La confrérie musulmane de sîdi Mohammed ben Ali Essenoûsî et son domaine géographique : en l'année 1300 de l'hégire=1883 de notre ère**, op.cit, p 66.

(2) - Ibid, p 66.

(3) - Ibid, p 66.

(4) - Ibid, p 66.

(5) – مُحَمَّد بن عثمان الحشائشي، مرجع سابق، ص140.

(6) - Henri Duveyrier, **La confrérie musulmane de sîdi Mohammed ben Ali Essenoûsî et son domaine géographique : en l'année 1300 de l'hégire=1883 de notre ère**, op.cit, p 66.

3-1-1-51- زاوية سوكنة :

تعد مدينة سوكنة المقر الرئيسي لمديرية الجفرة، وتوجد بها زاوية سنوسية وأول شيوخها كان سيدي الشريف بركات زمن الإمام السنوسي، كما يوجد بها مسجد اسمه "جامع الفقراء"[1].

3-1-1-52- زاوية زويلة :

حملت هذه الزاوية اسم المدينة المتواجدة فيها، والتي تقع في مديرية الشرقية[2].

3-1-1-53- زاوية المعطن :

تقع المعطن وسط الواحات البحرية لمصراتة، بها زاوية مقدمها هو أحد إخوة الشيخ حمزة بن ظافر[3].

3-1-1-54- زاوية طويلة :

زاوية سنوسية حملت اسم المدينة التي تقع فيها، وهي قرية تابعة لمديرية فزان[4].

3-1-1-55- زاوية تراغن :

زاوية تقع في مديرية الحُفرة[كذا] التابعة لمقاطعة فزان[5].

3-1-1-56- زاوية زليطن :

سميت هذه الزاوية باسم المدينة التي تقع فيها، وصنفها دوفيري ضمن الزوايا السنوسية والتي تقع في الساحل البحري، والغريب أنه قال بأنها زاوية مدنية أو سعدية-سنوسية[كذا] ، وأضاف بأن مقدمها هو سيدي مُحَمَّد بن عثمان، صهر سيدي المهدي[6].

---

(1) - Henri Duveyrier, **La confrérie musulmane de sîdi Mohammed ben Ali Essenoûsî et son domaine géographique : en l'année 1300 de l'hégire=1883 de notre ère**, op.cit, p 66.

(2) - Ibid, p 66.

(3) - Ibid, pp 65, 66.

(4) - Ibid, p 67.

(5) - Ibid, p 67.

(6) - Ibid, p 67.

3-1-1-57- زاوية بني وليد :

سجل دوفيري بها زاوية سنوسية قرب قلعة تركية[1]، ووردت هذه الزاوية أيضا باسم "زاوية أورفلة" وتقع في بني وليد، وقد تأسست منذ خمسة وعشرين سنة، ومقدمها اسمه سي إدريس الزبيدة[2].

3-1-1-58- زاوية الساحل :

تقع هذه الزاوية في الساحل قرب مدينة لبدة التابعة إلى قائمقامية الخمس، ومقدمها اسمه ناصر بن منجر[3].

3-1-1-59- زاوية العَلَم :

زاوية تقع في عرش "الخراطية" قرب مسلاتة[4].

3-1-1-60- زاوية باقا :

حدد دوفيري موقعها الفلكي[5]، وقال بأنها تسمى أحيانا زاوية "طباقا"، و"زاوية العلم"[6]، وتقع في الطريق بين الزنتان ومزدة، ومقدمها هو الشيخ الأزهري[7].

---

(1) - Henri Duveyrier, **La confrérie musulmane de sîdi Mohammed ben Ali Essenoûsî et son domaine géographique : en l'année 1300 de l'hégire=1883 de notre ère**, op.cit, p 67.

(2) - A O M, 16H55, Rapport de M.Delaporte à M.le Duc Decazes ministre des affaires étrangères. Tripoli, le 24 Août 1877.

(3) - Henri Duveyrier, **La confrérie musulmane de sîdi Mohammed ben Ali Essenoûsî et son domaine géographique : en l'année 1300 de l'hégire=1883 de notre ère**, op.cit, p 67.

(4) - Ibid, p 67.

(5) – تقع فلكيًا : "31°37'0 شمالًا و"10°12'0 شرقًا. ينظر : Ibid, p 68.

(6) – وردت عند فيرو باسم "جناير". ينظر:

A O M, 16H55, Rapport de M.Delaporte à M.le Duc Decazes ministre des affaires étrangères. Tripoli, le 24 Août 1875.

(7) – قال دوفيري أن مقدمها حاليًا – أي عام 1883م – هو الحاج بالقاسم العيساوي. ينظر:

Henri Duveyrier, **La confrérie musulmane de sîdi Mohammed ben Ali Essenoûsî et son domaine géographique : en l'année 1300 de l'hégire=1883 de notre ère**, op.cit, p 68.

3-1-1-61- زاوية العمامرة :

تقع هذه الزاوية في قصر العمامرة أو المشعوب، وهي قرية في إقليم مسلاتة، مقدمها اسمه أحمد بن صالح[1].

3-1-1-62- زاوية إدري :

زاوية سنوسية تقع في قرية بمنطقة وادي شيعاتي[2].

3-1-1-63- زاوية يفرن :

قال دوفيري بأنها زاوية تقع قرب برج تركي في إقليم الجبل (قائمقامية الجبل)، لكن لم يذكر مقدمها[3].

3-1-1-64- زاوية الألعونة :

حدد دوفيري موقعها الفلكي[4]، وأكد بأنها تقع قرب قصر العلايقة في سهل الجفرة، ولم يذكر مقدمها[5].

3-1-1-65- زاوية بوعجيلة :

قال دوفيري بأنها زاوية سنوسية توجد قي واحة بحرية تابعة إلى الجبيلات، ولم يذكر مقدمها[6].

3-1-1-66- زاوية حرابة :

وردت هذه الزاوية في وثائق الأرشيف الفرنسي، حيث تأسست منذ تسعة وعشرين سنة، وتوجد في قرية بقليلة جنوب نالوت، ومقدمها يتغير كل سنة[7].

---

(1) – قال دوفيري من المؤكد أنه ينتمي للطريقة السنوسية، أو في طريقه لقبول قوانينها[كذا]. ينظر:
Henri Duveyrier, **La confrérie musulmane de sîdi Mohammed ben Ali Essenoûsî et son domaine géographique**: **en l'année 1300 de l'hégire=1883 de notre ère** , op.cit, p 67.

(2) – تقع فلكيًا : "27°29'50 شمالًا و"10°50'20 شرقًا. ينظر : Ibid, p 68.

(3) - Ibid, p 68.

(4) – تقع فلكيًا : "32°47'0 شمالًا و"10°1'0 شرقًا. ينظر : Ibid, p 69.

(5) - Ibid, p 69.

(6) - Ibid, p 69.

(7) - A O M, 16H55, Rapport de M.Delaporte à M.le Duc Decazes ministre des affaires étrangères. Tripoli, le 24 Août 1875.

3-1-1-67- زاوية الجرابر :

حدد دوفيري موقعها الفلكي[1]، وأكد أنها تقع بين الزنتان والفساطو، ومقدمها هو سيدي بالقاسم الزنتاني الذي غالبًا ما يزور تونس وعرش المجاهر بمقاطعة وهران، وتميز بنشاطه الثقافي والديني الكبيرين جدًا، حيث كان يلقن الورد للمريدين الجدد، وهو غالبًا ما تُوجه إليه الرسائل الآتية من الجزائر[2].

3-1-1-68- زاوية الرجبان :

تقع هذه الزاوية عند أولاد عطية في قضاء الرجبان، ومقدمها هو خليفة بن مُحَمَّد[3]، لكن ورد في الأرشيف الفرنسي اسم آخر وهو "الحاج بالقاسم بن مُحَمَّد الساوي"، واحتمال أن تكون فترته مختلفة عن سابقه[4].

3-1-1-69- زاوية مزدة :

تقع هذه الزاوية في الجبل الغربي جنوب طرابلس بنحو مائتين كلم، بناها الشيخ عبد الله السني سنة 1261هـ/1859م بتوكيل من الشيخ السنوسي[5]، وتخرج منها عدة علماء كانوا قد درسوا بها القرآن الكريم.

---

(1) – تقع فلكيًا : "0'58°31 شمالًا و"0'54°9 شرقًا. ينظر:

Henri Duveyrier, **La confrérie musulmane de sîdi Mohammed ben Ali Essenoûsî et son domaine géographique : en l'année 1300 de l'hégire=1883 de notre ère**, op.cit, p 69.

(2) - René Pottier, **Histoire du Sahara**, pré.Abderrahmane Rebahi, Alger, Alger-livres editions, 2013, p 243.

(3) - Henri Duveyrier, **La confrérie musulmane de sîdi Mohammed ben Ali Essenoûsî et son domaine géographique : en l'année 1300 de l'hégire=1883 de notre ère**, op.cit, p 69.

(4) – ورد في الأرشيف الفرنسي أن زاوية الرجبان تأسست منذ ثمانية عشرة سنة. ينظر:

A O M, 16H55, Rapport de M.Delaporte à M.le Duc Decazes ministre des affaires étrangères. Tripoli, le 24 Août 1875.

(5) – قال دوفيري بأنها تأسست قبل عام 1850م، ومقدمها في فترة 1865-1877م هو سيدي علي بن عبد الله السنوسي، الذي هو في حالة فرار إلى الجغبوب بتاريخ جوان 1883م، وذلك بسبب المحاكمة السياسية التي تخوضها الحكومة العثمانية ضد إبراهيم سراج وحمزة بن ظافر. ينظر:

Henri Duveyrier, **La confrérie musulmane de sîdi Mohammed ben Ali Essenoûsî et son domaine géographique : en l'année 1300 de l'hégire=1883 de notre ère**, op.cit, p 68.

أمّا وصفُها المعماري يتمثل كالآتي : مساحتها مستطيلة بأطوال 31.5×48 متر، لها عدة مداخل، وتشمل على صحن، وبيت للصلاة، وقاعات للدراسة، وميضاة بجوارها مئذنة، ومصطبة بها ممحاة للألواح، ومنبر يقع بجوار المحراب، وبها خمسة عشرة خلوة تغطيها أقبية نصف برميلية، كما توجد بها أضرحة مغطاة بأقبية نصف برميلية أيضًا خاصة بدفن أفراد من أسرة السني[1]، ونشير إلى أن هذه الزاوية حافظت على رونقها وطابعها المعماري بفضل الترميمات التي استفادت منها[2].

3-1-1-70- زاوية مصراتة :

وردت هذه الزاوية في وثائق الأرشيف الفرنسي ما وراء البحار، حيث أشارت إلى موقعها وهو شرق طرابلس، ومقدمها هو سي حليفة الشنشاه، وقد تأسست منذ اثنان وثلاثين سنة، وأول شيوخها هو عبد الله السني[3].

3-1-1-71- زاوية غدامس[4]:

كان اتصال الطريقة السنوسية بأهالي مدينة غدامس مبكرًا، وذلك منذ عهد الشيخ الإمام السنوسي، ففي عام 1262هـ/1845م أدخل الشيخ الحاج مُحَمَّد بن موسى الغدامسي الطريقة السنوسية إلى هذه المدينة[5]، وذكر الأشهب أن أول شيخ زاوية بها هو السيد مُحَمَّد الحبيب، لكنه لم يحدد التاريخ.

وفي أيام المهدي السنوسي تطوع الحاج مُحَمَّد الثني[6] ببناء زاوية أخرى[7] في غدامس بجميع مرافقها بما في ذلك المسجد ومدرسة قرآنية لتحفيظ القرآن الكريم، وكان لهذه الزاوية دور كبير في التعليم خاصة حفظ القرآن الكريم

---

(1) - سمير عبد المنعم خضري، **عمائر الصوفية في الجماهيرية الليبية (الزوايا والرباطات) منذ الفتح الإسلامي حتى نهاية العصر العثماني**، د ب، مؤسسة الإخلاص للطباعة والنشر، 2008، ص ص188-191.

(2) – جُدِّدت ورُمّمت سنة 1962م، ووُثّق ذلك بأبيات شعرية كتبت في أعلى الصحن. ينظر: نفسه، ص191.

(3) - A O M, 16H55, Rapport de M.Delaporte à M.le Duc Decazes ministre des affaires étrangères. Tripoli, le 24 Août 1875.

(4) – مدينة تقع في الجنوب الغربي، تبعد عن طرابلس نحو 495 كلم. ينظر : الطاهر أحمد الزاوي، مرجع سابق، ص242.

(5) – نور الدين الثني، **علاقة الحركة السنوسية بكبار تجار ليبيا في الواداي (الشيخ أمُحَمَّد الثني دفين الجغبوب أنموذجا)**، السنوسية من الزاوية إلى الدولة 1841-1969، أعمال الندوة العلمية الثانية المنعقدة بالجغبوب يومي 23-24 ديسمبر 2019م، دار الكتب الوطنية، بنغازي، ليبيا، ص ص92، 93.

(6) – الحاج أمُحَمَّد الثني : من مواليد غدامس، والده هو الحاج أحمد الثني صاحب الثروة الكبيرة، أمه من أصول إفريقية، في عام 1876 سافر إلى الحج، وكانت له علاقات طيبة مع الشيخ مُحَمَّد المهدي، حيث أكدت وثيقة بتاريخ 27 محرم 1303هـ/1887م إقامته بالجغبوب، وكان يحظى بمكانة مرموقة بين أهله، وله علاقات تجارية متعددة وجيدة مع أهل طرابلس، والطوارق، وتونس، وغات، وكانو، وسكوتو، وتمبوكتو، وغيرها. ينظر : نفسه، ص ص92-95.

(7) - بنى الزاوية في أرضه، وهذا بعد التحاقه بالطريقة السّنوسية. ينظر : نفسه، ص93.

الذي يعد حجر الأساس للتعلم[1]. وتواصل اهتمام السنوسية بإنشاء الزوايا في هذه المدينة وضواحيها، بدليل أن مُحَمَّد المهدي السنوسي كتب إلى الشيخ عبد الله السني سنة 1875م طالبًا منه بناء زاوية في زمزم وأخرى في مترس[2]، واللتان تقعان بالقرب من المدينة، وبعد ذلك ظهرت زاويا أخرى بالجوار وهي زاوية سيناون[3] ومترس[4]، وزاوية تونن[5] التي تقع على بعد نصف ساعة من المدينة[6].

ويبدو أن تواجد السنوسية في غدامس كان حديثًا مقارنةً بمناطق أخرى[7]، وهذا بناءً على الدراسات والتقارير التي وصلتنا بواسطة الرحالة والجغرافيين الأوروبيين الذين زاروا المدينة في القرن 19 م، ومن الأمثلة الرحالة بونمان فرانسوا لويس الذي زار المدينة سنة 1856م، حيث أشار إلى أن الطريقة الصوفية التي يسلكها السكان هي التجانية ولم يذكر السنوسية[8]، إلا أنه من المؤكد أن أهالي غدامس اتبعوا الطريقة السنوسية بعد ذلك[9]، أو على الأقل تعاطفوا معها، نظرًا لمسعاها الحميد في حركة الجهاد في الجزائر ضد الاستعمار الفرنسي مرورًا بمدينتهم، خاصة في اتجاه وادي سوف[10].

---

(1) – المعلم يسمى "الفقيه". ينظر : مُحَمَّد الطيب الأشهب، **برقة العربية أمس واليوم**، مرجع سابق، ص546.

(2) – تقع مترس شرق غدامس بحوالي 60 كلم على طريق الدرج، وتقع زمزم أو مزمز بالقرب من حدود تونس على بعد 35 كلم شرق غدامس أيضًا. ينظر : Jean-Louis Triaud, op.cit, p 110.

(3) – وردت في الأرشيف الفرنسي أنها تأسست عام 1859م، وتقع شمال شرق غدامس، ومقدمها غير معروف، لكنها أصبحت مهجورة. ينظر:

A O M, 16H55, Rapport de M.Delaporte à M.le Duc Decazes ministre des affaires étrangères. Tripoli, le 24 Août 1875.

(4) – وردت في الأرشيف الفرنسي أنها تأسست منذ ثمانية عشرة سنة، وتوجد شرق غدامس، ومقدمها غير معروف، لكنها أصبحت مهجورةً. ينظر:

A O M, 16H55, Rapport de M.Delaporte à M.le Duc Decazes ministre des affaires étrangères. Tripoli, le 24 Août 1877.

(5) – وردت في الأرشيف الفرنسي أنها بُنيت منذ ثمانية عشرة سنة، وتقع قرب غدامس، ومقدمها غير معروف، لكنها أصبحت مهجورة. ينظر : Ibid, A O M.

(6)– Ibid, A O M.

(7) – أشار النقيب بونمان إلى وجود زاوية واحدة في غدامس وهي زاوية سيدي المعبد. ينظر:

Henri Duveyrier, **Les Touareg du Nord**: **exploration du Sahara**, op.cit, p303.

(8) – **سميرة دعاشي**، "رحلة بونمان فرانسوا لويس من تقرت إلى غدامس ودورها في الكشف التجاري للصحراء"، مجلة المعارف للبحوث والدراسات التاريخية، ع11، د ت، ص163.

(9) – مُحَمَّد بن عثمان الحشائشي، مرجع سابق، ص127.

(10) – وادي سوف : ممر رئيسي للسلاح دعما للمقاومات الشعبية الجزائرية. ينظر : مُحَمَّد الكامل حسيني، مرجع سابق، ص211.

وساهمت الطريقة السنوسية بشكل كبير في ازدهار النشاط الثقافي بالمدينة، وذلك من خلال نشر العلم وتحفيظ القرآن الكريم، حيث يذكر الحشائشي أن الكثير من الغدامسيين من أتباع الطريقة حفظوا القرآن الكريم، وتخرج منهم علماء وفقهاء كالشيخ الغدامسي صاحب شرح "الحزب الكبير" للإمام الشاذلي[1].

وفي حقيقة الأمر، فإن تونس تعد مركزًا هامًا لتعلم الغدامسيين نظرًا لقربها الجغرافي، وهو ما يفسر تخرج العديد منهم كعلماء وفقهاء من جامع الزيتونة بدلًا من الجغبوب. وموقع غدامس في مفترق الطرق بين دول ثلاث وهي ليبيا وتونس والجزائر يجعلها محور تمازج ثقافٍ بين شعوب هذه المناطق، ولا يمكن إغفال علاقتها أيضا مع شعوب أفريقيا جنوب الصحراء كالسودان والنيجر وتشاد، بل وارتباطها الوثيق أيضا مع مصر خاصة واحاتها في صحرائها الغربية، مثل واحة سيوة، حيث نجد تشابه بينهما في بعض العادات والتقاليد باعتبارهما واحتين بربريتين.

3-1-1-72- زاوية غات[2] :

تذكر المصادر أن مُحَمَّد المهدي السنوسي بعث أحد ممثليه إلى فزان وهو الحاج أحمد التواتي المعروف باسم : "العالم"- كما مر معنا-، حيث بادر ببناء زاوية سنوسية في غات بطلب من سكانها الرحاتية[3]، وعند زيارة دوفيري للمدينة كان الحاج الأمين هو شيخها، وفي نفس الوقت أحد مريدي الطريقة السنوسية بل ومن أبرز المدافعين عنها[4]، وكان حريصًا على بناء الزاوية السنوسية التي كانت في طور الإنجاز[5].

ويعتبر دوفيري أوثق مصدر معلومات عن غات، لأنه زار المدينة ورأى الزاوية وهي في طور الإنجاز وذلك في عام 1861م، وحدد موقعها بدقة وهو غرب المدينة قرب باب تاملرهات، وأكد أيضًا أن مقدمها في هذه الفترة هو نفسه مبعوث المهدي السنوسي الذي أشرنا إليه، أي الحاج أحمد بن[كذا] بالقاسم التواتي[6]، أمّا في عام

---

(1) – مُحَمَّد بن عثمان الحشائشي، مرجع سابق، ص127.

(2) – غات : من أعمال طرابلس، تقع في الجنوب بمقدار أربعين يومًا على الجمال مشيًا وسطًا، وهي عبارة عن مركز تجاري كبير وهام، لها علاقات تجارية مع السودان وتوات. ينظر : نفسه، ص ص109-118.

(3)- Jean-Louis Triaud, op.cit, p 110.

(4) - Henri Duveyrier, **Les Touareg du nord : exploration du Sahara**, op.cit, pp 275-278.

(5)- Ibid, p 303.

(6) –كان مدعمًا من طرف ملك غات الحاج الأمين الأنصاري. ينظر:

Henri Duveyrier, **La confrérie musulmane de sîdi Mohammed ben Ali Essenoûsî et son domaine géographique : en l'année 1300 de l'hégire=1883 de notre ère**, op.cit, p 69.

1881م شغل منصب المقدم سيدي علي تبنة، وأضاف دوفيري أن عدد زوايا غات ازداد وأصبح في عام 1883م حوالي خمسة، اثنان منها بُنيتا عام 1876م[1].

وبالنسبة للحشائشي، قال بأن في غات يوجد مسجد وزاوية للشيخ السنوسي، وأكد بأن أغلب سكانها سنوسيون، وأصلهم من الطوارق[2]، ولا ندري عن مصير الزوايا الأخرى التي ذكرها دوفيري.

3-1-1-73- زاوية القطرون :

وردت هذه الزاوية في وثائق الأرشيف الفرنسي، وأكدت أنها تقع في فزان، وقد بناها الحاج أحمد التواتي وذلك منذ ثلاثة وعشرين سنة، ومقدمها هو سيدي إبراهيم المشروح[3].

3-1-1-74- زاوية مرزق :

تُعد مدينة مرزق[4] مركز متصرفية فزان[5]، وكان أول شيوخ زاويتها السنوسية العلامة أحمد أبو القاسم التواتي، وقد زارها الحشائشي ووصفها قائلًا : « بلد كثير العيون والنخيل ... ، بها زاوية الشيخ المختار شيخ مشايخ السنوسيين يعمل بفزان. دخلت هاته البلاد في مدة سياحتي الصحراوية سنة 1895م/1313هـ في يوم 27 من شهر ربيع الأنوار ... فتوجهت إلى زاوية الشيخ أحمد مختار ... وقد وجدته يقرئ في "كفاية الطلاب" للشيخ صالح المشهور عبد الله بن أبي زيد القيرواني بالزاوية. فلما تم درسه أقبل علي بشاشر قواده هو وجميع كبار الطريقة السنوسية ... »، وأردف قائلا : « ومرزق كانت محط رحال القوافل السودانية والصحراوية وهي منتصف الطريق لمن قدم من طرابلس قاصدا مدينة برنو يعني كوكة يقصدونها من واداي[كذا] ومصر وجالو وتوات. وكان يأتيها الركب التواتي قاصدا بيت الله الحرام ... »[6].

---

(1) - Henri Duveyrier, **La confrérie musulmane de sîdi Mohammed ben Ali Essenoûsî et son domaine géographique : en l'année 1300 de l'hégire=1883 de notre ère**, op.cit, p 69.

(2) – مُحَمَّد بن عثمان الحشائشي، مرجع سابق، ص ص109، 110.

(3) - A O M, 16H55, Rapport de M.Delaporte à M.le Duc Decazes ministre des affaires étrangères. Tripoli, le 24 Août 1875.

(4) - حاول المستشرقون ربط مدينة مرزق بتجارة العبيد. ينظر : Knut S.VikØR, op.cit, p 21.

(5) - Henri Duveyrier, **La confrérie musulmane de sîdi Mohammed ben Ali Essenoûsî et son domaine géographique : en l'année 1300 de l'hégire=1883 de notre ère**, op.cit, p 67.

(6) – مُحَمَّد بن عثمان الحشائشي، مرجع سابق، ص ص79، 80.

ونلاحظ أن زوايا الجنوب بُنيت في وقتٍ متأخرٍ، ومنها زوايا منطقة الطوارق والتبو[1] في إقليم فزان[2]، وهذا ما ذكره دوفيري عند زيارته للمنطقة خاصة طوارق الآزجر[3]، وذلك في حدود عام 1860م، حيث أشار إلى أن زوايا كل من سوكنة وزويلة ومرزق وغدامس وغات بُنِيت حديثًا ولم تكن موجودةً من قبل، وهذا ما أكده أيضًا النقيب بونمان فيما يخص غدامس، حيث قال بأنه لم يكن بها سوى زاوية واحدة وهي زاوية سيدي معبد، وأضاف بأن زاوية أخرى سنوسية حديثة بُنيت بجوارها، وللإشارة فقد زار –كما هو معلوم– إسماعيل بوضربة[4] نفس المنطقة ونفى أصلًا وجود زاوية بغات[5]، مما يجعلنا في حيرة. وطوارق آزجر هم أسياد الطرق التجارية في الصحراء الأفريقية، ولهم سلطان وشأن عظيم، بدليل أن دوفيري كان يتجول في المنطقة تحت حماية أخنوخن زعيم طوارق الآزجر، وذلك بين مدينة غدامس وغات ومرزق[6]. والطوارق –بصفة عامة– رغم أنهم مسلمون إلا أنهم ليسوا متدينين[7]، حيث يُلاحظ عليهم قلة التعلق بالتصوف إلا البعض[8]، ربما لأنهم أمازيغ لا يتقنون اللغة العربية[9]،

---

(1) – التبو : عنصر من عناصر كوار، يسكن منطقة متواضعة في غرب كوار وتمتد إلى مرتفعات الهقار وما جاورها، وهم مسلمون منذ زمن بعيد. واسم التبو أوروبي، ويُعرفون في بحر الغزال باسم "الكتشر"، وفي وداي باسم "أما" و"بوركو" و"كريدا" و"دوريا" و"غرفاده". ينظر : مخزوم الفيتوري عطية، **دراسات في تاريخ شرق افريقيا وجنوب الصحراء (مرحلة انتشار الاسلام)**، ط1، بنغازي، منشورات جامعة قاريونس، 1988، ص ص7،8.

(2) – عدد زوايا السنوسية في فزان قليل بسبب قلة السكان مقارنة ببرقة وطرابلس، وقد بلغ عددها خمسة عشرة زاوية عند وفاة مُحَمَّد المهدي السنوسي عام 1902م. ينظر : أبو بكر سالم المهدي الشيباني، "**الزّوايا السنوسية في فزان ودورها الدّعوي والإجتماعي والاقتصادي والجهادي**"، مجلة القرطاس، العدد 22، مارس 2023، ص ص130-134.

(3) – ينقسم طوارق الشمال إلى قسمين رئيسيين : طوارق الآزجر في الشرق، وطوارق الأهقار في الغرب. ينظر:
Henri Duveyrier, **Les Touareg du Nord** : **exploitation du Sahara**, op.cit, p 329.

(4) – بوضربة إسماعيل من أبرز الجواسيس الفرنسيين، وهو مترجم عسكري للمكتب العربي بالأغواط، من أب مسلم وأم مسيحية، توجه إلى قبائل آزجر بغات انطلاقا من الأغواط في 1 أوت 1858م مرورًا بتماسين، وعاد إلى بلاده في 1 ديسمبر 1858م، وظهرت تقاريره عن رحلته بعد عامين في الصحافة منها : Revue Algérienne et coloniale. ينظر:
Jean-Louis Triaud, op.cit, p 100.

(5)– Henri Duveyrier, **Les Touareg du nord** : **exploitation du Sahara**, op.cit, p 303.

(6) – عبد الرحمن تشايجي، **الصراع التركي الفرنسي في الصحراء الكبرى**، تر.علي أعزازي، مر.مُحَمَّد الأسطي، تق.مُحَمَّد الطاهر الجراري، طرابلس.ج ع ل ش إ، منشورات م د ج ل ض غ إ، 1982، ص70.

(7) – عبد الرحمن تشايجي، مرجع سابق، ص59.

(8) – الطوارق المتمسكون بالطريقة السّنوسية يسمون أنفسهم "المشاك"، بمعنى مستقلين وأشراف. ينظر : مُحَمَّد بن عثمان الحشائشي، مرجع سابق، ص120.

(9) – الطوارق قلَّ من يحسن منهم الكتابة والقراءة. ينظر : نفسه، ص120.

وبناءً على ذلك نجد أن أغلب الزوايا السنوسية في منطقتهم أصبحت مهجورة[1]، ولا يكترثون بها، إضافة إلى عدم درايتهم أصلا بالبناء نظرًا لطبيعة الترحال لديهم، كما أن شيوخ الزوايا ليسوا منهم[2]. ويلاحظ أن السنوسية لم تنتشر في اتجاه الصحراء الغربية نظرًا لأسبقية بعض الطرق الصوفية هناك منها التجانية والقادرية والرحمانية، فمثلًا كان أخنوخن – الشيخ الأول لطوارق الآزجر– متحالفًا مع الشيخ عثمان مرابط قبيلة أفوغاس الذي كان تجانيًا، وموقف فرنسا التي تنشط في المنطقة كان واضحًا وهو دعم التجانية على حساب السنوسية[3].

وفي الأخير، نشير إلى أنه لا يمكن إحصاء كل الزوايا السنوسية في ليبيا، ولا يمكن معرفة عددها بالضبط، والدليل ما أخبرنا به الحشائشي في نهاية القرن التاسع عشر بوجود حوالي ثلاثمائة زاوية في بنغازي لوحدها حيث قال : « ... والحاصل أن للشيخ من الزوايا بوطن بنغازي فقط ما يقرب من ثلاثمائة زاوية . أخبرني ذلك العلامة سيدي مُحَمَّد حيدرة شيخ زاوية هون ... »[4]، وفعلا فقد ذكر أسماء زوايا جديدة لم نعرفها من قبل مثل : زاوية شخنب[5]، والطمشية[6]، والقطيفة[7]، وشخرة[8]، وغيرها.

3-1- 2- مصر :

لمصر مكانة إستراتيجية بالنسبة للحركة السنوسية، فهي تعد الجارة الشرقية لبرقة، لذلك فالعلاقة وطيدة بينهما، ويكفي أن نذكِّر بأن أولاد علي[9] القاطنين في الصحراء الغربية لمصر أصلهم ليبي وأغلبهم سنوسيين[10].

---

(1) – مُحَمَّد الكامل حسيني، مرجع سابق، ص ص213-215.

(2) – مثلًا : أحمد أبو القاسم التواتي (زاوية زويلة وواو)، والشريف الغدامسي(زاوية غدامس)، والعلامة المدني(زاوية تازربو) وغيرهم. ينظر : علي مُحَمَّد الصلابي، **تَاريخ الحرَكَة السَّنُوسيَّة في أفريقيا**، مرجع سابق، ص ص92، 93.

(3) – عبد الرحمن تشايحي، مرجع سابق، ص ص61-63.

(4) – مُحَمَّد بن عثمان الحشائشي، مرجع سابق، ص183.

(5) – مقدمها الشيخ سيدي السنوسي الأشهب. ينظر : نفسه، ص183.

(6) – شيخها سيدي عبد القادر الجيلاني. ينظر : نفسه، ص183.

(7) – شيخها سيدي عبد اللطيف. ينظر : نفسه، ص183.

(8) – شيخها سيدي عبد الكريم. ينظر : نفسه، ص183.

(9) – أولاد علي : هم أبناء علي بن عقار، وجميعهم أجليوا إلى مصر، ومساكنهم من عقبة السلوم إلى شرق الاسكندرية، وسبب الجلاء هي الحرب التي وقعت بينهم وبين العبيدات. ينظر: مُحَمَّد الطيب الأشهب، **برقة العربية أمس واليوم**، مرجع سابق، ص65.

(10) – في مصر الطريقة السَّنُوسيَّة معروفة فقط غرب نهر النيل، أي لدى قبائل أولاد علي. ينظر:

Henri Duveyrier, **La confrérie musulmane de sîdi Mohammed ben Ali Essenoûsî et son domaine géographique : en l'année 1300 de l'hégire=1883 de notre ère**, op.cit, p 25.

وتعد مصر من البلدان الأولى التي أُنشئت بها زوايا سنوسية، وذلك بناءً على رغبة السكان في كثير من الأحيان، حيث كانوا يطلبون من الشيخ السنوسي أن يبني لهم زوايا، كلما مرَّ ببلدهم أثناء أسفاره خاصة إلى الحج، وكان يلبي أحيانا ويعتذر أحيانا أخرى[1]، وقد أحصى زوايا مصر عدد كبير من المؤرخين منهم دوفيري[2]، ونذكر منها :

3-1-2-1- زاوية سيوة :

تأسست زاوية سيوة عام 1843م[3]، لذلك تعد من أقدم الزوايا السنوسية ليس في مصر فقط بل في أفريقيا أيضًا، وكان قد أنشأها الشيخ السنوسي وعيَّن أول شيوخها وهو العلامة أحمد التواتي والذي كانت تتبعه زاوية الزيتون أيضًا[4]، وقد ازداد عدد زوايا هذه المدينة ووصل إلى ثلاثة[5]. ولواحة سيوة أهمية إستراتيجية بالنسبة للإخوان السنوسيين باعتبارها آخر واحة مصرية في الغرب، لذلك فهي أول همزة اتصال بين الجغبوب ومصر.

3-1-2-2- زاوية الفرافرة :

أُنشئت زاوية الفرافرة عام 1860م في الجنوب المصري قرب الحدود السودانية وذلك زمن مُحَمَّد المهدي السنوسي[6]، وكانت هذه رغبة أهالي المنطقة منذ أن كان الشيخ السنوسي يمر عبرها في طريقه إلى الحج، ووصفها دوفيري بأنها زاويةٌ كبيرةٌ وجميلةٌ، وقال بأن مقدمها هو سيدي حسن (1870م)[7].

---

(1) – بطلبٍ من أهالي سيوة بنى السنوسي زاوية أم الرزم ودفنة، وبنى زاوية حوش عيسى وأم الرخم والنجيلة والحقنة تلبيةً لطلب عائلة بومريم التي نزل ضيفا على شيخها عبد الله بوسويحل، بينما اعتذر لأهالي الفيوم والفرافرة. ينظر : عبد المالك بن عبد القادر بن علي، مرجع سابق، ص ص35، 36.

(2) – أحصى دوفيري سبعة عشرة زاوية في مصر من بينها الجغبوب. ينظر:

Henri Duveyrier, **La confrérie musulmane de sîdi Mohammed ben Ali Essenoûsî et son domaine géographique : en l'année 1300 de l'hégire=1883 de notre ère**, op.cit, pp 57-60.

(3) - Ibid, p 59.

(4) - علي مُحَمَّد الصلابي، **تَاريخ الحرَكَة السَّنُوسيَّة في أفريقيا**، مرجع سابق، ص92.

(5) – هي الزاوية القديمة، وزاوية أغرمي، وزاوية بني معرف. ينظر : زيد الخير، " **طريقة السنوسية وزواياها بين الإسكندرية ودرنة**"، مجلة المنار، مج15، 1912، ص537.

(6)- Henri Duveyrier, **La confrérie musulmane de sîdi Mohammed ben Ali Essenoûsî et son domaine géographique : en l'année 1300 de l'hégire=1883 de notre ère**, op.cit, pp 59.

(7) - Ibid, p 59.

ولهذه الزاوية موقع استراتيجي، إذ تعد الفرافرة واحة صحراوية غنية بالمياه، ومكانًا هامًا لاستراحة الحجاج قبل الوصول إلى ساحل البحر الأحمر، ونعتقد أن هذا الطريق الجنوبي أخذ أهمية بالغة بغرض تجنب المرور عبر شمال مصر عقب الشروع في حفر قناة السويس، وما يترتب عنه من عراقيل كالتأشيرات وجواز السفر والمراقبة وغيرها.

3-1-2-3- زاوية الزيتون :

تقع شمال سيوة بمسافة اثنتي وعشرين كلم[1].

3-1-2-4- زاوية شماس :

يعتقد دوفيري أنها تقع في آثار قصر شماس في ساحل طبرق[2].

3-1-2-5- زاوية الحوش :

يعتقد دوفيري أنها موجودة في طريق بين الجغبوب والإسكندرية[3].

3-1-2-6- زاوية أم الرخم :

يعتقد دوفيري أنها موجودة في طريق بين سيوة وبربيطا[4].

3-1-2-7- عين الشيخ مرزوق :

تقع في واحة الفرافرة[5].

3-1-2-8- زاوية بويتي :

بويتي عبارة عن واحة بالبحرية[6].

---

(1) - Henri Duveyrier, **La confrérie musulmane de sîdi Mohammed ben Ali Essenoûsî et son domaine géographique : en l'année 1300 de l'hégire=1883 de notre ère**, op.cit, p 58.

(2) - Ibid, p 58.

(3) - Ibid, p 58.

(4) - Ibid, p 59.

(5) - Ibid, p 59.

(6) - Ibid, p 59.

3-1-2-9- زاوية قصر الداخل :

تأسست هذه الزاوية عام 1872 أو 1873م[1].

3-1-2-10- زاوية قلمون :

مقدم هذه الزاوية هو الشيخ حوسن[كذا]، وحسب دوفيري فقد كان له تأثير كبير[2]، ولم يفصل في هذا.

3-1-2-11- زاوية بربيطا :

ذكر دوفيري هذه الزاوية بشكل مقتضبٍ، حيث حدد موقعها في واحة جاب الخير[3].

3-1-2-12- زاوية الإسكندرية :

زاوية أسسها الشيخ السنوسي عند رجوعه من سفره الأول إلى مكة، ولم يذكر دوفيري مقدمها[4]، .

3-1-2-13- زاوية تربيات :

يعتقد دوفيري أنها تقع بين زاوية النطرون وبربيطا[5].

3-1-2-14- زاوية قعيب :

ذكرها دوفيري، لكن ظل موقعها الفلكي والجغرافي غير معلومين[6].

3-1-2-15- زاوية النطرون :

تقع هذه الزاوية في وادي النطرون، ومقدمها هو سيدي مُحَمَّد بن جلول، وأصله من عرش مجاهر بالجزائر[7].

---

(1) - Henri Duveyrier, **La confrérie musulmane de sîdi Mohammed ben Ali Essenoûsî et son domaine géographique : en l'année 1300 de l'hégire=1883 de notre ère**, op.cit, p 59.

(2) - Ibid, p 59.

(3) - Ibid, p 59.

(4) - Ibid, p 59.

(5) - Ibid, p 59.

(6) - Ibid, p 59.

(7) - Ibid, p 59.

3-1-2-16- زاوية بولاق :

تقع هذه الزاوية في الضفة الشرقية لنهر النيل قرب القاهرة، وقد بناها عباس باشا خصيصًا للشيخ السنوسي[1]، وكما أسلفنا فإنه رفضها ولم يقم فيها.

وما يلاحظ على دوفيري أنه ألحق زاوية الجغبوب بزوايا مصر[2]، وقد انفرد بهذا التصنيف دون غيره، في حين تُصنِفها المصادر الأخرى ضمن زوايا ليبيا-كما مر معنا-. ويختلف الأشهب عن دوفيري لأنه لم يذكر بعض الزوايا مثل بولاق وبربيطا وقعيب، وبالمقابل أضاف بعض الزوايا لم ترد عند دوفيري مثل زاوية الواحات البحرية والفيوم وبراني وغيرها[3]، والأكيد لا زالت هناك زوايا أخرى، لأن الأشهب نفسه يقر بأن ما أحصاه هو بعض منها[4].

وازداد عدد زوايا مصر في بداية القرن العشرين، إذ بلغ حوالي ثلاثة وعشرين زاوية سنة 1912م، تمتد في الطريق بين الإسكندرية ودرنة، وأولها حوش عيسى بالإسكندرية وشيخها هو مُحَمَّد بن مالك، وتليها زاوية سيدي موسى العجاري في موقع يسمى بهيج، وتمتد تلك الزوايا إلى غاية زاوية الشيخ السنوسي بدرنة[5]. ولكل زاوية من تلك الزوايا أتباع، ولا يدخلون مع غيرهم، لأن أتباع كل زاوية يقتصرون عليها فقط مع الالتزام بنهج السنوسيين[6]، وللعلم، كثير من زوايا السنوسية بمصر دمرت، بسبب سياسة أحمد الشريف السنوسي الخاطئة[7].

3-1-3- تونس :

3-1-3-1- زاوية الجريد :

يعد الأشهب من المؤرخين القلائل الذين أشاروا إلى وجود زاوية سنوسية بتونس وهي زاوية الجريد، ولم يحدد بدقة المدينة باعتبار أن الجريد إقليمٌ شاسعٌ، وأكد أن أول شيوخها هو مُحَمَّد بن الصادق[8]، والجدير بالإشارة فإن

---

(1) - Henri Duveyrier, **La confrérie musulmane de sîdi Mohammed ben Ali Essenoûsî et son domaine géographique : en l'année 1300 de l'hégire=1883 de notre ère**, op.cit, p 60.

(2)- Ibid, p 57.

(3) – مُحَمَّد الطيب الأشهب، **السنوسي الكبير عرض وتحليل لدعامة حركة الإصلاح السنوسي**، مرجع سابق، ص ص33-41.

(4) – نفسه، ص41.

(5) – زيد الخير، مرجع سابق، مج15، ص ص532-535.

(6) – مثلًا : تتم قراءة القرآن وختمه في شهر، أي بمعدل قراءة حزبين كل يوم. ينظر : نفسه، ص533.

(7) – روزيتا فوربس، مرجع سابق، ص ص167، 168.

(8) – مُحَمَّد الطيب الأشهب، **السنوسي الكبير عرض وتحليل لدعامة حركة الإصلاح السنوسي**، مرجع سابق، ص38.

المؤرخ عبد المالك بن علي ذكر زوايا الجريد بالجمع، حيث تولى الشيخ مُحَمَّد صادق البكري مسؤوليتها في عهد الشيخ السنوسي [1].

3-1-3-2- زاوية منزل الخير :

زاوية تقع في قرية بساحل سوسة، ومقدمها اسمه الشيخ مُحَمَّد بن عمر [2].

3-1-3-3- زاوية الدويرات :

زاوية تقع في قرية بربرية بجبل دويرات [3].

3-1-3-4- زاوية الحرث :

زاوية تقع في واحة نفزاوة، على بعد ثلاثة آلاف وسبعمائة متر، شرق جنوب شرق زاوية الدبابشة [4].

3-1-3-5- زاوية كريز :

زاوية تقع في واحة أوديان، ومقدمها اسمه سيد الطيب بن طباعي [5].

3-1-3-6- زاوية العرب :

قال دوفيري بأن العرب منطقة تقع وسط واحة أوديان، وفي عام 1857م أسس بها الشيخ مُحَمَّد الصدوق المكاوي زاوية سنوسية على بعد تسعمائة متر شمال شرق دقاش وزاوية سيدي بوناب، وعين لها مقدمًا اسمه سيدي أحمد بن شبيرة وهو من عرش أولاد نايل، وبعد وفاته خلفه ابنه عمار، وأضاف - أي دوفيري - بأن الزاوية في عهده أصبحت خرابًا [6].

---

[1] - ينظر : عبد المالك بن عبد القادر بن علي، مرجع سابق، ص29.

[2] - Henri Duveyrier, **La confrérie musulmane de sîdi Mohammed ben Ali Essenoûsî et son domaine géographique: en l'année 1300 de l'hégire=1883 de notre ère**, op.cit, pp 71, 72.

[3] - Ibid, p 72.

[4] - Ibid, p 72.

[5] - Ibid, p 72.

[6] - Ibid, pp 72, 73.

وفي هذا السياق، أكد دوفيري أن أقدم زاوية بتونس تأسست سنة 1857م غير أنه لم يُذكر اسمها[1]، وأشار أيضًا إلى وجود سبعة عشرة زاوية أخرى لكنها في طور الإنجاز[2]، وعن مدينة نفطة ذكر المقدم مُحَمَّد الصدوق المكاوي، وقال بأنه يجتمع رفقة مجموعة من الإخوان في جامع سيدي مبارك[3]، غير أنه لم يوضح السبب، وكما هو واضح وجلي فإن فرنسا كانت تتجسس عليهم.

وعلى العكس مما سبق، نَفتْ دراسة وجود السنوسية في تونس رغم قربها ومجاورتها لأيالة طرابلس الغرب[4]، وحسب الأحداث التاريخية تأكدنا أن السلطات التونسية كانت منزعجة من السنوسية التي أعلنت الجهاد ضد الاستعمار الفرنسي. وللعلم فقد كانت فرنسا تتربص بتونس، حيث كانت تنتظر أدنى سبب للإنقضاض عليها مثل الجزائر، وخوفًا من وقوع تونس في مشاكل فضّل البايات إبعاد السنوسية وأخذ مبدأ الحيطة والسلامة، وهذا ما حدث بالضبط بتاريخ 4 جوان 1869م مع قافلة قادمة من فزان وصلت إلى تطاوين في طريقها إلى قابس، على رأسها أحد الإخوان السنوسيين وهو حسن علي الذي اتصل بالأهالي في مطوية والحامة وبشيمة وبير الغريب ودوز، وعاين مواقع ينابيع المياه، ويبدو أنه كان يريد إنشاء زوايا بالجهة، وتم إيقافه يوم 25 جوان، وفي 28 جويلية سُلِّم إلى المراقب المدني بقابس الذي قام بترحيله على الفور إلى طرابلس وفي نفس اليوم[5].

وفي عام 1876م دخل أحد المغاربة إلى تونس لنشر مبادئ السنوسية خاصة مبدأ "فتح باب الاجتهاد"، وتمكن من إيجاد مناصرين منهم الشيخ أحمد التبرسقي المدرس بجامع الزيتونة، وذعرت السلطات التونسية من ذلك، وبعد التنسيق بين شيخ الإسلام سيدي مُحَمَّد معاوية وخير الدين طرد الرجل الداعية وتم وأد هذه الحركة في مهدها، ولم يجرأ أحد بعدها على نشر السنوسية بأيالة تونس.

وازدادت المراقبة وتشديد الخناق على السنوسية وأتباعها بعد الاحتلال الفرنسي، حيث فُرض عليها حصارًا شديدًا، وكانت الإدارة تطالب باستمرار المراقبين المدنيين بكشف وإحصاء أتباعها، الأمر الذي دفع بالإخوان إلى التستر وأصبح من الصعب التعرف عليهم.

---

(1) - Henri Duveyrier, **La confrérie musulmane de sîdi Mohammed ben Ali Essenoûsî et son domaine géographique : en l'année 1300 de l'hégire=1883 de notre ère**, op.cit, p 29.

(2)- Ibid, p 29.

(3) - Ibid, p 73.

(4) - الطريقة السّنوسية ليست موجودة في إحصاء أيالة تونس. ينظر : التليلي العجيلي، **الطرق الصوفية والاستعمار الفرنسي بالبلاد التونسية (1881-1939)**، جامعة تونس1، منشورات كلية الآداب بمنوبة، 1992، مج2، ص ص68، 69.

(5) - نفسه، ص ص68، 69.

3-1-4- الجزائر :

3-1-4-1- زاوية مازونة[1]:

تقع هذه الزاوية في منطقة الظهرة على بعد خمسة وسبعين كلم من مدينة مستغانم، وتعد مهد الطريقة السنوسية في الجزائر[2]، وقد كانت تحت إشراف الشيخ مُحَمَّد بن تكوك[3].

3-1-4-2- زاوية مستغانم :

إنها الزاوية السنوسية الوحيدة اليوم في الجزائر وتقع بالضبط في بوقيراط، أسسها الشيخ مُحَمَّد بن تكوك[4] عام 1859م[5]، وقد ورد اسمه في التقارير الفرنسية باسم "الشارف بن تكوك"[6]، وأكد السيد فارنييه الموظف الإداري للبلدية المختلطة أبليل[كذا] بأن السنوسية تتركز فقط في عرش مجاهر أين يسكن الشيخ ابن تكوك[7] الممثل الوحيد للسنوسية بالجزائر[8]، وهي نفس منطقة الشيخ السنوسي ومسقط رأسه.

---

(1) – أخذ دوفيري صورة لها. ينظر : الملحق رقم 11، ص416.

(2) – كانت زاوية مازونة موجودة منذ عام 1851م. ينظر:

Henri Duveyrier, **La confrérie musulmane de sîdi Mohammed ben Ali Essenoûsî et son domaine géographique : en l'année 1300 de l'hégire=1883 de notre ère**, op.cit, p 76.

(3) – انتقل مُحَمَّد بن تكوك للإشراف على زاوية أخرى تقع قرب مدار في البلدية المختلطة هليل. ينظر : Ibid, p 31.

(4) – هو مُحَمَّد بن عبد الله بن طكوط [كذا] : (1209-1308هـ / 1794-1890م)، مؤسس وشيخ زاوية "طكوط" قرب مستغانم (وهي الزاوية الوحيدة بالجزائر)، يتصل نسبه بالولي الصالح « سيدي عبد الله » دفين قرية المطمر بمستغانم، والذي يعود نسبه إلى إدريس الصغير، وُلد بمجاهر وتتلمذ على عدة شيوخ بالناحية منهم شيوخ السنوسي نفسه على غرار بلقندوز الذي قتله الباي حسن. وبعدها فرّ إلى المغرب لكنه عاد، وبسبب نشاطه وتأثيره على الناس قامت فرنسا باعتقاله عدة مرات، وفي سنة 1859م أنشأ زاوية شفاعة وأصبح له أتباع، وربط علاقات بالخارج لاسيما مع السّنوسية، توفي سنة 1890م وخلفه ابنه أحمد. ينظر : عبد المنعم القاسمي، مرجع سابق، ص ص 330، 331.

(5) – بلهادي خلادي، مرجع سابق، ص231.

(6) – قريب الشيخ مُحَمَّد بن علي السنوسي وأحد أتباعه أيضًا، عندما أرسل الشيخ السنوسي أحد تلاميذه حاملًا إجازة عام 1267هـ وكلفه بنشر الطريقة السّنوسية، كان أول من اتصل به هو الشارف بن تكوك الذي يعد أول من نشر الطريقة السنوسية بالجزائر، وقد فتح زاوية إلا أن فرنسا أغلقتها مدة، ثم أذنت بفتحها. ينظر : أحمد بن سحنون، مرجع سابق، ص ص53، 54.

(7) – يطلق على الشيخ ابن تكوك في عرش المجاهر لقب "آغا الإخوان". ينظر : René Pottier, op.cit, p 242.

(8)- A.O.M, 16H55. Rapport de M.le prefet d' Oran à M.le gouverneur général d' Alger. Oran le, 21 septembre 1886.

والشيخ الشارف بن تكوك صاحب الغوثية هاجر إلى المغرب إثر مقتل شيخه بالقندوز، أي في نفس الظروف التي هاجر فيها ابن عمه وأستاذه لاحقا مُحَمَّد بن علي السنوسي، ثم عاد[1]. ولا ندري الطريقة الصوفية التي كان يسلكها ابن تكوك قبل السنوسية، وللعلم فقد كان كثير التنقل ما بين الجزائر وبرقة وذلك لزيارة الشيخ مُحَمَّد المهدي والدراسة بالجغبوب[2]، الأمر الذي جعله طوال الوقت تقريبًا تحت مراقبة الاستعمار الفرنسي، لذلك كان كثيرًا ما يتعرض للاعتقال والسجن[3]، كما لم يسلم خليفته أيضًا[4]، ورغم ذلك يلاحظ زيادة عدد الإخوان السنوسيين في عمالة وهران[5].

واستنادًا لما سلف، نعتقد أن للطريقة السنوسية بعض الزوايا بالغرب الجزائري وربما زاوية واحدة، لكنها كانت تُغلق ثم تُفتح من جديد وربما في مكان آخر، وذلك حسب تراخيص فرنسا، إلى أن استقرت نهائيًا بمستغانم وبالضبط في بوقيرات.

وبالعودة إلى زاوية ابن تكوك، فقد كانت منارة علمٍ ومركز إشعاعٍ معرفي كبير، وصرحًا ثقافيًا متميزًا، ومدرسةً حقيقية للتعليم والتعلم، تستقبل الطلبة من مختلف المناطق خاصة بالقطاع الوهراني، وهذا بالضبط ما تم رصده، حيث لوحظ توافد بعض الطلبة إلى الزاوية، بلغ عددهم نحو خمسة وعشرين، معظمهم من عرش مجاهر وفليتة والكرمة، والبعض من ثنية الحد[6].

وأشار دوفيري إلى وجود عدة أديرة [كذا] سنوسية بعمالة وهران، منها : زاوية أحمد بن ناصر في سهل غريس[7]، وزاوية مغار تحتاني التي تأسست عام 1874م من طرف مُحَمَّد بن العربي بن بوحفص وهو من أولاد

---

(1) – أحمد بن سحنون، مرجع سابق، ص54.

(2) – زارت ابنة ابن تكوك الجغبوب أيضًا رفقة خالها سي رابح عام 1869م، ومكثت هناك شهرًا كاملًا، ثم عادت. ينظر:
René Pottier, op.cit, p 243.

(3) – في عام 1882م أوقف وكيل الجمهورية بمستغانم الشيخ ابن تكوك وسجنه، بسبب مقتل شخص من الأهالي – كان دون شك جاسوسًا– قرب الزاوية، لكن تم إطلاق سراحه عنوةً، بعد ما هبت جموع غفيرة من الإخوان لنجدته ... ينظر:
Ibid, p 244.

(4) – عاد ابن تكوك من منفاه بكورسيكا بعد أن استفاد من عفو رئاسي عام 1893م. ينظر:
L'indépendant de Mostaganem, N^0 453, Mercredi 27 Decembre 1893.

(5) – في عام 1865م تم إحصاء ستين شخصًا من مريدي الزاوية السنوسية في دائرة وهران : خمسون رجلًا، وعشرة إمرأة، وبعد ذلك ازداد عددهم بشكل كبير. ينظر : René Pottier, op.cit, p 242.

(6) - Ibid, p 243.

(7) – ينتمي أهل غريس إلى الشرفاء. ينظر : عبد الله حشلاف، مرجع سابق، ص109.

سيدي تاج (أولاد سيدي الشيخ الغرابة)[1]، وفي بعض مناطق الجنوب لم يذكر صراحة زوايا سنوسية بل أشار إلى مدن ظهرت فيها السنوسية[2].

أما لويس رين أصدر إحصائيات في جدول عن الإخوان والمقدمين والزوايا السنوسية في الجزائر سنة 1882م، وارتأينا أن نأخذ منه الجزء الخاص بالغرب الجزائري – بتصرف –، لأنه الوحيد الذي سُجّلت به زاوية سنوسية[3]، ووضحنا ذلك كما يلي :

إحصائيات عام 1882م توضح تواجد السنوسية في

المناطق المدنية لمقاطعة وهران – بتصرف –[4]

المدينة	عدد الزوايا	عدد المقدمين	عدد الإخوان
سانت لوسيان (بلدية مختلطة)	0	0	37
معسكر	0	1	25
أبوقير (في حالة تأسيس)	0	1	20
عين بوديسار	0	1	20
عين تدلس	0	0	2
بلاد طوارية	0	5	13
جسر الشلف	0	2	40
غليزان	0	0	10
سوق الميتو	0	1	19
هليل (بلدية مختلطة)	1	13	256

[1] – كثيرًا ما أشارت الجرائد الفرنسية إلى هذه الزاوية، وذلك عند التطرق إلى مقاومة الشيخ بوعمامة. ينظر:

Henri Duveyrier, **La confrérie musulmane de sîdi Mohammed ben Ali Essenoûsî et son domaine géographique : en l'année 1300 de l'hégire=1883 de notre ère**, op.cit, p 29.

[2] – نقصد هنا مدينة بوسعادة بقيادة المقدم سيدي أحمد بن شبيرة، ومدينة مسعد بأولاد نايل، ومدينة الأغواط بزعامة سيدي الشيخ بن الدين الذي كان قاضيًا قديمًا لهذه المدينة. ينظر : Ibid, p 75.

[3] – أشار أيضًا دوفيري إلى وجود زاويةٍ سنوسيةٍ واحدةٍ فقط في القطاع الوهراني، وهذا في نفس العام أي 1882م، مما يرجح أن مصدر دوفيري ورين واحد، أو أن أحدهما نقل عن الآخر. ينظر : Ibid, p 31.

[4]- Louis Rinn, op.cit, p 514.

زمورة	0	4	1
مستغانم	0	1	4

إن تأثير الطريقة السّنوسية في أعراش وقبائل القطاع الوهراني بالغرب الجزائري كبير جدًا بفضل أولاد سيدي الشيخ[1]، ويظهر ذلك في : دوار عين موسى في زمورة، وفليتة، وحلوى الشراقة، وقريش الغرابة، وأولاد خويدن، والكرمة في محيط غليزان، وبني شقرون في معسكر، والمديونة وبني زروال والبرجية والمجاهر – كما أسلفنا–، ووالتاهلايت في "سانت دونيس" قرب سيق، والغرابة والزمالة والدواير قرب وهران، وأولاد زاير وأولاد خليفة قرب عين تموشنت، وأولاد ميمون وبني اسماعيل في البلدية المختلطة "لامورسيار"، والأولحاسة قرب الرمشي، وأولاد الشريف وأولاد خليف وأولاد بوعمامة قرب تيارت[2]، وفي الجنوب يضاف إليها عدة سكان ومناطق منها : شعانبة متليلي[3]، ومنطقة المنيعة[4]، وغير ذلك. ونعتقد أن تأثير الحركة السنوسية في تلك المناطق سياسي أكثر منه روحي، بدليل وجود تنسيق بين الشيخ مُحَمَّد المهدي السنوسي شيخ الطريقة السنوسية والشيخ بوعمامة الذي ينتمي إلى الطريقة الشيخية[5]، من أجل المقاومة المسلحة ضد ما يسمى "الكافر"، أي الاستعمار الفرنسي[6]، والدليل الثاني عدم وجود زوايا ومريدين يرددون أزكار وأوراد الطريقة السنوسية على غرار الطرق الصوفية الأخرى.

ومما لا شك فيه، فإن الطريقة السنوسية في عام 1885م أصبح لها زاوية واحدة فقط وهي زاوية عرش المجاهر في مستغانم، وهذا ما أشار إليه الماجور دوماغت في رسالة إلى دوفيري مؤرخة بوهران في تاريخ 15 نوفمبر 1885م، حيث قال : « لا تقع زاوية سيدي مُحَمَّد بن السنوسي في مازونة، وإنما عند أولاد شعافة[كذا]أقوى فرع من عرش المجاهر في دائرة مستغانم ... وحاكم هذه الزاوية هو الشيخ الشارف بن تكوك، رجل مسن عمره خمس وثمانين سنة، له تأثير ونفوذ كبير، ونظرًا للاحترام الكبير الذي كان يلقاه من زواره، وبسبب اتصاله بسي المهدي بن السنوسي شيخ الطريقة السنوسية بالجغبوب، أصبح تحت مراقبة السلطات الاستعمارية ... »[7].

---

(1) - Henri Duveyrier, **La confrérie musulmane de sîdi Mohammed ben Ali Essenoûsî et son domaine géographique : en l'année 1300 de l'hégire=1883 de notre ère**, op.cit, p 32.

(2) - Ibid, p 32.

(3) - Ibid, p 36.

(4) – يؤكد دوفيري أن تأثير السّنوسية كان بفضل علاقتها بأولاد سيد الشيخ، وسرد رسالة من سيدي حمزة قائد أولاد سيدي الشيخ إلى سكان المنيعة مؤرخة في 4 سبتمبر 1859م، ولم يوضح محتواها، غير أننا – من خلال سياق الكلام– فهمنا أنها تخص المقاومة. ينظر : Ibid, p 33.

(5) – مُحَمَّد الكامل حسيني، مرجع سابق، ص212.

(6) – نفسه، ص212.

(7) - René Pottier, op.cit, p 241.

ومن العادات والتقاليد والطقوس الشعبية في مستغانم، تنظيم عرش المجاهر "وعدة"[1] سنوية في مسجد سيدي الشارف بن خطاب مؤسس عرش أولاد سيدي عبد الله، إضافة إلى حفل في زاوية سيدي الشارف بن تكوك، ويشارك في هذه الوعدة عدة أعراش مثل : فلاتة زمورة، وعمي موسى، والكرمة في غليزان، وأولاد شريف في تيارت وبني شقران قرب معسكر وغيرهم، يصاحبها سباق الخيالة وألعاب الفنتازيا (الفانطازيا)[2] مع إطلاق البارود وصيحات الفرسان الحماسية ونحو ذلك، ويستمر ذلك عدة أسابيع[3]، وللعلم تعد هذه الاحتفالات الشعبية من التراث الثقافي اللامادي الأصيل للجزائر بصفة عامة، وليس خاصا بالسنوسية لوحدها، لذلك نجد نفس طريقة الاحتفالات تقام في عدة مناطق، ولمختلف المناسبات، ولعدة زوايا وطرق صوفية أخرى، وغيرها.

3-1-4-3- زاوية جانت[4] :

تقع هذه الزاوية في قصر الميهان بجانت، ولم يذكرها المؤرخون الفرنسيون المتخصصون في السنوسية مثل دوفيري أو لويس رين، والأمر بسيط لأنها بُنيت متأخرة جدًا وكان ذلك في سنة 1898م، وقد ساهم الشيخ مُحَمَّد السني في بنائها، وذلك باختيار المكان المناسب وهو عبارة عن ربوةٍ وأرضٍ ليست وقفًا[5]، وحسب الروايات الشفوية تتم عملية بناء القصور بواسطة التويزة أي تعاون الأهالي جماعيًا[6]، وقد بُنيت زاوية جانت بهذه الطريقة أيضًا، وتعد التويزة من العادات والتقاليد الاجتماعية العريقة في الجزائر، وتعد أيضًا إرثًا ثقافيًا بامتياز لأنه اصطبغ بنشاط ثقافي مميز وهو الإنشاد والتصلية على الرسول ﷺ في وقت واحد، وتُردد بصفة جماعية أثناء عملية البناء لبث الحماس وتعزيز روح التعاون والإخاء بين المجموعة.

---

[1] – الوعدة : في العرف هي نذر موجه لأصحاب القبور من الصلحاء والأولياء، وهي عبارة عن احتفال ديني يقوم به أشخاص من سلالة الولي والتابعين له، حيث يأتون للزيارة بلوازم الإعداد لهذه الوعدة في اعتقادهم تكفير عن الخطايا والتوسل إلى الله لرفع المظالم وتحقيق الأمنيات، وتعرف الوعدة في الجزائر بعدة أسماء أيضًا هي : الطعام، والزيارة، والفضيلة، والزردة، والنشرة. ينظر: خديجة بن فضيل وعبد القادر بوشيبة، "**الألعاب التراثية في احتفالية الوعدة – منطقة تلمسان نموذجا –**"، مجلة رفوف، مج 10، عدد 01، جانفي 2022، ص ص659-661.

[2] – الفنطازيا : نوع من الاحتفالات الجماعية، ويميل سكان المغرب إلى استخدام مصطلح "التبوريدة". ينظر : مبروك بوطقوقة، "**مقدمة في تاريخ الفانطازيا**"، الفكر المتوسطي، عدد9، جوان 2015، ص1.

[3] – ورد أن الاحتفالات بدأت في 17 أوت 1876م، وانتهت في 2 نوفمبر من نفس السنة. ينظر: René Pottier, op.cit, p 242.

[4] – ينظر : الملحق رقم 12، ص417.

[5] – رواية شفوية للسيد حمزة قمزر، عضو جمعية أمنيلال لحفظ التراث والمخطوطات بجانت، رقم الاعتماد : 06/2013 بلدية جانت، أُجريت المقابلة في جانت، بتاريخ 3 جانفي 2023، على الساعة 15:10.

[6] – رواية شفوية لفاطيمة تقابو، مديرة الديوان الوطني للحظيرة الثقافية الطاسيلي ن اجر، أُجريت المقابلة في مقر الحظيرة وبالضبط في المكتبة، يوم 2 جانفي 2023، على الساعة 11:07.

وبالإضافة إلى الذكر وإقامة الصلاة وحفظ القرآن وتعليم الأطفال، فإن الزاوية تقدم أعمالا خيرية للأهالي؛ من صدقات، وإعانة المحتاج، ومساعدة الفقراء والمحتاجين، وإطعام عابري السبيل، وكفالة اليتيم، وغيرها، وهذه من صميم مهام الزاوية والتي أُنشئت بالأساس من أجلها.

ولم تلق زاوية جانت الاهتمام الكبير من طرف الباحثين، ولربما لأنها لم تعمر طويلا، حيث حولتها فرنسا إلى حصن سُمي "حصن شارلي"[1]، وذلك عند احتلالها مدينة جانت عام 1911م[2]، وباعتبار الزاوية إرثًا ثقافيًا جزائريًا حاولت إماطة اللثام عنها، وذلك بالبحث والنبش في تاريخها، ولم أجد مخرجًا سوى الاعتماد على الرواية الشفوية[3].

ويعد الشيخ مرموري أخموك بن جوكري[4] أحد أعمدة الطريقة السنوسية في جانت وله نشاط ثقافي كبير جدا، وحسب كناش للجنة الدينية بجاهيل بتاريخ 4 سبتمبر 1987م، وحسب رواية شفوية أيضا[5]، فإن هذا الشيخ قام رفقة جماعة من رجال الدين بزيارة الشيخ مُحَمَّد المهدي السنوسي بالجغبوب عام 1897م، وتحصل أعضاء الوفد على إجازة تسمح لهم بناء زاوية سنوسية في جانت، وقد تم تأسيسها بالفعل وذلك عام 1898م في

---

(1) - Octave Meynier, " **La guerre sainte des Senoussya dans l 'Afrique française 1915-1918** ", Revue Africaine, Vol.83, Année 1939, p 234.

(2) – في 27 نوفمبر 1911م تمكن النقيب إدوارد شارلي من احتلال واحة جانت المتكونة من ثلاثة قصور هي : أجاهيل، والميهان، وأزلواز. ينظر : العربي بلعزوز، **"معركة جانت سنة 1916 من خلال تقارير ضابط الصف "لابيير" "**، مجلة عصور الجديدة، مج 11، العدد 2 (مارس) 1442هـ/2021م، ص474.

(3) – الرواية الشفوية هي تلك الأخبار المتواترة من أحداث تاريخية ماضية غير مدونة، يتناقلها الأحفاد عن الأجداد، ويتم تداولها داخل المجتمع الإفريقي والذين عُرِفوا بِ : "الغريو"، وقال الباحث هامباتي با : « كلما مات شيخ إفريقي، ضاعت مكتبة تاريخية لا تعوض». ينظر : الحسين عماري، **"حدود إسهام الرواية الشفوية والأركيولوجيا في كتابة تاريخ إفريقيا جنوب الصحراء"**، دورية كان التاريخية، العدد 14، ديسمبر 2011، ص ص13-15.

(4) – حسب كناش من إعداد اللجنة الدينية بجاهيل في تاريخ 4 سبتمبر 1987م، فقد ولد الشيخ مرموري أخموك سنة 1858م بجانت، ودخل الكتاتيب كباقي أبناء جيله، وحفظ القرآن في سن مبكر على يد أبي بكر بن توكة. ورحل بعد ذلك إلى غات للإستزادة في تحصيل العلوم كالفقه والسيرة والشريعة الإسلامية، ودرس هناك على يد الشيخ مُحَمَّد علي حفاش، وانتقل رفقة زملائه إلى مدينة واو وتلقى العلم على يد عدة علماء بارزين مثل الشيخ عبد الرحمان أحدود العلوي الشنقيطي، والشيخ مولاي الزين الشنقيطي، والشيخ مُحَمَّد التيبني وهو من منطقة سبها، وظل مغتربا يدرس في ليبيا مدة عشر سنوات، تحصل خلالها من علماء غات على رخص لنشر الدعوة والإصلاح والاجتهاد، كما مارس بمعية زملائه الإفتاء، ثم عاد بعد ذلك إلى جانت، وقضى حياته في نشر العلوم الدينية وتدريس القرآن الكريم والفقه والسنة، إلى أن توفي عام 1938م. ينظر : اللجنة الدينية بجاهيل، **الشيخ مرموري أخموك**، 4 سبتمبر 1987، كناش (مكتوب بالآلة الراقنة).

(5) – مقابلة مع الشيخ جيدار مختار بن ياسين، المولود خلال 1945م، بحضور ابنه والشيخ جيدار سعد، وذلك في بيته الكائن في قصر جاهيل بتاريخ 3 جانفي 2023م، على الساعة 10:17.

حي الميهان، وعُين مرموري أخموك شيخًا لها، بينما عُين لتدريس القرآن الكريم الشيخ شيبة المهدي بن عيسى. وظلت الزاوية على اتصال دائم بعلماء غات وواو الذين كانوا يترددون بدورهم على الزاوية لإلقاء الدروس ونشر العلم ودعمها بالمدرسين والكتب، ومما يسر ذلك قرب المسافة[1]، وممن تعلم في الزاوية واستفاد من علمها الشيخ المصطفى الذي قام هو بدوره بالوعظ والإرشاد ونشر العلم في فيافي وصحاري الطاسيلي[2]. وتشتهر زاوية جانت بمكتبها، حيث احتوت على العديد من الكتب، واعتبرت آنذاك أكبر مكتبة في منطقة الطاسيلي على الإطلاق، لكن للأسف قامت فرنسا – على غرار عادتها– بإتلاف أغلب كتبها وحرقها، لكن تمكن الأهالي من إنقاذ بعض منها، وذلك بدسها في الرمال والجبال وضفاف الأودية وغيرها[3]، وربما نُقل بعضها إلى ليبيا خاصة غات.

ومن أبرز زعماء الحركة السنوسية في جانت خاصةً والطاسيلي عمومًا الشيخ آمود[4]، وفي الحقيقة لم تشر المصادر إلى نشاطه الثقافي بالمنطقة، وكما هو معلوم فقد ارتبط اسمه دوما بالمقاومة المسلحة ضد الاستعمار الفرنسي، ثم الانضمام إلى الحركة السنوسية ضد الاستعمار الإيطالي في ليبيا.

ورغم أهمية شخصية آمود كزعيم وطني جزائري، ورائد مقاومة الطوارق في مساحة شاسعة جدا، شملت منطقة الطاسيلي كلها، إضافة إلى طول مدتها، إلّا أنه لم يحظ بكثير من الدراسات الجادة[5].

---

(1) – تبعد جانت عن غات مائة كلم. ينظر : العربي بلعزوز، مرجع سابق، ص474.

(2) – تُعرف أيضًا بِ : "طاسيلي آزجر"، وهي عبارة عن دكةٍ كبيرةٍ طولها 500 كلم وعرضها 130 كلم. ينظر:
Henri Duveyrier, **Les Toureg du Nord** : **exploration du Sahara**, t1, op.cit, pp 14, 55.

(3) – رواية شفوية للسيد حمزة قمزر عضو جمعية أمنيلال لحفظ التراث والمخطوطات بجانت، رقم الاعتماد : 06/2013 بلدية جانت، أُجريت المقابلة في جانت بتاريخ 3 جانفي 2023 م، على الساعة 15:05.

(4) – هو الشيخ آمود بن المختار، ولد عام 1858م بجانت، ينتمي إلى قبيلة إمانن، تَنَقَّل في صباه بين عين صالح وتمنراست أين تلقى مبادئ اللغة العربية وأصول الدين، لعب دورًا بارزًا في مقاومة الاستعمار الفرنسي بين عامي 1881 و1923م. رفض معاهدة الصلح التي أمضاها موسى آق مستان مع فرنسا في 21 جانفي 1904م، وعندما احتلت فرنسا جانت عام 1909م، اضطر إلى اللجوء إلى ليبيا، والانضمام إلى مقاومة السنوسيين ضد إيطاليا، وبعد نضال كبير توفي في لغريفة بفزان في ليبيا، ودُفن بها عام 1982م[كذا]. ينظر : عبد السلام بوشارب، **الهقار أمجاد وأنجاد**، رويبة، المؤسسة الوطنية للاتصال والنشر والاشهار، 1995، ص ص103، 104.

(5) - نبَّه السيد عبد المجيد شيخي المدير العام للمركز الوطني للأرشيف إلى ضرورة دراسة تاريخ الشيخ آمود، وذلك باستنطاق الوثائق الموجودة، واستغلال تقارير الضباط العسكريين الفرنسيين التي نُشرت في مجلدات. ينظر : سهام بوعموشة، **الشيخ أمود بن المختار مثال للمقاومة الباسلة**، [http://www.ech-chaab.com]، السبت 07 جانفي 2017م، 659 كيلو أوكتي، (زيارة الموقع 01 جويلية 2023، الساعة 19:15).

3-1-4-4- زاوية عين صالح [1]:

أخذت هذه الزاوية اسم المدينة التي تقع فيها، وهي مدينة عين صالح إحدى أكبر حواضر تديكلت[2]، وحسب دوفيري فإن هذه الزاوية قبل 1861م لم تكن سوى مركز بسيط، يضم مجموعة من الإخوان بزعامة أول مقدم للسنوسية بعين صالح وهو الحاج أحمد بن تواتي، وفي حدود عامي 1864 و1865م تحولت إلى الزاوية المعروفة، وشيخها هو الحاج مُحَمَّد ولد باجودة، ثم خلفه أخوه الحاج عبد القادر ولد باجودة[3]، وأضاف أن كل أولاد الحاج وأولاد باحمو سنوسيون وذلك منذ عام 1860م، وكذلك قبيلة تاجه نسكال القاطنة في جنوب وشرق عين صالح والتابعة لأولاد سيدي الشيخ[4].

والجديرة بالإشارة، كان الحاج عبد القادر باجودة تحت المراقبة الفرنسية، وحسب هنري دوفيري فإنه خلف عام 1864م الحاج أحمد التواتي كمقدم السنوسية في الصحراء الغربية[5]، وصرح مارتان سنة 1908م بأن له علاقات مع شيخ الجغبوب، وأكد أن سكان عين صالح تأثروا بالسنوسية[6]. وحسب روايات شفوية، بنى الشيخ مهدي باجودة[7]زاوية عين صالح، وذلك بإشارة وبتكليف من مؤسس الطريقة السنوسية السيد مُحَمَّد الشريف

---

(1) – حدد دوفيري موقعها الفلكي : "27°11'30 شمالًا و"0°29'0 غربًا، لكنه لم يصنفها ضمن زوايا الجزائر، وإنما وضعها ضمن زوايا منطقة سماها "الصحراء المستقلة"، هي وزاوية قورارة وتوات. ينظر:

Henri Duveyrier, **La confrérie musulmane de sîdi Mohammed ben Ali Essenoûsî et son domaine géographique : en l'année 1300 de l'hégire=1883 de notre ère**, op.cit, p 79.

(2) – تقع تديكلت في أقصى الجنوب الجزائري بين خطي [كذا] عرض 25° و30° شمالًا، وخطي طول 1° غربًا و6° شرقًا، يحدها شمالًا هضبة "تادمايت"، وجنوبًا "الهقار"، ومن الشرق " واد اغرغارن"، ومن الغرب "توات" وصحراء "تانزروفت". ينظر : إبراهيم مياسي، **مقاربات في تاريخ الجزائر 1830–1962**، ط2، الجزائر، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، 2011، ص164.

(3) - Henri Duveyrier, **La confrérie musulmane de sîdi Mohammed ben Ali Essenoûsî et son domaine géographique : en l'année 1300 de l'hégire=1883 de notre ère**, op.cit, pp 39- 79.

(4) - Ibid, p 40.

(5) - Ibid, pp 39, 40.

(6)- Jean-Louis Triaud, op.cit, p 78.

(7) – هو المهدي بن الحاج عبد القادر بن مُحَمَّد بن سيد الحاج بن باحمو بن اعمر ملوك، رئيس قبيلة باجودة، ولد بعين صالح عام 1854م، وينتمي إلى العائلة السنوسية. نقلًا عن : أحفاد المهدي باجودة وخاصة دحاج السنوسي، أثناء حوار خلال زيارة للمؤلف قادته إلى عين صالح، بتاريخ 22 و24 ديسمبر 1997م. ينظر : إبراهيم مياسي، مرجع سابق، ص190.

السنوسي[1]، وقد أعطاه الورد وجعله مقدمًا للطريقة السنوسية في الصحراء، وذلك عندما التقى به في المدينة المنورة في موسم الحج، واشتهر هذا الشيخ بحركته الإصلاحية في المجال الديني والسياسي، وقام بعدة رحلات إلى كل من تونس والمغرب وليبيا وموريطانيا وفلسطين[2]، كما اشتهر أيضًا بجهاده[3]. ومقارنة بما ذكره دوفيري نلاحظ عدم منطقية هذه الرواية الشفوية، إذ لا يمكن أن يبني المهدي باجودة زاوية عين صالح والتي كانت موجودة عام 1864م[4] وعمره إذ ذاك عشر سنوات، باعتباره أنه وُلد عام 1854م[5].

وعموما، لقد انتشرت السنوسية في توات بفضل شخصين هما : مقدم الطريقة السنوسية الحاج أحمد التواتي المسمى بِ : "العالم"، ومُحَّد بن عبد الله الذي عاش في ورقلة وتوات، وللإشارة فقد نسقا الاثنين جهودهما خدمةً للحركة السنوسية[6]، والتي وصفها دوفيري بالمتعصبة عكس التجانية المتسامحة[7]، وكما يلاحظ فقد ارتبط تواجد السنوسية في الصحراء الجزائرية بالجهاد خاصة حركة مُحَّد بن عبد الله[8]، والتي سببت اضطرابات كبيرة لفرنسا[9].

---

[1] – الأرجح أن يكون الشيخ مُحَّد المهدي السّنوسي وليس مُحَّد الشريف السنوسي، لأن هذا الأخير لم يؤسس ولم يترأس الحركة السّنوسية، لقد وقع المؤلف – نقلًا عن أحفاد باجودة – في التباس. ينظر : إبراهيم مياسي، مرجع سابق، ص 190.

[2] – نفسه، ص190.

[3] - بطل معركة الفقيقيرة بعين صالح في نهاية عام 1899م، حيث استشهد. ينظر : نفسه، ص ص168-171.

[4]- Henri Duveyrier, **La confrérie musulmane de sîdi Mohammed ben Ali Essenoûsî et son domaine géographique** : **en l'année 1300 de l'hégire=1883 de notre ère**, op.cit, pp 39, 40.

[5] – إبراهيم مياسي، مرجع سابق، ص190.

[6] - Henri Duveyrier, **Les Touareg du Nord** : **exploration du Sahara**, t1, op.cit, p 303.

[7]- Ibid, p 300.

[8] - كان مُحَّد بن عبد الله تابعًا للسنوسية، وقد استقر في ورقلة والأغواط، وقاد المقاومة ضد فرنسا 1848-1864م. ينظر:
Henri Duveyrier, **La confrérie musulmane de sîdi Mohammed ben Ali Essenoûsî et son domaine géographique**: **en l'année 1300 de l'hégire=1883 de notre ère**, op.cit, pp 14-35.

[9] – حسب دوفيري، سبّب مُحَّد بن عبد الله اضطرابات كبيرة في كامل الصحراء خلال عام 1861م، والقبض عليه أنهى كل ذلك الإزعاج. ينظر :
Henri Duveyrier, **Les Touareg du Nord** : **exploration du Sahara**, t1, op.cit, p 304.

3-1-5- المغرب الأقصى :

انفرد دوفيري بإحصاء عددٍ من زوايا الطريقة السنوسية في المغرب الأقصى، وذكر الإخوان والمدن المتواجدين فيها، وهي :

3-1-5-1- زاوية العباد :

تقع هذه الزاوية في قرية بواحة فقيق، أين يسكن المرابط سيدي الشيخ بولنوار ومريديه[1].

3-1-5-2- زاوية فاس :

إنها الزاوية الوحيدة في فاس العاصمة الثقافية للمغرب، وابتداءً من عام 1880م قال دوفيري بأن عددًا كبيرًا من الإخوان ظهروا في هذه المدينة[2].

3-1-5-3- تافيلالت :

صنف دوفيري تافيلالت ضمن زوايا السنوسية، والغريب أنه لم يذكر زاوية سنوسية بعينها أو موقعها بهذه المدينة أو تاريخ تأسيسها ونحو ذلك، بل أشار إلى وجود مجموعة من الإخوان ومقدمٍ[3].

3-1-5-4- زاوية تطوان :

تقع هذه الزاوية شمال المغرب الأقصى، وقد أسسها الشيخ مُحَمَّد بن عمر الغماري[4]، وذلك في عام 1880 أو 1881م[5].

---

(1) - Henri Duveyrier, **La confrérie musulmane de sîdi Mohammed ben Ali Essenoûsî et son domaine géographique : en l'année 1300 de l'hégire=1883 de notre ère**, op.cit, p 78.

(2) - Ibid, p 79.

(3) - Ibid, p 79.

(4) – رصد فيرو السيد مُحَمَّد بن عمر غماري الذي يعمل لدى قاضي تطوان، وذلك حينما وصل إلى طرابلس عبر باخرة انجليزية قادمًا من مالطة في طريقه إلى بنغازي، وتأكد فيرو أنه من فرع السّنوسية ولديه رسالة يحملها إلى المرابط ويقصد الشيخ المهدي، لذلك كلّف نائبه ريكارد بمراقبته. ينظر : A.O.M, 16H55.

(5) - Henri Duveyrier, **La confrérie musulmane de sîdi Mohammed ben Ali Essenoûsî et son domaine géographique : en l'année 1300 de l'hégire=1883 de notre ère**, op.cit, p 79.

3-1-5-5- زاوية طنجة :

طنجة عبارة عن ميناء هام في البحر المتوسط شمال المغرب، تأسست بها زاوية سنوسية تحت إشراف المقدم سيدي بوبكر البغلة، وبمعاونة كل من سيدي عبد المالك وسيدي الطاهر الخضري[1].

ونستخلص مما سبق أن عدة أبحاث تاريخية درست الزوايا السنوسية، لكنها لم تُحدد مكانها بدقة في العالم، لأن بعض المؤرخين يشيرون إلى تواجد السنوسية في مناطق بعيدة جدًا كأرخبيل الملايو[2]، وذكر شكري الصومال والعراق، وقال بأن لها أتباع في الأستانة والهند[3]، غير أن المعلومات توقفت عند هذا الحد دون تفاصيل.

وقلَّما كان للطرق الصوفية في العالم عدد كبير جد من الزوايا كالذي عرفته الحركة السنوسية، وقد بحثنا في الأمر وتوصلنا إلى حقيقة تاريخية، وهي أن الزوايا السنوسية لم تكن كلها بالمعنى الحقيقي لمفهوم الزاوية؛ من شيخ ومريدين وإقامة الأوراد وغيرها، بل كانت أقرب إلى محطات ومراكز خدماتية، فمثلًا كانت هناك زوايا سنوسية في كل من القاهرة والإسكندرية وطرابلس وغدامس وبنغازي ودرنة لكنها أقرب للممثليات منها إلى زوايا، ولم يكن لها أي دور ملموس في حياة السكان[4]، اللّهم إلا بعض الخدمات الاجتماعية المحدودة[5]، وبعضها لم يعد موجودًا أصلًا مثل زاوية الإسكندرية[6]، كما صارت بعض الزوايا مهجورة -كما أسلفنا - خاصة في مناطق الطوارق والتبو بجبال تيبستي، حيث أصبحت عبارة عن أطلال حسب وثائق الأرشيف الفرنسي[7].

ونشك في معلومات بعض المؤرخين وعلى رأسهم دوفيري، إضافة لانتمائه إلى الحركة السانسيمونية المعروفة بعدائها للطرق الصوفية[8]، لم يكن مصدر معلوماته كله بواسطة زيارات ميدانية، بل كان يسأل أحيانا الناس

---

(1) - Henri Duveyrier, **La confrérie musulmane de sîdi Mohammed ben Ali Essenoûsî et son domaine géographique : en l'année 1300 de l'hégire=1883 de notre ère**, op.cit, p 79.

(2) – معدّى الحسيني الحسيني، مرجع سابق، ص694.

(3) – مُحَمَّد فؤاد شكري، مرجع سابق، ص89.

(4) - نيكولاي إيليتش بروشين، مرجع سابق، ص72.

(5) – كانت زوايا السّنوسية بين الإسكندرية ودرنة بمثابة فنادق للبائسين. ينظر : زيد الخير، مرجع سابق، مج15، ص534.

(6) - Henri Duveyrier, **La confrérie musulmane de sîdi Mohammed ben Ali Essenoûsî et son domaine géographique : en l'année 1300 de l'hégire=1883 de notre ère**, op.cit, p 59.

(7)– A O M, 16H55. Rapport de M.Delaporte à M.le Duc Ducazes ministre des affaires étrangères. Tripoli, le 24 Aout 1877.

(8) - Jean-Louis Triaud, op.cit, p 15.

وحتى الأطفال، وهذا ما حدث عندما أبحر من مارسيليا إلى تونس في 22 ماي 1883م حيث سأل طفلًا مرافقًا له حول تواجد زاوية سنوسية أو شاذلية في مدينة سوسة، وقد أجابه بالنفي[1]، مما يجعل معلوماته حول السنوسية محل ريبة وشك، كما أنه لم يزر الجغبوب مقر السنوسية، ولا برقة ولا حتى صحرائها[2]. ودوفيري الوحيد الذي أقّر بوجود زاوية سنوسية في اسطنبول[3]، بينما ذكر بقية المؤرخين فقط القائم على شؤونها هناك[4]، وأشار أيضًا إلى زاوية يفرن في جبل قائمقام قرب حصن الترك[5]، وهذا غريب أيضًا! لأن يفرن ببساطة مدينة إباضية. وذكر عدة زوايا ولا يَعرف مكانها بالضبط مثل زاوية تربيعات وكيبب بمصر[6]، وفي ليبيا زاوية العربوب [كذا]، والقصور، ومراد مسعود، وبشارة، وزنزور[7]، وأحيانا يعتمد على تخمينات، ودليلنا ما صرح به هو نفسه عندما كان في تونس، قائلًا : « ...في تونس العاصمة، توجد بها زاوية سيدي الشاذلي الواقعة في زنقة الخامسة، احتمال أن تكون سنوسية، ومقدمها هو الشيخ بلحسن بن مُحَمَّد الشاذلي...وبها زاوية سيدي البشير أعتقد أنها سنوسية... »[8].

---

[1]- Dominique Casajus, **Henry Duveyrier un Saint-Simonien au désert**, [http:www.academia.com], 13 Mai 2020, 1.385 ko.(زيارة الموقع 28 ماي 2019، الساعة 09:30).

[2] – زار دوفيري الصحراء الجزائرية والتونسية وفزان وطرابلس. ينظر : مُحَمَّد مبارك كديدة، **مجالات اهتمام الكتاب الغربيين بمناطق أقصى الجنوب الجزائري (هنري دوفريي أنموذجا)**، مجلة آفاق علمية، العدد 11/جوان 2016، ص ص64-66. وينظر :

Henri Duveyrier, **Voyage au Sahara par Norbert Dourmaux Dupéré**, extrait du bulletin de la société de géographie (Aout 1874), pp 1-58.

[3]- Henri Duveyrier, **La confrérie musulmane de sîdi Mohammed ben Ali Essenoûsî et son domaine géographique : en l'année 1300 de l'hégire=1883 de notre ère**, op.cit, p 60.

[4] – أكد شكري بأن الشيخ مُحَمَّد بن جعفر هو المسؤول على مصالح السنوسية لدى السلطان عبد الحميد بين عامي 1879 و1883م، ويقيم في الأستانة وهو أحد كبار الطرابلسيين ومن أتباع الطريقة المدنية. ينظر : مُحَمَّد فؤاد شكري، مرجع سابق، ص79، بينما ذكر فيرو شخصا آخرًا اسمه عمر الوزاني. ينظر:

A O M.16H55. Rapport de Ministère des affaires étrangères à M. le gouverneur général d'Alger, Paris, le 3 Avril 1888.

[5]- Henri Duveyrier, **La confrérie musulmane de sîdi Mohammed ben Ali Essenoûsî et son domaine géographique : en l'année 1300 de l'hégire=1883 de notre ère**, op.cit, p 69.

[6] - Ibid, pp 59, 60.

[7] - Ibid, pp 61, 62.

[8] - Ibid, p 72.

3- 2- زوايا أفريقيا جنوب الصحراء[1] :

تمثل هذه المنطقة جزءًا هامًا من نشاط الحركة السنوسية، ومصطلح " أفريقيا جنوب الصحراء "حُدِّد على أساس معيار جغرافي محض، واعتقد أنه الأقرب إلى الواقع باعتباره يوازي المنطقة السابقة التي تمت درستها وهي شمال أفريقيا، وقد تعمدت تجنب مصطلحين هما "أفريقيا السوداء" و"أفريقيا الزنجية"[2]، لأنهما مصطلحين عنصريين، والشائع أيضًا على هذه المنطقة مصطلح "السودان"[3]. وتتركز دراستنا بالخصوص في السودان الأوسط[4]، ولم أحدد دولٍ بعينها، لأن هذه منطقة شاسعة لم تُرسم لها حدودًا سياسية إلا في نهاية القرن التاسع عشر وبالضبط بعد مؤتمر برلين 1884-1885م مع مجيء الاستعمار الأوروبي، ومن قبل كان الناس يتنقلون ويرتحلون حسب أهوائهم، وحسب معيشتهم ومعيشة حيواناتهم.

لقد رصد الرحالة والمكتشفون وسجل المؤرخون عدة زوايا في أفريقيا جنوب الصحراء، ولاحظنا أن أغلبها تقع في دولة تشاد[5] الحالية، بينما تقل في الدول الأخرى مثل النيجر ومالي والسودان ونيجيريا، والزوايا التي رصدتها المصادر والمراجع التي اطلعت عليها هي :

---

(1) – ينظر : الملحق رقم 13، ص418.

(2) – إن المصادر والمراجع الأجنبية أو تلك التي استقت معلوماتها منها، غالبًا ما تسمي هذا الجزء من إفريقيا باسم إفريقيا الزنجية، وهذا مصطلح استعماري ذو مفهوم عرقي، وهي كنية تعبر عن إهانة لشعوب المنطقة، وقد شاع في الآونة الأخيرة مصطلح "إفريقيا السوداء"، وقد قبلت به كل الشعوب الافريقية ولم تعتبره إهانة. ينظر : مخزوم الفيتوري عطية، مرجع سابق، ص ص7،8.

(3) - إن العرب أول من أطلق كلمة "السودان" على الشعوب التي تسكن جنوب الصحراء الإفريقية الكبرى، وأصل هذه الكلمة يعود إلى لون البشرة الأسود. ينظر : عبد القادر زبادية، **الحضارة العربية والتأثير الأوروبي في إفريقيا الغربية جنوب الصحراء، الجزائر**، المؤسسة الوطنية للكتاب، 1989، ص11.

(4) - مصطلح "السودان الأوسط" يرجع تحديده لاعتبارات جيو-سياسية محضة، ذلك لأنه يتوسط السودان الشرقي المتمثل في حوض النيل، والسودان الغربي أي دول إفريقيا الغربية مثل حوض السنغال وغامبيا وبوركينافاسو وغيرها. ويحدد الماحي السودان الأوسط بدقة ويقول بأنه منطقة شاسعة تمتد من الضفاف الشرقية للنيجر الأوسط حتى الضفاف الغربية للنيل الأبيض، وتشمل هذه المنطقة النيجر ونيجيريا والتشاد والكاميرون والغابون والكونغو والجزء الغربي لجمهورية السودان الديمقراطية. ينظر : عبد الرحمن عمر الماحي، **الدعوة الإسلامية في إفريقيا الواقع والمستقبل**، ط1، دولة الإمارات العربية المتحدة، منشورات دائرة الثقافة والإعلام، الشارقة، 1999، ص44.

(5) - دولة تشاد : تحدها شمالًا ليبيا، وشرقًا السودان، وغربًا النيجر ونيجيريا والكامرون، وجنوبًا إفريقيا الوسطى، وتنحصر فلكيًا بين 7.5° و23.5° شمالًا وخطي طول 14° و24° شرقًا، وحسب بعض المؤرخين فقد اشتق اسم "تشاد" من البحيرة التي تطل على أراضيها، ينظر : جامعة الإمام مُحَمَّد بن سعود الإسلامية، **الموسوعة الجغرافية للعالم الإسلامي إقليم الصحراء الكبرى**، الرياض.المملكة العربية السعودية، طبع الإدارة العامة للثقافة والنشر، 1999، مج11، ص97.

3-2-1- زاوية قرو[1] :

تقع هذه الزاوية في جبال تيبستي شمال تشاد وبالضبط في منطقة بوركو، وقد رحل الشيخ مُحَمَّد المهدي من الكفرة ووصل إليها عام 1900م عقب رحلة دامت شهرين، وكان قبل ذلك وهو بالجغبوب قد أرسل الشيخ مُحَمَّد بن عقيلة الزوي لبنائها[2]، وقد أصبحت المقر الجديد للحركة السنوسية، وللعلم فقد أعطى التبو الموافقة على إنشاء هذه الزاوية بالمنطقة لأنها تقع في أرضهم[3].

ولم يكن اختيار مُحَمَّد المهدي لقرو عشوائيًا، لأن لهذه الزاوية موقع استراتيجي، حيث تربط وتتوسط طريق تيبستي- وداي، وهذا معناه التحكم في طريق الحج وطرق التجارة أيضًا[4]، وقد احتلت فرنسا هذه الزاوية في 14 ديسمبر 1913م واستولت على أرشيفها وكان جورج دجيان المترجم العسكري هو المسئول عنه، وقد استمر في تحليله طيلة عامين، ولم يُعرف مصيره بعد ذلك، إضافة إلى استغلال المحفوظات غير المنشورة لعائلة الشيخ السني، وللإشارة لم تُطبع المذكرات من تلك المحفوظات، كما أنها اختفت بشكل غريب[5].

3-2-2- زاوية بئر علالي[6] :

تقع زاوية بئر علالي في كانم بتشاد، وتعتبر الزاوية السنوسية الأكبر على الإطلاق بالمنطقة، وساعدها على ذلك تواجد عدد كبير من القبائل العربية الليبية هناك[7]، وتعد الزاوية أيضا الخط الدفاعي الأول بالنسبة للحركة

---

(1) – وردت عند تريو باسم "قورو". ينظر : الملحق رقم 13، ص418.

(2) – مُحَمَّد الطيب الأشهب، **برقة العربية أمس واليوم**، مرجع سابق، ص241.

(3) - عبد الله أطوير، **العلاقات التاريخية بين شعوب الساحل والصحراء**، [http://www.biladuna.blogspot.com]، ديسمبر 2010م، 100 كيلو أوكتي، (زيارة الموقع 14 جانفي 2019، الساعة 02:59).

(4) – تتعامل برقة بشكل كبير مع وداي في ميدان التجارة، ودليلنا ما ذكر الحشائشي بأن ركب تجاري عظيم يخرج من بنغازي يتألف من خمسمائة جمل فما فوق بداية شهر أكتوبر من كل سنة، يتجه التجار- وهم من طرابلس ومصراتة – نحو وداي للتجارة، حاملين معهم خصوصا أنواع القماش والسكر واللفة والشاي، وفي طريقهم يزورون الشيخ مُحَمَّد المهدي السنوسي في الكفرة، ويتزودون منه الدعاء ذهابًا وإيابًا. ينظر : مُحَمَّد بن عثمان الحشائشي، مرجع سابق، ص ص94، 95.

(5) – جان لويس تريو، " **ثقوب الذاكرة في التاريخ الإفريقي السنوسية في تشاد دراسة في حالة وداي** "، تر.أحمد مراجع نجم، مجلة كلية الآداب، ع41، ديسمبر 2007، ص231.

(6) - ينظر : الملحق رقم 14، ص419.

(7) – علي مُحَمَّد الصلابي، **تَاريخ الحرَكَة السَّنُوسيَّة في أفريقيا**، مرجع سابق، ص227.

السنوسية[1]، ولها موقع استرتيجي، حيث تقع في مفترق طرق رئيسية، يسهل الوصول إليها عبر طريقين : الأول طرابلس– بئر علالي عبر بيلما في النيجر، والثاني بنغازي – بئر علالي عبر الكفرة[2].

وحسب ما نقله النقيب كورنت فإن زاوية بئر علالي بها عدة مرافق حياتية، وهي : دكاكين، وغرف للسكن ومسجد، ومَعْلم يسمى "سيدي المهدي"، ومبنى آخر في الخارج يسمى "دار سيدي براني"، وآخر يسمى"دار سيدي الشريف"، ومساكن أخرى خاصة للجنود[3]، ورغم ذلك وحسب ناشتيغال فإن بئر علالي تقع في منطقة قاحلة، حيث وصفها بأنها من أجذب المناطق وتمتاز بالجفاف وخالية من النبات.

ووصف النقيب كورنت الزاوية بعد غزوها، حيث قال بأنها مبنيةٌ من الصخور الصلبة أو من الطين الصلب، وسقفها متكون من جذوع النخل فوقها حجارة، ولاحظ وجود دكان – يبدو أنه مخزن – به سلع متنوعة كالدقيق والتمر والملح والخيم والعشب وغيرها، واكتشف أيضًا مكتبة عربية تحتوي على عدة كتب اعتقد أنها قرآن، لكن الجيش الفرنسي لم يتمكن من حملها كلها بسبب قلة النقل، واقتصر فقط على حمل الأشياء الثمينة[4]، لذلك تعد بقية الكتب في عداد الضائعة.

وفي مجال المقاومة، أسند مُحَّد المهدي القيادة إلى أحمد الشريف للدفاع عن زاوية بئر علالي، وقد شارك المجاهد عمر المختار في معاركها[5]، وأبدى بسالةً كبيرةً حتى قال عنه مُحَّد المهدي : « لو كان لدينا عشرة مثل المختار

---

[1] – احتلتها فرنسا عام 1907م. ينظر : ظاهر مُحَّد صكر الحسناوي، "**الحرب السنوسية – الفرنسية في الصحراء الكبرى (1837–1913)**"، مجلة الأستاذ، عدد 218، مج1، 2016، ص184.

[2]- Jean-Louis Triaud, **Tchad 1900–1902 une guerre Franco–Libyenne oublié? Une confrérie musulmane la sanusiyya face a la France**, Paris, Edition l'Harmattan, 1987, p 29.

[3]- Capitaine Cornet, **Au Tchad trois ans chez les Senoussistes**, **les Ouadaïens et les Kidris**, Paris, librairie Plon, 1911, op.cit, pp 244, 245.

[4]- Ibid, pp 244, 245.

[5] - اشتهرت بأربع معارك هي : بئر علالي الأولى في 9 نوفمبر 1901م، وبئر علالي الثانية في 20 جانفي 1902م، وبئر علالي الثالثة في 1جوان 1902م، وبئر علالي الرابعة في 4 ديسمبر 1902م. ينظر:

Seifelnaser Bulhasen, **Les relations Franco–Libyennes**, Thèse pour le Doctoral, Université d'Auvergne-Clérmont.FD1, 2008, pp 48,49.

لاكتفينا »[1]، وإضافة إلى الجهاد ساهم عمر المختار في نشر الإسلام بين أهالي السودان[2]، ورغم شجاعة الإخوان في الدفاع على الزاوية إلا أن فرنسا تمكنت من احتلالها في جانفي 1902م، وبعد ذلك نهبت كتبها ومخطوطاتها[3]، ثم هدمهتا وبنت قلعة محلها[4].

3-2-3- زاوية عين كلكة[5] :

تُسمى هذه الزاوية أيضًا "عين غلكا" أو "عين كلاك"، وتقع جنوب تيبستي، وقال النقيب كورنت بأن لها أهمية كبيرة، ووصفها بأنها محصنة جدًا، وتجري بها أودية لمسافة تمتد حوالي كلم[6]، وتعاقب على رئاستها عدة شيوخ منهم : الشيخ عمر المختار بعد استشهاد الشيخ البراني[7]، والشيخ الشريف الزروق سنة 1907م، والشيخ عبد الله الفضيل طوير سنة 1908م، والشيخ مُحَمَّد بوعريضة البرعصي عام 1913م[8].

وفي إطار التوسع الاستعماري شمال تشاد احتلت فرنسا بين عامي 1913 و1914م المناطق الآتية : تيبستي، وبركو، وواجنقا، وأندي، ومنها الزاوية في 17 تشرين الثاني 1913م من طرف العقيد لارغو[9].

---

[1] – علي مُحَمَّد الصلابي، **الحركة السنوسية في ليبيا وسيرة الزعيمين مُحَمَّد إدريس السنوسي وعمر المختار**، مرجع سابق، ج3، ص99.

[2] – مثلًا، سافر إلى السودان عام 1894م على رأس وفد، يضم كل من السيد خالد بن موسى، ومُحَمَّد المسالوسي، وقرجيله المجبري، وخليفة الدبار الزوي. ينظر : نفسه، ص ص95، 96.

[3] – طالب أحمد الشريف السنوسي في اتفاقية عقدها مع القنصل الفرنسي في القاهرة باسترجاع 4700 كتاب ومخطوط، أخذه الفرنسيون من زاوية بئر علالي عندما احتلوها عام 1902م. ينظر : سالم عبد الله الفلاح، **قراءة في مخطوطة الدُّر الفريد الوهاج بالرحلة المنيرة من الجغبوب إلى التاج لصاحبها السيد أحمد الشريف السنوسي ومحققها.أ.د.عبد المولى صالح الحرير**، السنوسية من الزاوية إلى الدولة 1841-1969، أعمال الندوة العلمية الثانية المنعقدة بالجغبوب يومي 23-24 ديسمبر 2019م، دار الكتب الوطنية، بنغازي، ليبيا، ص161.

[4] – مُحَمَّد فؤاد شكري، مرجع سابق، ص94.

[5] – ينظر : الملحق رقم 15، ص420.

[6]– Capitaine Cornet, op.cit, pp 236,237.

[7] – قتلت فرنسا الشيخ سيدي مُحَمَّد البراني عام 1907م في غلكا. ينظر:

Edward Evan Evans-Pritchard, op.cit, p 67.

[8] – عبد الله أطوير، مرجع سابق، د ر ص.

[9] - ظاهر مُحَمَّد صكر الحسناوي، مرجع سابق، ص183.

3-2-4- زاوية فايا :

تقع هذه الزاوية شمال تشاد، وكانت تحت مشيخة أحمد الدلال من سنة 1904 إلى غاية 1909م، وبعده جاء مُحَمَّد بن الشيخ مُحَمَّد السني[1]، وعقب غزو فرنسا المنطقة احتلتها في 3 كانون الأول سنة 1913م[2].

3-2-5- زاوية نجورمة :

تقع هذه الزاوية في تشاد، وقد اتخذها أسود عامل السنوسي مقرًا له، وذلك منذ عام 1871م[3]، وحدد دوفيري موقعها الفلكي : "0'26°17شمالًا و"0'53°16شرقًا، في منطقة بورقو[4].

3-2-6- زاوية شمندرو :

تقع هذه الزاوية ضمن نطاق قبائل النيري توغو في واحة كوار[5]، وقد زارها الرحالة ناشتيغال عام 1870م ولاحظ أن الحاج مُحَمَّد أبو عائشة – قائمقام غدامس – ضعيف الشخصية ولا حول ولا قوة له، أمام قوة ونفوذ مقدم الزاوية السنوسية الذي فرض احترامه على السكان[6]، وتشير المصادر أن هذه الزاوية تميزت بالتنظيم[7].

3-2-7- زاوية الوجنقة الكبرى والصغرى :

ذكر شكري هاتين الزاويتين على أساس واحتين "الوجنقة الكبرى والوجنقة الصغرى" ، حيث قال بأنهما تقعان بواحات الوجنقات وراء دارفور ناحية الشمال، وأضاف بأن مُحَمَّد المهدي السنوسي هو الذي أنشأهما، رغم

---

(1) – عبد الله أطوير، مرجع سابق، د ر ص.

(2) – ظاهر مُحَمَّد صكر الحسناوي ، مرجع سابق، ص162.

(3) – نفسه، ص162.

(4) - Henri Duveyrier, **La confrérie musulmane de sîdi Mohammed ben Ali Essenoûsî et son domaine géographique : en l'année 1300 de l'hégire=1883 de notre ère**, op.cit, p 70.

(5) – تقع في منطقة التبو. ينظر : Ibid, p 44

(6) – مُحَمَّد فؤاد شكري، مرجع سابق، ص64.

(7) - Henri Duveyrier, **La confrérie musulmane de sîdi Mohammed ben Ali Essenoûsî et son domaine géographique : en l'année 1300 de l'hégire=1883 de notre ère**, op.cit, p 71.

أن أباه كان سباقًا في الاتصال بأهل وجنقة عبر الرسائل الدعوية، وفي موضع آخر قال شكري : « ثم لم تلبث أن انتشرت السنوسية إلى جهات البائلي) الشمالية وهم الوانيانغا؛ فأسست بها زاويتان هما زاوية سيدي عبد الرب وزاوية سيدي السنوسي »[1]. وحسب زيد الخير عُيِّن سيدي عبد ربه البرعصي شيخًا على زاوية الوجنقة الكبرى هناك[2]، أما الزاوية الأخرى أي الوجنقة الصغرى كانت تحت نظارة الشيخ عبد الرزاق الفاخري[3].

ولم يوضح زيد الخير الفرق بين الزاويتين، ولا نعلم سبب تصنيفهما منفصلين، رغم أنهما تقعان في نفس المدينة، ومما يجعلنا في حيرة أن دوفيري ذكر زاوية واحدة فقط سماها "زاوية وانيانغا" نسبة إلى المدينة التي توجد بها وهي وجنقة، والتي تسمى أيضًا أونيانغا وتقع شمال تشاد[4].

3-2-8- زاوية أغادز :

صنّف دوفيري هذه الزاوية ضمن منطقة سماها "الصحراء المستقلة"، والمعلوم جغرافيًا أن أغادز مدينة تقع في دولة النيجر-حاليًا-، وقد حدد موقعها الفلكي بدقة[5]، وقال بأن بها زاوية أُنشئت منذ فترة قريبة[6].

3-2-9- زاوية برداي :

تقع هذه الزاوية في جبال تيبستي شمال تشاد، وقد أُنشئت عام 1872م في بلاد تو التي تسكنها قبائل التبو، وكان ملكها الذي يسمى "أرامي" خاضعًا لتأثير مقدم الزاوية[7]، مما يدل على مدى احترام الناس للسنوسية هناك، وقبولهم لها.

---

(1) – مُحَمَّد فؤاد شكري، مرجع سابق، ص64.

(2) – زيد الخير، مرجع سابق، مج15، ص537.

(3) – نفسه، ص537.

(4) – زاوية واينيانغا فلكيًا : "18°24'0 شمالًا و"18°44'0 شرقًا، واحتمال أنها تأسست عام 1871 أو 1872م. ينظر : Henri Duveyrier, **La confrérie musulmane de sîdi Mohammed ben Ali Essenoûsî et son domaine géographique : en l'année 1300 de l'hégire=1883 de notre ère**, op.cit, p 70.

(5) – تقع فلكيًا : "16°58'0شمالًا و"5°53'0 شرقًا. ينظر : Ibid, p 79.

(6) - Ibid, p 79.

(7) – مُحَمَّد فؤاد شكري، مرجع سابق، ص64.

3-2-10- زاوية أندي[1] :

أشارت التقارير إلى وجود زاوية منذ عام 1871م، وبعد عشر سنوات أُنشئت عدة زوايا أخرى، وأشار دوفيري أن الملك هاجر بالته روزمي يعد أحد أتباع الجمعية[كذا][2]، ويقصد الطريقة السنوسية.

3-2-11- زاوية كانو :

تقع زاوية كانو في نيجيريا[3]، وقد بناها الشيخ مُحَمَّد السني واختار الحاج بشير زيد الغدامسي شيخًا لها[4]، وأكد وجودها الضابط الفرنسي بريتونيه وذلك عندما وصل إلى مدينة كانو سنة 1899م[5]، وقد زار هنري بارث هذه المدينة، وهي سوق تجارية كبيرة، وقدَّر عدد سكانها بنحو ثلاثين ألف نسمة ومعظمهم من الهاوسا[6].

3-2-12- زاوية زندر :

كان للسنوسيين زاوية في زندر[7]، وهي ثاني أكبر مدينة في النيجر من حيث عدد السكان، وقد زارها الشيخ مُحَمَّد السني وبنى بها مسجدًا وجعل الشيخ التواتي إمامًا عليه[8]، ومعظم مريديها تجار طرابلسيين أو فزانيين استقروا بالبلاد، ويعد الشيخ عبد الكريم دوما الزعيم الروحي للسنوسيين هناك[9].

---

(1) – تقع في بلاد البائلي: ينظر:

Henri Duveyrier, **La confrérie musulmane de sîdi Mohammed ben Ali Essenoûsî et son domaine géographique : en l'année 1300 de l'hégire=1883 de notre ère**, op.cit, p 70.

(2) – يقصد الطريقة السّنوسية. ينظر : Ibid, p 70.

(3) – مُحَمَّد فؤاد شكري، مرجع سابق، ص58.

(4) – عبد الله أطوير، مرجع سابق، د ر ص.

(5) – مُحَمَّد فؤاد شكري، مرجع سابق، ص93.

(6) - الهاوسا شعب يسكن في منطقة تمتد من جبال العير شمالًا حتى هضبة جوس جنوبًا، ومن حد مملكة برنو القديمة شرقًا إلى وادي النيجر غربًا. ينظر : اليونسكو،، **تاريخ إفريقيا العام**، إش.ج ت نياني، دب: د د ن، 1988، مج4، ص273.

(7) – مُحَمَّد فؤاد شكري، مرجع سابق، ص93.

(8) – عبد الله أطوير، مرجع سابق، د ر ص.

(9) – يمارس مهنة حذاء[كذا] في بيرني أيضًا. ينظر : بول مارتي، **دور العرب الليبيين في مقاومة الغزو الفرنسي في بلدان الحزام جنوب الصحراء بالقارة الإفريقية 1843-1918**، تر.مُحَمَّد عبد السلام العلاقي، ط1، بنغازي.ج ع ل ش إ ع، جمعية الدعوة الإسلامية العالمية، 2001، ص88.

3-2-13- زاوية بوبوديولاسو :

زاوية سنوسية، تقع في فولتا العليا أي بوركينافاسو[1].

3-2-14- زاوية جاجيدونا :

كان للشيخ مُحَمَّد السني دور كبير في تأسيس هذه الزاوية، وذلك عندما قام عام 1892 بزيارة إقليمي دامرغو وداماغاريم، وصولًا إلى غيدامبادو، حيث عَيَّن المعلم مُحَمَّد طالب بن مبارك أصيل عين صالح مشرفًا على الزاوية، ومدرسة قرآنية في زندر.

وبعد فترة زمنية تحولت هذه الزاوية السنوسية إلى مجرد مكان للصلاة، يحرسه عربي من غات اسمه سيدي مُحَمَّد بن صديق، والذي يعيش على الصدقة والهبات، وفي نفس الوقت فقدت مدينة جاجيدونا أهميتها كمركز تجاري هام، وذلك بسبب الحرب الإيطالية التركية[2].

3-2-15- زاوية بيلما[3] :

أنشأ الشيخ إبراهيم المجروح هذه الزاوية والتي تقع في النيجر، وذلك عندما قدم إلى إقليم كوار في النصف الثاني من القرن التاسع عشر.

3-2-16- زاوية أبشه :

تقع هذه الزاوية في مدينة أبشه عاصمة وداي في شرق تشاد، وتشير المصادر الفرنسية أن السلطان علي في عام 1870م كان أحد مريدي الطريقة السنوسية، وسار على نهجه خلفه السلطان يوسف[4].

---

(1) – بول مارتي، مرجع سابق، ص20.

(2) – نفسه، ص87.

(3) – بيلما : واحة من بين العشر الواحات المكونة لإقليم كوار، وتمثل أكبر حاضرة لهذه الدائرة، ومركزًا لغابات النخيل، ونقطة مرور إجبارية لطريق القوافل الكبرى الرابطة بين فزان وتشاد، وحتى بين غات وتشاد. ينظر : نفسه، ص ص41، 42.

(4) - Henri Duveyrier, **La confrérie musulmane de sîdi Mohammed ben Ali Essenoûsî et son domaine géographique : en l'année 1300 de l'hégire=1883 de notre ère**, op.cit, p 71.

3-2-17- زاوية تمبوكتو :

تقع هذه الزاوية في مالي، وانفرد دوفيري – من بين مؤرخي السنوسية- بالإشارة إليها، لكن بشكل مقتضبٍ، حيث قال بأنها تأسست مؤخرًا، وحدد موقعها الفلكي وهو : "17°51'0 شمالًا و"5°42'35 غربًا[1]، وقال أيضا بأنها تقع شمال مدينة ديولوبا، ولا ندري لماذا هذا التحديد لأن تمبوكتو معروفة جدا.

وما تجدر الإشارة إليه في الأخير، أن ما أدرجناه لا يمثل كل زوايا السنوسية في السودان الأوسط، بدليل تضارب إحصائيات المؤرخين، فذكر مثلًا بريتشارد أربعة عشرة زاوية[2]، وأحصى الدجاني سبعة عشرة[3]، وذكرت دراسة أن السنوسية حاولت إنشاء زوايا في إقليم دارفور[4]، وربما تسنى لها ذلك، مما يُرجح أن هناك زوايا أخرى طواها النسيان أو تجاهلها المؤرخون، لذلك يبقى الموضوع مفتوحًا للبحث وقابلًا للإثراء. وما يحز في أنفسنا ضياع تراث السنوسية، حيث كان للغزو الفرنسي على تشاد انعكاسات سلبية، فمثلًا قام الجيش الفرنسي بحملات عسكرية ضد إقليم بوركو نتج عنها سقوط زاويتي عين كلكة وقرو، وبعدها أُسندت للضابط جورج جاكوب دجيان مهمة التكفل بالأسرى، مما تسنى له أن يستحوذ على مجموعة هائلة من أرشيف السنوسية، وغير ذلك من الآثام والجرائم. وكما نلاحظ فقد ارتبط نشاط السنوسية بالجهاد في عدة مناطق من أفريقيا جنوب الصحراء[5]، وأغلب زواياها هناك شُيدت بشكل حصون وقلاع[6]، لتكون مهيأة للدفاع عن أي مخاطر، وقد حدث ذلك

---

(1) - Henri Duveyrier, **La confrérie musulmane de sîdi Mohammed ben Ali Essenoûsî et son domaine géographique : en l'année 1300 de l'hégire=1883 de notre ère**, op.cit, p 80.

(2)- Edward Evan Evans-Pritchard, op.cit, p 25.

(3) – أحمد صدقي الدجاني، مرجع سابق، ص285.

(4) – حاولت السّنوسية إنشاء زوايا في دارفور الشمالية، ويعد دارفور حلقة وصل بين النيل والنيجر، وعاصمته مدينة الفاشر في عهد عبد الرحمن الرشيد. ينظر : عبد الحي عبد الحق، **الدلالة اللغوية والتاريخية حول انتشار الإسلام في السودان الأوسط**، ندوة العلماء الأفارقة ومساهمتهم في الحضارة العربية الإسلامية، الخرطوم 30/28 يوليو/تموز 1983، ص ص126-131.

(5) - ذكر بيان فرنسي بأن السنوسيين استعدوا لمهاجمة دارفور بمساعدة أهالي الكفرة في فيفري 1911م. ينظر : أغور أونال وآخرون، مرجع سابق، ص428.

(6) - في عام 1902م تحولت إلى قلاع الزوايا السنوسية التالية : فايا، ياردا، أويانغا، بوركو، وتحولت عين كلكة إلى مقر قيادة عسكرية للشيخ البراني. ينظر :

Jean Claude Zelthner, **Pages d'histoire du Kanem pays Tchadien**, Paris l'Harmathan, 1980, p 263.

بالضبط عند الغزو الفرنسي لتشاد[1]، ورغم بعد المسافة إلا أنها ظلت تحت إمرة الجغبوب، لأن أغلب شيوخها من أصل ليبي، حيث كان ينتدبهم شيخ الطريقة لينوبوا عنه هناك.

4– كبار الإخوان :

الإخوان لفظة تطلق على كل إنسان أخذ الطريقة السنوسية وتمسك بوردها[2]، وقد أطلق الشيخ السنوسي هذا الاسم على مريديه تمييزًا عن غيرهم، لأنه جرت العادة أن يُطلق اسم خاص على مريدي كل طريقة صوفية[3]، وفي هذا السياق ميز الحشائشي لباس الإخوان قائلًا : « ما يميز السنوسيين عادة في زيهم ولباسهم الثياب الرفيعة كالحرام الجريدي[4] الطيب والملف التونسي والقرمسود الهندي والشاشية التونسية، إضافة إلى استعمال العطر خاصة العطر الوردي والبخور بالعنبر »[5]، وفي حقيقة الأمر ليس هناك لباس موحد لكل السنوسيين، وما ذكره الحشائي لباس خاص بليبيا فقط، لأن الإخوان –كغيرهم من البشر– يتأثرون في لباسهم بثقافات وعادات المناطق المتواجدين فيها، فمثلًا يشتهر لباس الجرد في ليبيا — وقد مر معنا– ويعد اللباس الوطني في ليبيا[6]، إضافة إلى السورية[7]، والبرنوس والقشابية والسروال العربي والبدلة العربية والجلابة والقفطان في الجزائر والمغرب، والعمامة في السودان، واللثام للطوارق، وغير ذلك، وللنساء لباسهن الخاص أيضا، وعادة ما يكون محتشمًا يستر أجسادهن، كالملحفة، والجلباب، والحجاب، ونحو ذلك[8].

والإخوان متمسكون جدًا بالسنوسية ولا شرف ولا انتساب لهم سواها[9]، والمريد الجديد منهم يشترط في انتمائه أن يمتلك سلاحًا وجملًا يركبه، ويعاهد على السير إلى الحرب، هذا إن كان ذو ثروة متوسطة، أمّا إذا كان

---

(1) - ذكر الأشهب أن أول معركة بين السّنوسيين وفرنسا في كانم وقعت يوم 21 شعبان 1319هـ. ينظر : مُحَمَّد الطيب الأشهب، **برقة العربية أمس واليوم**، مرجع سابق، ص245.

(2) – مُحَمَّد بن عثمان الحشائشي، مرجع سابق، ص174.

(3) – مثلا يطلق اسم "الأحباب" على أتباع التيجانية[كذا]. ينظر : عبد القادر زبادية، **دراسة عن إفريقيا جنوب الصحراء في مآثر ومؤلفات العرب والمسلمين**، الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، دت، ص235.

(4) – الجريدي : نسبة إلى منطقة الجريد بتونس. ينظر : مُحَمَّد بن عثمان الحشائشي، مرجع سابق، ص176.

(5) – نفسه، ص176.

(6) – أحمد صدقي الدجاني، مرجع سابق، ص249.

(7) – قال الحشائشي بأنها لباس أهل بنغازي، وهي عبارة عن قميص يُلبس فوق السروال إلى نصف الرجل. ينظر : مُحَمَّد بن عثمان الحشائشي، مرجع سابق، ص94.

(8) – الحجاب فرض عين للمرأة في برقة. ينظر : مُحَمَّد الطيب الأشهب، **برقة العربية أمس واليوم**، مرجع سابق، ص85.

(9) – هناك وثيقة قديمة بخط السيد مُحَمَّد عابد السّنوسي وُجدت بين أوراق ابنه السيد أحمد بن السنوسي، ما يبرر أن الإخوان لا يريدون نسبًا يشرفهم سوى الانتساب إلى السّنوسية. ينظر : نفسه، ص75.

غنيًا وله أتباع وجب عليه أن يتكفل بنفقتهم، وإن كان فقيرا يقوم الإخوان برعايته من أكلٍ وشربٍ وكسوةٍ[1]، وهذه الأفعال تؤكد حقيقة مدى قوة التآزر والتعاضد بين الإخوان السنوسيين.

لقد هاجر الإخوان وتركوا أوطانهم في سبيل الدعوة السنوسية، لذلك كان الشيخ السنوسي يثني عليهم كثيرًا حتى سماهم "الصحابة البدريين"[2]، وكان بمثابة الأب لهم وهم بمثابة الأبناء له، لذلك غالبًا ما كان يستعمل في رسائله اسم "ولدنا" تقديرًا للمرسل إليه، أمّا مُحَمَّد المهدي كان يستعمل اسم "أخينا" احترامًا لمن هو أكبر منه سنًا، وهذا ما لاحظناه في رسالة موجهة إلى الشيخ البراني بتاريخ 18 جويلية 1901م[3]. وللإخوان محبة خاصة لدى الشيخ مُحَمَّد بن علي السنوسي إلى درجة أنه اعتبرهم أفضل الخلق، وهذا من خلال وصيته لهم عند مرضه في سيوة، وذلك عقب عودته من الحجاز، حيث قال : « اعلموا أيتها الطايفة [كذا] أن ليس على وجه الأرض من هو أفضل منكم، كررها ثلاثا ... فانكب الأخوان عليه يقبلونه وكل من كان ماسكا عضوا قبله، وفي الحاضرين سيدي عبد الله التواتي فنهض قائما وقبل يديه وقال : قبلناها يا سيدي وسمعناها »[4].

وينتظم كبار الإخوان في مجلس يسمى "المجلس العالي للإخوان"، ويعد أهم مؤسسة سنوسية لأنه يضم علماء الجغبوب وكبار الإخوان، من برقة وطرابلس ومختلف الدول كمصر والسودان والحجاز وغيرها، ويجتمع هذا المجلس مرة في السنة، ووظيفته الإشراف على المعهد العالي للجغبوب وتقديم خدمات متنوعة[5].

وأغلب الإخوان علماءٌ وأدباءٌ، لذلك لا تجد بينهم الأمي إلا قليلًا، وهم كذلك أهل دين وحملة قرآن، محافظين على صلاتهم وقد وصفهم هاميلتون كما يلي : « ... وهم يقومون خمسين ركعة في اليوم تقليدا للنبي، خمسة منها في الليل. ويصومون بالإضافة إلى رمضان أياما معينة من شعبان ورجب وذي الحجة ... »[6].

وللإخوان أدوار ووظائف متعددة في الزوايا، لذلك يقسمون إلى مراتب منها : الخليفة والشيخ والنقيب والمقدم[7]، وليس هناك تقسيم طبقي على أساس اجتماعي، بل أحيانا يقسمون إلى مراتب شرفية تفاضلية في

---

(1) – علي الجميل الموصلي، مرجع سابق، ص ص21، 22.

(2) – كان الشيخ السنوسي يُشَبِّه الإخوان ببعض التعابير التي كانت في عهد الرسول ﷺ، مثل "الصحابة البدريين" أي الذين شهدوا غزوة بدر. ينظر : أحمد صدقي الدجاني، مرجع سابق، ص ص254، 255.

(3)– Jean-Louis Triaud, **Tchad 1900-1902**, **une guerre Franco-Libyenne oubliée ? une confrerie musulmane**, **la Sanusiyya face a la France**, op.cit, snp.

(4) – أحمد صدقي الدجاني، مرجع سابق، ص ص156، 157.

(5) – ناصر الدين مُحَمَّد الشريف، مرجع سابق، ص323.

(6) – أحمد صدقي الدجاني، مرجع سابق، ص95.

(7) – علي الجميل الموصلي، مرجع سابق، ص23.

العلم أو الزهد لا أكثر، وهذا ما لاحظه الحشائشي عند زيارته للجغبوب سنة 1895م حيث وجد أربعة مراتب : الأولى للعلماء وهم النخبة والخواص من الإخوان مثل الشيخ أحمد الريفي وفالح الظاهري[1]، والثانية للعلماء المتعلمين[2]، والثالثة للعلماء المربين، والرابعة والأخيرة عموم الناس وهم بقية الإخوان لكنهم عالمون بالفقه والنحو[3]. وعلى أساس الذكر في أوراد الطريقة السنوسية قسم أحمد الشريف السنوسي الإخوان إلى فريقين هما : أهل التبرك والمنتسبين، وأهل الإرادة والمتجردين وخصوصا أهل الخلوات، حيث يقوم الفريق الأول بالتصلية على النبي ﷺ مائة مرة، أما الفريق الثاني ألفين[4]، بينما قسم آدمس الإخوان السنوسيين إلى ثلاثة فئات حسب عدد التصلية على النبي مُحَمَّد ﷺ وعلى آله وصحبه، كما يلي : الفئة الأولى تسمى "أهل التبرك"، تتم بتصلية عددها ثلاثمائة مرة، والفئة الثانية تسمى "أهل الإرادة" بعدد يصل إلى اثنا عشرة ألف مرة، والفئة الثالثة وهي الأعلى تسمى "أهل التجريد" وتردد التصلية أربع وعشرين ألف مرة[5]. وبالنسبة لابن علي مؤرخ العائلة السنوسية قسم الإخوان إلى أربعة أقسام : أولًا : الملازمون للإمام السنوسي والقائمون بالأمور الإدارية والتعليمية في المركز الرئيسي، ثانيًا : القائمون بإدارة الزوايا وهم "شيوخ الزوايا"، ثالثًا : القائمون بالسفارة ونشر الدعوة وتفتيش الزوايا وما يتبعها، رابعًا: القائمون على الزراعة وتربية المواشي والصناعات المختلفة[6].

وعدد الإخوان كبير جدًّا، لا يمكن عدهم ولا حصرهم كما قال الأشهب : « لن نستطيع أن نذكر كل الأخوان السنوسيين، ولا حتى عن أسمائهم لأن ذلك يتطلب بذل المجهودات الجبارة والمتسع من الوقت حيث إنهم كثيرون؛ وفي كل مكان. ومن كل مكان، فهم من الشمال الإفريقي. ومن ليبيا ومن مصر ومن السودان (الغربي والشرقي) ومن الحجاز. ومن اليمن. ومن تركيا. ومن الحبشة ومن الهند. ومن الحواضر والبوادي. ومن بلاد كثيرة غير ما ذكرنا من العرب والأعاجم ... »[7].

ويذكر بعض المؤرخين أن أتباع الشيخ السنوسي يُعدُّون بعشرات الملايين[8]، بينما حصرهم دوفيري في ثلاثة مليون نسمة، والملاحظ أن هذه الأرقام متضاربةٌ ومبالغٌ فيها وغير منطقية، لأن سكان برقة بأكملها وهي معقل

---

(1) – ينظر : **رحلة الحشائشي إلى ليبيا سنة 1895**، مرجع سابق، ص ص174، 175.

(2) – كلهم من الجزائر وتونس والمغرب. ينظر : نفسه، ص175.

(3) – نفسه، ص175.

(4) – أحمد الشريف السنوسي، **مختصر الأنوار القدسية في مقدمة الطريقة السنوسية**، مرجع سابق، ص ص62، 63.

(5)- Nicola.A.Ziadeh, op.cit, p 89.

(6) – عبد المالك بن عبد القادر بن علي، مرجع سابق، ص42.

(7) – مُحَمَّد الطيب الأشهب، **السنوسي الكبير عرض وتحليل لدعامة حركة الإصلاح السنوسي**، مرجع سابق، ص56.

(8) - ناصر الدين مُحَمَّد الشريف، مرجع سابق، ص277.

السنوسيين لم يصل حتى إلى عشر إحصاء دوفيري[1]، ودراسة أخرى أشارت إلى أن عدد الإخوان يتراوح بين 1.5 و3 مليون نسمة[2]، ونلاحظ المجال الواسع جدًا بين الرقمين مما يجعلنا في حيرة.

وفي هذا السياق، تم التركيز في دراستي على كبار الإخوان السنوسيين، وأغلبهم شيوخ زوايا ومقدمين، وهم الذين كانوا دعائمًا للسنوسية في بداية تأسيسها، أي من الرعيل الأول الذهبي، إضافة إلى دورهم في النشاط الثقافي، خاصة وأن من بينهم أدباء وشعراء متميزون[3]، ونبدأ أولًا بالإخوان في شمال أفريقيا، ثم نتبعهم بإخوانهم في جنوب الصحراء :

4-1- الإخوان في شمال أفريقيا :

4-1-1- أبو القاسم العيساوي :

الشيخ أبو القاسم من أسرة العيساوي إحدى بطون قبيلة الزنتان بطرابلس، وقد التحق بالشيخ مُحَمَّد بن علي السنوسي بالعزيات بينما قال آخرون في الحجاز، وأخذ عنه العلم، وترأس زاوية الحرابا التي بناها بنفسه في الجبل الغربي، وكان شاعرًا متميزًا حيث نظم قصيدة بطريقة عجيبة تُقرأ من أعلى إلى أسفل ومن اليمين إلى الشمال وبالعكس أيضا، وتُعكس آخر كلمة من كل بيت لتكون أول كلمة من البيت الموالي، ولتوضيح ذلك نقتطف هذه الأبيات من هذه القصيدة العصماء :

جرس الهدهد في أفق العلا	بشر الناس بما يرجو بلج
جلب الناس له أولادهم	وأرادوا نحوه أين درج
جرد الساعي إليه نفسه	بعد جد جاء في سير لعج
جعل الله له الناس أتبا	عا تبعوه كعقيق من سيج
جيس من حاد عن نحو الهدي	وسراه من أووا أين وللج
جلو نفس رامها من جاءه	إذ على نور (الجغايب) نفج
جفن من جاءوا بتعظيم يرى	قرلا [كذا] إثم عليه أو حرج[4]

---

[1] - في سنة 1911م بلغ عدد سكان برقة 198300 نسمة. ينظر : مُحَمَّد الطاهر الجراري، **آليات الاستعمار الأوروبي في الجزائر وليبيا**، الندوة العلمية الأولى جامعة الأمير عبد القادر، قسنطينة، ماي 2008، ص63.

[2] – هذا العدد زمن مُحَمَّد المهدي السنوسي. ينظر : إيمان عبد الرسول المبروك، **العلاقات السنوسية العثمانية (1843-1918م)**، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة السيد مُحَمَّد بن علي السنوسي، 2019-2020 م، ص47.

[3] – بلغ عددهم نحو عشرين شاعرًا، ذكرهم الطيب الأشهب بأسمائهم. ينظر : مُحَمَّد طه الحاجري، مرجع سابق، ص303.

[4] – مُحَمَّد الطيب الأشهب، **برقة العربية أمس واليوم**، مرجع سابق، ص ص587، 588.

ونذكّر بأن للشيخ أبي القاسم العيساوي ولدان هما : الشيخ أحمد، والشيخ مُحَمَّد العيساوي[1]، ويعدان بدورهما من كبار الإخوان السنوسيين[2].

4-1-2- عبد الله التواتي[3] :

أصله من توات بالجزائر، عينه الإمام السنوسي شيخ زاوية جدة، وهو من الأوائل المرافقين له، وكان يقوم بعدة مهام منها البناء، مثل ما توضحه رسالة تلقاها من أستاذه السنوسي حينما كلفه ببناء سور ومرافق أخرى بزاوية جدة[4]، وكانت له عدة نشاطات في الحجاز، وقد توفي مقتولًا قرب المدينة المنورة سنة 1851م ودفن بمقبرة شهداء الصحابة ببدر، وقد أشرنا إلى ذلك من قبل، وعُقبه ولدٌ واحدٌ هو العلامة الأديب المعروف بِ :"الأخرش"[5]، والذي قام بالتدريس في الجغبوب[6].

4-1-3- أحمد أبو القاسم التواتي :

أصله من الجزائر، ومن أوائل رفاق الشيخ السنوسي، نبغ في العلوم العقلية والنقلية، درّس في الجغبوب وتخرج على يديه عدة علماء[7]، ونظرًا لكفاءته العلمية لُقِّب بِ : "العالم"[8]. أشرف على إنشاء عدة زوايا في مرزق وزويلة وقطرون وواو الشعوف وفزان[9]، وكان الشيخ السنوسي ينتدبه أحيانًا لمراقبة أحوال الزوايا، وقد تولى مشيخة زاوية سيوة والزيتون وزوايا فزان، وكان محل مدح وثناء من شيخه مثلما ورد في رسالة بعثها إلى أعيان سيوة، قائلًا : « وولدنا الشيخ أحمد التواتي قد أقمناه مقامنا، وما أرسلناه إلا لمنفعتكم خاصة، وإلا فغيره يقوم مقامه، واسمعوا

---

(1) – اشتهرا باسم العيساوي نسبة إلى جدهما عيسى بن راشد. ينظر : يونس علي بالقاسم السنوسي، مرجع سابق، ص221.

(2) – التحق كل من أحمد وشقيقه مُحَمَّد العيساوي بالجغبوب لإتمام دراستهما، وبعد ذلك أصبحا أستاذين بالمعهد الجغبوبي. ينظر: نفسه، ص222.

(3) – يُسمى أيضًا مُحَمَّد عبد الله التواتي. ينظر : علي مُحَمَّد الصلابي، **تَاريخ الحرَكَة السَّنُوسيَّة في أفريقيا**، مرجع سابق، ص62.

(4) – ينظر الملحق رقم 1، ص406.

(5) – مُحَمَّد الطيب الأشهب، **برقة العربية أمس واليوم**، مرجع سابق، ص ص142، 143.

(6) – ترأس زاوية المرج بالنيابة ولمدة قصيرة، وانتقل إلى الكفرة حيث توفي هناك عام 1924م. ينظر : يونس علي بالقاسم السنوسي، مرجع سابق، ص217.

(7) – نفسه، ص ص217، 218.

(8) - Henri Duveyrier, **La confrérie musulmane de sîdi Mohammed ben Ali Essenoûsî et son domaine géographique : en l'année 1300 de l'hégire=1883 de notre ère**, op.cit, p 69.

(9) – مُحَمَّد فؤاد شكري، مرجع سابق، ص39.

لنصيحته فإنه نصوح أمين وقد هدى الله به أمما عديدة »[1]. وقد توفي هذا الشيخ بزاوية الطيلمون في الجبل الأخضر[2]، وقد رثاه "شاعر الحضرة السنوسية" أبو سيف مقرب في قصيدة، جاء فيها :

سل الدهر هل يبقى سعيد مخلدا ولو كان أبقاه لأبقى مُحَمَّدا
يكر علينا ليله ونهاره شجاعين لا يثنيها تجلدا[3]

ومنها أيضًا :

ألا ليت شعري كيف صاروا بنعشه إلى القبر وهو الطود ذو المجد والندى
حوى نعشه علما وفخرا وسؤددا وحلما وتقوى ما سواها تزودا[4]

ونلاحظ العدد الكبير من الإخوان الذين أصلهم من توات[5] والذين كانوا من الداعمين الأوائل للحركة السنوسية، وتوات منطقة حضارية معروفة في الجنوب الجزائري ذات إشعاع ديني كبير، ولعلمائها ومشايخها دور فعال في التصوف وانتشار الطرق الصوفية في أفريقيا جنوب الصحراء بصفةٍ عامة.

4-1-4- عمران بن بركة :

هو أبو موسى عمران بن بركة الزليطني الطرابلسي الشريف الحسني العلامة الخير البركة الفقيه الفاضل الأستاذ الكامل[6]، من قبيلة الفواتير، وُلد ببلدة زليطن بطرابلس الغرب سنة 1211هـ، والتقى بالشيخ السنوسي أثناء مروره بطرابلس سنة 1238هـ وأصبح من كبار الإخوان، وهو أستاذ مُحَمَّد المهدي و مُحَمَّد الشريف في الجغبوب، وقال عنه شيخه الإمام السنوسي : « أخونا عمران يأخذ من عصره الحق بلا واسطة»[7]، وقد تولى عدة مهام منها

---

(1) – مُحَمَّد الطيب الأشهب، **السنوسي الكبير عرض وتحليل لدعامة حركة الإصلاح السنوسي**، مرجع سابق، ص58.

(2) - لم يعش له إلا ولد واحد هو الشيخ أحمد بن أحمد التواتي الذي أصبح عالما، وقد تولى هو أيضًا التدريس بالجغبوب، وكان أحد كُتّاب الشيخ مُحَمَّد المهدي السنوسي. ينظر : يونس علي بالقاسم السنوسي، مرجع سابق، ص218.

(3) – مُحَمَّد الطيب الأشهب، **السنوسي الكبير عرض وتحليل لدعامة حركة الإصلاح السنوسي**، مرجع سابق، ص59.

(4) – نفسه، ص59.

(5) – يطلق اسم توات على جزء من ولاية أدرار الحالية، وتقع بين خط 1 درجة شرقا و3 درجات غربا [كذا] غرينتش وبين دائرتي عرض 20 إلى 30 شمالًا. ينظر : مختار حساني، **موسوعة تاريخ وثقافة المدن الجزائرية**، الجزائر، دار الحكمة، 2007، ج2، ص ص32-36.

(6) – مُحَمَّد مخلوف، مرجع سابق، ج1، ص408.

(7) – أحمد صدقي الدجاني، مرجع سابق، ص174.

رئاسة الزاوية البيضاء، وتأسيس زاوية سنوسية في هون، ووكيلًا لابن السنوسي على منزله العائلي[1]، ونعتقد أن هذا يتم عندما يغيب الشيخ لأمر ما كالحج مثلًا.

أخذ عن الإمام السنوسي، وعن أئمة آخرين منهم فالح الظاهري ومُحَمَّد يوسف بن مغرب وغيرهم[2]، وتوفي بالجغبوب كفيفًا سنة 1311هـ[3]، أي أنه عمَّر قرنًا كاملا[4]، وكان شاعرًا متيمًا بحب العائلة السنوسية، وقد نظم قصيدة في هذا الإطار، جاء فيها :

إذا أتوا المحراب قاموا بذلة	خشوعا خضوعا عاكفين بمسجد
حنين لهم يحكى الفصيل إذنا	قبيل الفطام في قفار وصهد
ولست أريد دار سعدى وجارها	فذاك خيال من مرام عمرد
فما وطئ الأشباح ماوى [كذا] لفاضل	ولكن سماء الروح مأوى ذوي العهد
فيا رب نلنا من كمال رضاهما	تقر به العينان من نور أحمد
ومن إلهي بالثبات لفرعه	ممهد العلا جدبا لحقيقة عن بد
حيي ذكى لو ذعى مهذب	اثله علوما بالشريعة تنجد
كذا صنوه الحاوي فضائل جمة	بكنز فهوم بالسعادة تسعد
واني[كذا] لمثلى أن يحيط بوصفهم	قصاراه ارث من خليفة أحمد[5]

4-1-5- أحمد الريفي :

ولد الشيخ أحمد الريفي ببلدة قلمية بالريف في المغرب سنة 1244هـ، وقد تعلَّم في فاس وأتقن عدة علوم كالفلك والإسطرلاب والهندسة والرياضيات وغيرها، والتقى بالشيخ السنوسي في الحجاز عام 1267هـ وتلقى عليه بعض العلوم[6]، وأصبح من كبار الإخوان وأحد أساتذة الجغبوب، حيث درّس كل من مُحَمَّد المهدي وأحمد الشريف[7].

---

[1] – يونس علي بالقاسم السنوسي، مرجع سابق، ص216.

[2] – مُحَمَّد مخلوف، مرجع سابق، ج1، ص ص408-409.

[3] – أحمد صدقي الدجاني، مرجع سابق، ص174.

[4] – رثاه "شاعر الحضرة السنوسية" سيف مقرب البرعصي. ينظر : مُحَمَّد الطيب الأشهب، **السنوسي الكبير عرض وتحليل لدعامة حركة الإصلاح السنوسي**، مرجع سابق، ص ص60، 61.

[5] – أحمد الشريف السنوسي، **الدُّر الفريد الوهاج بالرحلة المنيرة من الجغبوب إلى التاج**، مرجع سابق، مخ.

[6] – أحمد صدقي الدجاني، مرجع سابق، ص174.

[7] – يونس علي بالقاسم السنوسي، مرجع سابق، ص220.

وكان الشيخ الريفي عالما كبيرًا، ووصفه أحمد الشريف بأنه بحر من العلوم، لذلك تخرج على يديه عدة طلاب منهم مُحَمَّد بن علي بن موسي (ت 1303هـ) الذي برع في المعقول والمنقول[1]، وكان يحفظ أربعين ألف حديث وقيل عشرين ألف[2]، ويعد شيخنا الريفي المستشار الخاص لأحمد الشريف، ونظرا لكفاءته تولى رئاسة مجلس الإخوان بالجغبوب، ويتميز عن غيره بأنه الشخص الوحيد الذي خدم السنوسية مع زعمائها الثلاثة : مُحَمَّد بن علي السنوسي، و مُحَمَّد المهدي، وأحمد الشريف.

توفي الشيخ أحمد الريفي بالكفرة سنة 1329هـ/ 1911م، ورثاه كثير من الشعراء منهم تلميذ أحمد إدريس الأشهب قائلًا :

صبرت وما قلبي عليك بصابر ... فأنت إمام الأولياء الأكابر
تركت دموع العين تجري صبابة ... وسرت أهل العلى والمقابر
مكثت بجغبوب وتاج مكة ... وأنت تفيد القوم أهل المحابر[3]

4-1-6- عبد الله السني :

أصل الشيخ عبد الله السني من السودان، حيث ولد بسنار عام 1800م، والتقى بالشيخ السنوسي في الحجاز وتأثر به ودرس عنه، لذلك أجازه إجازة علمية في تفسير البيضاوي.

وقد لقبه السنوسي بالسني بدلًا من السناري[4] لبشاعة هذا الاسم، مما يؤكد ثقافته الواسعة ودرايته الدقيقة بمفاهيم ومكنونات اللغة العربية والتي غالبا ما يوظفها في الظرف المناسب. وكان الشيخ السنوسي يكرمه لورعه وعلمه، حيث عَدّهُ من أبرز الإخوان السنوسيين المقربين، لذلك أُسندت إليه عدة مهام منها تحصيل الواردات المالية لزاوية الجغبوب في عهد الشيخ مُحَمَّد المهدي.

ومن أهم أعمال الشيخ السني تأسيس سبع زوايا كاملةً، وذلك بمساعدة الأهالي في كل من مصراتة ومزدة وأورفلة وحرابة وسنوان ومترس وتونن، وتعتبر زاوية مزدة الأبرز من بينها باعتبارها مركز إشعاع ديني تردد عليها عدة علماء وطلاب، وكانت تحت إشرافه المباشر، أمّا تراثه العلمي والأدبي يتمثل في مخطوط يضم كثيرًا من أشعاره، من بينها قصيدة عبارة عن ملحمة طويلة وعجيبة في نفس الوقت، حيث يشير في كل بيت منها إلى اسم سورة من

---

[1] – ناصر الدين مُحَمَّد الشريف، مرجع سابق، ص302.

[2] – مُحَمَّد بن عثمان الحشائشي، مرجع سابق، ص174.

[3] – علي مُحَمَّد الصلابي، **تَاريخ الحرَكَة السَّنُوسيَّة في أفريقيا**، مرجع سابق، ص66.

[4] – السنار معناه الهر، والسنور معناه أصل الذنب. ينظر : ابن منظور، مرجع سابق، مج4، ص381.

سور القرآن الكريم حتى جمع كل السور، كقوله في بيت : مالي سوى الإخلاص في حبي لكم[1]، في إشارة إلى سورة الإخلاص، وكقوله أيضًا : سبحان الذي أسرى بجدك للعلى[2]، في إشارة إلى سورة الإسراء.

وتوفي الشيخ عبد الله السني سنة 1877م[3]، وتولى ابنه مُحَمَّد السني ثم أخوه عبد السلام الإشراف على زاوية مزدة.

4-1-7- مُحَمَّد بن عبد الله السني :

هو ابن الشيخ عبد الله السني، ولد في مزدة عام 1268هـ/1851-1852م، درس بالجغبوب، ثم زار الحجاز ومصر، وحارب الاستعمار الفرنسي ثم الإيطالي، إلى أن توفي عام 1932م.

وعن ثقافته الأدبية فقد كان شاعرًا بليغًا، لكنه يتكلف بعض الألفاظ الصعبة والغريبة أحيانًا، منها قصيدة ذكر فيها غربة الدين وجور الحكام في منطقة فزان إلى درجة أن كَفَّرهم، وبالمقابل نوه بدور الطائفة السنوسية في نشر الإسلام خاصة الشيخ مُحَمَّد بن علي السنوسي وابنه مُحَمَّد المهدي، لذلك نظم قائلًا :

مالي أرى بهجة الإسلام تستتر ... ومهجة الدين قد حلت بها الغير
قد زعزع الدين وانهدت دعائمه ... وباد من بعد ما ساد الالى فجروا
يا طالما عمرت أركانه وسمت ... أعلامه وزهت أيامه الزهر
البينما الكفر في أمى [كذا] وفي دعة ... ونار صلبانه تبدو لها شرر
والأرض قد ملئت سوداء مظلمة ... شركا وبغيا ولا يدرون بالخبر
إذا بداعى الهدى من بينهم سطحت ... أنوار بعثته بالدين تزدهر

إلى أن يقول :

قد أخبر الصادق المبرور صلى الله عليـ ... ـه ما شعشعت أنواره الزهر
بأنه سيعود الدين مغتربا ... مثل البداية مقلو ومحتقر
ولا تزال على التوحيد طائفة ... مؤيدون على اللواء قد صبروا
حتى يشيد منار الدين صاحبه الممهـ ... ـدى لسيرة خلق الخلق يعتبر
بالله هل أبصرت عيناك أو سمعت ... أذناك في زمن قد عمها البطر
عصابة سلكوا نصح الرسول على ... بصيرة ودعوا الله فانتصروا

---

[1] - ناصر الدين مُحَمَّد الشريف، مرجع سابق، ص ص295، 296.
[2] - نفسه، ص ص295، 296.
[3] - مُحَمَّد فؤاد شكري، مرجع سابق، ص39.

ولم يضرهم خلاف من مخالفهم بل من يعادى يعود وهو منكسر
إلا إمام الهدى المهدي وأسرته أكرم بهم من هداة للمهدي نشروا
قوم يود رسول الله رؤيتهم وقال إخواننا يا حبذا الخبر[1]

ورثى مُحَمَّد الشريف السنوسي في قصيدة تأبينية، جاء فيها :

جلت وجل بها المصاب وغادرت رحب الفؤاد يئن وهو كئيب
لبس الاساء منه الاساء كما اكتسى ثوب السواد لأجلها (جغبوب)

ويستطرد معبرًا عن حسرته للفراق مؤمنًا بقضاء الله وقدره :

أسفي وتهيامي وحر لواعجي وقريح جفني بالدموع سكوب
صبر لأمر قضاه الهنا وعلى الجميع مقدر مكتوب
ناداه إكراما وتشريفا له فغدا يهرول للنداء ويجيب
في ليلة القدر التي قد فضلت عن ألف شهر خصه الترحيب[2]

4-1-8- أحمد بن فرج الله :

عالم من طرابلس، وصهر الشيخ السنوسي كما أسلفنا، ويعد من الرعيل الأول للإخوان السنوسيين، وقد التحق بالسنوسي في برقة في بداية الدعوة، توفي بالزاوية البيضاء ودُفن بمقبرة الصحابي رويفع[3].

4-1-9- عبد الرحيم المغبوب (المحبوب) :

اسمه عبد الرحيم بن أحمد الزموري، واشتهر بالمغبوب، ولد عام 1202هـ[4]/1787-1788م، وينتمي إلى عائلة زمورة من قبائل مصراتة[5].

ويعد هذا الشيخ علامةً وأديبًا وشاعرًا، وقد تتلمذ عن الشيخ السنوسي عندما التحق به سنة 1258هـ/1842-1843م، ورافقه في رحلته إلى الحجاز، ثم ندبه إلى الأستانة في مهمة وسماه "المحبوب"،

---

(1) – أحمد الشريف السنوسي، **الدُّر الفريد الوهاج بالرحلة المنيرة من الجغبوب إلى التاج**، مرجع سابق، مخ.
(2) – مُحَمَّد الطيب الأشهب، **برقة العربية أمس واليوم**، مرجع سابق، ص ص225-227.
(3) – الطاهر أحمد الزاوي، **أعلام ليبيا**، ط3، بنغازي.ليبيا، دار المدار الإسلامي، 2004، ص88.
(4) – عبد الرحيم بن أحمد المحبوب، مرجع سابق، مخ.
(5) – يونس علي بالقاسم السنوسي، مرجع سابق، ص222.

وأرسله في مهمات تفتيش الزوايا وتنفيذ التعليمات[1]، ونشير إلى أنه تتلمذ أيضًا عن الشيخ القوصي والشيخ عبد الله سراج المكي والشيخ صالح[كذا] الظاهري الحجازي[2].

تولَّى التدريس بزاوية الجغبوب، وترأس زاوية بنغازي[3]، ويعد من أبرز شعراء السنوسية، وقد مر معنا من قبل، حيث نعى فيها شيخه السنوسي عند وفاته، ووصف حالة الجغبوب بعده، وتحسر فيها على ما فات الناس من علمه وفضله، وتوفي هذا الشيخ في بنغازي سنة 1305هـ[4]/1887-1888م، وقيل في عام 1898م[5].

4-1-10- أحمد الطائفي :

اتصل أحمد الطائفي بالسنوسي مبكرا وذلك في عام 1833م، وكان شاعرا بليغا ذو حس مرهف، لم يحتمل فراق شيخه، حيث نظم قصيدة عبر فيها عن اشتياقه له حينما كان بالحجاز، جاء فيها :

يا من نأوا عني وشط مزارهم ... وتجددت لبعادهم أحزاني
نار الجوى بين الجوانح أضرمت ... والروح فارق بعدكم جثماني
لا كان يوم البين، لا كان النوى ... يا ليتني أدرجت في أكفاني[6]

4-1-11- عمر الأشهب :

ولد سنة 1225هـ، وينتمي إلى عائلة الأشهب المعروفة في منطقة زليطن[7]، وتعرّف على السنوسي أثناء مروره بهذه المنطقة وذلك سنة 1257هـ، ثم التحق بالزاوية البيضاء سنة 1258هـ ودَرَّس فيها، وعُين عضوا في مجلس الإخوان، وترأس كل من زاوية درنة ومسوس، كما أشرف على زاوية ماره وبشاره، وتوفي سنة 1294هـ[8]/1877-1878م.

---

(1) – يونس علي بالقاسم السنوسي، مرجع سابق، ص222.

(2) – مُحَمَّد مخلوف، مرجع سابق، ج1، ص407.

(3)– Guerhard Rohlfs, **Voyages et explorations au Sahara**, trad. et pub, Jacques Debetz, Paris, éditions Karthala, t5, 2003, p 173.

(4) – ناصر الدين مُحَمَّد الشريف، مرجع سابق، ص ص305، 306.

(5) – يونس علي بالقاسم السنوسي، مرجع سابق، ص223.

(6) – مُحَمَّد طه الحاجري، مرجع سابق، ص ص 309، 310.

(7) – يونس علي بالقاسم السنوسي، مرجع سابق، ص224.

(8) – مُحَمَّد الطيب الأشهب، **برقة العربية أمس واليوم**، مرجع سابق، ص ص145، 146.

4-1-12- أحمد بن إدريس الأشهب :

اسمه بالكامل أحمد بن إدريس عمر الأشهب[1]، يعتبر من الجيل الثاني للسنوسية، وهو من أسرة عريقة بزليطن، رباه أبوه الذي نشأ بدوره في أحضان السنوسية، ورباه أيضًا عمران بن بركة الفيتوري أحد أعمدة السنوسية. درس بالجغبوب وكان أحد تلامذة مُحَمَّد الشريف السنوسي، إذ تلقى عنه الحديث والتفسير والتصوف واللغة والأدب، واشتغل كاتبًا للسيد المهدي، وتولى مشيخة زاوية عين مارا وجالو والنوفلية، وقد شهد الغزو الإيطالي وتولى كتابة رسائل أحمد الشريف، وعُين أيضًا مستشار السيد صفي الدين السنوسي نائب أحمد الشريف في برقة الغربية، توفي سنة 1923م[2] وترك أشعارًا، منها وصف رحلة مُحَمَّد المهدي إلى الكفرة، جاء فيها :

لقد أعلن الحادي بما كان في السير ... وأخبرني عن صاحب المجد والسر
واخبرني عن نعته وصفاته ... وعن مثل ما يبدو على الوجه كالبدر[3]

4-1-13- مُحَمَّد بن عبد الله الخالدي (1228-1283هـ/1813-1866م) :

فقيه وعالم ومُحَدِّث، أصله جزائري، وُلد في جبل ملالة في مازونة، حج سنة 1252هـ وجاور في المدينة سنتين وأخذ الطريقة السنوسية، وعُدّ أحد تلاميذ الشيخ السنوسي. درس في مصر وأخذ عن علماء الأزهر وأجازوه، ثم انتقل إلى دمشق سنة 1268هـ ودَرَّس بدار الحديث، وتصّدر الإفتاء، وفصل القضايا بين المهاجرين المغاربة بأمر من الأمير عبد القادر الجزائري، وقال عنه عبد الرزاق البيطار : « كان خلوتي الطريقة، ولما توجه إلى مكة تلقى الطريقة السنوسية، وفي الشام اشتغل بالطريقة الشاذلية ... »[4].

4-1-14- المرتضى فركاش :

الشيخ المرتضى فركاش من الجبل الأخضر، ينتسب إلى السيد نوح المسماري الشريف الحسني، له مركز اجتماعي كبير بين القبائل في برقة، وكان ينتقل بين البادية والريف، وقد التحق بالشيخ السنوسي عندما قدم إلى البيضاء، حيث لازمه وحج معه، وله عدة أبناء خدموا السنوسية بإخلاص مثل سعد وعبد الحق ومرتضى الثاني، وللعلم فإن عائلة فركاش ارتبطت عموما بصلات المصاهرة مع الإخوان، وتميزت بخدمتها الجليلة للحركة السنوسية[5].

---

[1] – هو ابن الشيخ عمر الأشهب. ينظر : يونس علي بالقاسم السنوسي، مرجع سابق، ص224.

[2] – مُحَمَّد طه الحاجري، مرجع سابق، ص ص321- 325.

[3] – نفسه، ص ص321- 325.

[4] – عبد المنعم القاسمي، مرجع سابق، ص328.

[5] – مُحَمَّد الطيب الأشهب، **برقة العربية أمس واليوم**، مرجع سابق، ص158.

4-1-15- الشيخ مُحَمَّد حسن البسكري :

الشيخ مُحَمَّد حسن البسكري جزائري الأصل، من مدينة بسكرة كما تشير كنيته، تزوج الإمام السنوسي ابنته وهي الزوجة الرابعة، ويعد من الجيل الأول الداعمين للحركة السنوسية، إذ شغل منصب أمانة السر للإمام[1]، ويعد أيضًا أحد علماء الجغبوب[2].

4-1-16- محفوظ الورفلي :

عالم ومجاهد، كان موضع ثقة الإمام السنوسي، ويعد من أكبر رجالات الحركة السنوسية وعلمائها، ومن أكبر أنصار عمر المختار والداعمين له، واشتهر بشجاعته وتمسكه بدينه، واستشهد في الحرب ضد الطليان في معركة عقيلة المطمورة سنة 1345هـ[3].

4-1-17- مصطفى المحجوب :

من مدينة مصراتة، يعد من العائلة السنوسية القريبة جدا باعتباره جد السيد صفي الدين السنوسي من جهة والدته، عُرف بالتقوى والصلاح، واتصل بالشيخ السنوسي مبكرًا وذلك في مصراتة، لذلك يعد من الشيوخ الأوائل للحركة السنوسية، حيث التحق بالزاوية البيضاء سنة 1258هـ/1842م وترأسها لمدة قصيرة، ثم تولى مشيخة زاوية الطيلمون وتوفي بها[4]، وترك ابنًا اسمه علي[5].

4-1-18- أحمد المقرحي :

من كبار علماء طرابلس، أصله من مقارحة الزاوية، اتصل بالإمام السنوسي في طرابلس سنة 1257هـ، وانتقل معه إلى برقة وصار من خواص أصحابه، ويقال أنه تولى الإفتاء بالزاوية والقضاء في بوعجيلة وزوارة، توفي بالبيضاء سنة 1263هـ ودُفن في مقبرة رويفع الأنصاري[6].

---

(1) – ظاهر مُحَمَّد صكر الحسناوي، مرجع سابق، ص164.

(2) – مُحَمَّد بن عثمان الحشائشي، مرجع سابق، ص ص152، 153.

(3) – الطاهر أحمد الزاوي، **أعلام ليبيا**، مرجع سابق، ص318.

(4) – مُحَمَّد عبد المنعم خفاجي، مرجع سابق، ص212.

(5) – ترأس زاوية الطليمون بعد وفاة أبيه، كلفه مُحَمَّد المهدي السنوسي بالتدريس في الجغبوب. ينظر : يونس علي بالقاسم السنوسي، مرجع سابق، ص224.

(6) – الطاهر أحمد الزاوي، **أعلام ليبيا**، مرجع سابق، ص126.

4-1-19- أحمد بن يوسف بن شتوان :

علامةٌ وأديبٌ وشاعرٌ، ولد في مصراتة أوائل القرن الثالث عشر الهجري، وحفظ القرآن الكريم مبكرًا، وسافر إلى برقة واجتمع بالإمام السنوسي وتتلمذ عليه بالجغبوب، وأقام هناك مدة من الزمن تولى فيها القضاء، ثم سافر إلى مصر وتعرف على أدبائها، مثل أحمد عبد الحليم محرر الوقائع، وعبد الله نجا الأبياري، وغيرهما، ثم سافر إلى الأستانة وعينه الصدر الأعظم نديم باشا مدرسًا بجامع السلطان مُحَمَّد الفاتح[1]، حيث درَّس الحديث والفقه الإسلامي[2].

ومن أشعاره، أبيات يصف فيها ما لاقته مدينة مصراتة من تعسف حاكمها التركي، قائلًا :

ذات الرمال عداها كف عاديها ... لما استقر غراب البين واديها
داء عراها فما تنفك في قلق ... وحار كل طبيب في تداويها
وكان قدمًا بها أُسدُ العرين فما ... يحوم حول حماها أو يدانيها[3]

ويتميز شعره بدقة المعنى، وقوة الألفاظ المستوحاة من الشعر الجاهلي، وقد توفي في الأستانة أوائل القرن العشرين الميلادي، ودفن في مقبرة مسجد الفاتح أين تُدفن العائلة المالكة[4].

4-1-20- أحمد بوسيف :

من قبيلة أولاد أبي سيف في الجبل الغربي، التحق بالشيخ السنوسي وتتلمذ عليه بعد بناء الزاوية البيضاء[5]، وأصبح أحد كبار الإخوان وأحد أعضاء مجلسهم[6]، وهو من العائلة السنوسية القريبة لأنه جد الملك إدريس من جهة أمه[7]، ونظرًا لنبوغه في العلم تولى التدريس بالجغبوب، وترأس أيضًا زاوية ماره سنة 1273هـ. وتوفي بالحجاز سنة 1294هـ[8]، وعقبه ولدان هما : عبد الله بن أحمد أبو سيف، وأحمد بن أحمد أبو سيف[9].

---

(1) – الطاهر أحمد الزاوي، **أعلام ليبيا**، مرجع سابق، ص ص94، 95.
(2) – يونس علي بالقاسم السنوسي، مرجع سابق، ص ص208، 209.
(3) – الطاهر أحمد الزاوي، **أعلام ليبيا**، مرجع سابق، ص95.
(4) – نفسه، ص96.
(5) – يونس علي بالقاسم السنوسي، مرجع سابق، ص215.
(6) – نفسه، ص215.
(7) – للشيخ أحمد أبو سيف ابنة زوَّجها للمهدي السنوسي، أنجب منها ابنه إدريس. ينظر: نفسه، ص216.
(8) – الطاهر أحمد الزاوي، **أعلام ليبيا**، مرجع سابق، ص97.
(9) – درسا وتخرجا من الجغبوب. ينظر : يونس علي بالقاسم السنوسي، مرجع سابق، ص216.

4-1-21- مُحَمَّد الأزهري :

من قبيلة الجرو بالزنتان، وحسب الزاوي كان يُضرب به المثل في العلم لذلك لقبه الإمام السنوسي بالأزهري، وإن لم يكن قد ذهب إلى الأزهر ولا تعلم فيه[1]، وحجب الزاوي اسمه الحقيقي في كتابه "أعلام ليبيا"، لكنه ورد في الأرشيف الفرنسي[2]، لذلك فهمنا سبب قيام السنوسي بتغييره. ومن أبرز أعمال الأزهري تأسيس زاوية طبقة[3] والتي أصبح هو مقدمها، وكُلِّف بالتعليم فيها[4]، كما تولى الإفتاء في الجبل، وتوفي سنة 1315هـ[5].

4-1-22- مُحَمَّد بن الشفيع :

الشيخ مُحَمَّد بن الشفيع من سنار بالسودان، ويُقال أن أصله عباسي، تعرف على السنوسي عند حضوره دروس أحمد بن إدريس، وكان عالمِا جليلًا، وقد تولى مشيخة زاوية سرت[6]، وزاوية فزان، ومسؤولا عن زاوية جالو في عهد مُحَمَّد المهدي السنوسي[7].

وكان يُكلَّف بالتفتيش في زوايا الحجاز وليبيا، وعُرِف بالقوة والشدة في قول الحق دون مبالاة، لذلك كان يهابه الأتراك. توفي بسرت سنة 1324هـ، وله أحفاد ببرقة[8].

4-1-23- فالح الظاهري :

من مواليد الحجاز، اسمه فالح بن مُحَمَّد بن عبد الله بن فالح بن عبد الله الظاهري[9]، وُلد في الصفراء سنة 1824م، أدخله أبوه في الزاوية السنوسية برابغ للتعلم، فحفظ القرآن الكريم عام 1852م، ثم انتقل إلى المدينة

---

(1) – الطاهر أحمد الزاوي، **أعلام ليبيا**، مرجع سابق، ص367.

(2) – كان اسمه "سيدي مُحَمَّد الجرو" الذي يعني الكلب الصغير، وغيره السنوسي إلى الأزهري. ينظر:
A O M. 16H55. Rapport de M.Delaporte à M.le Duc Ducazes ministre des affaires étrangères. Tripoli, le 24 Aout 1877.

(3) – تقع جنوب غرب ليبيا. ينظر : يونس علي بالقاسم السنوسي، مرجع سابق، ص208.

(4) – نفسه، ص208.

(5) – الطاهر أحمد الزاوي، **أعلام ليبيا**، مرجع سابق، ص ص367، 368.

(6) - مُحَمَّد الطيب الأشهب، **برقة العربية أمس واليوم**، مرجع سابق، ص ص143، 144.

(7) – يونس علي بالقاسم السنوسي، مرجع سابق، ص225.

(8) – مُحَمَّد الطيب الأشهب، **برقة العربية أمس واليوم**، مرجع سابق، ص ص143، 144.

(9) – اسمه الظاهري نسبة إلى عرب الظواهر، قبيلة بالحجاز، ونسبه المهنوي نسبة إلى بني مهني. ينظر : عبد الحي الكتاني، مرجع سابق، ج2، ص895.

المنورة للاستزادة من العلم، وهناك التقى بأستاذه الشيخ السنوسي وقرأ عليه العلوم العقلية والنقلية والموطأ[1]، وذلك في 25 ذي القعدة 1268هـ[2]، وقد صرح في كتابه "أنجح المساعي" بأنه كان في سنة 1971 [كذا] دون سن البلوغ، ولازمه منذ ذلك الوقت وحج معه ثلاث مرات، وألبسه الخرقة، وسمع عليه الكتب الستة، ونصف ابن ماجة، وكُتب الحديث المسلسل بالأولية والعيد والصف، وأضافه على الأسودين، وصافحه، وشابكه، ولقنه[3].

ورافق فالح الظاهري الشيخ السنوسي في رحلته الأخيرة إلى برقة عام 1854م، وتزوج من إحدى ابنتيه وأنجب منها علي وحفصة، أما البنت الأخرى تزوجها أب عمر المختار. وعاصر بناء الجغبوب، ومكث في طرابلس الغرب مدة طويلة جدًا دامت حوالي أربعين سنة، أخذ العلم خلالها عن عدة مشايخ[4]، وتولى التدريس أيضًا بالجغبوب، ويعد أحد أساتذته الرئيسيين، وقد تخرج على يديه عدة طلاب بارزين[5]، وإضافة إلى مهنة التدريس كان شاعرًا وأديبًا[6]، وفيلسوفًا إسلاميًا وعالما[7].

وذاع صيت الشيخ فالح كعالمٍ جليلٍ فاضلٍ، ليس في طرابلس الغرب فحسب بل في العالم الإسلامي، ووصلت شهرته إلى مقر الخلافة نفسها، حيث استدعاه السلطان عبد المجيد عام 1891م للتدريس في الأستانة[8]، وهناك

---

(1) – منال بنت عواد المريطب، "**أثر الحركة السنوسية في منطقة الحجاز الشيخ فالح الظاهري (1258هـ/1842م–1328هـ/1910م)**"، جامعة الملك عبد العزيز : الآداب والعلوم الإنسانية، مج 27، ع 4، 2018م ، ص ص214-217.

(2) - عبد الحي الكتاني، مرجع سابق، ج2، ص897

(3) – نفسه، ص897.

(4) – إضافة إلى الشيخ السنوسي، عمران بن بركة، وعبد الرحيم المحبوب، وحسن العدوي الحمزاوي، ومُحَمَّد بن أحمد عليش المالكي (1217-1299هـ)، وعبد الغني بن أبي سعد الدهلوي العمري، وعلي بن عبد الحق القوصي، ومُحَمَّد الشريف بن عوض الدمياطي الشافعي، وأحمد بن عبد القادر الريفي المازوني (1244-1329هـ). ينظر : أحمد مُحَمَّد جاد الله، « **نظمان في مسوّغات الابتداء بالنكرة أحدهما : لأبي سيف البرعصيّ (1840–1896م) والآخر: لفالح الظاهريّ (1842–1910م) تحقيق ودراسة** »، مجلة الدراسات التربوية والعلمية– الجامعة العراقية، عدد 16، مج3، تموز 2020م، ص ص231، 232.

(5) – منهم عمر المختار المنفي، ومُحَمَّد بدر الدين الحسني، وإبراهيم بن عبد القادر البري، وعبد الستار بن عبد الوهاب، وأحمد بن عبد الله الشامي ثم المكي شهاب الدين الشهير بالمخلاتي، ومُحَمَّد حبيب الله بن عبد الله بن أحمد مايابي الشنقيطي، وعلي بن فالح الظاهري، وعمر بن حمدان المحرسي التونسي، ومُحَمَّد عبد الحي بن عبد الكبير الكتاني (1302-1382)، وعبد الحفيظ بن مُحَمَّد الطاهر الفهري الفاسي. ينظر : نفسه، ص233.

(6) – منال بنت عواد المريطب، مرجع سابق، ص ص217-220.

(7) – كان متضلعا في العلوم الدينية والفقهية والحديث واللغة والتاريخ والرياضيات. ينظر : يونس علي بالقاسم السنوسي، مرجع سابق، ص ص214، 215.

(8) – عُين فيها لقراءة الحديث، وذلك بالقصر السلطاني. ينظر : عبد الحي الكتاني، مرجع سابق، ج2، ص897.

التقى بالمؤرخ المعروف أحمد نائب الأنصاري صاحب كتاب "المنهل العذب في تاريخ طرابلس الغرب"، والجدير بالذكر أن الظاهري هو الذي كتب مقدمته، وتميز أسلوبه بكثرة السجع كعادة أسلوب النثر في عصره[1].

وبعد مسيرة علمية رحل الشيخ فالح الظاهري عن تركيا، وزار عدة مناطق من العالم الإسلامي[2]، وفي سنة 1896م عاد إلى المدينة المنورة ودرَّس في المسجد النبوي[3]، وتزوج من مريم ابنة عبد الرحمن البوسعادي، وأصلها جزائرية، ورغم كل ذلك ظل يحن للإخوان السنوسيين ببرقة، لذلك نظم قصيدة مطلعها :

سرى طيفكم ليلا فما تاه في المسرى ... على بعد ما بين الجغايب والحمرا[4]

وله قصيدة أيضًا في الحب والغرام، جاء فيها :

قد بات، والدمع في الآماق منضودًا ... من شادن خالف الإعلان موعودًا
يسامر النجم ما تمضي أجنته ... ويمتري أن يكون الغمض موجودًا
وللغرام حريق في جوانحه ... أعيا العواذل إخفاء، وتخميدًا
ما للصبابة أمست لا تفارقه ... والشوق عن غيره قد بات مطرودًا
وهو أمر من وصال الحب ليس له ... حظ وإن كان في الهجر مجدودًا[5]

توفي الشيخ الظاهري في المدينة المنورة سنة 1910م، وترك عدة مصنفات منها : حواشي على الصحيح والموطأ في عدة أسفار[6]، ومخطوط "شيم البارق من ديم المهارق"[7]، و"ما تُشدّ إليه في الحال حاجه الطالب الرحال"[8]، و"حسن الوفا لإخوان الصفا"[9]، و"أنجح المساعي في الجمع بين صفتي السامع والواعي"[10]،

---

(1) – محمد عبد المنعم خفاجي، مرجع سابق، ص ص207، 208.

(2) - دخل مصر مرارًا ، آخرها عام 1323هـ. ينظر : عبد الحي الكتاني، مرجع سابق، ج2، ص897.

(3) - وُصف بالمتبحر في علوم الأدب واللغة والتصوف، العارف بفقه الحديث وفنه، ويعد محدث المدينة المنورة ومسندها وذوي الإسناد العالي فيها. ينظر : عبد الحي الكتاني، مرجع سابق، ج2، ص895.

(4) – منال بنت عواد المريطب، مرجع سابق، ص ص217-220.

(5) – يونس علي بالقاسم السنوسي، مرجع سابق، ص151.

(6) – عبد الحي الكتاني، مرجع سابق، ج2، ص897.

(7) – الثبت الكبير. ينظر : نفسه، ص897.

(8) – الثبت الأوسط. ينظر : نفسه، ص897.

(9) – الثبت الصغير، وهو مطبوع بالإسكندرية عام 1323هـ في تسعة وعشرين صفحة. ينظر : نفسه، ص897.

(10) – عبارة عن مدون في الفقه، نُسخ في حجم كبير من 581 صحيفة، وقد طُبع بمصر. ينظر : نفسه، ص897.

و"صحائف العامل بالشرع الكامل"[1]، والذي قال في أوله : « وضعت هذه الصحائف عبارة عن معنى الأحاديث الشفوية، والأفعال المصطفوية، وأضفت إليها بعض الأفهام، لأيمة السلف الأعلام، فمن جعلها سميرة بل أميره فهو المدني الماهر ... ».أ هـ[2].

وله "نظم في مسوغات الإبتداء بالنكرة"[3]، وأيضًا منظومة في "المصطلح" أولها :

خير الأمور الوسَطُ الوسيطُ وشرّها الإفراطُ والتفريطُ
وهذه منظومةٌ في المصطلحْ يقبلها كلّ فؤادِ قد صلحْ
ذكرت فيها كلَّ حدِّ جيدِ يحمدني عليه كلّ سيدِ[4]

4-1-24- الشيخ مُحَمَّد علي عبد المولى :

أصله من صفاقس[5]، ويعد من أبرز شيوخ الطريقة السنوسية وأعمدتها الأساسية، وأحد أعضاء مجلس الإخوان الأربعة زمن الإمام السنوسي وبعده[6]، وكان شاعرًا أيضًا، له عدة قصائد، جاء في إحداها :

ولي نفس حرى للهوى يستفزها سوى نسمات للجمال تثيرها
ثنت عن ندى سحب العطاء عنانها ولا طمع نحو الأنام يديرها
إذا كبرت ذلت وان[كذا] هي صغرت سطت فأبادت من ذريها سعيرها
وإن ملكت رقت وإن زال ملكها تساوي لديها عبدها، وأميرها[7]

ونظم أيضًا :

---

[1] – عبارة عن مدون في الفقه على مذهب الأثر، نُسخ في حجم صغير من 42 صحيفة، وقد طُبع بمصر. ينظر : عبد الحي الكتاني، مرجع سابق، ج2، ص897.

[2] – نفسه، ص897.

[3] – أحمد مُحَمَّد جاد الله، « **نظمان في مسوّغات الابتداء بالنكرة أحدهما : لأبي سيف البرعصيّ (1840–1896م) والآخر : لفالح الظاهريّ (1842–1910م) تحقيق ودراسة** »، مرجع سابق، ص234.

[4] – عبد الحي الكتاني، مرجع سابق، ج2، ص897.

[5] - Henri Duveyrier, **La confrérie musulmane de sîdi Mohammed ben Ali Essenoûsî et son domaine géographique : en l'année 1300 de l'hégire=1883 de notre ère**, op.cit, p 58.

[6] – تشكل في الجغبوب مجلس إداري، يأخذ كل عضو فيه لقب "وزير"، وكان الشيخ سيدي علي بن عبد المولى أول وزير وذلك في عام 1876م. ينظر : Ibid, p 58.

[7] – يونس علي بالقاسم السنوسي، مرجع سابق، ص152.

وأرى ليلى العامرية منزلا بالأسرى يجري، والمهابة بابه
يعطي الصفا به المراد؛ لأنه بالجود يعرف، والند أصحابه
قد أشرعت بيض الصوارم، والغني بأكف من بيض الدروع ثيابه[1]

4-1-25- الشيخ الحسن الغرياني :

ينتمي إلى عائلة الكميشي في غريان، التحق بالشيخ السنوسي عام 1842م وتتلمذ عليه في البيضاء، وعُرِف عنه التقوى والصلاح، وأصبح أحد أساتذة الجغبوب، وعضو مجلس الإخوان، ورئيسًا لزاوية جنزور[2].

4-1-26- الشيخ مُحَمَّد بن طاهر الغدامسي :

التقى بالشيخ السنوسي في الحجاز، وأخذ عنه الطريقة السنوسية، وذلك في حدود عام 1860م، وأجازه الشيخ إجازة تامة، وأصبح مدرسًا بالجغبوب، ومن أبرز الدعاة في طرابلس الغرب[3].

4-1-27- الشيخ عبد العالي بن أحمد بن إدريس :

من أبرز الإخوان السنوسيين، التحق بالشيخ السنوسي في المدينة المنورة مبكرًا، وذلك عام 1848م، ثم رافقه إلى برقة، وبعد ما تحصل على الأهلية من شيخه، أصبح مدرسًا في معهد الجغبوب، وكان أيضًا مؤلفًا فذًا، حيث وقفنا له عن مخطوط تحدث فيه عن مسائل وردت في كتاب شيخه "بغية المقاصد في خلاصة المراصد"[4].

وبعد وفاة شيخه السنوسي، رحل عن الجغبوب وتوجه إلى صعيد مصر، وقام بنشر الدعوة السنوسية هناك، وتوفي في السودان وبالضبط في دنقلة سنة 1295هـ/1878م[5].

4-1-28- الشيخ مُحَمَّد بن الصادق :

يعد الشيخ مُحَمَّد بن الصادق من أوائل رفاق الإمام السنوسي، وذلك عندما التحق به في الحجاز منذ 1830م، وفي عام 1857م رحل إلى الجغبوب، ويعد من كبار علماء وشعراء الإخوان السنوسيين[6].

---

(1) -يونس علي بالقاسم السنوسي، مرجع سابق، ص152.
(2) – نفسه، ص220.
(3) – نفسه، ص225.
(4) – نفسه، ص226.
(5) – نفسه، ص226
(6) – نفسه، ص58.

وثبت تعاطف عدة أشخاص مع السنوسية، وذلك بواسطة المدائح والأشعار والمراسلات والتقاريظ وغيرها، منهم ابن عبد الحق الحجاجي، وهو أديب مصري ووجه بارز من وجوه الحياة الأدبية، حيث كانت له مدائح في السنوسية[1]، وأيضًا أحمد النائب الأنصاري المؤرخ المعروف، مؤلف كتاب "المنهل العذب في تاريخ طرابلس الغرب"، وهو تلميذ الشيخ فالح الظاهري أحد أساتذة الجغبوب، وقد درس عنه في الأستانة، وكان يسأل كثيرًا عن تاريخ الشيخ مُحَمَّد بن علي السنوسي الذي التقى به ومدحه في قصيدة يائية طويلة جاء فيها :

كبراءة من كل لؤم حازها شيخ الشيوخ مُحَمَّد بن علي
سامي المكان مكان كل فضيلة ظل الورى بالمجتهدين صفى[2]

وكذلك أشقر باشا والي طرابلس الذي أخذ الطريقة السنوسية من الإمام السنوسي نفسه، عند عودة هذا الأخير من قابس ووصوله إلى طرابلس[3]، ويمكن اعتبار هذا الوالي من الإخوان المتعاطفين مع السنوسية ولو لغرض سياسي، ذلك لأنه أراد أن يكسب ود العرب من خلال السنوسية، ونفس الأمر ينطبق على والي برقة علي كمالي باشا الذي اعتبر نفسه خادمًا للسيد السنوسي وأتباعه[4]، وكذلك خليفته الحاج رشيد باشا[5].

ومن أبرز المتعاطفين أيضًا مع السنوسية علي الليثي وعبد الله فكري، اللذان يمثلان الحياة الأدبية المزدهرة بالقاهرة، ويعتبران من أبرز المصريين الداعمين للإخوان، حيث كان علي الليثي داعية للسنوسية بمصر ويعده السنوسيون واحدًا منهم، كما كان لعبد الله فكري رسائل أدبية موجهة إلى مُحَمَّد المهدي السنوسي[6].

ومن الأدباء المشهورين الشاعر مصطفى بن زكري[7]، وكان متعاطفًا مع السنوسية، وله أشعار يمدح فيها المهدي السنوسي، قائلًا :

---

[1] - مُحَمَّد طه الحاجري، مرجع سابق، ص328.

[2] - مُحَمَّد عبد المنعم خفاجي، مرجع سابق، ص186.

[3] - مُحَمَّد فؤاد شكري، مرجع سابق، ص30.

[4] – نفسه، ص79.

[5] - Henri Duveyrier, **La confrérie musulmane de sîdi Mohammed ben Ali Essenoûsî et son domaine géographique : en l'année 1300 de l'hégire=1883 de notre ère**, op.cit, p 25.

[6] - مُحَمَّد طه الحاجري، مرجع سابق، ص ص327، 328.

[7] - مصطفى بن زكري (1853-1917م)، أديب وشاعر، ولد في طرابلس، وتنحدر أصوله من جذور مغربية أندلسية، ويعد من أبرز أعلام المقالة، وعلم من أعلام الأدب في ليبيا. ينظر : أحمد عمران بن سليم، **المقالة في ليبيا نشأتها وتطورها خلال العهد العثماني الثاني 1866-1911**، بنغازي، منشورات جامعة قار يونس، دت، ص ص255-258.

يا خير مهدى وأفضل من هدى ... في آخر الزمان العباد وأرشدا
يا خير من يدعو لسنة جده ... وأجمل من قرأ الكتاب وأسندا
لو لم يكن غير القرابة شاهد لكفى ... فكيف وقد هدى بك من هدى[1]

وكان للحركة السنوسية وكلاء تجاريين في عدة مناطق بإفريقيا، لكن ظلت علاقتهم ضيقة بالسنوسية، حيث انحصرت في إطار تجاري فقط، وليس في مجال روحي عقائدي، ورغم ذلك أعتبرتهم من المتعاطفين مع السنوسية، إذ ليس من المنطق أن يكونوا معادين لها، وأبرز هؤلاء : علي الغالب وهو من الطوارق، وكان يتحدث العربية واللهجات الأفريقية، والحاج أحمد الطيب الثني[2] الذي كان يتاجر مع برنو ووداي وغات ومصر وتونس[3]، وغيث بوقنديل الزوي وهو من واحة الكفرة[4]، وفي مصر نذكر تجارًا كانوا وكلاء للحركة السنوسية وأيدوها بكل قوة، وهم : الحاج عبد الله الكحال في القاهرة، وحسن عبد الله الفقير في السويس، وعلي أبو أحمد أبو الخير التاجوري[5] في الإسكندرية[6].

4-2- الإخوان في أفريقيا جنوب الصحراء :

ارتبط اسم شيوخ وزعماء الحركة السنوسية في أفريقيا جنوب الصحراء بالمقاومة، أو بمعنى أدق الجهاد ضد الدول الأوروبية، والذين يُسمَون غالبا بِ : "الكفار"، المصطلح الشائع والمتداول في مراسلات ومخطوطات شيوخ أفريقيا، ولم ينحصر نشاط الإخوان في دولة معينة، بل شمل عدة مناطق من الضفة الجنوبية للصحراء الإفريقية.

وأغلب هؤلاء القادة من شيوخ زوايا الحركة السنوسية، وكانوا على درجة عالية من الوعي السياسي، لكن للأسف لم تصلنا من آثارهم الفكرية إلا القليل، والأرجح أنها كثيرة لكنها ضاعت بسبب الاستعمار الذي خرب الزوايا والخلاوي والمساجد ونهب محتواها، على غرار زاوية قرو كما أسلفنا، كما قام بقتل عدة علماء على غرار ما

---

(1) – مُحَمَّد عبد المنعم خفاجي، مرجع سابق، ص ص193-197.

(2) – أصله من غدامس، يعد من أغنى أغنياء تجار الكفرة، تزوج إحدى شقيقات زوجة السيد المهدي شيخ الطريقة السنوسية، له أخ أكبر منه سنًا استقر في الجغبوب وبنى قصرًا بجوار الزاوية لا تزال آثاره قائمة، ويعرف عن عائلة الثني وفائها للسنوسية. ينظر: يونس علي بالقاسم السنوسي، مرجع سابق، ص98، نقلًا عن :
Capitolo xviii, capi Enoabili Del Sahara, Tripolitano, pp 270,271.

(3) – نفسه، ص98.

(4) – نفسه، ص98.

(5) – من طرابلس. ينظر : نفسه، ص99.

(6) – نفسه، ص99.

سيحدث لعلماء تشاد لاحقًا في مذبحة كبكب الشهيرة، وأبرز شيوخ الحركة السنوسية في أفريقيا جنوب الصحراء محل دراستنا هم :

4-2-1- صالح بوكريم الزاوي :

من قبيلة الزوي، كان رجلًا ورعًا يؤم المسلمين في الصلاة بالكفرة، وقد قاد المقاومة السنوسية ضد فرنسا في منطقة تيبستي في المدة بين عامي 1910 و1913م، وتركزت مقاومته في منطقة تسمى بسكرة بتشاد، وكان جيشه يتألف من المجابرة والقذاذفة وورفلة وأولاد سليمان والقرعان[1]، وبعد بسالة كبيرة استشهد في معركة أم العظام بتاريخ 23 ماي 1913م في شمال تشاد، وذلك عقب كمين نصبته فرنسا هناك.

4-2-2- الشيخ عبد الله الطوير :

الشيخ عبد الله الطوير من قبيلة الزوي في صحراء برقة، ولد عام 1860م. درس بالجغبوب وأصبح من الإخوان السنوسيين وكان زميلا لعمر المختار، وانتقل مع المهدي إلى الكفرة ثم قرو، وعُيِّن شيخًا لتنظيم الزوايا القرآنية في تشاد، واشتغل أيضًا بمهمة تعليم القرآن الكريم وإصلاح ذات البين، ويعد هذا الشيخ من أبرز الإخوان السنوسيين في زاوية عين كلكة، وقد عينه الأتراك قائمقام على منطقة بوركو في 26 شباط 1911م، ورغم ذلك ظل مخلصًا لأوامر السنوسية في الكفرة بدليل أنه رفض رفع العلم التركي في البداية، ثم وافق بعد ذلك بناءً على أوامر القيادة السنوسية، وبعد ذلك قاد الجهاد ضد فرنسا في تشاد، إلى أن استشهد هناك في معركة أم العظام[2].

4-2-3- مُحَمَّد كاوصن :

ولد مُحَمَّد كاوصن في قرية دمرقو سنة 1880م، ينتمي إلى قبيلة إيكزكزن التارقية التي تقطن شمال النيجر، وقد أصبح من الإخوان السنوسيين بعد ما لقنه الشيخ عبد السلام قريميش[3] أوراد الطريقة السنوسية، واشتهر بالجهاد، لكنه كان عالمِا وفقيهًا أيضًا، حيث رحل إلى تشاد ثم إلى ليبيا طلبًا للعلم، والتقى هناك بالشيخ مُحَمَّد العابد، كما التقى أيضًا بأحمد الشريف السنوسي ولازمه مدة من الزمن.

---

[1] – ظاهر مُحَمَّد صكر الحسناوي، مرجع سابق، ص ص183، 184.

[2] – نفسه، ص183.

[3] – شيخ زاوية السنوسية في جبال تيبستي. ينظر : مُحَمَّد السعيد القشاط، **الطوارق عبر الصحراء الكبرى**، ط2، إيطاليا، مطابع اديتار، 1989، ص209.

وأُعْجِب أحمد الشريف السنوسي كثيرًا بشجاعة مُحَمَّد كاوصن، لذلك أسند إليه قيادة مركز عين إيدي، ويعتبر هذا المجاهد بحق قائد المقاومة التارقية بالنيجر ضد الاستعمار الفرنسي، وقد حقق انتصارات كبيرة منها استرداده مدينة أغاديز، وشمل نشاطه الجهادي مناطق أخرى أيضًا وهي تشاد وطرابلس الغرب[1]، وحارب أيضًا الطليان في واو ومرزق وأوباري وغات، ونظرًا لشجاعته ولاَّه مُحَمَّد عابد السنوسي إدارة منطقة الجفرة[2]، وللعلم لاقت الحركة السنوسية ترحيبًا واسعًا من طرف قادة ومشايخ النيجر[3]، وتبين ذلك من خلال جهادهم معها ضد فرنسا[4].

وبعد نضال طويل قُتِل مُحَمَّد كاوصن في 01/15/ 1919م، وللأسف كان ذلك من بعض خصومه في ليبيا، وللعلم فقد ترك رسائل باللغة العربية موجهة إلى الطوارق يحثهم فيها على الجهاد، وثبت من خلالها أنه أديبٌ بارعٌ، وفقيهٌ، وعالم بالعلوم الشرعية أيضًا[5].

4-2-4- قجة بن عبد الله :

أصله من القبائل العربية في تشاد، التحق بالزوايا السنوسية وتعلم بها العلوم الدينية، وأصبح من فقهاء منطقته التي ولد فيها. وكغيره من المجاهدين قاوم الاستعمار الفرنسي رفقة العديد من الإخوان، منهم أحمد الشريف السنوسي ومُحَمَّد السني والبراني الساعدي وغيرهم، وبالنسبة لحالته العائلية فقد تزوج أرملة عبد الله طوير الذي استشهد، وذلك بطلب من أحمد الشريف السنوسي[6].

4-2-5- مُحَمَّد البراني الساعدي :

أصل الشيخ البراني الساعدي من قبيلة الزوي، وعُدَّ من كبار العلماء والفقهاء السنوسيين، لذلك عُيِّن شيخ زاوية "الشيخ" التي تقع شرق مصر في المكان الذي يحمل اسمه أي "سيدي البراني"، وهذا بعد إتمام دراسته

---

(1) - مُحَمَّد سعيد القشاط، **أعلام من الصحراء**، ط1، بيروت.لبنان، دار الملتقى للطباعة والنشر، 1997، ص ص191، 192.

(2) - Henri Duveyrier, **La confrérie musulmane de sîdi Mohammed ben Ali Essenoûsî et son domaine géographique : en l'année 1300 de l'hégire=1883 de notre ère**, op.cit, p 200.

(3) – حارب كاوصن في أغاديس بالنيجر بين عامي 1916-1917م. ينظر : Ibid, p 203.

(4) – إضافة إلى كاوصن، أيد الحركة السنوسية بالنيجر كل من فرحون زعيم طوارق الأوليندن وسلطان أغاديس. ينظر : اليونسكو، مرجع سابق، مج7، ص305.

(5) – عبد الله أطوير، مرجع سابق، د ر ص.

(6) – مُحَمَّد سعيد القشاط، **أعلام من الصحراء**، مرجع سابق، ص ص139، 140.

بالجغبوب، وبعد ذلك انتقل إلى تشاد وبنى زاوية بئر علالي سنة 1318هـ/1900م، وكان قد حارب الاستعمار الفرنسي هناك ابتداءً من سنة 1899م إلى غاية استشهاده عام 1907م في معركة عين كلكة[1].

وكان البراني قائدًا فذًّا وممثلًا على أكمل وجه للشيخ مُحَمَّد المهدي، حيث كان يلقى احترامًا كبيرًا لدى الأهالي والقبائل، كما دلت عليه رسالة من أعيان المياش إلى جنابه بتاريخ 1319هـ(1901-1902م)، جاء فيها : ((بسم الله الرحيم، الغفور، الحمد لله وحده، والبركات على نبيه الكريم. أما بعد : من خادم ربه، السلام الكامل مع أفضل العفو من طرف السادة أبو دربالة، وعلي بن علام، وعلي بن شعيب، وأبو بكر العوني، ونحن أعيان المياش. إلى سيدنا ابن سيدنا البراني، أما بعد، إننا لم ننس أننا من أناسكم وتابعيكم، ونحن دائما نطبق تعاليمكم. أرجو أن لا تسمعوا إلى كلام الناس، لأننا لازلنا مخلصين لله وإلى سيدنا المهدي وإلى جنابكم. يبدو أنكم تجهلون وضعنا، فالعهد الذي بيننا لم يتغير من جهتنا. ونذكر بأننا لم نقل بأنكم لستم سيدنا، فنحن في خدمة الله وفي خدمة سيدنا المهدي أيضا. ولن نتحرك لأي مكان لمواجهة النصارى، وهذا أمر مهم حتى تعلموا موضعنا.))[2].

4-2-6- غيث عبد الجليل سيف النصر :

هو شيخ قبيلة أولاد سليمان[3] المستقرة في كانم، تمكن من إنشاء قوة عسكرية تتألف من قبائل القذاذفة وورفلة والمغاربة والطوارق والقرعان[4]، حيث جاهد بها ضد الاستعمار الفرنسي، وذلك في عدة معارك منها معركة بئر علالي في 22 نوفمبر 1899م، وبعد نضال طويل استشهد بتاريخ 9 نوفمبر 1901م[5].

---

(1) - مُحَمَّد السعيد القشاط، **أعلام من الصحراء**، مرجع سابق، ص ص50، 51.

(2) - رسالة رقم 38. ينظر:

Jean-Louis Triaud, **Tchad 1900-1902 une guerre Franco-Libyenne oublié? Une confrérie musulmane la sanusiyya face a la France**, op.cit, p 128.

(3) - أولاد سليمان هاجروا من فزان بعد عام 1842م واستقروا في كانم شمال تشاد، وكانوا يجولون في منطقة واسعة جدًا تمتد من آير إلى أبشه، ومن بورك إلى أنيدي. ينظر: عبد الحي عبد الحق، مرجع سابق، ص ص125، 126. وأسباب الهجرة تعيين عشقر علي باشا واليًا على طرابلس سنة 1838م، حيث قام بمحاربة أولاد سليمان الذين كانوا يسيطرون على خليج سرت وفزان وهزمهم، وبعد إعدام زعيمهم عبد الجليل نزحوا إلى تشاد واستقروا هناك. ينظر : عبد الرحمن تشايجي، مرجع سابق، ص40.

(4) - حدد عمر التونسي مناطقهم وهي دار الوداي جهة الشمال، وقال بأنهم قبيلة عظيمة الأموال وكثيرة النخيل والجمال، وأضاف بأنهم أناس صغار الجسم يغلب على ألوانهم الإحمرار. ينظر : مُحَمَّد بن عمر التونسي، **رحلة إلى وداي**، تح.عبد الباقي مُحَمَّد كبير، دب، دار منكوب، دت، ص100.

(5) - علي مُحَمَّد الصلابي، **تاريخ الحركة السَّنُوسيَّة في أفريقيا**، مرجع سابق، ص ص229، 230.

والجدير بالإشارة، وقفنا على رسالة هامة – في كتاب تريو – مختومة ومؤرخة في 23 شعبان سنة 1319هـ/5 ديسمبر 1901م[1]، كُتبت بخط مغربي، بعثها الشيخ مُحَمَّد المهدي السنوسي إلى الشيخ أحمد بن عبد الجليل، ترحم فيها على المرحوم ووصفه بالشهيد، ومن خلال محتوى الرسالة عرفنا بأنها جواب على كتاب سابق، وأكد خلالها الشيخ مُحَمَّد المهدي السنوسي على ضرورة التنسيق مع الشيخ البراني، كما أوصى خيرا بالطوارق[2].

4-2-7- مُحَمَّد بوعقيلة :

ينتمي بوعقيلة إلى قبيلة الزوي، وقال الصلابي بأن أحمد الشريف عينه قائدًا لحصن علالي بدلًا من البراني الساعدي، ولا ندري السبب، وجاهد ضد الاستعمار الفرنسي إلى أن استُشهد يوم 5 ديسمبر 1902م[3].

4-2-8- كيلاني الأطيوش المغربي :

شيخ قبيلة المغاربة في برقة، اشتهر بتمويله ماليًا للجهاد السنوسي في شمال تشاد، وكانت له مكانة سياسية هامة ومرموقة، حيث عينه الأتراك كقائمقام على الكفرة[4].

4-2-9- عابدين الكنتي :

هو عابدين بن مُحَمَّد الكنتي، وحسب المؤرخ مُحَمَّد علي الصلابي ينحدر أصله من أسرة عربية يصل نسبها إلى عقبة بن نافع الفهري[5]، وأضاف بأنه ورث المشيخة عن أبيه وكان محل تقدير واحترام طوارق الجزائر لعلمه ونسبه الشريف[6]، ونلاحظ هنا أن الصلابي التبس عليه الأمر[7]، وحسب الصلابي -دائمًا- فقد تلقى القائد عابدين

---

[1]- Jean-Louis Triaud, **Tchad 1900-1902 une guerre Franco-Libyenne oublié? Une confrérie musulmane la sanusiyya face a la France**, op.cit, snp.

[2]- Ibid, snp.

[3] – مُحَمَّد علي الصلابي، **تَاريخ الحرَكَة السَّنُوسيَّة في أفريقيا**، مرجع سابق، ص230.

[4] – نفسه، ص231.

[5] – نفسه، ص231.

[6] – نفسه، ص231.

[7] – يناقض الصلابي نفسه؛ من جهة يقول أن عابدين الكنتي نسبه شريف، ومن جهة أخرى يقول أن أصله ينحدر من عقبة بن نافع الذي ليس من أهل البيت. ينظر : نفسه، ص231.

الكنتي عن الشيخ مُحَمَّد المهدي الانتساب إلى الطريقة السنوسية، وأصبح مقدمًا لها في منطقة تينبكتو[كذا][1]، ولم نعرف طريقة الانتساب تلك إن كانت بالبيعة والعهد على غرار الطرق الصوفية أم بغيرها. وتعيين عابدين الكنتي مقدمًا للسنوسية دون وجود زاوية هناك –حسب علمنا– يجعلنا في حيرة، والأغرب من ذلك أن قبيلة كنته تتبع الطريقة القادرية بامتياز، وهي التي نشرتها في شمال مالي منها تمبوكتو[2] أو ما يعرف بِ : "أزواد"، والأرجح أن عابدين الكنتي نسّق جهاده مع السنوسية لمحاربة فرنسا العدو المشترك.

وعن بسالة عابدين الكنتي، ذكر الصلابي أنه بدأ الجهاد سنة 1982[كذا] إلى غاية 1917م في مالي وجنوب الجزائر، وقد تحالف مع الخليفة ولد مُحَمَّد، واتصل بالحركة السنوسية في الكفرة، وسبَّب صعوبات جمة لفرنسا حتى قال العقيد كلوب عند مغادرته تينبكتو[كذا] عام 1899م: « الموت وحده الذي سينقذنا من عابدين »[3].

4–2–10– الشيخ إبراهيم المجروح :

أصل الشيخ المجروح من سوكنة بمحافظة طرابلس، يعد من أبرز الإخوان الذين نشروا الطريقة السنوسية في إقليم كوار، وكان ذلك سنة 1860م، وتشير دراسة أن أول أسود[كذا] لقنه الطريقة السنوسية في بيرني هو الإمام مصطفى، الذي عينه مقدمًا، وكلّفه بتلقين الورد في إقليم داماغاريم[4].

وكان لهذا المرابط أي الشيخ المجروح دور بارز في نشر الإسلام وتوطيد دعائمه هناك، وساعده على ذلك تقربه من السلطان نانيمو طيلة عامين كاملين، وعندما قدم إلى زندر توفي بها[5].

4–2–11– أبو القاسم بن مُحَمَّد التواتي الليبي :

ولد أبو القاسم التواتي الليبي في واحات الكفرة، ونشأ بها وحفظ القرآن، وتلقى عن والده عدد من كتب الفقه والنحو، وكان جده ووالده جزائريان أصلًا، وليبيان إقامةً ووفاةً : فالأول صحب الشيخ مُحَمَّد بن علي

---

(1) – علي مُحَمَّد الصلابي، **تَاريخ الحرَكَة السَّنُوسيَّة في أفريقيا**، مرجع سابق، ص231.

(2) – ينظر : الملحق رقم 13، ص418.

(3) – علي مُحَمَّد الصلابي، **تَاريخ الحرَكَة السَّنُوسيَّة في أفريقيا**، مرجع سابق، ص ص231، 232.

(4) – بول مارتي، مرجع سابق، ص86.

(5) – نفسه، ص86.

السنوسي، والثاني صحب السيد مُحَمَّد المهدي السنوسي[1]. وتربى أبو القاسم في حجر السادة السنوسية، ويمكن أن نميز فترتين مختلفتين من حياته : الأولى عاشها في ليبيا، والثانية في السودان، حيث هاجر إلى هناك بعد وفاة أبيه، وتزامن هذا مع الاحتلال الإيطالي، وقد عُيّن إمامًا للصلاة بالزاوية السنوسية في الفاشر بإشارة من شيخه مُحَمَّد إدريس السنوسي، وبعدها رجع إلى تشاد واستقر في فايا لمدة سبعة عشرة عامًا، تولى فيها الإفتاء وحل مشاكل الأهالي في الدماء والمواريث[2].

ويعتبر أبو القاسم علاّمة وأديبًا، وله عدة مؤلفات منها كتاب "مرجع المشكلات"، وهو شرح نظم نوازل العلامة عبد الله العلوي الشنقيطي (ت1230هـ)[3].

4-2-12- المعلم مُحَمَّد موسى :

ليس لدينا معلومات كثيرة عنه، غير أنه من الإخوان السنوسيين في بيلما، وتشير دراسة أن نفوذه السياسي كان محدودًا[4].

4-2-13- سيدي موسى :

من الإخوان السنوسيين في بيلما، وعلى عكس سلفه فقد كان له نفوذ سياسي كبير، ورغم ذلك لم نقف في المصادر على معلومات كثيرة بشأنه، ونشير إلى أن نفس الدراسة السالفة أقرت بأنه كان متعصبًا[5]، ويلاحظ تشابه الاسمين وورودهما في مدينة واحدة، مما يجعلنا في حيرة !

والجدير بالإشارة أن الإخوان – سواء في شمال أفريقيا أو جنوب صحرائها – تعرضوا كثيرًا لضغط الاستعمار الأوروبي لأهداف سياسية مغرضة، وفي هذا الإطار كانت الدعاية الفرنسية نشطة جدًا هدفها الأساسي تأليب الرأي العام الدولي ضد السنوسية، وجعلها حجة للتدخل والقضاء على المقاومة في الجنوب الجزائري، وفي هذه الأثناء كانت فرنسا تشن حربًا شعواء ضد السنوسية التي وقفت بكل شجاعة ضد التوسع الفرنسي في الصحراء

---

(1) – أبو القاسم بن مُحَمَّد، **مرجع المشكلات في الاعتقادات والعبادات والمعاملات والجنايات على مذهب الإمام مالك رضي الله عنه**، طرابلس.ليبيا، مكتبة النجاح، دت، ص ص8، 9.

(2) – أبو القاسم بن مُحَمَّد، مرجع سابق، ص ص8، 9.

(3) – نفسه، ص ص8، 9.

(4) – بول مارتي، مرجع سابق، ص42.

(5) – نفسه، ص42.

الإفريقية، لذلك اتهم دوفيري السنوسية باتهامات خيالية[1]، وسار على منواله كثيرون مثل السياسي الفرنسي المعروف المسيو هانوتو الذي ربط كل الدسائس في أفريقيا الجنوبية بها[2].

وما يمكن ملاحظته أن الحركة السنوسية ازدادت قوة واشتد ساعدها، لاسيما زمن المهدي الذي كسب ود كثير من ملوك وأمراء وزعماء العالم العربي والإسلامي، ومن بين من اتصل بهم –إضافة إلى السلطان عبد الحميد الثاني– خديوي مصر إسماعيل باشا، وشريف مكة، وأمراء المغرب، وشخصيات أدبية وسياسية مثل أحمد عرابي باشا وعلماء الحرمين الشريفين[3]، وكاتبته القبائل السودانية وسلاطينها بالسودان الفرنسي[4].

ونستخلص مما سبق أن الحركة السنوسية أصبحت معروفة في عدة آماكن رغم حداثة تأسيسها، وقد تمكنت من فرض نفسها كطريقة إصلاحية، وجَمْع الإخوان من عدة أماكن في العالم الإسلامي، مشرقًا ومغربًا[5] وجنوبًا أيضًا، وسنتطرق إلى أبرز نشاطاتها الثقافية من تعليم، ونشاط دعوي، وتصوف، وغير ذلك، وهذا من خلال الفصل الموالي، أي الفصل الثالث الموسوم بِ : " الدور الثقافي للحركة السنوسية وأبعاده الدينية والفكرية والاجتماعية ".

---

(1) – علي مُحَمَّد الصلابي، **تَاريخ الحرَكَة السَّنُوسيَّة في أفريقيا**، مرجع سابق، ص183.

(2) – مُحَمَّد الطيب الأشهب، **السنوسي الكبير عرض وتحليل لدعامة حركة الإصلاح السنوسي**، مرجع سابق، ص44.

(3) – مُحَمَّد الطيب الأشهب، **برقة العربية أمس واليوم**، مرجع سابق، ص206.

(4) – بالغ الأشهب حينما قال أن سلاطين السودان الفرنسي أخبروا المهدي بأنهم ينتسبون إلى الجمعية السنوسية. ينظر : نفسه، ص206.

(5) – للسنوسية أتباع في تطوان، لكنهم يتكتمون خوفًا من فرنسا (الحكومة الأجنبية) التي كانت شديدة الوطأة على الطريقة السنوسية. ينظر : زيد الخير، مرجع سابق، مج15، ص537.

الفصل الثالث : الدور الثقافي للحركة السنوسية وأبعاده الدينية والفكرية والاجتماعية

التعليم :

العلوم والفنون :

ضرب الأمثال والحكم وسرد القصص :

نشر الطريقة السنوسية :

الدعوة والإرشاد :

نشاط السنوسية في ميدان التصوف :

الاحتفالات بالأعياد ومختلف المناسبات الدينية :

دور الحركة السنوسية في القضاء والإفتاء :

الاجتهاد :

تمثل الزوايا السنوسية وحدة متكاملة تؤدي عدة وظائف : دينية، وعلمية، وصحية، واجتماعية، وغيرها، لذلك عادة ما تشمل كل زاوية على مدرسة علمية ودينية، ومكتب ابتدائي، ودار للأيتام، وبيت للعجزة، ومستشفى للمرضى[1]، ومنزل خاص للشيخ وآخر لنائبه والمعلم، وجناح خاص بالضيوف، ومسجد، ومدرسة قرآنية، وجناح للخدم، ومستودعات لخزن التموينات، وإسطبل، وحوانيت تجارية، وغرفة خاصة للفقراء من الزوار، وبالجوار مساكن الأغنياء الفصلية وبساتين ومقبرة خاصة[2]، وإذا نظرنا إلى تلك المرافق فإن الزاوية السنوسية تشكل عندئذ مدينة صغيرة متكاملة لها عدة تخصصات ووظائف، جرت العادة أن تقوم بها الدولة، وقد وفَّق شكري إلى حد كبير عندما أطلق على السنوسية مصطلح "دين ودولة". لقد تنوعت نشاطات الحركة السنوسية وتداخلت أيضًا، وقد شهد بذلك الأشهب قائلًا : « فهناك من جزئيات هذه الحركة المباركة النواحي الدينية، والعلمية والاجتماعية، والسياسية والإصلاحية، والفكرية والصوفية ... »[3]، وعليه يصعب الفصل بين نشاطاتها ومهامها لأنها مترابطة فيما بينها، وكل واحد يؤثر على الآخر، وسنستعرض في هذا الفصل نشاطاتها الثقافية بالتفصيل، وتكون البداية من التعليم :

1- التعليم :

تولي الحركة السنوسية اهتمامًا كبيرًا للتعليم، والذي نعتقد أنه من بين الدوافع الرئيسية لنشأتها، وتوخينا في هذه الدراسة أن نبدأ بالمؤسسات الإبتدائية، ثم أعقبناها بالدراسة في الجغبوب باعتبارها مرحلة ذات مستوى أعلى.

1-1- مراحل التعليم :

1-1-1- المرحلة الإبتدائية :

أولًا : الكتاتيب[4]، وهي مؤسسات تعليمية تقوم بتربية صغار المتعلمين، مفردها "كُتَّاب" وسُمي بهذا الاسم لأن الطفل يتعلم فيه الكتابة والقراءة، ويكون ذلك عادة إما في صحن المسجد أو بجواره أو في أماكن مجاورة أو حتى في بعض المنازل، لأنه لا يجوز تعليم الأطفال في المسجد، لأن النبي ﷺ أمر بتنزيهه من الصبيان والمجانين لأنهم لا يتحرزون من النجاسة[5]. ثانيًا : المدرسة القرآنية، وهي مدرسة مخصصة للتعليم الابتدائي تقوم بتحفيظ القرآن

---

(1) - علي الجميل الموصلي، مرجع سابق، ص18.

(2) – نيكولاي إيليتش بروشين، مرجع سابق، ص ص74، 75.

(3) – مُحَمَّد الطيب الأشهب، **السنوسي الكبير عرض وتحليل لدعامة حركة الإصلاح السنوسي**، مرجع سابق، ص6.

(4) – الكُتَّابُ : موضع تَعْلِيم الكُتَّابِ، والجمع الكتاتيب والمكَاتِبُ ... ينظر : ابن منظور، مرجع سابق، ج1، ص698.

(5) – الطيب مُحَمَّد الطيب، **المسيد**، الخرطوم.السودان، دار عزة للنشر والتوزيع، 2005، ص391.

الكريم للأطفال[1]، وتعليمهم اللغة العربية، وقواعد الإسلام كالوضوء والصلاة، غير أنه لا يمكن فصل المدرسة عن أصلها وهي الزاوية أو المسجد(الجامع)، لأنها في كثير من الأحيان تكون تابعة لأحدهما أو كليهما معًا إما بناءً أو وقفًا أو إدارةً، لذلك غالبًا ما يُعين معلم المدرسة القرآنية من طرف شيخ الزاوية أو إمام المسجد. وعلى سبيل المثال، تعد المدرسة القرآنية بأجدابيا[2] من طليعة الكتاتيب التي أنشاها الإمام السنوسي والتي حافظت على الهوية الثقافية لليبيا زمن الاحتلال الإيطالي[3]، ورغم تخريبها إلّا أن الأمير إدريس طورها على الطراز الحديث، وكان ينوي أن يأتي لها بأساتذة من الخارج، وقد وضع لها حجر الأساس في محفل كبير ضم العديد من رجال السلطة والأعيان، وألقيت يوم ذاك الخطب والقصائد، وبعدها جلب الأدوات المدرسية والكتب وسجل أسماء التلاميذ[4].

ثالثًا : المسيد، ويقوم مقام المدرسة العصرية، وقد عرفت الحركة السنوسية هذا النمط من التعليم في عدة مناطق من أفريقيا، وكلمة "المسيد" تطلق على المكان الذي يجمع مدرسة القرآن والمصلى والسكن، وهي كلمة مستعملة في عدة دول إسلامية مثل الحجاز والمغرب والسودان[5]، ويعتقد المؤرخ سعد الله أن اسمه محرف من تصغير كلمة مسجد[6]. رابعًا : الخلاوي، وينتشر هذا المصطلح بالخصوص في أفريقيا جنوب الصحراء كالسودان وتشاد، ويقصد به مدرسة قرآنية، والخلاوي جمع خلوة ولا يقصد بها بمعنى العزلة والتعبد كما ورد مثلًا في الرسالة القشيرية[7]، وإنما هي مدرسة لها دور تربوي محض، وأحيانًا يطلق مصطلح "خلوة" على مساكن مخصصة للطلبة الغرباء[8]، والخلاوي نوعان يختلفان حسب السن والمستوى : النوع الأول، يطلق على الكتاتيب المخصصة لتعليم الأطفال الصغار، أما النوع الثاني خاص بالمدارس القرآنية المخصصة للبالغين، والتي عادة ما تُبنى بجوار الزاوية بشكل غرف للدراسة وأخرى للمبيت، وغيرها، حيث يستفيد الطلبة القادمين من بعيد من نظام داخلي.

---

(1) – حفظ القرآن الكريم برواية نافع المدني مثل ما حفظه الشيخ السنوسي أيضًا. ينظر : يونس علي بالقاسم السنوسي، مرجع سابق، ص ص133، 134.

(2) – أصبحت أجدابيا عاصمة الإمارة السنوسية. ينظر : مُحَمَّد الطيب الأشهب، **برقة العربية أمس واليوم**، مرجع سابق، ص51.

(3) – أقفل الطليان المسجد السنوسي، وهدَّموا مسجد الإمام سحنون. ينظر : نفسه، ص50.

(4) – نفسه، ص ص364، 365.

(5) – الطيب مُحَمَّد الطيب، مرجع سابق، ص ص74، 75.

(6) – أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي من القرن العاشر إلى الرابع عشر الهجري (16–20م)**، مرجع سابق، ج1 ص277.

(7) – أبو القاسم عبد الكريم القشيري، **الرسالة القشيرية في علم التصوف**، تح.هاني الحاج، دب، المكتبة التوفيقية، دب، ص176.

(8) – يونس علي بالقاسم السنوسي، مرجع سابق، ص202.

ومهما اختلفت التسميات لتلك المؤسسات، فإنها كانت كثيرة تابعة للوقف السنوسي، وهدفها واحد وهو التعليم وحفظ القرآن الكريم وغيرها، لذلك يصعب التفريق بين المدارس القرآنية والكتاتيب والخلاوي، لأن لها مدلول واحد، فمثلًا الكُتَّاب هو نفسه المسيد[1]، كما أن الجامع هو نفسه المسجد وغير ذلك، وأحيانا لا يمكن التمييز حتى بين الزاوية والجامع والمدرسة والكتاتيب لوجودها في حيز جغرافي واحد، وتابعة لنفس الوقف.

وما يلاحظ، أن أطفال السنوسية كغيرهم من النشء المسلم يتعلمون بأسلوب وأدوات تقليدية وهي :

بالنسبة للأدوات تتمثل في اللوح[2]، حيث يكتب عليها الطفل في البداية الحروف الهجائية بمساعدة الشيخ أو المعلم[3]، ثم السور الصغيرة إلى أن يصبح متمكنًا من القراءة والكتابة. وتعد اللوحة الطريقة المثلى للحفظ عند الصغار والكبار على السواء، وعادة ما يُخصص مكانًا لمحو كتابة اللوح يسمى "المحاية"، وجرت العادة أن بعض الأطفال يستعملون الجير أو الطين لتجفيف اللوح[4]، فيصبح ألمسا جاهزا للكتابة عليه مرة أخرى، وسهلًا أيضًا في محوه، ولا يقوم الطالب بمحو لوحته إلا بعد أن يأمره الشيخ، وعادة ما يكون ذلك في المساء بعد "العرض" أي الحفظ. ويُستعمل القلم في الكتابة، ويصنع عادة من القصب[5] التي يبريها الطالب بعناية ودقة، ومن أبرز الوسائل أيضًا الدواة، وهي عبارة عن زجاجة صغيرة بها المداد أي الحبر الذي يستعمل في الكتابة وعادة يكون لونه أسودًا، ويُحضر بطريقة تقليدية، وأصله من "الصمغ"[6].

وبالنسبة إلى الأسلوب، يرتكز عادة على تعلم الحروف بطريقة الإملاء، وهو أسلوب سمعي فقط يقوم الشيخ بإملاء الحروف الهجائية على الطلاب الذين بدورهم يكررونها بصفة جماعية مستعملين نغمة جميلة، وهو أسلوب

---

(1) - أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي من القرن العاشر إلى الرابع عشر الهجري (16-20م)**، مرجع سابق، ج1، ص ص276، 277.

(2) – قطعة خشبية، تصنع عادة من خشب الزيتون أو الأثل أو الطلح. ينظر : يونس علي بالقاسم السنوسي، مرجع سابق، ص200.

(3) – يكتب المعلم (الفقيه)على لوح مطلى بالطين، فيتبع الطالب الأثر، ثم ينتقل إلى مرحلة الإملاء، وفيها يتعلم الرسم القرآني وقواعده مثل الألف الممدود والمحذوف والضاد المشالة وغير ذلك. ينظر : نفسه، ص132.

(4) – تُعرض أيضًا للشمس لتجف. ينظر : نفسه، ص201.

(5) – يُصنع القلم عادة من سيقان نبات البوص الذي يطلق عليه القصبة. ينظر : نفسه، ص201.

(6) – ذكر سعد الله أن مداد الكتابة هو السمغ[كذا] الأسود المستخرج من صوف الضأن والمصبوب بعد حرقه في الدواة. ينظر: أبو القاسم سعد الله، تاريخ **الجزائر الثقافي من القرن العاشر إلى الرابع عشر الهجري (16-20م)**، مرجع سابق، ج1، ص344.

محبب لدى الأطفال، والهدف من وراء ذلك التمييز بين الحروف المعجمة أي ذات النقط والحروف المهملة أي بغير نقط، وتتم بهذه الطريقة المشوقة كما يلي : " ألف لا شيء عليه، والباء نقطة من تحت، والتاء اثنان من فوق ... إلخ"، ثم تأتي مرحلة أخرى وهي تعلم الشكل أي النصب والرفع والخفض والنصب والجزم، ودائمًا بنفس الطريقة أي الإملاء ثم التكرار جماعيًا، مثلًا : بَ نصب، بُ رفع ... إلخ، ثم تأتي مرحلة أخرى وهي تعلم الشدة مع الحركات ودائما بنفس الأسلوب أي الإملاء والتكرار الجماعي بنغمة جميلة، فمثلًا : تَّ تُنطق : التاء الشدة والفتحة، تُّ تُنطق : التوء الشدة والرفعة ... إلخ، وتسمى طريقة التعلم هذه في ليبيا باسم " الرشيمة"[1].

ويستعمل الشيخ عادة عصى طويلة ينبه بها الأطفال الكسالى الجالسين في أماكن بعيدة عنه، ويحثهم على تكرار الحروف مع زملائهم، وأحيانا يضطر إلى معاقبة الطلاب المشاغبين أو المهملين أو المتغيبين دون عذر أو غيرها من الأسباب، وذلك باستعمال "الفلقة"؛ وهي الضرب على الرجلين مربوطتين بحبل مشدود بعصا[2]، ويبدو أن هذه الطريقة شائعة في أغلب الدول العربية والإسلامية كالجزائر، كما أشار إلى ذلك المؤرخ أبو القاسم سعد الله[3].

يبدأ التعليم في سن مبكرة، فعندما يبلغ الطفل حوالي أربع سنوات تعطى له لوحة، ثم يذهب إلى المحضرة الموجودة في إحدى الزوايا السنوسية، ويبدأ بتعلم البسملة والحروف الهجائية وسورة الفاتحة التي يخطها له معلمه، وعندما يحفظها يخط له سُوَرًا غيرها، وهكذا دواليك، وفي هذه المرحلة يحفظ الطفل بعض المتون[4] والمنظومات[5]، ويتعرف أيضًا على بعض الكتب الخاصة بالقرآن الكريم[6].

---

[1] - أسلوب دراسة في الكتاتيب، يقوم على تعليم الطلاب وتلقينهم حروف اللغة العربية، فتحفظ بحركاتها ورسمها وطريقة كتابتها. ينظر : مسعود عبد الله مسعود، "**ملامح الحياة الفكرية والثقافية في ليبيا أواخر الحكم العثماني حتى الاحتلال الإيطالي سنة 1911**"، المجلة الجامعة، مج3.ع15، 2013، ص120.

[2] – الطيب مُحَمَّد الطيب، مرجع سابق، ص390.

[3] - أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي من القرن العاشر إلى الرابع عشر الهجري (16–20م)**، مرجع سابق، ج1، ص345.

[4] – مثل متن ابن عاشر، والأجرومية في النحو والصرف، والرسالة في الفقه، وألفية بن مالك في النحو، وغيرها. ينظر : يونس علي بالقاسم السنوسي، مرجع سابق، ص135.

[5] – يتعلم الطفل منظومة الجكاني : وهي منظومة في الألفاظ المحذوفة، أي في الرسم القرآني، ويتعلم أيضًا منظومة الدنفاسي : وهي منظومة في المتشابه اللفظي في القرآن. ينظر : نفسه، ص132.

[6] – نفسه، ص133.

وينتقل الطفل إلى مرحلة أخرى ذات مستوى أعلى عندما يصبح شابًا، وغالبًا ما ينخرط في سلك مريدي السنوسية بعد أن يدرس عدة علوم سماها البعض بِ : "علوم المادة الصغرى"[1]، ولم يوضح المؤرخون مضمونها لكن مقارنة بسن الأطفال في هذه المرحلة فالأرجح أن المقصود بها العلوم الإبتدائية، مثل اللغة العربية وآدابها كالنحو والصرف والعروض، ومبادئ الوضوء والصلاة، والحساب، وفي مرحلة أخيرة إن أراد المتعلم الاستزادة من العلوم وتقوية معارفه ومستواه، يشد الرحال إلى الجغبوب وهذا بالنسبة للطلبة غير المقيمين، أما بالنسبة للأطفال المقيمين يدرسون المرحلة الإبتدائية في كتاتيب عبارة عن أقسام من زاوية الجغبوب نفسها.

1-1-2- التعليم في معهد الجغبوب :

يعد الجغبوب بمثابة مرحلة التعليم العالي، وقد وصفه دوفيري بالجامعة[2]، وهو عبارة عن معهد ديني يستقبل الطلبة[3] من جميع أنحاء العالم للدراسة تحت إشراف شيخ الطريقة السنوسية. والمعهد لا يقع ضمن المبنى العام للجغبوب بل يوجد بجوار الجامع، وحسب مخطط إنشائه يُلاحظ أنه أُعِدَّ خصيصا ليكون معهدًا كبيرًا، وصرحًا علميًا ودينيًا شامخًا على غرار الأزهر، حيث وصفه دي كاندول كما يلي : "... وصحن الجامع عبارة عن فناء فسيح تتخلله الأقواس في وسطه صهريج حجري مربع لماء الوضوء. وفي أقصاه باب من خشب الأبنوس رائع النقش يؤدي إلى داخل المسجد، وهو مبنى جيد التهوية يتألف من مجموعة من أروقة ... وهناك باب آخر يفضي من المسجد إلى خلوة داخلية ..."[4]. ومساحة المعهد مستطيلة الشكل[5]، سقفها مسطح ونوافذها مقوسة، وعلى امتداد جدرانها تجاويف معدة لوضع كتب الطلاب، وتوجد فيها مداخل صغيرة مقوسة أيضا وإلى جوارها توجد مواقد مستعملة لطبخ الطعام، ومن تلك المداخل تصعد سلالم حجرية متعرجة تؤدي إلى غرف النوم في الطابق العلوي، أما الفناء المجاور يحيط بمبنى المكتبة الشهيرة[6]، وحسب هذا الوصف نتأكد بأن النظام التعليم في معهد الجغبوب كان داخليًا يضم الطلاب القادمين من مناطق بعيدة. والدراسة تبدأ من صلاة الفجر إلى غاية

---

(1) – علي الجميل الموصلي، مرجع سابق، ص ص20، 21.

(2) - Henri Duveyrier, **La confrérie musulmane de sîdi Mohammed ben 'Ali Essenoûsî et son domaine géographique: en l'année 1300 de l'hégire=1883 de notre ère**, op.cit, p 21.

(3) – بلغ عددهم سبعمائة وخمسين طالبًا. ينظر : Ibid, p 21.

(4) – إيريك آمار فولي دي كاندول، مرجع سابق، ص4.

(5) – ينظر : الملحق رقم 10، ص415.

(6) – إيريك آمار فولي دي كاندول، مرجع سابق، ص5.

صلاة الظهر[1]، وتُستأنف بعد صلاة العصر إلى غاية صلاة المغرب، وعلى مدار العام، ولا تتوقف إلا في العطل الدينية كعطلة العيدين وهي ثلاثة أيام لكل واحدة، وعطلة المولد النبوي الشريف[2].

1-2- الأساتذة :

هم طبقة العلماء التي تُلْقي الدروس في معهد الجغبوب، وغالبا ما يمثلون الهيئة الاستشارية التي تعرف بِ : "مجلس الإخوان" المقرب جدًّا من الشيخ السنوسي، ويذكر المؤرخون أن الأساتذة لم يكونوا ذا تخصص واحد، بل كانوا متنوعين، حيث نجد منهم الفقيه والمُحَدَّث والشاعر والمفسر والنحوي، إضافة إلى الحرفي والصناعي، وغير ذلك، وبعضهم متعددي التخصص أي جامع لأكثر من علم. والجدير بالملاحظة أن أغلب الأساتذة هم من كبار الإخوان وشيوخ الزوايا، وعددهم كبير جدًّا كما قال الأشهب : « أساتذة الجغبوب كثيرون لا تعي الذاكرة أسماءهم ولا يتسع الكتاب لذكرهم »[3]، ورغم ذلك ذكر أبرزهم وهم : الشيخ عمران بن بركة الفيتوري، وأحمد الريفي، وفالح الظاهري، وأحمد التواتي، وعبد الرحيم المغبوب، وأبو سيف مقرب حدوث البرعصي، ومُحَمَّد بن الشفيع، ومُحَمَّد الشنقيطي، وحسن البسكري، ومُحَمَّد مصطفى المدني، ومُحَمَّد الصادق الطائفي، وأحمد الطائفي، وحسن الموهوب الدرسي. وكان الإمام السنوسي يشرف عليهم بنفسه ويدرس الطبقة العليا من العلماء، أمّا الأساتذة زمن المهدي هم : مُحَمَّد بن أحمد التواتي، وأحمد الشنقيطي، وأحمد العيساوي، وأحمد بن إدريس الأشهب، وعلي المحبوب، وسلمان الحوتي، والمختار الغدامسي، ومُحَمَّد العيساوي، وآدم الفزاني، وصالح الساعدي، ومُحَمَّد السني، وهؤلاء جميعا كان يشرف عليهم مُحَمَّد الشريف ويدرسهم أيضًا[4]. ويمكن أن نضيف إلى ما سبق مشايخ تخصصوا في تحفيظ القرآن الكريم في المرحلة الإبتدائية بالجغبوب وأبرزهم : الشيخ العربي الفاسي، والشيخ مُحَمَّد زويلة الفزاني، والشيخ مُحَمَّد الزروالي المغربي، والشيخ مُحَمَّد التلمساني[5].

وكما نلاحظ، فقد كان مُحَمَّد الشريف أحد أعمدة معهد الجغبوب الأساسية ، وأحد كبار أساتذته، لذلك أدرجنا له ترجمة خاصة، تبرز دوره العلمي المتميز :

---

[1] – يُؤذن للطلبة بالإنصراف من أجل تناول الغذاء وأخذ قسطًا من الراحة. ينظر : يونس علي بالقاسم السنوسي، مرجع سابق، ص204.

[2] – نفسه، ص204.

[3] – مُحَمَّد الطيب الأشهب، **برقة العربية أمس واليوم**، مرجع سابق، ص193.

[4] – نفسه، ص193.

[5] – نفسه، ص137.

مُحَمَّد الشريف هو الشقيق الأصغر لمحمد المهدي، تلقى العلم مبكرًا، إذ لما تجاوز السادسة من عمره أُدخل الكُتَّاب ليتعلم القرآن الكريم في درنة قبل سفره إلى الحجاز[1]، وبعدها أصبح مساعدًا لأخيه ومستشاره الأول، وتلقى العلم عن السيدين عمران بن بركة وأحمد الريفي، وأصبح عالما في الحديث والتفسير والتصوف واللغة وغيرها، واشتغل مدرسا في الجغبوب وكان أحد أعمدتها الأساسية، وقد تخرج على يديه الكثير من الطلاب. وعن تواضعه وعبقريته ونبوغه قال الأشهب نقلًا عن والده السيد أحمد بد[كذا] ادريس : « ... كنا نحضر على السيد الشريف وكنا ندرس عنه الحديث والتفسير والتصوف ومطولات كتب اللغة فكان يجلس بكل تواضع ويضع الكراس الذي بيده فوق منضدة من الخشب توضع أمامه ويقرر ما نحن بصدده وعندما نمر بمشكلة فقهية أو تاريخية أو لغوية يسرد لنا ﷺ من ذاكرته جميع وجوهها وما ورد فيها من أقوال العلماء أو الأئمة المصنفين بأسلوب عذب ساحر خلاب ولا يترك قولا ورد فيها الا وياتي[كذا] به ثم يوضح الأصح من الاقوال والمتفق عليه وعندما نقف على أي بيت من الشعر في أي كتاب نقرأه أو في أى[كذا] موضوع نتناوله يقول لنا ان[كذا] هذا البيت هو من قول فلان المولود سنة كذا في مناسبة كذا ويبتدئ في قراءة القصيدة من ذاكرته الى[كذا] أن يقف على البيت الذي كان السبب في اعلامنا[كذا] ... »[2].

ورغم ما يشاع من عدم اهتمام الدولة العثمانية بالتعليم والثقافة، إلا أننا سجلنا بعض من دورها المادي، حيث ثبت أنها كانت تدعم التعليم في بعض الزوايا السنوسية وذلك بتسجيل الأساتذة لدى وزارة التعليم العثمانية باسطنبول، وتتكفل بصرف رواتبهم وضمان معاشهم أيضًا، وهذا ما وقفنا عليه في وثيقة من الأرشيف العثماني باسطنبول، وهي عبارة عن تقرير من مجلس لواء بنغازي إلى وزارة التعليم العثمانية عام 1897م تضمن دفع راتب أحد أساتذة الجغبوب وشيخ زاوية بنغازي وتخصيص معاش لأستاذ آخر[3].

لقد كونت الحركة السنوسية عدة أساتذة تناوبوا على التدريس في معهد الجغبوب، وتخرج على أيديهم عدة طلاب كوَّنوا جيلًا مثقفًا، وعلماء وأدباء، ونخبة تشبعت بالقيم الإسلامية، يشهد لها التاريخ أنها حملت مشعل النهضة في ليبيا لعقود من الزمن[4].

---

(1) – مُحَمَّد الطيب الأشهب، **برقة العربية أمس واليوم**، مرجع سابق، ص228.

(2) – نفسه، ص229.

(3) – ينظر : الملحق رقم 16، ص421.

(4) – رغم ما قامت به الحركة السنوسية من جهود جبارة في نشر العلم في ليبيا، إلا أن الحشائشي الذي زار البلاد عام 1895م أكد أن غالبية السكان لا يعرفون القراءة والكتابة إلا بعض أهل المدن والقرى. ينظر : مُحَمَّد بن عثمان الحشائشي، مرجع سابق، ص 210.

1-3- الطلاب :

يعتبر معهد الجغبوب بمثابة الجامعة يقصده الطلاب من مختلف مناطق العالم الإسلامي، فبعد أن يدرس التلميذ في المراحل الإبتدائية كالكتاتيب والمدارس القرآنية، يتدرج إلى مراتب أعلى إلى أن يصل إلى التخصصات في الدراسات العليا، وقد بلغ عدد التلاميذ عند عودة السنوسي نهائيا إلى برقة سبعون تلميذًا[1]، والأرجح أن يكونوا هم من شغلوا مقاعد الدراسة الأولى بالجغبوب، أمَّا زمن المهدي ازداد العدد وبلغ ثلاثمائة طالبًا[2]، ويبدو أن هذا كان في الأعوام الأولى لحكمه لأن العدد تضاعف بعد ذلك، حيث وصل - حسب إحصائيات المؤرخين - إلى نحو خمسة آلاف سنة 1897م منهم ألفين في المعهد العالي بالجغبوب، ثم ارتفع العدد بشكل كبير جدا ليصل إلى خمسة عشرة ألف عام 1900م[3]، ويبدو أن هذه الأرقام غير واقعية ومبالغ فيها لأن حجم معهد الجغبوب لا يتسع لهذه الأعداد الهائلة من الطلبة في موسم دراسي واحد، إلا إذا كانت هذه الأرقام هي حاصل مجموع الطلبة منذ تأسيس المعهد، وهذا مستبعد بدليل أن الحشائشي زار الجغبوب في نهاية القرن 19م وأحصى عدد الإخوان والطلبة معًا بحوالي ثلاثمائة شخص فقط كما أسلفنا من قبل، ونشير إلى أن عدد الطلبة تناقص بشكل كبير بعد الاحتلال الإيطالي[4]. والجدير بالملاحظة أن التعليم لم يقتصر على الطلبة الذكور، بل شمل الإناث أيضًا، ويتم تعليمهن بمعزل عن الذكور، حيث تخصص لهن حجرات خاصة، وعادة ما يحفظن القرآن الكريم، وقد اقتصر تعليم الفتيات على بنات الجغبوب فقط، نظرًا لصعوبة ووعورة الوصول إلى المناطق الأخرى[5].

وتتكفل الأوقاف السنوسية[6] بكل متطلبات الطلبة من مأكل وملبس ومبيت وغيرها، فقد وصف الأشهب الوجبات الغذائية كما يلي : بالنسبة للأكل، تتكون حصة الطالب اليومية من التمر والكشك وهو اللبن المجفف أو من الزميتة أي البسيسة المعجونة بالزيت في وجبة الفطور، والخبز مع طبق من حساء العدس أو الفول أو الحريرة في وجبة الغذاء، ويقدم الشاي في العشاء، أما اللحم يقدم يوم الجمعة وفي الحالات الاستثنائية، أما اللباس

---

(1) - صالح كرار، مرجع سابق، ص59.

(2)- Nicola A Ziadeh, op.cit, p 106.

(3) - ناصر الدين مُحَمَّد الشريف، مرجع سابق، ص322.

(4) - بلغ عددهم 80 عند زيارة أحمد حسنين عام 1922م. ينظر : يونس علي بالقاسم السنوسي، مرجع سابق، ص256.

(5) - نفسه، ص ص203، 204.

(6) - كان للسنوسية خزينة أوقاف خاصة بها. ينظر : مُحَمَّد الطيب الأشهب، **السنوسي الكبير عرض وتحليل لدعامة حركة الإصلاح السنوسي**، مرجع سابق، ص49.

فللطالب الحق في حذاء وقميصين وطاقيتين وسروالين من القطن سنويا، وجرد واحد(رداء صوفي) مرتين في العام[1]، ومسألة نظافة اللباس ضرورية وواجبة، وهي على عاتق الطلاب، حيث يغسلون ثيابهم بأنفسهم كل أسبوع[2].

ويتخرج من الجغبوب العديد من الطلبة، فقد تخرَّج مثلا في سنة واحدة من مدرسته القرآنية ثمانون طالبا يحفظون القرآن الكريم كلهم من قبيلة واحدة هي "حسين البراعصة"، حتى سميت بقبيلة الطلبة[3].

وممن ذاع صيتهم من الطلبة، ومزجوا بين العلم والسياسة بعد تخرجهم، وكان لهم وزن معتبر في العائلة والحركة السنوسية والوطن الليبي : عمر المختار[4]، ومُحَمَّد إدريس السنوسي[5]، فإضافة إلى جهادهما، فقد تميزا بالورع والتقوى والتصوف وشدة التدين والإيمان والتمسك بدين الله.

---

[1] – مُحَمَّد الطيب الأشهب، **السنوسي الكبير عرض وتحليل لدعامة حركة الإصلاح السنوسي**، مرجع سابق، ص49.

[2] – إيريك آمار فولي دي كاندول، مرجع سابق، ص6.

[3] – مُحَمَّد طه الحاجري، مرجع سابق، ص297.

[4] – عمر المختار : من قبيلة المنفة إحدى قبائل بادية برقة، ولد بالبنطان سنة 1277هـ، حفظ القرآن الكريم في زاوية الجغبوب، وقد ذكر أمام المحكمة التي حكمت عليه بالإعدام أنه تربى على يد السنوسية منذ أن كان عمره 16 سنة، التحق بالجغبوب وظل يتعلم مدة ثماني سنوات، درس خلالها العلوم الشرعية من فقه وأصول ولغة ومنطق وحديث وتاريخ وغيرها، وأشهر شيوخه : السيد الزروالي المغربي، والسيد الجواني، والعلامة فالح مُحَمَّد بن عبد الله الظاهري المدني. وتميز بتدينه حيث كان مواظبًا على قيام الليل والتهجد في أوقات السحر وقراءة القرآن والإكثار من صلاة النوافل، وفي عام 1895م اصطحبه مُحَمَّد المهدي معه إلى الكفرة، وبعد عامين عينه شيخ زاوية القصور بالجبل الأخضر، لكن بعد ذلك ترك الزاوية وسلمها إلى مُحَمَّد بوسيف مقرب البرعصي بغرض الجهاد في الكفرة ووداي ضد فرنسا، ولما احتلت إيطاليا بنغازي عام 1911م كان من أوائل المجاهدين في الجبل الأخضر ضد الغزاة. ينظر: ناصر الدين مُحَمَّد الشريف، مرجع سابق، ص ص348-353.

[5] – مُحَمَّد إدريس بن مُحَمَّد المهدي : حفيد الشيخ مُحَمَّد بن علي السنوسي، ولد بالجغبوب عام 1890م، حفظ القرآن على يد أبيه، ثم درس بمعهد الجغبوب، وبعد وفاة أبيه عام 1902م كفله ابن عمه أحمد الشريف والذي أصبح وصيًا عليه، تعلَّم على يد مجموعة من المدرسين وهم : العربي الفاسي، وأحمد أبو سيف، والسيد العربي الغماري، والسيد حسين السنوسي، كما كان لأحمد الشريف أيضًا دور في تعليمه العلوم الآتية : القراءات وعلوم الحديث والبخاري ومسلم ومسند أبي داود والترمذي والنسائي وابن ماجة ومُوطّأ مالك ومسند أبي حنيفة والإمام أحمد وكتاب الأم للشافعي، ودرس مُحَمَّد إدريس أيضًا علومًا أخرى منها التاريخ وتقويم البلدان. ينظر : مُحَمَّد فؤاد شكري، مرجع سابق، ص ص183، 184. لما تقدم في السن، أصبح من أعضاء مجلس شورى الحركة السنوسية، ونظم لنفسه حياة خاصة؛ فشيد منزلًا بزاوية التاج في الكفرة مؤثثا بإبداع الأثاث والفرش، وعكف على الدراسة بهمة ونشاط، واهتم بتكوين مكتبة خاصة، وكان مجلسه عامرًا بالعلماء والأدباء، أصبح أمير برقة، ثم ملك ليبيا عند الاستقلال 24 ديسمبر 1951. ينظر : مُحَمَّد علي الصلابي، **تَاريخ الحرَكَة السَّنُوسيَّة في أفريقيا**، مرجع سابق، ص ص353-565.

ومن الطلبة الذين ورد اسمهم في المراجع نذكر : عمر الفضيل[1]، وموسى بن أحمد البرعصي[2]، ومُحَمَّد بن عثمان بن رجب غيزوان السوكني[3]، والشيخ مُحَمَّد حيدرة الهوني[4]، وعلي بن مُحَمَّد بن رمضان حبرة[5]، ويوسف بن عبد الله اللطيف بن مُحَمَّد عزو السوكني[6].

لقد كان طلبة الجغبوب محظوظين بتلقيهم مختلف العلوم على يد أساتذة أكفاء، ويجب الإشارة إلى أن الكثير منهم كان يجمع بين الدراسة والتدريس خاصة بالنسبة للطلبة المتفوقين، لذلك نجدهم بعد تخرجهم تحولوا إلى مدرسين، وأثبتوا كفاءتهم وتفوقهم، مثل فالح الظاهري وعبد الرحيم المغبوب وأحمد الشريف السنوسي وغيرهم، لذلك يصعب التمييز بين الطلبة والأساتذة في كثير من الأحيان.

ولم يكن الطلبة من ليبيا فقط بل كانوا من مختلف المناطق، وقد ضم طلبة من مختلف البلدان والجنسيات، فإضافة إلى البرقاويين والطرابلسيين، نجد الفلسطينيين مثل عثمان الشامي، وغيرهم[7]، وذكرت رواية شفوية أن طلبة من الجزائر وبالضبط من جانت درسوا في الزوايا السنوسية الموجودة في الكفرة، منهم صادق بن خلن، ومُحَمَّد

---

[1] – عمر الفضيل : من طلبة الجغبوب المميزين، وقد أجازه الشيخ السنوسي ووجهه إلى برقة البيضاء وسرت بعد تخرجه من الجغبوب، وذلك بغرض الإرشاد والتعليم عند قبائل المغاربة والزوية، وقد تخرج على يديه العديد من حفظة القرآن الكريم، وبعد ذلك أرسله إلى زاوية الكفرة، وتوفي سنة 1896م. ينظر : يونس علي بالقاسم السنوسي، مرجع سابق، ص ص207، 208.

[2] – موسى بن أحمد البرعصي : ولد عام 1871م في بنغازي، أرسله أبوه للدراسة بالجغبوب، واشتغل بالمحاماة الشرعية عام 1915م، وتوفي عام 1940م. ينظر : يونس علي بالقاسم السنوسي، مرجع سابق، ص256.

[3] – مُحَمَّد بن عثمان بن رجب غيزوان السوكني : حفظ القرآن الكريم وتعلم العلوم الفقهية في مسقط رأسه سوكنة، ثم رحل إلى الجغبوب لإكمال دراسته، وكان من الطلبة المتفوقين في علوم اللغة والفقه، ثم رجع إلى بلده ودرس في الكتاتيب المجاورة للجامع العتيق في واحة سوكنة، وفي عام1917م قُتل على يد الإيطاليين. ينظر : نفسه، ص209.

[4] – الشيخ مُحَمَّد حيدرة الهوني : أصله من هون، أُسندت إليه مشيخة زاويتها، يعد من كبار تلاميذ الشيخ السنوسي، وكان يحفظ الآلاف من الشعر الرقيق على عادة السنوسيين، وقد اجتمع في زاوية الطيلمون بالحشائشي الذي قال بأنه قضى معه ليلة في المحاضرات والتاريخ، وختمها بمساجلة في الشعر دامت ساعة كاملة، وأضاف –أي الحشائشي– بأنه كان فصيحًا ملمًا بالشعر، ويحفظ الكثير رغم سنه الذي تجاوز السبعين. ينظر : مُحَمَّد بن عثمان الحشائشي، مرجع سابق، ص153.

[5] – علي بن مُحَمَّد بن رمضان حبرة : من الطلبة المميزين، درس بزاوية الجغبوب وتخرج من معهدها، وبعدها مارس التعليم وتحفيظ القرآن الكريم في زاوية سوكنة وفي نجوع القذاذفة بسرت، توفي عام 1932م. ينظر: يونس علي بالقاسم السنوسي، مرجع سابق، ص ص209، 210.

[6] – يوسف بن عبد الله اللطيف بن مُحَمَّد عزو السوكني : من التلاميذ المميزين، درس بمعهد الجغبوب، ثم زاول مهنة التدريس في بلده سوكنة، توفي عام 1943م. ينظر : نفسه، ص210.

[7] – ناصر الدين مُحَمَّد الشريف، مرجع سابق، ص322.

أخلاخم، وعبدو بن صالحين، وحفش مُحَمَّد علي، وجوكري مرموري، والشيخ شيبة [1]، ونضيف إليهم الشيخ مرموري أخموك الذي درس في غات وواو وأصبح مقدم الزاوية السنوسية بجانت – كما مر معنا–، وكان هذا كله قبل عام 1898م.

ولم يقتصر التعليم على طلاب شمال أفريقيا، بل شمل أيضًا السودان الأوسط مثل عبد الله قجة[كذا][2]، ويذكر الصلابي أن أهالي وداي في تشاد كانوا يرسلون أبناءهم لتعلم الإسلام في معهد الجغبوب وغيره من الزوايا السنوسية، وفي هذا المجال ذكر دوفيري أيضًا أن ملك أنيدي هاجربالت روزمي كان يبعث الطلبة الأذكياء إلى الجغبوب للتعلم تحت رعاية مُحَمَّد المهدي السنوسي[3]، وللأسف لم تذكر المصادر أسماءهم أو عددهم أو نتائج دراستهم، خاصة الذين عادوا إلى لبلدانهم وأصبحوا معلمين وفقهاء ومرشدين وأئمة[4]، لذلك يحتاج الموضوع إلى دراسة وتمحيص لأن الحركة السنوسية ظلت في اتصالات معهم[5]. ويبدو أن أهل وجنقة تعلقوا كثيرًا بالسنوسية، بدليل أنهم راسلوا فرج الوجنقاوي شيخ زاوية التاج بالكفرة يطلبون منه فتح منارة دينية في بلادهم لتعليم أصول الدين والضوابط الشرعية، وذلك بغرض تكوين معلمين وفقهاء ودعاة وقضاة شرعيين وحُفَّاظا للقرآن الكريم، ولتقصي الأمر قام الشيخ مُحَمَّد السني برحلة بنفسه إلى المنطقة عام 1895م انطلاقا من مزدة[6].

والجدير بالإشارة أن معهد الجغبوب ظل محافظا على قيمته العلمية، حيث كان يقيم به عدد كبير من الطلاب والأساتذة والعلماء إضافة إلى الزوار، وهذا رغم نقل مقر السنوسية إلى الكفرة ثم إلى قرو، وهذه شهادة صادق المؤيد العظم أحد ضباط حرس السلطان عبد الحميد ضمن تقريره عن الجغبوب عام 1895م تؤكد ذلك : « إن المقيمين الآن بزاوية الجغبوب هم مشايخ وعلماء وطلاب العلم مع أسرهم وأولادهم ... ، ويضاف لتعداد النفوس

---

[1] – رواية شفوية للسيد حمزة قمزر، عضو جمعية أمنيلال لحفظ التراث والمخطوطات بجانت، رقم الاعتماد : 06/2013 بلدية جانت، أُجريت المقابلة في جانت بتاريخ 3 جانفي 2023 م، على الساعة 15.

[2] – ناصر الدين مُحَمَّد الشريف، مرجع سابق، ص322.

[3]- Henri Duveyrier, **La confrérie musulmane de sîdi Mohammed ben Ali Essenoûsî et son domaine géographique**: **en l'année 1300 de l'hégire=1883 de notre ère**, op.cit, p 48.

[4] – أشار دوفيري إلى وجود زاوية في كل من أنيدي ووانيانغا. ينظر : Ibid, p 48.

[5] –كانت الطريقة السنوسية في اتصالات علمية مع قبائل البائلي في منطقة الوانغا وأندي. ينظر : Ibid, p 17.

[6] –عبد الله أطوير، مرجع سابق، د ر ص.

أيضا الضعف من الطلبة والزوار، ويزور الجغبوب العديد من الزوار القادمين من أماكن بعيدة، كما يوجد المئات من أبناء القبائل بصورة دائمة يدرسون العلم هنا ... »[1].

1-4- المنهاج الدراسي :

باعتبار الجغبوب معهدًا دينيًا فقد تخصص في العلوم الشرعية[2]، ويبدو أنه مع مرور الوقت توسعت دارة اهتمامات المشرفين عليه، حيث أُضيفت علوم أخرى، وعمومًا فإن الطلاب يدرسون - بعد حفظ القرآن الكريم- منهاجا يتكون من المواد الآتية : أصول الفقه والفقه والحديث والتفسير والمنطق والتاريخ والبيان والمعاني والمصطلح والتوحيد والبديع وعلم الفلك والآداب والوضع والمناظرة وآداب البحث والتصوف والنحو والصرف والعروض والقافية[3] ...[4]، والكتب المتخصصة في هذه العلوم كثيرة والتي يدرسها الطلبة لتعزيز مكتسباتهم وقدراتهم العلمية هي : كتب التفسير[5] وأبرزها تفسير القرآن للخطيب الشربيني[6]، وكتب الحديث متمثلة في : كتب الأئمة الأربعة كموطأ الإمام مالك، وصحيح البخاري بكامل أجزائه، وبلوغ المرام لابن حجر العسقلاني[7]، وكتاب رسالة الكتب الستة للحافظ عبد الله بن سالم البصري، وكتاب الاتفاق والاختلاف لابن خازن الأندلسي المالكي، وكتاب ابن قاسم الطبري الشافعي، وكتاب اختلاف الفقهاء للإمام الطحاوي الحنفي، وكتاب الذخيرة للقرافي[8]. وكتب الفقه وهي : الرسالة لأبي زيد القيرواني[9]، ومخطوط كاشفة الحجاب والرائين لرؤية رب العالمين في الدارين

---

[1] - يونس علي بالقاسم السنوسي، مرجع سابق، ص52.

[2] - العلوم الشرعية تسمى أيضًا العلوم الدينية، وتقسم إلى عدة علوم هي : علم الكلام، والتفسير، والقراءة، والحديث، وأصول الفقه، والفقه، والفرائض. ينظر : تاج الدين عبد الوهاب السبكي، **جمع الجوامع في أصول الفقه**، تع.عبد المنعم خليل إبراهيم، ط3، بيروت.لبنان، دار الكتب العلمية، 2003، ص ص2-7.

[3] - علم القافية : علم يبحث فيه عن تناسب اعجاز البيت، وقال العلامة ابن الصدر الشرواني في الفوائد الخاقانية هو علم يبحث فيه عن المركبات الموزونة من حيث أواخر أبياتها... ينظر : حاجي خليفة، مرجع سابق، مج2، ص ص1305، 1306.

[4] - مُحَّد الطيب الأشهب، **برقة العربية أمس واليوم**، مرجع سابق، ص193.

[5] - نوعان : الأثري والتأويلي. ينظر : يونس علي بالقاسم السنوسي، مرجع سابق، ص147.

[6] - نفسه، ص141.

[7] - بلوغ المرام من أحاديث الأحكام : للشيخ شهاب الدين ابن الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني المتوفي سنة اثنتين وخمسين وثمانمائة. ينظر : حاجي خليفة، مرجع سابق، مج1، ص254.

[8] - يونس بالقاسم، مرجع سابق، ص ص141، 142.

[9] - رسالة ابن أبي زيد : في فقه المالكي للشيخ الإمام أبي مُحَّد عبد الله بن أبي زيد المالكي القيرواني المتوفي ستة 389 هـ. ينظر : حاجي خليفة، مرجع سابق، مج1، ص841.

لمحمد شمس الدين الخطيب الشربيني[1]. وكتب اللغة : متن ابن عاشر المسمى "المرشد المعين في اللغة العربية"[كذا][2]، وكتاب ابن فورك في الإعراب والتشكيل، وكتاب العوامل العتيقة في النحو والصرف لعبد القادر الجرجاني، وكتاب شرح الكافية لعلي الصفدي، والتعريف بمطالب النحو والتصريف لعبد الرحمن بن علي بن حسين، وكتاب الأشباه والنظائر لزين بن نجيم، وكتاب شرح الدمنهوري على متن الجوهر المكنون للأخضري في المعاني، وكتاب جمع المباحث لمحمد بن مُحَمَّد بقنوار[3]. كتب التصوف : المباحث السبعة، وفصوص الحكم[4] لابن عربي[5]. كتب السيرة والأحكام والمغازي والشمائل والخصائص: كتاب كفاية المريد وحلية العبيد للعلامة الخروبي، وفهم ست الفاسي منح البادية في الأسانيد العالية، وكتاب اقتفاء الأثر بعد ذهاب أهل الأثر، وفهرست الروراني المسماة "صلة الخلف بموصول السلف"[6]. وفي البلاغة : قصيدة لأبي السعود في البيان، تناولت موضوعات البلاغة بإسهاب مثل النظم الشعري والاشتقاق والسجع والتشطير والموازنة والاقتباس والتضمين والحل والعقد، إضافة إلى فصل في العوامل الداخلة على المبتدأ والخبر، وفصل آخر حول القضايا الفقهية كالدعاء والاجتهاد[7]، ورسالة الشيخ عبد الرحمن بن أبي بكر العياشي المغربي المالكي التي احتوت على نحو ثلاثين قصيدة شعرية[8].

وحفظ المتون من الضروريات بل من الواجبات في البرنامج التعليمي لمعهد الجغبوب، لأنه يرفع من مستواهم ويقوي قدراتهم العلمية، لذلك يفرض على طلابه حفظ متن الأجرومية وابن عاشر[9]، وبعض المتفوقين منهم

---

(1) – يونس علي بالقاسم السنوسي، مرجع سابق، ص ص142، 143.

(2) – نفسه، ص143.

(3) – نفسه، ص143.

(4) – فصوص الحكم : كتاب عن الرسل والأنبياء والأسرار الالهية، وادعى مؤلفه ابن عربي أنه لم يكتب عن أي رسول إلّا بعد ظهوره له. ينظر: الحسيني الحسيني معدّي، مرجع سابق، ص381. قال ابن عربي في خطبته : « أما بعد فاني[كذا]رأيت رسول الله ﷺ في مبشرة اريتها في العشر الآخر من محرم لسنة 627 بدمشق وبيده كتاب فقال لي هذا كتاب فصوص الحكم خده[كذا] واخرج به الى الناس ينتفعون به ... ». حاجي خليفة، مرجع سابق، مج2، ص ص1261، 1262.

(5) – يونس علي بالقاسم السنوسي، مرجع سابق، ص ص143، 144.

(6) – نفسه، ص144.

(7) – نفسه، ص146.

(8) – موجودة كمخطوطٍ في مكتبة الجغبوب. ينظر : نفسه، ص149.

(9) – ابن عاشر : هو الإمام العلامة أبو مُحَمَّد سيدي عبد الواحد بن احمد بن علي بن عاشر الأنصاري نسبًا الأندلسي أصلًا الفاسي منشأ ودارًا، ولد بفاس ونشأ بها وأخذ عن علمائها، اشتهر بنظم "المرشد المعين على الضروري من علوم الدين"، توفي يوم الخميس 3 من الحجة عام 1040هـ، عن عمر خمسين سنة. ينظر : عبد الواحد بن عاشر، **متن ابن عاشر المسمى بالمرشد المعين على الضروري من علوم الدين**، القاهرة، شركة القدس، 2009، ص2.

يحفظون أيضًا متن الرسالة والرحبية وألفية ابن مالك[1]، ويُلاحظ أن تلك المتون الإجبارية ضرورية للطالب ليصبح متمكنًا من الفقه المالكي الذي تمثله الرسالة وابن عاشر، ومتمرسًا في النحو والصرف والذي تمثله ألفية ابن مالك والأجرومية، وفي المواريث أو علم الفرائض الذي تختص به الرحبية، وهكذا يصبح الطالب السنوسي متكاملًا علميًا وفقهيًا، ومؤهلًا للتدريس بكل كفاءة، ويستطيع حل المسائل المختلفة بكل دقة وثبات. ويضمن المنهاج أيضًا قراءة الرسائل السبع في التصوف وهي : الرائية، والمباحث الأصلية في خالص العرفان، والهائية في خالص السلوك، والفضلية، والحاتمية، والرسلانية، والفصوص، والبرزخ بينهما الذي هو الحكم العطائية[2]، وإضافة إلى تلك العلوم والمواعظ يحفظ الطلاب قصائد صوفية، وقد ذكرها أحمد الشريف وهي ما تلقاه عن عمه مُحَمَّد المهدي كالبردة، وبانت سعاد، والزينبية، ومنظومة الأستاذ في النفوس، وغيرها[3].

ولم يقتصر التعليم في الجغبوب على العلوم العقلية والنقلية، بل تجاوزه إلى تعلم الحرف والمهن أيضا كالحدادة والتطريز والنجارة والنقش والخزازة[4]، حيث كان الشيخ السنوسي يحث الإخوان على ذلك، مؤكدًا أن المهن عبادة أيضًا، لذلك اهتمت السنوسية بالعمل كثيرًا وخصصت له يوم الخميس -كما مر معنا-. ومن العلوم التي تميزت بها الحركة السنوسية والتي كان يندهش لها الناس في تلك الفترة ويعتبرونها من السحر علم "الكيمياء[5]، حيث كان الشيخ السنوسي يعرفها جيدًا بدليل أن الإخوان طلبوا منه أن يعلمهم إياها[6]، وكان جوابه حكيمًا حيث كان في الغالب يقول لهم : « إن الكيمياء تحت سكة المحراث »، في إشارة منه إلى أولوية الزراعة.

ولم تغفل الحركة السنوسية اللياقة البدنية، ورأت فيها أهمية كبيرة، لذلك شمل المنهاج الدراسي التمارين الرياضية خاصة العسكرية منها كالقتال بالعصا والرماية، وخُصص لها يوم الجمعة لتدريب الإخوان والطلبة، كما أدرجت

---

(1) – مُحَمَّد الطيب الاشهب، **برقة العربية أمس واليوم**، مرجع سابق، ص192.

(2) – أحمد مُحَمَّد جاد الله، "**لمحات عن الحركة العلمية في الزاوية السنوسية (1841–1969)**"، مرجع سابق، ص ص195، 196.

(3) – نفسه، ص196.

(4) – نفسه، ص193.

(5) – الكيمياء : علم ينظر في المادة التي يتم بها كون الذهب والفضة بالصناعة، ويشرح العمل الذي يوصل إلى ذلك. ينظر : عبد الرحمن ابن خلدون، مرجع سابق، ص433.

(6) - أحمد صدقي الدجاني، مرجع سابق، ص193.

بعض الألعاب المرحة مثل لعبة "الباصة" و"طق الكورة" كنوع من الترفيه على النفس[1]، ورغم التقادم يبدو أن المنهاج الدراسي بقي نفسه حسب ما روى دي كاندول الذي عاصر الملك إدريس[2].

ومدة الدراسة بالجغبوب خمس سنوات، يتخرج الطالب بعد إكمال الدراسة ليصبح أحد الإخوان، ثم يعود إلى بلده ويصبح مدرسًا[3]، وحسب تخرج مُحَمَّد إدريس السنوسي من المعهد وعمره عشرين سنة[4]، أمكننا معرفة سن الدخول وهو في حدود الخامسة عشرة[5]. وبالنسبة للتخرج ترفع تقارير إلى الشيخ السنوسي حيث تضبط أسماء الطلبة المتخرجين وغالبًا ما يكونون متفوقين في حفظ القرآن الكريم والفقه واللغة والنحو والصرف، لأن هذه المواد إجبارية في المنهاج التعليمي، والهدف واضح من تدريسها وهو التمكن من اللغة العربية نطقًا وإعرابًا مع إصلاح الألسنة، وكان الشيخ السنوسي حريصًا جدًّا على ذلك بل كان ناقدا لاذعا أيضًا[6]، وبمناسبة التخرج يكرم الطلبة تطييبا لخاطرهم، حيث تقام حفلة تُعرف بِ : "الزردة"[7]، وهي عبارة عن أكل جماعي باليد أو الملعقة الخشبية، وغالبًا ما يكون طبق "الكسكسي"، وتعد هذه الأكلة من الموروث الثقافي الأصيل لشعوب المغرب العربي بدوًا وحضرًا.

وكان المنهج الدراسي متكاملًا يضم العلوم الدينية والعلمية أيضا، وكان الشيخ السنوسي يضع برنامج التعليم بنفسه ويُقِرُّه[8]، وبالرغم من أن المنهج الدراسي يتطابق مع مقررات المعاهد العالمية الإسلامية في ذلك الوقت إلا أن الاختلاف واضح في مسألة التقويم، حيث لاحظنا أن الطالب في معهد الجغبوب لا يتحصل على شهادات

---

(1) – عبارة عن لعبتين لكرة القدم معروفتين في البادية. ينظر : مُحَمَّد الطيب الأشهب، **السنوسي الكبير عرض وتحليل لدعامة حركة الإصلاح السنوسي**، مرجع سابق، ص49.

(2) – ذكر دي كاندول – الذي عاصر الملك إدريس – نفس المواد تقريبا، مع إضافة أخرى كالجغرافيا والحساب وبعض الأشغال؛ كالمخابز وصناعة الحصر، وظل يوم الجمعة مخصصًا للرياضة والرماية كما كان منذ أن وضع برنامجه مُحَمَّد المهدي. ينظر : إيريك آمار فولي دي كاندول، مرجع سابق، ص ص5، 6.

(3) – نفسه، ص ص5، 6.

(4) – مُحَمَّد فؤاد شكري، مرجع سابق، ص ص183، 184.

(5) – سن الالتحاق بالجغبوب بين ثمان وخمسة عشرة سنة. ينظر : يونس علي بالقاسم السنوسي، مرجع سابق، ص202.

(6) – انتقد الشيخ السنوسي الطائفة الدرقاوية عندما كان مريضًا بسيوة، وقال بأنها تحرّف لفظ الجلالة، حيث يقول أصحابها : "لا إلاها إيلاء الله"، أي يمدون الهاء من إله، ويولدون يائين همزة الأولى، ويأتون بهمزة الاستفهام قبل لفظ الجلالة. ينظر : أحمد صدقي الدجاني، مرجع سابق ص ص156، 157.

(7) – مُحَمَّد الطيب الأشهب، **برقة العربية أمس واليوم**، مرجع سابق، ص192.

(8) – نفسه، ص191.

مثل شهادة الأهلية[1] أو الشهادة العالمية[2] الموجودتين في جامع الأزهر مثلًا، ولم يرد أصلا في المصادر السنوسية إن كانت هناك امتحانات رسمية تُقيِّم الطلاب بالجغبوب، ونحن متأكدون من وجودها ولو بصفة شفوية وذلك بغرض التمييز بين الطلبة، لأن من الناحية البيداغوجية يستحيل أن يظل تعليمًا دون تقويمًا، وقد أشارت دراسات جادة إلى وجود إجازة بمثابة كفاءة وأهلية للتدريس يمنحها الأستاذ للطالب، حيث يُختبر الطالب بكتابة القرآن الكريم كاملًا من ذاكرته، ثم تُعرض المصاحف على لجنة متخصصة لتقدير مدى جودة حفظ الطالب وإتقانه للضبط والرسم[3]، وهناك طريقة أخرى أيضًا للاختبار وهي جمع عدد من الطلاب يؤمون صلوات النافلة وعادة ما تكون في شهر رمضان، وهذا امتحان شفوي يُقَوِّم فيه الأستاذ المقرئ الطالب القارئ[4].

ويعتبر الشيخ السنوسي مجددًا مقارنة بمعاصريه، لأنه لم يهتم فقط بالعلوم الدينية على غرار أغلب المتصوفة بل اهتم بالحداثة والنهضة أيضًا، حيث حرص على معرفة العلوم الحديثة التي تعد مفاتيح التقدم العصري، وهذا ما ذكره الأشهب حيث قال أن الشيخ السنوسي رأى بأن العلوم العقلية والنقلية لا تكفي لوحدها لتحقيق النهضة، بل دعا إلى ضرورة تعلم الصناعات التي حققت بها أوروبا التطور والتقدم[5]، وذكر شكري أيضًا أن السنوسي – رغم بعده عن أوروبا – إلا أن أسباب وعوامل تقدمها لم تكن مجهولة لديه وهذا بفضل ذكائه، لذلك علم أن أسباب التقدم ليست في العلوم العقلية والنقلية واللغة، وإنما في العلوم الصناعية والرياضة والفنون الحربية[6].

ورغم الأهمية العلمية للجغبوب إلا أنه لم يستطع مجاراة المعاهد الإسلامية الأخرى كالأزهر والزيتونة، إذ لم يكن أمام الراغب في الاستزادة من العلم إلا التوجه إلى مصر وتونس[7]، وكثير من العلماء والفقهاء من ليبيا فضَّلوا

---

(1) – إمتحان لمن درس في الأزهر ثماني سنوات فأكثر، ومن ينجح يحق له أن يكون إمامًا وخطيبًا ومدرسًا للوعظ بالمساجد. ينظر: مارتاين تيودور هوتسما وآخرون، مرجع سابق، ج3، ص643.

(2) – امتحان لمن قضى في الأزهر اثنتي عشرة سنة فأكثر، وتلقى علوم التوحيد والأخلاق والفقه والتفسير والحديث والنحو والصرف والمعاني والبيان والبديع والمنطق ومصطلح الحديث والحساب والجبر والعروض والقافية، ومن ينجح يحق له التدريس في الأزهر ويتوظف في المناصب العالية. ينظر : نفسه، ص643.

(3) – أحمد مُحَمَّد جاد الله، "**لمحات عن الحركة العلمية في الزاوية السنوسية (1841–1969)**"، مرجع سابق، ص197.

(4) – نفسه، ص197.

(5) - مُحَمَّد الطيب الأشهب، **السنوسي الكبير عرض وتحليل لدعامة حركة الإصلاح السنوسي**، مرجع سابق، ص76.

(6) - مُحَمَّد فؤاد شكري، مرجع سابق، ص19.

(7) – رأفت غنيمي الشيخ، مرجع سابق، ص222.

الدراسة في الخارج رغم وجود الجغبوب[1]، وبالرغم من قرب برقة جغرافيا بمصر إلا أنه لم تكن هناك علاقات أو مناظرات أو تبادل علمي بين الجغبوب والأزهر، بل العكس حدث خلاف وجدال إلى درجة العداوة، والتي صدرت من بعض شيوخ الأزهر المتعصبين، خاصة المالكيين منهم.

ومهما يكن من أمر، فإن معهد الجغبوب يعد مفخرة لكل الليبيين، مثلما يفتخر المصريون بالأزهر الشريف والتونسيون بجامع الزيتونة، والمغاربة بالقرويين، لقد كان منارة علمية حقيقية، وقد شهد بذلك الحشائشي عندما زار ليبيا عام 1895م، قائلًا : « العلوم لا توجد لها أثر إلا بجغبوب »[2].

1-5- مكتبة الجغبوب :

المطالعة جزءٌ أساسيٌ لأي منظومة تعليمية، وتُجسِدها في الغالب المكتبة، والتي تعد هيكلا بيداغوجيا هاما لا يمكن الاستغناء عنه لمن يريد المعرفة، لذلك كان الشيخ السنوسي يحرص كثيرا على بناء المكتبات في زواياه[3].

وتعتبر مكتبة الجغبوب المكتبة الرئيسية للطريقة السنوسية، وهي من أشهر المكاتب في العالم الإسلامي خلال القرن التاسع عشر، وكان قد أنشاها الشيخ السنوسي، وتمثل عصارة جهده عبر سنين، وبلغت الكتب الموجودة في خزانتها حوالي ثمانية آلاف مجلد[4]، في مختلف التخصصات وهي -حسب الدجاني -: الفقه والفلسفة والتاريخ والأدب والتراجم والجغرافيا والحديث والتفسير، إضافة إلى الأصول والتوحيد وغيرها من العلوم العقلية والطبيعية.

ويمكن اعتبار مكتبة الجغبوب مكتبة عالمية، لأن الحشائشي قال بأنه لا يطبع كتاب في العالم باللغة العربية إلا ويظفر الإخوان به ويُصَفُّ في رفوف خزانة مكتبتها[5]، وقد احتوت المكتبة على قسم كبير من المخطوطات النفيسة جُلِبت من مختلف المناطق وأشهرها مصر والحجاز والشام والأستانة وتونس ومراكش، والأكيد أن الزوايا السنوسية الأخرى كانت تزود أيضًا الجغبوب بكل أنواع الكتب والمخطوطات وغيرها، ومن مقتنياتها على سبيل

---

(1) – مثلًا، الأستاذ العلامة الفقيه الأصولي المحدّث الأديب عبد الرحمن البوصيري (1258-1354هـ)، والعلامة عمر بن مُحَمَّد المسلاتي (1848-1923) مفتي طرابلس، والشيخ أحمد بن مُحَمَّد بن سالم (1242-1315هـ) من علماء زليطن وقد تولى القضاء فيها، وغيرهم. ينظر : ناصر الدين مُحَمَّد الشريف، مرجع سابق، ص ص318، 374.

(2) – مُحَمَّد بن عثمان الحشائشي، مرجع سابق، ص210.

(3) - حرص الشيخ السنوسي في مراسلة على بناء الكاتبية بزاوية جدة وتخصيص بناء مستقل لذلك، وإخطار شيخها عبد الله التواتي بأنه بعث له كتبًا بغرض تدعيم المكتبة. ينظر : الملحق رقم 1، ص406.

(4) – مُحَمَّد بن عثمان الحشائشي، مرجع سابق، ص152.

(5) – نفسه، ص152.

المثال لا الحصر : مخطوط في علم البلاغة للشيخ عبد الرحمن بن أبي بكر العياشي المغربي[1]، وكتاب "المهذب فيما وقع في القرآن من المعرب"[2]، وقصيدة في "المولد النبوي" للشيخ السلخي الحلبي[3]، وقد أشار الحشائشي أيضًا إلى بعض مقتنياتها فقال : « ... يوجد عندهم ديوان العلامة المغلق الشيخ سيدي محمود قابادو والشريف التونسي، وتاريخ الشاعر الأديب سيدي مُحَمَّد الباجي المسعودي »[4]، ورغم أهمية المكتبة إلا أن مقتنياتها لم يتم جردها حسب ما اطلعنا عليه من المصادر.

لقد كان الشيخ السنوسي شغوفًا جدًّا بالقراءة، وحريصًا أيضًا على اقتناء الكتب كما أسلفنا، حيث كان يكلف شيوخ الزوايا السنوسية والمقربين من الإخوان بذلك، كما جاء في رسالة له بتاريخ 3 شوال 1273هـ/27 ماي 1857م بعثها إلى حاكم فزان قائلًا : « ... وقد وجهنا ولدنا الشيخ مُحَمَّد بن شفيع يذكر عباد الله في تلك الناحية ويكون مقامه بزاوية (واو) حتى يرجع إليها الشيخ أحمد التواتي لأن مرادنا أن يأتينا من هناك ببعض الكتب غير موجودة في خزانتنا ... »[5]، ولم يكتف الشيخ السنوسي وخلفائه بجلب الكتب بل اهتموا بالنسخ[6]، وبالطباعة أيضًا، وقد وظفوا لأجل ذلك العديد من العمال المختصين[7].

وتذكر المصادر أن الشيخ السنوسي كان ينتدب طلبته النجباء قصد جمع الكتب شراءً واستنساخًا[8]، ومهما يسمع بمعاصر ألف كتابًا إلا وكتب له عليه، رغم بعد الديار وطول المسافة، فمثلًا : لما سمع بأن قاضي فاس أبا مُحَمَّد عبد الهادي بن عبد الهادي بن عبد الله العلوي شرح تيسير ابن الدبيع كتب له عليه بإلحاح، حتى نسخ له[9].

---

(1) – ينظر : الملحق رقم 17، ص422.

(2) – مخطوط من تأليف الشيخ الإمام جلال الدين عبد الرحمن بن الشيخ الإمام كمال الدين أبي بكر السيوطي الشافعي، وهو موجود في مكتبة الجغبوب. ينظر : يونس علي بالقاسم السنوسي، مرجع سابق، ص133.

(3) – ينظر : الملحق رقم 18، ص423.

(4) - مُحَمَّد بن عثمان الحشائشي، مرجع سابق، ص ص151، 152.

(5) – أحمد صدقي الدجاني، مرجع سابق، ص106.

(6) – الشيخ العلامة أحمد بن أحمد التواتي شارك في كتابة مخطوطات بمكتبة الجغبوب. ينظر : يونس علي بالقاسم السنوسي، مرجع سابق، ص218.

(7) – كان للتاجر المصري الحاج عبد الله الكحال دور هام وفعال في طباعة الكتب الخاصة بمكتبة الجغبوب. ينظر : نفسه، ص99.

(8) – ركز الكتاني على كتب علم "الحديث". ينظر : عبد الحي الكتاني، مرجع سابق، ج2، ص1042.

(9) – نفسه، ص1042.

وواصل مُحَمَّد المهدي الاهتمام بمكتبة الجغبوب بعد وفاة أبيه، ومن أبرز نشاطاته الثقافية ما ذكره الأشهب وهو تدوين قصائد الشعراء وكل ما يتصل بالناحية الأدبية نظمًا ونثرًا، إضافة إلى مجموعة كبيرة من المخطوطات جمعها وسماها "سفينة الأخوان"، وهي عبارة عن موسوعة، كانت قد احتفظت كل زاوية بنسخة منها لكنها ضاعت، وعلى المؤرخين والباحثين اليوم تتبع أثرها والبحث عنها، وظلت المكتبة تمارس نشاطها العلمي والثقافي عكس ما كان يروج ضدها من إشاعات مغرضة وهي تكديس السلاح في خزائنها، حيث وصل الأمر إلى اسطنبول، لذلك أرسل السلطان والي بنغازي (برقة) رشيد باشا لتفتيش الزاوية، لكنه لم يجد سوى كتب مكدسة حينما فتح له مُحَمَّد المهدي الخزائن، حينها رجع مبعوث السلطان مطمئنًا لما رآه بعينه.

وللأسف تعرضت مكتبة الجغبوب للتخريب من طرف الاحتلال الإيطالي عقب احتلاله الجغبوب، حيث استباح الجنود الطليان المكتبة لمدة ثلاثة أيام حسب ما صرح به الملك إدريس[1]، وذكر الأشهب أن إيطاليا نقلت في البداية حوالي ألفي مجلد من الكفرة إلى إدارة الأوقاف الإسلامية ببنغازي، ووفقت هذه الأخيرة في البداية في الحفاظ عليها، لكن ضاع منها الكثير بعد نقل المكتبة إلى سلوق لأن الإيطاليين أحرقوا العديد من كتبها[2]، وما بقي من مكتبة الجغبوب ذهب إلى مكتبة الجامعة الإسلامية في مدينة البيضاء، وقد اطلع الدجاني على مئات المجلدات التي وصفها بالثمينة، وكلها مختومة بختم الشيخ السنوسي وابنه مُحَمَّد المهدي[3].

ورغم نشاط السنوسية الكبير في نسخ وتجليد كتب مكتبة الجغبوب، إلا أن ذلك لم تواكبه حركة الطباعة، والتي كانت ستنقذ الكثير من المصنفات والتي ظلت على شكل مخطوطات، والسبب الرئيسي –في اعتقادنا– هو عدم اكتراث الدولة العثمانية بالطباعة[4] والثقافة عمومًا في أيالة طرابلس الغرب ولا سيما في برقة[5]، وما طُبع

---

(1) – أحمد صدقي الدجاني، مرجع سابق، ص116.

(2) – مُحَمَّد الطيب الأشهب، **برقة العربية أمس واليوم**، مرجع سابق، ص ص544، 545.

(3) – أحمد صدقي الدجاني، مرجع سابق، ص ص116، 117.

(4) – استُجلبت أول مطبعة عصرية إلى طرابلس سنة 1869م، فطُبعت بها سالنامة الولاية، ثم طُورت هذه المطبعة أول مرة سنة 1892م بجلب حروف حجرية من دار السعادة (استامبول)[كذا] وآلة مكملة للطبع بالحجر من أوروبا، تلاه آخر سنة 1898م ... ينظر : أحمد عمران بن سليم، مرجع سابق، ص63. وقال الأنصاري : « ... وفي سنة احدى وثمانين ومائتين وألف ورد من دار الخلافة فرمان ... وفي هذه السنة أسس مطبعة بقصر الحكومة لصحف الأخبار والوقائع، وسميت صحيفتها (طرابلس غرب) ... ». ينظر : أحمد النائب الأنصاري، **المنهل العذب في تاريخ طرابلس الغرب**، مرجع سابق، ص378.

(5) – باقي مدن ولاية طرابلس الغرب لم تعرف المطابع طوال فترة الوجود العثماني. ينظر : أحمد عمران بن سليم، مرجع سابق، ص64.

من مؤلفات السنوسية كان في مصر التي كانت تشهد نهضة علمية لا نظير لها في الوطن العربي، ويعود الفضل بالأساس إلى الأمير إدريس آنذاك.

2 – العلوم والفنون :

2-1- العلوم :

اهتمت الحركة السنوسية بعدة علوم عقلية ونقلية، وأغلبها مر معنا من خلال مسيرة الشيخ السنوسي العلمية ومنهاج الجغبوب، وارتأيت أن أكرز في هذه الدراسة على العلوم التي وردت في المصادر السنوسية وشُرِحت بإسهاب، وساهمت من خلالها الحركة السنوسية في ازدهار ثقافة إسلامية أصيلة في القارة الإفريقية، والعلوم هي :

2-1-1- العقيدة [1] :

لا خلاف في أن الله واحد أحد، الفرد الصمد، لا يشركه أحد في الخلق والتدبير، لا إله إلا هو. وكلمة التوحيد "لا إله إلا الله" هي أساس الإيمان لأنها الركن الأول في الإسلام كما قال رسول الله ﷺ[2]، والنطق بها شرط الدخول في الإسلام، والموت على التوحيد يضمن الجنة كما ورد في حديث رسول الله ﷺ : ((من مات وهو يعلم أنه لا إله إلا الله دخل الجنة))[3]، والعقيدة هي علم التوحيد، الذي قال عنه ابن قيم الجوزية بأنه أشرف العلوم على الإطلاق[4]، ويعتبر مُحَمَّد بن يوسف السنوسي أشهر من ألَّف في العقائد –كما مر معنا–، وتُسمى العقيدة أو علم التوحيد بالفقه الأكبر، وحكم الشارع فيه أن معرفته فرض عين على كل مكلف ولو بأدلة إجمالية كأن يعرف وجوده تعالى بكونه خالقا للعالم.

---

[1] – مفهوم العقيدة كما جاء في رسالة القيرواني : هي الإيمان بالذات الإلهية، ومن ذلك الإيمان بالقلب والنطق باللسان أن الله إله واحد لا إله غيره ولا شبيه له ولا نظير له، ولا ولد له، ولا والد له، ولا صاحبة له، ولا شريك له، ليس لأوليته ابتداء، ولا لآخرته انقضاء. ينظر : أبو زيد القيرواني، **متن رسالة القيرواني**، إعد.أحمد مصطفى قاسم الطهطاوي، القاهرة، دار الفضيلة للنشر والتوزيع والتصدير، 2005، ص10.

[2] – عّرف الرسولﷺ الإيمان قائلا : ((شهادة أن لا إله إلا الله، وأن مُحَمَّدا رسول الله، وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وأن تعطوا الخمس من المغنم)). ينظر : سليمان أبو داود، مرجع سابق، ج7، ص67.

[3] – مسلم أبو الحسن، مرجع سابق : 26/43.

[4] – ابن قيم الجوزية، مرجع سابق، مج3، ص8.

وتعلَّم الشيخ السنوسي علم العقائد صغيرًا وذلك في مسقط رأسه على يد عمته- كما مر معنا-، ويجمع كل المتخصصين أن هذا العلم يعد من أصعب العلوم العقلية وأغمضها، غير أن السنوسي أتقنه وبرع فيه، ويذكر الأشهب أن بعض مشايخه شهدوا له بذلك، وأكدوا تفوقه على من هم أكبر منه سنًا[1]، ويبدو أنه عزف عن هذا العلم ولم يهتم به في كبره، بدليل أنه لم يؤلف فيه ولا ندري السبب، أو ربما ضاعت مؤلفاته، وفي هذا المجال نشير إلى أنه كان قد اطلع على كتب مُحَمَّد بن يوسف السنوسي المعروفة بِ : "العقائد"، حيث قال : « ... ومنها من كتب التوحيد لامية العارف بالله أبي العباس أحمد بن عبد الله الجزير وشرحها للعارف بالله سيد مُحَمَّد السنوسي التلمساني واللقاني وغيرهما ومصنفات الشيخ السنوسي المذكور الخمسة عليها وهي الصغرى وصغرى الصغرى والكبرى وكبرى الكبرى ... »[2].

ويولي شيوخ الطرق الصوفية -قديمًا وحديثًا- اهتمامًا كبيرًا للعقيدة، وتعد عبارة التوحيد "لا إله إلا الله " أساس الذكر لديهم، وقد يصل ترديدها إلى آلاف المرات وأحيانًا عشرات الآلاف، ويسميها الشيخ السنوسي"الكلمة الطيبة" في كتابه السّلسبيل المعين في الطرائق الأربعين[3]، وعلم العقيدة واسع جدا ومتشعب ومعقد أيضًا، لأنه من العلوم العقلية التي تحتاج إلى الدليل العقلي للإثبات، وهذا ما يسمى "علم الكلام" والذي ليس لأي كان يستطيع المناورة فيه.

واهتمت الحركة السنوسية بتثبيت العقيدة الإسلامية الصحيحة، ونشرها في زواياها وتعليمها لطلبتها ومريديها، وهذا ما وقفنا عليه بالضبط عند الشيخ أحمد بن تكوك[4] (1858-1924) شيخ الزاوية السنوسية في بوقيرات بمستغانم، حيث أنشد قصيدة في العقيدة نزه الله فيها الله عن التشبيه بخلقه، جاء فيها :

أنت الموجود أبدا لا تنام سرمدا وقديم لا حدّا محال سابق العدم
أنت الباقي لا تفنى مخالف علينا في جميع أوصافنا من أعراض وأجرام
أنت الغني يا سيدي لا سواك يعبد على طول الأبد عند جمع الإسلام

---

[1] – مُحَمَّد الطيب الأشهب، **السنوسي الكبير عرض وتحليل لدعامة حركة الإصلاح السنوسي**، مرجع سابق، ص15.

[2] –مُحَمَّد بن علي السنوسي، **البدور السافرة في عوالي الأسانيد الفاخرة**، المكتبة الوطنية الجزائرية، رقم 2522، مرجع سابق، مخ.

[3] – ذكرها الشيخ السنوسي في إطار الكلام عن الطريقة الحاتمية والنقشبندية والعشقية. ينظر : مُحَمَّد بن علي السنوسي، **السَّلسبيل المعين في الطرائق الأربعين**، مرجع سابق، ص ص63، 127.

[4] - تدرّج الشيخ أحمد بن تكوك في دراسته ومسيرته العلمية من زاوية والده إلى مدرسة مازونة، ثم زاوية الجغبوب في ليبيا. ينظر: خطاب تكوك، جمعية الشيخ مُحَمَّد بن علي السنوسي لترقية التراث الصوفي، رقم الاعتماد 5/ تاريخ 23 أفريل 2018، مستغانم.

أنت المعبود أحدا لا صاحب ولا ولدا — لا شريك أبدا في الإيجاد والإعدام
تعلم جميع الأشياء ظاهرا وخفيا — قبل إيجاد الدنيا وكذا بعد العدم
أنت الحي بلا روح يا قدوس يا سبوح — أنت المالك للروح اغفر لي يا كريم
أنت السميع البصير بالموجودات لا تقصير — منزه عن النظير في الأفعال والأحكام
سمعك بلا أذن بصرك بلا عيون — قولك كن فيكون ذاك المعدوم
كلامك بلا حروف ولا صوت يا رؤوف — أمّني من كل خوف يكن قاصد الجسم
أنت الغني الحميد إذا شئت يا مجيد — تأتي بخلق جديد والموجود يعدم
باعث للأصفياء رسلا وأنبيا — معصومون أذكيا هم أفضل الأنام
أفضلهم مُحَمَّد عليه طول الأبد — الصلاة بلا حد وعليه السلام[1]

ورغم بساطة الجمل والطرح إلا أن المعنى كان عميقًا جدًا، يدل على دراية ابن تكوك وعرفانه بالعقيدة الصحيحة بعيدًا عن التأويل[2] والتشبيه، وكما هو معلوم فإن مجال العقيدة واسع، غير أنني ارتأيت أن أدرس المسائل التي وردت في مصادر السنوسية وهي :

2-1-1-1- العقيدة الأشعرية [3]:

الأشاعرة هم أتباع أبي الحسن الأشعري الذي اتخذ منهجًا خاصًا في العقيدة[4]، وقد ظهرت هذه الطائفة وغيرها مثل المعتزلة بسبب خلافات حول شرح صفات الله تعالى، وكما هو معلوم فإن لله تعالى أسماء حسنى طبقًا لما جاء في القرآن الكريم : ﴿ وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا

---

[1] – خطاب تكوك، مرجع سابق.

[2] - علم التأويل : أصله من الأول وهو الرجوع فكان المأول صرف الآية إلى ما يحتمله من المعاني وقيل من الايالة وهي السياسة. ينظر : حاجي خليفة، مرجع سابق، مج1، ص334. وجاء في القاموس : آل إليه أولاً وتآلاً : رجع. وأوَّلَهُ إليه : رَجَعَهُ. وأَوَّلَ الكلام تأْويلًا. وتأَوَّلَهُ : دبَّرَهُ وقدّرهُ وفسَّرَهُ. ينظر: مجد الدين الفيروزآبادي، **القاموس المحيط**، مر.أنس مُحَمَّد الشامي وزكريا جابر أحمد، القاهرة، دار الحديث، 2008، ص83.

[3] - يقوم المذهب الأشعري على عقيدة السلف مع تأويل المتشابه من الكتاب والسنة، وتخريجه على ما عرف في كلام العرب من فنون مجازاتها وضروب بلاغاتها مما يوافق عليه النقل والشرع ويسلمه العقل والطبع. ينظر : أحمد بن خالد الناصري، مرجع سابق، ج1، ص62.

[4] - كان أبو الحسن الأشعري معتزليًا، ثم ترك الاعتزال واتخذ له مذهبًا بين الاعتزال ومذهب أهل السنة والجماعة، ثم رجع وتاب، ووافق الإمام أحمد وأهل السنة والجماعة في معتقداتهم، وبقي أتباعه إلى اليوم يحملون معتقده الثاني، وهم مرجئة في الإيمان، مؤولة في الصفات. ينظر : مُحَمَّد الشهرستاني، **الملل والنحل**، ط1، القاهرة، مكتبة الصفا للنشر والتوزيع، 2017، ج1، ص74.

﴿ كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾[1]، وتعد أسماء الله وصفاته[2] من العقيدة التي يجب على المؤمن الإيمان بها إيمانا راسخًا، وإحصاء أسماء خالقنا عز وجل من صميم الشريعة الإسلامية، وثوابها عظيم جدًّا[3].

وأبو الحسن الأشعري ضد التجسيم، لأن الله تعالى منزه عن صفات البشر لا يليق بجلاله أن يشبه بهم، وهذا يتطابق تمامًا مع قوله الله تعالى :﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ﴾[4]، والسلف الصالح من الصحابة والتابعين لا يجسمون أيضًا، والأكثر من ذلك لا يخوضون في مسألة تأويل الصفات والأسماء الإلهية، ويعدونها من المتشابهات، ويتوقفون عند الاعتقاد بها فقط، مثل وجه الله واليد والنزول والسمع والبصر وغيرها، ويطبقون اعتقاد الإمام مالك حينما جاءه رجل وسأله عن معنى الاستواء في الآية الكريمة :﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴾[5]، حيث كان رده في مقولته المشهورة : "الاستواء معلوم والكيف مجهول والسؤال عنه بدعة".

ولا يمكن أن يدرك الإنسان بعقله صفات الله وأسمائه، لذلك وجب الاعتماد على النقل والإيمان بما جاء في القرآن الكريم فقط، وقد نهانا الله عن الجدال والخوض في المتشابهات، لذلك أثارت مسألة تأويل الأسماء والصفات الإلهية جدلًا كبيرًا واختلافات عميقة واتهامات خطيرة إلى حد "الزندقة" أحيانًا و"التكفير" أحيانًا أخرى. وأبو الحسن الأشعري جاء لنصرة أهل السنة والجماعة بالعقل ودعا إلى التأويل، فمثلًا يفسر الأشاعرة نزول الله تعالى بنزول رحمته ومغفرته وليس نزولا حسيا، ومن الأمثلة أيضًا استواء الله على العرش أي أنه لم يجلس حسب ظاهر الآية وإنما هو تعظيمًا لقدرته تعالى، وغيرها من المتشابهات في الصفات والأسماء التي وردت في القرآن والأحاديث النبوية، ويعتقد أقطاب التصوف ومنهم السهروردي أن للقرآن ظاهر وباطن، وقد ورد في عوارفه أن النبي ﷺ قال :

---

(1) – سورة الأعراف : الآية 180.

(2) - من صفاته تعالى كما وردت في الرسالة : "العالم الخبير المدبر القدير السميع البصير العلي الكبير، وأنه فوق عرشه المجيد بذاته وهو في كل مكان بعلمه ... على العرش استوى، وعلى الملك احتوى، وله الأسماء الحسنى والصفات العلى". ينظر : أبو زيد القيرواني، مرجع سابق، ص ص10، 11.

(3) - قال الرسولﷺ : ((إن لله تسعة وتسعين اسما مائة إلا واحدا من أحصاها دخل الجنة)). ينظر : مسلم أبو الحسن، مرجع سابق : 2677/6.

(4) – سورة الشورى : الآية 11.

(5) – سورة طه : الآية 9.

((ما نزل من القرآن آية إلا ولها ظهر وبطن، ولكل حرف حد، ولكل حد مطلع))، لذلك ظهر عند المتصوفة علم الظاهر والباطن[1].

وبالنسبة للشيخ السنوسي فقد درس العقيدة منذ صباه على يد عمته –كما مر معنا– وأجاد ونبغ فيها، ودرس أيضًا عن مشايخه في مستغانم ومازونة وتلمسان، واطلع على كتب التوحيد وهي : لامية العارف بالله أبي العباس أحمد الجزائري، وشرحها للعارف بالله سيدي مُحَمَّد السنوسي التلمساني واللقاني، وغيرهما، ودرس أيضا الصغرى، وصغرى الصغرى، والكبرى، وكبرى الكبرى، والمقدمات، للشيخ السنوسي[2]، وفي مكة درس العقيدة على يد شيخه أحمد بن إدريس. ولم يفصح الشيخ السنوسي عن عقيدته، لكن ما كتبه عن الموحدين في مصنفه "الدُّرر السنية في أخبار السلالة الإدريسية " جعل بعض المؤرخين يعتقدون أنه تأثر بالعقيدة الأشعرية التي تبناها مُحَمَّد بن تومرت[3] والذي ادعى المهدية[4]، وفي هذا المجال قال الشيخ الزاوي أن كلمة "الإخوان" يطلقها السنوسيون على أتباعهم كما كان المهدي بن تومرت يسمى أتباعه[5]، ونستغرب من تصريح الشيخ الزاوي باعتباره مفتي الديار الليبية لأن ابن تومرت سمى أتباعه "الموحدين" والسنوسي ذكر ذلك[6].

---

[1] – سُئل بعض العلماء عن العلم الباطن ما هو؟ فقال هو سر من أسرار الله تعالى، يقذفه الله تعالى في قلوب أحبابه لم يطلع عليه ملكا ولا بشرا. ينظر : أبو حامد الغزالي، مرجع سابق، ج3، ص23. وعلم الباطن : هو معرفة أحوال القلب والتخلية ثم التحلية وهذا العلم يُعبر عنه بعلم الطريقة والحقيقة أيضًا، واشتهر علم التصوف به. ينظر : حاجي خليفة، مرجع سابق، مج1، ص218.

[2] – أحمد مُحَمَّد جاد الله وخالد مُحَمَّد الفيتوري، "**إجازة الأستاذ الأكبر، السيد مُحَمَّد بن علي السنوسي (1202–1276هـ) لبعض خواص إخوانه الطرابلسيين**"، مجلة مجمع اللغة العربية، ليبيا، ع 19، 1444هـ/2022م "، ص ص776، 777.

[3] – ظهر مُحَمَّد بن تومرت مهدي الموحدين في صدر المائة السادسة، رحل إلى المشرق وأخذ عن علمائه مذهب الشيخ أبي الحسن الأشعري، ورجع إلى المغرب ودعا الناس إلى سلوك الطريقة وجزم بتضليل من خالفها بل تكفيره، وسمى أتباعه بالموحدين تعريضًا بأن من خالف طريقته ليس بموحد. ينظر : أحمد بن خالد الناصري، مرجع سابق، ج1، ص62. وقال عنه السنوسي : « ... العالم الشهير مُحَمَّد بن تومرت صاحب دولة الموحدين المشتهر بالمهدي أصله من (هرعة) من بطون المصادمة الذين عددناهم يسمى أبوه عبد الله وتومرت وكان يلقب في صغره أيضا (أمغار)، وزعم كثير من المؤرخين أن نسبه في أهل البيت ... ». ينظر : مُحَمَّد بن علي السنوسي، **الدُّرر السَّنيّة في أخبار السُّلالة الإدريسيّة**، مرجع سابق، ص145.

[4] – مُحَمَّد أحمد إسماعيل المقدم، **المهدي**، الإسكندرية، الدار العالمية للنشر والتوزيع، دت ، ص ص387–426.

[5] - الطاهر أحمد الزاوي، **جهاد الأبطال في طرابلس الغرب**، ط3، لندن.المملكة المتحدة، دارف المحدودة، 1984، ص244.

[6] – قال الشيخ السنوسي : « ... وكانت وفاة المهدي لأربعة أشهر بعدها وكان يسمي أصحابه الموحدين ... ». ينظر : مُحَمَّد بن علي السنوسي، **الدُّرر السّنيّة في أخبار السُّلالة الإدريسيّة**، مرجع سابق، ص151.

ومن خلال رسالة ذكرها الأشهب – يبدو أنها عبارة عن رد على كتاب سابق – وضَّح الشيخ السنوسي رأيه في العقيدة، حيث أشار بأنه لا يحب الفلسفة والجدال في الأمور الاعتقادية، ودعا إلى إتباع نهج السلف في عدم التأويل في أسماء الله وصفاته، فقال في هذا الشأن : « وأما الخوض في الجدال في الأمور الاعتقادية فهو الطامة الكبرى والداهية ... وثبت في الكتاب مثل تلك الآية : ﴿ وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ﴾[1]، المتنازع فيها وجب الإيمان بها كما يعلم الله[كذا]، ونزهتم مما فيه بما لا يليق بمنصبه كسائر المتشابهات. وقد سمع جماعة من الإخوان عن الأستاذ ﷺ مثل ذلك في خصوص تلك الآية هلا قلتم بما قال؟ أو كنفتم عن الجدال فإن لم تنهجوا منهج السلف وأبيتم إلا الخلف فهلا راجعتم كتب أئمة الدين الجهابذة المحققين أمثال شروح الموقف والمقاصد والطوالع والشامل للعضد. والتفتزاني والبيضاوي وابن عرفة. وقد حقق العلامة التونسي في حاشية شرح الكبرى للسنوسي تلك المسالة[كذا] بما لا مزيد عليه. على أنكم في غنى عن ذلك كله لو تحققتم بأوصاف العبودية لمددتم بعلوم إلهية، ففي الحكم تحقق بأوصاف عبوديتك يمددك بأوصاف ربوبيته، ولا زلت موصوفا عندنا بالعقل والإفادة »[2].

ونستنتج من نص الرسالة أن السنوسي دعا إلى اتباع منهج السلف في عدم التأويل والاكتفاء بالتصديق كما وردت الآيات أو الأحاديث النبوية، وهذا ما يوافق قول مالك بأن مجرد السؤال عنها يُعد "بدعة "، لذلك كان السنوسي لا يتهاون أبدًا في مسألة الإيمان، وكان حازما أيضًا في العقيدة الإسلامية ولا يسمح للإخوان الخوض فيها، ونقل لنا الأشهب كيف أنه غضب غضبًا شديدًا من الشيخ القوصي ولامه ووبّخه واعتبره هو أصل الشرك ومكمن الدسائس ضد السنوسية ونهج أحمد بن إدريس، حيث اتهمه بالتأويلات الفاسدة[3]، لذلك أمر الإخوان بهجره عقوبة له[4]، ولم تشرح المصادر تلك التأويلات، لكن أشار الأشهب إلى وجود صور رسائل بالمكتبات السنوسية ممكن دراستها لتوضيح الأمر[5].

وقانون "الهجر" خاص بمعاقبة العصاة والمتمردين من الإخوان، وهو عبارة عن عقوبة تُبلَّغ بشكل شفهي، إذ يكفي – إذا غضب أحد الإخوان– أن يقول للعاصي أو المخالف : "أنت مهجور"، فتنزل هذه الكلمة عليه

---

(1) – سورة طه : الآية 121.

(2) – مُحَّد الطيب الأشهب، **السنوسي الكبير عرض وتحليل لدعامة حركة الإصلاح السنوسي**، مرجع سابق، 146.

(3) – اتهم الإخوان كل من الشيخ علي عبد الحق القوصي الصعيدي والشيخ إبراهيم الرشيدي بارتكاب خطأ فاحش حول تفسير الآية : ﴿ وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ﴾، نفسه، ص145.

(4) - من أشد العقوبات تعزيرا قانون "الهجر"، إذ يفضل الرجل العامي الموت على أن يسمع كلمة "أنت مهجور". ينظر : الطاهر أحمد الزاوي، **جهاد الأبطال في طرابلس الغرب**، مرجع سابق، ص244.

(5) - مُحَّد الطيب الأشهب، **السنوسي الكبير عرض وتحليل لدعامة حركة الإصلاح السنوسي**، مرجع سابق، ص145.

كالصاعقة، والمعاقب يفضل الموت على أن يسمعها، وفعلا نزلت هذه العقوبة كالصاعقة على القوصي الذي نظم قصيدة يتوسل فيها إلى شيخه بالصفح عنه[1]، جاء فيها :

لو سامحوا مهجورهم أو زاروا بالطيف ما قعدت به أوزار
يا خير من قرت به الأبصار وغدت مهاجرة له الأنصار
يا سيف دين الله يا قطب الهدى يا عين رحمته و يا قهار[2]

ولم أقف في المصادر التي اطلعت عليها عن موقف الشيخ السنوسي بعد ذلك، ولا مدة هجره للشيخ القوصي، وللعلم فإن الهجر في أمور الدنيا معروف مدته في الشرع الإسلامي[3]، أما في العقيدة مختلف تمامًا.

وفي سياق العقيدة، عبّر السنوسي عن موقفه من بعض الفرق الإسلامية، حيث ورد في كتاب المؤرخ الصلابي بأن السنوسي ذمّ المبتدعة كالرافضة[4] والمعتزلة[5] والجبرية[6]، وذلك في مصنفه "الدُرر السنية في أخبار السلالة الإدريسية"[7]، وتلك فرق إسلامية تختلف في معتقداتها مع السلفية. وبالنسبة لموقف السنوسي من الشيعة فقد كان معتدلًا، إذ لم يغل في حب أهل البيت ولم يقر بعصمتهم وإمامتهم، وقد أشار إليهم في بعض أسانيد الأحاديث المسلسلة وأثنى عليهم[8]، ولا ننس أن أهم دعاء في الطريقة السنوسية وهو الدعاء السيفي الذي ينسب إلى علي بن أبي طالب، والغريب في الأمر أن السنوسي ذكر بعض أسانيد الطرق الصوفية كالنقشبندية – وهي سنية – عن أئمة شيعة منهم جعفر الصادق، حيث قال : « وأخذ الكركاني أيضا من أبي الحسن الخرقاني وهو من

---

(1) – مُحَمَّد الطيب الأشهب، **السنوسي الكبير عرض وتحليل لدعامة حركة الإصلاح السنوسي**، مرجع سابق، ص ص145-149.

(2) – نفسه، ص149.

(3) – قال الرسول ﷺ : ((لا يحل للمؤمن أن يهجر أخاه فوق ثلاثة أيام)). ينظر : مسلم أبو الحسن : 2561/26. ص776.

(4) - الروافض هم الشيعة الذين شايعوا عليًا ﷺ وأقروا بإمامته وخلافته نصًا ووصيةً إما جليًا وإما خفيةً. ينظر : مُحَمَّد الشهرستاني، مرجع سابق، ج1، ص114.

(5) - المعتزلة يلقبون بالقدرية، واتفقوا أن كلام الله مخلوق، ونفوا إمكانية رؤية الله، وغير ذلك. ينظر : نفسه، ص ص40، 41.

(6) - الجبرية سموا هكذا نسبة للجبر، وهو نفي الفعل حقيقة عن العبد وإضافته للرب تعالى. ينظر : نفسه، ص68.

(7) – علي مُحَمَّد الصلابي، **تَاريخ الحرَكَة السَّنُوسيَّة في أفريقيا**، مرجع سابق، ص135.

(8) – ذكر إسناد الحديث "أُشهد بالله وأُشهد الله" عن الحسن بن علي بن مُحَمَّد الجواد بن علي الرضى بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق ... ووصف أيضًا أهل البيت على لسان ابن الجرزي بِ : "العترة الطيبة". ينظر : مُحَمَّد بن علي السنوسي، **المسلسلات العشرة في الأحاديث النبوية على صاحبها أفضل الصلاة وأتم التسليم**، إشراف. نجيب بن خيرة، الجزائر، دار زمورة للنشر والتوزيع، 2011، ص ص22، 23.

روحانية البسطامي وهو من روحانية الإمام جعفر الصادق وهو من القاسم بن مُحَمَّد بن أبي بكر الصديق وهو من سلمان الفارسي وهو من سيدنا أبي بكر الصديق (رضي الله عنه) »[1]، وذكر السنوسي أيضا أن جعفر الصادق أخذ الطريقة القادرية عن جده لأمه القاسم بن مُحَمَّد بن أبي بكر الصديق وهو أخذها عن سلمان الفارسي وهو أخذها عن أبي بكر الصديق ﷺ وهو أخذها عن النبي ﷺ[2]، والأغرب – كما نلاحظ – أن الإمام جعفر الصادق أحد أئمة الشيعة يتصل سنده بأبي بكر الصديق ﷺ الذي يعتبره الشيعة عدوهم الأول.

وعن مسألة التكفير، كان الشيخ السنوسي متسامحًا في طبعه، وتقوم مرجعية عقيدته على أساس الوسطية، لذلك كان ضد التعصّب والغلو في الدين الذي تسبّب في ظهور مسألة "التكفير" التي تعتبر من أخطر المسائل التي أثارت الفتنة بين المسلمين عبر التاريخ، وأُريقت بسببها أنهار من الدماء وأُزهقت الأرواح واستُبيحت الأموال والأعراض. وعبّر الشيخ السنوسي عن موقفه بوضوح في كتابه " إيقاظ الوسنان في العمل بالحديث والقرآن "، حيث انتقد الخوارج[3] وعزرهم في اعتقادهم الذي يقوم على تكفير المؤمنين بالذنوب خاصة الكبائر[4]، وأكد بأن الأئمة قديمًا وحديثًا تحرزوا من تكفير المسلم، واستدل بحديث رسول الله ﷺ : ((إذا أكفر الرجل أخاه فقد باء بها أحدهما))[5]، وأردف بأن خطورة التكفير بالغة لأنها تؤدي إلى إحلال الدم[6].

وخلاصة القول، لم ترد في مصادر السنوسية عقيدة السنوسي، ولم يفصح هو عنها، بل أشار إليها بصفة مقتضبة من خلال مؤلفاته، غير أن تلميذه الشيخ فالح الظاهري فصل في الأمر، حيث أكد بأنه أشعري العقيدة[7].

---

[1] – مُحَمَّد بن علي السنوسي، **السَّلسبيل المعين في الطرائق الأربعين**، مرجع سابق، ص113.

[2] – مُحَمَّد بن علي السنوسي، **المنهل الروي الرائق في أسانيد العلوم وأصول الطرائق**، مرجع سابق، ص ص102، 103.

[3] – الخوارج : كل من خرج على الإمام الحق الذي اتفقت الجماعة عليه يسمى خاجيا، سواء كان الخروج في أيام الصحابة على الأئمة الراشدين؛ أو كان بعدهم على التابعين بإحسان، والأئمة في كل زمان. ينظر : الشهرستاني، مرجع سابق، ج1، ص92.

[4] – مُحَمَّد بن علي السنوسي، **إيقاظ الوسنان في العمل بالحديث والقرآن**، مرجع سابق، ص37.

[5] – مسلم أبو الحسن، مرجع سابق : 60/111.

[6] – دعم موقفه بما قاله الغزالي في هذا الشأن : « الذي ينبغي أن يميل إليه المحصل الاحتراز من التكفير مهما وجد إليه سبيلا، فإن استباحة الدماء والأموال من المصلين إلى القبلة المصرحين بقول لا إله إلا الله خطأ ». ينظر : مُحَمَّد بن علي السنوسي، **إيقاظ الوسنان في العمل بالحديث والقرآن**، مرجع سابق، ص138.

[7] – تعتمد على الوسط بين طرفي الإفراط والتفريط، والسالم من آفة التشبيه والتعطيل، وآفتي التجسيم والزيغ والتأويل. ينظر : أحمد مُحَمَّد جاد الله وخالد مُحَمَّد الفيتوري، مرجع سابق، ص777.

2-1-1-2- السلفية :

لم يكن السنوسي سلفيًا أو وهابيًا، ولا أعتقد أنه طبق "مبدأ التقية" أي يظهر ما لا يبطن خشية من الدولة العثمانية التي حاربت الوهابيين بلا هوادة، وقد ورد في مقدمة كتاب "شفاء الصدر بأري المسائل العشر من درر الفقه المالكي" ما يثبت أن السنوسي اشتُبه به في انتمائه إلى الوهابية التي تمثل السلفية، لكن بعد التحري ثبت غير ذلك وسُمح له ببناء زاوية أبي قُبَيس[1]، والشيخ أحمد بن إدريس – شيخ السنوسي – هو أيضًا كان بعيدًا كل البعد عن السلفية بدليل سلوكه وتصريحاته، فمثلًا قال : « اجتمعت بالنبي ﷺ اجتماعا صوريا ومعه الخضر عليه السلام فأمر النبي ﷺ الخضر عليه السلام أن يلقنني الأوراد فلقننيها بحضرته ﷺ »[2]. إن الشيخ السنوسي لم يتطرق إلى الوهابية في مصنفاته أو في رسائله، بل ولم يذكر مُحَمَّد بن عبد الوهاب ولم يشر إليه قط، وإنما ذكر ابن تيمية في مسألة الاجتهاد وفي أغلب الأحيان دون لقب "شيخ الإسلام"، وكل مصادر السنوسية لم تتكلم عن علاقة السنوسية بالوهابية ما عدا الأشهب والدجاني، ويبدو أن بقية المؤرخين نقلوا عنهما وساروا في ذاك الاتجاه[3].

وحسب دراستنا للموضوع، تأكد لدينا أن الاختلاف واضح بين الوهابية والسنوسية عقيدةً وفقهًا وسلوكًا، لذلك فإن كل الدراسات التي قارنت بينهما توصلت إلى نقاط اختلاف عديدة بينما نقاط التشابه لا تتعدى عدد أصابع اليد الواحدة[4]، والدجاني نفسه اعترف بذلك حيث قال بأن تأثر السنوسي بالوهابية وابن تيمية لم يتجاوز مبدأ الدعوة فقط. وبسبب اعتقادات السنوسية فإنها تعرضت لانتقادات كثيرة تبعدها تماما عن السلفية، ويكفي أن نذكر أن بعض الدراسات الجادة حكمت عليها حكمًا قاسيًا جدًّا حيث وصفتها بِ "عمل المشركين قبل الإسلام"[5]، والاختلاف واضح وجلي بين الحركتين، فالسنوسي يؤمن بأمور تعتبر بدعية عند الوهابية مثل

---

(1) – مُحَمَّد بن علي السنوسي، **شفاء الصدر بأري المسائل العشر من درر الفقه المالكي**، مرجع سابق، ص9.

(2) – أحمد بن إدريس، **العقد النفيس في نظم جواهر التدريس**، القاهرة، دار جوامع الكلم، دت، ص4.

(3) – مثلًا، قال أبو القاسم سعد الله أن السنوسية تشبعت بالفكر الوهابي. ينظر : أبو القاسم سعد الله، **الحركة الوطنية الجزائرية 1830-1900**، مرجع سابق، ج1، ص390.

(4) – الاتفاق بين الدعوتين الوهابية والسنوسية في خمسة مسائل وهي : محاربة البدع والخرافات، وعدم المذهبية والتعصب، والاجتهاد، والتكفير، والجهاد. ينظر : مُحَمَّد عبد الله علي مصطفى، **منهج الإصلاح بين الدعوة الوهابية والدعوة السنوسية"دراسة مقارنة"**، رسالة ماجستير، جامعة القاهرة، 2005-2006، ص114.

(5) - إبراهيم بن مُحَمَّد بن إبراهيم، **الدعوة السنوسية دراسة وتقويم**، رسالة ماجستير، جامعة الإمام مُحَمَّد بن سعود الإسلامية. المملكة العربية السعودية، الرياض، 1404-1405هـ، ص113.

الكشف والتوسل بالأولياء ولبس الخرقة وبناء الزوايا وغيرها، كما أن الشيخ السنوسي أثنى على ابن عربي[1] ووصفه بالشيخ الأكبر، حيث قال : « وأرويها مسلسلا بلبس الخرقة ... وبالسند الأخير في الطريقة الأويسية إلى الشيخ الأكبر محي الدين بن العربي[كذا] (قدس الله سره) وهو لبسها كما قال في الفتوحات[2] ... »[3]، في حين يعتبر السلفيون ابن عربي أكبر الزنادقة بسبب نظريته الميتافزقية[4].

وفي اعتقادي تطابقت الحركة السنوسية والفكر السلفي في نقاطٍ محدودةٍ جدًّا وهي :

أولًا، طاعة ولي الأمر[5]: ظهر ذلك جليًا في احترام الخلافة العثمانية وعدم المروق عليها، رغم إيمان السنوسي بأحقية القرشي في الحكم-كما أسلفنا-، وظل ابنه المهدي على نفس المنوال، وقد كانت له مراسلة مع باشكاتب سراي يلدز بتاريخ 2 ربيع الآخر 1313هـ(22 سبتمبر 1895م) تؤكد هذا الأمر، حيث جاء فيها : « ... ومثلكم من يعلم حق الخلافة الكبرى وشأن الإمامة العظمى، وحيث أن الخلافة المنصورة العثمانية والإمامة المقدسة الإسلامية قد اثبت الله منذ مئات السنين في البيت العثماني وجودها وحقق عهودها، وقد افترض الله نصر هذه الخلافة المؤيدة للدولة العثمانية وطاعتها على كل مسلم يؤمن بالله واليوم الآخر في الباطن والظاهر ... »[6].

وقد وجد الصادق المؤيد – مبعوث الدولة العثمانية – في مُحَمَّد المهدي وكل الزوايا السنوسية الطاعة والولاء، فصرح قائلًا : « وهو شيخ صادق لمقام الخلافة وحسب وصية والده في كل صباح عقب الصلاة يجري الدعاء بالصحة

---

[1] – هو مُحَمَّد بن علي بن مُحَمَّد بن أحمد بن عبد الله الحاتمي، ولد سنة 560هـ/1165م بالأندلس، اشتهر بنظرية وحدة الوجود، له عدة مؤلفات وصلت إلى نحو ثلاثمائة، شهد له كثير من العلماء والأصوليين بالولاية والعلم والزهد، توفي بدمشق عام 638هـ/1240م. ينظر : معدّى الحسيني الحسيني، مرجع سابق، ص ص374-425.

[2] – الفتوحات المكية في أسرار المالكية والملكية : مجلدات للشيخ محي الدين مُحَمَّد بن علي المعروف بابن عربي الطائي المالكي المتوفي سنة 638، من أعظم كتبه وآخرها تأليفا، قال فيها كنت نويت الحج والعمرة فلما وصلت أم القرى أقام الله سبحانه وتعالى في خاطري أن أعرف الولي بفنون من المعارف حصلتها في غيبتي وكان الأغلب هذه (منها) ما فتح الله سبحانه وتعالى عند طوافي ببيته الكريم. ينظر : حاجي خليفة، مرجع سابق، مج2، ص1238. والفتوحات المكية : عرض تام لجميع المعارف الصُّوفيّة، ودراسة كاملة لمناهجهم وتعاليمهم في اثني عشر جزءا. ينظر : معدّى الحسيني الحسيني، مرجع سابق، ص380.

[3] – مُحَمَّد بن علي السنوسي، **المنهل الروي الرائق في أسانيد العلوم وأصول الطرائق**، مرجع سابق، ص91.

[4] – يشتهر بنظرية "وحدة الوجود" التي تقول بأن الوجود كله واحد، وأن وجود المخلوقات عين وجود الخالق عز وجل. ينظر: معدّى الحسيني الحسيني، مرجع سابق ، ص ص383-385.

[5] - واجبةٌ شرعًا لقوله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ ﴾ سورة النساء : الآية 59.

[6] – أحمد صدقي الدجاني، مرجع سابق، ص ص211، 212.

والعافية لخليفة المسلمين ثم تقرأ الفاتحة وذلك في جميع الزوايا ... وهو دائما يوصي أتباعه بطاعة أمير المؤمنين ومحبة الدولة العثمانية لأن طاعتها واجبة شرعا وعقلا »[1].

ثانيًا، التمسك بالكتاب والسنة : دعا الشيخ السنوسي إلى ضرورة التمسك بهما والتحكيم إليهما، ولمسنا ذلك في أغلب مصنفاته ورسائله، حيث ألَّح على طاعة الله ورسوله مستشهدًا بالقرآن الكريم والأحاديث النبوية الدالة على ذلك، ويعتقد السنوسي أن الابتعاد عن الكتاب والسنة هو الخطأ بعينه لأنه يؤدي حتمًا إلى الفشل والوقوع في المخالفات والخلافات أيضًا، واستدل بقوله تعالى : ﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَٱصْبِرُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾[2]، وأمر باتباع أئمة السلف، لذلك دعا إلى الاهتداء بأقوالهم وأفعالهم وأقاريرهم[3]، ولتدعيم آرائه اعتمد كثيرًا على الشيخ ابن تيمية – أحد أبرز منظري السلفية – خاصة كتابه "رفع الملام عن الأئمة الأعلام"، وقد صرح بنفسه بذلك في كتابه "كتاب المسائل العشر المسمى بغية المقاصد في خلاصة المراصد"[4]، رغم اختلاف المذهب بينهما؛ لأن السنوسي مالكي أما شيخ الإسلام ابن تيمية حنبلي.

ثالثًا، نبذ الخرافات : تنبذ السنوسية الخرافات والأفعال الذميمة مثل ذبح القرابين والشطح[5] واللهو ونحوها، وتدعو إلى الإصلاح وتشجيع العلم والجهاد والذود عن الإسلام والمسلمين، وهذه الأفعال من صميم الفكر السلفي، وبالتالي تكون السنوسية قريبة إلى التصوف السني ومنهج الصحابة الأخيار في هذا المجال.

وللعلم، فإن منهج الطريقة السنوسية الذي رسمه الإمام السنوسي سلوكًا وعملًا لا يحدد مواسم الركب ولا مجالس الحضرة ولا الطقوس الشركية كالتي عهدناها من الطرقيين، لكن حدث ذلك للأسف بعد وفاة مؤسسها[6].

---

[1] – أحمد صدقي الدجاني، مرجع سابق، ص ص213، 214.

[2] – سورة الأنفال : الآية 46.

[3] – مُحَمَّد بن علي السنوسي، **كتاب المسائل العشر المسمى بغية المقاصد في خلاصة المراصد**، مرجع سابق، ص8.

[4] – نفسه، ص8.

[5] – الشطح معناه عبارة مستغربة في وصف وجد فاض بقوته وهاج بشدة غليانه وغلبته، والشطح عند العرب هو الحركة. ينظر : أبو نصر السراج الطوسي، مرجع سابق، ص453.

[6] - ذكر الأشهب أنه اتُّخِذ يوم وفاة الشيخ السنوسي بجميع الزوايا السنوسية يومًا مشهورًا لإحياء الذكرى، حيث تُقام حفلات التأبين وتُقدم الصدقات للفقراء والمساكين وتُنحر الذبائح ويُقدم لحمها إلى البؤساء والمحتاجين، كما يُقرأ القرآن ويُهدى ثوابه إلى روحه الطاهرة. ينظر : مُحَمَّد الطيب الأشهب، **برقة العربية أمس واليوم**، مرجع سابق، ص175.

واعتقد أن الأكثر تمسكًا بالسلفية فكرًا وعملًا هو أحمد الشريف السنوسي، لقد كان صوفيًا معتدلًا في أفعاله، ومتمسكًا بالكتاب والسنة، ومجاهدًا فذًا، ومخلصًا طائعًا للخلافة وأولي الأمر؛ وكان تقيًا ورعًا معتزًا برأيه، لذلك رفض بكل جرأة وشجاعة الحركة الكمالية بقيادة مصطفى كمال أتاتورك والتي دعت إلى إلغاء الخلافة الإسلامية، واضطر حينها إلى مغادرته تركيا، والدليل القاطع على سلفيته احتضانه من طرف آل سعود[1] وإقامته النهائية بالحجاز إلى غاية وفاته، إضافة إلى تأبينه –كما مر معنا– من طرف الشيخ عبد الحميد بن باديس رائد النهضة في الجزائر، وأحد أقطاب الفكر السلفي في العالم الإسلامي خلال القرن العشرين.

2-1-1-3- فكرة المهدية :

يؤمن أهل السنة والجماعة في عقيدتهم والشيعة أيضًا بظهور المهدي في آخر الزمان، ولم يشر القرآن الكريم إلى ذلك، لكن ورد اسم "المهدي" في الأحاديث النبوية[2].

وحسب الدجاني، أكد أحمد الشريف أن اعتقاد جده في مهدية ابنه كان كبيرًا جدًّا، حيث نقل لنا أن جده في مرضه الأخير، كان يستحي من نور ابنه المهدي، وأضاف أنه عندما سألته زوجته عن سبب تسمية ابنه بِ : "المهدي"، أجابها بأنه يأمل أن يكون "المهدي المنتظر"، واعتقاد السنوسي هو نفسه اعتقاد العامة من الناس في ذلك الوقت، بل أكثر رسوخًا لأسباب ذكرها الدجاني[3]. وكان موقف صاحب الشأن مُحَمَّد المهدي السنوسي معارضة الفكرة من أساسها، فلم يكن يؤمن باعتقاد الإخوان بمهديته وقد نفاها بشدة، بل نهر على ابن أخيه أحمد الشريف بسبب هذا الاعتقاد أثناء الرحلة إلى الكفرة[4]، وامتعض كذلك من زوجة أبيه البسكرية عندما سألته إن كان فعلًا هو المهدي المنتظر حسب الإشاعات التي راجت آنذاك، إذ اعتبرها مجرد خرافة[5].

---

(1) – مُحَمَّد الطيب الأشهب، **برقة العربية أمس واليوم**، مرجع سابق، ص322.

(2) - أخبرنا الرسول ﷺ عن صفاته ونسبه؛ بأنه من أهل البيت، فقال : ((المهدي مني أجلى الجبهة، أقنى الأنف، يملأ الأرض قسطا وعدلا، كما ملئت جورا وظلما، يملك سبع سنين)). ينظر : سليمان أبي داود، مرجع سابق، ج6، ص342. وعن اسمه قال ﷺ : ((لا تذهب الدنيا حتى يملك العرب رجل من أهل بيتي يواطئ اسمه اسمي)) وهذا حديث صحيح حسن. ينظر : أبو عيسى الترمذي، مرجع سابق، مج3، ص359.

(3) – أولًا : اسمه مُحَمَّد، ثانيًا : اسم أبيه مُحَمَّد، ثالثًا: اسم أمه فاطمة، رابعًا : بلوغه سن الأربعين عام 1300هـ، خامسًا : ولادته في ماسة. ينظر : أحمد صدقي الدجاني، مرجع سابق، ص ص182، 183.

(4) – نفسه، ص187.

(5) – نفسه، ص185.

وفي هذه الأثناء ادعى مُحَمَّد أحمد السوداني أنه المهدي المنتظر، وذلك في غرة شعبان 1298هـ الموافق لِ : 29 جوان 1881م، وقال من لا يؤمن به فقد كفر واستوجب العقوبة، وأضاف أن الرسول ﷺ قال : « من شك في مهديته فقد كفر بالله ورسوله "ثلاثا" »[1]، لذلك بعث رسالة[2] إلى مُحَمَّد المهدي السنوسي يطلبه اتباعه وبيعته، وفي نفس الوقت سلمه منصب خليفته الرابع تشبيهًا بعثمان بن عفان، أما رد مُحَمَّد المهدي السنوسي هو الرفض، وقد عبر عنه بازدراء قائلًا : « كتاب مُحَمَّد أحمد وصلنا. والرد عليه هو أن مقام عثمان لا يناله لا أنا ولا هو! »، ورجع الرسول أدراجه[3]، وفي رواية أخرى قال : « إنني لم أبلغ منزلة الغبار الذي ثار في أنف فرس عثمان ﷺ في إحدى غزواته مع رسول الله ﷺ ولا جواب عندي على هذا الكتاب »[4].

2-1-2- علم الحروف[5]والأعداد[6] :

تطرق عدة علماء إلى هذا العلم منهم ابن خلدون[7]، ومن المتصوفة ابن عربي[8] الذي كان الشيخ السنوسي متأثرًا به، ويثني عليه في بعض مصنفاته[9]، وكثيرًا ما استشهد بأفكاره وآرائه، ولا شك بأن علم الحروف قاسمٌ مشتركٌ بينهما باعتباره من علوم الباطن.

---

[1] – مُحَمَّد أحمد إسماعيل المقدم، مرجع سابق، ص481.

[2] – الرسالة مؤرخة في 5 رجب عام 1300هـ. ينظر : أحمد صدقي الدجاني، مرجع سابق، ص189.

[3] – مُحَمَّد فؤاد شكري، مرجع سابق، ص72.

[4] – علي مُحَمَّد الصلابي، **تَاريخ الحرَكَة السَّنُوسيَّة في أفريقيا**، مرجع سابق، ص187.

[5] - عرَّف داود الأنطاكي (ت1008هـ) علم الحروف بأنه علم باحث عن خواص الحروف إفرادا وتركيبا، وموضوعه الحروف الهجائية، ومادته الأوفاق والتراكيب، وصورته تقسيمها كما وكيفا وتأليف الأقسام والعزائم وما ينتج منها، وفاعله المتصرف، وغايته التصرف على وجه يحصل به المطلوب إقاعا وانتزاعا، ومرتبته بعد الروحانيات والفلك. ينظر : ساعد خميسي، "**منزلة الحروف في فلسفة محي الدين بن العربي الصوفية**"، مجلة الخطاب الصوفي، عدد1، 2007، ص170.

[6] - عرَّف ابن خلدون العلوم العددية على أن أوله الأرثماطيقي، وهو معرفة خواص الأعداد من حيث التأليف، إما على التوالي أو بالتضعيف. ينظر : عبد الرحمن بن خلدون، مرجع سابق، ص395.

[7] - عرَّف ابن خلدون علم الحروف والأعداد على أنه "السيمياء"، وربطه بالسحر والطلاسم والتنجيم، وأضاف بأن غلاة المتصوفة استغلوه في كشف حجاب الحس وظهور الخوارق على أيديهم. وشرح أيضًا بإسهاب طريقة العمل بالزايرجة وذلك بحساب الأعداد ومطابقتها بالحروف بطريقة معقدة. ينظر : نفسه، ص ص413-433.

[8] – يعتبر ابن عربي – إضافة إلى ابن خلدون والبوني – من الركائز الأساسية في علم الحروف بالنسبة للتصوف الإسلامي. ينظر : مُحَمَّد بن بريكة، **التصوف الإسلامي من الرمز إلى العرفان**، ط1، الجزائر، دار المتون، 2006، ص157.

[9] – سماه "الشيخ الأكبر". ينظر : مُحَمَّد بن علي السنوسي، **السَّلسبيل المعين في الطرائق الأربعين**، مرجع سابق، ص43.

وغالبًا ما ترتبط الحروف بالأعداد في أسرار الكشف ودراسة الغيبيات لدى الصوفية، وحسب دراستنا للطريقة السنوسية في الدعاء والاستغاثة، نرى بعض الأرقام مميزة لديها، أبرزها رقم 3 و7 و70 و100 و41، وفي هذا المجال أشار الشيخ السنوسي إلى ما سماهم "رجال الغوث"[1] حيث قال بأنهم يتنقلون ويُعْرفون بطريقة سماها "دائرة الغوث" وهي من إنجاز الشيخ عطاء الله، وصورتها معروضة في كتابه "السّلسبيل المعين في الطرائق الأربعين"[2]، ودائرة الغوث هذه تشبه الزايرجة، فهي تتكون من دائرة مقسمة إلى أربعة أقسام متساوية تمثل الجهات الأربعة : الشرق، والغرب، والشمال، والجنوب، إضافة إلى أربع جهات أخرى تسمى : نكبى وإيسان وبايد ويثرب، تقع كل واحدة منها بين جهتين من الجهات الأربعة السالفة الذكر.

ويبدو أن الشيخ السنوسي له خبرة في "دائرة الغوث" هذه، حيث قام بشرح طريقة عملها بالتفصيل، وأهم ما قاله بأن رجال الغيب حقيقيون يظهرون في جهات معينة، وعندما ندقق في شكل دائرة الغوث وطريقة عملها تكون أقرب إلى عمل التنجيم والسحر واستحضار الأرواح، ورغم ذلك أكد الشيخ السنوسي على نفعها وقال بأن لها أسرار مصونة ودخائر مكنونة، تهذب النفس وتكشف حجب الغيب[3]، ولقضاء الحاجات أكّد بأنه يمكن الاستعانة والتوسل بما سماهم "رجال الغيب" استنادًا إلى دائرة الغوث، فقال في هذا الشأن : « ومن الأسرار المصونة والذخائر المكنونة المناسبة للصادقين في أحوالهم الموافقة لطريق الموفقين من عمالهم التوسل إلى الله بعباده المشهورين برجال الغيب في تهذيب النفس الجانحة وكشف ظلمتها ودفع ما تراكم عليها من حجب الغيب في قضاء الحاجات ... »[4]. ولرجال الغيب عند السنوسي قدرات عجيبة وخارقة، فمثلًا ييسرون أمور المسافر بكيفية غريبة جدًّا، وهي : « فإذا أردت حاجة أو قصدت سفرا فاعرف مكانهم بما مر وصل ركعتين لله تعالى، واقرأ فيهما بعد الفاتحة سورة الإخلاص وبعدها في أول الفلق وفي الثانية الناس مرة مرة، فإذا سلمت فتوجه إليهم واخط إلى جهتهم سبع خطوات أو ثلاثة ثم اقعد على ركبتيك مفترشا أو متوركا مطرقا متأدبا معهم موقنا بسماعهم لندائك راجيا إجابتهم لدعائك ... »[5]، وفي مثال آخرٍ ذكر بأنهم يستطيعون مساعدة الجند في تحقيق النصر على

---

[1] – الأغواث : أشارت إليهم الأحاديث التي تقول (بهم يغاث الناس، وبهم ينصرون) ... إلخ. ينظر : معدِّى الحسينى الحسينى، مرجع سابق، ص909.

[2] – مُحَمَّد بن علي السنوسي، **السَّلسبيل المعين في الطرائق الأربعين**، مرجع سابق، ص157.

[3] – نفسه، ص157.

[4] – نفسه، ص157.

[5] – نفسه، ص159.

الأعداء، والأغرب أنهم يستطيعون رد مظلمة الخصوم في المحاكم[1]، ونلاحظ أن اعتقاد الشيخ السنوسي بمن يُطلق عليهم "الأوتاد" و"الأقطاب" و"المجذوبين" وغيرهم راسخ جدًّا، حيث استدل على وجودهم بكتاب جلال الدين السيوطي[2] الموسوم بِ : "الخبر الدال على وجود القطب والأوتاد والنجباء والأبدال"[3]، وهو كتاب رصين ودامغ عند السادة الصوفية[4].

وللشيخ السنوسي خبرة في أسرار الحروف، وقد تطرق إليها بشيء من التفصيل في معرض حديثه عن الطريقة الشطارية في كتابه "السّلسبيل المعين في الطرائق الأربعين"، فقال : « ولأهل هذه السلسلة في فن الدعوة والعمل بها طرق عديدة من أشرفها دعوة الكليات والجزئيات وهو أن ينظر ما يوافق اسم المريد من الأسماء الإلهية فيؤخذ للنصاب حروفه اللفظية والمكتوبة ولو مكررة ما عدا حرف الندا[كذا] ... »[5]، ولم يكتف بذلك بل طبق مثالًا ربط به أسرار الحروف مع علم الأبراج[6]، وفي هذا السياق عثرنا في الأرشيف الفرنسي الخاص بالسنوسية على وثيقة بها كلمات غير مفهومة، تشبه الطلاسم[7].

وخلاصة القول، فإن علم الحروف علم قائم بذاته له قواعد وضوابط رغم صعوبته، وغالبًا ما يتفادى الباحثون الغوص في هذا العلم لارتباطه بمفهوم شيطاني وهو السحر، مما يسبب الرعب والخوف لدى الكثيرين، غير أن

---

(1) – مُحَمَّد بن علي السنوسي، **السَّلسبيل المعين في الطرائق الأربعين**، مرجع سابق، ص ص160، 161.

(2) – جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي المتوفي سنة 911هـ. ينظر : حاجي خليفة، مرجع سابق، مج1، ص427.

(3) – مُحَمَّد بن علي السنوسي، **المنهل الروي الرائق في أسانيد العلوم وأصول الطرائق**، مرجع سابق، ص12.

(4) – الخبر الدال على وجود الأقطاب والأوتاد والنجباء والأبدال : كتاب لجلال الدين السيوطي، في باب الأقطاب والأبدال جمع أحاديث صحاح وحسان وضعاف ومراسيل مقبولة ... ومن نماذج أحاديث الأبدال والأوتاد وإخوانهم : أخرج ابن عساكر في تاريخ دمشق بسنده عن(عمر) ﷺ كان إذا ذكر الشام قال : (يا ليت شعرى على الأبدال، هل مرت بهم الركب؟). وأخرج ابن أبي الدنيا في كتاب (الأولياء) وأخرجه الخلال في (الكرامات) أيضًا، عن الإمام (علي) قلت يا رسول الله من الأبدال؟ قال ﷺ : (هم ستون رجلًا) ... وأخرج ابن عساكر عن الإمام (علي) قال : (الأبدال من الشام، والنجباء من مصر، والأخيار من العراق). والمجذوب : هو من اصطفاه الحق سبحانه وتعالى واختصه بحضرة أنسه، وطهره بماء قدسه، فحاز جميع المقامات، بلا كلفة المكاسب والمتاعب ... ينظر : معدِّى الحسينى الحسينى، مرجع سابق، ص ص906-1016.

(5) – مُحَمَّد بن علي السنوسي، **السَّلسبيل المعين في الطرائق الأربعين**، مرجع سابق، ص115.

(6) - ضرب الشيخ السنوسي مثالًا عن كيفية استخراج الأسرار والمكنونات منها، وقال بأن هدفه معرفة فائدتها، والمثال هو : " يا عزيز المنيع الغالب على جميع أمره فلا شيء يعادله "، وقال بأن حروفه ثلاثون، ونصابه خمسة عشرة وهي: ع ز ي ا ل م ن غ ب ج ر هـ ف ش د. وبعد عمليات حسابية معقدة بشكل طلاسم توصل إلى برج هو "الأسد"، وبرجين هما "الجدي" و"الحوت" وذلك في معرض حديثه عن دخول الخلوة في الطريقة الجهرية. ينظر : نفسه، ص 134.

(7) – عثرنا في الأرشيف الفرنسي الخاص بالسنوسية على وثيقة غير مفهومة تبدو بشكل طلاسم. ينظر : A O M, 16H55

بعض الباحثين يرون غير ذلك ويربطونه بنوع من التصوف يسمى "التصوف العرفاني"[1]. ومهما يكن من أمر، فالأكيد أن لعلم الحروف والأعداد فائدة عظيمة في كشف أسرار هذا الكون الرائع، لأننا نرى في كل حرف وفي كل عدد إعجاز وبرهان على قدرة الله تعالى، وما يهمنا من هذا العلم هو الفائدة التي يقدمها للدين الإسلامي كما بادر إلى ذلك بعض المؤرخين[2].

2-1-3- الطب التقليدي :

كانت الزوايا السنوسية بمثابة بيت للعجزة ومستشفى يقدم الدواء للمريض، وتتم معالجته وإحضار الأطباء له[3]، ويعد الطب التقليدي إحدى طرق العلاج المتبعة، وتتنوع وصفاته منها التداوي بالأعشاب والزيوت والرقية والكي وغيرها، وهو ما يسمى بالطب البديل الذي يعد من أبرز طرق العلاج في العالم العربي والإسلامي، ويعد أيضًا من أبرز ثقافات وتراث المسلمين قديمًا وحديثًا.

ولم تكن الزوايا السنوسية استثناءً، حيث اشتهرت هي الأخرى بهذا النوع من العلاج، وقد وقفت على كُنَّاش للشيخ أحمد بن إدريس[4]، عبارة عن مراسلات مع بعض تلاميذه من بينهم الشيخ مُحَمَّد بن علي السنوسي، تضمنت وصفات لعلاج عدة أمراض، نذكر منها على سبيل المثال : دواءٌ لإزالة العسرة، ودواءٌ لإزالة اليرقان وضعف البدن والبرص وغيره[5]، ودواءٌ للأمراض الرأسية، وعلاج عسر الولادة والفتق[6]، وعلاج المصروع وحرق الجآن[7]، واستخارة وعلاج "البحوحة" وحل الصوت، وعلاج وجع الحلق والإسهال، وعلاج السحر وإزالة الصداع والأمن من الفالج[8]، وتضمن أيضًا علاج العجز الجنسي، وهو موجود في "قول البرماوي في شرح البخاري"، وعلاجه كما يلي : تُؤخذ سبع ورقات من سدر أخضر، ثم تُدَّق بين حجرين وتُخلط بماء، ثم يُقرأ عليها

---

(1) – مُحَمَّد بن بريكة، مرجع سابق، ص149.

(2) – نفسه، ص ص150-192.

(3) – علي الجميل الموصلي، مرجع سابق، ص18.

(4) – أحمد بن إدريس، كناش، مكتبة مكة، رقم 3896، أوله : « بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، من أحمد بن إدريس إلى ولده وقرة عينه وحبيبه ووليه مُحَمَّد عثمان كان الله له كينون أهل الإحسان السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد. فقد وصلنا كتاب من أخينا مُحَمَّد بن علي السنوسي يستأمرنا في نفسه ... »، وآخره « فالريح تحطم إن هبت عواصفها دوح الثمار وبنحو الشبح والرتم ».
ينظر : أحمد بن إدريس، **مراسلات بعض التلاميذ**، كناش رقم 3896، فهرس في 1427/8/20هـ، مكتبة مكة، المملكة العربية السعودية.

(5) – ينظر : الملحق رقم 19، لوحة (ا)، ص424.

(6) – ينظر : الملحق رقم 19، لوحة (ب)، ص424.

(7) – ينظر : الملحق رقم 19، لوحة (ج)، ص424.

(8) – ينظر : الملحق رقم 19، لوحة (د)، ص424.

آية الكرسي وكل سورة أولها "قل"، وبعدها يحتسى منها المريض ثلاث جرعاة، ثم يغتسل بالباقي، وغير ذلك من الوصفات العلاجية.

واشتهرت السنوسية باستعمال عدة نباتات وأعشاب للعلاج، أشهرها نبات الزعتر، الذي يدخل في علاج كثيرٍ من الأمراض منها البرد[1]، وللحيوانات نصيبها أيضًا كالإبل، حيث يستعمل معدن الكبريت في برقة لعلاجها من الأمراض خاصة الجرب[2].

والتداوي بالأعشاب منتشر أيضًا في تشاد، وغالبًا ما يتولاه شيخ الخلاوي الذي يسمى عادة بِ : "الفقيه"[3]، وتعتبر الخلوة مدرسة قرآنية وفي نفس الوقت مركزًا للعلاج، لكن تتم بوسائل تقليدية كاستعمال الأعشاب والبخور ونحو ذلك، وتستعمل الرقية أيضًا لكن بشكل غريب في كثير من الأحيان، فمثلًا يرقي الفقيه بالكتابة على ورقة تعلق أو قراءة مع النفث بأعداد معينة على لوح خشبي أو غيرها، ثم محو ذلك بالماء وإعطائه للمريض ليشربه، وغير ذلك من الطقوس العجيبة، وفي هذا السياق غالبا ما يظهر علاج موازي للرقية الشرعية وهو الشعوذة والسحر، وذلك من طرف دخلاء يستغلون الفرصة لكسب المال، وهذا الفعل شوه صورة الإسلام في تلك المناطق، ورغم أنه عمل مشين إلا أنه يعد من الطقوس الرائجة في أفريقيا السوداء، لأن الأفارقة يشتهرون بممارسة السحر ويتفننون فيه، واعتقادهم فيه كبير جدًّا، ولم يستطيعوا التخلص منه، والأكيد أنه من العادات الوثنية التي ظلت راسخةً وامتزجت مع الإسلام.

2-1-4- العلوم النظرية والتطبيقية :

من أهداف الشيخ السنوسي النبيلة اللحاق بالركب الحضاري، لذلك دعا إلى نهضة إسلامية شاملة، وكانت الجغبوب بمثابة حاضرة علمية تدرس فيها مختلف العلوم النظرية والتطبيقية أيضًا، لذلك كان الإخوان على دراية بعلم الكيمياء، وتجليد الكتب، كما استعملوا الطاقة الريحية[4]، واهتموا أيضًا بالصناعة الاستخراجية وذلك باستخراج مادة الجير التي تستعمل عادة في البناء. وفي ميدان الزراعة شيدوا مخازن لحفظ المئونة والغلال

---

[1] – مُحَمَّد الطيب الأشهب، **برقة العربية أمس واليوم**، مرجع سابق، ص56.

[2] – نفسه، ص56.

[3] – يستطيع الفقيه أن يشغل مهام القاضي والإمام والمفتي. ينظر : بول مارتي، مرجع سابق، ص91.

[4] – استُخدِمت "طاحونات الريح" بالجغبوب. ينظر : مُحَمَّد الطيب الأشهب، **برقة العربية أمس واليوم**، مرجع سابق، ص ص 190، 191.

والبضائع[1]، خاصة وأن الجبل الأخضر كما ذكر الحشائشي يعد من أخصب أرض الله[2]، حيث يوفر عدة منتجات زراعية، كما نصَّب السنوسيون بالجغبوب طواحين منها ما يُدار بقوة الرياح وأخرى بالدواب، علاوة على معاصر الزيتون، ومصانع دباغة الجلود، وورشات لصنع الأحذية والسروج والحياكة وصناعة الحصير والخشب وقص الزجاج[3]، وغيرها من العلوم والصناعات الحديثة.

وعلوم الري ونظم السقي من أبرز ما اهتمت به الحركة السنوسية أيضًا، لأن الماء شريان الحياة، خاصة وأن أغلب مناطق تواجدها كانت في الصحراء على غرار الجغبوب المقر الرئيسي، لذلك حافظت على تقنيات السقي التقليدية مثل نظام الفقارة[4] الموجود منذ القديم[5]، ويعد نظام السقي هذا إرثًا ثقافيًا بامتياز تميز به الفلاح في المغرب العربي عمومًا. وتشير دراسة تاريخية أن الإخوان استعملوا في الجغبوب آلة تسمى "الدولاب"[6]، وقد جيء بها من واحة سيوة لسقي مزارعهم وبساتينهم ونخيلهم تاريخية[7]، وتعد هذه الآلة – رغم قدمها– إرثا ثقافيا هاما كذلك، ومظهرًا من مظاهر الحضارة التي وصل إليها الفلاح في الواحات الصحراوية عبر التاريخ، ورغم بساطتها إلا أنها اثبتت نجاعتها عبر آلاف السنين، حيث ساهمت في تعمير الواحات وازدهارها واستقرار الإنسان بها.

---

(1) - مُحَمَّد الطيب الأشهب، **السّنوسي الكبير عرض وتحليل لدعامة حركة الإصلاح السنوسي**، مرجع سابق، ص47.

(2) – مُحَمَّد بن عثمان الحشائشي، مرجع سابق، ص99.

(3) - مُحَمَّد الطيب الأشهب، **السّنوسي الكبير عرض وتحليل لدعامة حركة الإصلاح السنوسي**، مرجع سابق، ص47.

(4) – تعريف الفقارة : لغويًا، يرى البعض أنها جاءت من الفقر، لأن إنشائها يوقع صاحبها في الفقر لشدة التكاليف، أما اصطلاحًا هي سلسلة من الآبار مرتبطة بعضها ببعض بواسطة قناة أرضية باطنية ينحدر منها الماء تدريجيًا، تبعًا لقانون الميل، أو هي قناة جوفية أفقية ينحدر منها الماء تدريجيا، حيث يخرج الماء على سطح الأرض وتتخللها آبار لتسهيل العمل والتهوية، وهي وسيلةٌ لتوزيع الماء بين ملاك البساتين عبر مجموعة من السواقي. ينظر : زهراء زويني، **نُظم السقي في الجنوب الغربي الجزائري وانعكاساتها الاجتماعية والاقتصادية خلال القرنين (20/19م) (14/13هـ)**، أطروحة دكتوراه، جامعة دراية.أدرار. الجزائر، 1443/1442هـ – 2022/2021م، ص ص168-173.

(5) – اخترع الجرامنت نظام الري الصناعي "الفجارات" التي تعتمد في تغذيتها على مياه الينابيع. ينظر : عمران أحمد حسين الشريف، "**النشاط الاقتصادي في ليبيا القديمة منذ عصور ما قبل التاريخ حتى نهاية العصر الفنيقي**"، مجلة كلية الآداب، العدد الثاني، جامعة المرقب، د ت، ص160.

(6) – الدولاب المائي اختراع قديم لا يزال يستعمل حتى اليوم لرفع مستوى المياه، يحمل الدولاب الكبير أوعية تمتلئ بالماء خلال دورة الدولاب، وتنسكب المياه في حفرة خاصة عبر مسقط في الدولاب، ويدير ثور أو حمار أو جمل الدولاب عادة، دائرًا في حلقة طوال النهار. ينظر : مكتب البحوث في دار الفكر، **الموسوعة العلمية الشاملة صناعة اتصالات ومواصلات**، بيروت.لبنان، دار الفكر للنشر والتوزيع، دت، ص115.

(7) – يونس علي بالقاسم السنوسي، مرجع سابق، ص39.

لقد أدركت الحركة السنوسية أهمية الماء في الصحراء، لذلك اهتمت بإصلاح العيون، وحفر الصهاريج وهي نوع من الأحواض والسدود الصغيرة ينتفع بها عند الحاجة كالشرب أو السقي وغيرها، وركزت جهودها على حفر الآبار في الطرق الرئيسية، والتي عدت معالم للتجارة والحج أيضًا، وساهم ذلك بشكل كبير في إنشاء الزوايا السنوسية وازدهارها، وقال الأشهب أن السنوسية اهتمت بحفر الآبار وإصلاح الصهاريج التي كانت مدمّرة ومجهولة في الطريق المؤدية إلى تشاد[1]، ففي سنة 1286هـ قام العلامة مُحَمَّد بن الشفيع بحفر بئر جنوب الكفرة على مسافة أربعة مراحل من طريق السودان بأمر من الشيخ مُحَمَّد المهدي السنوسي الذي سمى هذه البئر "بشرى"، كما تم حفر بئر أخرى في نفس الطريق سماها "السارة"[2]، واهتمت السنوسية بالصحة أيضًا وذلك بتنظيف مجاري المياه المالحة للوقاية من الحمى، وإنشاء معمل خاص بتقطير الماء العذب[3].

وكانت نظرة السنوسي استشرافية للمستقبل، وهي تشجيع النهضة والأخذ بأسبابها لكن بمعزل عن تدخل الأوروبيين[4]، وكانت قناعته أن أوروبا تطورت ليس بالعلوم العقلية والنقلية، بل بالصناعة والفنون الحربية والعملية[5]، لذلك شمل التعليم السنوسي المجال العسكري، حيث كانت زوايا السنوسية بمثابة ثكنات عسكرية تُعلَّم فيها الرماية وفنون القتال[6]– كما أسلفنا –، وكان هدف السنوسية من وراء ذلك الجهاد والدفاع عن الإسلام والمسلمين، وفي هذا الشأن عزز مُحَمَّد المهدي صناعة السلاح واعتبرها مواصلة لسنة أبيه، وقد أشار إليها بامتعاض كل من دوفيري ورين، وكانت هذه الصناعة متطورة لأنها لم تقتصر على السيوف أو النيبال كما يعتقد البعض، فقد أشار الأشهب إلى وجود مصنع خاص بصناعة البارود في الجغبوب وورشات لتصليح الأسلحة[7]. وبسبب ظروف الحرب ضد فرنسا ثم إيطاليا حرصت السنوسية على تكوين نخبة عسكرية في الخارج، وذلك في عهد أحمد الشريف الذي اهتم كثيرا بالبعثات الطلابية العسكرية إلى اسطنبول، منذ أن أصبح الخليفة الثالث للحركة السنوسية

---

[1] – كان الإخوان يبادرون بأنفسهم إلى حفر الآبار، ومنهم الشيخ السنوسي نفسه الذي حفر بئرًا عمقه حوالي خمسين مترًا، قرب بشارة في طريق قرو، حسب ما رواه حفيده الملك إدريس. ينظر : إيريك آمار فولي دي كاندول، مرجع سابق، ص11. وكذلك حفر المهدي بئرًا جنوب الكفرة سماه "السارة". ينظر : الطاهر أحمد الزاوي، **معجم البلدان الليبية**، مرجع سابق، ص179.

[2] – مُحَمَّد الطيب الأشهب، **السنوسي الكبير عرض وتحليل لدعامة الإصلاح السنوسي**، مرجع سابق، ص ص75، 76.

[3] – نفسه، ص47.

[4] – عارض السنوسي إصلاحات مُحَمَّد علي باشا في مصر لأنه رأى فيها بابًا للتدخل الأوروبي في العالم الإسلامي، واختلفت المواقف والآراء حول ذلك إلى درجة أن صُدِرت فتاوى ضد السلطان نفسه، حيث أفتى المفتي بعزل السلطان سليم الثالث سنة 1807م بحجة أنه مبتدع يدخل أنظمة الإفرنج. ينظر : أحمد صدقي الدجاني، مرجع سابق، ص17.

[5] – نفسه، ص65.

[6] – نفسه، ص192.

[7] - يُصنع البارود من تراب معين في برقة ومن بعض النباتات. ينظر : نفسه، ص47.

عام 1902م، وكانت تجمع بين أحمد الشريف السنوسي وأنور باشا علاقات متميزة، وهذا ما نستنتجه من تصريح أوغلو الذي قال بأن أنور باشا أرسل ثلاثة وعشرين طالبًا من أبناء قبائل برقة لإتمام دراستهم باسطنبول، وأضاف بأنه سيلتحق ثلاثون آخرون[1]، ولم يشر التصريح بصراحة إلى السنوسية، وإنما يُرجح أن يكون لها دور أساسي في ذلك، والطلبة المعنيين تحت إشرافها، لأنها هي من كانت تمثل السلطة الفعلية في برقة.

2-2- الفنون :

2-2-1- العمران :

2-2-1-1- الزخرفة والجمال :

تركزت دراستنا على زاوية الجغبوب، لأنها تعتبر النموذج الأمثل لجمال العمارة والزخرفة والذوق الفني الرفيع، باعتبارها المقر الرئيسي للطريقة السنوسية. لقد وصفتها لنا الدراسات بأنها مستطيلة الشكل، وتبلغ مساحتها الرئيسية 50.00 × 55.00 متر[2]، وفي واجهتها الخارجية نلاحظ جمال اللون الأبيض الذي صُبغت به[3]، وكغيرها من العمائر الإسلامية توجد بها الأعمدة والأقواس[4] ذات النمط والمقياس الواحد، مما يعطي تناسقًا بديعًا سواء في الداخل أو الخارج، ومما زادها جمالًا القباب الموجودة في السطح، وتشير دراسة إلى أن بعض أقسام الجغبوب متكونة من طابقين[5]، دليلًا على تطور العمران فيها. ومن أبرز معالم هذه الزاوية قبة ضريح الشيخ السنوسي، حيث يلاحظ في داخلها مناظر رائعة تتمثل في : الزخرفة الجميلة[6]، والنقوش المتنوعة على الأعمدة والتيجان والأقواس، وعلى الخشب أيضًا[7]. والشكل الحلزوني للقبة يمنحها حسنًا وجمالًا، إضافة إلى الثريات المتعددة والتي تزيد من إنارة للمكان رونقًا خاصًا[8]، وما يشد الناظر الجدران المبنية بالخزف وبأشكال هندسية

---

(1) - مصطفى علي هويدي، **الحركة الوطنية شرق ليبيا خلال الحرب العالمية الأولى**، مر.صلاح الدين حسن السوري، طرابلس.ج ع ل ش إ، م م د ج ض غ إ سلسلة الدراسات التاريخية-7-، 1988، ص195.

(2) – يونس علي بالقاسم السنوسي، مرجع سابق، ص106.

(3) – ينظر : الملحق رقم 9، ص414.

(4) - أقواس نصف دائرية تسمى "بانكات" مرفوعة على دعائم تحمل السقف. ينظر: يونس علي بالقاسم السنوسي، مرجع سابق، ص108.

(5) – مصطفى عبد الله بعيو، مرجع سابق، ص45.

(6) – ينظر : الملحق رقم 20، ص ص425، 426.

(7) – في أقصى الفناء توجد باب من خشب الأبنوس، تعلوه نقوش رائعة، ومنبر المسجد خشبي يقع على يمين المحراب، ويتكون من ريشتين ومقدم ودرابزين وجوسق. ينظر : يوسف خليفة خليفة ويونس المحمَّد عبد الله سرافيل، مرجع سابق، ص ص285-287.

(8) – تتدلى من قبة الضريح مصابيح زجاجية ضخمة رائعة. ينظر : الملحق رقم 21، ص427.

متنوعة كالمعين والمستطيل والمربع، بداخلها رسومات وأشكال وآيات قرآنية بخطوط مختلفة، كما يلاحظ وجود مكان مسيج عبارة عن قبر الشيخ السنوسي[1]، والذي يعد من الأماكن المهيبة لدى الإخوان، وللإشارة، أعاد مُحَمَّد المهدي تشييد القبة[2]، وتجديد الضريح أيضًا، حيث جلب إليه أمهر البنائين من مكة ومصر[3].

ويحيط بزاوية الجغبوب منازل للعائلة السنوسية[4]، وأبرز ما تتميز به عمرانها البسيط، وربما عامل الطبيعة والمناخ الصحراوي الجاف أثر عليها بمرور السنين، ويعتمد البناء في الغالب على الحجارة، وعادة ما تُبنى المنازل بشكل متجاور، لذلك تكون الأزقة ضيقة[5]. ويعد البئر مصدر الحياة في البيئة الصحراوية، لذلك لا تخلو أي مدينة من آبار المياه، وهذا ما يُلاحظ على الجغبوب[6]، وقد اشتهرت الحركة السنوسية بحفر الآبار في الصحاري منذ نشأتها، على غرار بئر حكيم في طريق الجغبوب، وغيره – كما مر معنا –.

2-2-1-2- التخطيط :

يخطط الشيخ السنوسي بعناية لبناء الزوايا وأولها المكان الملائم والاستراتيجي، حيث يكون محصنًا ومرتفعًا فوق ربوة يصعب وصول الأعداء إليه، ولم يغفل الشيخ عن ورشة العمل بل كان يتابع بنفسه أشغال البناء ويراقبها بكل دقة، كتصميم الأشكال الهندسية ونوع الحجارة والطين والأخشاب والجبس وأجور العمال وغيرها، وهذا ما وقفنا عليه في بناء زاوية جدة[7]. وسار خلفاؤه على نهجه في التخطيط، أي مراعاة الإرتفاع في بناء الزوايا بشكل حصن أو رباط، وقد رأينا ذلك مع ابنه مُحَمَّد المهدي في بناء زاوية التاج، وبعدها زاوية ربيانة حيث بُنيت فوق جبل هي الأخرى يقال له القماز على بعد نصف ساعة من التاج[8]، ونفس الإستراتيجية بالنسبة لزاوية جانت بالجزائر –كما مر معنا– والتي بُنيت فوق جبل بشكل حصن[9]، وغيرها.

---

[1] – ينظر : الملحق رقم 20، صورة 4، ص425، 426.

[2] – في عام 1865م جُددت قبة الشيخ ووُسعت، وجُلب من أجلها الأسطاوات الماهرين من مكة المشرفة، فكانت من عجائب الدنيا. ينظر : مُحَمَّد فؤاد شكري، مرجع سابق، ص38. ينظر الملحق رقم 21، صورة (4)، ص427.

[3] - أصبح ضريح الشيخ السنوسي في أبهى حلة وأجمل طراز، وآية من آيات الفن ومفخرة من مفاخر الجمال، خاصة عندما جدد عام 1282هـ/1865م. ينظر : مُحَمَّد الطيب الأشهب، **برقة العربية أمس واليوم**، مرجع سابق، ص175.

[4] – ينظر : الملحق رقم 22، صورة (ا)، ص428.

[5] – ينظر : الملحق رقم 22، صورة (ب)، ص428.

[6] – ينظر : الملحق رقم 22، صورة (ج)، ص428.

[7] – ينظر : الملحق رقم 1، ص406.

[8] – أحمد الشريف السنوسي، **الدُّر الفريد الوهاج بالرحلة المنيرة من الجغبوب إلى التاج**، مرجع سابق، مخ.

[9] – ينظر : الملحق رقم 12، ص417.

ونلاحظ أن الزوايا في ليبيا بُنِيت بنفس المسافات فيما بينها تقريبا؛ أي حوالي نصف ساعة بين زاوية وأخرى[1]، وفي اتجاه واحد بشكل حلقات مترابطة، ترسم طريقًا غالبًا ما يكون نحو الجنوب، وذلك لتأمين الطرق التجارية نحو السودان، أو نحو الشرق باتجاه الحجاز لتأمين قوافل الحج.

وكان الشيخ السنوسي مسيِرًا بارعًا، حيث اهتم بالوقت، وذلك بتوزيع العمل على مدى أيام الأسبوع من خلال جدول عمل أسبوعي دقيق، وهذا ما لاحظناه عند بناء الزاوية البيضاء، حيث اهتدى رفقة شيوخ من الإخوان[2] إلى فكرة عبقرية وهي تخصيص لكل قبيلة يوم عمل من كل أسبوع، فكانت كل قبيلة تقوم بعملها في يومها المخصص لها على أكمل وجه[3]، وهكذا يُضمن الجد في العمل، والمنافسة الشريفة، وعدم التعب، وتجنب التداخل في المهام، وضمان مشاركة الجميع أي التعاون والتكافل الإجتماعي، مما يعزز أواصر الأخوة بين القبائل.

2-2-1-3- مواد البناء :

تختلف المواد المستخدمة في بناء الزوايا حسب طبيعة المناطق الجغرافية، لذلك لاحظنا ثلاثة أنماط :

أولًا، المناطق الصحراوية : يستعمل سكان الواحات الطوب الصلب وغير الصلب والآجر والطين والجبس والخشب، وتأكد هذا في زاوية الجغبوب[4]، حيث استُعمل الحجر الجيري والطين لبناء الجدران، إضافة إلى جذوع النخيل والسعف لتشكيل السقف، ونفس الأمر بالنسبة للمنازل المجاورة[5]، والآبار تُبنى بكرناف النخل وهو أصول الجريد الثابتة في جسم النخلة[6]. وبالنسبة للطوارق فإنهم يبنون مساجد بسيطة مصنوعة من الحصر أو الحشائش اليابسة وهي أشبه بالأكواخ، وعادة تكون بدون سقف، يشرف عليها ويدرس فيها مجموعة من الفقهاء يسمون "اينسلمن"[7].

وبُنيت زاوية جانت – وهي منطقة صحراوية أيضا- حسب نمط عمران سكان المنطقة، والتي في الغالب تتماشى مع بيئة الطاسيلي الصحراوية الجافة، حيث تتميز ببساطة العمران، واستُعمِلت مواد أولية محلية في البناء

---

(1) – مُحَمَّد فؤاد شكري، مرجع سابق، ص32.

(2) – الشيوخ هم : أبو بكر بوحدوث، وعمر بوجلفاف، ومقرب بوحدوث. ينظر : عبد المالك بن عبد القادر بن علي، مرجع سابق، ص32.

(3) – كانت كل قبيلة تجمع الأحجار وتأتي بالماء والأخشاب والزاد والذبائح، حتى تم بناء المسجد والزاوية. ينظر : نفسه، ص32.

(4) – بُني المسجد من حجارة جُلبت من محجر قريب. ينظر : يوسف خليفة خليفة ويونس المُحَمَّد عبد الله سرافيل، مرجع سابق، ص285.

(5) – بُنيت بالطوب الرملي الشاحب. ينظر : روزيتا فوربس، مرجع سابق، ص284. وينظر : الملحق رقم

(6) – الطاهر أحمد الزاوي، **معجم البلدان الليبية**، مرجع سابق، ص86.

(7) – مُحَمَّد سعيد القشاط، **التوارق عرب الصحراء الكبرى**، مرجع سابق، ص63.

مثل جذوع وسعف النخيل، وتربة وطين الوادي، وحجارة الجبال وطينها الأبيض، وغيرها[1]. وكعادة الجزائريين يتعاون الأهالي في العمل الجماعي كبناء القصور والبيوت والمساجد وغيرها، بطريقة تُسمى "التويزة"، وقد طُبِّقت في بناء زاوية جانت، وغالبا ما يصاحب هذا العمل الجماعي التصلية على النبي ﷺ ،كنوع من بث الحماس وروح التعاون والتضامن بين الأهالي، وذلك لإتمام العمل بسهولة والتغلب على التعب[2]. ونفس مواد البناء أشار إليها الحشائشي في بناء مدينة غات، حيث قال بأنها بُنيت من الطين والتراب وزعف[كذا] الجريد، يقصد سعف الجريد[3]، وفي هذه المناطق الصحراوية قد لا يستعمل البناء أصلًا، ويكتفي البوادي غالبًا بالخيام، وهو ما لوحظ على أهالي طرابلس، باعتبارهم عرب يعيشون في بيوت من شعر[4]. وعمومًا فإن الخيمة تمثل النمط السكني المعتمد في الصحراء، وهي تصنع عادة من وبر الإبل وشعر الماعز وصوف الضأن وأحيانًا من الجلود أو القماش الغيني[5]، وبعض الواحات ليس بها مساجد، حيث يكتفي غالبية السكان بمصلى من الرمال يوجد وسط الزرايب[6]، وعادة ما يستخدم السكان في هذه المناطق نبات الحلفاء والسمار وسعف وليف وجريد النخيل وغيرها في البناء، ويستعملونها أيضًا في عدة حرف كصناعة الحصائر والسلال والمضلات والمروحات ونحوها، وللطين أيضًا دور في صناعة مختلف أواني المطبخ كالقدر لطهي الطعام، والجرة للشرب، وغيرها[7]، وكذلك استغلال الجلود في الصناعات الجلدية كالنعال والسروج ونحوها، والأصواف والأوبار في الصناعة النسيجية وغيرها.

ثانيًا، المناطق التلية الرطبة : يؤخذ الطقس بعين الإعتبار في العمران بسبب مناخ البحر الأبيض المتوسط الرطب، لذلك تُستعمل الحجارة الصلبة والأعمدة المتينة في البناء، والإهتمام بمتانة السقف ضروري لتجنب أي تسرب لمياه الأمطار، أو الثلوج عند ذوبانها، وهذا ما نلاحظه مثلًا في الزاوية البيضاء[8]، حيث استُخدم في بنائها الطين الذي يخلط بالجلة، والرمل الذي كان ينقل بواسطة الثيران من شاطئ الحمامة[9]، لكن يجب الحذر من آراء المستشرقين المضللة مثل بريتشارد الذي أكدّ بأن أغلب الزوايا هناك أقيمت على منشآت يونانية ورومانية[10]، في

---

(1) – مقابلة مع فاطيمة تقابو، مديرة الديوان الوطني للحظيرة الثقافية للطاسيلي ن ازجر، أجريت بمقر الحظيرة وبالضبط بالمكتبة، يوم 2 جانفي 2023 على الساعة 11.

(2) – نفسه، مقابلة مع فاطيمة تقابو.

(3) – مُحَمَّد بن عثمان الحشائشي، مرجع سابق، ص109.

(4) – يونس علي بالقاسم السنوسي، مرجع سابق، ص53.

(5) – بول مارتي، مرجع سابق، ص11.

(6) – نفسه، ص41.

(7) – نفسه، ص111.

(8) – ينظر الملحق : رقم 7، ص412. والملحق : رقم 8، ص413.

(9) – مُحَمَّد أبو بكر السنوسي، مرجع سابق، ص19.

(10) – أحمد صدقي الدجاني، مرجع سابق، ص238.

إشارة ضمنية إلى تعدي السنوسية على الآثار، واتهامها باستعمال حجارتها في البناء، وقد ذكر ذلك صراحة المؤرخ جون لويس تريو[1]، وهذه اتهامات باطلة غير صحيحة باعتبار أن مواد البناء المستعملة في زوايا ليبيا كلها من الحجر الجيري المتوفر في الجبل الأخضر والجبل الغربي على حد سواء[2]، وما بال عشرات الزوايا التي أُنشئت في الصحاري والقفار بعيدة عن آثار الإغريق والرومان؟[3]

ثالثًا، في السودان : يمتاز الطابع العمراني بالبساطة، فمثلًا المساكن في ريف تشاد عبارة عن كوخ من قش، يُبنى من الأعشاب والأغصان وفروع الأشجار، أما المساكن الحضرية تُبنى من الطين أو القرميد وتُسقف بالخشب أوالقصب[4]، وهذا النمط العمراني ينطبق تماما على المساجد والزوايا[5] والخلاوي، وأماكن العبادة بصفة عامة، وقد رصد لنا الرحالة الألماني ناشتيغال معلومات هامة حول نمط العمران في وداي أثناء رحلته، حيث وصف المباني هناك بأنها عبارة عن أكواخ، وأحيانًا أطلق عليها "الزريبة"، وقال بأنها مشيدة من الطوب، ووصف أيضًا الكوخ من الداخل وقال بأنه يتكون من دكة طينية مفروشة بحصير من سعف الدوم، وأواني الطبخ من الفخار[6].

2-2-2- موقف السنوسية من الموسيقى والرقص :

لقد ناقش العلماء المسلمون مسألة الموسيقى منذ القديم، وأجمعوا على تحريمها وحضور مجالس اللهو والإمتاع، وطُرحت هذه المسألة أيضًا أيام الشيخ السنوسي، حيث ناقشها الشيخ مصطفى البولاقي الأزهري المالكي(ت

---

(1) – قال تريو أن السنوسي بنى زاوية بالجبل الأخضر قرب شحات (Cyrène)، ليتمكن من استغلال حجارتها، وأضاف بأن له خبرة في معرفة منبع الماء في أي بقعة أثرية. ينظر:

Jean-Louis Triaud, **La Légende noire de la Sanûsiyya une confrérie musulmane saharienne sous le regard Français (1840-1930)**, vol.1, op.cit, p 24.

(2) – مُحَمَّد أبو بكر السنوسي، مرجع سابق، ص13.

(3) – الصحراء لا يوجد فيها شيئ من الآثار الرومانية. ينظر : مُحَمَّد بن عثمان الحشائشي، مرجع سابق، ص97. غير أننا نشك في معلومات الحشائشي لأنه ليس متخصصا.

(4) – عبد الرحمن عمر الماحي، **تشاد من الاستعمار حتى الاستقلال 1894-1960**، القاهرة، الهيئة العامة للكتاب، 1982، ص91.

(5) – هذا النمط من البناء ينطبق على زاويتي عين غلك وبئر علالي. ينظر : الملحقين رقم 14، ص 419، ورقم 15، ص420 .

(6) – جوستاف ناشتيغال، **رحلة إلى وداي ودارفور يناير 1873-أغسطس 1874**، تع.سيد علي مُحَمَّد ديدان، ط3، الخرطوم، ددن، 2013، ص ص36-149.

1263هـ) الذي حرّم الموسيقى والغناء وسماعهما، ووقف بكل حزم ضد من حاول إباحتهما خاصة لغرض اللهو واللعب والمجون[1].

ويعتبر الشطح والرقص من أبرز سلوكات الطرق الصوفية أثناء "الحضرة"[2]، وهو التقاء المريدين في حلقات الذكر بصفة جماعية يتمايلون ويرقصون عندما يصِلون إلى درجات متقدمة من الخشوع كالسكر والتجلي والإتحاد، طالبين المدد من أوليائهم، والطريقة السنوسية تحرم الشطح والموسيقى والغناء[3]، وهذا ما أكده الدجاني[4]، وليس من مبادئها الأفعال والسلوكات الغريبة مثل ما تقوم به بعض الطرق الصوفية[5].

لقد ظلت الحركة السنوسية بعيدة عن الخزعبلات وتبرأت منها، وحاربت كل مظاهر الشعوذة والسحر واستحضار الشياطين ونحوها، لأن منبعها سنة المصطفىﷺ، وهذا ما أكده الشيخ السنوسي، فقال : « فاعلم أن سبيل القوم إتباع النبي ﷺ في الجليل والحقير ... وأعمالهم موزونة بميزان الشريعة »[6].

ويُلاحظ أن السنوسية تحرم الموسيقى أثناء الذكر[7]، أما في مناسبات أخرى سمحت باستعمال بعض الآلات ومنها الطبل، وثبت ذلك في رحلة الشيخ المهدي السنوسي من الكفرة إلى السودان، وذلك كنوع من الإيذان بالرحيل[8]، وليس مستبعدا أن تقرع الطبول أيضًا في الحروب لبث الحماس في الجيش، أو استعمال الدف في

---

(1) – ألّف كتابًا في هذا الغرض، سمّاه : "السَّيْفُ اليَمَّانِيُ لمنْ قَالَ بِحَلِّ سَمَاعِ الآلاتِ والمغَانِي أو السُّمُّ القَاتِلُ لِلمُفتِيِّ المتَسَاهِلِ"– وقد مرَّ معنا –، عارض فيه الغناء واللهو الماجن، ورد على شخص وضعه من زمرة "السفهاء الجاهلين أصحاب الشهوات"، مستعرضًا آراء فقهاء المالكية ومصادرها، و قال عن الآلات : « الأوتار والمعازف، كالطنبور، والعود، والرباب، والكمنجة، والسنطير، وغير ذلك من الآلات المشهورة عند أهل اللهو والسفاهة والفسوق، وهذه كلها محرمة – بلا خلاف – ... ». ينظر : مصطفى البولاقي، مرجع سابق، ص ص5-105.

(2) – الطريقة الدرقاوية أنموذج : يمشي المريدون حفاة القدمين ويلبسون الأصواف المرقعة، ويقيمون الشعائر والمدائح الدينية بالرقص. ينظر : حنيفي هلايلي، **أوراق في تاريخ الجزائر في العهد العثماني**، ط1، عين مليلة.الجزائر، دار الهدى، 2008، ص31.

(3)- Edward Evan Evans-Pritchard, op.cit, p 7.

(4) – تقيد ابن السنوسي بالسنة، فلم يسمح بما سمحت به بعض الطرق الصوفية الأخرى عندما خالفت الفقهاء واستعملت الموسيقى في أذكارها. ينظر : أحمد صدقي الدجاني، مرجع سابق، ص251.

(5) - تقوم بعض الطرق الأخرى كالعيساوية بأكل النار والزجاج والضرب بالخناجر؛ وخوارق جسدية أخرى؛ أو النقر بالطار المزنج في حلقات الذكر طوال الليل مثل الزاوية الأسمرية بطرابلس الغرب. ينظر : أبو سالم العياشي، مرجع سابق، ص37.

(6) - أحمد صدقي الدجاني، مرجع سابق، ص246.

(7) – لا تجوز الموسيقى وأدواتها أثناء الذكر في الطريقة السنوسية. ينظر:

Octave Depont et Xavier Coppolani, **Les confréries religieuses musulmanes**, Alger, Adolphe Jourdan imprimeur-libraire-éditeur, 1897, p 554.

(8) – مُحَمَّد الطيب الأشهب، **برقة العربية أمس واليوم**، مرجع سابق، ص239.

المناسبات الدينية كالمولد النبوي مثلا ونحو ذلك، وللعلم فقد نقل لنا الحشائشي بأن الجيش التركي بالمنشية في طرابلس كان يعزف موسيقى تصدح نغماتها العقول[1]، ونحن نعتقد أن وسائل الموسيقى التقليدية المعروفة كالناي والمزمار والدُّف[2]، وغيرها، سمحت بها السنوسية أيضًا، خاصة في مناسبات الأفراح كالأعراس والختان والأعياد ونحوها، لا لشيء إلا تماشيًا مع فطرة البشر، وعادات الشعوب وتقاليدها، والسنة أيضًا[3]، بل هناك من العائلة السنوسية من صرح بحبه للموسيقى، ويستمع لها أيضا[4].

2-2-3- نظم الشعـــــــــر :

الشعر شكل من أشكال الفن الأدبي، وقد اهتم الإخوان بنظمه، حيث يعد من أبرز النشاطات الثقافية للحركة السنوسية، وأغلب شعرائها مروا معنا من قبل، ويعدون من فطاحل الشعراء[5]، حيث يُشهد لهم بالتألق والتفوق والإبداع، حتى أنهم يجارون شعراء العراق والأندلس في المستوى[6]، ويمتازون برقي المعاني وقوة البلاغة ورقة الألفاظ وحسن اختيار الكلمات وبعد الخيال، وتشير دراسة أن بعضهم لهم محاولات شعرية كثيرة إلى درجة بلوغ قصائد مرتبة "الديوان"، لكنها فُقدت بسبب الاحتلال الإيطالي[7]، وقد ركزنا على الشعراء الذين ولدوا في الفترة الزمنية للاطروحة، وتحاشينا قصائدهم التي كانت مواضيعها خارج تلك الفترة رغم كثرتها، مثل رثاء الشهيد عمر المختار، ومدح إدريس السنوسي، ومناسبات أخرى هامة.

والشيخ مُحَمَّد بن علي السنوسي كان نفسه شاعرًا – كما مر معنا– ، وأغلب مشايخ زوايا الطريقة السنوسية وأساتذتها شعراءٌ أيضًا، وأبرزهم في عهد الإمام السنوسي : فالح الظاهري، وعبد الله السني، وأحمد الطائفي، ومُحَمَّد

---

(1) – مُحَمَّد بن عثمان الحشائشي، مرجع سابق، ص70.

(2) – كتب عمر بن عبد العزيز بقطع اللهو كله؛ إلا الدّف وحده في العرسِ. ينظر : أبو يحي مصطفى البولاقي، مرجع سابق، ص94.

(3) – عن عائشة قالت : دخل علي أبو بكر وعندي جاريتان من جواري الأنصار تغنيان بما تقاولت به الأنصار يوم بُعاث قال : وليستا بمغنيتين. فقال أبو بكر : أَبِمَزْمُورِ الشيطان في بيت رسول الله ﷺ ؟ وذلك في يوم عيد. فقال رسول الله ﷺ : "يا أبا بكر إن لكل قوم عيدا وهذا عيدنا". ينظر : مسلم أبو الحسن، مرجع سابق، 892/16.

(4) – قال رضا السنوسي – ابن عم أحمد الشريف – : « ... أسرتنا أسرة من الأولياء، ويتحتم علينا أن نحيا حياة عزلة، قد لا نشاهد الرقص أو نستمع إلى الغناء، لن يفهم شعبنا ذلك، لكنني عندما أكون وحدي في بعض الأحيان في ساعة متأخرة من الليل، أقوم بتشغيل الجرامفون، لأني أحب الموسيقى جدًا جدًا ... ». ينظر : روزيتا فوربس، مرجع سابق، ص74.

(5) – يحفظ الإخوان عشرات الآلاف من الأبيات الشعرية. ينظر : مُحَمَّد بن عثمان الحشائشي، مرجع سابق، ص152.

(6) – يونس علي بالقاسم السنوسي، مرجع سابق، ص150.

(7) – نفسه، ص150.

بن الصادق، وعلي القوصي، ومُحَمَّد عبد المتعالي، وعبد الرحيم المغبوب، وغيرهم[1]، أمّا في زمن مُحَمَّد المهدي السنوسي : السيد أحمد بن إدريس الأشهب، ومُحَمَّد عبد الله السني، وعبد العزيز العيساوي، ومُحَمَّد بن عبد الله التواتي، وعبد الرحيم شلبي، ومُحَمَّد علي عبد المولى، وعبد السلام السني، وآدم الغزالي، وغيرهم[2]، إضافة إلى بعض التلاميذ مثل أحمد الشارف بن تكوك شيخ زاوية مستغانم.

وأشهر شعراء السنوسية على الإطلاق أبو سيف مقرب البرعصي، وهو من كبار الإخوان، وقد كان أديبًا وعالما فاضلًا من أجل العلماء، وله عدة مؤلفات[3]؛ وهو من عائلة طامية إحدى فروع قبيلة البراعصة، درس على يد السنوسي بالزاوية البيضاء، وأتَّم تعليمه بالجغبوب وتولى التدريس بها[4]، وتوفي بزاوية الجوف عام 1896م[5]. ولُقِّب أبو سيف مقرب بِ : "شاعر الحضرة السنوسية"، نظرًا لتعلقه بالطريقة السنوسية وكثرة قصائده حولها، حيث لا تمر مناسبة إلا وينْظم فيها قصيدة، ومن أشهر أشعاره وأروعها قصيدة نظمها في رثاء مُحَمَّد الشريف السنوسي بعنوان "مرثية في سيدي الشريف"[6]، استعمل فيها نوع من البديع يسمى "الترصيع"، حيث يبدأ كل بيت بحرف، وعند جمع القصيدة كلها تظهر لنا هذه الجملة "سيدي ومولاي السيد مُحَمَّد الشريف رضي الله عنه".

س	سرنا بنعشك خضع الأعنـــاق	سيرا دوين العدو والأعنـاق
ي	يا خير محمول لأعلى جنـــــة	ولحورها يلقينه بعنـــــاق
د	داء أصاب المكرمات فغالهـــا	واغتال روح مكارم الأخلاق
ي	يجري على وفق القضا حتما فلا	تبقى مواضيه على الأرمـاق
و	والدهر يعتام الأخاير والـــردى	يعتاد نهب نفس الأعــلاق
م	ما ضره لو أن صارم صرفـــــه	أبقاك للعافين والطـــــراق
و	والعلم والحلم الذي شمخت بـــه	آفاق جغبوب على الأفــاق
ل	لكنه لا ينتهي عن قصـــــده	بتطبيب أو رقية مـــن راق

---

[1] – يونس علي بالقاسم السنوسي، مرجع سابق، ص ص150، 151.

[2] – نفسه، ص151.

[3] – من مؤلفاته : "نظم في مسوِّغات الابتداء بالنكرة"، والمخطوطتين : "حاشية على شرح بحرقٍ للاميّة الأفعال لابن مالك" و "رسالة في البسملة" وكليهما محفوظتين في مكتبة بنغازي تحت رقم : 1960، و1045 على التوالي، وله مخطوطة مفقودة بعنوان "حاشية على شرح المكودي على الألفية". ينظر : أحمد مُحَمَّد جاد الله، "نظمان"، مرجع سابق، ص ص228، 229.

[4] - الطاهر أحمد الزاوي، **أعلام ليبيا**، مرجع سابق، ص ص401، 402.

[5] – مُحَمَّد فؤاد شكري، مرجع سابق، ص51.

[6] – مُحَمَّد بن عثمان الحشائشي، مرجع سابق، ص ص159-161.

أ أودى الشريف ابن الشريف مُحَمَّد من للمعالي بعده مـــن راق؟
ي يا جامعا أصل العلوم وفرعهـــا جمعا لمن ناواك غير مطـــاق
أ أنت الإمام لكل من أم الهـدى والدين بالإجماع والأصفـــاق
ل لك كنز معارف وعـــــوارف تحت الصفائح محكم الأطباق
س سر ثوى في روضة موشيـــــة وشى الربا غب الحيا الغيداق
ي يا ثاويا مع أصله في لحـــــده هذا قران السعد في الأعمـاق
د دار حوت المكارم والعـــــلا مع فرعه ثبتت على الأطـواق
م ما تلك جنة قد زخرفـــــت ورثت يا مولاي باستحقـــاق
ح حزت النعيم بها وكنت منعـــما والله يمنحك النعيم الباقـــي
م ما عذر من ينعاك إذا لم يرتـف كاس الردى من دمعه المهـراق
د دمع من العين منها مرســـل تهمي بذاك قريحة المـــآق
أ إن قصرت يوما فان قلوبنـــا أسرى لفقداك في اشد وثـاق
ل لو كان يفدى الميت بادر كلنـا يفدك بالآجـــال والأرزاق
ش شرفت يا جغبوب حقبا بالذي أعلى منارك بالثناء الباقـــي
ر روت إليك وجوه أمال الـــورى عطشا لورد نواك الدفـــاق
ي يسعى لأرضك كل جلف مملق فيثاب بالآداب والأرمـــاق
ف فازت رجال باحتلال رياضـه ورياضه الخلد النعيم الراقـــي
ر راض الأنام بعلمه وبحلمـــه فتقدموا في حلبة الأسبـــاق
ض ضار إذا ما ربته في دينـــــه أو رمت نقض العهد والميثاق
ي يا صفة صفوة يا شبل صبرا على ريب الزمان وخطبة الفـــراق
أ إن المنايا غاية ما دونهـــــا من ناصر كلا ولا مـــن واق
لا لا تخطئ الأحيا سهام حتوفهـا من فاته هذا فذاك يلاقـــي
ل لكن إذا كان المسير لجنـــــة كمسير سيدنا على الإطلاق
ه هان المصاب به وأن هد القـوى وجرت مدامعي بالدم الرقراق
ع علمي باني لاحق بمحمـــــد وارى أواري لواعج الأشـواق
ن نوحى عليه توجعا وتفجعـــا لمبرح قد ضاق عنه نطـــاق
ه هم هما بالرغم في تاريخـــــــه بجلوه قطر قدر الاشراق[1]

[1] – مُحَمَّد الطيب الأشهب، **برقة العربية أمس واليوم**، مرجع سابق، ص ص224، 225.

ومن القصائد المثيرة للانتباه وصف "الشاي"، باعتباره جزء من ثقافة الشعب الليبي بصفة عامة والسنوسيين خاصة[1]، ويسموه "الشاهي"، ومن أشهر ما نُظِم فيه أرجوزة الشيخ أحمد أمين، أحد مشائخ زاوية بنغازي، حيث قال :

وبعد فالشاهي لما أشتهر ونفعه بين الدناء قد ظهر
أردت نظم جملة مفيدة تجمع فنونه قصيدة
سميتها تحفة الأحباب بذكر ما طاب من الشراب[2]

ونظم الشعراء السنوسيون قصائد باللغة العامية أيضًا، أي اللغة الدارجة، حيث تستعمل كلمات وألفاظ محلية، لكنها لا تختلف عن الفصحى في البيان والإبداع والخيال، وهذا ما أكده الأشهب قائلًا : « ... وبالطبع إنه يختلف والأدب الفصيح من حيث الرقة واللين ولكنهما يتفقان من حيث سمو المعنى والتعبير الساحر والخيال المتسع والتصوير العجيب والإيجار المعيد والعذوبة ونغمات الموسيقى الفاتنة والألغاز المطلسمة التي لا يحلها إلا من له معرفته باع ... »[3]، وفي كثير من الأحيان يتضمن الشعر العامي ألغازًا وأمثالًا وحكمًا شعبية وغيرها، تعبر بحق عن تراث عتيق، مثلًا حكى الأشهب أن الشيخ رافع القاضي مر رفقة الشيخ المهدي الحرنه على فتاة فاتنة الجمال، فقال القاضي مازحًا :

يا مهدي زريتني على المضرة بنظرة الغرا اللي وجهها برق وقنن تعرا[4]

وأصبح الموضوع قطعةً أدبيةً رائعةً، استهوت كثيرًا من الشعراء من بينهم الشيخ يسن المبري الذي أنشد قائلًا :

يا مهدي زريت قاضي (حرابى) وخوه من أصحابي
وبوه من ذرى رايجات الحقابي على (بنت) على القول بيضا اترابي
العاشق اتضره بطعنات مرتين من عين حره[5]

---

[1] – كان السنوسيون يتنافسون في الشاهي، حيث كل واحد منهم يشرب ثلاث زجاجات بعد الغذاء ومثلها أو أكثر بعد العشاء، ولهم قصائد ينشدونها وقت شربه. ينظر : مُحَمَّد بن عثمان الحشائشي، مرجع سابق، ص176.

[2] – نفسه، ص ص176، 177.

[3] – مُحَمَّد الطيب الأشهب، **برقة العربية أمس واليوم**، مرجع سابق، ص87.

[4] – نفسه، ص91.

[5] – نفسه، ص91.

وفي مثال آخر، هجر السيد أحمد الشريف الحاج مُحَمَّد أبو فروة البرعصي بسبب تكاسله عن الجهاد، فأثّر هذا العقاب كثيرًا في الشيخ المهجور، لذلك دنى من خيمة السيد أحمد راجيًا الصفح، وأنشد ليسمع :

يا سيدنا ما نا امتاع الهجره منقبين تفايت جديد الفجره
ولانا امتاع الهينه ولا طاقنا واحد مواطي عينه
أياما ومفتاح الجبل في أيدينا اجدودي امع جدودك هم أسماع المجره[1]

وكان للنساء نصيبٌ أيضًا في نظم الشعر بالعامية، فهذه والدة الشيخ أبي بكر قويطين[2] لما سمعت بوفاة ابنها ورفاقه من الجيش السنوسي زمن مُحَمَّد المهدي السنوسي، لم تبكيه أو تندبه، بل فرحت معبرة عن ذلك بالزغاريد، وأنشدت قائلةً :

انعنهم افد آليساد اللي فى علالى رقدو[3]

وعمومًا، فإن البدو هم من يهتمون أكثر بالأدب والشعر بنوعيه : فصيحًا وعاميًا، وإذا تمعنا أبياته فإنها في الغالب تحتوي في ثناياها على حوادث تاريخية وحكايات وألغاز شعبية وغيرها، لذلك يعد هذا الأدب إرثًا ثقافيًا بامتياز، ومادة غنية للدراسة في جميع المجالات تاريخيًا وسوسيولوجيًا وانثروبولوجيًا وغيرها، وقد اشتهر أدباء برقة في هذا المجال، وهذه شهادة الأشهب تؤكد ذلك : « يعتني البدو بالأدب ويشجعون أهله ويحترمون شعرائهم ويقدمون لهم الهدايا، فالشعر البدوي ببرقة ثروة أدبية رائعة لا يستهان بها ومرجع تاريخي للحوادث الماضية ... »[4].

ولم يكن لنظم الشعر أماكن محددة كالنوادي الأدبية أو مسارح أو قاعات ثقافية أو ما شابه، وإنما هي نشاطات مناسباتية وموضوعاتها متنوعة، والأغراض الأكثر شيوعًا هي : المدح[5]، والرثاء، والمناسبات كعيد الفطر

---

(1) – مُحَمَّد الطيب الأشهب، **برقة العربية أمس واليوم**، مرجع سابق، ص91.

(2) – أبو بكر قويطين من بين الستين قتيلًا الذين استشهدوا من قبيلة الزوية. ينظر : نفسه، ص ص241، 242.

(3) – نفسه، ص242.

(4) – نفسه، ص87.

(5) – لم يكن المدح بغرض حاجة للمال، وإنما جاء عن قناعة وصدق عاطفة يركز الشعراء السنوسيون على الصفات الدينية والخُلُقية للممدوح مثل الشهامة والاستقامة والكرم، وأكبر الشخصيات الدينية والسياسية مدحًا الإمام المهدي السنوسي، وقد أفرد له الطيب الأشهب في كتابه المسمى "المهدي السنوسي" بابًا كاملًا أسماه : " نفحات الشعر في مدح إمام العصر "، ذكر فيه الكثير من القصائد الشعرية التي يمدح أصحابها مُحَمَّد المهدي. ينظر : أحمد الحابوني، مرجع سابق، ص ص65-67.

والأضحى والزواج ... ، والغزل[1]، والجهاد، ومن شعراء السنوسية الذين كان لهم ديوان شعري الشاعر حسين الأحلافي[2]، فنظم مثلًا قصيدة موسومة بِ : "مولد النور" مدح فيها النبي ﷺ في ذكرى مولده الشريف، فقال :

ولئن مدحت فلست أبلغ قدره ... يكفيه مدح الله ذي الآلاء
يكفيه أن رفع الإله مكانه ... واختصه بالقرب والإسراء
وشفاعة عظمى وحسبك أنه ... أمي فاق فطاحل العلماء[3]

وبمناسبة قدوم شهر رمضان، يقول :

هلال بدا في أفقه يتبسم ... يبشرنا أن حل شهر معظم[4]

وفي عيد الفطر يقول :

رمضان ولّى وانقضت أيامه ... بصيامها وصلاتها وصِلاتها
ومضت لياليه الجميلة كلها ... والعيد أقبل خاتما سهراتها[5]

وخلاصة القول، تعد تلك القصائد إرثا ثقافيا هامًا للحركة السنوسية، لأنها تتضمن عادات وتقاليد ونمط وسلوك وحياة السكان وطباعهم وتراثهم ونحوها، وساهم الشاعر السنوسي في توثيقها وحفظها للأجيال القادمة.

3- ضرب الأمثال والحكم وسرد القصص :

يعد ضرب الأمثال عند العرب من وسائل البلاغة، وعادة ما تكون مختصرة لكنها بليغة، توضح عدة معاني، وللعلم وهب الله هذه الخاصية للنبي ﷺ الذي أوتي جوامع الكلم[6].

---

[1] – لفالح الظاهري أبيات في هذا الغرض. ينظر : أحمد الحابوني، مرجع سابق، ص ص71-74.

[2] – حسين الأحلافي : شاعر ليبي، ولد بالجغبوب سنة 1905م، رحل إلى الجغبوب في أواخر أيامها قبل احتلالها بقليل، وتلقى فيها بعض العلوم، ثم هاجر إلى مصر والتحق بالأزهر الشريف، وأكمل تعليمه فيه، وبقي في مصر إلى أن التحق بالجيش السنوسي، وعاد معه إلى أرض الوطن وعين مدرسا وقاضيا، توفي سنة 1974م. ينظر : نفسه، ص ص65، 66.

[3] – نفسه، ص ص65، 66.

[4] – نفسه، ص74.

[5] – نفسه، ص ص74-79.

[6] – عن أبي هريرة، قال : قال رسول الله ﷺ : ((أُوتِيتُ جَوامِعَ الكَلِمِ، وجُعِلَتْ لِي الأَرضُ مَسْجِدًا وطَهُورًا)). ينظر : أحمد بن حنبل، **مسند الإمام أحمد بن حنبل (164-241هـ)**، تح.شعيب الأرناؤوط وآخرون، ط1، بيروت، مؤسسة الرسالة، 1997م، ج2، ص366.

وكان الشيخ السنوسي يجلس مع الإخوان ويحاورهم مستخدمًا الأمثال لتقريب الفكرة لهم، فمثلًا لكي يصل إلى أهمية اختيار المكان المناسب كالإرتفاع والتحصين، قال لهم : « الطير له عقل أم لا ؟ فقالوا : لا عقل له، فقال : هو لا يضع بيضه إلا فوق جبل شامخ حتى لا يلحقه ذيب ولا ثعلب ولا غيرهما، وقال: اليربوع له عقل؟ فقالوا له : لا، فقال : هو يجعل في حجره طرباقة وهي النفقاء، فإذا دخل عليه الحنش خرج منها ... »[1]. وعن أهمية الحرفة، كان السنوسي يشتغل مع الطلبة وينصحهم بها، واعتبر ذلك مثل العبادة، وأجرها عظيم، وضرب للإخوان مثالًا رائعًا بشكل حكمة ورأي سديد، فقال لهم : « يظن أهل الأوريقات والسبيحات أنهم يسبقوننا عند الله لا والله ما يسبقوننا »[2]، وفي هذا الإطار روى كبار الإخوان أن الشيخ السنوسي قال لهم : « الذهب في الأرض، فغوصوا لاستخراجه بالمحراث »[3] في إشارة منه إلى أهمية الزراعة، وقال لأحد تلاميذه يومًا : « بالكم تقولون الذي يقرأ النحو ما نوصله إلى الله، بالكم الذي يخدم الحجر والطين ما نوصله إلى الله بالكم تقولون الذي يرعى الإبل ما نوصله إلى الله ... »[4]، وفي هذا معنى ضمنيًا إلى أهمية العمل مهما كان نوعه، فهو يُعتبر عبادة بمفهوم واسع، عكس ما يعتقد البعض بأنه مجرد جهد عضلي، لذلك كان السنوسي يوصي ويُرَغِّب الإخوان دومًا في رسائله على الكد والجد والتخَّلي عن الكسل[5]، وأمثلة أخرى عديدة منها : "الدرر في غرس الشجر أو تحت ورق الشجر"، و"اليد العليا خير من اليد السفلى"، و"من مد يده متسولًا قصر لسانه"[6]، وغيرها.

ويأخذ المثال أحيانًا شكل الرمز الذي يعد من الأساليب البليغة عند العرب، ويحتاج ذلك إلى شخص بليغ، متمكنًا لغويًا ومتمرسًا بلاغيًا، لسرد الرموز في موضعها، والشيخ السنوسي أديبًا بارعًا لا يصعب عليه مثل هذا الأسلوب البلاغي، فقد حذر مثلًا قبائل برقة من مجيء الطليان الذين أشار إليهم بِ : "الحنش الأسود"، والذي يوحي إلى المكر والخطر في نفس الوقت، مما يستوجب الحيطة والحذر.

وبالنسبة للقصة تعتبر أساس فن الخطابة، وهي وسيلة ناجعة في جلب الانتباه، والقصة أسلوب تشويق ووسيلة تمرير الرسائل إلى الجماهير، وتشترك الخطابة والدعوة في علاقتهما المباشرة مع الجماهير، وبالتالي لهما نفس

---

[1] – أحمد صدقي الدجاني، مرجع سابق، ص154.

[2] – مصطفى عبد الله بعيو، مرجع سابق، ص50.

[3] – علي مُحَمَّد الصلابي، **تَاريخ الحرَكَة السَّنُوسيَّة في أفريقيا**، مرجع سابق، ص111.

[4] – أحمد صدقي الدجاني، مرجع سابق، ص157.

[5] – علي مُحَمَّد الصلابي، **تَاريخ الحرَكَة السَّنُوسيَّة في أفريقيا**، مرجع سابق، ص126.

[6] – مُحَمَّد الطيب الأشهب، **برقة العربية أمس واليوم**، مرجع سابق، ص ص187، 188.

الأسس والتدابير تقريبا، منها اعتمادهما على القصة والإشارة وتغيير نبرات الصوت وعنصر التشويق وشد انتباه السامع ونحو ذلك، وما يميز الدعاة والخطباء الناجحين قدرتهم على سرد القصة في موضعها وبأسلوب بليغ، وهذه ملكة يهبها الله لمن يشاء من عباده، وقد أدرك السنوسي أهمية القصة، لذلك لم تخل حواراته مع الإخوان وتوجيهاته منها، وغرضه في ذلك أخذ العبرة والتدبر؛ فمثلا ذكر الصلابي أنه حكى قصة لابنه المهدي والإخوان بين فيها أهمية القيادة الجماعية وضرورة حماية القائد لضمان النجاة في حالة الخطر[1].

4 – نشر الطريقة السنوسية :

لقد حرص الشيخ السنوسي على نشر الطريقة السنوسية التي أكد أن منبعها هو النهج المحمدي، ففي شمال أفريقيا تعد برقة المعقل الرئيسي لها[2]، وعند استقرار الإمام السنوسي بالجغبوب عمل على ترسيخ قيمها ومبادئها ونشر أورادها، وسار أبناؤه وأحفاده على نهجه، ولا ينكر إلا جاحد رسوخ السنوسية في برقة وتعلق الأهالي بها وبشيوخها، وقد صرح الحشائشي الذي زار طرابلس الغرب عام 1895م بأن الشيخ مُحَمَّد المهدي كان محبوبًا عند أهالي برقة، واعتقادهم فيه راسخ لا تزعزعه الجبال، وللسنوسية أتباع أيضًا خارج برقة لكن بنسب أقل بكثير، وذلك في طرابلس وفزان، وفي واحات مصر، والجزائر[3]، والمغرب الأقصى، والنيجر، وبلاد شنقيط، وغيرها.

وتعد وداي أول مملكة إفريقية اتصلت بها الحركة السنوسية، وكان ذلك في الحج عندما التقى الشيخ مُحَمَّد بن علي السنوسي بسلطان وداي مُحَمَّد الشريف في مكة، وأصبحا منذ حينها صديقين، ولم يطل الأمر كثيرًا حتى أصبح السلطان سنوسيًا أي من الإخوان، ويذكر المؤرخون أنه أخذ الطريقة السنوسية عام 1830م أي قبل وصوله إلى الحكم[4]، وعندما اعتلى عرش وداي سنة 1835م أصبح من أبرز المناصرين لها، واستمر ذلك إلى غاية وفاته عام

---

(1) – علي مُحَمَّد الصلابي، **تَاريخ الحرَكَة السَّنُوسيَّة في أفريقيا، مرجع سابق**، ص124.

(2) – عدد سكان برقة : 203500 نسمة. ينظر:

Henri Duveyrier, **La confrérie musulmane de sîdi Mohammed ben Ali Essenoûsî et son domaine géographique : en l'année 1300 de l'hégire=1883 de notre ère**, op.cit, p 54.

(3) – حصر دوفيري تأثير السنوسية بالجزائر في إقليم وهران. ينظر : Ibid, p 54.

(4)- Jean-Louis Triaud, **La Légende noire de la Sanûsiyya une confrérie musulmane saharienne sous le regard Français (1840–1930)**, vol1, op.cit, p 42.

1858م[1]، وللإشارة فقد اعتلى عرش هذه الملكة بعد ذلك الملك علي خلفا لأبيه، وامتد حكمه إلى غاية عام 1874م، وقد زاره ناشتيغال[2]، لكن للأسف لم ينقل لنا طريقة تصوفه ولا نشاطه الثقافي. وكما هو معلوم اشتهرت أفريقيا بتجارة الرقيق ومن بينها مملكة وداي[3]، لكن الشيخ السنوسي بادر بتحرير العبيد[4]، وأكد ذلك الأشهب[5]، وسار مُحَمَّد المهدي على نهج أبيه[6]، وساهم هذا العمل الإنساني في نشر الطريقة السنوسية والترويج لها في أفريقيا جنوب الصحراء، وذلك عن طريق العبيد المحررين أنفسهم، حيث كانوا خير سفراء لها[7].

---

(1) – مُحَمَّد فؤاد شكري، مرجع سابق، ص39.

(2) - عند زيارة ناشتيغال لوداي – في ضيافة الملك علي – وصف أباه أي الملك مُحَمَّد الشريف بالمستبد، ولا ندري لماذا ؟ واحتمال أن يكون بسبب اتهامه قتل المكتشف فوجل، بدليل أن ناشتيغال أثناء إقامته وصلته رسائل وأموال من السيد "روسي" قنصل النمسا بطرابلس، يطلب منه التحقيق في مقتل المكتشف فوجل الذي قُتِل في وداي عام 1856م. ينظر:

Gustav Nachtigal, **Sahârâ und Sûdân**, **Ergebnisse Sechsjähriger Reisen in Afrika**, Berlin, Verlagshanglung Paul Parey, 1881 , pp 56-58.

(3) - لاحظ رولفس وصول قافلة عبيد قدمت من وداي. ينظر : Guerhard Rohlfs, op.cit, p 163.

وبعث سلطان وداي عام 1880م إلى مُحَمَّد المهدي السنوسي ثروة بقيمة 300000 فرنك، تتكون من عبيد رجالًا، وزنجيات جميلات، وريش النعام، وغيرها. ينظر : A.O.M, 16H55.

(4) – اشترى الشيخ السنوسي قافلة من العبيد كانت في طريقها إلى الساحل مرورًا بالجغبوب، وقام بتعليمهم، ثم أعاد إرسالهم إلى بلدهم وداي ليكونوا خير مبشرين للطريقة السنوسية. ينظر : Edward Evan Evans-Pritchard, op.cit, p 16.

(5) - السنوسية تشتري الأرقاء صغارًا من السودان، ثم تربيهم في الجغبوب وغدامس، وعندما يكبرون تعتقهم. ينظر : مُحَمَّد الطيب الأشهب، **برقة العربية أمس واليوم**، مرجع سابق، ص183.

(6) - دلّت على ذلك رسالة له بتاريخ 23 جويلية 1900م وجهها إلى السيد البراني، حيث أمره بعدم استرقاق الأطفال والنساء، ونهاه عن النهب والسلب، وطلب منه أن يعمل الخير كتعليم أولادهم القرآن الكريم والالتزام بمكارم الأخلاق وأكل الحلال. ينظر :

Jean-Louis Triaud, **Tchad 1900-1902 une guerre Franco-Libyenne oublié? Une confrérie musulmane la sanusiyya face a la France**, op.cit, snp.

وعندما نقل مُحَمَّد المهدي مركز السنوسية إلى الكفرة حرر حوالي خمسين عبدًا وأعطاهم الحدائق التي زرعوها، وأمر من جاء بعده باحترام حقوق العبيد، ويبيع هؤلاء العبيد منتجاتهم إلى الكلية، وكونوا قرية خاصة بهم. ينظر : روزيتا فوربس، مرجع سابق، ص ص408، 409.

(7) – العبيد المحررون يبشرون بالسنوسية في أفريقيا، من سواحل الصومال شرقًا إلى ساحل سنغامبية غربًا. ينظر : مُحَمَّد الطيب الأشهب، **برقة العربية أمس واليوم**، مرجع سابق، ص183.

وظلت علاقة مملكة وداي بالسنوسية ممتازة في عهد مُحَمَّد المهدي السنوسي، ونستطيع أن نقول بأنها كانت شبه خضوع وتبعية أيضًا، وأكد دوفيري أن عدد أتباع السنوسية في هذه المملكة بلغ ثلاثة مليون نسمة[1]، مما يدل على الإنتشار الواسع لهذه الطريقة على الأقل في نهاية القرن 19م.

لقد كان ملك وداي يجمع الهدايا ويرسلها سنويا إلى مُحَمَّد المهدي مع رسل مخصوصين، وكان يشاوره في كل كبيرة وصغيرة، وينفذ أوامره أيضًا، بدليل أنه أوصاه بعدم الإعتراف بمهدي السودان وطلب منه أن يحاربه إن لزم الأمر[2]، وأكثر من ذلك كانت الحركة السنوسية تتدخل بشكل مباشر في سياسة وداي بدليل أن مُحَمَّد المهدي السنوسي قام بحل الخلاف على عرش وداي عام 1876م، حيث أيد السلطان يوسف الذي أصبح من أشد المدافعين عن السنوسية والموالين لها، وتوطدت العلاقات الثقافية بعد ذلك، حيث صار السلطان يرسل سنويا الطلاب للدراسة في الجغبوب، وبعد وفاة مُحَمَّد المهدي تواصلت العلاقات الودية في عهد أحمد الشريف، لكن اتسمت بطابع الجهاد والنضال ضد الاستعمار الفرنسي[3].

وفي مملكة كانم – برنو كان تواجد السنوسية قويًا أيضًا، وقد أكد الحشائشي أن أهل كانم وبرنو اتبعوا الطريقة السنوسية[4]، ونعتقد أن هذه المملكة كانت تابعة سياسيًا للسنوسية في فترة ما، بدليل ما ذكره دوفيري بأن سلطان برنو علي كان يدفع غرامة للسنوسية وذلك في سنة 1870م[5]، وللعلم فقد كان هذا الملك عالما متميزًا، وفقيها متمرسًا، محاطًا بمجموعة من العلماء[6]، مما يجعلنا نرجح بوجود صلة علمية وثقافية بين برنو وعلماء الطريقة السنوسية.

---

(1)- Henri Duveyrier, **La confrérie musulmane de sîdi Mohammed ben Ali Essenoûsî et son domaine géographique : en l'année 1300 de l'hégire=1883 de notre ère**, op.cit, p 54.

(2) - بطرس البستاني، مرجع سابق، مج10، ص148.

(3) - أبدت السنوسية مقاومة شديدة دفاعًا عن المسلمين في تشاد ولمدة طويلة، لذلك لم تتمكن فرنسا من إحتلال وداي إلا سنة 1325هـ. ينظر : مُحَمَّد الطيب الأشهب، **برقة العربية أمس واليوم**، مرجع سابق، ص243.

(4) - ينظر : **رحلة الحشائشي إلى ليبيا سنة 1895**، مرجع سابق، ص171.

(5)- Henri Duveyrier, **La confrérie musulmane de sîdi Mohammed ben Ali Essenoûsî et son domaine géographique : en l'année 1300 de l'hégire=1883 de notre ère**, op.cit, p 43.

(6) - Ibid, p 43.

وبادرت بعض الممالك الإفريقية الإتصال بالحركة السنوسية، ووقفنا على ذلك من خلال مراسلتين : واحدة لمحمد عبد الرحمن غوارنغ سلطان باغرمي[1]، وأخرى لعَلْوِى حاكم غلفاي[2]، وهذا زمن الشيخ مُحَمَّد المهدي السنوسي، أي وقت بلوغ الحركة السنوسية أقصى انتشارها جنوبًا، ويلاحظ أن الرسالتين كُتبتا باللغة العربية وبالخط المغربي تحديدًا، والذي يتميز بكتابة الفاء بنقطة أسفلها والقاف بنقطة واحدة فوقها، مما يدل على انتشار اللغة العربية في أدغال أفريقيا[3]، حيث يتكلم بها سكان تشاد بنسبة 70٪ [4]. والعربية هي لغة المراسلات الرسمية والمحررات الإدارية والتجارية والعقود الرسمية لممالك أفريقيا الإسلامية منذ عهود رغم وجود عدة لهجات[5]، وللعلم فإن تعَلُّم المسلمين اللغة العربية أكثر من ضرورة[6]، والعربية لغة الوضوح والبيان، لذلك ذهب جمهور العلماء إلى أن قراءة القرآن لا تجوز بغير العربية[7].

وفي النيجر تنتشر السنوسية في تاروت وبيلما[8]، وامتلكت في إقليم كوار – والذي يقع في تيبستي – تسع مدارس كاملة : اثنتان في كل من بيلما ودوركو، وواحدة في كل من شاميدرو وأناي، وثلاثة في فاشي[9]، وينظم السنوسيون هناك تظاهرة دينية يومي 9 صفر و29 رجب في بيت المقدم الشريف دودو[10]، حيث يُجوِّدون بعض

---

(1) – ينظر : الملحق رقم 23، ص429.

(2) – ينظر : الملحق رقم 24، ص430.

(3) - يعلل كثيرون انتشار اللغة العربية في تشاد إلى عدم جواز ترجمة نص القرآن الكريم إلى اللهجات المحلية في الصلاة. ينظر : عبد الرحمن عمر الماحي، **تشاد من الاستعمار حتى الاستقلال 1894–1960**، مرجع سابق، ص200.

(4)- Bulhasen Seifelnaser, op.cit, p 39.

(5) – مثلًا، يوجد مائة وثمانين قبيلة، ومائة لهجة في تشاد. ينظر : عبد الرحمن عمر الماحي، **تشاد من الاستعمار حتى الاستقلال 1894–1960**، مرجع سابق، ص71.

(6) - اعتبرها البعض فرض واجب ومنهم ابن تيمية، حيث قال : « إن نفس اللغة العربية من الدين، ومعرفتها فرض واجب. فإن فهم الكتاب والسنة فرض، ولا يفهم إلا بفهم اللغة العربية. وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب. ثم منها ما هو واجب على الأعيان، ومنها ما هو واجب على الكفاية ». ينظر : أبو عبد الله مُحَمَّد بن سعيد رسلان، **فضل العربية ووجوب تعلمها على المسلمين**، ط1، القاهرة.مصر، دار الفرقان ودار الهداية، 2013، ص71.

(7) – نفسه، ص ص75–236.

(8) – بول مارتي، مرجع سابق، ص20.

(9) – نفسه، ص88.

(10) – المقدم دودو : ابن الشريف الطرابلسي قنابة وجارية قديمة للسلطان تدعى فاطمة، ولد في بيرني، ومهنته تاجر، وهو من كانو، ويعد أيضًا من أبرز المعلمين في زندر. ينظر : نفسه، ص88.

سور القرآن، إضافة إلى ترديد بعض الأذكار، ثم ينصرفون بعد أن يحصلوا على بركة الشيخ[1]، وإذا كانت مناسبة التاريخ الأول معلومة أي 9 صفر وهي وفاة الشيخ السنوسي، فإن التاريخ الثاني غير معروف، ولا ندري المناسبة التظاهرة المرتبطة به. ويؤكد الحشائشي أن أغلب أهالي كوار سنوسيون[2]، وعليه فإن نشاط الطريقة السنوسية في هذه المنطقة كان قويًا جدًّا، بدليل تأسيس في منطقة الأبير عدة مدارس[3] ومساجد في عام 1870م[4].

وللطريقة السنوسية سبعة مقدمين في مناطق مختلفة وهم : الشيخ خيماجرا في منطقة أغلال، والشيخ عثمان بن مُحَّد في طيفيس، والشيخ إلياس بن بوباجي في سيدوات، والشيح أحمدو في تاكريزا، والشيخ أحمد طوغادي في أدويراس، والشيخ ابراهيم بن قباطا في تشانتاغودا، والشيخ عبد ربه الحاج أحمد في تيكياماس[5]. وفي زندر الواقعة ضمن نطاق إقليم كوار سجلنا عدة أتباع للطريقة السنوسية، ففي البيرني : عبد الكريم دوما، ودروما بن دوما، والشريف فادل ابراهيم، وابراهيم سوكني، وعمار بن أحمد[6]. وفي زينغو: مُحَّد بن صالح، ومُحَّد عمر، وزايد بوشوشة، وعزيز بن مُحَّد، وطاهر بن الفقيه حسن، وبيدار زورميط، وسليمان الغاني، وأيوبا الغاني، والشريف المختار، ولها أتباع أيضًا من الهاوسا وهم : مُحَّد ماي لافيا، وعبدو صالح، ومرابط عبد الله، والمعلم عبدو بن ابراهيم[7].

وبالرغم من كثرة عدد الإخوان في إقليم كوار ومكانتهم العلمية كمدرسين وفقهاء، إلا أن نتاجهم العلمي والثقافي بقي مجهولًا، والغريب في الأمر، صدر في حقهم حُكمًا قاسيًا، حيث وُصِفوا بِ : "الأُمّيين"[8]. وتنتشر السنوسية أيضًا في السنغال وبالضبط في صحرائها[9]، وهذا حسب دوفيري، الذي ذكر أن الشيخ مُحَّد العربي بوحفص أي الشيخ بوعمامة، عند استعداده للمقاومة بعث في عام 1973م بعض الأشخاص لنشر الطريقة

---

(1) – بول مارتي، مرجع سابق، ص88.

(2) – ينظر : **رحلة الحشائشي إلى ليبيا سنة 1895**، مرجع سابق، ص172.

(3) – منها مدرسة في عين غال، وأخرى في إيغراون. ينظر : بول مارتي، مرجع سابق، ص86.

(4) – تعرضت المساجد والمداس للإهمال، وأصبحتا خرابًا. ينظر : نفسه، ص87.

(5) – نفسه، ص87.

(6) – نفسه، ص ص87، 88.

(7) – نفسه، ص ص87، 88.

(8) – في منطقة كوار يوجد أربعة عشرة شيخ دين أي "مرابط"، منهم تسعة تابعين للطريقة السنوسية، معظمهم أميون لا يحسنون القراءة، ولا يعرفون سوى القرآن. ينظر : نفسه، ص94.

(9) - Henri Duveyrier, **La confrérie musulmane de sîdi Mohammed ben Ali Essenoûsî et son domaine géographique : en l'année 1300 de l'hégire=1883 de notre ère**, op.cit, p 54.

السنوسية هناك[1]، ودعم موقفه بما رآه الدكتور رولفس ابتداء من عام 1876م حول وصول حجاج سنغاليين إلى زاوية "إستات"[كذا] بالكفرة لزيارة الشيخ المهدي –كما مر معنا–، وأضاف بأنهم يكتفون بالذهاب إلى الجغبوب على بعد خمسمائة وخمسة وثمانين كلم، ثم يعودون إلى بلدانهم دون الذهاب إلى مكة[2]، معتقدين بأن الجغبوب يخلف الحجاز[3]، وللعلم احتمال تواجد السنوسية كبير جدا في كل من إقليم دارفور[4]والصومال[5]، وفي مناطق أخرى خارج القارة الإفريقية تمامًا[6].

لقد استقرت السنوسية في مناطق القبائل الليبية التي هاجرت في القرن التاسع عشر هروبًا من الأتراك واستقرت في كانم[7]، واقتصر اتصال السنوسية مع القبائل العربية فقط خاصة الزوي وأولاد سليمان[8]، إضافة إلى أولاد يعقوب، وأولاد غنام، والمحافيظ وغيرهم، حيث استقر بعضهم في مالي وتشاد والنيجر ونيجيريا والكامرون[9]، ونتج عن ذلك الاتصال تأسيس عدة زوايا هناك، ويبدو أن انشغالها الأساسي هو خدمة رعاياها بالدرجة

---

(1) - Henri Duveyrier, **La confrérie musulmane de sîdi Mohammed ben Ali Essenoûsî et son domaine géographique : en l'année 1300 de l'hégire=1883 de notre ère**, op.cit, p 42.

(2) - Ibid, p 42.

(3) - Ibid, p 42.

(4) – يعتبر إقليم دارفور آخر الولايات المصرية من جهة الغرب، ويعد حلقة وصل بين النيل والنيجر. ينظر : عبد الحي عبد الحق، مرجع سابق، ص ص126-130.

(5) – يظن دوفيري بوجود علاقة بين السنوسية وأحداث بربرا في الصومال عام 1856م، والتي أدت إلى مقتل الملازم أول سترويان. ينظر:

Henri Duveyrier, **La confrérie musulmane de sîdi Mohammed ben Ali Essenoûsî et son domaine géographique : en l'année 1300 de l'hégire=1883 de notre ère**, op.cit, p 40.

(6) – تنتشر الطريقة السنوسية في أجزاءٍ كبيرةٍ من قارة آسيا منها بلاد ما بين النهرين والعربية[كذا]. ينظر: Ibid, pp 24-40. وتتواجد السنوسية أيضًا في اليمن والحجاز. ينظر : مُحَمَّد بن عثمان الحشائشي، مرجع سابق، ص ص149، 150.

(7)- Bulhasen Seifelnaser, op.cit, p 41.

(8) - هاجر أولاد سليمان إلى شمال تشاد منذ عام 1845م. ينظر:

Henri Duveyrier, **La confrérie musulmane de sîdi Mohammed ben Ali Essenoûsî et son domaine géographique : en l'année 1300 de l'hégire=1883 de notre ère**, op.cit, p 43.

(9) – علي مُحَمَّد الصلابي، **تَاريخ الحرَكَة السَّنُوسيَّة في أفريقيا**، مرجع سابق، ص176.

الأولى[1]، فعلى سبيل المثال وجدت في قبيلة المجابرة التي تسكن أوجيلة خير سند لها، حيث استفادت من خبرتها في التجارة مع السودان لجني الثروة[2].

وأشارت دراسة موثوقة بأن السنوسية تركزت في المناطق الشمالية لتشاد بشكل محدود[3]، ونشاطها ما كان يعرف بالأذكار، ويركز فقط على التعليم في الخلاوي وتوضيح بعض الأمور الفقهية والعقائدية[4]، وأضافت نفس الدراسة إلى عدم وجود أي أثر للسنوسية في الوقت الحاضر في تشاد[5]، بينما طريقة التصوف الأكثر انتشارًا هي التجانية[6]، وهذا ما أكده أيضًا كل من المؤرخ الماحي[7] ولويس تريو[8]، وتنتشر التجانية بقوة في كل من برنو ووداي[9]، وإذا توغلنا جنوب بحيرة تشاد وجدنا نفس الأمر، أي انتشار الطريقة التجانية بشكل كبير جدا، مثل

---

(1) – مثلًا، ذكر ناشتيغال أن مبعوثين عن الطائفة السنوسية كانا على وشك عقد اتفاقية دينية تنص على إنشاء زاوية في كل من بوركي وأندي، وكانا في حاجة إلى ضمانات بشأن أولاد سليمان. ينظر :. Gustav Nachtigal, op.cit, pp 49, 50

(2) - اعتبر دوفيري السودان مصدر رزق تطبيقًا للمثال الذي يقول : "السودان يقضى على الفقر مثل ما يقضي القطران على الجرب"، وهذا ما عمل به كل من الشيخ السنوسي وخليفته مُحَمَّد المهدي. ينظر :

Henri Duveyrier, **La confrérie musulmane de sîdi Mohammed ben Ali Essenoûsî et son domaine géographique : en l'année 1300 de l'hégire=1883 de notre ère**, op.cit, p 18.

(3) - مُحَمَّد صالح أيوب، **مظاهر الثقافة العربية في تشاد المعاصرة وتحديات العولمة**، ط1، جامعة الملك فيصل. تشاد، د د ن، 2008، ص160.

(4) – نفسه، ص160.

(5) – نفسه، ص160.

(6) – ظهرت التجانية هي الأولى في تشاد من الناحية التاريخية، ويرجع ذلك إلى بدايات القرن 19م بواسطة الشيخ عمر الفوتي المعروف بالحاج عمرو، والذي مرّ بتشاد في طريقه إلى الحج عام 1820م، وترك بعض الأتباع الذين رجع إليهم من الحج حوالي عام 1833م. ينظر : نفسه، ص ص159، 160.

(7) – عمر الماحي، **تشاد من الاستعمار حتى الاستقلال 1894–1960**، مرجع سابق، ص106.

(8) - ذكر مختار بشار مختار في أطروحة دكتوراه درجة 3 عام 1982م جامعة باريس، أنه ليس للسنوسية أي تأثير في وداي، وهذا بناءً على رواية شفوية لسلطان وداي علي سيليك الذي يتبع التّجانية، وقد أكد له أن أتباع السنوسية تجار يتركزون في سيغو، والمقيم السنوسي في أبشة يمثل وظيفة تجارية أكثر منها وظيفة دينية. ينظر : جان لويس تريو، مرجع سابق، ص ص221، 222.

(9)- Jean-Louis Triaud, **La Légende noire de la Sanûsiyya une confrérie musulmane saharienne sous le regard Français (1840–1930)**, vol1, op.cit, p 88.

مدينة كانو في نيجيريا[1]، وظل الأمر كذلك في نهاية القرن 19م وهذا في مملكة وداي، حيث نقل لنا الحشائشي بأنه بعد وفاة سلطان وداي يوسف الذي ينتسب إلى السنوسية، خلفه ابنه لكنه أخذ الطريقة التّجانية.

وبناءً على ما سلف، بالغ المؤرخون كثيرًا في انتشار الطريقة السنوسية في أفريقيا جنوب الصحراء[2]، وقد نقل لنا ناشتيغال حقيقة الزوايا السنوسية في تشاد بكل موضوعية، حيث اعتبرها مجرد محطات[3]، ومعلوماته موثوق بها لأنه زار وعاين المنطقة بنفسه، ووجدت السنوسية صعوبة كبيرة جدًّا في إنشاء زوايا في دارفور وباغرمي وغيرهما، وحتى الزوايا والمساجد التي بنتها تعرضت للإهمال، وأصبحت خرابًا بعد فترة من الزمن[4].

وخلاصة القول، يختلف وجود السنوسية في شمال أفريقيا عن جنوب صحرائها؛ بالنسبة للشمال تميز حضورها بشكل طريقة تصوف، تُردد أورادها وأذكارها في زواياها بشكل طبيعي خاصة بالجغبوب، أمّا في أفريقيا جنوب الصحراء لا وجود لها كطريقة تصوف، ولم تندمج أصلًا مع السكان المحليين، واقتصر تأثيرها على الزعماء والحكام مثل غوارنغ ويوسف سلطان وداي ورابح الزبير، وبعض الجاليات الأجنبية.

وارتبط وجودها أكثر بالجهاد في سبيل الله، أي أن تأثيرها لم يرق إلى التبعية الروحية بل اقتصر على المقاومة فقط[5]، وحتى الجيش السنوسي لم يضم أهالي السودان، بل اقتصر على الليبيين من قبائل التبو والطوارق وأولاد سليمان والزوية والمجابرة وغيرهم، وذلك تحت قيادة الشيخ مُحَمَّد البراني الساعدي[6]، وكان أغلبهم من قبيلة

---

(1) – زاوية كانو الرئيسية تابعة إلى الطريقة التّجانية. ينظر:

Ousmane Kane, **La confrérie Tijaniya Ibrahimiya de Kano et ses liens avec la zawiya-mère de Kaolack**, **islam et société au sud du sahara**, **Archives de sciences sociales des religions**, N°3, 1989, p 185.

(2) – بلغ عدد مريدي الطريقة السنوسية في أفريقيا السوداء أربعة ملايين نسمة. ينظر : مُحَمَّد الطيب الأشهب، **برقة العربية أمس واليوم**، مرجع سابق، ص123.

(3) – قال ناشتيغال أن السنوسيين ينشؤون محطات في الصحراء، ثم سرعان ما يعقدون معاهدات مع الأهالي تسمح لهم بغرس النخيل مع حقوق كاملة للإستفادة منها، واعتبر بعض الزوايا مثل شيمندرو مجرد مراكز لمراقبة طرق أوجيلة ووداي وكانم. ينظر:

Jean Claude Zelthner, op.cit, p 254.

(4) – بول مارتي، مرجع سابق، ص87.

(5) –كان السلطان يوسف نصيرًا للسنوسية عام 1900م، وقد زاره مُحَمَّد السني ونسّق معه المقاومة. ينظر:

Jean Claude Zelthner, op.cit, p 260.

(6) – علي مُحَمَّد الصلابي، **تَاريخ الحرَكَة السَّنُوسيَّة في أفريقيا**، مرجع سابق، ص ص 209.

الزوي[1]. والفرق واضح أيضًا بين مقاومتها في تشاد حيث أخذت الصبغة المحلية الضيقة[2]، وبين مقاومتها في طرابلس الغرب وبرقة التي أخذت الطابع الوطني الشامل، وهذا ما أكده الماحي حيث قال بأن مقاومة السنوسيين في تشاد للاحتلال الفرنسي انتظمت تحت مبدأ محاربة الاستعمار في "ديار الإسلام" وليست قائمة على الانتماء الوطني، بدليل أنهم عادوا إلى ليبيا[3]، وبناءً عليه أعتقد أن تواجد السنوسية هناك هو مجرد نوع من الاحترام، تقديرًا لجهودها كحركة إسلامية إصلاحية وجهادية طيلة عقود من الزمن.

5 – الدعوة والإرشاد[4] :

لقد كان للدعوة الدينية نصيب وافر من نشاط الحركة السنوسية، ومحور دراستنا يتركز على جانبه الفكري، وآليات الدعوة وطرق الإرشاد والإصلاح، وذلك من خلال مراسلاتها، ونشاط شيوخ زواياها، ودعاتها، ومواجهتها لحملات التنصير، وغير ذلك.

لقد اهتمت الحركة السنوسية أولا بالإصلاح، ونظرًا للدور الكبير الذي قامت به في هذا المجال سمَّاها الأشهب "مراكز إصلاحية"، حيث قال : « ... وكانت هذه الخطوة هي تأسيس المراكز الإصلاحية التي اشتهرت باسم ((الزوايا)) فابتدأ بتشييد أول مركز إصلاح هو زاوية أبي قُبَيس بمكة المكرمة .. .»[5]. لقد ساهمت الزوايا السنوسية منذ البداية في نشر الفضيلة ومحاربة الرذيلة، وقد رأينا كيف كانت واحة الجغبوب مرتعا للدعار واللصوص ثم تحولت إلى منارة للعلم والعبادة، وقد بذل الشيخ السنوسي وخلفاؤه من بعده جهودا كبيرة في إخراج المجتمع البرقاوي من حالة الجهل والفوضى التي كان فيها، وتكفَّل الإخوان أيضًا بالوعظ والإرشاد وذلك عبر دروس التوعية وخطب الجمعة والأعياد، وغيرها. ويعتبر الشيخ السنوسي الداعية والقدوة الأولى للحركة السنوسية،

---

(1) - Jean-Louis Triaud, **La Légende noire de la Sanûsiyya une confrérie musulmane saharienne sous le regard Français** (**1840–1930**), vol1, op.cit, p 102.

(2) - نعتقد أن شعبية السّنوسية ضعيفةٌ، لأنه لو كانت لها شعبية جارفة لأخذت المقاومة في تشاد صبغة وطنية باسمها. ينظر: **Christian Bouquet**, Tchad d'un conflit, préf. Jean Chapelle et Jean Cabot, Paris, éditions Harmathan, 1982, p 85.

(3) – عبد الرحمن عمر الماحي، **تشاد من الاستعمار حتى الاستقلال 1894–1960**، مرجع سابق، ص11.

(4) - الدعوة هي النشر، حيث قيل : ((هي العلم الذي نعرف به كافة المحاولات الفنية المتعددة الرامية إلى تبليغ الناس الإسلام بما حوى من عقيدة وشريعة وأخلاق)). ينظر : عبد الرزاق درغام أبو شعيشع عيسى، مرجع سابق، ص213.

(5) – مُحَمَّد الطيب الأشهب، **السنوسي الكبير عرض وتحليل لدعامة حركة الإصلاح السنوسي**، مرجع سابق، ص13.

وتميز بأخلاق فاضلة سار عليها والتزم بها الوعاظ والدعاة السنوسيون، ونذكر منهم : السيد مرتضى فركاش والسيد حسن الغرياني[1]، والشيخ إبراهيم بن هادي اليمني والذي قدم من اليمن مع الشيخ السنوسي بعد وفاة أستاذه أحمد بن إدريس، وبعد أن استقر بالجغبوب بعثه شيخه السنوسي إلى فاس وتونس وصفاقس، ودخل على يديه في الطريقة السنوسية كثيرون منهم السيد علي عبد المولى ووالده السيد أحمد. والشيخ أبو حفص عمر : وأصله من المغرب، وكان زاهدًا في الدنيا، وقد قدم مع شيخه السنوسي الذي كلفه بالدعوة وإرشاد الخلق. والشيخ علي الشنقيطي : وهو من الإخوان السنوسيين الأوائل الذين رافقوا الشيخ السنوسي إلى الحجاز، وقد أرسله إلى قبائل التبو ليؤسس لهم زوايا ويعلم أبنائهم[2]، وكذلك الداعية الشيخ أحمد بن عبد القاسم، الذي كان له نشاط دعوي متميزًا في كل من زواية مرزق، وسوكنه، وخاصة زاوية واو[3]. وكان الشيخ السنوسي يوصي دومًا الإخوان بالتقوى والطيبة لكسب القلوب، وما يؤكد ذلك رسالة له -ذكرها شكري-، حيث بعثها إلى أحد خلفائه بالمدينة المنورة بتاريخ 12 ربيع الأول 1264هـ (17 فبراير 1898)، وصّى الإخوان بالتقوى وذكَّرهم بالآية القرآنية : ﴿ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ﴾[4]، وأمرهم أيضًا بالأخلاق الحسنة وحسن معاملة الناس، واستشهد بقوله تعالى : ﴿ وَقُولُوا۟ لِلنَّاسِ حُسْنًا ﴾[5]، وغيرها من آيات النصح والإرشاد[6]. ونجح الشيخ السنوسي في القضاء على الحروب والخصومات بين القبائل في برقة، ونشر السلام والوئام بينها مثل إنهاء الحرب بين المغاربة والزواوات[7]، وقامت بهذا الدور الزوايا السنوسية نفسها[8]، وكانت لمبادرات الصلح تلك

---

(1) - بغرض نشر الفضيلة كان الشيخ السنوسي ينتدب نوابًا عنه، مثل السيد مرتضى فركاش وحسن الغرياني. ينظر : مُحَمَّد الطيب الأشهب، **برقة العربية أمس واليوم**، مرجع سابق، ص165.

(2) – يونس علي بالقاسم السنوسي، مرجع سابق، ص ص234، 235.

(3) - Jean-Louis Triaud, **La Légende noire de la Sanûsiyya une confrérie musulmane saharienne sous le regard Français (1840–1930)**, vol.1, op.cit, pp 82,83.

(4) – سورة النساء : الآية 131.

(5) – سورة البقرة : الآية 83.

(6) – مُحَمَّد فؤاد شكري، مرجع سابق، ص68.

(7) – مُحَمَّد الطيب الأشهب، **برقة العربية أمس واليوم**، مرجع سابق، ص163.

(8) – عثر المؤرخ الدجاني على وثيقة بتاريخ 9 رجب 1297هـ تتحدث عن خصام بين أهالي هون وسوكنة، استطاعت زاوية هون السنوسية حله. ينظر : أبو بكر سالم المهدي الشيباني، مرجع سابق، ص140.

صدى كبيرا لدى بدو برقة، إذ لقيت السنوسية احترامًا جليلًا، وهو ما يُفسر كثرة الأوقاف التي قدَّمها الناس لصالح زواياها.

وتقوم الزوايا السنوسية كغيرها من زوايا العالم الإسلامي بالعبادة التي فرضها الله على المسلمين مثل الصلاة والزكاة والذكر وحفظ القرآن الكريم وغير ذلك، وهو ما يفسر حرص الشيخ السنوسي الشديد على بناء المسجد أولا والذي يعد اللبنة الأساسية للزوايا السنوسية، وهذا ما وقفنا عليه في الزاوية البيضاء، حيث خاطب الحاضرين قائلا لهم : « أريد أن أبني لكم مسجدًا تجتمعون فيه لصلاتكم ... وفيه يتلقى أبناؤكم العلم الشرعي ... »[1]. وكان الشيخ السنوسي غالبًا ما يُذكِّر الإخوان بالعبادة في مراسلاته، مثل ما جاء في الرسالة التي بعثها إلى حاكم فزان مصطفى باشا[2]، وقد عبّر فيها عن رغبته الشديدة بأن يكون الإخوان ممن قال فيهم الله تعالى : ﴿ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴾[3]. ومن رسالة أخرى بعث بها الشيخ مُحَمَّد بن علي السنوسي إلى المشير مُحَمَّد أمين باشا والي طرابلس، نستخلص أبرز مهام الزاوية السنوسية وهي التعبد وطلب العلم، حيث جاء فيها : « وأما نحن فقد ألفنا ما اعتدناه ورضيت به نفوسنا فنريد بذلك أن تكون تلك العمارة مستمرة، ونفوس سكانها مستقرة. ليحصل المقصود منا ويدوم من تعلم العلم وتعليمه، وإقراء القرآن وتفهيمه، وإقامة شعائر الدين للوافدين عليها والمقيمين بها »[4]، وللعلم لم تكن الظروف كلها في صالح السنوسية، لأن هناك تيارات دينية أخرى على عكسها تماما تقوم بهدم الإسلام، ونقصد بذلك الحملات التنصيرية الممنهجة في ليبيا خاصة في الساحل[5].

وسار مُحَمَّد المهدي على نهج أبيه في تبليغ الدعوة الإسلامية، فمثلًا بعث رسالة إلى الإخوان بالحجاز حثهم فيها على التعاون والجهاد وفعل الخير، ورد فيها بعد البسملة : « ... فأنتم كونوا على ما كنتم عليه سابقا من الدلالة على الله تعالى بالحال والمقال وصابروا وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر وكروا [كذا] عباد الله فيه وجاهدوا فيه

---

[1] – عبد المالك بن عبد القادر بن علي، مرجع سابق، ص30.

[2] - مُحَمَّد الطيب الأشهب، **السنوسي الكبير عرض وتحليل لدعامة حركة الإصلاح السنوسي**، مرجع سابق، ص ص142، 143.

[3] – سورة الحج : الآية 41.

[4] – مُحَمَّد الطيب الأشهب، **السنوسي الكبير عرض وتحليل لدعامة حركة الإصلاح السنوسي**، مرجع سابق، ص24.

[5] - خلال الفترة بين عامي 1882 و1896م مثلًا، تزايدت نشاطات الحملات التبشيرية الإيطالية في الساحل خاصة في مجال التعليم، وعندما أقبل بعض الضباط العثمانيين على إرسال أبنائهم إلى مدارسهم أصدر الوالي كمال باشا قرارًا في 21 جويلية 1898م يمنع بموجبه أبناء ضباط الجيش العثماني من الإنتداب إلى تلك المدارس الإيطالية. ينظر : علي مُحَمَّد الصلابي، **تَاريخ الحرَكَة السَّنُوسيَّة في أفريقيا**، مرجع سابق، ص233.

حق جهاده وكونوا يد واحدة على من سواكم وفي الله إخوانا وعلى البر والتقوى أعوانا وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان ... »[1]، وأرسل مُحَمَّد المهدي عدة دعاة إلى أفريقيا منهم : مُحَمَّد بن عبد الله السني، والشيخ حمودة المقعاوي، وطاهر الدغماري، وغيرهم.

وبالنسبة للأجانب في برقة، عاملتهم السنوسية معاملة حسنة، تطبيقا لتعاليم الدين الإسلامي السمحة التي تنظم العلاقة مع أهل الذمة[2]، حيث كان هؤلاء ينعمون بالأمان، لذلك نجدهم يكنون احترامًا كبيرًا للسنوسيين، بدليل أن صادق المؤيد مبعوث السلطان لاحظ أن نصارى ويهود برقة يقسمون باسم المهدي[3]، ومعاملة الأجانب بإحسان من خصال السنوسية، وقد روى أحمد الشريف حكاية تتضمن هذا المعنى، وهي أن أحد الإخوان واسمه المدني التلمساني – وكان مقدمًا لإحدى الزوايا في الصحراء – عامل سائحين معاملة سيئة، ومنعهما من معالجة المرضى، وذلك بحجة أنهما كافرين إلى درجة أنه أمرهما بالمغادرة، ولما وصل الخبر إلى الإمام السنوسي غضب كثيرًا، وعاتب المقدم ومعاونه وعزلهما من منصبهما[4].

وكان مُحَمَّد المهدي يوصى الإخوان بأن لا يحتقروا أحدًا مهما كانت ديانته، وذكَّرهم بأنه يمكن أن يكون من يحتقرونه أحسن منهم عند الله[5]، ودعاهم صراحة إلى استقبال غير المسلم استقبالًا حسنًا، وبوجه بشوشٍ، بل طالبهم برد المال إلى السواحين الغرباء ولو كانوا من الإفرنج[6]، وكان أيضًا يحث الإخوان على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ومحاربة الجهل والمناكر، وقد لمسنا هذا في رسالة منه بعثها إلى الشيخ البراني بتاريخ 18 ذي الحجة 1315هـ الموافق لِ : 10 ماي 1898م[7]، وكانت هذه كلها براهين وقرائن قوية تؤكد سماحة السنوسيين

---

(1) – مُحَمَّد الطيب الأشهب، **برقة العربية أمس واليوم**، مرجع سابق، ص176.

(2) – مُحَمَّد فؤاد شكري، مرجع سابق، ص54.

(3) – أحمد صدقي الدجاني، مرجع سابق، ص198.

(4) – نفسه، ص155.

(5) – مُحَمَّد فؤاد شكري، مرجع سابق، ص68.

(6) – كان يقول على رؤوس الأشهاد أن قتل الإفرنج وأخذ أموالهم لظلم عظيم، والظلم يرجع على فاعله بالنكال والوبال. ينظر : مُحَمَّد بن عثمان الحشائشي، مرجع سابق، ص167.

(7) – ينظر : الملحق رقم 25، ص431.

ونبذهم للعنف والتعصب، ورغم كل ذلك تعرضوا لحملة شرسة من الأوروبيين تمثلت في عدة إفتراءات وأكاذيب[1].

وفي أفريقيا جنوب الصحراء، لا يختلف اثنان أن انتشار الإسلام هناك سبق الحركة السنوسية بقرون، لقد ظهرت في السودان الأوسط أو ما يعرف بحوض تشاد سبع ممالك[2]، اشتهر منها ثلاثة ممالك إسلامية كانت معروفة عند المسلمين، وهي : كانم-برنو[3]، ووداي[4]، وباغرمي[5]، وقد اتخذت من الإسلام دينها الأساسي نظامًا وتنظيمًا، وربطت علاقات طيبة مع العرب والمسلمين، وادعى بعضها الأصل العربي[6]، ولم تشكل الصحراء

---

[1] – من الافتراءات قولهم أن السنوسية تمنع المسيحيين من زيارة طرابلس، وأنها تقترح على فقرائها الذين لا يستطيعون دفع العشر للخزانة العامة أن يصبحوا جواسيس لها أو قتلة، وتعتبر أن اغتيال أي مسيحي عملًا طيبا يستحق الثناء. وادعى الأوروبيون أن السنوسية اغتالت فوجيل في وداي عام 1856م، وفون بورمان في كانم عام 1863م، وفون دردكن على نهر جوبا عام 1865م، والآنسة تيني في فزان قرب مرزق عام 1869م، والضابط الفرنسي دورنو دوبييريه على الطريق بين غدامس وغات عام 1874م، والكولونيل فلاترز عام 1881م ... ينظر : مُحَمَّد فؤاد شكري، مرجع سابق، ص ص66، 67. واتهم رولفس السنوسية بالتعصب عندما انطلق في رحلة استكشافية من طرابلس بتاريخ 18 ديسمبر 1878م. ينظر : إسماعيل العربي، مرجع سابق، ص125.

[2] - مملكة كانم، وباقرمي، ووداي، والتوبو، ومنطقة البلالا، والسارا والكنغو، والزغاوة. ينظر : عبد الرحمن عمر الماحي، **تشاد من الاستعمار حتى الاستقلال 1894–1960**، مرجع سابق، ص39.

[3] - تأسست مملكة كانم-برنو عام 800م واستمرت إلى غاية 1894م. ينظر : جامعة الإمام مُحَمَّد بن سعود الإسلامية، مرجع سابق، مج11، ص105. أي أنها حكمت ما يزيد عن ألف سنة غطت خلالها مساحات شاسعة تصل إلى حدود طرابلس ومصر.. ينظر : عبد القادر زبادية، **الحضارة العربية والتأثير الأوروبي في إفريقيا الغربية جنوب الصحراء**، مرجع سابق، ص24.

[4] - ظهرت مملكة وداي في القرن العاشر الميلادي، لكن تاريخها الحديث يبدأ من عام 1615م مع الفقيه عبد الكريم بن جامع (1615-1655م) حيث ظهرت كمملكة إسلامية، واستمرت إلى غاية 1909م. ينظر : جامعة الإمام مُحَمَّد بن سعود الإسلامية، مرجع سابق، مج11، ص110. وتعاقب على الحكم بعد عبد الكريم أربعة عشرة ملكًا، ويذكر بعض المؤرخين أن وداي تأسست عام 1611م على يد أسرة من قبيلة الجوامعة وتعرف بالجمر بقيادة الزعيم "وودا"، ومنه جاء اسم "واداي"[كذا]. ينظر : عبد الحي عبد الحق، مرجع سابق، ص123.

[5] - تأسست مملكة باغرمي عام 1512م واستمرت إلى غاية سنة 1892م. ينظر : جامعة الإمام مُحَمَّد بن سعود الإسلامية، مرجع سابق، مج11، ص109.

[6] - تدَّعي أسرة السيفيين التي حكمت كانم منذ منتصف القرن 11م انتسابها إلى البطل اليمني سيف بن ذي يزن. ينظر : اليونسكو، مرجع سابق، مج4، ص248.

يومًا حاجزًا في الإتصال بها، حيث شهدت علاقات واسعة ومتينة وفي الإتجاهين، وقد ورد بعضها في مصادر عربية[1].

وساهمت الحركة السنوسية بنشر الإسلام في مناطق السودان التي ظلت على الوثنية[2]، وكما هو معلوم فإن الشيخ السنوسي لم يتسن له الإنتقال إلى أفريقيا جنوب الصحراء، عندئذ لجأ إلى استعمال أسلوب المراسلات مع الأهالي يرشدهم إلى الإسلام ويُعَلِّمهم أمور دينهم، وتعتبر رسالته إلى أهل وجنقة أحسن مثال يدل على نشاط السنوسية وأسلوبها الدعوي، وهذه الرسالة مؤرخة في 4 محرم الحرام سنة 1266هـ[3]، وهو ما يوافق سنة 1849م أي عندما كان الشيخ السنوسي بالحجاز في رحلته الثانية، لقد خاطب الأهالي بعد البسملة[4]، قائلًا : « أسألكم باسم الإسلام أن تطيعوا الله ورسوله، فقد قال سبحانه وتعالى في كتابه العزيز : (أيها المؤمنون أطيعوا الله وأطيعوا الرسول)[5] ويقول كذلك (من أطاع الرسول فقد أطاع الله)[6]. ﴿ وَمَنْ يُطِعِ ٱللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَآءِ وَالصَّٰلِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقًا ﴾[7]. نسألكم أن تطيعوا أوامر الله ورسوله فتؤدون الصلوات الخمس كل يوم وتصوموا شهر رمضان وتؤتون الزكاة وتؤدون فريضة الحج إلى بيت الله الحرام، وتجتنبوا ما نهى عنه من قول الكذب والغيبة وابتزاز أموال الناس بغير حق وشرب الخمر وتأدية

---

(1) – مملكة كانم-برنو : ذُكرت باسم كانم أو زغاوة، من طرف عدة مؤرخين : مثل اليعقوبي، والبكري، والإدريسي، وابن سعيد المغربي، والتيجاني، والعمري، وابن بطوطة، وغيرهم. ينظر : Jean Claude Zelthner, op.cit, pp, 12-14. ووردت عند ابن خلدون منفردة، حيث قال : « ... ويليهم النوبة إخوة الزنج والحبشة ولهم مدينة دنقلة غرب النيل ... ». ينظر : عبد الرحمن بن خلدون، **ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر**. مر.سهيل زكار، بيروت.لبنان، دار الفكر للطباعة والنشر، 2000، ج6، ص ص265، 266. وذكرها أيضًا ابن فضل الله العمري قائلًا : « وهذه البلاد بين إفريقية وبرقة ممتدة في الجنوب إلى سمت الغرب الأوسط ... ». ينظر : ابن فضل الله العمري، **مسالك الأبصار في ممالك الأمصار**، تح.كامل سلمان الجبوري، بيروت.لبنان، دار الكتب العلمية، 1971، ج4، ص46.

(2) - دائرة عرض 10° الحد الفاصل بين المسلمين شمالًا والوثنيين جنوبًا. ينظر : Capitaine Cornet, op.cit, p 18.

(3) – مُحَمَّد الطيب الأشهب، **السنوسي الكبير عرض وتحليل لدعامة حركة الإصلاح السنوسي**، مرجع سابق، ص152.

(4) – نفسه، ص150.

(5) – نشير هنا إلى أن ما كتب في المتن ليست آية قرآنية. ينظر : مُحَمَّد فؤاد شكري، مرجع سابق، ص45. والأصح أنه يقصد الآية القرآنية التالية : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوٓاْ أَعْمَٰلَكُمْ ﴾، (سورة مُحَمَّد : الآية 33)..

(6) – نشير هنا إلى أن ما كتب في المتن ليست آية قرآنية. ينظر : مُحَمَّد فؤاد شكري، مرجع سابق، ص45. والأصح أنه يقصد الآية القرآنية التالية : ﴿ مَّنْ يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ ۖ ﴾، (سورة النساء : الآية 80).

(7) - سورة النساء : الآية 69.

شهادة الزور وغير ذلك مما أمر الله باجتنابه، فإذا فعلتم ما أمر الله به ورجعتم عما نهى عنه أسيل عليكم نعمة الإسلام ومنحكم الخير والرزق الدائمين. يا أهل واجنقة إنا نريد أن ننشر السلام بينكم وبين الأعراب الذين يغيرون على بلادكم ويستعبدون أولادكم ويبتزون أموالكم وإنا بعملنا هذا نقوم بما أمرنا الله به في كتابه العزيز حيث قال سبحانه وتعالى :﴿ وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُومِنِينَ ٱقْتَتَلُواْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَا ﴾[1]، وأيضا : ﴿ وَٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ ٱلْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنۢبِ وَابْنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ﴾[2] »[3]. وللعلم فقد اطلع الرحالة المصري أحمد مُحَمَّد حسنين على النسخة الأصلية في الكفرة، وأدرج مقاطع منها في كتابه[4]، ولا ندري مصير تلك النسخة بعد ذلك، وجاء في الرسالة – حسب رواية الأشهب – أن الشيخ السنوسي لم يجد من يبعث معه رسالة من أهل وجنقة، لذلك نابت عنهم قبيلة الزوي الساكنة في موقع اسمه "تزر"، وورد في نفس الرسالة أيضًا أن هذه القبيلة طلبت من الشيخ السنوسي بناء زاوية بجوار أهل وجنقة، فكانت تلك فرصة للصلح بين القبيلتين[5].

وتعتبر تيبستي منطقة استراتيجية لدخول الطريقة السنوسية إلى السودان الأوسط وذلك في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، وتعد منطقة كوار جزء من هذه المنطقة، وذكرت دراسة أن السنوسية تمكنت من السيطرة عليها وبصفة نهائية عقب حملة كبيرة عام 1895م[6]، ولا ندري طبيعة هذه الحملة وضد من. وأصبحت السنوسية في اتصال مباشر مع الزنوج في عهد مُحَمَّد المهدي، الذي بادر إلى نشر الإسلام بين القبائل الوثنية عقب وصوله إلى قرو، ومن مظاهر نجاحه تحول قبائل البائيلي من الوثنية إلى الإسلام، الأمر الذي نتج عنه إنشاء زاوية سيدي عبد الرب، وسيدي السنوسي، وذلك في أندي التي تقع شمال شرق واداي[7]، وهذا بالرغم من البعد

---

(1) – سورة الحجرات : الآية 9.

(2) – سورة النساء : الآية 36.

(3) – مُحَمَّد فؤاد شكري، مرجع سابق، ص ص45، 46.

(4) – أحمد مُحَمَّد حسنين، مرجع سابق، ص ص62-64.

(5) – مُحَمَّد الطيب الأشهب، **السنوسي الكبير عرض وتحليل لدعامة حركة الإصلاح السنوسي**، مرجع سابق ، ص152.

(6) – بول مارتي، مرجع سابق، ص41.

(7) - ظاهر مُحَمَّد صكر الحسناوي، مرجع سابق، ص163.

الجغرافي والإغراءات الفرنسية[1]. وواصل الشيخ المهدي تعزيز علاقاته مع مملكة وداي، حيث عين مرتضى فركاش بن أبي خريص مبعوثًا له هناك، ولم يتأخر في دعم سلطانها مُحَمَّد يوسف وتلبية طلباته؛ فمثلا أرسل إليه الشيخ مُحَمَّد بن عبد الله السني، عندما طلب منه أن يوفد إلى أبشه أحد كبار الدعاة السنوسيين للمساعدة في نشر العلم والإرشاد الديني عام 1897م[2]، وكرد للجميل كان السلطان يوسف يرسل الهدايا المتنوعة إلى الشيخ مُحَمَّد المهدي[3]. ونسجل أيضا نشاطا دعويا كبيرا للشيخ مُحَمَّد بن عبد الله السني في شمال تشاد والنيجر عام 1313هـ[4]، وبسنار[5] مسقط رأس أبيه، ولم يتوقف عند هذا الحد بل قام بإنشاء عدة زوايا في شمال نيجيريا والكامرون، ووصل إلى جنوب تشاد حيث تنتشر القبائل الوثنية، وبقي هناك مدة طويلة يدعو الناس[6]، وباعتباره شاعرًا كان كثيرًا ما ينظم أبياتا شعرية، يعبَّر فيها عن حنينه للوطن بعد غربته وهجرته الطويلة[7].

وكان الشيخ مُحَمَّد المهدي يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ولا يرضى بالظلم، وهذا ما فعله بالضبط مع رابح الزبير[8]، حيث أرسل إليه الشيخ مُحَمَّد السني ومعه رسالة يوبخه فيها بسبب فساده في مدينة برنو، ويأمره باتباع سنة

---

(1) - أقام جنتيل صداقة مع مُحَمَّد المهدي السنوسي وسلطان غوارنغ، حيث أرسل إلى السنوسي أن يوفد إليه اثنين من أعيان البلاد ليتشرفوا بزيارة فرنسا ونفس الأمر طلبه من غوارنغ، واستجاب كل منهما للدعوة، فكان كل من الحاج تكور والأزرج مبعوثا السنوسي، وشخص يسمى "المرشد العالمي" ممثلًا عن غوارنغ، وذكر ذلك جنتيل في كتابه "سقوط إمبراطورية رابح". ينظر : سعد الدين الزبير، **إمبراطورية رابح الزبير**، ط1، دب، مطابع مقاد، 1953، ص52.

(2) – أحمد صدقي الدجاني، مرجع سابق، ص223.

(3) – كان السلطان يوسف حاكم وداي يرسل إلى الشيخ مُحَمَّد المهدي السنوسي هدايا متكونة من : ناب الفيل، وريش النعام، وسبائك الذهب الخام. ينظر : يونس علي بالقاسم السنوسي، مرجع سابق، ص104.

(4) – ناصر الدين مُحَمَّد الشريف، مرجع سابق، ص ص359، 360.

(5) - مركز تجاري هام، حيث تتردد عليه القوافل التجارية من القاهرة ودنقلا وبلاد النوبة والهند وإثيوبيا ودارفور وبرنو وفزان؛ وغيرها. ينظر : مكي شبيكة، **السودان عبر القرون**، بيروت، دار الجيل، 1991، ص80.

(6) – كان مُحَمَّد عبد السني ممثل السنوسية في كانم، وقد بُعث في مهمة تجارية إلى عدة مناطق وهي : برنو، وباغرمي، ووداي، ومرزق، وغات. ينظر : Capitaine Cornet, op.cit, p 93.

(7) - مُحَمَّد سعيد القشاط، **أعلام من الصحراء**، مرجع سابق، ص ص187-189.

(8) – ولد رابح عام 1846م في إحدى قرى بحر الغزال، انظم إلى جيش الزبير باشا الذي اعتقه وأسند إليه قيادة الجيش، ومنذ ذلك الحين ارتبط رابح بمصير سيده حتى أصبح يسمى "رابح الزبير"، واستقل رابح بعد ذلك بنفسه وكون امبراطورية كبيرة واسعة، وخضعت له عدة ممالك في تشاد منها باغرمي، وفي الأخير واجه الاستعمار الفرنسي وقتل أمام قوات الكومندان لامي في عام 1900م. ينظر : سعد الدين الزبير، مرجع سابق، ص ص 20-144.

الله ورسوله[1]. وأبرز منكر قام به رابح هو قتال بلد مسلم واحتلاله، ونقصد مملكة باغرمي[2]، وللعلم يحرم الشرع الإسلامي قتال المسلم لأخيه المسلم[3]، وأكثر من ذلك تميز حكمه بالغلو في الدين، وذلك بجلد وقتل العصاة لمجرد ارتكابهم أبسط الذنوب أو لمجرد الإشتباه، ورغم ذلك كان مُحَمَّد المهدي مضطرًا للتحالف مع رابح بغرض قهر العدو المشترك وهي فرنسا، وتعزز ذلك إلى درجة المصاهرة[4]، وللعلم كان أهل كانم وبرنو قد اتبعوا الطريقة السنوسية –كما مر معنا–[5]، مما يحتم على مُحَمَّد المهدي مساعدتهم والتحرك لصالحهم.

لقد نجحت الحركة السنوسية في دعوتها الإسلامية في مناطق السودان، حيث حسن إسلام الزنوج وأصبحوا يقومون بالعبادة على أحسن وجه، بدليل رسالة مؤرخة في 2 أفريل سنة 1901م بعثها أحمد الريفي إلى الشيخ البراني يخبره فيها أن أهل بدمة وصلتهم الدعوة الإسلامية، وأصبحوا يزكون وقد أرسلوا زكاتهم فعلًا، وأضاف بأنهم أصبحوا يصلون ويصومون أيضًا[6]. ويعد جمع الزكاة من العبادات الرئيسية التي تولتها الحركة السنوسية، وممن تكفل بجمعها في تشاد الشيخ عبد الله الطوير بغرض دعم الزوايا السنوسية وإطعام الطلاب[7]، ومما ساعد ذلك أن سكان تشاد يتبعون المذهب المالكي[8]مثل ليبيا[9]، مع وجود قلة تتبع المذهب الشافعي[10]، ويعد المذهب المالكي من أبرز عوامل الإتصال بين ممالك تشاد الإسلامية وشمال أفريقيا، وكان دافعا قويا أيضًا إلى تطلع تلك الممالك الإفريقية أكثر إلى المغرب الإسلامي بدلًا من مشرقه.

---

(1) – مُحَمَّد بن عثمان الحشائشي، مرجع سابق، ص171.

(2) - باغورمي[كذا]ولاية إسلامية تقع وسط إفريقيا،كان يحكمها في ذلك الوقت سلطان يدعى عبد الرحمن جورانغ[كذا]، ولقد تمتعت بالاستقلال التام إلى أن احتلها رابح عام 1893م. ينظر : سعد الدين الزبير، مرجع سابق، ص68.

(3) – قال رسول الله ﷺ : ((سِبَابُ المسْلِمِ فُسُوقٌ وقِتَالُهُ كُفْرٌ)). ينظر : مسلم أبو الحسن، مرجع سابق : 64/116. وقال ﷺ أيضًا : ((مَنْ حَمَلَ عَلَيْنَا السِلاَحَ فَلَيْسَ مِنَّا)). ينظر : نفسه : 99/162.

(4) – تزوج فتح الله نجل رابح إحدى كريمات السنوسي تدعى خديجة. ينظر : سعد الدين الزبير، مرجع سابق، ص52.

(5) – مُحَمَّد بن عثمان الحشائشي، مرجع سابق، ص171.

(6) – ينظر : الملحق رقم 26، ص432.

(7) – مُحَمَّد سعيد القشاط، **أعلام من الصحراء**، مرجع سابق، ص ص191، 192.

(8) - ينتشر المذهب المالكي في تشاد منذ القديم ومنها مملكة كانم، وقد نقل لنا ذلك العمري قائلًا : « ... والعدل قائم في بلادهم، ومذهبهم الإمام مالك، رضي الله عنه ... ». ينظر : ابن فضل الله العمري، مرجع سابق، ج4، ص46.

(9)- Seifelnaser Bulhasen, op.cit, p 39.

(10) – عبد الرحمن عمر الماحي، **الدعوة الإسلامية في إفريقيا الواقع والمستقبل**، مرجع سابق، ص48.

وبالنسبة لموقف الحركة السنوسية من التنصير، فقد وقفت بكل حزم ضد الحملات التنصيرية في الصحراء الإفريقية وجنوبها، بينما بقيت بعيدة عن المناطق الشمالية، رغم أن التنصير نشط هناك أيضًا واستفحل بشكل كبير في الساحل وذلك بواسطة الجمعيات المسيحية[1]، واعتقد أن سبب عدم مواجهة السنوسية للتنصير شمالًا هو ضعف تواجدها بالأساس في هذه المنطقة، وتركيزها في الجنوب. وفي هذا الإطار استغلت فرنسا عزلة الطوارق وجهلهم مبادئ الشريعة الإسلامية، وضعف الوازع الديني لديهم، وقلة المفتيين والأئمة الذين يذكرونهم بأحكام القرآن والشريعة[2]، وحاولت تنصيرهم، بل وربطت بعض ثقافات الطوارق بالمسيحية[3]. ويعد شارل دو فوكو أبرز من اشتهر في هذا المجال، بل ارتبط اسمه دوما بالتنصير، حيث أقام في تامنغاست عام 1905م وبنى ديرًا هناك[4]، وطبق سياسة تقوم على عدة محاور أهمها محاربة اللغة العربية، لأنه رأى فيها الوسيلة الوحيدة لفهم الطوارق تعاليم الدين الإسلامي[5]، وعمل هذا المبشر على نشر اللغة الفرنسية وإحياء التراث الثقافي التارقي، وتشجيع تنصير الطوارق[6]. لقد حملت الحركة السنوسية على عاتقها مواجهة الحملات التنصيرية المبكرة[7]،

---

(1) – في القرن 19م اشتهرت جمعيتان بالتنصير في ليبيا هما : "الأخوات الفرانسيسكان" و"أخوات القديس يوسف"، حيث قامتا ببناء المدارس خاصة للبنات، على طول الساحل، وذلك في المدن التالية : الخمس، ومصراتة، وطرابلس، وبنغازي، ودرنة. ينظر: Katrina Elizabeth Anderson Yeaw, **Women**, **Resistance and the creation of new gendered frontiers in the making of modern Libya**, **1890–1980**, Faculty of the graduate school of arts and sciences of Geogretown university, degree of Doctor of philosophy in history, Washinton. D.C, 2017, pp 173-191.

(2) – آمال هاشمي، **الوضع الاجتماعي والفكري لطوارق الهقار من خلال الكتابات الفرنسية في بداية الاحتلال الفرنسي للجزائر**، مذكرة ماجستير، جامعة وهران.السانية، 2007-2008، ص80.

(3) – ربط الفرنسيون علامة † الموجودة في مقبض السيف ومقدم السرج بالمسيحية، وللعلم تعني هذه العلامة بالتفيناغ حرف ت. ينظر : نفسه، ص ص81-87.

(4) – نفسه، ص19.

(5) – عبد السلام بوشارب، مرجع سابق، ص120.

(6) – مُحَّد السعيد القشاط، **الطوارق عبر الصحراء الكبرى**، مرجع سابق، ص200.

(7) – من أبرز المبشرين الكاردينال لافيجري الذي بعث مبشرين إلى السودان عبر غدامس-غات عام 1878م، وقام هؤلاء بالتقرب من طوارق الطاسيلي ناجر، واستمر ذلك مدة طويلة قاربت عشر سنوات، أي إلى غاية سنة 1888م، وقد وقفت السنوسية ضد النفوذ المسيحي بالصحراء وبلاد السودان. ينظر : إبراهيم العيد بشي، "**دور سكان الجنوب الشرقي في مقاومة الاستعمار الفرنسي**"، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، العدد الحادي عشر، جوان 2013، ص32.

وقامت بقتل الأب دو فوكو[1]، وواجهت أيضًا سياسة الفرنسة البغيضة[2]، رغم أنها -كطريقة تصوف- لا تنتشر بشكل كبير في الهقار[3].

وفي الطاسيلي احتدم الصراع أيضًا بين السنوسية وفرنسا، وذلك منذ الحملات الاستطلاعية الفرنسية الأولى في عام 1902م ، ولم يأخذ هذا الصراع طابعًا عسكريًا فقط، بل تميز أيضًا بصراع فكري ذي صبغة ثقافية، وتمحور بالضبط حول مسألة اللغة العربية باعتبارها رمزًا من رموز الهوية الوطنية، ففي جانت حرصت الزاوية السنوسية هناك على تعليم الأطفال اللغة العربية، وحفظ القرآن الكريم، وبالمقابل سمحت فرنسا للطوارق بآداء الصلاة والذكر وجمع الزكاة وغيرها، لكنها منعتهم وبكل حزم تعلم اللغة العربية، بل وقامت بقتل معلم هذه اللغة في الزاوية وهو الشيخ حفش مُحَّد علي، والذي دُفن في إليزي لاحقًا، وضيقت الخناق على الشيخ صادق بن يخلن ممثل الطريقة السنوسية في قصر زلواز، والهدف وراء ذلك واضح وجلي، وهو فصل الطوارق عن الهوية العربية الإسلامية، وتشجيعهم على الإدماج والفرنسة والتنصير، لأن فرنسا رأت في اللغة العربية وسيلة الإتصال الوحيدة للطوارق مع الطرق الصوفية منها السنوسية من جهة، ومع الإسلام من جهة أخرى[4].

وفي جنوب السودان واجهت الحركة السنوسية التنصير أيضًا والذي استفحل بقوة، لكنها فشلت نوعًا ما، لأن رغم وصول البعثات التنصيرية متأخرة هناك[5]، إلا أنها نجحت في تنصير عدة قبائل بتشاد[6]، خاصة بأقصى

---

[1] – قتل السنوسيون الأب دو فوكو في 1 ديسمبر 1916م بتامنراست. ينظر: Octave Maynier, op.cit, p 270.

[2] - حاولت فرنسا ربط الطوارق بنظام سياسي فرنسي في إطار ما عرف بِ : "السياسة الفونكوترتية"[كذا]. ينظر : أحميدة عميراوي وآخران، **السياسة الفرنسية في الصحراء الجزائرية 1844–1916**، عين مليلة.الجزائر، دار الهدى، 2009، ص52.

[3] – الطريقة الأولى المتبعة في الهقار هي التجانية، تليها القادرية، ثم عدد قليل من الأهالي يتبع السنوسية وقد تعرفوا عليها أثناء مرورهم بالجغبوب، في طريقهم إلى الحج، وللعلم فقد كان لموسى آغ أمستان أمنوكال طوارق الهقار علاقة مع شيخ السنوسية في الجغبوب. ينظر :

Maurice Benhazera, **Six mois chez les Touareg du Ahaggar**, Alger, typographie Adolphe Jourdan, 1908, pp 58-137

[4] – رواية شفوية للسيد حمزة قمزر عضو جمعية أمنيلال لحفظ التراث والمخطوطات بجانت، رقم الاعتماد : 06/2013 بلدية جانت، أُجريت المقابلة في جانت بتاريخ 3 جانفي 2023 م، على الساعة 15.

[5] - انتشرت النصرانية في تشاد عام 1921م حينما وصلت بعض طلائع الكنيسة البروتستانتية قادمة من ناحية الجنوب وبالتحديد من زائير وإفريقيا الوسطى. ينظر : مُحَّد صالح أيوب، مرجع سابق، ص163.

[6] - دخلت عدة قبائل في المسيحية مثل قبيلة سارا. ينظر : محمود شاكر، **التاريخ الإسلامي14–التاريخ المعاصر بلاد المغرب**، ط2، بيروت، المكتب الإسلامي، 1996م، ص54.

الجنوب، ونقصد بذلك مملكة باغرمي المحادية لأوبانجي-شاري[1]، ونسبة انتشار المسيحية في جنوب تشاد ظلت مرتفعة بسبب دعم الاستعمار الفرنسي ومنح عدة امتيازات للقبائل المسيحية هناك، سياسيًا وإداريًا واجتماعيًا وثقافيًا وغيرها، إضافة إلى نشاط الكنائس الكبير في حوض الكونغو المجاور.

ورغم عداء النصارى الشديد، إلا أن الحركة السنوسية نجحت في دعوتها خاصة في شمال تشاد، وقد أثنى الشاعر أبو سيف مقرب حدوث البرعصي عليها، ووصف بدقة حالة الأفارقة بعد أن نهلوا من العلم واهتدوا إلى الإسلام، فقال :

وكم من جهول أسود اللون خلقة ... كساه لبوس العلم ابيض صافيا
تلافاه في مهوى الضلالة هاويا ... فأصبح نجما بالهداية عاليا
فتاهوا به فخرا على كل حاضر ... ومن جاور الأعلى يحوز المعاليا[2]

6- نشاط السنوسية في ميدان التصوف :

6-1- العهد[3] والبيعة[4] :

إن العهد والبيعة مترادفان في اصطلاح أهل التصوف، ويعني ارتباط الشيخ والمريد مع بعضهما واجتماعهما على محبة الله والتقرب إليه، ويعتبر المتصوفة أن الشيخ هو المعيار في سعادة أو شقاء المريد، لذلك منح الشيخ أحمد بن إدريس لتلميذه السنوسي الإذن بإعطاء العهود وتلقين الذكر في الحجاز -كما مر معنا-، وكانت تلك بداية ظهور الطريقة السنوسية في زاوية أبي قُبيس بمكة، ولم يكن الأستاذ ليخص تلميذه بذلك الامتياز لولا أن رأى فيه الفطنة والأهلية والولاية، حيث اعتبرها السنوسي نعمة وفتح من الله[5].

---

[1] - أوبانجي-شاري : هي جمهورية إفريقيا الوسطى. ينظر : كولين ماكيفيدي، **أطلس التاريخ الإفريقي**، تر.مختار السويفي، مر.مُحَمَّد العزب موسى، دب، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1987، ص212.

[2] - علي مُحَمَّد الصلابي، **تاريخ الحَرَكَة السَّنوسيّة في أفرِيقيَا**، مرجع سابق، ص57.

[3] - عرَّف ابن منظور في لسان العرب العهد لغة على أنه : الأمان واليمين الموثق والذمة والحفاظ والوصية، والمعاهدة والاعتهاد والتعاهد والتعهد واحد، وهو إحداث العهد بما عهدته. ينظر : ابن منظور، مرجع سابق، مج3، ص ص311-313.

[4] - البيعة هي الطاعة والمعاقدة والمعاهدة. ينظر : فلاح حسن سالم الجبوري، مرجع سابق، ص9.

[5] - بطرس البستاني، مرجع سابق، مج10، ص147.

وأشار الشيخ السنوسي إلى تلقين الذكر مع أخذ البيعة في كتابه "السّلسبيل المعين في الطرائق الأربعين"، وأعطى لهما أهمية كبيرة جدًّا[1]، وأكد أيضًا أهمية وجود "الشيخ"[2] وضرورة التشبث به، لأنه يوجه المريد إلى السبيل الصحيح ويساعده على التخلص من آفات النفس كالرياء والعجب، ويرى أن سلوك الطريقة بدون شيخ صعبة، لذلك نصح المريدين بقراءة بعض الكتب منها "كفاية المريد وحلية العبيد" للخروبي، وكتب الغزالي، واعتبرها دواء حيث وصفها بِ : "المرهم الشافي". ويعتبر السنوسي أن التلقين من السنة النبوية وأنه ثبت عن رسول الله ﷺ، واستدل بما أخرجه أحمد في مسنده والبزار والطبراني والحاكم من طريق يعلى بن شداد بن أوس حيث قال : بايعنا رسول الله ﷺ، وقال : أفيكم غريب يعني أهل الكتاب فقالوا : لا يا رسول الله فأمر بغلق الباب وقال : ارفعوا أيديكم وقولوا : (لا إله إلا الله) فرفعنا أيدينا ساعة ثم وضع النبي ﷺ يده ثم قال : ((الحمد لله اللهم انك بعثتني بهذه الكلمة وأمرتني بها ووعدتني عليها الجنة وإنك لا تخلف الميعاد)) ثم قال : ((ابشروا فإن الله قد غفر لكم))[3]، واعتبره السنوسي دليلًا على الاجتماع على الذكر جهًرا، وشاهدًا لأصل التلقين بكيفية خاصة.

6-2- الإجازة[4] :

الإجازة شهادة علمية، تثبت لصاحبها الكفاءة والتأهيل في علم ما أو عدة علوم، وهي أيضًا تعني إذن لطالب بأن يلقن نفس المعارف التي تلقاها عن شيخه بنفس السند الذي يمتد عادة إلى عدة أجيال. وأصلها من السُّنة لأنها وردت في الأحاديث النبوية[5]، وهي مستعملة أيضًا عند شيوخ الطرق الصوفية والعلماء والفقهاء، وللإجازة عدة أنواع[6]، لكنها تهدف كلها إلى الأخبار بأن هذا الكتاب أو هذه الكتب من رواية فلان، ويستعمل

---

(1) – أحمد صدقي الدجاني، مرجع سابق، ص ص141، 142.

(2) - الشيخ عند الصوفية هو الذي يحدد لمريده طرق الوصول إلى الله، ويعتبره ابن عطاالله السكندري بمثابة الأب، وأكد على أهميته إلى درجة وصْف من لم يكن له شيخ بأنه "لقيط". ينظر : معدِّى الحسيني الحسيني، مرجع سابق، ص524.

(3) – مُحَمَّد بن علي السنوسي، **المنهل الروي الرائق في أسانيد العلوم وأصول الطرائق**، مرجع سابق، ص156.

(4) – الإجازة لغة : جاء في مادة جوز : لها معاني كثيرة في لغة العرب، منها السقي والسماح والطريقة والتسويغ وغيرها. ينظر : مجد الدين الفيروزآبادي، مرجع سابق، ص310.

والإجازة اصطلاحا : عرّفها ابن صلاح بأنها إذن المحدث لغيره أن يروي عنه حديثًا أو كتابًا من كتبه أو كل كتبه التي يرويها أو مؤلفاته، من غير أن يسمع ذلك منه أو يقرأ عليه. ينظر : أبو عمرو الشهرزوري، **علوم الحديث لابن الصلاح**، تح.نور الدين عتر، دمشق، دار الفكر، 1986، ص151.

(5) - تعد الإجازة من أقسام طرق نقل الحديث الشريف. ينظر : نفسه، ص151.

(6) – ذكر القاضي عياض أن لها ستة أنواع في كتابه "الالماع". ينظر : نفسه، ص151.

المجاز غالبًا كلمة حدثنا أو أخبرنا أو كتب إلي، ونحو ذلك[1]، وهي تتكون من ثلاثة ركائز أساسية : المجيز، والمجاز، ومضمون الإجازة؛ ويعد المضمون الأهم لأنه يحتوي على نوع الإجازة وشروطها والعلوم أو الكتب والمشايخ ... إلخ، وغالبًا ما كان الشيوخ يجيزون طلابهم – خاصة النجباء – عندما يتقدمون في العمر، ليضمنوا استمرارية طريقتهم أو أثرهم.

وأخذ الشيخ السنوسي كثيرًا من العلوم عن عدة مشايخ مشارقة ومغاربة، وقد أُجيز فيها وهي : علم الحديث، والتفسير، والتصوف، ومختلف العلوم النقلية والعقلية، والقرآن الكريم، أمَّا الطريقة كانت بالسماع والعرض والإجازة المطلقة العامة والمناولة بشروطها وضوابطها، وقد سجل كل ذلك في فهرسته الكبرى الموسومة بِ : "الشموس الشارقة في أسانيد شيوخنا المغاربة والمشارقة" و"الصغرى" أيضًا[2]. وتحصل على عدة إجازات أثناء رحلاته وتنقلاته إلى عدة مناطق ذكرها بنفسه أبرزها : الأغواط والجريد وطرابلس الغرب ومصر القاهرة، وتونس التي أكد أن إجازتها كانت بواسطة المراسلة[3]، وصرح بأن مصدر ومنشأ الإجازة عنده هو النبي ﷺ. وأبرز من أجازه في الجزائر : عبد القادر بن عمور المستغانمي المسمى سيبويه زمانه، والشيخ أبو طالب المازوني[4] الذي يعتبر أعلى الشيوخ إسنادًا وأعظمهم شهرة بالجزائر – وقد مر معنا–، والشيخ مُحَمَّد بن التهامي البوعلفي، والشيخ الشمس مُحَمَّد بن عبد القادر، والشيخ ابن أبي زوينة المستغانمي[5]. وفي المغرب أجازه من سلا الشيخ أحمد بن المكي السدراتي السلوي شارح الموطَّأ، ومن فاس الشيخ الطيب هداج، والشمس مُحَمَّد بن عامر المعداني، والشيخ مُحَمَّد بن أبي بكر اليازغي الزهني، والسيد أبو بكر الإدريسي القيطوني، والشيخ أبو زيد عبد الرحمن بن إدريس العراقي، والشيخ حمدون بن الحاج[6]، ومن درعة الإمام الفقيه ابن عبد السلام الناصري الدرعي وولده مُحَمَّد المدني[7] –كما

---

[1] – يستعمل المجاز غالبًا كلمة حدثنا أو أخبرنا أو كتب إلي، وهذا حسب ما ورد عند ابن منظور : " وروي عن أحمد بن يحي قال : دفع إلي الزبير إجازة وكتب بخطه، وكذلك عبد الله بن سبيب فقلت : أيش أقول فيها ؟ فقالا : قل فيه إن شئت حدثنا، وإن شئت أخبرنا، وإن شئت كتب إلي ". ينظر : ابن منظور، مرجع سابق، مج14، ص305.

[2] – مُحَمَّد بن علي السنوسي، **المنهل الروي الرائق في أسانيد العلوم وأصول الطرائق**، مرجع سابق، ص9.

[3] – نفسه، ص5.

[4] – عبد الحي الكتاني، مرجع سابق، ج1، ص ص506، 507.

[5] – نفسه، ج2، ص1041.

[6] – نفسه، ص1041.

[7] – كتب الشيخ مُحَمَّد المدني الناصري للشيخ السنوسي إجازة عامة سنة 1125هـ[كذا]. نستغرب من تصريح الكتاني لهذا التاريخ والذي يوافق عام 1713م، والأكيد أنه تصحيف، لأن السنوسي لم يولد بعد، والأرجح أنه عام 1225هـ. ينظر : نفسه، ص550.

أسلفنا–، وقد أكد هذه الإجازة الأخيرة حفيده أحمد الشريف[1]، ولا ننس أستاذه وشيخه المتميز العربي الدرقاوي[2]، وغيرهم كثيرون. وفي مصر : الأمير الصغير، والمعمر ثعيليب الضرير[3]، والشيخ النور القويسني، والشمس الفضالي، والعطار، والبدر الميلي، والنور علي النجاري، والشهاب الصاوي، وفتح الله السمديسي، وغيرهم[4]، وهم أنفسهم أساتذته في جامع الأزهر – كما مر معنا – ، وفي طرابلس أجازه الشيخ أحمد الطبولي الطرابلسي[5]، وفي الحجاز أجازه أستاذه أحمد بن ادريس عدة طرق وعلوم، وناوله طرفًا من الفصوص مناولة مقرونة بالإجازة[6]، ومن الشام أجازه العلامة عبد القادر بن مصطفى الشامي[7]، ومن أغرب الإجازات حصول السنوسي على إجازة من معمر عاش أزيد من خمسة قرون يقطن بمنطقة نائية جدًّا[8].

وأصبح للشيخ السنوسي مكانة علمية رفيعةً، وذاع صيته مشرقًا ومغربًا وجنوبًا، وقام هو بدوره منح عدة إجازات، ونسرد مثالًا ذكره بنفسه، حيث وصله طلب إجازة، وقد تردّد حينها، لكن بعد استخارة الله وافق، حيث قال : « ...على إني كثير ما سوفتهم بسوف... لم أجد لي منهم مخلصا، ولا عن مرامهم متخلصا في إجابتهم

---

(1) – عندما استفسر الكتاني في رسالة عن الإجازة، أجابه أحمد الشريف السنوسي من الأناضول قائلًا : « وسألت حضرتكم عن إجازة الشيخ سيدي مُحَمَّد بن عبد السلام ونجله للأستاذ ابن السنوسي. نعم فإن الوالد والولد كلاهما أجازه حين خرج من فاس. وقرأ عليهما في الحديث وغيره، وأجازه إجازة عامة مطلقة تامة في كل مقروء ومسموع، وإن شاء الله ترسل لكم صورة الإجازة مرة أخرى... »أ هـ. ينظر : عبد الحي الكتاني، مرجع سابق، ج2، ص ص843-848.

(2) - أجاز السنوسي في العلوم التي درسها. ينظر : مُحَمَّد فؤاد شكري، مرجع سابق، ص14.

(3) – في إطار التعريف بالشيخ ثعيليب، قال الكتاني : « ... أشهر تلاميذه المجازين منه الوجيه الكزبري والبرهان السقا والشيخ السنوسي آخرهم وفاة الثاني، وبروايته عنه حصل له الفخر التليد. نروي ماله من طريقهم عنه ... ». ينظر : عبد الحي الكتاني، مرجع سابق، ج1، 268.

(4) – عبد الحي الكتاني، مرجع سابق، ج2، ص1042.

(5) – هو الإمام المسند المعمر أبو العباس أحمد بن أبي زيد عبد الرحمن بن أبي طبل المالكي المعروف فيها بالطبولي الضرير، يروي عامة عن مُحَمَّد بن مُحَمَّد الصادق بن ريسون وعمر بن مُحَمَّد بن علي الحساني الطرابلسي المعروف بالسوداني، والصعيدي والحفني والدردير ومرتضى الزبيدي والدسوقي ومُحَمَّد الكانمي الفزاني المالكي، وغيرهم، وممن روى عنه الشيخ السنوسي والشيخ فالح...، وممن أخذ عنه الفقيه الأديب السيد حسن المدعو حسونة بن مُحَمَّد بن حسونة الدغيسي الأزروملي الطرابلسي... توفي عام 1254هـ تقريبًا. ينظر : نفسه، ج1، ص467.

(6) – مُحَمَّد بن علي السنوسي، السلسبيل المعين في الطرائق الأربعين، مرجع سابق، ص44.

(7) – نفسه، ص42.

(8) – كتب أحمد الشريف السنوسي من الأناضول رسالة إلى الكتاني قال فيها أن جده أخذ عن شريف معمر اسمه عبد العزيز نزيل أرض الحبشة عاش أزيد من خمسمائة سنة، كتب للشيخ السنوسي إجازة عامة كما هي له من ابن حجر الحافظ. ينظر : عبد الحي الكتاني، مرجع سابق، ج1، ص329.

لوفاء طلبتهم وقضاء لبانتهم فاستخرت الله تعالى وأجزتهم بجميع ما يصح لي وعني روايته...»[1]. ومما يلاحظ على أسلوب الإجازة التكلف في المحسنات البديعية خاصة الإطناب في السجع، وفيما يخص مضمون كلام السنوسي نفهم بأنه كان متشددًا جدًّا في منح الإجازة إلى درجة الإستخارة، وكان لا يمنحها إلا لمن يستحقها ومن هو أهل لها، وليس كما كان رائجًا آنذاك في العالم الإسلامي[2]. والعلوم التي أجازها الشيخ السنوسي هي العلوم العقلية والنقلية، والفروع والأصول، وقد صرح بذلك هو بنفسه، حيث قال : « ... وما حصل لي والمنة لله تحقيقه ودرايته من كل مقروء ومسموع مفرق أو مجموع ونوعي مناول أو مجاز على رأي من لهما أجاز من معقول ومنقول، وفروع وأصول»، وسمح الشيخ السنوسي للمجازين – في الإجازة السالفة – أن يجيزوا غيرهم، لكن بشروط متعارف عليها لدى أهل الأثر، كالتقوى والتدين؛ وأمور علمية مثل إتقان الرواية ومعرفة ضوابطها، ونحو ذلك[3].

ولدى المتصوفة طقوس خاصة بالإجازة، حيث تقترن بسلوكات معينة، وهو ما فعله الشيخ السنوسي حيث اقترنت إجازته بمصافحة مريديه ومناولتهم السبحة وإلباسهم الخرقة؛ وكذلك تلقينهم الذكر، وإجازته تضمنت كل ما اشتمل عليه كتابه المسمى "السّلسبيل المعين في أسانيد الطرائق الأربعين"، كما تضمنت أيضًا كتب الحديث والتفسير، وللإجازة مراتب لدى الشيخ السنوسي حيث أشار إلى ذلك في كتابه "المنهل الروي الرائق في أسانيد العلوم وأصول الطرائق"، منها المناولة[4] المقرونة بالإجازة[5].

---

[1] - مُحَمَّد بن علي السنوسي، **المنهل الروي الرائق في أسانيد العلوم وأصول الطرائق**، مرجع سابق، ص7.

[2] - في بعض المعاهد كالأزهر، كانت تقدم الإجازات جزافًا لمن يطلبها دون حتى سابق معرفة بين المجيز والمجاز. ينظر : علي مُحَمَّد الصلابي، **تَاريخ الحَرَكَة السَّنُوسيَّة في أفريقيَا**، مرجع سابق، ص33.

[3] – مُحَمَّد بن علي السنوسي، **المنهل الروي الرائق في أسانيد العلوم وأصول الطرائق**، مرجع سابق، ص7.

[4] - المناولة مثل الإجازة، أي من مصطلحات الحديث والتي دخلت قاموس المتصوفة، ويقصد بها المناولة المجردة عن الإجازة، وهي أن يناول المجيز الكتاب للمجاز، ويقتصر قوله : ((هذا من حديثي أو من سماعاتي)) ولا يقول ((أروه عني أو أجزت لك روايته عني)) ونحو ذلك، فهذه رواية مختلة لا تجوز الرواية بها. ينظر : أبو عمرو الشهرزوري، مرجع سابق، ص169. والأصل فيها حديث النبي ﷺ في الصحيح حيث كتب لأمير السرية كتابًا وقال له لا تقرأه حتى تبلغ مكان كذا وكذا فلما بلغ ذلك المكان قرأه على الناس وأخبرهم بأمر النبي ﷺ، فهذا النبي ﷺ قد ناول أمير السرية كتابًا ولم يقرأه. ينظر : مُحَمَّد مخلوف، مرجع سابق، ج1، ص12.

[5] – اعتبرها السنوسي أعلى من السماع، أو مساوية له على رأي المحققين، ومنهم الإمام مالك وأئمة الحرمين. ينظر : مُحَمَّد بن علي السنوسي، **المنهل الروي الرائق في أسانيد العلوم وأصول الطرائق**، مرجع سابق، ص8.

وخلال مسيرة الشيخ مُحَمَّد بن السنوسي العلمية، أجاز عدة طلبة نذكر منهم : الشيخ عبد الجليل بن عمر الجزايري[1]، والشيخ مُحَمَّد المدني بن المبروك بن عزوز (ت1285هـ / 1868م)[2]، والشيخ مُحَمَّد بن حميد الشركي[3] الذي فضّل أستاذه السنوسي عن بقية المشايخ، وشهد في إجازة له بالنبوغ وملكة الحفظ، حيث قال : « أعظمهم قدرًا – يعني مشايخه – وأشهرهم ذِكرًا وأشدهم إتباعًا للسنة النبوية وأمدهم باعًا في حفظ الأحاديث المروية وأكثرهم لهم سردًا وأوفرهم لكتبها جمعًا وتتبعًا العلامة المرشد الكامل مولانا السيد مُحَمَّد بن علي السنوسي الحسني. فقد روى لي الحديث المسلسل بالأولية أول تشرفي بطلعته، ثم لازمته مدة مديدة وحضرت عليه سنين عديدة، وكان يقرأ صحيح البخاري في شهر ومسلم في خمسة وعشرين يومًا والسنن في عشرين يومًا، مع التكلم على بعض المشكلات. ولا أعدّ هذا إلا كرامة له، ثم أجازني بجميع ما حواه ثبته الجامع المسمى ب "البدور الشارقة فيما لنا من أسانيد المغاربة والمشارقة " وهو في مجلدين،... » ا هـ[4].

---

[1] – أجاز الأستاذ حسين بن مُحَمَّد النائب الأوس الأنصاري الذي ولد بطرابلس 13 شوال 1223هـ، والإجازة مطلقة بسائر العلوم العربية الإثني عشر والأربعة عشر، ومما جاء فيها بعد البسملة : « أجزت خلاصة السعد، أهل الحل والعقد وأحد الفضلاء عمدة النبلاء الحائز الشرفي الحسب والنسب ...»، وموضوعها في التصوف، وتاريخها في أوائل رجب 1259هـ. ينظر : أحمد النائب الأنصاري، **نفحات النسرين والريحان فيمن كان بطرابلس الغرب من الأعيان**، مرجع سابق، ص ص147-161.

[2] – هو مُحَمَّد المدني بن المبروك بن أحمد بن إبراهيم بن عزوز البرجي الخلوتي، شيخ الشيوخ بتونس والجزائر، علَّامة عصره، ولد في بلدة البرج قرب بسكرة، وتوفي سنة 1285م. أجازه الشيخ السنوسي لكن اختلف المؤرخون في المكان، البعض يروي بأنه لقي الشيخ في مكة وأجاز له ولأخيه مُحَمَّد الصغير بن عزوز، بعدما سمعا عليه الأوائل العشرة، وأضافهما وصافحهما. ينظر : عبد الحي الكتاني، مرجع سابق، ج2، ص550. والبعض الآخر، يقول بأنه رحل إلى المشرق وأثناء عودته مر بالجغبوب وأجازه الشيخ السنوسي، وتولى التدريس في زاوية نفطة بطلب من شيخ الزاوية ابن عمه الشيخ مصطفى بن عزوز البرجي، وظل بها حتى وفاته. ينظر : عبد المنعم القاسمي، مرجع سابق، ص ص394-396.

[3] – هو مُحَمَّد بن حميد الشركي المكي الحنبلي مفتي الحنابلة بمكة المكرمة، العلّامة الأديب المؤرخ المسند مذيل "طبقات الحنابلة" للحافظ ابن رجب، يكنى بالعامري نسبة إلى عامر بن صعصعة، يروي عامة عن الإمام مُحَمَّد بن علي السنوسي ... مات المترجم له بالطائف 12 شعبان سنة 1295هـ. ينظر : عبد الحي الكتاني، مرجع سابق، ج1، ص ص519، 520.

وقد صرح بأن الشيخ السنوسي أجازه بجميع ما حواه ثبته الجامع المسمى بِ : "البدور الشارقة[كذا] فيما لنا من أسانيد المغاربة والمشارقة" المصنف في مجلدين، وقد سمع حديث : لا إله إلا الله حصني، ومن تلميذه العلامة المحدث مُحَمَّد سعيد العظيماباد الهندي. ينظر : نفسه، ج2، ص ص1043،1041.

[4] – نفسه، ص1043.

وقد أجاز الشيخ السنوسي مريدين آخرين، وردت بعض أسمائهم في إجازة مؤرخة في أول رجب الفرد 1258هـ/ 7 أغسطس 1842م في رحاب الزاوية البيضاء[1]، حيث وصفهم بالعلماء والأبرار والمكارم والفضلاء والتلاداء، وبعضهم بالسعود وذوي المقام وغير ذلك، ومن هؤلاء : الشيخ أحمد بن المنتصر، وفتح الله أحمد بن مُحَمَّد بن حجر، ومُحَمَّد ابن السيد علي الشريف، ورائح المساوي، ومُحَمَّد بن سعود، وغيرهم[2]، وتضمنت إجازته تلك بعض النصائح والإرشادات، حيث طلب منهم لزوم الجماعة، والقيام بوظائف نوافل الخيرات من بث العلم وتعليمه وتفهمه وتفهيمه، ووصى بالتناصح وقبوله، والتزاور والتشاور، واتباع النهج المحمدي والصراط المصطفوي، وفي هذا الإطار نقتطف بعض ما جاء فيها، حيث قال : « فقد أجزنا الكل بجميع ما سلف، وأقمنا أيضا كل من ذكرنا مقامنا نيابة عنا، في تلقين الأوراد، وإحياء الطريق بإقامة ذكر الله، وبذل النصح لعباد الله ... »[3].

وقد استفاد خلقٌ كثير مغاربة ومشارقة من علم الشيخ السنوسي، وممن أخذ عنه أيضًا قاضي مكناس أبي العباس أحمد، وأبو المفاخر مُحَمَّد بن عبد الكبير الكتاني[4]، والشمس القاوقجي ومُحَمَّد حقي النازلي، والشيخ صديق جمال المكي، ومفتي الحنفية بمكة الشيخ الجمال الحنفي، ومُحَمَّد سعيد العظيمابادي، وأحمد بن المهدي التونسي، والشيخ حسين بن إبراهيم الأزهري المكي، ومُحَمَّد صالح الزواوي وصالح العودي[5]، ومن طرابلس أجاز الشيخ السنوسي الشيخ عبد الرحمن الغدامسي عام 1249هـ، وفي الحجاز إضافة إلى مفتي الحنابلة -كما أسلفنا- أجاز أيضًا مفتي الحنفية بالمدينة الشيخ مصطفى إلياس المدني[6]، وغيرهم كثير : منهم طلاب وبعضهم شيوخ زوايا - مروا معنا -[7].

---

(1) - أحمد مُحَمَّد جاد الله وخالد مُحَمَّد الفيتوري، مرجع سابق، ص ص 767-796.

(2) - أجاز الشيخ السنوسي إحدى عشرة شيخًا، كلهم من مصراتة. ينظر : نفسه، ص 789-791.

(3) - نفسه، ص 795.

(4) - هو جد عبد الحي الكتاني مؤلف كتاب "فهرس الفهارس"، قال عنه حفيده كما يلي : « ... جدنا الأستاذ العارف الكبير أبو المفاخر مُحَمَّد بن عبد الواحد المدعو الكبير الكتاني الحسني، جمع أسانيده الطريقية تلميذه خالنا الشيخ أبو المواهب جعفر بن إدريس الكتاني في ثبت صغير ... ذكر فيه إسناد الجد في الطريقة القادرية والخلوتية والنقشبندية والشاذلية والناصرية والعيساوية والسنوسية ونحوها ... وقد أخذ سيدنا الجد عن نحو الأربعين شيخًا بالمشرق والمغرب، من أعيانهم الحافظ السنوسي الجغبوبي ... ». ينظر : عبد الحي الكتاني، مرجع سابق، ج1، ص481.

(5) - نفسه، ج2، ص1042.

(6) - نفسه، ص ص1041، 1042.

(7) - أجاز الشيخ السنوسي مُحَمَّد الأزهري إجازة تامة مطلقة، وأيضًا عمر الفضيل وأحمد بن شتوان، في حين تحصل مُحَمَّد بن عثمان السوكني على إجازة التخرج من معهد الجغبوب. ينظر : يونس علي بالقاسم السنوسي، مرجع سابق، ص ص207-209.

ورغم كل ذلك، تميز الشيخ السنوسي بالتواضع، فقد وصف نفسه بالعبد الحقير البائس، وقال بأنه ليس أهلًا لأن يجاز فما بالك بأن يجيز، واستدل على ذلك ببيت شعري قيل في هذا الشأن :

فلستُ بأهل لأن أُجاز فكيف أجيز ولكن الجنون فنون

لقد واصل أحمد الشريف السنوسي مسيرة جده في التواصل مع العلماء، واستمر إلى غاية فترة قصيرة قبل وفاته، ودليلنا وجود إجازة بخطه في الخزانة الخاصة بالشيخ عبد الحفيظ الفاسي بالرباط، وقد خُتِمت وحُرِّرت سنة 1346هـ وهو ما يوافق سنة 1927 أو 1928م، أي قبل وفاته بنحو خمس أو ست سنوات، وقد كُتِبت بخط مغربي كعادة السنوسيين[1]. وبالمقابل فقد أُجِيز أحمد الشريف السنوسي هو أيضًا من طرف أربعة شيوخ من كبار الطريقة السنوسية –كما مر معنا–، وهم : والده مُحَمَّد الشريف وعمه مُحَمَّد المهدي والأستاذين عمران بن بركة وأحمد بن عبد القادر المازوني، كما ورد في رسالته الموسومة بِ : "الأنوار القدسية في مقدمة الطريقة السنوسية"[2]، ويعد أحمد الشريف السنوسي الأعرف بمشايخ السنوسية على الإطلاق حتى أفرد مجلدًا كاملًا في ترجمتهم مثل الشيخ أحمد الريفي وعمران بن بركة والقوصي والمحبوب وغيرهم، ونعتقد أن له إجازات أخرى نظرًا لاتصالاته العلمية المتعددة والمتنوعة طيلة مسيرته في ليبيا ثم تركيا والحجاز.

ولم تقتصر الإجازة على العائلة السنوسية فحسب، بل شملت الإخوان أيضًا، منهم الشيخ فالح الظاهري الذي لقي بمكة المكرمة عام 1269هـ العلامة المحدث المعمر أبا الحسن علي بن عبد الحق القوصي الأثري، وأجازه إجازة عامة، وبالمدينة المنورة أجاز محدثها الشيخ عبد الغني بن أبي سعيد الدهلوي العمري، وبمصر حظي كل من الشمس عليش والنور حسن العدوي الحمزاوي بإجازة منه[3].

6-3- لبس الخرقة [4] :

يؤمن الشيخ السنوسي بلبس الخرقة بدليل أنه لبسها، وصرح بذلك بنفسه فقال : « وأروي الطريقة الشاذلية مسلسلا بتلقين الذكر ولبس الخرقة وهو أني أخذتها عن مولانا أبي العباس العرايشي[كذا]، ولقنني الذكر وألبسني

---

[1] – خير الدين الزركلي، مرجع سابق، ج1، ص135.

[2] – عبد الحي الكتاني، مرجع سابق، ج1، ص ص207، 208.

[3] – نفسه، ج2، ص896.

[4] - الخرقة في اللغة : هي القطعة من خرق الثوب، وهي رداءٌ من الصوف أو أي نسيج خشن، ويكون مرقعًا بأنواع عديدة من القماش علامة للافتقار ومنعًا للمريد من الزهو والخيلاء. ينظر : فلاح حسن سالم الجبوري، مرجع سابق، ص53.

الخرقة »[1]، وصرح أيضًا بأنه لبس الخرقة من الشيخ الرباني أحمد الدجاني وهو من والده الشيخ مُحَمَّد بن يونس المدني وهو من الشيخ مُحَمَّد بن عيسى التلمساني، إلى غير ذلك، ويصل سندها العالي بالمصافحة إلى سيدنا الخضر عليه السلام[2]، ويعتقد الشيخ السنوسي كغالبية الطرقيين بأن سيدنا الخضر لا يزال حيًا، وله كرامات مع الأولياء[3].

ورواية لبس الخرقة تكون بنفس طريقة رواية الحديث الشريف، أي التسلسل من شيخ إلى آخر، ونقصد بذلك الإسناد، وغالبًا ما يرتفع السند العالي إلى النبي ﷺ، فمثلًا أثناء حديث الشيخ السنوسي عن سند لبس الخرقة في الطريقة الأويسية، ذكر ستة وثلاثين شيخًا لبسوها، آخرهم علي بن أبي طالب، عن النبي ﷺ[4]. ورغم تشابه طريقة الإسناد مع الأحاديث النبوية إلا أن أسانيد الطرق الصوفية لا تخضع للجرح والتعديل، وفي بعض الأحيان لا يكون هناك إسنادًا أصلًا، بل يأخذ الشيخ مراده مباشرة من النبي ﷺ كما هو الحال بالنسبة للشيخ أويس القرني، حيث قال السنوسي أنه لبس الخرقة من النبي ﷺ بلا واسطة وذلك بطريق الروحانية[5]. والغريب في الأمر أن إسناد لبس الخرقة أحيانا يعود إلى الجن، كما ذكر ذلك الشيخ السنوسي في معرض حديثه عن الطريقة المشاعرية، حيث أشار إلى أن بعض الناس زعموا أن سيدي أحمد البدوي أخذ لبس الحبوة والزنبيل من بعض الجن، والذين بدورهم أخذوا عن النبي ﷺ[6].

وحسب السنوسي فإن سر لبس الخرقة عظيم جدًّا، واعتبره كمال الفقر، واستدل بذلك بقول محي الدين بن العربي[كذا]، ورأي الشعراني أيضًا، بأنه عبارة عن خلع الأخلاق الرديئة ولبس الأخلاق المحمدية[7]، ومثلما لبس السنوسي الخرقة قام هو كذلك بإلباسها لابنه مُحَمَّد المهدي الذي صرح : « ... وبعد إلباس الخرقة بأيام قليلة ناولني السبحة وألبسني سيفا بيده وأمرني أن أصلي به المغرب فكان إلباس الجرد أولها وإلباس السيف آخرها»[8]، وقام السنوسي بعد ذلك – على عادة الصوفية – بمصافحة ابنه ومناولته السبحة التي أفرغها في يده، وقد ادخرها المهدي بنية أن تدرج معه في الكفن يوم وفاته، وسلوك السنوسي ذاك لا يخرج من إطار معتقدات الصوفية، إذ

---

(1) – مُحَمَّد بن علي السنوسي، **المنهل الروي الرائق في أسانيد العلوم وأصول الطرائق**، مرجع سابق، ص121.

(2) – مُحَمَّد بن علي السنوسي، **السَّلسبيل المعين في الطرائق الأربعين**، مرجع سابق، ص45.

(3) - مُحَمَّد بن علي السنوسي، **المنهل الروي الرائق في أسانيد العلوم وأصول الطرائق**، مرجع سابق، ص76.

(4) – نفسه، ص88.

(5) – نفسه، ص89.

(6) – مُحَمَّد بن علي السنوسي، **السَّلسبيل المعين في الطرائق الأربعين**، مرجع سابق، ص146.

(7) – مُحَمَّد بن علي السنوسي، **المنهل الروي الرائق في أسانيد العلوم وأصول الطرائق**، مرجع سابق، ص155.

(8) – أحمد صدقي الدجاني، مرجع سابق، ص249.

تعتبر الخرقة والسبحة والسيف رموزًا مقدسة لديهم، واعتقد أيضًا أن لها مغزى آخر وهو الإشارة بخلافة مُحَمَّد المهدي له، بدليل أنه لم يفعل ذلك مع ابنه الآخر مُحَمَّد الشريف، حسب اطلاعنا على مصادر السنوسية.

واعتقاد السنوسي بالخرقة كبير جدًّا، ويعتبرها من السنة مثل العهد والتلقين تمامًا، ويستشهد ببردة الرسول ﷺ عندما ألبسها كعب بن زهير لما أنشده قصيدة "بانت سعاد"، وكسا معاوية ثوبه في يوم، ثم في يوم آخر إزاره، ثم رداءه في يوم آخر، كما رمى رداءه على عكرمة بن أبي جهل يوم الفتح[1]. وفي معرض روايته عن سند لبس الخرقة في الطريقة القادرية ذكر بأن سندها يعود إلى الشيخ عبد المفتي المكي الصديقي، مرورًا بقطب الأقطاب الغوث محي الدين عبد القادر الجيلالي، ويرتفع السند الأعلى إلى النبي ﷺ ثم إلى الله عز وجل بواسطة جبريل، حيث قال: « وهو صلى الله عليه وسلم لبس الخرقة من رب العالمين بواسطة الروح الأمين »[2]. وحسب ما ورد في كتاب السنوسي الموسوم بِ : "المنهل الروي الرائق في أسانيد العلوم وأصول الطرائق" فإن للخرقة ثلاثة أقسام وهي : إرادة وصحبة وتبرك، فمثلًا إلباسها لغير العارفين يعتبر للتبرك والتشبه بالقوم لا غير، واستدل بالحديث : ((يسروا ولا تعسروا وبشروا ولا تنفروا))[3].

6-4- الدعاء[4] والتوسل بالأولياء :

إن الله قريب منا، وقد أمرنا بالدعاء والتضرع إليه، والدعاء نعمة عظيمة أنعمها الله على عباده، وقد ورد في فضله عدة نصوص من القرآن، ووعدنا الله بالاستجابة فقال : ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴾[5]، وكما دلّت الآية فإن الدعاء من الإيمان، وقد حذّرنا الله تعالى من الاستكبار عنه. والأصل في التوسل هو التقرّب إلى الله[6]، ومن معانيه أيضًا الاستغاثة

---

(1) – مُحَمَّد بن علي السنوسي، **المنهل الروي الرائق في أسانيد العلوم وأصول الطرائق**، مرجع سابق، ص154.

(2) – نفسه، ص ص104-106.

(3) – نفسه، ص155.

(4) - الدعاء هو الرغبة إلى الله عز وجل، دعاه دعاء ودعوى، وقد يكون عبادة أو استغاثة أيضا، والدعاء واحد الأدعية، وأصله دعاو لأنه من دعوت، إلا أن الواو لما جاءت بعد الألف همزت. ينظر : ابن منظور، مرجع سابق، ج14، ص ص257، 258.

(5) – سورة غافر : الآية 60.

(6) - جاء في لسان العرب أن الوسيلة هي الدرجة والقربى، وقيل هي الشفاعة يوم القيامة، وأيضا منزلة من منازل الجنة، ووَسْل فلان إلى الله وسيلة إذا عمل عملا تقرب به إليه، والواسل هو الراغب إلى الله. ينظر : ابن منظور، مرجع سابق، ج11، ص ص724، 725.

بالله[1]. والأولياء هم العباد الصالحين، حيث قال فيهم الله عز وجل : ﴿ أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾[2]، ووصفهم بالإيمان والتقوى، لذلك يرى ابن كثير أن كل من كان تقيا فهو ولي الله[3]، وليسوا عبادًا مخصوصين لذاتهم. وكغيره من الطرقيين يؤمن الشيخ السنوسي الاستعانة بأولياء الله، واعتبر ذلك من نعم الله وفضله على عباده، لكن ليس على منهج السلف، ودليلنا أنه نصح المريد باستحضار صورة وليه في مخيلته ليحصل على مراده، وهذا ما قاله في كتابه السّلسبيل المعين في الطرائق الأربعين : « فيكون الاستحضار الذهني لصورة الولي فرع محبته الموجبة لدخول المريد حيطة معينة وذلك من فضل الله علينا وعلى الناس ولكن أكثر الناس لا يعلمون ... »[4]، ومن جهة أخرى أكد أن الاستغاثة بالأولياء الأحياء ممكنة أيضًا، وطلب العون منهم مشروعة ومستجابة، واستدل بحديث شريف، فقال : «... وأيضا الحديث الوارد عن أبي مسعود قال : قال رسول الله ﷺ : ((إذا انفلتت دابة أحدكم بأرض فلاة فليناد يا عباد الله احبسوا يا عباد الله احبسوا فإن الله عز وجل حاضر سيجيبه))، مما يدل على مشروعية الاستغاثة بعباد الأحياء »[5].

ولأوراد الطريقة السنوسية أسرار روحانية ومنها الدعاء السيفي الذي يعد أحد أعمدتها الأساسية، حيث نجد له أهمية بالغة وأسرار عظيمة عند السنوسي، وقد أكد تأكيدا يقينيا أنه بواسطته يمكن الاجتماع بالخضر عليه السلام، وذلك بقراءته إحدى وأربعين مرة، والعجيب أن رواية السنوسي للدعاء السيفي في كتابه " المنهل الروي الرائق " يصل سندها إلى قاضي الجن شمهروش[6]، وليس إلى علي بن أبي طالب –كما مر معنا– في الأوراد.

---

(1) – الاستغاثة في اللغة : مصدر استغاث، وغَوْث وغِيَّاث ومغيث أسماء، يقال: أجاب الله غَوْثاه وغُواثه وغَواته، ويقول الواقع في بلية : أغثني، أي فرج عني. ينظر : ابن منظور، مرجع سابق، ج2، ص174.

(2) – سورة يونس : الآية 62.

(3) – ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، تح.سامي بن مُحَمَّد السلامة، ط1، الرياض.المملكة العربية السعودية، دار طيبة للنشر والتوزيع، 1997، ج4، ص278.

(4) – مُحَمَّد بن علي السنوسي، **السَّلسبيل المعين في الطرائق الأربعين**، مرجع سابق، ص156.

(5) – نفسه، ص156.

(6) – مُحَمَّد بن علي السنوسي، **المنهل الروي الرائق في أسانيد العلوم وأصول الطرائق**، مرجع سابق، ص93.

ويعد الإخوان السادة السنوسيين أولياءً، خاصة لدى أهل برقة، حيث يلتمسون منهم البركة ويحترمونهم[1]، ويتعدى ذلك أحيانًا إلى درجة القداسة، بدليل أن أَتْباع السنوسية ومريديها هناك يفعلون أمورًا غير مشروعة شبيهة بالعبودية، وذلك خلال الزيارات.

وفي هذا الشأن، ذكرت دراسة أن الزوار إلى الكفرة والجغبوب يخلعون نعالهم عند مقابلة السنوسيين، ويدخلون زاحفين على الأيدي والركب أو مشيًا على هيئة الراكع ثم يقبّلون أيديهم أو ركبهم، ثم يعودون إلى محل جلوسهم، ولا ينصرفون حتى يأذن لهم السنوسي بإشارة منه[2]، وقد أشارت إلى هذا الأمر الرحالة فوربس في رحلتها التي قادتها إلى صحراء الكفرة[3].

والغلو في حب الشيخ السنوسي وطريقته والمبالغة في ذلك، وصفها الشاعر أحمد الطائفي سنة 1264هـ قائلًا :

فاليك يا مولاي أشكو علتي ... وعظيم شوقا بعضه أضناني
ومتى أفوز بنظرة تطفى الجوي ... وتزيل كرب حشاشة الولهاني
وأقول يا عيني انظري وتمتعي ... بجمال مولانا عظيم الشان
استاذنا وملاذنا وغياثنا ... منجي الغريق ومهدي الحيران
سلطان أهل الله ذاك مُحَمَّد ... العالم العلامة الرباني
(ابن السنوسي) المعظم قدره ... من خص بالاسرار والعرفان
اكرم به من سيد ذي سؤدد ... ومناقب جلت عن التبيان
لم استطع تعداد بعض صفاته ... ولو استطعت لكل عنها بياني[4]

ويختم ثنائه ومدحه قائلا :

---

[1] - للطائفة السنوسية احترام كبير لدى أهالي برقة، حيث وصفهم أحمد حسنين بالأمراء في الكفرة، وحتى أطفالهم الصغار تُخصص لهم في المسجد يوم الجمعة أماكن خاصة. ينظر : أحمد مُحَمَّد حسنين، مرجع سابق، ص196.

[2] – إبراهيم المشعل، **الدعوة السنوسية دراسة وتقويم**، رسالة ماجستير، جامعة الإمام مُحَمَّد بن سعود الإسلامية، المملكة العربية السعودية.الرياض، 1404-1405هـ، ص12.

[3] – الأتباع يسجدون لتقبيل آثار قدمي الشيخ السنوسي في الجغبوب عام 1850م بسبب ورعه. ينظر : روزيتا فوربس، مرجع سابق، ص44.

[4] - مُحَمَّد الطيب الأشهب، **برقة العربية أمس واليوم**، مرجع سابق، ص168.

يا رب فارزقنا سلوك طريقه فسلوكها ينجي من النيران
وأطال بفضلك عمره وأدم به نفع العباد وألفة الأخوان[1]

واعتُبِر السنوسي وليًا في حياته قبل مماته، وقد شهد له بذلك أستاذه أحمد بن إدريس الذي حذّر من أذيته، لأن عواقب ذلك وخيمة جدًّا، ورأى أن أذيته بمثابة أذية النبي ﷺ[2]، واعتبر شكيب ارسلان أن مُحَمَّد المهدي السنوسي وليًا أيضًا مثل أبيه، وبالغ في مدحه إلى درجة أن شبهه بالنبي ﷺ، فقال في قصيدة جاء فيها :

أشبه الناس بالنبي ومن يشبه أباه فليس منه اعتداء[3]

ونسب الشيخ السنوسي الشريف مقدس لدى الإخوان، ويعتقدون قضاء الحاجات به، وفي هذا المجال نظم سيدي مُحَمَّد بن عبد الرحيم بن أحمد شيخ زاوية بنغازي قصيدةً سمّاها "سلسلة الذهب الشريفة وشجرة النفس الحنيفة"، متكونة من سبعة وأربعين بيتًا، تضمنت نسب السنوسي المتصل بالنبي ﷺ وغرضها التوسل، جاء فيها :

حمدا لرب باسط النعماء مجري السحاب وكاشف الضلماء
وكذلك شكرا لا يزال مسرمدا متجددًا بتجدد الآلاء
وصلاته تغشى النبي مُحَمَّدا بدر الظلام مزيل كل عناء
والآل والصحب الألي اعلنوا دين النبي بغارة عشواء
وبعد ربي إنني لك ضارع متضرع في حسن نيل رجاء
متوسل في حل كل عويصة قد اعضلت بالصفوة النجباء
بمحمد محيي الحقيقة غوثنا مولى العلوم وناصر السمحاء
وباصله[كذا] المولى علي كم له من همة تسمو على الجوزاء
وبأصله الحبر السنوسي الذي اضحت معارفه كنوز ذكاء
وبأصله العربي من شهدت له أقرانه بالسبق في الهيجاء
وبأصله المولى مُحَمَّد الذي حمد السرى فارتاح بالأضواء
وبأصله عبد العزيز فباله من ضيغم ذي رتبة شماء
وبأصله المولى شهيدة انه لشهيدة فاقت بطيب ذكاء
وبأصله عمر الذي بحامد حمدت مزاياه لدى الفقراء

---

[1] – مُحَمَّد الطيب الأشهب، **برقة العربية أمس واليوم**، مرجع سابق، ص168.
[2] - أحمد صدقي الدجاني، مرجع سابق، ص69.
[3] - مُحَمَّد عبد المنعم خفاجي، مرجع سابق، ص202.

وبيوسف الحبر السميع اصله من قد ربي في مربع العلياء
وبأصله عبد الله امامهم قطب الورى متوارث الأنبياء
وبأصله الحطاب كم خطب عدا فأزاحه رغما على الاعطاء
وبذي أهل المولى علي أصله حاوي المكارم منجد الغرباء
وبأصله يحيى الذي احيا الندى قد مات من كرم وحسن ثناء
وباصله ذو مرشد راشد عصره كم قد شفا من مقلة عمياء
وبأصله المولى المرابط أحمد اكرم به من ناسك بكاء
وبأصله منداس ذي الفضل لذي لم يحكه طود على القراء
وبأصله عبد القوي الذي هما بين الانام بسيرة حسناء
وبعابد الرحمن دومًا أصله عطر الشذا ذي الراحة الشمّاء
وبيوسف القضب المهنّد أصله حامي الزمان وذايد البؤساء
وباصله زيان من زان لعلا بعد المحول بدعوة غراء
وبأصله زين العبادة من اذا يتلي المثان لان ذوي الصفواء
وبيوسف الشهم الغضنفي أصله عند الندى ذي الحلم والأفضاء
وبأصله الحسن الذي ما شأنه الا افتداء محاسن الآباء
وبأصله ادريس من درست به رغم الحسود مظالم الشغواء
وبأصله المولى سليمان الذي كان الثبات لمزع الدهياء
وبأصله الخليل جود الجود من جوده غارت يد الانواء
وبأصله عبد لإله من اهتدى بهدى سناه شواسع الانداء
وبأصله سامي المكانة احمد زين الملا ذي القامة الهيفاء
وبأصله المولى مُحَمَّد الذي نشرت ثناه شوافع الورقاء
وبأصله عبد الاله من امتطى صهوات مجد من سنًا وسناء
وبحمزة نامي العوارف اصله منمي الرياض بزهر كل علاء
وبأصله المولى علي كم الى أوج المكارم قد علا بولاء
وبأصله عمران عامر غربنا وفلايك الاقمار في الظلماء
وبأصله ادريس شمس الغرب سولان الرى مناط كل بهاء
وبأصله عبد الاله الكامل الأ خلاق مولى القادة الفضلاء
وبأصله الحسن المثنى من غدت انواره فمحت دجى الاهواء
وباكبر السبطين اكمل طايع غمر الحمى مع منتهى الانحاء

وبأكرم زوجين حيدرة العلا ثم البتول البرة الزهراء
وبمنبع الشرف الأصيل مُحَمَّد خير الأنام وملجيء الضعفاء
مصباح عين الحق خير من اصطفا ٥ الله من عجم ومن عرباء
صلى عليه الله في ملاء الرضى ما حن شوقًا مغرم الاحشاء[1]

والحشائشي الذي سرد هذه القصيدة، أكد أنه جربها أي توسل واستغاث بها، واستجاب الله له بأن قضى حوائجه[2]، ولم يوضح تفاصيل أخرى، وبهذا يكون الحشائشي قد اعتقد ببركة السنوسي رغم أنه لم يكن سنوسيًا.

وخلاصة القول، لا توافق السلفية السنوسية في الاعتقاد بالأولياء، وتجده غير مقبول، وهذا ما أكده منذ زمن بعيد ابن تيمية[3]، وللعلم لم يرتبط الدعاء بوليٍ أو بمكانٍ بعينه، بل اقترنت الإجابة بأوقات معلومة[4].

6-5- المشاهدة[5] والتجلي[6] :

يؤمن الشيخ السنوسي بالكشف وله خبرة في طريقة الوصول إليه، حيث يقول : «... فيرى بعض الروحانيين روحانية النبي ﷺ ويظن أنه مستيقظ وليس كذلك إذ لا بد من ذهول يعتري السالك حتى ينكشف له من ذلك

---

[1] – مُحَمَّد بن عثمان الحشائشي، مرجع سابق، ص ص145-147.

[2] – نفسه، ص145.

[3] – شدّد ابن تيمية على لفظ التوسل بأن يكون بمعنيين لا ثالث لهما، الأول : التوسل بالإيمان بالله وبطاعته، والثاني : دعاؤه وشفاعته، ومن أنكر التوسل بأحد هذين المعنيين فهو كافر مرتد. ينظر : أحمد بن تيمية، **قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة**، تح.عبد القادر الأرناؤوط، ط1، الرياض.المملكة العربية السعودية، رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء، 1999، ص35.

[4] – منها ليلة القدر، ومنها يوم عرفة، ومنها شهر رمضان، ومنها ليلة الجمعة، ومنها يوم الجمعة وساعة الجمعة، ومنها جوف الليل يدل عليه ما أخرجه الترمذي وحسنه من حديث ابي أمامة قال : قيل : يا رسول الله، أي الدعاء أسمع ؟ قال : جوف الليل ودبر الصلوات، والدبر يشمل الدعاء بعد التشهد الأخير في نفس الصلاة وبعد التحلل منها بالسلام، ومنها نصفه الثاني وثلثه الأول وثلثه الأخير، ومنها عند النداء بالصلاة لما أخرج مالك في الموطأ وأبو داود من حديث سهل بن سعد قال : قال رسول الله ﷺ : « اثنتان لا تردان الدعاء عند النداء وعند البأس حين يلتحم بعضهم بعضًا، وبين الأذان والإقامة، ودبر الصلوات المكتوبات، وفي السجود ». ينظر : ابن حجر العسقلاني، مرجع سابق، ص ص495، 496.

[5] - المشاهدة هي كشف الحجاب عن نور القدس، فالواصل يشاهد ربوبية الحق تعالى في عالم ملكوته، وهذا بعد أن يُقذف في قلب العبد نور الإيمان، وتنفذ البصيرة في العرفان حتى يصير الغيب كالعيان، وهذا هو مقام الإحسان المشار إليه في حديث جبريل عليه السلام، أمَّا مشاهدة الرب للعبد فهي إحاطته تعالى بعلمه وأحواله وأسراره. ينظر : معدِّى الحسينى الحسينى، مرجع سابق، ص ص1036، 1037.

[6] - التجلّي هو ما ينكشف للقلوب من أنوار الغيوب، وهو أعلى الطرق إلى العلم بالله ودونها علم النظر، ويرى أهل الكشف أن الله سبحانه وتعالى يتجلّى في كل نفس. ينظر : نفسه، ص1043.

... »[1]، وقال أيضًا : « ... رؤية الحق بالحق والتجلي هو ما ينكشف لقلب السالك من أنوار الغيوب ... ولا يكون ذلك إلا بعد فناء صفات السالك، فيظهر عليه بعض أثار تلك الصفة بفضل الله تعالى، مثلا إذا تجلى الحق عليه بصفة السمع صار يسمع نطق الجمادات وغيرها ... »[2].

ومن الغيبيات غير المنطقية والشركية التي يؤمن بها شيوخ الصوفية إمكانية الفناء في الله ﷻ[3]، حيث يصل الإنسان إلى رتبة عالية عندما يحبه الله، ويستشهدون بهذا الحديث الذي رواه البخاري عن أبي هريرة ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : ((إن الله تبارك وتعالى قال : من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب، وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضته عليه. وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها وإن سألني لأعطينه، ولئن استعاذني لأعيذنه وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن نفس المؤمن، يكره الموت وأنا أكره مساءته))[4]، ويؤمن الصوفية أيضًا بالعلم اللدني، ويقولون أن الله منحه لسيدنا الخضر العبد الصالح، ومن هنا جاءت تسمية "العلم اللدني" كما ورد في قوله تعالى: ﴿ فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴾[5]، ووصفه الشيخ السنوسي بِ : "عالم الغيب" في إطار التحدث عن الطريقة الغوثية، وطريقة الوصول إليه ممكنة حسب اعتقاده[6]، ويصفه المتصوفة أيضا بعلم الباطن الذي يمنحه الله لبعض عباده دون غيرهم، وقد يحجبه حتى على الأنبياء كما هو الحال في قصة النبي موسى عليه السلام مع العبد الصالح سيدنا الخضر، إذ يعتبرون موسى ظاهرًا والخضر باطنًا.

وأغلب الإخوان السنوسيين يؤمنون هم كذلك بالكشف والتجلي، لذلك نجدهم يسلكون سبيل "البرهانية"[7]، وكان الشيخ السنوسي ونجله المهدي يشجعان الإخوان على سلوكها، وقد وضّحها أحمد الشريف السنوسي في كتابه "الدُّرة الفردية في مبنى الطريقة السنوسية المحمدية"، قائلًا : « تلزم البرهانية الإخوان قراءة صحيح

---

[1] – مُحَمَّد بن علي السنوسي، **كتاب المسائل العشر المسمى بغية المقاصد في خلاصة المراصد**، مرجع سابق، ص ص390، 391.

[2] – نفسه، ص380.

[3] - بعض المتصوفة يرى أن الله يتحد مع روح الإنسان والكائنات الحية، وأبرز من اشتهر بهذه الفكرة الحلاج صاحب نظرية "الحلول" والتي تُعرف أيضًا بنظرية "هو هو". ينظر : معدِّى الحسينى الحسينى، مرجع سابق، ص ص363، 364.

[4] – زين الدين الزبيدي، مرجع سابق، ص473.

[5] – سورة الكهف : الآية 65.

[6] - مُحَمَّد بن علي السنوسي، **السَّلسبيل المعين في الطرائق الأربعين**، مرجع سابق، ص125.

[7] – أحمد صدقي الدجاني، مرجع سابق، ص246.

الموطأ، وبلوغ المرام في الحديث، ورسالة ابن أبي زيد في الفقه، وقراءة الرسائل السبع في التصوف التي هي : الرائية والمباحث والهائية في خالص السلوك والفضيلة والحاتمية أو الرسلانية والفصوص في خالص العرفان والبرزخ بينهما الذي هو الحكم العطائية »[1]– وقد مرت معنا في منهاج الجغبوب –، ونلاحظ أن ما أورده أحمد الشريف السنوسي هنا ليس آداب سلوك، وإنما أوامر تعبدية، يلتزم بها كل مسلم على المذهب المالكي، أو زاهد في الحياة، أما الدجاني عرفها بشكل مختلف، فقال : « البرهانية : إتباع الأوامر واجتناب النواهي واقتباس العلوم الأربعة التي هي علوم الذات والصفات والفقه والحديث والدلالات »[2]، بيد أنني وقفت على مضمون آخر له علاقة بطريقة الشيخ الدسوقي بدليل أن الشيخ السنوسي ذكر ذلك بنفسه قائلًا : « وأما طريق السادة البرهانية فهو المنسوب إلى الشيخ برهان الدين إبراهيم الدسوقي ... وهو مبنى على الذكر الجهري، ولزوم الجد في الطاعات ... »[3].

وفي مسألة أخرى، كان الشيخ السنوسي يسلك أحيانًا سبيلًا آخرًا وهي "الإشراقية" بغرض الوصول إلى الكمال[4]، وشرحها الدجاني بصفة مقتضبة على أنها تصفية النفس من السيئات وتوجيهها نحو الحق دون تعلم ولا تعليم من باب اتقوا الله ويعلمكم الله، أما أصحاب التصوف يعدّونها أعمق من ذلك بكثير، فهي في نظرهم طريقة تعبُّد تؤدي إلى ظهور الأنوار الإلهية في قلب الإنسان الصوفي (العارف)، وغالبًا ما تنتهي إلى الكشف والتجلي وهو نفس مسلك السهروردي[5]، وما يؤكد هذا الطرح ما ورد في كتاب "الأنوار القدسية في مقدمة الطريقة السنوسية " : « ... أو بالدخول في الإشراقية من باب مجاهدة النفوس، ومخالفتها بإذاقتها البؤس، وملازمة ذكر العزيز الغفَّار، آناء الليل وأطراف النهار حتَّى تنقدح في قلب الذاكر الأنوار ... »[6]، وفي هذا المجال ذكر الدجاني أن الشيخ مُحَمَّد بن علي السنوسي يصل إلى الإشراقية عندما يعتكف ولا يخرج أبدًا من غرفته، أي عندما ينعزل في خلوته[7].

---

[1] - أحمد الشريف السنوسي، **الدُّرة الفردية في بيان مبنى الطريقة السنوسية المحمدية**، مرجع سابق، ص10.

[2] – أحمد صدقي الدجاني، مرجع سابق، ص246.

[3] – مُحَمَّد بن علي السنوسي، **السَّلسبيل المعين في الطرائق الأربعين**، مرجع سابق، ص137.

[4] - أحمد صدقي الدجاني، مرجع سابق، ص246.

[5] - يعد السهروردي المقتول عام 587هـ/1191م رائدًا في التصوف الإشراقي، بل ويرتبط اسمه به، ويعود الفضل إليه في تأسيس المذهب الإشراقي. ينظر : معدِّى الحسيني الحسيني، مرجع سابق، ص ص474-493.

[6] - أحمد الشريف السنوسي، **مختصر الأنوار القدسية في مقدمة الطريقة السنوسية**، مرجع سابق، ص41.

[7] – أحمد صدقي الدجاني، مرجع سابق، ص247.

ومن جهة أخرى، فإن رؤية الرسول ﷺ منامًا ثابتة في السنة النبوية لقوله ﷺ : ((من رآني في المنام فقد رآني فإن الشيطان لا يتمثل بي))[1]، لكن رؤيته يقظة من المسائل التي أثارت جدلا كبيرا، وأنكرها كثيرون على رأسهم ابن تيمية، والشيخ السنوسي لم يصرح بأنه رأى النبي ﷺ، لكنه لا يعارض الفكرة بدليل أنه ذكر الكثير من رأوه يقظة، منهم : الشيخ نور الدين الشوني، وأحمد الزواوي، وعلي الخواص، ومُحَمَّد المنزلاوي، وأثنى عليهم ووصفهم بأساطين العلماء وبالجهابذة وبالصلحاء[2]، وذكر أيضًا أن الإمام أحمد الدجاني أخبر أبا البقاء المكي بأنه قرأ القرآن الكريم على النبي ﷺ منامًا ويقظةً[3]، وغيرهم كثيرون.

وهناك كشف من نوع آخر يدعي المتصوفة إمكانية الوصول إليه بتزكية النفس والمجاهدة[4]، وهو معرفة أنباء المستقبل ويُسمى "الفراسة" و"الإلهام" و"المشاهدة" وغيرها، وهذا ما ادعاه الشيخ السنوسي حين أخبر أهل سيوة بخسوف القمر قبل وقوعه، موهمًا لهم المكاشفة، واعتبر الشيخ عليش ذلك من "الكهانة"، وهو منهى عنه شرعًا، خصوصًا مع الكذب في دعوى الكشف[5]، وذكر الدجاني أن هذا الشيخ انبرى عام 1843م لتكفير السنوسي[6]، ونستغرب من تحديد تاريخ 1843م واحتمال أن يكون تصحيفًا لأن الشيخ عليش تولى الإفتاء سنة 1853م[7]، ومسألة التكفير ليست يسيرة، ولا يمكن أن تصدر من شخص عادي إلا أن يكون مفتيًا.

ومن مظاهر الكشف أيضًا التي اشتهر بها السنوسي ما رواه صاحب كتاب "الفوائد الجلية" وهو اللقاء مع الأمير عبد القدر الجزائري رفقة أبيه في الحج عام 1827م، حيث حكى أنه أثناء الأكل طلب السنوسي من الأمير زيادة الطعام بعدما أكل أربعة عشر لقمة وتوقف، لكن الأمير اعتذر، فرد عليه السنوسي قائلًا : هذا الذي كتب الله، وكان حينها يشير إلى المدة التي سيحكمها الأمير وهذا من قبيل الإلهام والكشف[8]، وفعلًا فقد حكم

---

(1) – مسلم أبو الحسن، مرجع سابق : 2266/10.

(2) – مُحَمَّد بن علي السنوسي، **السَّلسبيل المعين في الطرائق الأربعين**، مرجع سابق، ص12.

(3) – نفسه، ص13.

(4) – المجاهدة هي حمل النفس على المشاق البدنية، ومخالفة الهوى على كل حال، ومن حكم الصوفية (نفسك كالدابة إن ركبتها حملتك، وإن ركبتك قتلتك)، ينظر : معدِّى الحسيني الحسيني، مرجع سابق، ص1028.

(5) – مُحَمَّد أحمد عليش، **فتح العلى المالك في الفتوى على مذهب الإمام مالك** ﷺ، بيروت.لبنان، دار المعرفة للطباعة والنشر، دت، ج1، ص89.

(6) – أحمد صدقي الدجاني، مرجع سابق، ص ص108، 109.

(7) – مُحَمَّد أحمد عليش، مرجع سابق، ج1، ص89.

(8) – عبد المالك بن عبد القادر بن علي، مرجع سابق، ص25.

الأمير عبد القادر نفس المدة تقريبًا اعتبارًا من يوم البيعة عام 1832م إلى غاية نهاية المقاومة سنة 1847م. ويعتقد المتصوفة كما جاء في الرسالة القشيرية أن الكشف ومعاينة الغيب فراسة، والكشف نور يحصل للصالحين فينظرون بنور الله مثل سيدنا الخضر عيه السلام، ويعدونه علم الباطن الذي يختص به الله من يشاء من عباده الصالحين حسب اعتقادهم. ويشتغل أغلب المتصوفة بعلم الظاهر والباطن، بل أصبح من مميزاتهم وصفاتهم، وأفردوا له مصنفات ورسائل عديدة تندرج ضمن علم الكلام والفلسفة الذي أساسه العقل والتفكير. ولم يكن الشيخ السنوسي استثناءً، لذلك أشار إلى هذا العلم كغيره من المتصوفة واستدل في مصنفاته بكلام أبرز الفلاسفة كالإمام الغزالي، وأضاف بأن العلم الباطني يؤدي إلى انكشاف أنوار الغيوب لقلب السالك[1]، وشرح بشكل مفصل عن الكشف الذي يحدث له، وذلك عبر مراحل سماها "اللطائف"[2]، والتي لكل واحدة منها لون معين[3]. وأكد السنوسي أن الكشف غير متاح لكل الناس ويمكن حجبه حتى على الصحابة والتابعين، كما حذَّر أيضًا من إمكانية أن يقع بعض السالكين في طريق الشيطان، لأنه ورد أن له عرش موجود بين السماء والأرض[4].

والجدير بالإشارة أن معتقدات السنوسي عجيبة وغريبة وجريئة ومحرجة أيضًا، تتطابق تماما مع أفكار ابن عربي في التجلي، ودليلنا أنه طلب ذلك صراحة من المولى عز وجل، مقتديًا بما طلبه النبي موسى عليه السلام، فقال : « وتجلى لي يا الهي[كذا] بسر توحيد الذات المطلسم في آية الأنانية الموساوية... »[5]، واستشهد بالآية الكريمة : ﴿ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾[6]، وقد رغب في ذلك صراحة، وعبر عن طمعه[7]، وقد مر معنا من قبل دعاء في الأوراد السنوسية يسمى "التجلي الأكبر والسر الأفخر" يردد مائة مرة يوم الخميس من التسبيع الأول، والواضح من غرض هذا الدعاء هو انقشاع الحجب

---

(1) – السالك : هو السائر إلى الله تعالى. ينظر : معدّى الحسيني الحسيني، مرجع سابق، ص1015.

(2) – اللطائف : مفردها اللطيفة، وهي كل إشارة دقيقة المعنى يلوح منها في الفهم معنى لا تسعه العبارة، وقد تطلق إزاء النفس الناطقة المسماة عند الصوفية بالقلب. ينظر : نفسه، ص1026.

(3) – مُحَمَّد بن علي السنوسي، **السَّلسبيل المعين في الطرائق الأربعين**، مرجع سابق، ص91.

(4) – نفسه، ص94.

(5) – مجهول، مرجع سابق، ص89.

(6) – سورة النور : الآية 35.

(7) – مجهول، مرجع سابق، ص119.

وانكشاف الأسرار الربانية، وقد أكده الشيخ السنوسي مستشهدا بمعجزة النبي موسى عليه السلام مع ربه[1]، ومذكرًا في نفس الوقت بالآية الكريمة :﴿ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا ﴾[2].

وما يلاحظ على الشيخ السنوسي أنه يناقض نفسه في كثيرٍ من الأحيان، حتى يُخيَّل إلي أنه ينقل أفكار غيره، فمن جهة مثلًا يدافع عن الكشف والتجلي والحلول وغيرها من شطحات الصوفية، ومن جهة أخرى يعارض ذلك وبقوة، بل ويصف من يعتقد بذلك بالجاهلين، فيقول : « ... فالذي يفنى من العبد على التحقيق صفاته لا ذاته كما يفهمه الجاهلون الذين كذبوا على الله واعتقدوا الحلول أو الإتحاد، وإن وقع من أصحاب الشطح عبارة عن كلمة عليها رائحة رعونة، ودعوى وهو من زلات السالكين. فالعبد كلما تقرب إلى الله بالعبودية وإظهار العجز والفناء عن جميع الصفات المنافية للعبودية وهبه الله تعالى فضلا من صفات حميدة حقيقية ... »[3].

6-6- الذكـــر[4] :

الذكر عند شيوخ الصوفية هي المداومة على الأوراد في أوقات معلومة وبسلوكات وطرق معينة وبأعداد محددة أيضًا، لا يزيد عليها السالك أو ينقص منها، وقد غالوا في تقديس الأوراد والأذكار حتى عُدَّت من أصول الدين عندهم[5]، ويحرص شيوخ الطرق الصوفية على مداومة الذكر، ويؤكدون أنه الطريق الوحيد للفقراء[6] للوصول إلى الله تعالى، ومنهم الشيخ السنوسي الذي يعتبره مفتاح الجنة والوصول إلى الله، لذلك كان يحرص عليه كثيرا وينصح الإخوان به، ويحثهم على مداومته، وقد لمسنا ذلك من خلال وصية له في سيوة عقب عودته من الحجاز، حيث نصح الإخوان بالتمسك بالكتاب والسنة، وأكد لهم أن الوصول إلى الله يكون بالذكر بهذه العبارة "لا إله إلا الله

---

[1] – مجهول، مرجع سابق، ص ص102-113.

[2] – سورة الأعراف : الآية 143.

[3] – مُحَمَّد بن علي السنوسي، **كتاب المسائل العشر المسمى بغية المقاصد في خلاصة المراصد**، مرجع سابق، ص381.

[4] – الذكر : هو العمدة في الطريق، ولا يصل أحد إلى الله تعالى إلا بدوام الذكر فما من وقت إلا والعبد مطالب بالذكر إما وجوبًا أو ندباً، بخلاف غيره من الطاعات. ينظر : معدِّى الحسينى الحسينى، مرجع سابق، ص1021. وفي لسان العرب ورد أن الذكر هو الحفظ للشيء تذكره، والذكر أيضًا : الشيء يجري على اللسان. ينظر : ابن منظور، مرجع سابق، ج4، ص308.

[5] - انتقد سعد الله الصوفية قائلًا : « وقد أسرف المتصوفون على أنفسهم حتى اعتبروا الأذكار أفضل من القرآن وسووا بين المرابط والرسول ﷺ ». ينظر : أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي من القرن العاشر إلى الرابع عشر (16-20م)**، مرجع سابق، ج1، ص41.

[6] – الفقير : هو المتيقن فقره إلى الله، وهو الغني حقيقة بالله. ينظر : معدِّى الحسينى الحسينى، مرجع سابق ص1017.

مُحَمَّد رسول الله في كل لمحة ونفس عدد ما وسعه علم الله"[1]، حيث تُردد ثلاثمائة مرة[2]، ونلاحظ أن هذه العبارة هي نفسها الموجودة في أوراد أحمد بن إدريس لكنها خاصة في طريقة الصلاة على النبي ﷺ[3].

ومن أفضل الأذكار في الإسلام على الإطلاق "الصلاة على النبي ﷺ"، وهي من أصول الأذكار وأعظمها حيث قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ﴾[4]، وأجرها عظيم جدًا، إذ تعادل التصلية الواحدة بعشرة كما قال النبي ﷺ : ((من صلى علي صلاة صلى الله عليه بها عشرا، وكتب له عشر حسنات))[5]، ونظرًا لأهمية الصلاة على النبي ﷺ اهتم بها الشيخ السنوسي وأكد أن فضلها عظيم جدًّا، ونصح بذكرها والاشتغال بها في كل الأوقات.

وأفرد الشيخ السنوسي للتصلية على النبي ﷺ شرحًا خاصًا في إطار كلامه على الطريقة المحمدية، وأكد أنه بواسطتها يمكن رؤية النبي ﷺ يقظة لكن بشرط استحضار المحبة له، وذكر عدد من المشايخ ممن فعلوا ذلك مثل أبي البقاء المكي، وقال بأنهم صاروا يأخذون عن النبي ﷺ يقظةً ومنامًا، ولهذا الغرض يجتمع الإخوان السنوسيون في كل ليلة جمعة وإثنين في الزاوية، يقرؤون القرآن، ويرتلون الأوراد والأحزاب، ويُكرّرون الصلاة على النبي ﷺ على النمط الذي سنه لهم الشيخ أحمد بن إدريس[6].

ويطلق الذكر كذلك على الأوراد التي لا تخرج في مضمونها عن التسبيح والتصلية، وغالبًا ما تُحدد بعدد معين وهي عادة كل الطرق الصوفية، وأوضح ذلك الشيخ السنوسي في إطار كلامه عن الطريقة الكبروية والهمذانية وغيرهما، وشرح ما يرافق تلك الطرق أثناء الذكر من حركات جسمانية مثل كيفية الجلوس والتمايل والضرب على الفخذين والقلب وغيرها[7]، وأردف قائلًا : « عند النوم بعد صلاة الفجر ننام على الجنب الأيمن مستندين الرأس

---

(1) – أحمد صدقي الدجاني، مرجع سابق، ص156.

(2)- Henri Duveyrier, **La confrérie musulmane de sîdi Mohammed ben Ali Essenoûsî et son domaine géographique** : **en l'année 1300 de l'hégire=1883 de notre ère**, op.cit, p 9.

(3) - أحمد بن إدريس، مرجع سابق، ص37.

(4) – سورة الأحزاب : الآية 56.

(5) – أبو عيسى الترمذي، مرجع سابق، مج1، ص554.

(6) – علي الجميل الموصلي، مرجع سابق، ص22.

(7) - مُحَمَّد بن علي السنوسي، **السَّلسبيل المعين في الطرائق الأربعين**، مرجع سابق، ص ص97- 103.

على اليد اليمنى مرددين عبارة "يا رب ارحمني وقت المماة وما بعده" أربعين مرة »[1]، أما الاستغفار تستعمل فيه السبحة. وتُردد أذكار الطريقة السنوسية مائة مرة لكل من العبارات الآتية : "استغفر الله"، و"لا إله إلا الله"، و"اللهم صل على سيدنا مُحَمَّد النبي الأمي وعلى آله وأصحابه وسلم "[2]، بينما وردت العبارة الثانية مختلفة في بعض المصادر[3].

وللذكر آداب لدى الشيخ السنوسي أكد عليها في كتابه "المنهل الروي الرائق في أسانيد العلوم وأصول الطرائق" منها : سابقة التوبة، والغسل، والسكوت، وأن يشهر الذاكر بقلبه بهجة شيخه، والجلوس في مكان طاهر معطر برائحة طيبة مع استقبال القبلة مثل الصلاة، وأن يضع راحتيه على فخذيه، إلخ[4].

6-7- المجاهدة[5] وتزكية النفس :

إن دراسة النفس البشرية ومعرفة أحوالها من صميم الدراسات الصوفية، وما الأوراد والأذكار والاستغفار ولبس الخرقة – حسب المتصوفة – إلا وسيلة لتهذيبها وتطهيرها من الدنس وربط الصلة بالله تعالى وتعزيز الإيمان به.

وقد تطرق الشيخ السنوسي إلى النفس البشرية، وقسّمها إلى سبعة أنواع : النفس الأولى سماها "الأمَّارة"، وتعتبر من أصعب الأنفس لأنها مرتبطة بالشهوات والنزوات، وغالبًا ما تؤدي إلى المهالك، وقد حُفّت النار بالشهوات والرغبات كما قال رسول الله ﷺ : ((حفت الجنة بالمكاره، وحفت النار بالشهوات))[6]، ووصفها

---

[1]– Depont Octave et Xavier Coppolani, op.cit, p 553

[2]– Ibid, p 553.

[3] – بعث ريكارد أوجين نائب قنصل فرنسا في بنغازي إلى دوفيري أذكار الطريقة السنوسية، وتقوم على ما يلي : أستغفر الله مائة مرة، ولا إله الا الله مُحَمَّد رسول الله في كل لمحة ونفس عدد ما وسعه علم الله ثلاثمائة مرة، واللهم صلى على سيدنا مُحَمَّد النبي الأمي وعلى آله وصحبه وسلم مائة مرة. ينظر:

Henri Duveyrier, **La confrérie musulmane de sîdi Mohammed ben Ali Essenoûsî et son domaine géographique : en l'année 1300 de l'hégire=1883 de notre ère**, op.cit, p 910.

[4] – مُحَمَّد بن علي السنوسي، **المنهل الروي الرائق في أسانيد العلوم وأصول الطرائق**، مرجع سابق، ص ص156، 157.

[5] - المجاهدة هي حمل النفس على المشاق البدنية، ومخالفة الهوى على حال، ولقد قال الرسول لقوم قدموا من الجهاد : ((مرحبا بكم. قدمتم من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر، قالوا : وما الجهاد الأكبر يا رسول الله ؟ قال : جهاد النفس)). ينظر : معدّى الحسيني الحسيني، مرجع سابق، ص1028.

[6] – أبو عيسى الترمذي، مرجع سابق، مج3، ص523.

الشيخ السنوسي بسوء الأخلاق وربطها بصفات قبيحة[1]. والنفس الثانية "اللوامة"، ووصفها بصفات إيجابية، حيث قال بأنها تَحثُّ على القيام بأعمال البر كالصدقة والصوم، ومن ناحية أخرى حذَّر منها، حيث قال بأن الإنسان قد يغتر ويعجب بنفسه ويغلب عليه مرض "الرياء الخفي"، وهو التباهي وجعل الناس يعلمون ويطَّلعون على أعماله الخيرية، واقترح حلولًا للتخلص من هذا المرض[2]. والنفس الثالثة هي "الملهمة"، وعرَّفها الشيخ السنوسي على أنها التي تقوى على المجاهدة، لكن حذَّر من الوقوع في الغرور والثقة المفرطة التي قد تؤدي إلى انزلاق السالك في المهالك[3]، وأوضح العلامات والحالات التي تبين للسالك أنه واقع في شباكها وهي : الانبساط والانشراح، واعتقاده أنه أعرف من شيخه، ففي هذه الحالة – كما قال – يتعرض للجذبة ويُحْرَم من المدد، وفي المقابل نصح المريد بملازمة الأدب والذكر والجوع والسهر والصمت والاعتزال، والخضوع للشيخ خضوعًا تامًا مثل الميت بين يدي الغاسل، ونصحه أيضًا بالرياضة والمجاهدة والاستغفار والأوراد الواردة عن النبي ﷺ، لأن ذلك يزيد من الشوق والسكر وخلع العذار[4] وغير ذلك، والنفس الرابعة هي "المطمئنة"، وصفها الشيخ السنوسي بأنها لا تفارق الأمر التكليفي شبرًا، ولا تتلذذ إلا بأخلاق المصطفى ﷺ، ولا تطمئن إلا بإتباع أقواله[5]. والنفس الخامسة هي "الراضية"، ويقول السنوسي عنها بأنها صاحبة الفناء الثاني الذي هو محو الصفات البشرية من غير أن يعقبه البقاء في الحال، وعلامة صاحبها اللامبالاة وعدم الالتفات للخلق[6]. والنفس السادسة هي "المرضية"، وصفها الشيخ السنوسي بأنها تجمع بين الخالق والخلق، وليس في شهودها شيء من الأغيار لأنها غالبا ما ترجع من عالم الغيب إلى عالم الشهادة[7]. والنفس السابعة والأخيرة سماها "الكاملة"، وهي النفس المثالية، وتتصف بكل الصفات الإنسانية الحسنة، من كثرة العبادة، والاستغفار، والتواضع، والعفو، والإحسان، ونحوها[8].

---

[1] – وصفها بالجهل والبخل والكبر والغضب والشره والشهوة والبغض والإيذاء باليد واللسان وغيرها. ينظر : مُحَمَّد بن علي السنوسي، **كتاب المسائل العشر المسمى بغية المقاصد في خلاصة المراصد**، مرجع سابق، ص387.

[2] – حدد ستة أفعال وهي : التقليل من الطعام والمنام والكلام؛ والاعتزال عن الأنام؛ والذكر المدام؛ والفكر التام. ينظر : نفسه، ص389.

[3] – نفسه، ص395.

[4] – قال الشيخ السنوسي : « والمراد بخلع العذار أنك تفعل الأفعال الموافقة للشريعة المسقطة لجاهك وتعظيمك عند الخلق بأن تحمل حاجة بيتك وإخوانك على ظهرك أو رأسك وتترك الملبس الفاخر ونحو ذلك ». ينظر : نفسه، ص398.

[5] – نفسه، ص401.

[6] – مُحَمَّد بن علي السنوسي، **السَّلسبيل المعين في الطرائق الأربعين**، مرجع سابق، ص403.

[7] – نفسه، ص403.

[8] – نفسه، ص ص403، 404.

وفي هذا الإطار ورد في كتاب "السّلسبيل المعين في الطرائق الأربعين" جدولا[1]، ارتأيت أن أدرجه للتوضيح :

النفس الأمارة	اللوامة	الملهمة	المطمئنة	الراضية	المرضية	النفس الكاملة
السير إلى	السير	السير	السير	السير في	السير	السير لله
عالم الشهادة	عالم البرزخ	عالم الأرواح	عالم الحقيق	عالم الأركان	عالم الغيب	عالم كثرة ووحدة
حالة الميل إلى الشهوات	حالة المحبة	حالة العشق	حالة الوصلة	حالة الفناء	حالة الحيرة	حالة البقاء
محله الصدر	محله القلب	محله الروح	محله السر	محله سر السر	محله الفؤاد	محله مستوى السر
شريعة	طريقة	معرفة	حقيقة	ولاية	ذات الشريعة	ذات الكل
نوره أزرق	نوره أصفر	نوره أحمر	نوره أبيض	نوره أخضر	نوره أسود	نور لا لون له

6-8- قراءة الحزب الراتب[2] :

"الحزب الراتب" هو قراءة القرآن الكريم جهرًا وبصفة جماعيةٍ، وقد نقل لنا المؤرخون أن الإخوان يقرؤون يوميًا بعد صلاة العشاء جزأين من القرآن الكريم[3]، وهذا يشبه تماما القراءة المعروفة في زوايا ومساجد شمال أفريقيا، حيث يُقرأ كل يوم حزبين من القرآن الكريم، وبالتالي يتم ختم القرآن الكريم في شهر باعتبار أن مجموعه ستون

---

[1] – مُحَمَّد بن علي السنوسي، **السَّلسبيل المعين في الطرائق الأربعين**، مرجع سابق، ص93.

[2] – الراتب : لغويًا معناه الثبوت والمداومة؛ كما جاء في لسان العرب : "رتب : رتَبَ الشيءُ يَرْتُبُ رُتُوبًا، وتَرَتَّبَ : ثبت فلم يتحرّك، وعيشٌ راتِبٌ : ثابِتٌ دائم. وأَمْرٌ راتِبٌ أي دارٌ ثابِتٌ...". ينظر : ابن منظور، مرجع سابق، مج1، ص ص409،410.

[3] – تسمى قراءة الحزب. ينظر : يونس علي بالقاسم السنوسي، مرجع سابق، ص204.

حزبًا، لذلك سماه أحمد الشريف بِ : "الحزب الشهري"[1] –كما أسلفنا–، حيث قال بأن الإخوان يجتمعون لقراءة القرآن الكريم بلسان واحد، نصف جزء بعد صلاة الصبح ونصف جزء آخر بعد صلاة المغرب، وعقب كل منهما الاخلاص (ثلاثا)، وبعدها كفارة المجالس (ثلاثا)، يبتدؤون الختم صباح أول يوم من الشهر، ويختمونه في الليل إذا رؤي الشهر الآخر، وهكذا[2].

وكعادة المسلمين واقتداءً بالسنة النبوية المطهرة، يقرأ الإخوان ليلة الجمعة بعد المغرب سورة الكهف بلسان واحد، ويومها بعد العصر[3].

وأشارت دراسة أخرى إلى قراءة للقرآن لكنها أسبوعيًا، حيث يجتمع الإخوان السنوسيون كل جمعة وإثنين في الزوايا تحت إشراف شيخ الزاوية من أجل ذلك، وتُعْرف لديهم باسم "قراءة الوقف"، وتُقرأ جهرًا وبصفة جماعية[4]، لكن لم توضح الدراسة عدد أحزاب القرآن الكريم ولا وقت قراءتها.

ورغم استحسان السنوسية – وغيرها – قراءة الحزب الراتب ومداومتها عليه، واعتباره ذكرا يوميا وأساسيا في زواياها ومساجدها، إلا أن مالك كره قراءة القرآن جماعيا[5].

7– البر والإحسان :

يعتبر البر والإحسان من القيم التي أوصى بها الإسلام وحرص على تجسيدها، وتعددت مظاهر ذلك : من خدمات، ومعاملات، وسلوك، ومنهج حياة أساسه التقوى على النهج المحمدي تحت شعار : " الخوف من الله والتوكل على الله وبالله والسير إلى الله".

وإضافة للعبادة فقد كانت الزوايا السنوسية ملجأً للشارد والوارد، والتائه والجائع، حيث يقدم له الأكل[6]، كما كانت دارًا للأيتام تقدم أعمالًا خيرية متعددة للمحتاجين والمساكين ابتغاءً لمرضاة الله. وقد شجع الشيخ

---

[1] – يسمى بِ : "الوِرد العمومي"، وهو جزء من أوراد الطريقة السنوسية –كما مرّ معنا– : ((... وأمّا الوِرد العموميُّ : فهو القرآن الكريم، ولا يجتمعون في قراءة ورد من الأوراد إلّا القرآن الكريم، ويسمّى بالحزب الشهريّ، ويجتمع الإخوان ويقرؤونه بلسان واحد ...)). ينظر : أحمد الشريف السنوسي، **مختصر الأنوار القدسية في مقدمة الطريقة السنوسية**، مرجع سابق، ص65.

[2] – نفسه، ص65.

[3] – نفسه، ص65.

[4] – يونس علي بالقاسم السنوسي، مرجع سابق، ص108.

[5] – قال مالك في مختصر ما ليس في المختصر لابن شعبان : ((ولا يجتمع القوم يقرؤون في سورة واحدة كما يفعل أهل الاسكندرية ! هذا مكروه ولا يعجبنا))، وقال : ((ويكره أن يقرئ المقرئ جماعة ثم خفيف الجماعة)). ينظر : أبو بكر الطرطوشي، **كِتَابُ الحَوادث والبدَع**، تح.عبد المجيد تركي، ط1، دب، دار الغرب الإسلامي، 1990، ص ص312، 313.

[6] – علي الجميل الموصلي، مرجع سابق، ص18.

السنوسي أعمال الخير والإحسان والبر إلى الغير، وحرص على التعاون الذي يعزز أواصر الأخوة والمودة والمحبة، وهو ما ميز الإخوان، وعُرِف عنه أيضًا إحسانه وعطفه على الفقراء والمساكين[1]، وجعل ذلك من أهم أولوياته منذ استقراره الأول قي برقة وتأسيس الزاوية البيضاء، ولخّص الأشهب خدمات الزوايا السنوسية، وهي : إطعام الفقير وإيواء الغريب وفض النزاعات والخصومات الفردية والجماعية والنظر في الأحوال والمعاملات الشخصية وإرشاد الناس إلى الحق وتهذيب النفوس بنشر الآداب الإسلامية ومعالجة الأمراض الاجتماعية[2]. ومن مبادئ الإحسان تكفل الزوايا السنوسية بنفقة المريد الفقير من أكل وشرب وكسوة وسائر حوائجه، ومن مظاهر التعاون والتضامن بين الإخوان أن الأكل يكون جماعيًا في الزاوية وعلى مائدة واحدة[3].

ومن مظاهر البر والإحسان للحركة السنوسية مساعدة الإخوان ماديًا عند الزواج، وقد دلت على ذلك رسالة من الإمام السنوسي إلى وكيله السيد عبد الله التواتي مؤرخة في 29 شعبان 1264هـ/1847م، تحمَّل فيها نفقات زواج بعض الإخوان من صداق وغيره[4]، وكان الإمام السنوسي أيضًا نعم المرشد والناصح للمقبلين على الزواج، وفي هذا الإطار نقتطف بعض ما جاء في نفس الرسالة رد فيها على استشارة طلبها منه أحد الإخوان، قائلًا : « وأما أمر الأخ عمر السنوسي وما أراده من التزويج وما بعثه من الاستخارة والاستشارة فهذا أمر متوقف على معرفة حاله فإن كان له قدرة على ذلك حضرا وسفرا من سكنى وكسوة ونفقة وأنيس فهو أعرف بمن يليق بحاله من النساء، وإن كان غير ذلك فالحذر الحذر فإن من تزوج فقد ركب البحر ومن ولد فقد غرق ... »[5].

ومن العادات المتبعة عند الإخوان هو أن لا يتزوج أحدهم إلا بإذن من السادة السنوسيين، وقد وقف الأشهب على عدة رسائل من السيد مُحَمَّد المهدي السنوسي إلى بعض رؤساء الزوايا كتصريح لهم بالزواج، مثل رسالة بعث بها إلى رئيس زاوية الطيلمون السيد مصطفى المحجوب يخبره بموافقته على زواج السيد السنوسي الأشهب من كريمة السيد إبراهيم الغماري رئيس زاوية دريانة، ورسالة أخرى من السيد المهدي أيضًا إلى السيد السنوسي الأشهب يأذن له بالزواج من كريمة السيد مصطفى المحجوب، وفي رسالة أخرى قام السيد المهدي بخطبة كريمة السيد بدر فركاش إلى السيد مُحَمَّد علي الأشهب رئيس زاوية واو، والأكثر من ذلك قام بتجهيزها والمجيء بها من زاوية بشارة إلى الكفرة، ومن ثم ترحيلها إلى واو حيث يوجد زوجها[6].

---

(1) – يطعم الإخوان الفقراء كل ليلة جمعة واثنين في كل الزوايا السنوسية. ينظر : مُحَمَّد فؤاد شكري، مرجع سابق، ص45.

(2) – مُحَمَّد الطيب الأشهب، **السنوسي الكبير عرض وتحليل لدعامة حركة الإصلاح السنوسي**، مرجع سابق، ص28.

(3) – علي الجميل الموصلي، مرجع سابق، ص22.

(4) – مُحَمَّد الطيب الأشهب، **السنوسي الكبير عرض وتحليل لدعامة حركة الاصلاح السنوسي**، مرجع سابق، ص153، 154.

(5) – نفسه، 154.

(6) – مُحَمَّد الطيب الأشهب، **برقة العربية أمس واليوم**، مرجع سابق، ص198.

ولم تنفرد الطريقة السنوسية بطقوس وعادات مميزة في الزواج، فأعراف الزواج موحدة ومعروفة للجميع، كالغناء والرقص والاحتفالات وإقامة الولائم وتقديم الهدايا وغير ذلك من مظاهر البهجة والفرح، غير أن حضور السادة السنوسيين في الأعراس مميز وله قداسة في اعتقاد الناس، لأنه يعطي نوع من البركة خاصة لدى أهالي برقة.

ومن مظاهر البر والإحسان والتضامن أيضًا رعاية الحجاج، حيث تشرف الزوايا السنوسية على ركب الحجاج وتنظمه عبر عدة مسارات[1]، وكانت زاوية الجغبوب محاطة بسور به أربعة أبواب منها باب كبير مخصص لدخول قوافل الحجاج[2]، وفي الغالب فإن طريق الحج يأخذ مسار الجغبوب- أوجلة وأوجيلة نحو الكفرة، ثم الصحراء الغربية المصرية إلى غاية الوصول إلى ميناء القصير بالبحر الأحمر مرورًا بواحة الفرافرة، ثم يتجه الركب إلى ميناء ينبع بالحجاز، ويكمل مساره مرورًا بزوايا السنوسية مثل زاوية الطائف، وجدة، وبدر، ومنى، والمدينة المنورة[3]، وغيرها. وكان الشيخ السنوسي حريصًا على خدمة الحجاج وضمان راحتهم، وما فتئ يرعاهم بنفسه في إقامته الأولى والثانية بالحجاز، كما فتح لهم زاوية أبي قُبيس وجعلها مكانًا لإقامتهم، ينعمون فيها بالراحة طيلة أيام الحج أو العمرة، وكان يسقي الناس بماء زمزم والتي اتخذها حرفة ولازمها فترة من الزمن، ويبدو أنه نذر لله ووقف نفسه على خدمة الكعبة وحجاجها[4]، ورأى بأن أحسن خدمة يقدمها هي بناء الزوايا، والتي كان أغلبها ضمن الوقف السنوسي، وكعادته لم يبنها عشوائيا بل درس موقعها بعناية، لذلك عندما ننظر إلى مواقع تلك الزوايا خاصة بالحجاز، نلاحظ أنها تشكل سلسلة مترابطة على طول طريق قوافل الحج عبر مدن الساحل.

وتعد زوايا السنوسية بطرابلس الغرب نقطة عبور هامة للحجاج بالنسبة لسكان المغرب العربي ذهابًا وإيابًا[5]، فمثلًا أشارت تقارير استخبارتية فرنسية أن الحُجّاج المغاربة يزورون الشيخ المهدي عند عودتهم من الحج، ويسمعون كلامه وينفذون أوامره، ونتج عن ذلك اتباع كثير من الناس الطريقة السنوسية منهم بعض أهالي الهقار والطاسيلي، وذلك أثناء مرور قوافلهم بالجغبوب في طريقهم إلى الحج[6]، وللعلم كان لشيخ الطوارق موسى آغ أمستان

---

[1] – ينظر : الملحق رقم 27، ص433.

[2]- Louis Rinn, op.cit, 505.

[3] - تأسست زاوية المدينة المنورة عام 1266هـ/1849م، وأول شيخها العلامة مُحَمَّد الشفيع، وتولى مشيختها أيضًا كل من العلامة مصطفى الغماري، ومُحَمَّد عبد الله الزاوي، وعبد السلام فركاش. ينظر : علي مُحَمَّد الصلابي، **تَاريخ الحَرَكَة السَّنُوسيَّة في أفريقيا**، مرجع سابق، ص90.

[4] –كان الشيخ السنوسي يحج كل عام تقريبًا أثناء إقامته بالحجاز. ينظر : أحمد صدقي الدجاني، مرجع سابق، ص91.

[5] – الحجاج من مجاهر وفليتة والكرمة يزورون الجغبوب عند عودتهم من الحج. ينظر : Rné Pottier, op.cit, p 243.

[6] -Maurice Benhazera, op.cit, pp 58-59.

أمنوكال[1] الهقار علاقات طيبة مع شيخ السنوسية في الجغبوب وهذا في عام 1905[2]، ويجد الحجاج راحة وأمنا كبيرين في الزوايا السنوسية لأن الشيخ السنوسي يحرص على ذلك شخصيا[3]، وكانت السنوسية تضمن سلامة المرور لأن سلطتها معترف بها لدى القبائل، إذ يكفي أن يتحصل المسافرون أو غيرهم على تصريح من المندوب السنوسي ليضمنوا الحماية في الطريق والوصول بأمان إلى وجهتهم، وللعلم فقد كان لها "محررات" يكتبها شيوخ الزوايا للقوافل، وهي بمثابة جوازات سفر ورخص تعمل على تأمين الطرق في قلب الصحراء[4].

ولاشك أن قصد الشيخ السنوسي رعاية الحجيج ابتغاءً للأجر، وسنة حميدة لأجداده الأشراف حافظ عليها، وساهم ذلك بطريقة غير مباشرة في التعريف بالحركة السنوسية وتوطيد دعائمها، وزيادة عدد مريديها وفي مناطق بعيدة جدًّا في أفريقيا، وحتى في شرق وجنوب شرق آسيا.

8- الاحتفالات بالأعياد ومختلف المناسبات الدينية :

يحتفل السنوسيون كغيرهم من المسلمين بعيدي الفطر والأضحى، وتكونان مناسبتين لالتقاء شيخ الطريقة بمقدمي الزوايا مصحوبين بالتبريكات والهدايا، ويتْبعها عادة توزيع الزكاة والصدقات على الفقراء والمساكين، ويحتفل الإخوان أيضًا بالأعياد الدينية الأخرى كعاشوراء وأول محرم وليلة القدر وغيرها، وفي هذا السياق سمع الرحالة أحمد مُحَمَّد حسنين في رحلته إلى الكفرة ترديد الإخوان والطلبة الحزب في ليلة النصف من شعبان[5]، ولم يوضح الرحالة نوع الحزب[6]، ونعتقد بأن هذا الذكر ليس خاصا بهذه الليلة التي تعتبر مقدسة عند المسلمين[7]، بل هو ذكر ورثه الإخوان يرددونه جماعيًا كل ليلة، واحتمال أن يكون الحزب الراتب كما أوضحناه سابقًا.

---

(1) – "أمنوكال": اسم بربري يعني "سلطان". ينظر:

Henri Duveyrier, **Les Touareg du Nord** : **exploitation du Sahara**, t1, op.cit, p 331.

(2) – Maurice Benhazera, op.cit, p 137.

(3) - من خلال الرسالة التي بعثها السنوسي إلى عبد الله التواتي، نلاحظ حرصه الشديد على توفير الراحة والأمن داخل الزاوية مثل إنجاز سور، وبناء مساكن للإخوان، وتخصيص أموال لإنجاز المشاريع، وجلب البنائين المهرة. ينظر : الملحق رقم1، ص406.

(4) - اعترف رولفس بقوة سلطة الجغبوب عندما أراد السفر من الكفرة إلى وداي، حيث قال : « بدونها لا يمكن فعل أي شيء». ينظر : Guerhard Rohlfs, op.cit, p 157.

(5) – أحمد مُحَمَّد حسنين، مرجع سابق، ص185.

(6) – الحزب اصطلاحا هو المجموع من الأذكار والأدعية والتوجهات التي وضعت للذكر والتعوذ من الشر وطلب الخير، مع جمع القلب على الله سبحانه وتعالى. ينظر : أحمد زروق، **سفينة النجا لمن إلى الله التجأ**، دت ب، د د ن، دت، ص5.

(7) – قال رسول الله ﷺ : « إن الله تبارك وتعالى ينزل ليلة النصف من شعبان إلى سماء الدنيا، فيغفر لأكثر من عدد شعر غنم كلب». ينظر : أبو عيسى الترمذي، مرجع سابق، مج2، ص139.

ومن أبرز الأعياد الدينية التي يحتفل بها السنوسيون "المولد النبوي"، وذلك طبعًا في اثني عشر ربيع الأول من كل سنة هجرية، ويعد من أبرز الأعياد التي يحتفل بها الطرقيون بصفة عامة، حيث تُقام الأفراح في الزوايا والمساجد، وتُنشد المدائح والقصائد، ومن أبرزها "قصيدة البردة" للبوصيري[1]، وغيرها من الأذكار والابتهالات المناسبة لهذه الليلة المباركة، وقد وُجِدت في مكتبة الجغبوب مخطوطة خاصة بهذه المناسبة[2]، وللإشارة فإن للشيخ مُحَمَّد المهدي السنوسي مصنف في هذا المجال، كما سنرى لاحقا.

وكمثال على الاحتفال بهذه المناسبة الدينية ما سرده لنا الحشائشي عند زيارته زاوية ودان، حيث طالب أعيان البلد منه أن يسرد عليهم شيئا من كتاب "المواهب اللدنية"[3] في الجامع بعد صلاة الجمعة، مع قراءة القرآن الكريم وجانبًا من الأحاديث النبوية، ثم خصّصوا له في هذه الزاوية السنوسية مبيتًا بهيجًا تعظيمًا ليوم المولد النبوي الشريف[4]، وكمثال آخر عن طقوس الاحتفال بالمولد النبوي ما وقفنا عنه في الزاوية السنوسية بجانت، فإضافة إلى قراءة القرآن الكريم والبردة يتم ختان الأطفال، وبهذه المناسبة يُعطى له اسمًا وتسمى هذه العملية "السمية"، حيث تقام خلالها الولائم وكل مظاهر الابتهاج والسرور[5]، والجدير بالإشارة أن هذه العادات والتقاليد ليست خاصة بالزاوية السنوسية، بل هي شاملة لكل منطقة الطاسيلي، إذ تعد من عادات الطوارق الأصيلة.

9- دور الحركة السنوسية في القضاء والإفتاء :

تقام في الزوايا السنوسية المحاكمات، وتصدر عنها الفتوى، ويعقد فيها النكاح، وتحسم كل دعوى، ويبرم فيها كل اتفاق[6]، وكذلك اليمين أي القسم، وغالبا ما يكون عند أحد مشايخ السنوسية أو السادة الأشراف[7]، مما يؤكد مكانة السادة السنوسية في المجتمعات التي ترعاها هذه الحركة المباركة.

---

(1) – "قصيدة البردة الموسومة بالكواكب الدرية في مدح خير البرية : الشهيرة بالبردة الميمية للشيخ شرف الدين أبي عبد الله مُحَمَّد بن سعيد الدولاصي ثم البوصيري المتوفى سنة 694، وهي مائة واثنان وستون بيتا منها اثنا عشر في المطلع وستة عشر في ذكر النفس وهواها وثلاثون في مدح الرسول ﷺ وتسعة عشرة في مولده ... ". ينظر : حاجي خليفة، مرجع سابق، مج2، ص ص1331، 1332.

(2) – مخطوطة "المولد النبوي الشريف" للشيخ المسلخي الحلبي. ينظر : يونس علي بالقاسم السنوسي، مرجع سابق، ص149.

(3) – عنوانه بالكامل "المواهب اللدنية بالمنح المحمدية"، وهو كتاب في السيرة، من تأليف شهاب الدين القسطلاني المصري ت923هـ. ينظر : **رحلة الحشائشي إلى ليبيا سنة 1895**، مرجع سابق، ص141.

(4) – نفسه، ص141.

(5) – مقابلة مع فاطيمة تقابو مديرة الديوان الوطني للحظيرة الثقافية للطاسيلي ن أزجر، في مقر الحظيرة، وبالضبط في المكتبة، يوم 2 جانفي 2023م على الساعة 11.

(6) – علي الجميل الموصلي، مرجع سابق، ص19.

(7) – نفسه، ص19.

وللشيخ السنوسي رأي هام في القضاء والفتوى حيث يضع شروطا لهما فقال : « لا تصح الفتوى ولا القضاء بمجرد التقليد بغير علم »[1]، وحذَّر من عواقب الجهل في القضاء مذكرًا بالحديث : ((القضاة ثلاثة : قاضيان في النار وقاض في الجنة، فأما الذي في الجنة فرجل علم الحق وقضى به، وأما اللذان في النار فرجل قضى للناس على جهل، ورجل علم الحق وقضى بخلافه))[2].

ويُعتبر شيخ الزاوية السنوسية بمثابة القاضي، يُطبق الأحكام الشرعية في القضايا المدنية أو الجنائية لأن من عادة البدو أن يكون الإخوان السنوسيون وسطاء سلام في حالة حدوث خصام أو قتال بين القبائل، وكما هو معلوم فإن إصلاح ذات البين من الواجبات الشرعية التي أوصى بها الرسول ﷺ، ويشرف شيخ الزاوية أيضًا على أفراح وأقراح قبيلته من عقود الزواج ومحررات الطلاق والمآتم والجنائز وغيرها من الأمور الاجتماعية والثقافية، وجرى العرف أن لا يتم ذلك إلا بحضور السادة السنوسيين احترامًا وامتنانًا لهم.

وتمارس السنوسية القضاء بنفسها، وتلْقى قبولًا كبيرًا حتى أصبح الناس يقسمون باسم السنوسي حيث يقولون : "بحق سيدي السنوسي"، وهذا واضح وجلي خاصة بأرض برقة[3]، وكثيرا ما فضت النزاعات ليس بين الأفراد فحسب بل بين القبائل أيضًا. ويبدو أن الحكم في القضايا الكبرى كالقصاص في جرائم القتل لا تنفذها الحركة السنوسية، بل هي من اختصاص اسطنبول، وهذا ما لاحظناه في قصاص الشيخ السائح العربي الذي قتل من طرف مرافقيه قرب بلدة زلة سنة 1893م، حيث قام الشيخ مُحَمَّد المهدي بإلقاء القبض على القاتلين، وإرسالهما إلى الباشا ببنغازي، ثم إلى اسطنبول[4].

وبالنسبة للفتوى، فقد كان كثيرٌ من الإخوان مفتيين، ومن الأمثلة ما ذكره أحمد الزاوي –كما مر علينا– بأن أحد الإخوان كان مفتيًا وقاضيًا في نفس الوقت وهو أحمد المقرحي، وأصبح أيضًا الشيخ مرموري أخموك شيخ زاوية جانت مفتيًا وذلك عقب رجوعه من رحلة الدراسة في غات وواو، وقبل ذلك كان المجتمع في جانت يعاني من نقص الفقهاء والعلماء وعدم وجود مفتين خاصة للنوازل المعقدة والخطيرة، وكان لزامًا على السكان السفر مسافات بعيدة إلى ليبيا خاصة غات بحكم قربها الجغرافي للحصول على فتوى لنازلة معينة والعودة مرة أخرى،

---

[1] – مُحَمَّد بن علي السنوسي، **إيقاظ الوسنان في العمل بالحديث والقرآن**، مرجع سابق، ص152.

[2] – نفسه، ص22.

[3] - Henri Duveyrier, **La confrérie musulmane de sîdi Mohammed ben Ali Essenoûsî et son domaine géographique : en l'année 1300 de l'hégire=1883 de notre ère**, op.cit, p 11.

[4] – مُحَمَّد بن عثمان الحشائشي، مرجع سابق، ص ص166، 167.

وتذكر الروايات الشفوية أن هذه الظروف الصعبة كانت السبب الرئيسي لرحلة الشيخ مرموري للدراسة في ليبيا والاتصال بالطريقة السنوسية هناك[1].

ورغم ما عُرِف عن السنوسي بالاجتهاد، إلا أنه لم ترد فتاوى في مصنفاته أو في مصادر السنوسية الموثوقة كالأشهب وابن علي وغيرهما، باستثناء فتاوى ذكرها الشيخ عليش ارتأيت أن أسردها في باب الاجتهاد لصلتها به[2]. وانفردت المصادر الأجنبية بذكر بعض الفتاوى بشكل تلميح، وذلك باستخدام غالبًا كلمة "حرّم " أو "منع" في سياق جدلية فقهية يُراد منها الإثارة والاستغراب، ومن الأمثلة على ذلك ما ذكره دوفيري بأن الشيخ السنوسي حرّم شرب الخمر والقهوة والتبغ، لكنه سمح بشرب الشاي المحلى بالسكر الأسمر، بحجة أن السكر الأبيض المبلور ليس صافيًا، لأنه يحتوي على مسحوق عظام لحيوانات ميتة ليست مذبوحة على الطريقة الإسلامية[3]، وفي هذا السياق قال هاملتون أيضًا أن السنوسي حرَّم التبغ وشرب القهوة، وكذلك بريتشارد الذي أكد على منع شرب القهوة[4]، وأيضًا فوربس[5]. وإذا كان الخمر أمرًا محرمًا في الشرع الإسلامي، فإن تناول القهوة أثار جدلًا واسعًا بين الإباحة والتحريم منذ القديم[6]، وذكر بعض المؤرخين أن مجرد الجلوس في المقاهي كان أمرًا منبوذًا في برقة[7]، ويبدو أن هذا الأمر أصبح عاديًا مع مرور الوقت في طرابلس[8]، أمَّا بالنسبة للتدخين فهو

---

(1) – معلومات من كناش بعنوان "حياة مرموري أخموك"، من إعداد اللجنة الدينية بجاهيل، في جانت بتاريخ 4 سبتمبر 1987م.

(2) – صلة الفتوى بالاجتهاد : سمى بعض العلماء المفتي بالمجتهد، وهذا يبين وجود صلة بين المصطلحين مما دعا إلى تعريف المفتي بالمجتهد. ينظر : عبد الرحمن بن مُحَمَّد الدخيل، **الفتوى أهميتها – ضوابطها – آثارها**، ط1، د ب، د د ن، 2007، ص40.

(3) - Henri Duveyrier, **La confrérie musulmane de sîdi Mohammed ben Ali Essenoûsî et son domaine géographique : en l'année 1300 de l'hégire=1883 de notre ère**, op.cit, p 7.

(4) - Edward Evan Evans-Pritchard, op.cit, p 6.

(5) – لا توجد مقاهي في المدن السنوسية، وفي ليبيا تحرم الشريعة السنوسية التدخين والشرب والراقصات. ينظر : روزيتا فوربس، مرجع سابق، ص315.

(6) – تشير المصادر أن أول مشاكل القهوة حدثت في مكة خلال الاحتفال بالمولد النبوي عام 917هـ/1511م، حيث أفتى الشيخ مُحَمَّد بن عراق الكناني الشافعي بمنع القهوة... ينظر : نسيبة عبد العزيز الحاج علاوي، "**مشكلة القهوة والتدخين في الدولة العثمانية**"، مجلة جامعة تكريت للعلوم، المجلد 18، العدد 11، كانون الأول 2011، ص ص552-571.

(7) – إن الجلوس في المقاهي ومجالس اللهو والأكل في المطاعم وسهر الشباب خارج بيوتهم، من العيوب التي لا تغتفر. ينظر : مُحَمَّد الطيب الأشهب، **برقة العربية أمس واليوم**، مرجع سابق، ص97.

(8) – صورة تبين جلوس زبائن بصفة عادية في مقهى بطرابلس، عقب زيارة إفالد بانزه عام 1906م. ينظر : إفالد بانزه، مرجع سابق، ص75.

مرادفٌ للقهوة وحكمه متعلق بها، لأن عادة ما كانا يقدمان معًا في المقاهي[1]، وللعلم فإن التدخين دخل إلى البلاد العربية عبر تركيا[2]، وزراعة التبغ في طرابلس مسوح بها[3]، لكن حكم التدخين عند السنوسية المنع[4]، وقد أكد الدجاني أن فقهاء ذلك العصر حرموه[5]. وما يلاحظ أن هاتين المسألتين اللتين نُسِبتا إلى الشيخ السنوسي أي منع شرب القهوة[6] والتدخين ظل الحكم فيهما مطلقًا دون أحكام فقهية أو أدلة شرعية، والغريب في الأمر لم يصدر القصاص في حالة شربهما، لذلك فإن اجتهاده – إن ثبت– يظل ناقصًا، لأنه اجتهد في الحكم وسكت عن الحد[7].

وفي إطار التحريم دائمًا، نسرد مسألة أخرى، وهذه المرة خاصة بالنخيل، حيث نقل لنا رولفس أن سيدي عمر بن حوا[كذا][8] شيخ زاوية الكفرة حرَّم شرب اللاقبي[كذا] ويقصد به "اللاقمي"، وذلك عقب تدهور حالة النخيل في واحة أوجلة[9]. وأسرد لنا الحشائشي إشكالية فقهية أخرى وهي استعمال عطر "الكولونية" التي وصلت للإخوان مع بعض التجار، حيث توقفوا عن استعمالها، وقد سألوا الحشائشي عنها إن كان يستعملها التونسيون، وكان جوابه بأن البعض حلّلها ويرى طهارتها، وآخرون منعوها تورعًا[10]، ورغم أن هذه المسألة لم ترق إلى الفتوى، لكنها تعبر عن ورع السنوسيين، وحرصهم على العفة والطهارة وترك المحرمات والابتعاد عن الشبهات.

وانفردت فوربس دون غيرها بسرد فتوى للشيخ السنوسي عام 1852م، وهي عدم تدين السلطات، وأصبح من الضروري – كما قالت – أن ينقل مركز رئاسته من الأراضي الخاضعة اسمًا للولاية العثمانية، لذلك انتقل إلى

---

(1) – نسيبة عبد العزيز الحاج علاوي، مرجع سابق، ص556.

(2) – عادة التدخين دخلت إلى البلاد العربية سنة 999هـ/1590م عن طريق تركيا. ينظر : نفسه، ص555.

(3) - زراعة الدخان[كذا] مسموحٌ بها في واحات طرابلس فقط كي يسهل مراقبتها، مع ضرورة الحصول على تصريحٍ من الإدارة التركية، وكان يصنع منه النشوق (النفة) ودخان المصنع. ينظر : أنتوني جوزيف كاكيا، **ليبيا في العهد العثماني الثاني (1835–1911)**، تعريب.يوسف حسن العسلي، دون بلد، مطبعة دار إحياء الكتب العربية، د ت، ص ص173-177.

(4) - Octave Depont et Xavier Coppolani, op.cit, p 554.

(5) - أحمد صدقي الدجاني، مرجع سابق، ص251.

(6) – نشك في الأمر، ودليلنا روزيتا فوربس نفسها التي شربت القهوة الحلوة في الجغبوب في ضيافة الإخوان. ينظر : روزيتا فوربس، مرجع سابق، ص411.

(7) – نستغرب من تصريح روزيتا فوربس التي قالت : « من يشم رائحة الدخان قد يفقد يده اليمنى ». ينظر : روزيتا فوربس، مرجع سابق، ص46.

(8) – هو الشيخ عمر بوحوا الأوجلي، تعرف على الشيخ السنوسي أثناء مروره بواحة أوجلة في رحلته إلى المشرق سنة 1822هـ، وقد أخذ عنه العلم الشرعي، ولحقه بعد ذلك إلى الحجاز. ينظر : عبد المالك بن عبد القادر بن علي، مرجع سابق، ص18.

(9) – وصف رولفس "اللاقمي" بنبيذ النخيل. ينظر : Guerhard Rohlfs, op.cit, p 161.

(10) – ينظر : **رحلة الحشائشي إلى ليبيا سنة 1895**، مرجع سابق، ص176.

الجغبوب علم 1856م[1]. ومهما تعددت فتاوى السنوسية، إلا أنها تجاوزت صلاحيات الدولة العثمانية في إصدار "الفتوى"، باعتبار أن من يمثلها هو ولي الأمر الشرعي ونقصد به الخليفة العثماني، والذي يمثله شيخ الإسلام في الأستانة والمفتي المالكي في عاصمة الأيالة طرابلس[2].

10– الاجتهاد[3] :

إن مذهب السنوسية هو الفقه المالكي على غرار أغلب شعوب المغرب العربي والتي تتبعه منذ القرن 2هـ، وتفقه السنوسي في هذا المذهب عندما كان في فاس على يد عدة شيوخ أبرزهم : عامر المعداني والعلامة مُحَمَّد بن عبد السلام الناصري، وفي مصر تتلمذ على شيوخ مالكية وهم : علي الميلي التونسي، والشيخ ثعيليب الضرير، والشيخ مُحَمَّد الصاوي، وقد صرح بأنه أخذ كتاب "الموطأ" على طريقتين المغاربة والمشارقة، ويعتبر كتابه "مقدمة الإمام مالك ﷺ" أحد مصنفاته الرئيسية، وقد اعتمد في تأليفه بصفة عامة على مصادر الفقه المالكي المعروفة مثل "المدونة"[4] و"رسالة أبي زيد القيرواني" و"مختصر خليل" و"الإكمال" للقاضى عياض، وأحيانًا حواشيها، إضافة إلى ابن عبد البر خاصة في فقه الصلاة[5]، وغيرها من المصادر خاصة فقهاء الأندلس ومراكش.

ويؤكد الأشهب أن السنوسي درس المذاهب الأربعة؛ فإلى جانب الفقه المالكي درس المذهب الشافعي، ومن أساتذته بمصر الشيخ العطار والقوني والنجار[6]، وفي الحجاز تعلّم على يد الشيخ مُحَمَّد صالح الريس مفتي الشافعية

---

[1] – روزيتا فوربس، مرجع سابق، ص ص467-469. نشك في صحة هذه الفتوى الغامضة التي لا تستند إلى دليل شرعي، وللعلم كان العلم التركي مرفوع في الجغبوب والكفرة مقر السنوسية مما يدحض فكرة فوربس. ينظر : رأفت غنيمي الشيخ، مرجع سابق، ص173.

[2] – يُعين المفتي بأمر سلطاني بعد ترشيحه من قبل شيخ الإسلام في استانبول، ويكون على المذهب الحنفي، وإلى جانبه مفتي آخر يكون مذهبه على مذهب سكان الولاية، وفي ولاية طرابلس يكون مذهبهم المالكي، وللعلم فإن المفتي لا يتقاضى مرتبًا شهريًا وإنما منصبه شرفي. ينظر : كامل علي مسعود الوييه، **الإدارة العثمانية في طرابلس الغرب (1842–1911)**، مر.طاهر خلف البكاء، ج ع ل ش إ ع، منشورات م ج ل د ت، 2005)، ص54.

[3] - الاجتهاد في اللغة : عبارة عن بذل المجهود واستفراغ الوسع في تحقيق أمر من الأمور، ولا يستعمل إلا فيما فيه كلفة ومشقة. ينظر : وهبة الزحيلي، **أصول الفقه الإسلامي**، دمشق، ط1، دمشق، دار الفكر، 1406هـ=1986م، ج2، ص1037.

[4] – من فروع المالكية، لابن عبد الرحمن بن القاسم المالكي المتوفي سنة 191هـ، وهي من أجل الكتب في مذهب مالك. ينظر : حاجي خليفة، مرجع سابق، مج2، ص1644.

[5] – مُحَمَّد بن علي السنوسي، **شفاء الصدر بأربي المسائل العشر**، مرجع سابق، ص ص19-79.

[6] – عبد المالك بن عبد القادر بن علي، مرجع سابق، ص10.

بمكة،كما اعتمد على كتاب الحافظ ابن حجر العسقلاني "بلوغ المرام في أحاديث الأحكام"[1]، وكتابه أيضًا في باب السير والشمائل الموسوم بِ : "الشفا في تعريف حقوق المصطفى وشمائله ﷺ"[2]، أما المذهب الحنفي اعتمد على مسند الإمام أبي حنيفة[3] وكتاب "الآثار" لمحمد بن الحسن صاحب الإمام أبي حنيفة[4]، وعن المذهب الحنبلي درس كتب ابن تيمية وتأثر بها خاصة كتابه في الاجتهاد الموسوم بِ : "رفع الملام عن الأئمة الأعلام"[5]، إضافة إلى كتب ابن قيم الجوزية منها "إعلام الموقعين عن رب العالمين"[6]. وأخذ الشيخ السنوسي من كل مذهب أحكامًا، وجمعها وخرج بمذهب خاص به سماه الأشهب "منهاجا"[7]، وهذا يعزز فكرة أنه لم يكن له مذهبًا خاصًا وإنما مذهبه فسيفساء من كل المذاهب تقريبًا، وقد لمح إلى ذلك في كتابه "السّلسبيل المعين في الطرائق الأربعين"، حيث وجّه مريديه قائلًا : « ... ألا يقدم على فعل شيء حتى يعلم حكم الله فيه فيتعلم ما يحتاج إليه من المسائل الفقهية المتعلقة بظاهر البدن على مذهب من المذاهب الأربعة ... »[8].

وأفكار الشيخ السنوسي قامت على التمسك بالكتاب والسنة، وعدم التقيد بما ورد في المذاهب الأربعة، ودليله أن أئمة المذاهب أنفسهم متفقون اتفاقا يقينيا على وجوب إتباع الرسول ﷺ، لذلك يرى أن كل واحد يُؤخذ قوله ويُرد إلا الرسول ﷺ، وأكّد أن احتمال عدم وصول بعض الأحاديث للأئمة وارد.

لقد اشتهر السنوسي بكثرة اجتهاداته حتى صعُب على الفقهاء تصنيفه واحتاروا في مذهبه[9]، غير أن العقاد أكّد أنه يتبع المذهب المالكي حيث قال : « السنوسي مجتهد ولكنه يتبع مذهب الإمام مالك إلا في القليل الذي

---

(1) – مُحَمَّد بن علي السنوسي، **المنهل الروي الرائق في أسانيد العلوم وأصول الطرائق**، مرجع سابق، ص50.

(2) – نفسه، ص53.

(3) – نفسه، ص9.

(4) – نفسه، ص50.

(5) - مُحَمَّد بن علي السنوسي، **كتاب المسائل العشر المسمى بغية المقاصد في خلاصة المراصد**، مرجع سابق، ص8.

(6) – إعلام الموقعين عن رب العالمين : للشيخ شمس الدين مُحَمَّد بن أبي بكر بن قيم الجوزية الدمشقي المتوفي سنة إحدى وخمسين وسبعمائة. ينظر : حاجي خليفة، مرجع سابق، مج1، ص ص125، 126.

(7) – مُحَمَّد الطيب الأشهب، **برقة العربية أمس واليوم**، مرجع سابق، ص135.

(8) – مُحَمَّد بن علي السنوسي، **السَّلسبيل المعين في الطرائق الأربعين**، مرجع سابق، ص11.

(9) – ظلت هذه الفكرة رائجة حتى بعد وفاة الشيخ مُحَمَّد بن علي السنوسي، بدليل ما ذكره الحشائشي عندما زار طرابلس الغرب سنة 1895م، حيث قال بأن بعض الناس زعموا أن الشيخ مجتهد لا مذهب له، وأنه كان يعمل بالقرآن والأحاديث ولا يقلد مذهبًا. ينظر : مُحَمَّد بن عثمان الحشائشي، مرجع سابق، ص ص155، 156.

صح عنده أنه أقرب إلى السنة ... »[1]، بينما لمحمد أحمد عليش[2] رأيًا آخرًا، حيث قال بأن السنوسيين يظهرون لمن لا يعرفهم أنهم مالكية، وأضاف أن السنوسي حوَّل أهل سيوة من المالكية إلى مذهبه[3]، وما يدعم هذا الرأي، إحدى التقارير البريطانية التي أشارت أن السلطان العثماني كسب ود السنوسيين، وأمر عام 1882م بطبع كتاب الصلاة في القاهرة، وهو خاص بأتباع السنوسية[4].

ويختلف السنوسي عن مالك كلية لأنه دعا إلى التمسك بالكتاب والسنة دون غيرهما، بينما بنى مالك مذهبه على أربعة أمور حسب تصريح عليش، الأول : آية قرآنية، والثاني : حديث صحيح، والثالث : إجماع أهل المدينة، والرابع : اتفاق جمهورهم[5]، ونستغرب من تصريح عليش لأن أصول فقه مالك أكثر من أربعة وتصل إلى عشرين. واعتُبِر السنوسي خارجا عن المذهب المالكي وليس مقلدًا له، بدليل أن الشيخ مُحَمَّد أحمد عليش الذي تولى الإفتاء عام 1853م ورده سؤال عن السنوسي يؤكد هذا الأمر[6]، ومفتي الحنابلة بمكة العلامة مُحَمَّد بن عبد الله بن حميد الشركي أعلن صراحة أن السنوسي تخلى عن المذهب المالكي وأصبح مجتهدًا لا مذهب له[7].

وظهر واضحًا عدم تقيد السنوسي بالمذهب المالكي في تقصير الصلاة، بدليل ما سمعه أحمد الشريف من الشيخ مُحَمَّد بن الشفيع حاكيًا عن جده الإمام قائلًا : « ارتحل الأستاذ من مكة يوم السبت بعد العصر وهو آخر يوم من سنة خمس وخمسين قاصدا المدينة المنورة للوداع ونزل الوادي إلى بدر في مدة سبعة أيام ومن عادته ﷺ في حالة سفره القصر والجمع. وإن حصلت له إقامة ببلد أو غيرها استمر على ذلك يقصر ويجمع إلى تسعة عشرة يوما تارة جمع تقديم وتارة جمع تأخير ... »[8]. وأحكام التقصير في المذهب المالكي معروفة، فحسب الرسالة تقوم

---

[1] – عباس محمود العقاد، مرجع سابق، ص ص86، 87.

[2] – هو أبو عبد الله الشيخ مُحَمَّد بن الشيخ أحمد بن الشيخ مُحَمَّد الملقب بعليش، جده مغربي وأبوه من طرابلس الغرب وأمه مصرية، ولد بالقاهرة عام 1217هـ، اشتغل بتحصيل العلوم بجامع الأزهر ودرَّس به أيضًا، له عدة مؤلفات من كتب وحواشي ورسائل منها الفتاوي الجليلة من جزأين، وكتاب تدريب المبتدى وتذكرة المنتهى في علم الفرائض وغيرها، وفي عام 1270هـ تقلد مشيخة السادة المالكية ووظيفة الإفتاء بالديار المصرية، وتوفي عام 1299هـ. ينظر : مُحَمَّد أحمد عليش، مرجع سابق، ج1، ص ص2-4.

[3] – نفسه، ص89.

[4] – إيمان عبد الرسول المبروك، مرجع سابق، ص53.

[5] – مُحَمَّد أحمد عليش، مرجع سابق، ج1، ص90.

[6] – نفسه، ص89.

[7] – عبد الحي الكتاني، مرجع سابق، ج2، ص1043.

[8] – أحمد الشريف السنوسي، **الدُّر الفريد الوهاج بالرحلة المنيرة من الجغبوب إلى التاج**، مرجع سابق، مخ.

على ما يلي : أولًا : من سافر مسافة القصر وهي مسافة أربعة برد وهي 48 ميلًا، ثانيًا : إن نوى المسافر إقامة أربعة أيام بموضع، أو ما يصلي فيه عشرين صلاة أتم الصلاة حتى يظعن من مكانه ذاك[1].

وفي الحقيقة لم يخرج السنوسي عن السنة النبوية، بل طبق ما قام النبي ﷺ بناءً على رواية ابن عباس عن النبي ﷺ، أنه أقام في بعض أسفاره تسع عشرة يصلي ركعتين[2]، وبعمل السنوسي ذاك يكون قد طبق القاعدة الفقهية وهي "التيسير" وتتبع الرخص، لأن الإسلام دين يسر وليس عسر.

ومخالفة السنوسي للمالكية ذكرها أيضا مؤرخ العائلة السنوسية ابن عبد المالك ودائمًا في الصلاة، حيث أشار إلى أن السنوسي كان يتعوذ ويجهر بالبسملة مع الفاتحة والسورة في الصلاة، ويؤمن ويرفع يديه عند الركوع والرفع منه، ويرفع يديه أيضًا أثناء دعاء القنوت ويسلم على الجهتين بعد التشهد الأخير[3]، ونفس الأمر تقريبًا يعمله الإخوان[4].

وعادة ما يجتهد الفقهاء في الفروع وهذا جائز ومشروع، لكن الشيخ السنوسي اجتهد في أصول المذهب المالكي وهذا مرفوض، وهو ما أشار إليه الإمام مُحَمَّد عبده في كتابه "الإسلام والنصرانية"، إذ يقول على لسان أحد المشايخ : « ألم يسمع السامعون أن الشيخ السنوسي كتب كتابا في أصول الفقه زاد فيه بعض مسائل على أصول المالكية ...»[5]، وقد ألَّف السنوسي عدة مصنفات في الفقه ولا نعرف بالضبط الكتاب المقصود، وعموما لم يكن له الحق في الاجتهاد في الأصول، لأن هذا معناه التطاول على فقه مالك، ويُقصد بالأصول القواعد العامة التي يستهدف بها المجتهد في استنباط الأحكام، وهي كذلك مصادر استنباط كل مذهب وطرائق استدلاله وقوة أدلته الفقهية ومراتبها وكيفية الترجيح بينها عند تعارض ظواهرها، واختلف الفقهاء في عدد أصول فقه مالك، فالقاضي

---

[1] - أبو زيد القيرواني، مرجع سابق، ص ص60، 61.

[2] – أبو عيسى الترمذي، مرجع سابق، مج2، ص39.

[3] - عبد المالك بن عبد القادر بن علي، مرجع سابق، ص62.

[4] – الإخوان يجهرون بالبسملة في الصلاة، ويقرؤون شيئًا من القرآن بين الرفع من الركوع والسجود، ويقبضون. ينظر : مُحَمَّد بن عثمان الحشائشي، مرجع سابق، ص184.

[5] – مُحَمَّد عبده، **الإسلام والنصرانية مع العلم والمدنية**، ط3، دب، دار الحداثة، 1988، ص124.

عياض مثلًا قال أربعة وهي : الكتاب والسنة والقياس وعمل أهل المدينة، في حين قال الحجوي بأنها عشرين، بينما ذكر البعض اثنتي عشرة[1]، غير أن ما يميز أصول مالك عن المذاهب الأخرى "عمل أهل المدينة"[2].

وقد دعا السنوسي صراحة إلى توحيد المذاهب والانتفاع بها فيما يناسب المسلمين، وحجته في ذلك أن المصلحة تكمن في إزالة الفوارق المذهبية لتتخلص الأمة من الخلافات ومحنة التفرق[3]، ويؤمن السنوسي بالخروج حتى عن المذاهب الأربعة كلها، واستدل بأن كثير من الناس كانوا خارج المذاهب على غرار أهل الأندلس، الذين كانوا على مذهب الأوزاعي إلى حدود المائة الرابعة أي أواخر الدولة الأموية[4]. وأكد نيقولا زياده أن المذاهب لم تشكل يوما مشكلة للسنوسي لأنه كان متفتحا على كل المذاهب الإسلامية، ولا ندري ما المقصود بكل المذاهب، غير أننا نؤكد أن السنوسي اطلع حتى على المنقرضة منها مثل مذهب الأوزاعي بالشام وسفيان الثوري بالكوفة[5]، وغيرهما.

وبالنسبة للإجتهاد[6] فقد دعا إليه الشيخ السنوسي بقوة، ورأى في غلقه إجحافًا في حق المسلمين[7]، وألح على فتحه في زمن ساد فيه التعصب والتزمت والانغلاق، وهو ما وضعه مباشرة في مواجهة فقهاء وعلماء عصره

---

[1] - أصول المذهب المالكي هي : 1- الكتاب، 2- السنة، 3- عمل أهل المدينة، 4- الإجماع، 5- القياس، 6- قول الصحابي، 7- الاستحسان، 8- المصالح المرسلة، 9- الاستصحاب، 10- سد الذرائع، 11- العرف والعوائد، 12- مراعاة الخلاف. ينظر : علي بن الحبيب ديدي، **مذكرة في أصول الفقه المالكي**، عين البيضاء، دار العوادي، 2012، ص30.

[2] – عمل أهل المدينة : من أصول مالك الهامة التي خالف فيها الأئمة. ينظر : عبد السلام فيغو، "**عمل أهل المدينة كأصل من أصول التشريع الإسلامي عند المالكية**"، دعوة الحق، العدد 348، رمضان 1420/دجنبر 1999، د ر ص.

[3] – مُحَمَّد الطيب الأشهب، **برقة العربية أمس واليوم**، مرجع سابق، ص187.

[4] – مُحَمَّد بن علي السنوسي، **إيقاظ الوسنان في العمل بالحديث والقرآن**، مرجع سابق، ص ص103، 104.

[5] – مُحَمَّد بن علي السنوسي، **مقدمة مُوَطَّأ الإمام مالك** ﷺ، إشراف. نجيب بن خيرة، الجزائر، دار زمورة للنشر والتوزيع، 2011، ص9.

[6] - عرَّف الشيخ السنوسي الاجتهاد كما يلي : لغةً، يعني استفراغ الوسع في تحصيل أمر يشق من الجهد بالفتح المشقة أو به وبالضم الطاقة، أما اصطلاحًا بالمعنى الأعم، هو استفراغ الوسع في تحصيل شيء من الأحكام على وجه يحس من نفسه العجز عن المزيد فيه، أما بالمعنى الأخص هو استفراغ الفقيه الوسع في تحصيل ظن بحكم شرعي بطريقه فيما لم ينقل عن النبي ﷺ. ينظر : مُحَمَّد بن علي السنوسي، **إيقاظ الوسنان في العمل بالحديث والقرآن**، مرجع سابق، ص79.

[7] - أُغلق باب الاجتهاد بمغاليق من حديد منذ القرن السادس الهجري. ينظر : وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية- الكويت، مرجع سابق، ج1، ص42. وقد توارث المتعصبون غلق الاجتهاد وأصبحت الدعوة إلى فتحه تهمة كبيرة تصل إلى حد "التكفير". ينظر : علي مُحَمَّد الصلابي، **الثمار الزكية للحركة السنوسية في ليبيا الإمام مُحَمَّد بن علي السنوسي ومنهجه في التأسيس (التعليمي والحركي والتربوي والدعوي والسياسي)**، مرجع سابق، ص ص28، 29.

خاصة مشايخ الأزهر الذين أنكروا عليه فكره وهم ثلاثة : الشيخ حسن العطار (1766-1835م)، والشيخ مصطفى بن عبد الرحمن البولاقي وكان مفتيا بالأزهر، والشيخ مُحَمَّد بن أحمد عليش[1].

لقد ذكر بعض المؤرخين مسائل فقهية بينت اجتهادات السنوسي[2]، وقد وردت أيضًا في كتاب عليش المسمى " فتح العلي المالك في الفتوى على مذهب مالك ﷺ "[3]، وهي :

ا- إجبارية قراءة البسملة جهرا.

ب- سكتة طويلة جدا للإمام بعد تكبيرة الإحرام.

ج- تطويل الركوع بشكل كبير ومتعب.

د- قراءة دعاء القنوت بصوت مرتفع مع رفع اليدين.

هـ- يشدد على أن إفطار رمضان في السفر مفضل للصائم.

و- ضرورة تقصير الصلاة في السفر مهما كانت المدة.

ز- السنوسيون يصلّون عدة صلوات بتيمم واحد، ويقولون أن التيمم له نفس حكم الوضوء.

ح- عندما يقيم السنوسي طويلا في بلد فإنه لا يحضر صلاة الجمعة ولا إلى الاجتماعات الهامة.

ط- يأكل السنوسيون كل ما يقع بين أيديهم، والذي لا يتبعهم يبخسونه ويقولون له بأنه لن يصل أبدا إلى ما وصل إليه الشيخ ولا إلى طريق مريديه.

وكان رد المفتي الشيخ مصطفى البولاقي عليها، كما يلي[4]:

ا- صلاة الجماعة واجبة كما أكده الإمام أحمد بن حنبل، وتخلف السنوسي عن صلاة الجماعة وصلاة الجمعة وعدم حضور الاجتماعات الهامة عمل غير مقبول.

---

[1] – صالح كرار، مرجع سابق، ص61.

[2]– Octave Depont et Xavier Coppolani, op.cit, pp 546, 547.

[3] - Ibid, p 546.

[4]– Ibid, pp 548-551.

ب- قراءة البسملة جهرا في الصلاة المفروضة والسكتة قبل وبعد الفاتحة وقراءة الفاتحة وراء الإمام وتطويل الركعة وقراءة دعاء القنوت مع رفع اليدين، مخالف لأحكام المذهب المالكي.

ج- وفيما يخص تفضيل عدم صيام رمضان في السفر فهذا مخالف لما جاء في القرآن الكريم.

د- أما فيما يخص التيمم، لم يصرح أي عالم أو فقيه مالكي بجواز أداء عدة صلوات بتيمم واحد.

وانفرد الشيخ عليش بموقفه العنيف ضد السنوسي، بل بمعاداته أيضًا، خاصة عندما أصبح مفتيًا بالأزهر وتزامن ذلك مع استقرار السنوسي ببرقة، وفي مسألة سدل اليدين ورد سؤال إلى الشيخ عليش عن السنوسيين يستفهم إن كان سدل اليدين في الصلاة من السنة، وسؤال حول كراهة القبض في الفرض، وكانت إجابته كما يلي:" السدل في الصلاة ثابت في السنة فعله النبي وأمر به وأجمع الأئمة الأربعة على جوازه. والقبض في الفريضة اختلفوا في كراهته وندبه وإباحته مع اتفاقهم على ثبوت فعله والأمر به من النبي ﷺ ورواية ابن القاسم عنه في المدونة الكراهة وحجته فيها ترك الصحابة والتابعين له واستمرارهم على السدل كما تقدم، فدل على نسخ حكم القبض. واعلم أن ابن القاسم من أتباع التابعين فهو من خير القرون الذين شهد لهم الرسول الأعظم ﷺ"[1].

ويبدو أن الشيخ السنوسي ركّز اجتهاده على قضايا الصلاة والصوم، ومن المسائل التي أقرها وأثارت جدلًا كبيرًا وعارضها شيوخ المالكية، وردت في كتاب الشيخ عليش السابق أيضًا، وسردها بنفسه، وعادة ما يبدأ السؤال بعبارة (ما قولكم)، ثم يجيب، فقال : " (ما قولكم) فيمن كان مقلدا لأحد الأئمة الأربعة رضي الله تعالى عنهم وترك ذلك زاعما أنه يأخذ الأحكام من القرآن والأحاديث الصحيحة ... ومن أفعال هؤلاء القوم قصر الصلاة في مسافة نصف يوم وفطر رمضان فيها وصلاة الجنازة وسجدة التلاوة بلا وضوء والجهر بالبسملة في الفريضة والقنوت بعد الركوع جهرا والقبض فيها وتأخير الصبح إلى الأسفار البين. ومنها طائفة منهم نزلت ببرقة وبنت بها زاوية ... "[2]، وجاء رد الشيخ عليش على هذه المسائل كما يلي[3]:

ا- قصر الصلاة الرباعية في نصف يوم فهو قول طائفة من الظاهرية مردود عليهم.

ب- وفطر رمضان فيه لم أر من قال به.

---

[1] - محمد أحمد عليش، مرجع سابق، ج1، ص106.

[2] - نفسه، ص89.

[3] - نفسه، ص ص89-104.

ج- صلاة الجنازة بلا طهارة مذهب شاذ مردود.

د- وسجود التلاوة وإن كان في البخاري عن ابن عمر فقد قال الحافظ ابن عبد البر الإجماع على خلافه وعارضه الحفاظ، بينما خرجه البيهقي بإسناد صحيح عن ابن عمر قال لا يسجد الرجل إلا وهو طاهر.

هـ- والجهر بالبسملة والقبض والقنوت جهرا بعد الركوع مذهب الإمام الشافعي.

و- وتأخير الصبح للأسفار مذهب أبي حنيفة[1].

وأمام هذا الجدل، اعتبر السنوسي نفسه مجتهدًا غير مقلدٍ، وهذا معناه عدم الالتزام بالإجماع[2] والقياس[3]، وفي هذا المجال عارض بشدة القياس واعتبره طريقا لتحليل الحرام وتحريم الحلال[4]، وأثنى على عمر بن الخطاب ﷺ لمعارضته القياس (الرأي) عندما قال : « السنة ما سنه الله ورسوله لا تجعلوا خطأ الرأي سنة للأمة » وأردف السنوسي قائلًا : « رحم الله عمر فكأنه علم وقوع ذلك فحذّر منه »، وأضاف أيضًا منتقدًا ما تسبب فيه الرأي من أخطاء، قائلًا : « فقد شاهدنا في هذه الأعصار رأيا مخالفا لسنة رسول الله ﷺ مضادًا لما في كتاب الله جعلوه سنة، واعتقدوه دينا يرجعون إليه عند التنازع، وسموه مذهبا، ولعمري إنها مصيبة وبلية وعصبية أصيب بها الإسلام، (إنا لله وإنا إليه راجعون) »[5]، وكما أسلفنا فإن السنوسي دعا بقوة إلى التمسك بالكتاب والسنة دون سواهما، وحجته في ذلك الآية : ﴿ مَّافَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَىْءٍ ﴾[6].

وأكد السنوسي أن باستطاعته استنباط الأحكام مباشرة من الكتاب والسنة، وانتقد صراحة كتب الفقه وقال بأن بها أخطاء، وبتصريحاته تلك أوقع نفسه في مواقف حرجة خاصة مع علماء الأزهر الذين عارضوه معارضة

---

[1] – مُحَمَّد أحمد حليش، مرجع سابق، ج1، ص ص89-104.

[2] – الإجماع هو اتفاق مجتهدي الأمة بعد وفاة مُحَمَّد ﷺ في عصر على أي أمر كان. ينظر : تاج الدين عبد الوهاب السبكي، مرجع سابق، ص76. وهو أحد الأصول الأربعة التي تقوم عليها العقيدة الإسلامية، ويعرف بأنه اتفاق "المجتهدين" أصحاب العلم من الأمة بعد وفاة الرسول ﷺ في كل عصر وفي كل أمر ديني. ينظر : مارتاين تيودور هوتسما وآخرون، مرجع سابق، ج2، ص449.

[3] – القياس اصطلاحًا : هو إثبات مثل حكم معلوم في معلوم آخر لاشتراكهما في علة الحكم عند المثبت، أما لغةً : هو التقدير. ينظر : علي بن عبد الكافي السبكي، **الإبهاج في شرح المنهاج**، بيروت.لبنان، دار الكتب العلمية، 1995، ج3، ص3.

[4] – مُحَمَّد بن علي السنوسي، **إيقاظ الوسنان في العمل بالحديث والقرآن**، مرجع سابق، ص117.

[5] – نفسه، ص117.

[6] – سورة الأنعام : الآية 38.

شديدة، وفي هذا الإطار ورد سؤال إلى الشيخ عليش عن السنوسي يقول : "(ما قولكم) فيمن كان مقلدا لأحد الأئمة الأربعة ﷺ وترك ذلك زاعما أنه يأخذ الأحكام من القرآن والأحاديث الصحيحة تاركا كتب الفقه مائلا لقول أحمد بن إدريس بذلك قائلا أن كتب الفقه لا تخلو من الخطأ وفيها أحكام كثيرة مخالفة للأحاديث الصحيحة. وكيف نترك الآيات والأحاديث الصحيحة ونقلد الأئمة في اجتهادهم المحتمل للخطأ وقائلا أيضا لمن تمسك بكلام الأئمة وتقليدهم أنا أقول لكم قال الله أو قال رسول الله وأنتم تقولون قال مالك أو ابن القاسم أو خليل فتقابلون كلام الشارع المعصوم من الخطأ بكلام من يجوز عليهم الخطأ ... "[1].

والجدير بالإشارة أن هذه المسائل الفقهية لم ترد بهذا التفصيل في مصادر السنوسية، وإنما انفرد بها فقط مُحَمَّد أحمد عليش الذي تولى الإفتاء سنة 1853م، ويبدو أنه كان يكره السنوسيين حيث وصفهم بِ : "الشرذمة"، ونعت السنوسي بِ : "ناقض الأمانة"، و"عدم الوفاء بالعهد"[2]، وللأمانة فإن حكم عليش كان قاسيًا جدًّا إذا عرفنا أن المذهب المالكي يتضمن ثلاثة وأربعون مندوبًا في الصلاة، منها ما ورد في تلك المسائل كرفع اليدين وإرسالهما أو قبضهما وغيرها[3]، ونحن نعلم أن المندوبات عند الفقهاء مستحبة، يجازى فاعلها ولا يحاسب تاركها، والشيخ عليش نفسه لم يرجح رأيًا على آخرٍ في فتواه، بل اكتفى بذكر الأحكام التكليفية الشرعية الخمسة[4].

ومسألة فتح باب الاجتهاد لم يبتدعها السنوسي فقد سبقه إليها كثيرون[5]، وأبرزهم ابن تيمية الذي تأثر به السنوسي، ويعد كتاب "رفع الملام عن الأئمة الإعلام" حجة دامغة على ضرورة فتح الاجتهاد، وقد وردت فيه مجموعة من الأدلة والبراهين تؤكد ذلك، منها أن الخلفاء – ومنهم أبو بكر وعمر– لم يكونوا على علم ببعض

---

[1] – مُحَمَّد أحمد عليش، مرجع سابق،ج1، ص89.

[2] – نفسه، ص104.

[3] – مُحَمَّد العربي القروي، **الخلاصة الفقهية على مذهب السادة المالكية**، الجزائر، نشر وتوزيع مكتبة رحاب، دت، ص ص77، 78.

[4] – الأحكام الخمسة هي : الواجب والمندوب والمحرم والمكروه والمباح. ينظر : مُحَمَّد بن صالح العثيمين، **شرح الأصول من علم الأصول**، ط4، الرياض.المملكة العربية السعودية، دار ابن الجوزي، 1435هـ، ص48.

[5] – مثلًا أبو حامد الغزالي – الذي دافع عن الاجتهاد وتطابق مع فكرة السنوسي تقريبًا – قال بأن الأئمة والأنبياء يجتهدون مع العلم بأنهم قد يخطئون، بل قال رسول الله ﷺ : « أنا أحكم بالظاهر والله يتولى السرائر». ينظر : أبو حامد الغزالي، **المنقذ من الضلال والموصل إلى ذي العزة والجلال**، تح.مُحَمَّد مُحَمَّد أبو ليلة ونورشيف عبد الرحيم رفعت، واشنطن، جمعية البحث في القيم والفلسفة، 2001، ص225.

المسائل ولم تبلغهم أحاديث رغم أنهم كانوا أقرب الناس مصاحبة للرسول ﷺ[1]، والصحابة –وهم من خيرة القرون الثلاثة– اختلفوا في كثير من المسائل ولم يفهموا بعضها[2]، وكان ابن تيمية يردد ما قاله أحمد بن حنبل: « لا تقلدني ولا تقلد مالكا ولا الشافعي وتعلم كما تعلمنا ».

وفي الحقيقة، فإن باب الاجتهاد لا يمكن غلقه لأن الحياة تتطور كل يوم، وتظهر معها مسائل ونوازل[3] جديدة لم تكن موجودة من قبل، مما يستوجب فتاوى واجتهادات جديدة أيضًا، لذلك ظهر مجتهدون لا بأس بهم بعد الأئمة الأربعة مثل ابن تيمية وتلميذه ابن قيم الجوزية، وتاج الدين السبكي صاحب "جمع الجوامع". وقد تسبب غلق الاجتهاد في ظهور فتن وأزمات خطيرة لا حصر لها، ونظرًا لهذه المعطيات فإن الشيخ السنوسي كان محقًا في دعوته إلى فتح الاجتهاد، ورأى نفسه مؤهلًا له، خاصة وأن اجتهاداته مست الفروع دون الأصول، لكن يبقى السؤال مطروحا : هل توفرت فيه شروط الاجتهاد ؟[4].

واعتقد أن ابن السنوسي كان جريئًا جدًّا، وكاد يُقْتل بسبب ذلك من طرف الشيخ عليش، وقد أشار إلى هذه الحادثة الشيخ مُحَمَّد عبده في كتابه الإسلام والنصرانية : "... فعلم بذلك أحد المشايخ المالكية وكان المقدم في علماء الجامع الأزهر الشريف وهو الشيخ عليش. فحمل حربة وطلب الشيخ السنوسي ليطعنه بها لأنه خرق حرمة الدين، واتبع سبيلا غير سبيل المؤمنين. وربما كان يجترئ الأستاذ على طعن الشيخ السنوسي بالحربة لو لاقاه، وإنما الذي خلص السنوسي من الطعنة، ونجى الشيخ المرحوم من سوء المغبة، وارتكاب الجريمة باسم الشريعة، هو مفارقة

---

[1] – من الأمثلة : عدم علم أبي بكر بميراث الجدة، وعدم علم عمر أن المرأة ترث من دية زوجها ... إلخ. ينظر : أحمد بن تيمية، **رفع الملام عن الأئمة الأعلام**، تقد.سعد بن عبد الله الحميد، تح. وتعل.عبد الرحمن بن أحمد الجميزي، ط1، الرياض.المملكة العربية السعودية، دار العاصمة للنشر والتوزيع، 2013، ص ص76-78.

[2] – اختلف الصحابة عام الخندق في فهم حديث رسول الله ﷺ "لا يُصَلين أحد العصر إلا في بني قريضة "، وعدم فهم جماعة من الصحابة معنى الخيط الأبيض من الخيط الأسود، وغير ذلك. ينظر : نفسه، ص ص191-193.

[3] – تعريف النوازل : هي الوقائع المستجدة التي تحصل مع مرور الزمن، وتكاثر الاختراعات والبحث عما هو جديد أدى إلى كثرة السؤال والاستفتاء عن حكم أشياء وأمور لم تكن موجودة ومعروفة في السابق، وقد عُرِّفت النازلة بأنها المحنة المعترضة. ينظر : عبد الرحمن بن مُحَمَّد الدخيل، مرجع سابق، ص46.

[4] – شروط الاجتهاد هي : أن يكون المجتهد خبيرًا بمواقع الإجماع كيلا يخرقه، والناسخ والمنسوخ، وأسباب النزول، وشروط المتواتر، والآحاد، والصحيح، والضعيف، وحال الرواة، وسير الصحابة. ينظر : تاج الدين عبد الوهاب السبكي، مرجع سابق، ص118.
أما السنوسي ذكر شروط المجتهد وهي خمسة : معرفة مواقع الإجماع، ومعرفة أسباب النزول، ومعرفة الناسخ والمنسوخ، ومعرفة أنواع الحديث، ومعرفة حال الرواة جرحًا وتعديلًا. ينظر : مُحَمَّد بن علي السنوسي، **كتاب المسائل العشر المسمى بغية المقاصد في خلاصة المراصد**، مرجع سابق، ص ص129، 130.

السنوسي للقاهرة قبل أن يلاقيه الأستاذ المالكي"[1]. وربما اعتبر السنوسي نفسه مؤهلا للإجتهاد استنادا لعلمه الغزير وتفقهه في الدين، وأرى أنه تسرع في ذلك، لأنه ظهر في التاريخ الإسلامي من هم أفقه وأعلم منه، لكنهم اعتبروا أنفسهم مقلِّدين ولم يتجرؤوا على الاجتهاد مثل الشاطبي، ومنهم من بلغ درجة الاجتهاد ولم يتخذوا مذهبًا خاصًا بهم، وقد ذكرهم السنوسي بنفسه منهم ابن دقيق العيد والسبكي وابن تيمية والشيرازي، وغيرهم[2].

ونلاحظ أن اجتهادات الشيخ السنوسي اقتصرت فقط على بعض المسائل من الصلاة والصوم وبعض الأحاديث[3]، ولم نعرف له اجتهادات أو فتاوى في مسائل أخرى، وقد ظهرت في زمانه نوازل أكثر حدة وجدلًا، وكان من الأجدر عليه أن يبدي رأيه فيها، مثل "الهجرة" و"دار الإسلام" و"دار الحرب" و"النهضة" و"الوهابية" و"تجارة الرقيق" و"التنظيمات"وغيرها.

والإسلام حريص على وحدة الأمة وهذا هو الهدف من الإجماع، لكن السنوسي تركه ولم يأخذ به، وقد وصل إلى مرحلة خطيرة جدًّا وذلك بأن وضع خلاصة مزج فيها أقوال المذاهب الفقهية ثم أضاف إليها ما استنبطه من السنة والمذاهب المنقرضة، واستطاع أن يجعل منها كلها مذهبًا واحدًا، ولحسن الحظ لم ير مشروعه النور، وقد علّق شكري قائلًا : « ومع هذا فقد امتنع السيد من إعلان مذهبه الجديد على حدة، بل قصره على الإخوان السنوسيين، تحاشيا من إثارة بعض الظنون السيئة »[4].

ويبقى الاجتهاد قائما خاصة من جوانب "الفقه المقاصدي" الذي يهتم بواقع المسلمين وممارساتهم الحياتية، لأن كل حكم له مقصد يهدف إلى مصلحة الإنسان وسعادته أو دفع مفسدة أو مضرة عنه، وما أحوج الناس اليوم إلى "اجتهاد المقاصد" مع ظهور كل فترة وأخرى نوازل جديدة. والجدير بالإشارة أن قاعدة "مراعاة الخلاف" امتاز بها المذهب المالكي دون غيره، وهي قاعدة أصولية، ومن فوائدها التخفيف من التعصب، ولا شك أن الأجر

---

[1] – مُحَمَّد عبده، مرجع سابق، ص ص124، 125.

[2] – مُحَمَّد بن علي السنوسي، **إيقاظ الوسنان في العمل بالحديث والقرآن**، مرجع سابق، ص96. وبعضهم ذكرهم الشيخ أحمد بابا التنبكتي في كفاية المحتاج لمعرفة من ليس في الديباج. ينظر : نفسه، ص ص94، 95.

[3] – دعا السنوسي إلى العمل بالحديث بكل أنواعه والاحتجاج به في كل أقسام الصحيح السبعة، مع جواز العمل بالضعيف في الأعمال. ينظر : مُحَمَّد بن علي السنوسي، **إيقاظ الوسنان في العمل بالحديث والقرآن**، مرجع سابق، ص56.

[4] –مُحَمَّد بن علي السنوسي، **شفاء الصدر بأربي المسائل العشر من درر الفقه المالكي**، مرجع سابق، ص15.

يثبت في حالة الصواب أو الخطأ، كما جاء في حديث الرسول ﷺ حيث قال : ((إذا حكم الحاكم فاجتهد ثم أصاب فله أجران، وإذا حكم فاجتهد ثم أخطأ فله أجر))[1]، والسنوسي على علم بهذا الحديث وقد استدل به[2].

وخلاصة القول، فإن مذهب الشيخ السنوسي هو المذهب المالكي بأصوله وفروعه، لكنه يخالفه إن جاء الحق مع غيره، أي أنه يجتهد بعد أن توسعت علومه إلى درجة أن أصبح يرجح الأحكام، وهذا ما أكده مفتي الحنابلة بمكة الشيخ مُحَمَّد بن عبد الله بن حميد الشركي[3].

وفي نهاية هذا الفصل، نؤكد على أهمية الحركة السنوسية ثقافيًا ودينيًا، باعتبارها حركة إصلاحية تنويرية ساهمت بشكل كبير في نشر العلم والقضاء على الجهل، لذلك تركت لنا هذه الحركة رصيدًا معرفيًا وثقافيًا متنوعًا، وتراثًا ماديًا ولاماديًا غنيًا جدًّا، من كتب ومخطوطات ورسائل وغيرها، وقد خصصت لهذا التراث دراسة منفردة ومستفيضة في الفصل الموالي، وهو الفصل الرابع والأخير.

---

[1] – مسلم أبو الحسن، مرجع سابق : 1716/15.

[2] – مُحَمَّد بن علي السنوسي، **كتاب المسائل العشر المسمى بغية المقاصد في خلاصة المراصد**، مرجع سابق، ص16.

[3] – عبد الحي الكتاني، مرجع سابق، ج2، ص1043.

الفصل الرابع : تراث الحركة السنوسية :

الكتب :

المخطوطات :

أهمية وإسهامات تراث الحركة السنوسية :

يتنوع تراث الحركة السنوسية المادي واللاّمادي، والذي تشكل على مر عشرات السنين، ومهما اجتهدنا فالأكيد أننا لا نستطيع عده وإحصائه كله، وفي هذه الدراسة المتواضعة ركزنا على بعض من تراثها وهي الكتب والمخطوطات، لأنه في اعتقادنا يمثل أهم تراث الحركة السنوسية باعتبارها حركة تعليمية أساسها القراءة والكتابة.

1- الكتب :

تعتبر الكتب من أبرز تراث الحركة السنوسية، وقد شمل العائلة السنوسية والإخوان على السواء، حيث ظهر منهم أدباء وشعراء وفقهاء وعلماء وغيرهم، ولا نتوخى في هذه الأطروحة أن ندرسهم كلهم، بل ركزنا على العائلة السنوسية باعتبارها اللبنة الأساسية لهذه الحركة الإصلاحية، ويعود الفضل إليها في تكوين النخبة من الإخوان.

واشتهر كل من الشيخ مُحَمَّد بن علي السنوسي وحفيده أحمد الشريف بغزارة تأليفهما، وكغيرهما من مشايخ وعلماء المسلمين في تلك الفترة فقد تنوعت مؤلفاتهما من حواشي[1] وشروحٍ[2] ورسائلٍ[3] وفهارسٍ[4] وأثباتٍ[5]

---

[1] – الحاشية في اللغة : حاشية كل شيئ: جانبه وطرفه. ينظر : ابن منظور، مرجع سابق، ج14، ص180. والحاشية اصطلاحًا، قال حاجي خليفة : « الحاشية عبارة عن أطراف الكتاب، ثم صار عبارة عما يكتب فيها، وما يجرد منها بالقول فيدون تدوينا مستقلا متعلقا ويقال لها تعليقة أيضا ». ينظر : حاجي خليفة، مرجع سابق، مج1، ص623.

[2] – الشرح في اللغة يدور حول معان أهمها : التفسير والكشف والبيان، والتوسعة والانفساح والرحابة، وشرح حسي كتشريح اللحم، ومعنوي كشرح الصدر بنور القرآن. ينظر : ابن منظور، مرجع سابق، ج2، ص497.

[3] – ورد في دائرة المعارف أن الرسالة في الأصل هي الكلام المرسل إلى الغير، والفرق بينها وبين الكتاب على ما هو مشهور إنما هو بحسب الكمال والنقص، والزيادة والنقصان، فالكتاب هو الكامل والرسالة غير الكامل منه. ينظر : بطرس البستاني، مرجع سابق، مج8، ص593. والرسالة هي المجلة المشتملة على مسائل قليلة. ينظر : حاجي خليفة، مرجع سابق، مج1، ص840.

[4] – الفِهْرِس بالكسر : الكتاب الذي تجمع فيه الكتب. معرب فِهْرِست. ينظر : مجد الدين الفيروزآبادي، مرجع سابق، ص1270. وقال أبو عبد الله الرهوني في طالعة أوضح المسالك : هو في الاصطلاح الكتاب الذي يجمع فيه الشيخ شيوخه وأسانيده وما يتعلق بذلك. ينظر : عبد الحي الكتاني، مرجع سابق، ج1، ص69.

[5] – الإثبات : كتابة يسجل فيها العالم مروياته في الحديث بالسند، والكتب التي قرأها مثل صحيح البخاري وغيره من الكتب الستة المشهورة، كما يسجل شيوخه الذين درس عليهم، ومن الناحية الشكلية فإن الثبت يكتب إما كسجل تاريخي شخصي وإما لمنحه إجازة لأحد العلماء الراغبين، وكانت الإثبات ورواة علم الحديث وإجادة السند مما يتفاخر به العلماء ويتباهون به فيما بينهم. ينظر : أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي من القرن العاشر إلى الرابع عشر الهجري (16–20م)**، مرجع سابق، ج2، ص33.

وقال السخاوي : والثبت بسكون الموحدة الثابت القلب واللسان والكتابة والحجة وأما بالفتح فما يثبت فيه المحدث مسموعه مع أسماء المشاركين له فيه لأنه كالحجة عند الشخص لسماعه وسماع غيره، ا هـ. ينظر : عبد الحي الكتاني، مرجع سابق، ج1، ص68.

ومختصراتٍ[1]، وغيرها، أما مُحَمَّد المهدي فيبدو أنَّه أقل تأليفًا حسب ما وقفنا عليه، وفيما يخص أخيه مُحَمَّد الشريف فلم تذكر المصادر تصانيف له، لكن باعتباره عالما وكان ضمن الحركة العلمية النشطة في الجغبوب أرجح أن تكون له مؤلفات هو الآخر، واحتمال أن تكون من ضمن المجلدات التي عبث بها الاستعمار الإيطالي أو هي ضائعة في مكان ما، لذلك وجب البحث وإماطة اللثام عنها لترى النور، ونبدأ أولا بمصنفات الإمام السنوسي.

1-1- مصنفات الشيخ مُحَمَّد بن علي السنوسي :

لا يختلف اثنان بأن الشيخ السنوسي يعد عالما وفقيها ومُحَدِّثا[2]، وحلاه الكتاني بِ : "الحافظ"[3]، وهذه مرتبة علمية مرموقة[4]، ووصفه أيضًا بالعارف[5]وختم المحدثين والمسندين، والكبريت الأحمر والهمام الغضنفر، وحجة الله على المتأخرين[6]، وحسب الحشائشي كان مفسرًا للقرآن الكريم أيضًا[7]، لذلك تنوعت مؤلفاته من فقه وسيرة وحديث وتاريخ وغيرها، وخص الكتاني للسنوسي مصنفين ضمن ما اصطلح عليه "كتب الأوائل"[8].

---

[1] - تميز الشيخ السنوسي بكتابة المختصرات لكتب أئمة المذهب، ولهذا علاقة بتدريس طلابه. ينظر : أحمد صدقي الدجاني، مرجع سابق، ص137.

[2] – قال عنه أستاذه أحمد إدريس أنه كان مُحَدّثا بلا واسطة. ينظر : بطرس البستاني، مرجع سابق، مج10، ص147.

[3] – عبد الحي الكتاني، ج1، ص207. الحافظ : أرفع من المحدث وهو كما يؤخذ من كلامهم : من توسع في الحديث وفنونه بحيث يكون ما يعرفه من الأحاديث وعللها أكثر من لا يعرفه، وبالغوا أحيانا في وصفه كقول الزهري : "لا يولد الحافظ إلا كل أربعين سنة"، وقولهم في الإمام أحمد بن حنبل "كان يحفظ ألف حديث". ينظر : نور الدين عتر، مرجع سابق، ص76.

[4] – قال الشهاب في شرح الشفا : الحافظ وصف لكل من أكثر رواية الحديث وأتقنه. ا هـ. وقال الحافظ بن حجر : الشروط التي إذا اجتمعت اليوم في الراوي سموه حافظًا هي : الشهرة بالطلب أو الأخذ من أفواه الرجال لا من الصحف، ومعرفة التعديل والتجريح لطبقات الرواة ومراتبهم، وتمييز الصحيح من السقيم حتى يكون ما يستحضره من ذلك أكثر مما لا يستحضره، مع حفظ الكثير من المتون، فهذه الشروط من جمعها فهو حافظ. ا هـ. ينظر : عبد الحي الكتاني، مرجع سابق، ج1، ص77.

[5] – نفسه، ص ص602، 603.

[6] – نفسه، ج2، ص1040.

[7] – مُحَمَّد بن عثمان الحشائشي، مرجع سابق، ص155.

[8] - كتب الأوائل : في الزمن الأخير لما كسلت الهمم وعدمت مصنفات الحديث أو كادت وثقل على الناس الرحلة بأسفار السنة الضخمة إلى البلاد ليسمعوها على المشايخ عدلوا إلى جمع أوائل المصنفات في كراسة أو أكثر يحملها الطالب فيقرأها على مشايخه فيرجع من رحلته أو وجهته وهو يقول : أروي المصنف الفلاني عن شيخي سماعًا لأوله وإجازة لباقيه، وأوائل السنوسي : له كتابان هما : الكواكب الدرية في أوائل الكتب الأثرية، والتحفة في أوائل الكتب الشريفة، يرويهما الكتاني من عشرة أسانيد وهم من كبار تلاميذ السنوسي. ينظر : عبد الحي الكتاني، مرجع سابق، ج1، ص ص94-104.

لقد ألّف الشيخ السنوسي أغلب مصنفاته أثناء إقامته بالحجاز والتي تعتبر الأطول في حياته، منها كتابه المسائل العشر المسمى "بغية المقاصد في خلاصة المراصد"، وأكد ذلك بنفسه فقال : « ... وكان خلال ذلك ونحن بالمدينة المنورة، في بعض ما لنا بها من المجاورة، وردت علينا أسئلة عديدة، بمحاورات سديدة، ومراسلات مجيدة ... إلى أن أتوا على جميع المسائل العشر، طالبين إفرادها بالتأليف »[1]، وانتهى من تأليفه سنة 1264هـ، أما مقدمة موطّأ مالك فقد كتبها عام 1267هـ[2]، وألّف أيضًا بالحجاز "إيقاظ الوسنان" و"السّلسبيل المعين" و"الدُّرر السنية في أخبار السلالة الإدريسية"[3].

واختلف المؤرخون في تحديد عدد مصنفات الشيخ السنوسي، فالأشهب ذكر تسعة كتب إحداها نظما[4]، ونفس العدد ذكره أيضًا نقولا زياده[5]، والأرجح أنه نقل عن الأشهب، أما شكري يذكر خمسة كتب مطبوعة وثلاثة لم تطبع[6]، في حين ذكر عمر كحالة خمسة فقط[7]. وانفرد إسماعيل باشا بإحصاء خمسة وثلاثين مؤلفًا بين كتاب ورسالة، وردت كما يلي : « إزاحة الأكنة في العمل بالكتاب والسنة. إشراق الشموس السنية البقينية على تراكم غياهب اعتراضات الأربعينية. مواهب القيوم في تذييل روضة الفهوم. إيقاظ الوسنان في العمل بالحديث والقرآن. البدور السافرة في اختصار الشموس الشارقة. بغية السول في الاجتهاد والعمل بأحاديث الرسول. بغية المقاصد في خلافة المراصد. تاريخ الأدارسة من ملوك المغرب. تحف المحاضرة في آداب التفهم والتفهيم والمناظرة. تحف المنيفة المشتملة على زبدة ما لها نبذة بعض محقق مذهب الإمام أبي حنيفة[8]. التحفة الشريفة في أوائل مشاهير الأمهات الحديثية. رسالة الفلاح في الفتح والنجاح. ريحانة الحبوب[كذا] في عمل السطوح والجيوب[9].

---

(1) – مُحَمَّد بن علي السنوسي، **كتاب المسائل العشر المسمى بغية المقاصد في خلاصة المراصد**، مرجع سابق، ص ص5، 6.

(2) – أحمد صدقي الدجاني، مرجع سابق، ص90.

(3) – منة بنت عواد المريبط، مرجع سابق، ص209.

(4) – مُحَمَّد الطيب الأشهب، **برقة العربية أمس واليوم**، مرجع سابق، ص180.

(5) – علي مُحَمَّد الصلابي، **تَاريخ الحرَكَة السَّنُوسيَّة في أفريقيا**، مرجع سابق، ص127.

(6) – مُحَمَّد فؤاد شكري، مرجع سابق، ص41.

(7) – عمر رضا كحالة، مرجع سابق، ج3، ص514.

(8) – ورد عند ابن علي باسم "التحف المنيفة المشتملة على زبدة بعض محققي مذهب أبي حنيفة". ينظر : **الفوائد الجلية في تاريخ العائلة السنوسية الحاكمة بليبيا**، مرجع سابق، ص48.

(9) – ورد عند ابن علي باسم "ريحانة المحبوب في عمل السطوح والجيوب". ينظر : نفسه، ص ص48، 50. وهو كتاب في الرياضيات. ينظر : أبو بكر سالم المهدي الشيباني، مرجع سابق، ص137.

السلسبيل المعين في الطرائق الأربعين. سوابغ الأبد من مرويات أبي زيد. سيف النصر والتوفيق وغاية السلوك والتحقيق. الشموس الشارقة في تراجم مشايخي من المغاربة والمشارقة. فحم الأكباد في مواد الاجتهاد. رقة عين أهل الصفا في صلوات المصطفى. كواكب الدرية في أوائل كتب الأثرية. لوامح الخذلان على من لا يعمل بالقرآن. كتاب عصمة الرسل. مجموع مسانيد الإمام أبي حنيفة. مختصر بغية الطلاب في علم الأنساب. مختصر الإمام أحمد. مختصر المواهب البارية. الأصولية في العمل بالكتاب والسنة. المسائل العشرة. مفتاح الجفر الكبير. منظومة السلوك إلى ملك الملوك. المواهب السرية في ملتقى الأوضاع الحرفية. مواهب القيوم في نزيل روضة الفهوم. نزهة الجنان في أوصاف مفسر القرآن. هداية الوسيلة في اتباع صاحب الوسيلة[1]. رسائل في ختم كتاب السنة ومسند الإمام مالك والشافعي وشرح البسملة في أثني عشر علم»[2].

وأهم الملاحظات التي سجلناها على قائمة إسماعيل باشا أن بها كثير من التصحيف، وعرفنا ذلك لعدم فهم معنى بعض العناوين مثل كتاب "سوايغ الأبد من مرويات أبي زيد" والصحيح هو "سوابغ الأيد من مرويات أبي زيد"، كما ورد بها تحريف أيضًا، ونقصد بذلك اختلاف أصل عنوان الكتاب مقارنة بما ورد عند مؤرخين آخرين سبقوا إسماعيل باشا أبرزهم الأشهب، وحسب إسماعيل باشا فإن القائمة لا زالت مفتوحة على أساس أنه ختم إحصاءه بكلمة "وغير ذلك"[3]، وفعلًا انفرد الحشائشي دون غيره من المؤرخين بذكر ثلاثة كتب جديدة، وهي : تكملة على كتاب موضوعات العلوم للشيخ سيدي محي الدين بن العربي زاد عليه في عشرين علمًا، وتفسير للقرآن الكريم سماه "الارشاد"، وشرح مختصر خليل[4].

لقد بدل مُحَمَّد إدريس جهدًا كبيرًا في طبع مؤلفات جده الشيخ السنوسي[5]، عندما أصبح أميرًا ثم ملكًا على ليبيا، وأغلب ما طبع من مجهوده الخاص، ورغم ذلك ظل الكثير منها دون طبع، منها ما أشار إليه المؤرخ

---

[1] – للشيخ السنوسي مخطوط من شعر بنفس هذا العنوان "الوسيلة في اتباع صاحب الوسيلة"، ولا ندري إن كان المقصود نفس الكتاب. ينظر : أحمد مُحَمَّد جاد الله وخالد مُحَمَّد الفيتوري، مرجع سابق، ص778.

[2] - إسماعيل باشا، **هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين من كشف الظنون 2**، بيروت.لبنان، دار الكتب العلميةDKI، 1971، مج7، ص ص354-355.

[3] – نفسه، ص355.

[4] - ينظر : **رحلة الحشائشي إلى ليبيا سنة 1895م**، مرجع سابق، ص155.

[5] - للملك إدريس دور أساسي في طبع الكتب التي وقعت في يده من تأليف جده، وذلك سنة 1930م. ينظر : أحمد صدقي الدجاني، مرجع سابق، ص133.

الأشهب[1]، وفي هذا الإطار أحصى الدجاني عشرة عناوين ورد اسمها في الكتب المطبوعة، واعتبر هذا دليلًا قاطعًا على وجودها وهي : الشموس الشارقة في أسانيد شيوخنا المغاربة والمشارقة، والبذور[كذا] السافرة في عوالي الأسانيد الفاخرة، والكواكب الدرية في أوائل الكتب الأثرية[2]، وسوابغ الأيد بمرويات أبي زيد[3]، ورسالة جامعة في أقوال السنن وأفعالها، وهداية الوسيلة في اتباع صاحب الوسيلة، وطواعن الأسنة في طاعني أهل السنة، ورسالة السلوك، وشذور الذهب في محض محقق النسب[4]. وما تجدر الإشارة إليه أن الدجاني ذكر أربعة كتب فقط وردت في "المنهل الروي الرائق"، أما الباقي اعتمد على الأشهب الذي أكد وجودها في مكتبة الملك ويقصد بذلك العاهل إدريس، ونلاحظ أيضًا اختلاف بعض العناوين التي ذكرها الدجاني عن ما ورد في "هدية العارفين"، ومنها لم يرد فيها أصلًا[5].

وأغلب مصنفات الشيخ السنوسي عبارة عن فهارس منها : "سوابغ الأيد بمرويات أبي زيد"[6]، و"الشموس الشارقة في أسانيد شيوخنا المغاربة والمشارقة"[7]، و"البذور[كذا] السافرة في عوالي الأسانيد الفاخرة"[8]، وتضمنت

---

[1] – الكتب الأربعة هي : "المنهل المعين الرائق معرفة الطرق وأصول الحقائق"، و"الشموس الشارقة فيما لنا من أسانيد المغاربة والمشارقة"، و"مفاتيح الأيد في مرويات أبي زيد"، و"رسالة جامعة من أفعال السنن وأقوالهم(نظم)". ينظر : مُحَمَّد الطيب الأشهب، **برقة العربية أمس واليوم**، مرجع سابق، ص180.

[2] – ذكر الكتاني هذا المصنف قائلًا : « ...اشتمل أول باب منه على أوائل بعض كتب الأئمة العشرة موطأ مالك ومسانيد الأئمة الثلاثة والكتب الستة، وثاني باب منه على أوائل بعض مشاهير السنن وهي عشرة...». وختم في الأخير مستغربًا : « وهذا ترتيب عجيب وأسلوب غريب بين كتب الأوائل والأثبات ». ينظر : عبد الحي الكتاني، مرجع سابق، ج1، ص ص103، 104.

[3] – ذكر السنوسي كتاب "سوابغ الأيد" وشمل على أربعين فهرسًا، عدد بعضها حيث قال : « ...وأحلت الأسانيد في ذلك على فهارس شيوخنا وشيوخهم كفهرسة شيخنا ابن عبد السلام الناصري، وفهرسة أبي سالم العياشي (اقتفاء الأثر بعد ذهاب أهل الأثر) وفهرسة (تحفة الأخلاء بإجازات المشايخ الأجلاء) وفهرسة الإمام اليوسي، وغيرها من الفهارس الأربعين مما وصل إلينا بدون واسطة أو بواسطة واسطتين غالبا مما اشتمل عليه كتابنا (سوابغ الأيد بمرويات أبي زيد)... ». ينظر : مُحَمَّد بن علي السنوسي، **المنهل الروي الرائق في أسانيد العلوم وأصول الطرائق**، مرجع سابق، ص8.

[4] – أحمد صدقي الدجاني، مرجع سابق، ص ص134، 135.

[5] – علي مُحَمَّد الصلابي، **تَاريخ الحرَكَة السَّنُوسيَّة في أفريقيا**، مرجع سابق، ص ص128، 129.

[6] – يتضمن هذا الكتاب فهارس وصلت إلى الشيخ السنوسي. ينظر : مُحَمَّد بن علي السنوسي، **المنهل الروي الرائق في أسانيد العلوم وأصول الطرائق**، مرجع سابق، ص8.

[7] – هذا الكتاب عبارة عن فهرسة كبرى خاصة بمؤلفات العلوم النقلية والعقلية، ومشايخ وأسانيد السنوسي مشرقًا ومغربًا، كما يضم الإجازات المطلقة العامة والمناولة. ينظر : نفسه، ص9.

[8] – عبارة عن فهرسة صغرى شملت عدة علوم. ينظر : نفسه، ص9.

تلك الفهارس مجموعة من الكتب والمرويات والإجازات التي أخذها السنوسي من شيوخ وعلماء، وقد لاحظنا أن بعض العناوين هي في الأصل لكتاب واحد، فمثلًا كتاب "المنهل الروي الرائق في أسانيد العلوم وأصول الطرائق" كان اسمه في الأول "الكواكب"[1]، والأرجح أن عنوانه كاملا "الكواكب الدرية في أوائل الكتب الأثرية"[2].

وذكر الشاعر أحمد رفيق المهدوي بعض مؤلفات الشيخ السنوسي وعدّدها بأربعين مصنفًا، فقال :

بالتآليف التي من فيضها (سلسبيل) (المنهل) الصافي المعين
و (شفاء الصدر) من رين الهوى و (إيقاظ لوسنان) مهين
وشروح لعلوم وضحت ما عصى من مشكلات الأولين
كتب لو طبعت أو جمعت كلها حازت حدود الأربعين
بينت ما جاءنا عن جده من علوم، وأحاديث، ودين
هذه آثاره من علمه كلها تدعو إلى الحق اليقين[3]

ومهما يكن من أمر، فقد وصلتنا عدة مصنفات مطبوعة للشيخ مُحَمَّد بن علي السنوسي نستعرضها كما يلي :

1-1-1- السَّلسبيل[4] المعين في الطرائق الأربعين :

يندرج كتاب "السَّلسبيل المعين في الطرائق الأربعين" في علم التصوف، وقد ورد عنوانه مختلفا في بعض المصنفات[5]، وهو كتاب مطبوعٌ من تأليف الشيخ مُحَمَّد بن علي السنوسي، وهذه الطبعة مأخوذة من نسخة سنة 1345هـ/1926م[6]، ويدل عنوان الكتاب على الطريق السهل واليسير للوصول إلى الطرق الصوفية بأسانيدها ومبناها وشيوخها، وغير ذلك. وهو عبارة عن فهرس لخص فيه رسالة العجيمي في الطرق الأربعين، ووصل

---

(1) – مُحَمَّد بن علي السنوسي، **المنهل الروي الرائق في أسانيد العلوم وأصول الطرائق**، مرجع سابق، ص ص14، 15.

(2) – مُحَمَّد بن علي السنوسي، **شفاء الصدر بأربي المسائل العشر من درر الفقه المالكي**، مرجع سابق، ص15.

(3) – دي كاندول إيريك آمار فولي، مرجع سابق، ص159-162.

(4) –"سلسبيل" اسم عين في الجنة، أما اشتقاق "سلسبيلا" كما جاء في تفسير "سل ربك سبيلا إلى هذه العين"، تفسر الكلمة بأنها "السهل" أو "اللين". ينظر : هوتسما م ت وآخرون، مرجع سابق، ج18، ص ص5748، 5749.

(5) – ورد أحيانًا باسم : "السّلسبيل المعين في السلاسل الأربعين". ينظر : مُحَمَّد بن علي السنوسي، **شفاء الصدر بأربي المسائل العشر من درر الفقه المالكي**، مرجع سابق، ص15. وأحيانًا بعنوان : "السلسل المعين في السلاسل الأربعين". ينظر : عبد الحي الكتاني، مرجع سابق، ج2، ص1059.

(6) – ورد في آخر الكتاب ما يلي : ناسخ الكتاب مُحَمَّد يحي بن مُحَمَّد علي بن أحمد بن عيسى الوفائي بتاريخ 20 جمادي الأول 1345هـ. ينظر : مُحَمَّد بن علي السنوسي، **السَّلسبيل المعين في الطرائق الأربعين**، مرجع سابق، ص172.

سلاسله عن طريقه، وزاد عليه في بعض أسانيد شيوخه[1]. وصرّح الشيخ السنوسي بعد البسملة والتصلية والحمدلة بأن أغلب الطرق الصوفية أُجيز فيها أو أخذها عن علماء وشيوخ، إضافة إلى علوم أخرى ذكرها في فهرسته الموسومة بِ : "الشموس الشارقة" وفي مختصرها "البدور السافرة"، وأشار في مقدمة الكتاب بأن عدد الطرق الصوفية كثيرة، وأنها بعدد أنفس البشر، واستدل بقول الشيخ أبي إسحاق إبراهيم الكوراني[2].

والغالب على الطرق الصوفية التي وردت في الكتاب أن سندها العالي يصل إلى الرسول ﷺ، وقد أخذها شيوخها عنه منامًا أو يقظةً أو الاثنين معًا، أو بواسطة روحانيته[3]، وقد وصلت عدة طرق صوفية إلى الشيخ السنوسي بأسانيد مختلفة، وللإشارة فقد أضاف هو بنفسه أسانيد أخرى، وذلك بالرواية عن مشايخه وأساتذته[4]، واختار من تلك الطرق أربعين طريقة فقط، حيث عرفها وذكر منتسبيها، وخصها بالشرح الوافي والتحليل، وأسلوب الذكر فيها، وغير ذلك، وجمعها في هذا الكتاب، والذي هو في الأصل عبارة عن "رسالة" سماها "السّلسبيل المعين في الطرائق الأربعين"، حيث صرح بأنها ملخص رسالة أبي البقاء العجمي الذي عُرِف بمحدث ومسند الحجاز لعلو إسناده[5]، وهو ينتسب لآل العجيمي المكيين، وقد بلغ رتبة عالية في التصوف لذلك لُقِّب

---

[1] – نُسخت في نحو ست كراريس، موجودة في زاوية بوقيرات، وبمكتبة طنجة. ينظر : عبد الحي الكتاني، مرجع سابق، ج2، ص1059. ويروي الكتاني هذا الثبت عن العارف أبي عبد الله مُحَمَّد بن مُحَمَّد سر الختم المرغني الاسكندري المتوفي بها سنة 1323هـ، سيدي عبد المتعال بن الشيخ سيدي أحمد بن إدريس عن الشيخ السنوسي صاحبها. ينظر : نفسه، ص1059. ويروي الكتاني رسالة العجيمي عن والده عن جده أبي المفاخر مُحَمَّد بن عبد الكبير الكتاني عن ابن السنوسي المكي عن عبد الحفيظ العجيمي المكي عن طاهر سنبل عن عارف الفتي عن أبي علي العجيمي. ينظر : نفسه، ج1، ص449.

[2] – إبراهيم بن حسن بن شهاب الدين الكوراني، مسند القرن الحادي عشر وعلامته، توفي سنة 1101هـ، تعد فهرسته "الأمم لإيقاظ الهمم" أكبر فهارسه وأمتعها وأكثرها فرائد حديثية وكلامية وصوفية وتاريخية، ساق فيها كثيرًا من أوائل الكتب الحديثية، وعنها أخذ من ألف في الأوائل، ... وبالجملة فهو ثبت ممتع للغاية في نحو كراسين ... ينظر : نفسه، ص166.

[3] – مثلًا، أويس القرني ﷺ وهو من التابعين أخذ عن روحانية سيد المرسلين ﷺ. ينظر : مُحَمَّد بن علي السنوسي، **السّلسبيل المعين في الطرائق الأربعين**، مرجع سابق، ص ص41-46.

[4] – عبد الحي الكتاني، مرجع سابق، ج2، ص1059.

[5] - رسالة العجيمي في الطرق : هو مسند مكة والحجاز وصوفيه أبو علي حسن بن علي العجمي اليمني أصلًا المكي دارًا المتوفي سنة 1113. له رسالة في الطرق الصوفية المستعملة إلى زمانه في العالم الاسلامي مع ذكر آدابها وأعمالها وأذكارها وأصلها وسلسلة صاحبها إلى مراجع الطرق، اشتملت على أربعين طريقة، وهي رسالة نفيسة جدًّا في نحو كراسين ... قال عن هذه الرسالة أبو سالم العياشي في رحلته : ((جمع صاحبنا العجيمي رسالة استوعب فيها طرق أئمتنا الصوفية الموجودة في هذه الأزمنة غالبًا، وذكر سنده إلى إمام تلك الطريقة، وكيفية اتصال بها، وهي غاية في الباب مستوعبة أتمّ استيعاب، ما رأيت مثلها لأحد قبله ممن سلك الطريق وعدّ من أولئك الفريق، وهي دالة على سعة اطلاعه وكثرة اعتنائه بالطرق ...)). ينظر : نفسه، ج1، ص ص447-449.

بِ : "أبي البقاء والأسرار"، وقد توفي سنة 1113 هـ[1]، وبناءً عليه فإن كل الطرق الصوفية التي ذكرها الشيخ السنوسي كانت قبل القرن 12هـ/18م، ولتعميم الفائدة وتوخي الدقة، أرتأينا أن نضعها في جدول كما يلي[2] :

الرقم	الطريقة الصوفية	الانتساب	الملاحظة
1	المحمدية[3]	النبي مُحَمَّد ﷺ	
2	الصديقية	أبو بكر الصديق رضي الله عنه	
3	الأويسية	أويس القرني	
4	الجنيدية	الإمام الجنيد	
5	الحلاجية	الإمام حسين بن منصور الحلاج	
6	القادرية	الشيخ عبد القادر الجيلالي	
7	المدينية	الشيخ أبي مدين شعيب	فرع من القادرية
8	الرفاعية	الشيخ أبي العباس احمد الرفاعي	فرع من القادرية
9	العرابية	القطب سيدي عمر بن مُحَمَّد العرابي	فرع من القادرية
10	الحاتمية	الإمام محي الدين بن العربي الحاتمي	
11	السهروردية	الشيخ شهاب الدين السهروردي	
12	الأحمدية	أبو العباس أحمد بن علي الشهير بالبدوي	
13	الشاذلية	القطب أبو الحسن الشاذلي	
14	الوفائية	غير موجود	فرع من الشاذلية
15	الزروقية	غير موجود	فرع من الشاذلية
16	الجزولية	غير موجود	فرع من الشاذلية
17	الخروبية	غير موجود	فرع من الشاذلية

[1] – مُحَمَّد بن الطيب القادري، **إلتقاط الدرر ومستفاذ المواعظ والعبر من أخبار المائة الحادية والثانية عشر**، تح.هاشم العلوي القاسمي، ط1، بيروت، منشورات دار الآفاق الجديدة، 1983، ص284.

[2] – مُحَمَّد بن علي السنوسي، **السَّلسبيل المعين في الطرائق الأربعين**، مرجع سابق، ص ص7-164.

[3] – قال الشيخ السنوسي أن هذه الطريقة تُنتسب إلى سيدنا مُحَمَّد ﷺ ، كما أكد ذلك شيخ مشايخه أبو سالم العياشي، ومبناها متابعة السنة حتى يتمكن المريد من التدرج في مراتب السلوك، وركز على كيفية الصلاة على النبي ﷺ، كما ذكر سلسلة الصحبة التي يتصل سندها إلى ترجمان القرآن سيدنا عبد الله بن عباس رضي الله عنهما ، والذي هو صحب رسول الله ﷺ. ينظر : نفسه، ص ص9-34.

18	الملامتية	غير موجود	اشتهر بها أبو يزيد البسطامي وذو النون المصري
19	الخلوتية	منسوبة إلى الخلوة	
20	الكبروية	نجم الدين الكبري	
21	الهمذانية	القطب علي الهمذاني	
22	الركنية	ركن الدين علاء الدولة السمناني	
23	النورية	غير موجود	فرع من الركنية
24	النقشبندية	بهاء الدين المعروف بشاه نقشبند	
25	الشطارية	الشيخ عبد الله الشطار	
26	الغوتية	الشيخ مُحَمَّد الغوث	
27	العشقية	غير موجود	
28	المولوية	غير موجود	
29	الجهرية	الشيخ أحمد اليسوي الجهري	
30	البرهانية	الشيخ برهان الدين الدسوقي	
31	الخفيفية	ابن خفيف	
32	الخواطرية	غير موجود	
33	العيدروسية	غير موجود	
34	المشارعية	غير موجود	
35	القشيرية	غير موجود	
36	الخرازية	أبو سعيد الخراز	
37	الجشتية	غير موجود	
38	المدارية	غير موجود	
39	القلندرية	غير موجود	
40	السهيلية	سيدي سهل التستري	

لقد خصّ الشيخ السنوسي الطريقة المحمدية باهتمامٍ أكثر من غيرها، حيث أدرج لها فصلًا خاصًا، وذلك بشرح كيفية الصلاة على النبي ﷺ وذِكر ألفاظها وعباراتها : منها الصلاة الإبراهيمية المعروفة، ومرويات

الفيروزبادي[1]، وما ورد عن الحافظ أبي عبد الله النميري[2]، والشيخ أبي الحسن علي بن عبد الكافي[3]، إضافةً إلى رواية القاضي عياض عن سلامة الكندي عن علي ﷺ[4]، وكتاب الخروبي "كفاية المريد وحلية العبيد"[5]، وختمها بالصلاة المنسوبة –كما قال– إلى سيدي القطب عبد السلام بن مشيش[6].

لقد أُجيز الشيخ السنوسي في هذه الطرق الأربعين، وغالبًا ما كان يستعمل كلمة "أروي"، فمثلًا في معرض حديثه عن الطريقة الصديقية قال : « وأروي هذه الطريقة عن سيدنا وقدوتنا الإمام الخاتم الشيخ أحمد بن مُحَمَّد الدجاني[7] نفع الله به وبروايته ... »[8]، ونلاحظ هنا أهمية الشيخ الدجاني كإسناد للسنوسي رغم أنه بعيد عنه زمانيًا. وعن الطريقة القادرية قال : « وأروي هذه الطريقة من وجوه عشرة؛ من أجل ما رويناه عن شيخنا إلى العباس العرايشي ... »[9]، وأغلب هذه الطرق يرويها مباشرة عن أستاذه أحمد بن إدريس والذي غالبًا ما يسميه "شيخنا" احترامًا وتقديرًا له، كما هو واضح في هذه الرواية الأخيرة وفي أغلب روايات الطرق الصوفية الأخرى[10]،

---

[1] – وضح الفيروزبادي في كتابه "الصلات والبشر في الصلاة على سيد البشر" : فصل في كيفية الصلاة عن النبي ﷺ وبيان ما وردت به السنة والآثار من العبارات لمختلفة في ذلك. ينظر : مُحَمَّد بن علي السنوسي، **السلسبيل المعين في الطرائق الاربعين**، مرجع سابق، ص14.

[2] – حصر في أول كتابه "الأعلام" جميع الكيفيات الواردة عن النبي ﷺ وعن الصحابة ﷺ. ينظر : نفسه، ص14.

[3] – ذكر في آخر كتابه "شفاء السقام في زيارة خير الأنام". ينظر : نفسه، ص14.

[4] – قال : (اللهم داحي المدحوات وبارئ المسموكات وباني المبنيات وجبار القلوب على فطرتها شقيها وسعيدها وباسط الرحمة للمتقين اجعل شرائف صلواتك ونوامي بركاتك ورأفة تحيتك على مُحَمَّد عبدك ورسولك الفاتح لما أغلق والخاتم لما سبق والمعلن الحق بالحق والدامغ لجيشات الأباطيل ...). ينظر : نفسه، ص ص19، 20.

[5] – نفسه، ص10.

[6] – قال : « اللهم صل على من منه انشقت الأسرار وانفلقت الأنوار، وفيه ارتقت الحقائق وتنزلت علم آدم فأعجز الخلائق، وله تضائلت الفهوم، فلم يدركه منا سابق ولا لاحق فرياض الملكوت بزهر جماله مونقة وحياض الجبروت بفيض أنواره متدفقة، ولا شيء إلا وهو به منوط ... ». ينظر : نفسه، ص ص31–33.

[7] – أحمد بن مُحَمَّد بن يونس، صفي الدين الدَّجَانيّ (بتخفيف الجيم) القُشَاني (ت 1071هـ/1661م) : متصوف فاضل، أصله من القدس من آل الدجاني، انتقل جده "يونس" إلى المدينة، وكان متصوفًا متقشفًا فاحترف بيع القشاشة وهي سقط المتاع فعرف بالقشاشي، وبها اشتهر وتوفي، وكان مالكي المذهب وتحول شافعيًا، فصار يفتي في المذهبين. له نحو سبعين كتابًا أكثرها في التصوف، منها "شرح الحكم العطائية–خ" ... ينظر : خير الدين الزركلي، مرجع سابق، ج1، ص239.

[8] – مُحَمَّد بن علي السنوسي، **السّلسبيل المعين في الطرائق الأربعين**، مرجع سابق، ص38.

[9] – نفسه، ص51.

[10] – استعمل السنوسي عبارة "وقد وصلت هذه الطريقة إلى شيخنا"، وذلك في الطريقة المدينية والرفاعية والحاتمية والخلوتية والنقشبندية والعشقية والبرهانية، وغيرها. ينظر : نفسه، ص ص54–163.

وللعلم يقترن غالبا اسم أحمد بن إدريس بشيخه الشناوي[1] في السند، فمثلًا يقول السنوسي في معرض حديثه عن الطريقة الجشتية : « وقد وصلت هذه الطريقة إلى شيخنا من شيخه سيدنا أحمد بن علي الشناوي »[2]، ونفس الأمر في الطريقة المدينية والرفاعية والخلوتية، وغيرها[3]، وهنا نقع في حيرة وهي أن الشناوي توفي عام 1619م[4]، فكيف يكون شيخ أحمد بن إدريس الذي ولد عام 1750م ؟! والأكيد هناك حلقة مفقودة في الإسناد.

ولم يُفضِّل الشيخ السنوسي طريقة صوفية على أخرى، بل نصح بأخذ الكثير منها، وبرّر ذلك بأنه يزيد في الخير، حيث قال : «... فالأخذ عن الطرق الكثيرة حسن بلا ريب لما فيه من التعلق بأذيال الأخيار والتوسل بجناب الأسرار »[5]، وأغلب الطرق الصوفية السالفة الذكر تنتسب إلى أقطاب[6]، وفي هذا المجال وردت في كتاب "السّلسبيل المعين في الطرائق الأربعين" قصيدة للأديب أبي عبد الله سيدي مُحَمَّد الشهير بالحوات[7]، جمع فيها بين طريقة الأقطاب وطريقة العلماء، وهي عبارة عن نظم يسرد فيه مناقب وفضائل وكرامات أبرز العلماء وشيوخ وأقطاب الطرق الصوفية، مثل الشيخ الشاذلي، وزروق، ومرسي أبي العباس، وعطاء الله السكندري[8]، وغيرهم. وللتوضيح نقتطف من القصيدة الأبيات الشعرية الآتية :

---

[1] - أحمد بن علي بن عبد القدوس، أبو المواهب الشّناوي (975 - 1028هـ/ 1568- 1619 م) : متصوف فاضل، مصري، نسبته إلى "شِنُّو" وهي قرية بالغربية من مصر، مات في المدينة. له كتب منها : "الاقليد الفريد في تجريد التوحيد"، ورسالة في "وحدة الوجود"، وكتابان في "المدئح الدينية"، وله نظم فيه "صادحة الأزل" خ. من 15 ورقة، في مكتبة الكاف. ينظر : خير الدين الزركلي، مرجع سابق، ج1، ص181

[2] – مُحَمَّد بن علي السنوسي، **السّلسبيل المعين في الطرائق الأربعين**، مرجع سابق، ص152.

[3] – نفسه، ص ص54-152.

[4] – خير الدين الزركلي، مرجع سابق، ج1، ص181.

[5] – مُحَمَّد بن علي السنوسي، **السَّلسبيل المعين في الطرائق الأربعين**، مرجع سابق، ص6.

[6] – قال ابن عربي : " القطب : مركز الدائرة ومحيطها ومرآة الحق، عليه مدار العالم له رقائق ممتدة إلى جميع قلوب الخلائق بالخير والشر على حد واحد ... ولابد لكل قطب عندما يلي مرتبة القطبية أن يبايعه كل سر وحيوان وجماد ما عدا الانس والجان إلا القليل ... ". ينظر : محي الدين ابن العربي، **رسائل ابن العربي**، د ب، طبعة دار إحياء التراث، د ت، ج2، ص ص440-445.

[7] – وصفه السنوسي بالأديب الأريب الحبيب النسيب الشريف. ينظر : مُحَمَّد بن علي السنوسي ، **السَّلسبيل المعين في الطرائق الأربعين**، مرجع سابق، ص165.

[8] – ابن عطاء الله الإسكندري (ت 1309م) : هو أحمد بن مُحَمَّد بن عبد الكريم أبو الفضل تاج الدين ابن عطاء الله الإسكندري، متصوف شاذلي، من العلماء، كان من أشد خصوم شيخ الإسلام ابن تيمية. له تصانيف. منها "الحكم العطائية"- ط، في التصوف ... توفي بالقاهرة. ينظر : خير الدين الزركلي، مرجع سابق، ج1، ص ص121، 122.

وسل وصل على النبي مُحَمَّد صلى عليه الله ما لاح القمر
متوسلا بالرسل والأملاك من خصوا بتقديس وصفو من كدر
وبكل سلسلة وعقد أئمة قد نظموا قطبا فقطبا كالدرر
بكذات أصحاب الإمام الشاذلي قل إن بدأت بها بعد مختصر
يا رب بالشيخ ابن ناصر أحمد شيخ الهدى السني الإمام المعتبر
وبشيخه السني أبيه محمد من صيته في الغرب والشرق اشتهر
وبشيخه الزكي عبد الله من يرضى به من غاب عنه ومن حضر
وبشيخه ابن علي أحمد الذي في درعة حاز المعالي واستقر
وبشيخه الغازي الإمام المرتضى من سره عمّ الصحاري وانتشر
وبشيخه الأرضي السجلماسي على نجل لعبد الله ذي السعد الأبر
وبشيخه هو ابن يوسف أحمد الراشدي من في كراماته عبر
وبشيخه زروق بحر مواهب وعلوم أسرار وسل تعط الخبر
وبشيخه يحي الشريف القادري من فاض بحرا بالعلوم وقد زخر
وبشيخه ابن وفى على من قدره عال وروض العلم منه قد ازدهر
وبشيخه الأسمى أبيه مُحَمَّد لله ما علم لديه مبتكر
وبشيخه داود ذي العلم الذي نال المعارف والتقى زمن الصغر
وبشيخه الماجد الأزكى عطا ء الله ذي العلم العزيز وذي الأثر
وبشيخه المرسى أبي العباس من جادت عنايته المعارف كالمطر
وبشيخه القطب الشريف الشاذلي من فخره حيث العلى فاق البحر
وبشيخه القطب الشريف إمامنا عبد السلام بغربنا شمس بهر
وبشيخه المدني قطب زمانه من ذكره أهل المحبة فيه سر
وبشيخه الأزكى تقي الدين من يدعي الفقير صغروه على الكبر
وبشيخه قطب الزمان وغوثه ذي السر فخر الدين والذكر الأغر
وبشيخه القطب الهمام المرتضى ذي الصدق نور الدين سامي المفتخر
وبشيخه قطب الهداية والتقى ذي النور شمس الدين تبهر من نظر
وبشيخه قطب العلى القزويني زين الدين مَنْ من أجله الدهر افتخر
وبشيخه البصري إبراهيم من قطب أقطاب إذا أعطى استمر
وبشيخه قطب السري المدوان أحمد من نداه البحر فيضا والنهر
وبشيخه القطب الولي سعيدهم لم تبق ذكراه الهموم ولا تذر

وبشيخه فتح السعود إمامهم قطب الكرامة والزعامة والظفر
وبشيخه القطب الجليل سعيدنا نجم الصعود إذا تجلى وازدهر
وبشيخه قطب السيادة جابر من لم يزل جلدي إذا ذكر اقشعر
وبشيخه الحسن المعظم أول الأقطاب سبط المصطفى خير البشر
وعليّ وفاطمة ابنة الهادي الذي من أجله شرفت مضر
وطريقة الأقطاب تدعى هذه وطريقة العلماء من طرق أخر[1]

ومن هنا تنتهي طريقة الأقطاب، وتليها طريقة العلماء، التي تبدأ بمدح الشيخ المدني[2] :

فإذا سألت الله بالمدني الذي قدمته فاسأل وإياك الضجر
وبشيخه ابن سيدي بونة جعفر أبي أحمد يا رب كن لي في العفر
وبشيخه أبي مدين الغوث احمنا مما نواه كل طاغية غدر
وبشيخه العلم ابن حرزهم على يا ربنا ما عرى جسمي المضر
وبشيخه الأسمى أبي يعزى الذي نرجو النجاة به إذا الوقت اعتكر
وبشيخه السيد العربي اكفنا هم الزمان إذا تبسم أو كشر
وبشيخه الغزالي هب لي منطقا عند السؤال ولا تكلني للحصر
وبشيخه الحبر الجويني استر لنا عيبا تبدا للعباد أو استتر
وبشيخه المكي أبي طالب أغث عبدا من البلواء أنت له وزر
وبشيخه الطود الجريري فاستجب يا ربنا وقت المضرة والغير
وبشيخه الصوفي الجنيدي من قفا آثاره بلا قربى إلى تلك الزمر
واسأل بذاك الغوث توبة مخلص كسؤال مضطر متى يسأل جدر
وبشيخه عبد القادر الجيلي أهدنا في كل ورد أو صدر[3]

ويواصل الشاعر سرد شيوخ التصوف مثل االقرشي والطرطوسي والتميمي والسقطي والكرخي والعجمي وغيرهم، وكذلك الصحابة الكرام[4]، إلى أن يختم القصيدة قائلًا :

واختم بفضلك بالشهادة عمرنا وارزقني التثبيت عند المحتضر

---

[1] – مُحَمَّد بن علي السنوسي، **السّلسبيل المعين في الطرائق الأربعين**، مرجع سابق، ص ص168، 169.
[2] – هو أحد أولياء الله تعالى واسمه : أبو زيد عبد الرحمن الشريف المدني. ينظر : نفسه، ص169.
[3] – نفسه، ص ص169، 170.
[4] – نفسه، ص ص170، 171.

فإذا ختمت بها فأمري هين وجميع ما قد فات مني مغتفر[1]

1-1-2- المسلسلات العشرة في الأحاديث النبوية على صاحبها أفضل الصلاة وأتم التسليم :

اهتم المسلمون منذ القديم بجمع الحديث[2] وإخراجه، وظهر علمٌ قائم بذاته يسمى "علم الحديث"[3]، له قواعده وضوابطه، كالجرح والتعديل[4]، والناسخ والمنسوخ[5]، والإسناد، وغيرها، وأصبح من يهتم بهذا العلم يسمى بِ : "المُحدّث"، الذي يُعرَّف على أنه العالم بعلم الحديث وطرقه وأحوال رجاله والمتون وكتب الحديث والمسانيد ونحوها[6]، وهو أيضًا كما عرّفه ابن سيد الناس : "من اشتغل بالحديث رواية ودراية، وجمع رواة، واطلع على كثير من الرواة والروايات في عصره، وتميز في ذلك حتى عرف فيه خطه واشتهر فيه ضبطه"[7]. وفي هذا المجال تميز الشيخ السنوسي بسعة علمه وبذاكرة قوية وملكة حفظ عجيبة للأحاديث النبوية الشريفة، ورغم أنه لم يرد في مصادر السنوسية على أنه "مُحَدّث"، إلا أن الكتاني في فهرس الفهارس أكدّ ذلك[8]، وفي الحقيقة أرى أن الشيخ السنوسي يستحق تلك الرتبة الشريفة وبكل جدارة على أساس نبوغه وغزارة علمه في الحديث، وعلى أساس أيضًا ما شهد له مفتي الحنابلة بمكة المكرمة المؤرخ العلامة مُحَمَّد بن عبد الله بن حميد الشركي –كما مر معنا في إجازة سابقة–، حيث ميَّزه عن باقي العلماء وفضَّله على كل مشايخه، وقال بأن شيخه يقرأ صحيح البخاري في شهر، ومسلم في خمسة وعشرين يومًا، والسنن في عشرين يومًا فقط.

---

[1] – تم نسخ هذه القصيدة من طرف مُحَمَّد يحي ابن المرحوم مُحَمَّد علي بن أحمد بن عيسى الوفائي، بتاريخ عشرين من شهر جمادى الأولى عام 1345هـ. ينظر : مُحَمَّد بن علي السنوسي، **السَّلسبيل المعين في الطرائق الأربعين**، مرجع سابق، ص 172.

[2] – الحديث : ما أضيف إلى النبي ﷺ من قول أو فعل أو تقرير أو وصف خِلْقي أو خُلُقي. ينظر : نور الدين عتر، مرجع سابق، ص26.

[3] – يسمى أيضًا "علم مصطلح الحديث" : هو علم بقوانين يعرف بها أحوال السند والمتن : من صحة وحسن وضعف، وعلو ونزول، ورفع ووقف وقطع، وكيفية التحمل والأداء، وصفات الرجال وغير ذلك. ينظر : مُحَمَّد مُحَمَّد السماحي، **المنهج الحديث في علوم الحديث قسم مصطلح الحديث**، القاهرة، دار الأنوار للطبع والتجليد، 1963، ص3.

[4] – الجرح : هو الطعن في راوي الحديث بما يسلب أو يخل بعدالته وضبطه. والتعديل : عكسه، وهو تزكية الراوي والحكم عليه بأنه عدل أو ضابط. ينظر : نور الدين عتر، مرجع سابق، ص92.

[5] – النسخ : هو رفع الشارع حكما منه متقدما بحكم منه متأخر، وقد وقع النسخ زمن النبي ﷺ لحكم جليلة، منها ضرورة التدرج بالناس من دحض الجاهلية إلى علو المثالية الإسلامية. ينظر : نفسه، ص ص335، 336.

[6] - عبد الحي الكتاني، مرجع سابق، ج1، ص ص71-82.

[7] – نور الدين عتر، مرجع سابق، ص76.

[8] – وصف الكتاني السنوسي بِ : "ختم المحدثين والمسندين". ينظر : عبد الحي الكتاني، مرجع سابق، ج2، ص1040.

وكتاب "المسلسلات العشرة في الأحاديث النبوية على صاحبها أفضل الصلاة وأتم التسليم" طُبع في القاهرة سنة 1357هـ/ 1938م، ويختص بنوع خاص من الأحاديث وهي "الأحاديث المسلسلة"[1]، وقد برع الشيخ السنوسي في رواية وإسناد الحديث كغيره من الطرقيين، لأن ذلك كثيرًا ما يعبر على مكانة الشيخ العلمية ودرجته مع الحُفَّاظ والمحدّثين، وهذا ما جعله يخصه بالعناية والتأليف أيضًا، على غرار هذا الكتاب محل الدراسة.

والحديث المسلسل هو ما تتابع الرواة إسناده واحدًا فواحدًا[2]، وتشبه الأحاديث المسلسلة الأحاديث النبوية العادية من حيث الإسناد[3] والسند[4] المعهودين، أي رواية الحديث شيخ عن شيخ، لكن ما يميزها أنها تركز بالدرجة الأولى على طريقة وصول الحديث من الشيخِ إلى الآخرِ، قولًا أو فعلًا أو كليهما معا، فمثلًا الحديث المسلسل بالمصافحة، يعني أنه من صافح آخر شيخ فكأنه صافح النبي ﷺ لأنها سلسلة مترابطة، وهذه الطريقة تسمى"المصافحة"، ونفس الأمر بالنسبة للأحاديث الأخرى لها طرق خاصة بها هي كذلك. ورغم اختلاف مضمون الأحاديث المسلسلة[5] إلا أن أغلب إسنادها العالي يبقى نفسه أي ينتهي بالنبي ﷺ، وأحيانًا إلى الصحابة أو التابعين، وهذا ما أكده الشيخ السنوسي حيث اعتبر الأحاديث المسلسلة بمثابة الاتصال بالرسول ﷺ والانتساب إليه وإلى السلف الصالح.

ووضح الشيخ السنوسي في بداية الكتاب أهمية هذه الأحاديث إذ وصفها بأنها من أجّل المسموعات وأفضل المرويات، بيد أنني لاحظت على هذه الأحاديث أنها تخدم المعتقدات الصوفية بالدرجة الأولى، لأن الرواية فيها

---

(1) – المسلسل بفتح السين المهملة، والتسلسل في اللغة اتصال الشيء بعضه ببعض، وفي الاصطلاح : قال ابن جماعة : ما اتفق رواته على صفة أو حالة أو كيفية، وإن شئت فقل ما توارد رجال إسناده واحدا فواحدا حالة واحدة سواء كانت الصفة للرواية أو الإسناد، وسواء كان ما وقع فيه الإسناد متعلقا بصفة الأداء أو متعلقا بزمن الرواية أو مكانها، وسواء كانت الصفة الرواة قولا أو فعلا أو قولا وفعلا معًا. ينظر : مُحَمَّد مُحَمَّد السماحي، مرجع سابق، ص4.

(2) – مثلًا، المسلسلات العشرة، من فهرس أبي سالم العياشي، يرويها الكتاني بأعمالها عن الشيخ فالح عن الشيخ السنوسي، ويرويها نازلًا عن الشهاب العطار عن شرف الدين بن مُحَمَّد سزن الفيشاوري الهندي بمكة عام 1305هـ عن السيد عبد المتعال بن الشيخ سيدي أحمد بن إدريس. ينظر : عبد الحي الكتاني، مرجع سابق، ج2، ص664.

(3) – الإسناد هو رفع الحديث إلى قائله. ينظر : مُحَمَّد بن علي السنوسي، **مقدمة مُوَطَّأ الإمام مالك** ﷺ، مرجع سابق، ص56.

(4) – السند : هو الإخبار عن طريق المتن. ينظر : نفسه، ص56. والسند : المراد به عند المحدثين حكاية رجال الحديث الذين رووه واحدًا عن واحد إلى رسول الله ﷺ. ينظر : نور الدين عتر، مرجع سابق، ص33.

(5) – أنواع المسلسل لا تنحصر، ذكرها الحاكم منها التشبيك باليد، وألّف فيها السيوطي المسلسلات الكبرى وهي خمسة وثمانون حديثًا. ينظر : مُحَمَّد مُحَمَّد السماحي، مرجع سابق، ص ص284، 285.

تهتم بسلسلة الشيوخ أكثر من المتن[1] نفسه، وذلك كنوع من أخذ البركة رغم ما فيها من ضعف[2]، وكما هو معلوم يولي الطرقيون احترامًا كبيرًا للشيوخ قولًا وعملًا، ويتشّبتون بأذكارهم بكل قوة حتى عُدَّت إرثًا دينيًا ورمزًا روحيًا يتوارثه جيلٌ بعد جيلٍ، ولا يمكن التنازل عنه إلى درجة القداسة.

ويسرد الشيخ السنوسي أغلب هذه الأحاديث المسلسلة عن شيخه أحمد بن إدريس[3]، ويستهل الكتاب بمقدمة، ذكر فيها عدد الأحاديث المسلسلة التي وصلته وهي حوالي مائتين، ورد أغلبها في فهرسة الشموس، واقتصر على عشرة منها فقط[4]، وعدد الأحاديث المسلسلة التي وصلت إلى السنوسي كثيرة كما عرفنا، وقد يتساءل البعض حول أسباب اختياره عشرة أحاديث دون غيرها[5]، وقد أجاب هو بنفسه على هذا التساؤل، حيث قال بأن ذلك بغرض الاختصار وطيًا للإنتشار، والأحاديث العشرة المسلسلة الواردة في هذا الكتاب نسرها كما يلي :

1-1-2-1- الحديث الأول "المسلسل بالأولية" :

دأب العلماء على تقليدٍ لطيفٍ، وهو أن يكون هذا الحديث "المسلسل بالأولية" أول حديث يتلقاه الطالب من شيخه في رحلته لطلب علم الحديث، وهذا معنى المسلسل بالأولية.

---

(1) – المتن : هو ما ينتهي إليه غاية السند من ألفاظ الحديث، وإنما سمي متنا إما لأنه مأخوذ من المماتنة، وهي الباعدة في الغاية، لأنه غاية السند، أو من قولهم متنت الكبش إذا شققت جلده بيضته واستخرجتها، فظهرت بعد إخفاء، وكذلك راوي الحديث بسنده فإنه يبرزه على حقيقته بعد أن كان مختفيا غير ظاهر. ينظر : مُحَمَّد مُحَمَّد السماحي، مرجع سابق، ص4.

(2) – المسلسلات على الرغم من عذوبة وقعها قلما تسلم رواية التسلسل فيها من ضعف، وإن صح أصل الحديث. ينظر : نور الدين عتر، مرجع سابق، ص357.

(3) – للشيخ أحمد بن إدريس ابن اسمه عبد المتعال له إسناد في المسلسلات العشرة، حيث قال الكتاني : « المسلسلات العشرة المنتخبة من فهرس أبي سالم العياشي، انتخاب الحافظ مُحَمَّد بن علي السنوسي المكي ...، وأرويها نازلا عن الشهاب العطار عن شرف الدين بن مُحَمَّد غزن الفيشاوري الهندي بمكة عام 1305هـ عن السيد عبد المتعال ابن الشيخ احمد بن إدريس ... ». ينظر : عبد الحي الكتاني، مرجع سابق، ج2، ص664.

(4) – مُحَمَّد بن علي السنوسي، **المسَلسَلات العشْرةِ في الأحَاديث النّبوية على صاحِبها أفضلُ الصّلاة وأتم التّسليم**، مرجع سابق، ص ص7-12.

(5) – جمع العلماء الأحاديث المسلسلة في مصنفات، منها كتاب للسخاوي فيه مائة حديث، وجمعها العلامة المحدث عبد الباقي الأيوبي (ت 1364) في كتاب سماه "المناهل السلسة في الأحاديث المسلسلة" فبلغ 212 حديثًا. ينظر : نور الدين عتر، مرجع سابق، ص358.

والحديث المسلسل بالأولية هو حديث الرحمة، حيث قال رسول الله ﷺ : ((الراحمون يرحمهم الرحمن تبارك وتعالى. ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء))[1]، وحسب السنوسي فهو حديث حسن عال أخرجه البخاري في الكنُىَ والأدب المفرد[2]، وقد رواه عن جماعة من الشيوخ من أجلهم – كما قال – الشيخ أبو حفص عمر بن عبد الرسول العطار المكي[3]، ومن سند آخر عن طريق مُحَمَّد بن مُحَمَّد بن عبد السلام الدرعي، وغيره. وبرر الشيخ السنوسي البداية بهذا الحديث، بأن رحمة الله سبقت غضبه، وفعلًا فإن الرحمن اسم من أسماء الله الحسنى، كما أن رحمته وسعت كل شيء،كما ورد في القرآن الكريم : ﴿ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ ﴾[4].

وسرد الشيخ السنوسي رأي أبي سالم العياشي[5]، والذي نصح طالب العلم بأن يرحم نفسه أولًا، وذلك بالتقوى واتباع أوامر الله تعالى واجتناب نواهيه، وأضاف – أي أبي سالم العياشي – بأن لا يقف المرء عند هذا الحد بل يرحم غيره أيضًا، وذلك بتقديم النصيحة للعام والخاص، ويرحم المبتلى والمعافى، ويشفق على القريب والبعيد، وأكد أيضًا أن النصيحة تُعدُّ من أصول الدين[6]، والجدير بالإشارة، رغم أن أبا سالم العياشي[7] اشتهر كرحالة، إلا أنه يعد أحد الأسانيد الرئيسية التي اعتمد عليها الشيخ السنوسي في رواياته المتعددة.

---

[1] – حديث "الراحمون يرحمهم الرحمن" : حديث عبد الله بن عمر مرفوعًا. يصح التسلسل فيه بالأولية من أول السند إلى سفيان بن عيينة، وينقطع هذا التسلسل بين سفيان ومن فوقه إلى النبي ﷺ. ينظر : نور الدين عتر، مرجع سابق، ص357.

[2] – مُحَمَّد بن علي السنوسي، **المسلسلات العشرة في الأحاديث النبوية على صاحبها أفضل الصلاة وأتم التسليم**، مرجع سابق، ص10.

[3] – يجب أن لا نخلط مع أبي حفص العطار والذي لم يعاصره لأنه سبقه بقرون، وقد ذكره أحمد بابا التنبكي في مصنفه "كفاية المحتاج من ليس في الديباج". ينظر : أحمد بابا التنبكتي، مرجع سابق، ص225.

[4] – سورة الأعراف : الآية 156.

[5] - وصفه كما يلي : ((شيخ شيوخ مشايخنا)). ينظر : مُحَمَّد بن علي السنوسي، **المسلسلات العشرة في الأحاديث النبوية على صاحبها أفضل الصلاة وأتم التسليم**، مرجع سابق، ص8.

[6] – نفسه، ص8.

[7] – العياشي : نسبة إلى آيت عياش، وهي قبيلة من البربر، تتاخم بلادهم الصحراء من أحواز سجلماسة ... قاله الشيخ المسناوي في كتابه ((جهد المقل القاصر))، وهو رحالة المغرب الإمام العلاّمة مسند صقعه في عصره أبو سالم عبد الله بن مُحَمَّد بن أبي بكر العياشي الذي قال عنه الأفراني : ((أحد من أحيا الله بهم طريق الرواية بعد أن كانت شمسها على أطراف النخيل، وجدّد من فنون الأثر كلَّ رسم محيل))، ا هـ. المتوفي ضحوة يوم الجمعة 18 ذي القعدة عام 1090 بالطاعون عن 53 سنة وأشهر، لأن ولادته كانت على ما قيده بخطه سنة 1037. له فهارس. قال عنه حفيده أبو عبد الله مُحَمَّد بن حمزة بن أبي سالم : ((كان كلفاً بالرواية مستريحاً إليها من أثقال الدراية، ...)). ينظر : عبد الحي الكتاني، مرجع سابق، ج2، ص ص832-835.

1-1-2-2- الحديث الثاني "المسلسل بالمصافحة" :

يعتقد السنوسي بصحة حديث رسول الله ﷺ : ((من صافحني أو صافح من صافحني إلى يوم القيامة دخل الجنة))، بينما يشكك آخرون[1]، وقد روى الشيخ السنوسي هذا الحديث عن وجود عديدة منها : عن الشيخ الجمال العجمي الذي صافحه العارف بالله الشيخ الدردير[2]، وتتواصل المصافحة لتصل إلى الصحابي أبي سعيد الحبشي، وتنتهي في الأخير بمصافحة النبي ﷺ الذي قال : ((من صَافحني أو صافحَ مَن صافَحني إلى يوم القيامة، دَخَلَ الجنَّة))[3]. وروى السنوسي أيضًا حديث المصافحة عن الشيخ ابن عبد السلام الناصري الدرعي عن عبد السلام بناني الفاسي عن أبي سالم العياشي[4]، وأكد أن ما بين العياشي والرسول ﷺ اثنا عشر شيخا، أعلاهم سندًا الشيخ المعمر الذي صافح الرسول ﷺ[5]، لذلك من المفروض أن يكون هذا الشيخ صحابيًا.

ومن إسناد آخر، روى الشيخ السنوسي هذا الحديث بالمصافحة الخضرية عن شيخه أبي العباس العرائشي، عن أبي المواهب التازي، عن الشيخ الدباغ، عن أبي العباس الخضر، عن الرسول ﷺ[6]، أي أن بين السنوسي والرسول ﷺ ثلاثة شيوخ فقط، إضافة إلى الخضر ليصبح العدد أربعة.

1-1-2-3- الحديث الثالث "المسلسل بالمشابكة" :

روى الشيخ السنوسي هذا الحديث بسند عن أبي سالم العياشي[7]، ويصل سنده الأعلى إلى أبي الحسن الباغوزاوي، والحديث هو : « رأيت رسول الله ﷺ في النوم فشبك أصابعه في أصابعي، وقال : يا علي شابكني،

---

(1) – حديث باطل موضوع، وممن شان مسلسلاته بها مُحَمَّد بن علي الجغبوبي في مسلسلاته العشرة. ينظر : ملتقى أهل الحديث، http:www.al-maktaba.org، 05-10-2008، الحجم 15 ko، ص216، الساعة 04:18، (زيارة الموقع يوم 2024/02/29م، الساعة 19:05).

(2) – الدردير (1127-1201هـ/1715-1786م) : أحمد بن مُحَمَّد بن أحمد العدوي، أبو البركات الشهير بالدردير. فاضل من فقهاء المالكية، ولد في بني عدي بمصر وتعلم بالأزهر، توفي بالقاهرة. من كتبه "أقرب المسالك لمذهب الإمام مالك"ط. ومنج القدير. مجلدان في شرح مختصر خليل. وتحفة الإخوان في علم البيان. ينظر : خير الدين الزركلي، مرجع سابق، ج1، ص244.

(3) – مُحَمَّد بن علي السنوسي، **المسلسلات العشرة في الأحاديث النبوية على صاحبها أفضل الصلاة وأتّم التسليم**، مرجع سابق، ص11.

(4) – نفسه، ص ص7-12.

(5) – نفسه، ص12.

(6) – نفسه، ص13.

(7) - وصفه كما يلي : ((شيخ شيوخ مشايخنا)). ينظر : نفسه، ص8.

فمن شابكني دخل الجنة، ومن شابك من شابكني دخل الجنة "، وعندما استيقظ وجد أصابعه في أصابع رسول الله ﷺ [1]، والجدير بالإشارة فإن بعض العلماء يشككون في صحة حديث المشابكة هذا[2].

1-1-2-4- الحديث الرابع "المسلسل بالضيافة على الأسودين التمر والماء" :

روى الشيخ السنوسي هذا الحديث عن شيخه أبي العباس العرائشي وهو طبعًا أستاذه أحمد بن إدريس، ويصل سنده إلى علي بن أبي طالب الذي قال : أضافني رسول الله ﷺ على الأسودين التمر والماء، والضيافة على التمر والماء لها أجر عظيم عند الصوفية، وأشار السنوسي بأن رسول الله ﷺ قال أن المرء يثاب عليها، وتختلف درجة ثوابها حسب عدد المضيفين، وأضاف أن الأجر يساوي كمن صلّى وصام وحجّ واعتمر إلى يوم القيامة[3].

وللتمر والماء فوائد جمة، وكان الرسول ﷺ وأصحابه يعيشون عليهما شهورا[4]، واتخذ الزهاد والمتصوفة منهما سلوكا ومنهجا، أي التقشف والتقرب إلى الله بقلة الغذاء والاكتفاء بالأسودين، حيث يتركون ملذات الدنيا من أكل وشرب، وفي المقابل يفضلون تربية النفس على الجوع والتعود على الصبر اقتداءً بسنة الرسول ﷺ.

1-1-2-5- الحديث الخامس "المسلسل بتلقين الذكر" :

يتمثل تلقين الذكر في "كلمة الإخلاص"، وقال السنوسي أن جماعة لقنوه إياها منهم أبو العباس العرايشي[كذا] وأبو عبد الله بن المهل المازوني[5]، ولم يوضح المقصود من كلمة الإخلاص هذه، ولم يذكر عدد أذكارها أو أوقاتها أو غيرها، إلا أننا فهمنا من سياق كلامه أنه يقصد بها كلمة التوحيد وهي "لا إله إلا الله".

1-1-2-6- الحديث السادس "المسلسل بمناولة السبحة" :

تعتبر السبحة من أبرز وسائل الذكر عند المتصوفة، رغم ما وقع عليها من خلاف مع السلفية حول بدعيتها، وقال الشيخ السنوسي أن حديث السبحة أخبره به عدد من الشيوخ، وكلهم بأسانيد عن العياشي، غير أن سنده

---

[1] – مُحَمَّد بن علي السنوسي، **المسلسلات العشرة في الأحاديث النبوية على صاحبها أفضل الصلاة**، مرجع سابق، ص15.

[2] – حديث باطل موضوع. ينظر : ملتقى أهل الحديث، مرجع سابق، ص216.

[3] – مُحَمَّد بن علي السنوسي، **المسلسلات العشرة في الأحاديث النبوية على صاحبها أفضل الصلاة**، مرجع سابق، ص17.

[4] – قال أبو هريرة : ما كان لنا على عَهْدِ رسول الله ﷺ طَعَامٌ إلا الأسودين : التمر والماء. ينظر : أحمد بن حنبل، مرجع سابق، ج13، ص342.

[5] – مُحَمَّد بن علي السنوسي، **المسلسلات العشرة في الأحاديث النبوية على صاحبها أفضل الصلاة**، مرجع سابق، ص18.

العالي لا يصل إلى الرسول ﷺ، بل يتوقف عند الحسن البصري[1]، وباعتبار البصري تابعي فإن هذا النوع من الحديث يسمى عند المحدثين بِ : "الحديث المقطوع"[2].

وتقوم السبحة مقام أصابع اليد في الذكر[3]، وقد اختلف الفقهاء في شرعيتها حيث قيل بأنها بدعة لم تثبت عن الرسول ﷺ، غير أن الشيخ السنوسي يرى بأنها من السنة، ويستدل بالحسن البصري الذي أكد وجودها في عهد الصحابة حيث قال : « هذا شيء استعملناه في البدايات »[4]، وللعلم يعتبر الحسن البصري من التابعين لكنه يعد من أبرز شخصيات صدر الإسلام، لأنه عاصر عدة صحابة وروى عنهم، وهذا ما أكده السنوسي حيث ذكر بأنه ولد لسنتين بقيتا في خلافة عمر ﷺ ورأى عثمان وعليا وطلحة وأبا موسى وابن عباس وغيرهم، ومهما يكن من أمر فإن الحسن البصري يعدُّ من القرون الثلاثة الأولى التي فضَّلها الرسول ﷺ، وذكر السنوسي عدد من المشايخ كلهم نصحوا بمداومة الذكر منهم الشيخ إبراهيم التازي والشيخ زروق، واعتبر أن أفضل عبارات الذكر هي كلمة التوحيد "لا إله إلا الله"[5].

1-1-2-7- الحديث السابع "المسلسل بقوله: ((أشهد بالله، وأُشهد الله))" :

وصل هذا الحديث إلى الشيخ السنوسي بواسطة إجازة من الشيخ عبد القادر بن الشيخ جلال الدين بن الشيخ شمس الدين المحلي، وهو إمام خطيب بالجامع الأزهر في القاهرة، ويصل سنده إلى علي بن أبي طالب ﷺ

---

[1] – الحسن بن يسار البصري، أبو سعيد(21-110هـ = 642-728م) : تابعي، كان إمام أهل البصرة، وحبر الأمة في زمنه، وهو أحد العلماء الفقهاء الفصحاء الشجعان النساك، ولد بالمدينة، وشبَّ في كنف علي بن أبي طالب. قال الغزالي : كان الحسن البصري أشبه الناس كلامًا بكلام الأنبياء، وأقربهم هديًا من الصحابة. وكان غاية في الفصاحة، وله كلمات سائرة وكتاب في ((فضائل مكة-خ)) بالأزهرية، توفي بالبصرة. ينظر : خير الدين الزركلي، مرجع سابق، ج2، ص226.

[2] – المقطوع : عرفه السنوسي كما يلي : هو الموقوف على التابعي، قولا أو فعلا، متصلا كان أو منقطعا، وليس بحجة. ينظر: مُحَمَّد بن علي السنوسي، **مقدمة مُوَطَّأ الإمام مالك** ﷺ، مرجع سابق، ص58. والسند تارة ينتهي إلى الرسول ﷺ، وتارة ينتهي للصحابي، وتارة ينتهي إلى التابعي. فالأول هو المرفوع، والثاني هو الموقوف، والثالث هو المقطوع. ينظر : مُحَمَّد مُحَمَّد السماحي، مرجع سابق، ص8.

[3] – من شروط الذكر السبعة في الطريقة السّنوسية استعمال المسبحة. ينظر:

Depont Octave et Xavier Coppolani, op.cit, p 554.

[4] – مُحَمَّد بن علي السنوسي، **المسلسلات العشرة في الأحاديث النبوية على صاحبها أفضل الصلاة وأتم التسليم**، مرجع سابق، ص20.

[5] – نفسه، ص ص20، 21.

الذي قال : أشهد بالله، وأُشهد الله، لقد حدثني به رسول الله ﷺ، قال : ((أشهد بالله، وأُشهد الله، لقد حدثني جبريل (عليه السلام)، قال : يا مُحَمَّد، إن مدمن الخمر كعابد وثن))[1].

1-1-2-8- الحديث الثامن "المسلسل بقوله: ((ويده على كتفي))" :

يروي الشيخ السنوسي هذا الحديث بالسند عن أبي سالم العياشي، ويصل سنده إلى علي بن أبي طالب ﷺ، حيث قال : حدثني رسول الله ﷺ ويده على كتفي، قال : حدثني جبريل ويده على كتفي، قال سمعت إسرافيل يقول: سمعت القلم يقول : سمعت اللوح يقول : سمعت الله عز وجل يقول من فوق العرش يقول للشيء كن فلا تبلغ الكاف النون حتى يكون ما يكون[2].

1-1-2-9- الحديث التاسع "المسلسل بقولهم: ((إني أحبك))" :

أخبر جماعةٌ من المشايخ السنوسي بهذا الحديث سماعا وإجازة[3]، ويعود أصل سنده إلى معاد بن جبل ﷺ، حيث قال : ((قال لي رسول الله ﷺ : يا معاذ بن جبل، إني أحبك، فقل : اللهم أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك))[4].

وأكد الشيخ السنوسي أن سند هذا الحديث طويلٌ، وقال بأنه مشهور في فهرس "المنح"[5]، ومضمون الحديث -كما يُلاحظ - عبارة عن نصيحة قدّمها الرسول ﷺ لمعاد كتعبير عن حبه له، ويتمثل في ذكر الله تعالى وشكره وحسن عبادته.

1-1-2-10- الحديث العاشر "المسلسل بقراءة سورة الصف" :

أخبر جماعةٌ من المشايخ السنوسي بهذا الحديث الذي يصل سنده إلى عبد بن سلام الذي قال : ((قعدنا نفرا من أصحاب رسول الله ﷺ فتذاكرنا فقلنا : لو نعلم أي الأعمال أحب إلى الله عز وجل لعلمناه، فأنزل الله

---

[1] - مُحَمَّد بن علي السنوسي، **المسلسلات العشرة في الأحاديث النبوية على صاحبها أفضل الصلاة وأتم التسليم**، مرجع سابق، ص ص22، 23.

[2] - نفسه، ص24.

[3] - أسانيدهم متقدمة إلى ابن الجزري. ينظر : نفسه، ص25.

[4] - نفسه، ص25.

[5] - نفسه، ص25.

سبحانه وتعالى : ﴿ سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ۝١ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴾[1]، حتى ختمها))[2].

1-1-3- مقدمة مُوَطَّأ الإمام مالك ﷺ :

كتاب في الفقه[3]، بدأ الشيخ السنوسي في تأليفه بمكة في أول محرم سنة 1267هـ[4] أي ما يوافق سنة 1850م، وقال بأنه أخذ الموطأ بواسطة خمسة طرق : سماعًا وعرضًا وإجازةً ومناولةً ومراسلةً، وذلك عن طريق شيوخ مغاربة ومشارقة نذكر منهم : بالنسبة للمغاربة : أبو عبد الله مُحَمَّد بن عامر المعداني، وابن عبد السلام الناصري، وهما بدورهما أخذا عن العلامة التاودي بن سودة، ومُحَمَّد بن الحسن البناني، أما المشارقة : منهم عبد الحفيظ العجيمي مفتي مكة وقاضيها[5]، وأبي حفص عمر بن عبد الرسول العطار، وغيرهما.

وألّف الشيخ السنوسي هذا الكتاب لطلابه لكي يعرفهم بمالك ومناقبه، ويشرح لهم الفقه المالكي بأسلوبٍ بسيطٍ لكن غزيرٌ بالمعلومات، وقسّم الكتاب إلى مقدمة وبابين وخاتمة، وذكر في المقدمة بدايات تدوين الأحاديث النبوية، وقال بأن ذلك لم يكن في عهد الصحابة خشية أن يخلط بعضها بالقرآن الكريم، وإنما حدث في أواخر عصر التابعين، وقال أن أول من أمر بتدوين الحديث وجمعه في كتاب هو عمر بن عبد العزيز[6]، وعن أسباب تدوين الحديث ذكر ما يلي : انتشار الإسلام في عدة مناطق، واتساع الأمصار، وتفرق الصحابة وأتباعهم في الأقطار، وكثرة الفتوحات الإسلامية، ووفاة معظم الصحابة وبعض الأتباع، وقلة الضبط واتساع الخرق، والإلتباس

---

[1] – سورة الصف : الآيتين 1، 2.

[2] – مُحَمَّد بن علي السنوسي، **المسلسلات العشرة في الأحاديث النبوية على صاحبها أفضل الصلاة وأتم التسليم**، مرجع سابق، ص26.

[3] - الفقه لغةً : هو العلم بالشيء والفهم، واصطلاحًا له معنيان : عند الأصوليين هو العلم بالأحكام الشرعية الفرعية، أما عند الفقهاء هو حفظ الفروع والعلم بالأحكام الشرعية الفرعية التي توصف بها أفعال العباد والمكلفين. ينظر : حسن أحمد الخطيب، **الفقه المقارن**، دب، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1991، ص ص12-50.

[4] – مُحَمَّد بن علي السنوسي، **مقدمة مُوَطَّأ الإمام مالك ﷺ**، مرجع سابق، ص68.

[5] – قال السنوسي : « ... أخذت عنه (ﷺ) موطأ الامام مالك رحمه الله سماعا لبعضها وإجازة لباقيها عن شيخه المفتي عبد الملك المكي... ». ينظر : مُحَمَّد بن علي السنوسي، **المنهل الروي الرائق في أسانيد العلوم وأصول الطرائق**، مرجع سابق، ص17.

[6] – مُحَمَّد بن علي السنوسي، **مقدمة مُوَطَّأ الإمام مالك ﷺ**، مرجع سابق، ص8.

بين الحق والباطل، وحاجة العلماء إلى حديث مدون بالكتابة وليس الحفظ في القلوب، وكثرة الابتداع من الخوارج والروافض ومنكري الأقدار[1].

وسرد السنوسي في الباب الأول أقوال العلماء والفقهاء في مدح الموطأ، منهم فقهاء المالكية : مثل القاضي عياض، وابن عبد البر، ويحي بن يحي الليثي، وغيرهم، وفقهاء الشافعية : كالإمام الشافعي، والسيوطي، وابن حجر العسقلاني، وغيرهم[2]، واجتمعت كلها على مدحه والثناء عليه[3]، وأكد على أهميته للناس فقال : « فأما الناس في مدحه : فأعلم أن كتاب (الموطأ) لإمام دار الهجرة المجمع على جلالته من أجل المصنفات، وأنفس المؤلفات »[4]، وعن مقارنة الموطأ بصحيح البخاري[5]، قال السنوسي : « قال القاضي أبو بكر بن العربي في شرح الترمذي : ((الموطأ هو الأصل الأول والباب، وكتاب البخاري هو الأصل الثاني في هذا الباب، وعليهما بنى الجميع، كمسلم والترمذي)) »[6].

وأكد السنوسي أن مالكًا ألف الموطأ في مدة أربعين عامًا، وعن مضمونه ذكر ابن اللبان أن مالكًا روى مائة ألف حديث، جمع منها في الموطأ عشرة آلاف، ثم عرضها على الكتاب والسنة فرجعت خمسمائة[7]، ومن كراماته أنه لما أكمله ألقاه في الماء فلم يبتل منه شيئًا، وأورد السنوسي ما روي في الموطأ من بشائر[8]، وذكر سبب تسميته بِ : "الموطّأ"[9]، مبينًا قول ابن فهد : "لم يسبق مالكا أحد إلى هذه التسمية، فإن من ألف في زمانه، بعضهم

---

(1) – مُحَمَّد بن علي السنوسي، **مقدمة مُوَطَّأ الإمام مالك** ﷺ، مرجع سابق، ص ص7، 8.

(2) – نفسه، ص ص13-28.

(3) – قال الإمام الشافعي ﷺ : "ما على ظهر الأرض كتاب بعد كتاب الله أصح من كتاب مالك"، وفي لفظ : ((ما بعد كتاب الله أنفع من الموطأ)) ... ينظر : نفسه، ص21.

(4) – نفسه، ص13.

(5) – الموطأ : أول كتب الصحيح وجودًا بغير المرفوع من أقوال الصحابة والتابعين، فلم يكن مجردًا للحديث المرفوع بل ممزوجًا بغيره، أما الجامع الصحيح للإمام البخاري : هو أول مصنف للحديث الصحيح المجرد، لأن البخاري ميز أقوال الصحابة والتابعين، فلم يوردها في سياق واحد مع الحديث المرفوع. ينظر : نور الدين عتر، مرجع سابق، ص251.

(6) – مُحَمَّد بن علي السنوسي، **مقدمة مُوَطَّأ الإمام مالك** ﷺ، مرجع سابق، ص13.

(7) – نفسه، ص13.

(8) – منها ما قاله مُحَمَّد بن أبي السري العسقلاني، حيث قال: « رأيت رسول الله في النوم، فقلت يا رسول الله: حدثني بعلم أحدث به عنك، فقال لي النبي : إني قد أوعزت لمالك بكنز يفرقه عليكم ... ». ينظر : نفسه، ص19.

(9) – قال مالك : « عرضت كتابي هذا على سبعين فقيهًا من فقهاء المدينة، فكلهم واطأني عليه فسميته (الموطأ) ». ينظر : نفسه، ص16.

سمي بالجامع، وبعضهم بالمصنف"، وأضاف بأن لفظة الموطأ تعني الممهد والمنقح[1]، وذكر السنوسي أيضًا سبب تأليف مالك لمصنفه، وهو طلب أبي جعفر المنصور منه ذلك لأنه لم يجد من هو أعلم منه، وذكر السنوسي أصحاب مالك الذين رووا عنه وركز على رواية الغافقي[2]، وأما من روى عنهم مالك كثيرون وعددهم حوالي تسعمائة شيخ[3].

وفي الباب الثاني، عرَّف الشيخ السنوسي بالإمام مالك بن أنس، وقال بأنه من تابع التابعين على الأصح[4]، عكس ما قيل بأنه من التابعين[5]، وذكر نسبه ومولده[6]، والشيوخ الذين أخذوا عن الموطّأ[7]، وثناء الناس والعلماء عليه[8]، وسبب محنته[9]، وهيبته ووقاره[10]، ووفاته[11]. وفي آخر هذا الباب عرّج الشيخ السنوسي على مرض الإمام مالك، وقال بأنه ندم إلى درجة البكاء[12]، وذكر أيضًا المأثور من أقواله، منها رواية ابن عبد البر بسنده إلى معن بن عيسى قال : سمعت مالك بن أنس يقول : إنما أنا بشر أخطئ وأصيب، فانظروا في رأيي، فكل ما وافق الكتاب والسنة فخذوه، وكل ما لم يوافق الكتاب والسنة فاتركوه.

---

(1) – مُحَمَّد بن علي السنوسي، **مقدمة مُوَطَّأ الإمام مالك** ﷺ، مرجع سابق، ص16.

(2) – ذكر اثني عشرة رواية عن أصحاب مالك مثل ابن وهب وابن القاسم وغيرهما. ينظر : نفسه، ص23.

(3) – ثلاثمائة من التابعين، وستمائة من تابعيهم. ينظر : نفسه، ص27.

(4) – نفسه، ص31.

(5) – قال ابن سعد في الطبقة السادسة : إن مالك بن أنس من تابعي أهل المدينة. ينظر : نفسه، ص31.

(6) – اختلف في عام مولده : قيل 93هـ، و91هـ، و90هـ، و94هـ، و97هـ. ينظر : نفسه، ص ص30، 31.

(7) – في كتاب جمعه الدارقطني، بلغ عددهم نحو ألف رجل. ينظر : نفسه، ص33.

(8) – مثلًا، قال ابن عبد البر بسنده إلى سفيان بن عيينة في قوله ﷺ : ((يوشك أن يضرب الناس أكباد الإبل في طلب العلم، فلا يجدون عالما أعلم من عالم أهل المدينة، أنه قال : أظنه مالك بن أنس ...)). ينظر : نفسه، ص35.

(9) – سبب محنة مالك هي أن أبا جعفر المنصور نهى مالكا عن الحديث "ليس على مستكره طلاق"، ثم دس إليه من يسأله عنه، وحدث به على رؤوس الناس، فضربه بالسياط، وكان مالكًا إذا قام من مجلسه يحمل يده اليمنى أو يده اليسرى بالأخرى. ينظر : نفسه، ص44.

(10) – قال الشافعي ﷺ : كان مالك شديد الهيبة، كثير الصمت، لا يكاد يتكلم إلا أن يسأل، وربما سئل فصمت كثيرا، حتى يتوهم السائل أنه لايحسن، ثم يجيبه بعد مدة ... ينظر : نفسه، ص38.

(11) – توفي يوم الأحد 12 ربيع الأول 179هـ. ينظر : نفسه، ص47.

(12) – كتب السنوسي : "وحكى الحميدي في كتاب جذوة المقتبس، قال : حدثني القعنبي، قال : دخلت على مالك بن أنس ﷺ في مرضه الذي مات فيه ... فرأيته يبكي، فقلت يا أبا عبد الله، ما الذي يبكيك؟ فقال : ... والله لوددت أني ضربت بكل مسألة أفتيت برأيي فيها بسوط سوط ... ". ينظر : نفسه، ص50.

وختم الشيخ السنوسي كتابه بتوضيح أقسام علم الحديث كالمتواتر والمرفوع والمشهور والصحيح وغيرها[1]، شارحًا ومعرفًا كل نوع بكل دقة، وأشار إلى أن أهل الاختصاص اعتبروا السنن مضافة إلى النبي ﷺ قولًا وفعلًا وتقريرًا وصفةً[2]. وعن الإمام مالك، فقد عدّد العوامل التي ساعدته على التفقه في الدين أبرزها : طول العمر، وعلو الرواية، والفهم الثاقب، وإتباعه السنن، وتقديسه للحديث، وتقدمه في الفقه والفتوى، وصحة قواعده.

وخلاصة القول، أثنى الشيخ السنوسي كثيرًا على مالك، وميزه عن بقية الأئمة، حيث قال بأنهم أخذوا عنه بمن فيهم أبي جنيفة[3]، وعزز رأيه بسرد شهادة النووي الذي قال : « قد اجتمعت طوائف العلماء على إمامة مالك وجلالته، وعظم سيادته وتبجيله وتوقيره، والإذعان له في الحفظ والثبات، وحديث رسول الله ﷺ، فقد جمع بين شرفي الحديث والفقه، فهو إمام الأئمة وشيخهم، وقد روى عنه سائر الأئمة خصوصا الأربعة، أما أبو حنيفة فبلا واسطة، فقد حكى غير واحد أنه لقي مالكا وأخذ عنه »[4].

وفي الأخير، نسرد قصيدة عصماء ذكرها الشيخ السنوسي في هذا الكتاب، وهي من نظم سعدون الورجي، تمدح إمام دار الهجرة ومذهبه وكتابه "الموطأ"، جاء فيها :

أقول لمن يروي الحديث ويكتب ... ويسلك سبل الفقه فيه ويطلب
إذا شئت أن تدعى لدى الخلق عالما ... فلا تعد ما تحوى من الكتب يثرب
أتترك دارا كان بين بيوتها ... يروح ويغدو جيبرائيل المقرب؟
ومات رسول الله فيها وبعده ... بسنته أصحابه قد تأدبوا
وفرق شمل العلم في تابعيهم ... وكا امرئ منهم له فيه مذهب

---

[1] – قال السنوسي : « ... والمقصود منها ها هنا ما يتعلق منها بخصوص الكتاب من متن، وإسناد، ومسند، ومرفوع، ومتواتر، ومشهور، وصحيح، وحسن، وضعيف، وموقوف، ومقطوع، ومنقطع، ومعلق، واعتبار، وفرد، ومتابعة، وشاهد ». ينظر : مُحَمَّد بن علي السنوسي، **مقدمة موطأ الإمام مالك** رضي الله عنه، مرجع سابق، ص55.

[2] – نفسه، ص ص55-68.

[3] – كان الشافعي تلميذ مالك، لذلك قال السنوسي : "أمره مشهور معه، حتى قال ابن الأثير: كفى مالكا شرفا أن الشافعي تلميذه، وكفى الشافعي شرفًا أن مالكا شيخه "، وبالنسبة للإمام أحمد فقد كان تلميذ الشافعي، أي أن مالكا شيخه بواسطة، أما الإمام أبو حنيفة طرح السنوسي إشكالية السن، لأن أبا حنيفة أكبر من مالك، لكن اعتبرها أمرا عاديا، وبرر ذلك بأن لا غرابة في أخذ الأكابر عن الأصاغر، وعلل ذلك بأن أبا حنيفة نفسه أخذ عنه ممن هم أكبر منه مثل ابن شهاب الزهري وربيعة وغيرهما. ينظر : نفسه، ص ص31، 32.

[4] – نفسه، ص31.

فخلصه بالسبك للناس مالك ومنه صحيح في الجليس وأجرب
فأبرى بتعميم الرواية داءه وتصحيحها فيه دواء مجرب
ولو لم يلح نور الموطأ لمن سرى بليل عماه ما درى أين تذهب
فبادر موطأ مالك قبل فوته فما بعده إن فات للحق مطلب
ودع للموطأ كل علم تريده فإن الموطأ الشمس والعلم كوكب
هو الأصل طاب الفرع منه لطيبه ولم لا يطيب الفرع والأصل طيب؟
هو العلم عند الله بعد كتابه وفيه لسان الصدق بالحق مُعْرِبُ
لقد أعربْتَ آثاره ببيانها فليس لها في العالمين مكذب
ومما به أهل الحجاز تفاخروا بأن الموطأ بالعراق محبب
ومن لم تكن كتب الموطأ ببيته فذاك من التوفيق بيت مخيب
أتعجب منه أن علا في حياته؟ تعاليه من بعد المنية أعجب
جزى الله عنا في موطئه مالكا بأفضل ما يجري اللبيب المهذب
لقد أحسن التحصيل في كل ما روى كذا فعل من يخشى الإله ويرهب
لقد فاق أهل العلم حيًّا وميتًّا فأضحت به الأمثال في الناس تضرب
وما فاقهم إلا بتقوى وخشية وإذا كان لا يرضى في الإله ويغضب
فلا زال يسقى قبره كل عارض بمنفتق ظلت عن الله تسكب[1]

1-1-4- كتاب المسائل العشر المسمى بغية المقاصد في خلاصة المراصد :

يندرج هذا الكتاب في ميدان الفقه والفقه المقارن[2]، ولا نتوخى في هذه الدراسة أن نشرح الجانب الفقهي لأنه ليس تخصصنا، وإنما نحاول أن نبرز بعض خصائصه لفهم مضمونه، حيث لا يمكن فصل معلوماته عن محتواها الديني، ورغم ذلك حاولنا بقدر الإمكان إطفاء الصبغة التاريخية عليها.

إن الفقه الإسلامي عند أهل السنة والجماعة انحصر في المذاهب الفقهية الأربعة : المالكي، والحنفي، والشافعي، والحنبلي، ويتبع الشيخ السنوسي المذهب المالكي إلا أنه كان على دراية بالمذاهب الأخرى وحتى

---

[1] – مُحَمَّد بن علي السنوسي، ، **مقدمة موطأ الإمام مالك** ﷺ، مرجع سابق، ص ص15، 16.

[2] – يراد بالفقه المقارن العلم بالأحكام الشرعية في مختلف الأنواع والأبواب، من حيث معرفة آراء الأئمة والفقهاء والعلماء، ومذاهبهم المتفقة أو المختلفة فيها وبيان أدلتهم وقواعدهم الأصولية ووجهات نظرهم التي كانت منشأ هذا الاختلاف مع سبر هذه الأدلة وموازنة بعضها ببعض، واختيار أقربها إلى الحق وأولاها بالقبول. ينظر : حسن أحمد الخطيب، مرجع سابق، ص ص12-50.

المنقرضة منها –كما مر معنا–، وقد درس وأخذ المذاهب الأربعة على مشايخ أجلاء مشارقة ومغاربة، والمسائل التي استعرضها في مصنفاته واجتهاداته تدل على سعة علمه وتفقهه في الدين. ولا يفوتنا أن نشير إلى أن السنوسي كان عالما بأصول الشريعة الإسلامية الأربعة وهي : الكتاب والسنة والإجماع والقياس، لذلك نجده في كثير من الأحيان عندما يدرس مسألة من المسائل الفقهية يستعرض بكل إسهاب آراء وأقوال الأئمة الأربعة فيها، ويذكر نقاط الخلاف والاتفاق، ولا يكتفي بذلك بل يذكر الراجح منها أيضًا، وهذا هو الفقه المقارن الذي نبغ فيه.

وانتهى الشيخ السنوسي من تأليف مصنفه "كتاب المسائل العشر المسمى بغية المقاصد في خلاصة المراصد" يوم الجمعة 19 جمادى الأول 1264هـ أي ما يوافق عام 1847م[1]، ونسخه عبد الله بن أحمد بن الشفيع العباسي[2]، بينما كان شكري دقيقًا جدًّا حيث حدد تاريخ تأليفه في 23 أبريل 1848م[3]، وكان الشيخ السنوسي حينها موجودا في الحجاز وبالضبط في المدينة المنورة، حيث صرح هو بنفسه بهذا[4]، وقد طبع هذا الكتاب في القاهرة سنة 1357هـ[5]/1938م.

وتضمن الكتاب مقدمة وثلاثة مراصد وخاتمة، وما يلاحظ أن مضمونه لا يتطابق مع عنوانه حيث ورد في الكتاب معلومات غزيرة ومتنوعة ومختلفة أيضًا، والمسائل العشرة التي وردت في العنوان الخاصة بالصلاة خَصّ لها السنوسي مرصدًا واحدًا فقط، بينما أخذت مسألة الاجتهاد والقضاء والفتيا الجزء الأكبر من الكتاب، إضافة إلى معلومات أخرى غير فقهية تضمنتها الخاتمة، وقد برَّر السنوسي ذلك، حيث قال بأن سبب تأليف هذا الكتاب وصوله عدة أسئلة في مواضيع فقهية مختلفة، ولتعميم الفائدة طُلب منه أولا الإجابة باختصار، وفي مرة أخرى طُلب منه جمعها في مصنف واحد، وهذا ما قام به حيث سماه "بغية المقاصد في خلاصة المراصد"[6]، وهذا هو

---

(1) – كان الشيخ أحمد بن إدريس قد أمر السنوسي بتأليف كتاب "المراصد"، ثم اختصر منه "بغية المقاصد في خلاصة المراصد". ينظر : أحمد مُحَمَّد جاد الله وخالد مُحَمَّد الفيتوري، مرجع سابق، ص778.

(2) – مُحَمَّد بن علي السنوسي، **كتاب المسائل العشر المسمى بغية المقاصد في خلاصة المراصد**، مرجع سابق، ص404.

(3) – مُحَمَّد فؤاد شكري، مرجع سابق، ص41.

(4) – قال السنوسي بعد البسملة والتصلية والحمدلة : « فإن من أعظم نعم الله علينا ... ما خولنا به من نعم الحلول بالحرمين الشريفين ... ونحن بالمدينة المنورة، في بعض ما لنا بها من المجاورة، وردت علينا أسئلة عديدة ... وكان أحرصهم على ذلك أنجب عصابة وأعز سرب، من بعض نجباء اليمن وفضلاء الغرب ... إلى أن أتوا على آتي المسائل العشر، طالبن أفرادها بالتأليف ... ». ينظر : مُحَمَّد بن علي السنوسي، **كتاب المسائل العشر المسمى بغية المقاصد في خلاصة المراصد**، مرجع سابق، ص ص5 ، 6.

(5) – مُحَمَّد بن علي السنوسي، **شفاء الصَّدر بِأَري المسائل العشر**، مرجع سابق، ص14.

(6) – مُحَمَّد بن علي السنوسي، **كتاب المسائل العشر المسمى بغية المقاصد في خلاصة المراصد**، مرجع سابق، ص ص5-8.

العنوان الأصلي والشامل والمناسب لمضمون الكتاب[1]، ولا ندري من أين جاءت تسمية "المسائل العشر" ؟!، واحتمال أن تكون رسالة مستقلة أُضيفت إلى الكتاب.

وبعد البسملة والتصلية والحمدلة، استهل الشيخ السنوسي كتابه بمقدمة تضمنت بيان جلالة مقادير السلف، وقد صرّح بأن أغلبها خلاصة من كتاب "رفع الملام عن الأئمة الأعلام"[2]، وهذه من الأمانة العلمية التي اتصف بها، ثم شرح المرصد الأول الذي سماه "في وجوه الهدى بسنن الأئمة الراشدين"، ويتكون من خمسة أبواب مقسمة بدورها إلى فصول، وخص هذا المرصد بشرح الفتوى والقضاء والاجتهاد، واستعرض جملة من المسائل الفقهية عبّرت بصدق عن مكانته العلمية المرموقة وتفقهه في الدين.

وبدأ الشيخ السنوسي بتعريف الفتوى والقضاء لغةً واصطلاحًا، واستشهد بآيات قرآنية دالة وذات صلة، واستعرض أيضًا أقوال العلماء والفقهاء مثل ابن عرفة وابن رشد وابن فرحون وغيرهم، ثم خصَّ الفتوى بشرح مستفيض من حيث أقسام المفتين وشروط الفتيا ونحو ذلك، واستعرض أيضًا بعض فتاوى أئمة المذاهب الأربعة، وبعض نوازل العلماء، وأشار بعد ذلك إلى عدة مسائل فقهية بينت اختلاف الآراء، منها رأي المقري الذي قال : « وسمعت الأبلى يقول : لولا انقطاع الوحي لنزل فينا أكثر مما نزل على بني إسرائيل، لأننا أتينا أكثر مما أتوا، ويشير إلى افتراق هذه الأمة على أكثر مما افترقت عليه بني إسرائيل»[3].

وخصّ الشيخ السنوسي في مصنفه جزءًا كبيرًا لمسألة التقليد والاجتهاد، وأكدّ أن التقليد للعوام، ويكون بأخذ رأي العلماء واتباعهم، واستشهد بقول الله تعالى : ﴿ فَسْئَلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾[4]، وأردف أيضًا رأي الإمام مالك الذي قال بأن على العوام تقليد المجتهدين في الأحكام كما يجب على المجتهدين الاجتهاد في المسائل[5]، لكن من جهة أخرى حذّر الشيخ السنوسي من التقليد إذا كان الحكم مخالفًا لأصول الشريعة حيث قال : « ... وهكذا شأن من جمد على التقليد لأحد الأئمة الأربعة في مسألة خالف ذلك المجتهد أحد

---

[1] – وقفت على عنوان مخطوط يسمى "بغية المقاصد في خلاصة المراصد" رقم 1/1080، نُسِخ بخط مغربي. ينظر : سليمان بن صالح العبيد وآخرون، **مخطوطات مكتبة المسجد النبوي الشريف**: فهرس وصفي، ط1، المدينة المنورة، مكتبة المسجد النبوي الشريف قسم المخطوطات، 2007م، ص ص474، 475.

[2] – مُحَمَّد بن علي السنوسي، **كتاب المسائل العشر المسمى بغية المقاصد في خلاصة المراصد**، مرجع سابق، ص8.

[3] – نفسه، ص103.

[4] – سورة الأنبياء : الآية 7.

[5] – مُحَمَّد بن علي السنوسي، **كتاب المسائل العشر المسمى بغية المقاصد في خلاصة المراصد**، مرجع سابق، ص92.

الأصول المذكورة، وعلم المقلد المذكور أن رأي الإمام المشهور خالف أصول الشريعة فصمم على التقليد فهو كاذب في دعواه التقليد، ومخالف لإمامه، بل هو مخالف للأئمة الأربعة، لأن كل واحد منهم قد حذر أصحابه من مخالفة[كذا] الأصول الشرعية المذكورة، فالأربعة بريئون منه ... »[1]. والشيخ السنوسي مالكي المذهب لكن لا يتبعه في مسائل ثبت ضعف حجته فيها، واستدل برأي القرافي الذي قال بأنه لا يجوز تقليد إمام في مسألة ضعف مدركه فيها ولو لمقلده في غيرها، وأضاف بأن المالكي لا يجوز له تقليد مالك في حكم ضعف مدركه فيه، وإنما يقلده فيما وافق فيه الدليل أو قوي دليله على دليل غيره[2].

ودعا الشيخ السنوسي – في مصنفه هذا – العلماء إلى الاجتهاد وانتقد بشدة تقليدهم[3]، وطالب باستنباط الأحكام من الكتاب والسنة، وعارض صراحة الرأي؛ أي الإجماع، واستعرض جملة من الحج تؤكد ذلك، منها أقوال الأئمة الأربعة أنفسهم، وأكد بأن الرأي خاص بالرسول ﷺ فقط، لأن الله كان يريه الصواب، أما الناس فرأيهم عبارة عن ظن وليس يقينًا[4].

وحسب سياق كلام السنوسي عن الاجتهاد، فهمنا أنه يعارض أيضًا القياس الذي يخالف الكتاب والسنة، واستدل على ذلك بما جاء في الأعلام قائلًا : « والحاصل أن السلف الصالح جميعهم على ذم الرأي والقياس المخالف للكتاب والسنة وأنه لا يحل العمل به لا فتيا ولا قضاء ... »[5]، وأضاف بأن القياس لا يصار إليه إلا عند الضرورة[6].

وسرد الشيخ السنوسي قصيدة نظمها ابن عبد البر يذم فيها التقليد، ويبدي رأيه في أصول الشريعة الإسلامية الأربعة : الكتاب والسنة والإجماع والقياس، جاء فيها :

يا سائلي عن موضع التقليد خذ عني الجواب بفهم لب حاضر
واصغ إلى قولي ودن بنصيحتي واحفظ على بوادري ونادري

---

[1] – مُحَمَّد بن علي السنوسي، **كتاب المسائل العشر المسمى بغية المقاصد في خلاصة المراصد**، مرجع سابق، ص92.

[2] – نفسه، ص92.

[3] – يوافق السنوسي الرأي القائل بأن يمنع التقليد في حق العالم وإن لم يكن مجتهدًا، لأن فيه أهلية المعرفة بخلاف العامي. ينظر : نفسه، ص140.

[4] – نفسه، ص150.

[5] – نفسه، ص ص154، 155.

[6] – نفسه، ص155.

لا فرق بين مقلد وبهيمة تنقاد بين جنادل ودعائر
تبا لقاض أو لمفت لا يرى عالا ومعنى للمقال السائر
وإذا اقتديت فبالكتاب وسنة المـ ـبعوث بالدين الحنيف الطاهر
ثم الصحابة عند عدمك سنة أولاك أهل نهى وأهل بصائر
وكذا إجماع الذين يلونهم من تابعيهم كابرا عن كابر
إجماع امتنا وقول نبينا مثل النصوص لدى الكتاب الزاهر
وكذا المدينة حجة أن اجمعوا متتابعين أوائلا بأواخر
وإذا الخلاف أتى فدونك فاجتهد ومع الحديث فمل بفهم وافر
وعلى الأصول فقس فروعك لا تقس فرعا بفرع كالجهول الحائر
والشر ما فيه فديتك أسوة فانظر ولا تحفل بزلة ماهر[1]

وشرح شيخنا السنوسي في المرصد الثاني والثالث الصلاة، والتي لها أهمية بالغة في الدين الإسلامي باعتبارها عماد الدين والركن الثالث للإسلام، وهي خير الأعمال التي يتقرب بها العبد إلى ربه، وأول ما يحاسب عليه المرء يوم القيامة، وبها يميز المؤمن عن الكافر، حيث قال النبي ﷺ : ((إن بين الرجل وبين الشرك والكفر ترك الصلاة))[2].

وتعد الصلاة من أبرز أولويات دعوة الشيخ السنوسي، وهذه رسالة غير مؤرخة بعثها إلى حاكم فزان تؤكد ذلك، حيث شرح له دور الزاوية السنوسية الأساسي ألا وهو الحفاظ على الصلاة وجمع الزكاة، مذكرًا إياه بالحديث النبوي القائل : « كل من بنى مكانا للصلاة ... بنى له الله قصرا في الجنة »[3].

وقد سرد الشيخ السنوسي في مصنفه قصيدة من نظم السلف، تؤكد أهمية الصلاة وفضلها عند الله تعالى، جاء فيها ما يلي :

ألا فصلاة العبد معراج سيره إلى الله جل الله سبحانه عما

---

[1] – مُحَمَّد بن علي السنوسي، **كتاب المسائل العشر المسمى بغية المقاصد في خلاصة المراصد**، مرجع سابق، ص ص146، 147.

[2] – مسلم أبو الحسن، مرجع سابق : 82/134.

[3]– Jean-Louis Triaud, **La Légende noire de la Sanûsiyya une confrérie musulmane saharienne sous le regard Français** (**1840–1930**), vol.1, op.cit, pp 82, 83.

ففيها التجلي للقلوب ولم يكن بغير التخلي فاستفد أن ترد علما
وما هي الا حضرة قد تخصصت بشخص عن الوسواس مسمعه صما
يغيب بها عن كل شيء بربه شهودا شذاه في الوجود به نما
ويحضر في كل المواقف عارفا بأسرارها مستمطرا فيضها الجما
ومن لم يصل الفرض والنفل هكذا فليس له دين ولو بلغا النجما
فجاهد تشاهد في الصلاة معارفا عوارفها فاحت عبيرا لمن شما
فما لفظة الا حوت من علومها وأسرارها في كل حرف بها يما
وما الكشف الا بالتوجه عندما يواجهك المولى فوجه له العزما
وها هو يدعو كل شخص لقربه فهلا أجبت الحق فالأمر قد حما
وفي كل حين وجهة لك قبلة على كل حال فاتجه لا تكن أعما[1]

ويجب أن يتحلى المصلي بالخشوع في صلاته فردًا أو جماعًة، وذلك بالإخلاص في العبادة لأنه يقف أمام الله، والصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر وتطهر الجسم من الأسقام، ويقول السلف في هذا الإطار :

صلاة بإخلاص الحضور حياتها تقوم ومن لا روح فيها لا تسما
فما الروح إلا بالتوجه مخلصا لربك تدري في عبادتك الحكما
فصل تصل حالا فانك لم تصل إذا لم تصليها بقلب بها اهتما
فوجه إلى كل الجهات بوجهتي فؤادك تحوي من توجهه قسما
وقابل بوجه الذات قبلته التي يقابل كلا وجهها عندما أما
ولا تلتفت إلا إليه إذا بدا التفاتا تلاقي في تلفتك الغما
وإن كان وسواس ففيه إشارة بأسرار ذوق لو أحطت بها فهما
به حكم يدري بها كل عارف يراه هاديا الود من حضرة الأسما
ومن كل شيء تحفة اثر تحفة تحف به فأجهد وهم كمن هما
وطهر فؤادًا كم علته جنابة ولم يتطهر بل تجددها جزما
فإن تم تطهير فطهرك ظاهر وقف ذا خشوع خاشعا مبصرا أعما
يعمك بالرضوان في موقف الرضى ويكسوك غفرانًا محا الذنب والرسما
وأذن لفرض حاضرًا مع جلاله تثب رحمة تغشاك من ربك الرحما

[1] – مُحَمَّد بن علي السنوسي، **كتاب المسائل العشر المسمى بغية المقاصد في خلاصة المراصد**، مرجع سابق، ص ص190-198.

فتطرد شيطانًا يلازم كل من يصلي وبالتكبير ترجمه رجما[1]

وللشيخ السنوسي ذوق شعري رفيع، وقد سرد سورة الفاتحة – وتبدو برواية حفص– وردت في نفس في القصيدة السابقة، جاءت ما يلي :

وبسمل يسميك المهيمن ذاكرًا بحسن حضور زان في بدئك الختما
وحمدك رب العالمين بحمده عليك فحمد الله حمدك إن تما
وصفه برحمن رحيم معظما ثناء عليه بالمكارم والرحما
فمالك يوم الدين تمجيدا مالك لقد جعل المتلو هذا له قسما
وبينكما إياك نعبد فاستعن وقد جاد بالمسؤول فاسأله ما هما
هدى من عليهم انعم الله بالهدى وخصهم بالقرب منه كما سما
وفي ذكرك المغضوب والضال حكمة تذكرك النعما فشكرا على النعما
وأمن ففي التأمين أمن وحكمة بأمر مجاب منه خصص بل عما[2]

والنبي ﷺ هو إمام المسلمين وقدوتهم في الصلاة، وقد أمر أصحابه أن يصلُّوا كما رأوه يصلي، ورغم ذلك وقع الخلاف بعده. وخص الشيخ السنوسي الصلاة في مصنفه بالشرح الوافي من بداية الآذان إلى غاية الخروج منها، مستعرضًا أركانها وآراء الفقهاء والعلماء في مختلف المسائل الخلافية، وهي عشرة وردت كما يلي :

1-1-4-1- المسألة الأولى في حكم رفع اليدين :

اختلف الفقهاء والعلماء في رفع اليدين في خمسة مواضع وهي : تكبيرة الإحرام، والركوع، والرفع منه، والقيام من اثنتين، والسجود، ولكل واحد أدلته واجتهاداته حيث قال الشيخ السنوسي : « اعلم أنه اختلف أصحاب الإمام في ذلك إثباتا ونفيا على خمسة أقوال معروفة مختلفة الترجيح، كل رجح ما أداه إليه اجتهاده أو صحت روايته، أو قوي عنده دليله ... »[3]، وأضاف أنه مهما كثرت الاختلافات فإن الأمة الإسلامية اجتمعت على استحباب رفع اليدين عند تكبيرة الإحرام كما قال النووي[4].

---

[1] - مُحَمَّد بن علي السنوسي، **كتاب المسائل العشر المسمى بغية المقاصد في خلاصة المراصد**، مرجع سابق، ص200.
[2] – نفسه، ص ص201، 202.
[3] – نفسه، ص305.
[4] – نفسه، ص307.

واستعرض الشيخ السنوسي بإسهاب روايات المحدّثين وآراء الفقهاء والعلماء من مختلف المذاهب حول مسألة رفع اليدين في الصلاة نفيًا وإثباتًا، وركز في البداية على المذهب المالكي حيث قال بأن الرفع يكون في الإحرام فقط، وسرد قول مالك في المدونة، وكذلك ما ذكره ابن القاسم الذي قال : « ولم أر مالكا يرفع يديه إلا عند الإحرام في الصلاة »، أما مسألة رفع اليدين عند الركوع والرفع منه، قال الشيخ السنوسي بأنه رأي الشافعي وأحمد وجمهور العلماء من الصحابة.

وعلى العكس مما سبق، أكد الشيخ السنوسي أن الرفع من الركعتين ثابت عن النبي ﷺ، وقال به مالك والشافعي وأحمد وبعض الحنفية كالعز، ونفس الأمر بالنسبة للسجود أي ثبوته عن النبي ﷺ، وذكر أيضًا في هذه المسألة نفي رفع اليدين إطلاقًا، حيث قال : « ... وقال في الإكمال : روى عن مالك أنه لا رفع في أول الصلاة ولاشيء منها، ... »[1].

وفي الأخير، ذكر الشيخ السنوسي رأي جمهور العلماء وهو الرفع في المواضع الأربعة[كذا] السابقة[2]، وعلل ذلك لكثرة أحاديثها وصحتها اشتهارًا، كما أن رواياتها متواترة[3].

1-1-4-2- المسألة الثانية في حكم القبض :

اختلف الفقهاء في القبض والسدل، وذكر الشيخ السنوسي أربعة حالات مركزا على مذهب مالك : الأولى استحباب القبض في الفرض والنفل[4]، والثانية إباحته في الفرض والنفل[5]، والثالثة جوازه في النافلة وكراهته في الفريضة[6]، والرابعة المنع في الفريضة والنافلة[7]، واستدل السنوسي لكل حالة بما ورد عن أقوال الصحابة والفقهاء

---

[1] – مُحَمَّد بن علي السنوسي، **كتاب المسائل العشر المسمى بغية المقاصد في خلاصة المراصد**، مرجع سابق، ص308.

[2] – نفسه، ص312.

[3] – نفسه، ص312.

[4] – استدل برواية أشهب عن مالك أن وضع اليد اليمنى على اليسرى مستحب في الفريضة والنافلة، وغير ذلك. ينظر : نفسه، ص ص313، 314.

[5] – برر ذلك بما ورد في المدونة ما نصه : وروى أشهب عن مالك في العتبية أنه لا بأس بوضع اليمنى على اليسرى في الصلاة المكتوبة والنافلة ا هـ. ينظر : نفسه، ص314.

[6] – قال في التوضيح : وهو مذهب المدونة قال فيها ولا يضع يمناه على يسراه في فريضة، وذلك جائز في النوافل لطول القيام. ينظر : نفسه، ص ص314، 315.

[7] – رواه العراقيون، وقال البناني : حكاه الباجي وتبعه ابن عرفة. ينظر : نفسه، ص316.

والمحدثين، مثل البيهقي، واللخمي، وابن عباس، والبناني، وابن عرفة، وابن وهب، والمسناوي، وابن عبد البر، وغيرهم.

ولمالك في مسألة القبض عدة آراء حسب الشيخ السنوسي، وذكر بعضها، منها رواية أشهب عن مالك أن وضع اليد اليمنى على اليسرى مستحب في الفريضة والنافلة، ورواية أصحاب مالك المدنيون التي أكدت أن مالكا استحسنه[1]، وفي موضع آخر قال ابن العربي أن مالكا كرّه وضع اليد على الأخرى في الصلاة[2].

والجدير بالإشارة أن القبض في الصلاة ثبت عن رسول الله ﷺ، وذكر الشيخ السنوسي عدة أحاديث تؤكد ذلك، منها ما رواه وائل بن حجر : قال : « رأيت رسول الله ﷺ إذا كان قائما في الصلاة قبض بيمينه على شماله »[3]، لذلك فإن الشيخ السنوسي يؤكد على مشروعية القبض حيث قال : « ... ووجدنا سنة رسول الله ﷺ قد حكمت بمطلوبية القبض في الصلاة بشهادة ما في الموطأ والصحيحين وغيرهما من الأحاديث السالمة من الطعن، فالواجب الانتهاء إليها والوقوف عندها، وأقول بمقتضاها أ هـ ... »[4]، وأضاف أن الذي عليه الجمهور هو القبض، وسرد قول النووي الذي أقر بأنه مذهب الشافعي وأبي حنيفة وأحمد والأوزاعي وابن المبارك وسفيان الثوري وغيرهم[5]، واستثنى رأي مالك الذي يشتهر بالسدل.

1-1-4-3- المسألة الثالثة في السكتات الثلاث وما يقال فيها :

ذكر الشيخ السنوسي عدة أقوال للعلماء والفقهاء حول السكتات في الصلاة، منها ما ورد في الإحياء[6]، وهي ثلاثة سكتات خاصة بالإمام : السكتة الأولى بين تكبيرة الإحرام والفاتحة، والثانية إذا فرغ من الفاتحة ليتم من لم يقرأ الفاتحة في السكتة الأولى، والثالثة إذا فرغ من السورة قبل الركوع وهي أخفها[7]، ثم شرح بعد ذلك وبكل إسهاب آراء الفقهاء والعلماء من كل المذاهب، وما ورد في السنن في هذه المسألة، مركزًا على ما روي عن

---

(1) – مُحَمَّد بن علي السنوسي، **كتاب المسائل العشر المسمى بغية المقاصد في خلاصة المراصد**، مرجع سابق، ص314.

(2) – نفسه، ص315

(3) – أخرجه النسائي. ينظر : نفسه، ص318.

(4) – نفسه، ص317.

(5) – نفسه، ص317.

(6) - إحياء علوم الدين : للإمام حجة الإسلام أبي حامد مُحَمَّد بن مُحَمَّد الغزالي الشافعي، المتوفي بطوس سنة 505هـ، وهو من أجل كتب المواعظ وأعظمها. ينظر : حاجي خليفة، مرجع سابق، مج1، ص22.

(7) – مُحَمَّد بن علي السنوسي، **كتاب المسائل العشر المسمى بغية المقاصد في خلاصة المراصد**، مرجع سابق، ص320.

مالك خاصة في المدونة، وقال أن الرسول ﷺ كان يدعو في السكتة الأولى بعد تكبيرة الإحرام، واستشهد بما رواه الشيخان عن أبي هريرة ﷺ، قال : ((كان رسول الله ﷺ إذا كبّر في الصلاة سكت هنيئة[كذا] قبل أن يقرأ وتعجيل الفطر، فسألته قال : أقول : اللهم باعد بيني وبين خطاياي كما باعدت بين المشرق والمغرب اللهم نقني من خطاياي كما ينقى الثوب الأبيض من الدنس اللهم اغسلني من خطاياي بالثلج والماء والبرد.))[1].

1-1-4-4- المسألة الرابعة في حكم الاستعاذة :

إن الاستعاذة ثابتة في القرآن الكريم، فقد قال الله عز وجل : ﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴾[2]، لكن اختلف العلماء في حكمها إن كانت للقراءة فقط، أو للصلاة أيضًا، وفي هذا المجال سرد الشيخ السنوسي آراء العلماء في حكمها وهي أربعة أقوال : الجواز، والوجوب، والندب، والكراهة[3].

واستدل ببعض الآراء لأشهر العلماء، مثل ابن الجزري الذي قال بأن الجمهور ذهب إلى أن الاستعاذة مستحبة في القراءة بكل حال في الصلاة وخارجها، وحملوا على ذلك بالندب، بينما اعتبرها البعض واجبة مثل فخر الدين الرازي تطبيقا للقاعدة "ما لا يتم الواجب به فهو واجب"[4]، وقال ابن سيرين : إذا تعوذ مرة واحدة في عمره فقد كفي في إسقاط الوجوب، وقال بعضهم : كانت واجبة على النبي ﷺ دون أمته، وقال بعضهم أن التكبير سواء في الآذان أو في الصلاة كافٍ لطرد الشيطان، كما عدت الاستعاذة مندوبة في النافلة تغليبا لجانب القراءة على الصلاة[5].

واستعرض الشيخ السنوسي أيضًا آراء المذاهب الأربعة في حكم الاستعاذة، ولخصها في قول ابن الجزري بأنها للقراءة وليست للصلاة، وأكد أن هذا مذهب الشافعي وأبي حنيفة وأحمد بن حنبل، أمّا الإمام مالك فقد رُوي عنه قول بأنه لا يستعاذ إلا في قيام رمضان فقط[6].

---

(1) – مُحَمَّد بن علي السنوسي، **كتاب المسائل العشر المسمى بغية المقاصد في خلاصة المراصد**، مرجع سابق، ص321. ينظر : صحيح مسلم :598/147. يسمى حديث السكتة بين التكبير والقراءة. ينظر : أحمد بن حنبل، مرجع سابق، ج12، ص81.

(2) – سورة النحل : الآية 98.

(3) – مُحَمَّد بن علي السنوسي، **كتاب المسائل العشر المسمى بغية المقاصد في خلاصة المراصد**، مرجع سابق، ص325.

(4) – نفسه، ص325.

(5) – نفسه، ص ص326.

(6) – نفسه، ص ص326-328.

1-1-4-5- المسألة الخامسة في البسملة للفاتحة والسورة :

اختلف الفقهاء في البسملة في الصلاة، وشرح الشيخ السنوسي آراءهم المختلفة واستعرض لكل واحد منهم حججه واجتهاداته، وقد تراوحت بين المستحب والندب والإباحة والكراهة والوجوب[1]، واستهل بما جاء في المدونة قائلًا : لا يقرأ بسم الله الرحمن الرحيم في الفريضة سرا ولا جهرا إمام ولا غيره، ثم سرد أقوال أئمة المذاهب الفقهية ومنهم مالك الذي يرى أن البسملة ليست آية، ولا تُعد من القرآن إلا في سورة النمل، لذلك قال بأنها لا تُقرأ في أول الحمد ولا في السورة التي بعدها[2]، أمّا الشافعي يرى بأنها آية، لذلك أوجب قراءتها في الصلاة في أول الحمد[3].

ويبدو أن الشيخ السنوسي اقتنع بقراءة البسملة في الصلاة، لأنه في الأخير قال بأن أهل المذهب استقروا على جواز القراءة في الصلاة بالروايات كما نص عليه الإمام ابن غازي في "تكميل التقييد وتحليل التعقيد على المدونة"، نقلًا عن أئمة المذهب[4]، وفي هذا المجال أشار إلى ما نظمه شيخ شيوخه أبو زيد عبد الرحمن بن القاضي الفاسي في أرجوزة، جاء فيها :

وجوزوا القراءة في الصلاة	بكل حرف جا عن الرواة
في سورة الحمد لكل قاري	كذاك في السورة لا تماري
ذكره ابن غازي شيخ العلما	والنص لابن العربي فاعلما
وهذا لفظه لدى التكميل	مصرحا به فخذ تفصيلي[5]

وبناءً على ما سبق، نؤكد أن البسملة لا تقرأ في الصلاة بالنسبة للمذهب المالكي، سرا أو جهرا، سواء للفاتحة أو للسورة، وهذا ما ورد في مصادر الفقه المالكي ومنها الرسالة[6]، لكن الشيخ السنوسي خالف كل ذلك -كما مر معنا-.

---

(1) – مُحَمَّد بن علي السنوسي، **كتاب المسائل العشر المسمى بغية المقاصد في خلاصة المراصد**، مرجع سابق، ص ص329-343.

(2) – نفسه، ص329.

(3) – نفسه، ص329.

(4) – ذكر هنا ابن العربي[كذا]. ينظر : نفسه، ص343.

(5) – نفسه، ص343.

(6) – أبو زيد القيرواني، مرجع سابق، ص36.

وأما مسألة البسملة في سورة الفاتحة إن كانت آية منها من عدمها، استعرض الشيخ السنوسي عدة أقوال وحصرها في خمسة[1] :

الأول : أنها آية من الفاتحة فقط وهذا مذهب أهل مكة والكوفة ومن وافقهم وروى قولا للشافعي.

الثاني : أنها آية من أول الفاتحة ومن أول كل سورة وهو الأصح من مذهب الشافعي.

الثالث : أنها آية من أول الفاتحة وبعض آية من غيرها وهو القول الثاني للشافعي.

الرابع : أنها آية مستقلة في أول كل سورة لا منها وهو المشهور عن أحمد وقول داود وأصحابه وحكاه أبو بكر الرازي عن أبي الحسن الكرخي وهو من كبار أصحاب أبي حنيفة.

الخامس : أنها ليست بآية ولا بعض آية من أول الفاتحة ولا من أول غيرها، وإنما كتبت للتيمن والتبرك وهو مذهب مالك وأبي حنيفة والثوري ومن وافقهم، وذلك مع إجماعهم على أنها بعض آية من سورة النمل، وأن بعضها آية من الفاتحة.

وأما رأي شيخنا السنوسي في هذه المسألة، يعتقد بصحة من نفى ومن أثبت، حيث قال : « قلت : وهذه الأقوال ترجع إلى النفي والإثبات والذي نعتقده أن كليهما صحيح، وأن كل ذلك حق فيكون الاختلاف فيها كاختلاف القراءات ... »[2]. وأسهب الشيخ السنوسي في سرد وجهات النظر المختلفة في مسألة البسملة[3]، وأكد أن ذلك أمر عادي باعتبار أن القرآن نزل على سبعة أحرف، وأن نصف القراء السبعة قرأوا باثبات البسملة ونصفهم قرأوا بحذفها وكلها متواترة[4]؛ وذكر آراء بعض القراء مثل قالون[5]، ونافع[6]، وغيرهما.

---

(1) – مُحَمَّد بن علي السنوسي، **كتاب المسائل العشر المسمى بغية المقاصد في خلاصة المراصد**، مرجع سابق، ص340.

(2) – نفسه، ص340.

(3) – ابن كثير وعاصم والكسائي يعتقدون البسملة آية من أول الفاتحة، وأبو عمر وقالون ومن تابعهما من قراء المدينة لا يعتقدونها آية منها. ينظر : نفسه، ص340.

(4) – نفسه، ص ص341، 342.

(5) – إن قالون ومن تابعه من قراء المدينة لا يعتقدون البسملة آية من الفاتحة. ينظر : نفسه، ص341.

(6) – قال إسحق بن مُحَمَّد المسيبي : قال : سألت نافعا عن قراءة بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، فأمرني بها، وقال : أشهد أنها من الاسبع المثاني. ينظر : نفسه، ص341.

1-1-4-6- المسألة السادسة في التأمين :

يقصد بالتأمين قول المصلي : آمين، وشرح الشيخ السنوسي معناه اللغوي، ثم ذكر المواضع التي يقول فيها الإمام والمأمون وهي خمسة وقيل ستة، واستعرض الأحاديث النبوية الدالة منها قوله ﷺ : ((إذا أمن الإمام فأمنوا))، وقال ﷺ أيضًا : ((إذا قال الإمام ولا الضالين، فقولوا آمين))[1].

1-1-4-7- المسألة السابعة في التكبير لقيام الثالثة :

ذكر الشيخ السنوسي بأن التكبير يكون في كل ركعة، والخلاف قائم في القيام من الركعة الثانية أي بعد التشهد الأول، وأشار إلى آراء بعض الفقهاء منهم النووي الذي قال بأن المصلي يشرع في التكبير للقيام من التشهد الأول حين يشرع في الانتقال ويمده حتى ينتصب قائمًا، أما مالك قال بأنه لا يكبر حتى يستقل قائمًا وهذا عمل أهل المدينة، وأضاف بأن عمر بن عبد العزيز كتب إلى عماله يأمرهم بذلك ولم ينكر عليه أحد[2]، وذكر السنوسي بعد ذلك رواية أخرى عن النبي ﷺ وهي أنه فعل الأمرين، وبرر ذلك بأنه هذا توسعة ورفعا للحرج عن أمته، وبالتالي فلا حرج على المكلف فيهما[3].

1-1-4-8- المسألة الثامنة في السلام والخروج من الصلاة :

ورد عند الشيخ السنوسي ثلاثة آراء حول السلام، الأول : تسليمة واحدة على اليمين، والثاني : تسليمتين يمينا ويسارا، والثالث : زيادة لفظة الرحمة أو مع البركة، واستعرض لكل رأي حججه وأدلته ورواياته التي تدعمه[4].

وركّز الشيخ السنوسي على الفقه المالكي، حيث أكدّ أن مالك وجمهوره أقروا بتسليمة واحدة وبلفظ "السلام عليكم"[5]، أما انصراف النبي ﷺ فقال بأنه كان ينصرف على الجانبين يمينا ويسارا، حسب حاجته.

---

(1) – مُحَمَّد بن علي السنوسي، **كتاب المسائل العشر المسمى بغية المقاصد في خلاصة المراصد**، مرجع سابق، ص ص345-349. ورد حديث التأمين في مسند أحمد. عن أبي هريرة، أن النبي ﷺ قال : إذا قال الإمام ﴿غَيْرِ المَغْضُوبِ عَلَيْهِم ولَا الضَّالِّينَ﴾ فقولوا آمين، فإن الملائكة تقول آمين. ينظر : أحمد بن حنبل، مرجع سابق، ج12، ص112.

(2) – مُحَمَّد بن علي السنوسي، **كتاب المسائل العشر المسمى بغية المقاصد في خلاصة المراصد**، مرجع سابق، ص352.

(3) – نفسه، ص353.

(4) – منها رواية عائشة ﵂، وابن عبد البر، وغيرهما. ينظر : نفسه، ص ص355-358.

(5) – نفسه، ص ص355-385.

1-1-4-9- المسألة التاسعة في القنوت ورفع اليدين حال الدعاء :

قال الشيخ السنوسي أن الخلاف في ثلاثة أوجه : في مشروعيته، وفي محله، وفي سببه، وللقنوت ورفع اليدين أقوال مختلفة كالوجوب والجواز والسنة والمندوب وغيرها، والمشهور أن القنوت يكون في صلاة الصبح، بيد أن أبرز نقطة خلاف فيه هي قبل الركوع أم بعده؟

واستعرض الشيخ السنوسي مختلف الآراء والروايات التي وردت في هذه المسألة منها رأي الشافعية وهو بعد الركوع، أما المالكية قبل الركوع، ومالك يقول بهما[1]، ثم سرد حديث أبي هريرة الذي أكد أن القنوت في الركعة الثانية بعد الرفع من الركوع، أما عن رفع اليدين حال الدعاء، ورد عنه أن جمهور المالكية لا يقرون بذلك[2]، والمواضع التي أُجيز فيها رفع اليدين في الدعاء حسب المدونة، هي : الاستسقاء وعرفة والمشعر الحرام ومقامي الجمرتين[3]، ومهما يكن من أمر، فإن الاتفاق الوحيد بين الفقهاء هو نص الدعاء، والذي هو كما يلي : " اللهم اهدني فيمن هديت ... إلخ".

1-1-4-10- المسألة العاشرة في تطويل الصلاة وتقصيرها المشروعين :

أكد الشيخ السنوسي أن أصل صلاة الرسول ﷺ هي الطول، قراءةً وركوعًا وسجودًا ورفعًا منهما، واعتقدَ بأنه قد يقصِّر أحيانا لمراعاة أحوال من خلفه كما دلّ عليه حديث معاذ وغيره[4]، لذلك تشبت السنوسي برأيه، حيث دعا إلى اتباع الأحاديث الصحيحة في هذا الشأن، أي تطويل الصلاة تطبيقا لسنة رسول الله ﷺ، وعبر عن رأيه حول الرخص، وقال بأنه لا يتمسك بها لأنها تميل إلى الراحة، إلى درجة فِعْل ما نُهي عنه[5].

وخاتمة كتاب "المسائل العشر المسمى بغية المقاصد في خلاصة المراصد" احتوت على تمهيد وسبعة فصول كاملة، خص الشيخ السنوسي كل واحد منها لشرح وتوضيح نوع من أنواع الأنفس السبعة – وقد مرت معنا – وهي : النفس الأمارة، واللوامة، والملهمة، والمطمئنة، والراضية، والمرضية، وأخيرا النفس الكاملة[6].

---

(1) – مُحَمَّد بن علي السنوسي، **كتاب المسائل العشر المسمى بغية المقاصد في خلاصة المراصد**، مرجع سابق، ص362.

(2) – نفسه، ص365.

(3) – نفسه، ص366.

(4) – نفسه، ص374.

(5) – نفسه، ص374.

(6) – نفسه، ص ص375-405.

1-1-5- شفاء الصدر بأري[1] المسائل العشر من درر[2]، الفقه المالكي :

إن أصل هذا الكتاب عبارة عن رسالة كما ورد في مقدمته، وقد طُبع بالجزائر طبعًا حجريًا سنة 1923م[3]، وموضوعه فقهي بامتياز، حيث تضمن عشرة مسائل في الصلاة وردت كما يلي : الرفع في الصلاة، والقبض، وحكم السكتات الثلاث وما يقال فيها، والاستعاذة، والبسملة للفاتحة والسورة، والتأمين، والتكبير لقيام الثالثة، والسلام والخروج من السلام، والقنوت ورفع اليدين في حال الدعاء، وتطويل الصلاة وتقصيرها المشروعين[4].

والمسائل العشر التي وردت في هذا الكتاب هي شبه إعادة لما ورد في "كتاب المسائل العشر المسمى بغية المقاصد في خلاصة المراصد" والذي مر معنا، وذلك من حيث الرواة ومصنفاتهم والسند والأحكام الفقهية وأقوال الجمهور ونحو ذلك، وكأنهما نسخة واحدة، حيث وقفنا في كثير من الأحيان على التكرار، بل والنقل الحرفي من أحدهما إلى الآخر، لكن ما يلاحظ في كتاب "شفاء الصدر بأري المسائل العشر من درر الفقه المالكي" أن شيخنا السنوسي أضاف بعض المعلومات وعالج المسائل العشر بإسهاب أكثر، فمثلًا أضاف في المسألة الأولى رواية أبي قلابة وسليمان بن يسار وميمون المكي[5]، وفي المسألة الثامنة أضاف ما جاء في الرسالة[6]، وأحاديث بعض الصحابة مثل أنس بن مالك، وعبد الرحمن بن عوف، وعبد الرحمن بن سبل[7]، وغير ذلك.

لقد أبان الشيخ السنوسي في هذا الكتاب عن مكانته العلمية المرموقة وعلو همته في سرد الأحاديث وما ورد في الأثر، وقوة حجته في دعم أفكاره، ولم يقتصر ذلك على المذهب المالكي كما ورد في عنوان المصنف، بل شمل المذاهب الفقهية الأخرى، وهذه هي أبرز خصائص ومميزات الفقه المقارن، وفضلنا تجنب الأقوال والآراء والروايات

---

(1) – الأري : العسل. ينظر : مُحَمَّد بن علي السنوسي، **شفاء الصدر بأري المسائل العشر من درر الفقه المالكي**، مرجع سابق، ص5.

(2) – دُرَر : در اللبن والدمع ونحوهما يدر ويدر درا ودرورا. وكذلك الناقة إذا حلبت فاقبل منها على الحالب شيء كثير. والدر: اللبن. وفي الحديث : أنه نهي عن ذبح ذوات الدر أي ذوات اللبن. وقال أهل اللغة في قولهم لله دره. الأصل فيه أن الرجل إذا كثر خيره وعطاؤه. فشبهوا عطاءه بدر الناقة. ينظر : ابن منظور، مرجع سابق، ج4، ص279.

(3) - مُحَمَّد بن علي السنوسي، **شِفاء الصَّدر بأري المسائل العشْر من دُرَر الفقه المالكي**، مرجع سابق، ص14.

(4) – نفسه، ص ص18-107.

(5) – نفسه، ص32.

(6) – نفسه، ص79.

(7) – عبد الرحمن بن سبل قال : نهى رسول الله عن نقرة الغراب وافتراش السبع وأن يوطن الرجل بالمكان في المسجد كما يوطن البعير. أخرجه أبو داود والنسائي. ينظر : نفسه، ص106.

التي وردت لأنها مسائل فقهية ليست من اختصاصنا، وركزنا على مصادر الفقه المالكي كما يدل عليه عنوان الكتاب، والمصادر هي : أولًا، الفقهاء وهم : الإمام مالك، وابن عبد البر، ومُحَمَّد بن عبد الحكم، وابن وهب، والقرطبي، وابن القاسم، وابن رشد، وابن دقيق العيد، والأصيلي، وابن عرفة، والبناني، ومطرف، وابن الماشجون، واللخمي، وأبو بكر بن العربي، وابن رشد، وابن عبد السلام، والمسناوي، والقرينين[1]، والباجي، والقرافي، وابن الحاجب، وابن شعبان، والحطاب، والتتائي، وابن عبدوس، والمازري، ومُحَمَّد الأمير السنباوي، والزرقاني، والبساطي، وأبو زيد القيرواني، والشيخ زروق، والجزولي، والخراشي، ويحي بن يحي الليثي، وابن ناجي، واللقاني[2]. ثانيًا، الكتب وهي : الإكمال للقاضي عياض، والتوضيح في شرح مختصر ابن الحاجب لخليل بن إسحاق الجندي (ت776هـ)، والمختصر ما ليس في المختصر لأبي اسحق مُحَمَّد بن قاسم بن شعبان المعروف بابن القرطبي (ت355هـ)، والمدونة، والموطأ، والواضحة لعبد الملك بن حبيب القرطبي، والعتيبية، والبيان، والرسالة، والمواق[3].

1-1-6- الدُّرر السنية في أخبار السلالة الإدريسية :

اهتم الشيخ مُحَمَّد بن علي السنوسي بالتاريخ، ومصنفه هذا الموسوم بِـ : "الدُّرر السنية في أخبار السلالة الإدريسية" يندرج في هذا الإطار، وورد الكتاب باسم آخر أيضًا هو : "الدرة السنية في أخبار السلالة الإدريسية وما في حكمها من السادات العلوية ممن له ولاية الأقطار المغربية"[4].

ونسخ الكتاب مُحَمَّد بن أحمد بن أبي القاسم التواتي أحد كبار مشايخ السنوسية، وانتهى منه بعد مغرب ليلة الجمعة رابع ذي الحجة من سنة 1293هـ[5] أي ما يوافق سنة 1876م، وقد طُبع في القاهرة 1349هـ/ 1931م[6]، وقال شكري أن حفيد السنوسي تكفل بطبعه ولم يذكر اسمه[7]، والأرجح أنه الأمير إدريس الذي كان مقيمًا بمصر وتخصصه في طبع كتب جدّه.

---

(1) – القرينان هما : أشهب وابن نافع من أصحاب مالك ﷺ، وقيل هما : مطرف وابن الماجشون. ينظر : مُحَمَّد بن علي السنوسي، **شفاء الصدر بأري المسائل العشر من درر الفقه المالكي**، مرجع سابق، ص36.

(2) – نفسه، ص ص18-107.

(3) – نفسه، ص ص19-102.

(4) – عمر رضا كحالة، مرجع سابق، ج3، ص514.

(5) - مُحَمَّد بن علي السنوسي، **الدُّرر السنية في أخبار السلالة الادريسية**، مرجع سابق، ص222.

(6) – مُحَمَّد بن علي السنوسي، **شِفاءُ الصَّدر بِأَري المسائل العشْر من دُرر الفقه المالكي** ، مرجع سابق، ص14.

(7) – مُحَمَّد فؤاد شكري، مرجع سابق، ص41.

ومضمون الكتاب –كما يبدو من عنوانه – تاريخي، ركز بالأساس على تاريخ الأدارسة في المغرب الأقصى، وقد حظيت هذه الدولة ومؤسسها إدريس الأكبر بدراسة وافية وبإسهاب من طرف كثير من المؤرخين والباحثين، وكانت محل ثناء وفخر من الكثير أيضًا، ومنهم الشيخ السنوسي.

وخطة الكتاب تضمنت بعد البسملة والحمدلة والتصلية مقدمة، وكانت طويلةً جدًّا عالجت أهمية النسب القرشي، ووفود إدريس الأكبر إلى المغرب، وشملت أيضًا الفتح الإسلامي لإفريقية[1] بداية من برقة[2] وطرابلس بقيادة عقبة بن نافع، وصولا إلى فتوحات موسى بن نصير للمغرب[3]. وتلت المقدمة الفصل الأول بعنوان : "في ذكرى الشريف عبد القوي الحسيني الموسوي"[4]، ثم الفصل الثاني بعنوان : "في ذكرى الشريف عبد القوي الحسني الادريسي الزياني"[5]، ثم تتمة ركزت على الدولة الزيانية، وبعد ذلك الفصل الثالث بعنوان : "في أخبار عبد القوي بن العباس الراشدي التوجاني الزناتي "[6].

وتضمن الكتاب معلومات تاريخية غزيرة تمحورت بالأساس حول الدولة الإدريسية التي أسسها إدريس الأكبر، والبداية كانت سبب هروبه من العراق ورحيله إلى المغرب الأقصى[7]، ثم سرد السنوسي نسبه[8]، وزواجه[9] ثم

---

[1] – في الأصل "إفريقية" يقصد بها تونس، حيث قال السنوسي : « ... وأدناه إفريقية وهي ما وراء ديار مصر غربا سميت باسم إفريقش بن أبرهة ملك اليمن لأنه غزاها فافتتحها فيما قبل الاسلام وبينها وبين مصر ممالك وأعمال كثيرة ... ». وسماها "قرطاجنة الأفريقية". ينظر : مُحَمَّد بن علي السنوسي، **الدُّرر السنية في أخبار السلالة الادريسية**، مرجع سابق، ص ص19-23.

[2] – برقة : سماها السنوسي (أنطابلس)، وقد سكنتها قبيلة لواته وأهلها بربر خرجوا من فلسطين زمن النبي داود عليه السلام. ينظر: نفسه، ص19.

[3] – المغرب : قال السنوسي : « المراد منه ما وراء الإسكندرية غربا إلى السوس الأقصى الموالي لساحل البحر المحيط من المعمور، والمقصود منه من إفريقة إلى آخر المعمور ... ». ينظر : نفسه، ص19.

[4] – أقام ملكه في تاقدمت. ينظر : نفسه، ص165.

[5] – أحد ملوك إقليم مدينة تاقدمت قاعدة المغرب الأوسط، وآخر ملوكها. ينظر : نفسه، ص ص171-183.

[6] – " كان ملكه بدويًا لم يفارق فيه سكنى الخيام ولا إبعاد النعجة ولا ائتلاف الرحلتين (ينتابون) في مشاتيهم إلى (مزاب والزاب) ونحوهما ... ". ينظر : نفسه، ص ص191-208.

[7] – السبب الرئيسي هو بطش هارون الرشيد بالعلويين والذي أراد أن يقطع دابرهم بالكلية، حيث هرب منهم كثيرون، ومن هرب منهم من الشرفاء إلى المغرب الأقصى إدريس وأخوه سليمان ومولاه راشد القرشي أخوه من الرضاعة. ينظر : نفسه، ص13.

[8] – إدريس بن عبد الله الكامل بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن علي، وابن فاطمة بنت رسول الله ﷺ. ينظر : نفسه، ص13.

[9] – تزوج مولاي إدريس ابنة وزيره عبد المجيد واسمها كنيزة المرضية، وحملت منه بالنجل إدريس الأصغر. ينظر : نفسه، ص14.

وفاته[1]، وتكلم بعدها عن ابنه إدريس[2]، وأهم أعماله والمتمثلة في بناء مدينة فاس[3]، ولهذه المدينة أهمية عظيمة وقد وصفها الفقيه البارع الورع أبو عبد الله المغيسي في قصيدة، جاء فيها :

يا فاس حيا الله أرشك من ثرى	وسقاك من صوب الغمام المسبل
يا جنة الدنيا التي أربت على	حمص لمنظرها البهي الأجمل
غرف على غرف ويجري تحتها	ماء ألذ من الرحيق السلسل
وحدائق من سندس قد زخرفت	بجداول كالأيم أو كالفيصل
وبجامع القروي شرّف ذكره	أنى بذكراه بهيج مؤملي
وبصحنه زمن المصيف محاسن	فوق العشي الغرب منه استقبل
واجلس إزاء الخصة الحسنا بها	واكر عبها عنى فديتك وانهل[4]

وسرد السنوسي أمرًا غريبا حول فاس، وهو حوار جرى بين النبي ﷺ وجبريل في معجزة المعراج، حيث قال : «يا حبيبي يا جبريل ما هذه البقعة البيضاء التي تتلألأ نورا في المغرب ؟» قال له جبريل عليه السلام : « هذه مدينة لأمتك في آخر الزمان تسمى بفاس ينبع العلم من صدور أهلها كما ينبع الماء من حيطانها »[5].

وإضافة إلى الدولة الإدريسية، تضمن الكتاب أيضًا معلومات عن دول أخرى وهي : الدولة الغمارية والسبتية والأندلسية والمهدوية[6]، وهذه الدول لا تغدو في أصلها إلا امتدادًا للأدارسة بطريقة غير مباشرة، ذلك لأنها تتصل

---

[1] – توفي عام 177هـ، وعن سبب الوفاة سرد السنوسي روايتين : الأولى، تقول : أتاه سليمان بن جرير النبري ثم الزميرى بقارورة من مسك مسمومة بأمرٍ من هارون الرشيد، وعندما شمها طلع السم في خياشيمه فمات. والرواية الثانية، تقول بأن هارون الرشيد بعث إليه من بغداد سليمان بن جرير الذي سمه في تفاحة. ينظر : مُحَمَّد بن علي السنوسي، **الدُّرر السّنيّة في أخبار السلالة الإدريسية**، مرجع سابق، ص ص14– 64.

[2] – عندما توفي السيد إدريس كانت زوجته حاملًا، فولدت له ولدا سمي على اسمه أي إدريس، وبعد بلوغه إحدى عشرة سنة بايعه أشياخ القبائل في المغرب، وكان ذلك في عام 188هـ، وهو العام الذي بنى فيه مدينة فاس، وأول من عمرها أهل زرهون. ينظر : نفسه، ص65.

[3] – لما عزم الإمام إدريس على بناء فاس مر عليه راهب من النصارى طاعن في السن، وقال له أن الموضع كان يسمى سافا منذ ألف سنة، وأن من يعيد بنائها أحد من أهل البيت واسمه إدريس، فعرف الإمام أنه المقصود، ولما انتهى من بنائها أقلب اسمها الأول وسماها فاسا، وتاريخ تأسيسها كان في سنة 192هـ[كذا على خلاف ما سبق]. ينظر : نفسه، ص ص120، 121.

[4] – نفسه، ص120.

[5] – نفسه، ص15.

[6] – دولة الموحدين أسسها مُحَمَّد بن تومرت المشتهر بالمهدي. ينظر : نفسه، ص145.

بالنسب الشريف الذي يصل إلى علي بن أبي طالب وفاطمة الزهراء، وهو ما أكده الشيخ السنوسي من خلال سرد أشهر ملوك تلك الدول كالدولة المهدوية، ونقصد بذلك عبد القوي الحسني الموسوي، وعبد القوي الحسني الإدريسي الزياني، وختم الشيخ السنوسي دول المغرب الإسلامي بذكر ملوك الدولة الزيانية في تلمسان وهم بنو عبد الواد، وصرح بأن ليس لهم حظًا في النسب الشريف[1].

ورغم ما يُعاب على كتاب "الدُّرر السنية في أخبار السلالة الإدريسية" من تداخل المعلومات وعدم تبويبها بشكل سليم، وعدم التدرج في الإطار الزماني للأحداث التاريخية، إلا أنه يعتبر بحق مرجعًا تاريخيًا هامًا، ساهم من خلاله الشيخ السنوسي في كتابة التاريخ الإسلامي وخاصة تاريخ مراكش وشمال إفريقيا لما تضمنه من معلومات هامة ودقيقة، استقاها من مصادرها الحقيقية مثل : كتاب "قلائد الجمان في التعريف بعرب الزمان"[كذا][2]، و"المطرب الأنيس"[كذا][3]، و"مشارق الأشواق إلى مصارع العشاق"[4]، و"العبر"، و"جدوة المقتبس"[5]، و"الكرديوس في أخبار المشرق والأندلس"[6]، و"الدرر والعقيان"[7]، و"وفيات الأعيان"[8]، و"فرائد الجمان"[9]،

---

[1] – بنو زيان ملوك تلمسان، وهم بنو عبد الوادي نسبة إلى زيان بن يوسف بن مُحَمَّد بو[كذا]زكريا، وهم من زناتة، وليس لهم حظ في الشرف على ما قال المقريزي ... ينظر : مُحَمَّد بن علي السنوسي، **الدُّرر السنية في أخبار السلالة الإدريسية**، مرجع سابق، ص185.

[2] – للمقريزي. ينظر : نفسه، ص7. ونفس الكتاب ورد في موضع آخر بعنوان آخر هو : "قلائد العقيان في أنساب عرب الزمان" لمؤلفه المقريزي. ينظر : نفسه، ص185.

[3] – قال السنوسي : « فاعلم أنه قد قال أبو الحسن بن أبي زرع في كتابه الأنيس المطرب (روض القرطاس في سبب إتيان مولانا إدريس للمغرب) ... ». ينظر : نفسه، ص71. هذا عنوان محرف، ويقصد السنوسي كتاب "الأنيس المطرب وروض القرطاس في أخبار المغرب وتاريخ مدينة فاس"، لعلي بن مُحَمَّد بن أحمد بن عمران أبي زرع، ألفه لأبي سعيد بن المظفر قبل سنة ست وعشرين وسبعمائة. ينظر: حاجي خليفة، مرجع سابق، مج1، 199.

[4] – كتاب للإمام أبي إسحاق. ينظر : مُحَمَّد بن علي السنوسي، **الدُّرر السّنيّة في أخبار السُّلالة الإدريسية**، مرجع سابق، ص110.

[5] – كتاب لأبي عبد الله الحافظ عبد الحميد، تكلم فيه عن فتوحات ابن نصير لإفريقية ... ينظر : نفسه، ص50.

[6] – قال السنوسي : « ... فأول من تأمر[كذا] في أرض الأندلس وملكها شيئا بعد شيئ عبد الملك بن عبد الرحمن الأموي ...». ينظر : نفسه، ص213.

[7] – كتاب للإمام التنسي. ينظر : نفسه، ص80.

[8] – كتاب لابن خلكان. ينظر : نفسه، ص151.

[9] – كتاب للأديب أبي الوليد إسماعيل بن الأحمر. ينظر : نفسه، ص127.

و"الدرر المكنونة"[1] وغيرها، وقد حاز كتاب السنوسي هذا على رضا العلماء وإعجاب المؤرخين الذين أثنوا عليه ومدحوه كثيرًا، وظهر ذلك جليًا في تقاريضهم[2].

وقال الصلابي أن السنوسي سار في أسلوبه التاريخي على منوال المؤرخين المسلمين عامة، وهو السرد دون التحليل والتعليل[3]، وهذا ما لاحظناه، ويتميز أسلوبه أيضًا في كثير من الأحيان بالإستشهاد المفرط بالقصائد الشعرية على حساب المادة التاريخية، لكنها من جهة أخرى تدل على سعة اطلاعه بالأدب العربي، والأبيات الشعرية التي يذكرها معظمها ذات دلالة تاريخية، فمثلًا سرد نظم إدريس بن إدريس :

لو مال صبري بصبر الناس كلهم ... لكل في روعتي وظل في جزعي
بات الأحبة واستبدلت بعدهم ... هما مقيما وسلما غير مجتمع
كأنني حين يجري الهم ذكرهم ... على ضميري مجبول على الفزع
تأوي الهموم إذا حركت ذكرهم ... إلى جوارح جسم دائم الجزع[4]

ونظَم الإمام ابن غازي شعرًا، أشار فيه إلى فتح إفريقية ومجيء إدريس، فقال :

وفتح الغرب لسوس الأقصى ... موسى وطارق بما لا يحصى
وجاءنا إدريس عام قعب ... وبنيت فاس في عام قضب[5]

وعن قصة سيف الإمام إدريس الذي عُلِّق في أعلى المنار[6]، قال الشيخ الفقيه إدريس بن راشد الفهري :

سل إدريس بالمنار حساما ... منبئا ذاك عن شديد العقاب
داعيا للصلاة إن لم تجيبوا ... فحقيق الجزاء ضرب الرقاب[7]

---

[1] – كتاب للإمام المازوني. ينظر : مُحَمَّد بن علي السنوسي، **الدُّرر السّنيّة في أخبار السُّلالة الإدريسية**، مرجع سابق، ص171.

[2] – كتب الشيخ مُحَمَّد حبيب الله بن الشيخ سيدي عبد الله بن مايابي، الجكني نسبا، الشنقيطي إقليما، المدني مهاجرا، كلمة بليغة في تقريض كتاب "الدرر السنية" سنة 1349هـ، حيث قال بعد البسملة : ((أما بعد : فقد اطلعت على كتاب الدرر السنية في أخبار السلالة الإدريسية، فإذا هو كتاب جميل نفيس، اشتمل على خلاصة أخبار أئمة ...)). ينظر : نفسه، ص ص5، 6.

[3] – علي مُحَمَّد الصلابي، **تَاريخ الحرَكَة السَّنُوسيَّة في أفريقيا**، مرجع سابق، ص134.

[4] – مُحَمَّد بن علي السنوسي، **الدُّرر السّنيّة في أخبار السُّلالة الإدريسية**، مرجع سابق، ص15.

[5] – نفسه، ص49.

[6] – علَّق الأمير أحمد بن أبي بكر الزناتي سيف الإمام إدريس في منارة. ينظر : نفسه، ص127.

[7] – نفسه، ص126.

ويمكن أن ندرج كتاب "الدُّرر السنية في أخبار السلالة الإدريسية" في إطار علم الأنساب[1] أيضًا، لأن الشيخ مُحَمَّد بن علي السنوسي خصص له جزءًا معتبرًا في مصنفه، حيث أكد على أهميته، واستدل بما ورد في كتاب المقريزي "قلائد الجمان في التعريف بعرب الزمان"، ما نصه : "لا خفاء أن معرفة علم التاريخ المشتمل على الأنساب من الأمور المطلوبة، والمعارف المندوبة ... "[2].

واعتبر السنوسي أن علم الأنساب جزء من التاريخ، وقال أن العرب خير الأمم وقد اصطفاهم الله، ولتأكيد ذلك سرد حديث رسول الله ﷺ : ((إن الله اصطفى من بني آدم العرب، واصطفى من العرب كنانة، واصطفى قريشا من كنانة، واصطفى من قريش بني هاشم، واصطفاني من بني هاشم فأنا خيار من خيار))، وممن اشتهر بعلم الأنساب أبو بكر الصديق، وممن صنف فيه عدد من العلماء مثل أبي عبيد القاسم بن سلام والبيهقي وابن عبد البر وغيرهم. ولعلم النسب علاقة مباشرة بصلة الأرحام، فقال الله تعالى : ﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾[3]، وقال رسول الله ﷺ : ((تعلموا من أنسابكم ما تصلون به أرحامكم؛ فإن صلة الرحم محبة في الأهل، مثراة في المال، منسأة في الأثر))[4]. وعد السنوسي معرفة الأنساب رفعةً وشرفًا لصاحبه، وتأريخه عملٌ عظيمٌ، لذلك نجده يستشهد بما قاله الشيخ جار الله المكي ما ورد في الأثر عن النبي ﷺ أنه قال : ((من أرخ مؤمنا فكأنما أحياه ومن قرأ تاريخه فكأنما زاره، ومن زاره استوجب رضوان الله وحق على المزور أن يكرم زائره أ هـ))[5].

وذكر في هذا الكتاب أحقية القرشي في الإمامة – كما مر معنا –، واعتبر أن النسب القريشي أساس الحكم، وقال بأن ذلك ثبت عن النبي ﷺ الذي قال : ((الأئمة من قريش))، وأضاف بأن الهاشمي أولى من غيره من قريش.

---

[1] – علم الأنساب : ورد في كشف الظنون : " ... وهو علم يتعرف منه أنساب الناس وقواعده الكلية والجزئية، والغرض منه الاحتراز عن الخطأ في نسب الشخص، وهو علم عظيم النفع جليل القدر أشار الكتاب العظيم في وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إلى تفهمه وحث الرسول الكريم في تعلموا انسابكم تصلوا ارحامكم على تعلمه ... ". ينظر : حاجي خليفة، مرجع سابق، مج1، ص178.

[2] – محد بن علي السنوسي، **الدُّرر السنية في أخبار السلالة الإدريسية**، مرجع سابق، ص ص7، 8.

[3] – سورة النساء : الآية 1.

[4] – أبو عيسى الترمذي، مرجع سابق، مج3، ص232.

[5] – مُحَمَّد بن علي السنوسي، **الدُّرر السنية في أخبار السلالة الإدريسية**، مرجع سابق، ص11.

وتطرق السنوسي في كتابه أيضًا إلى مراعاة كفاءة النسب في الزواج، حيث أكد على ضرورة مراعاة ما يكافئ المرأة المنكوحة في نسبها الشريف، واستدل بالحديث "تنكح المرأة لأربع، لدينها وحسبها ومالها وجمالها"، وأضاف قائلًا بأن النبي ﷺ راعى وصان حق المرأة وهو شرف الآباء، ونلاحظ أن الشيخ السنوسي يؤكد على مسألة النسب كثيرًا، غير أنه لم يكمل الحديث الذي يُنصح فيه الظفر بذات "الدين"[1].

أما خاتمة الكتاب، ذكر فيها الشيخ السنوسي الخلفاء الراشدين وأكد أنهم خمسة وهم : أبو بكر الصديق، وعمر بن الخطاب، وعثمان بن عفان، وعلي بن أبي طالب، والحسن سبط رسول ﷺ[2]، ومن بعدهم سرد خلفاء بني أمية[3]، ثم عدّد في الأخير الخلفاء العباسيين بداية من أبي العباس السفاح[4] وصولًا إلى آخرهم وهو المستعصم بالله الذي قتله التتار، وسقطت بغداد في صفر سنة ستمائة وخمسين[5].

1-1-7- إيقاظ الوسنان[6] في العمل بالحديث والقرآن :

يندرج كتاب "إيقاظ الوسنان في العمل بالحديث والقرآن" في علم الأصول، وقد طُبع في الجزائر طبعًا حجريًا سنة 1322هـ، ثم بالقاهرة سنة 1357هـ[7]، غير أن الدجاني يعتبر نسخة 1357هـ/1938م والتي كانت في مطبعة حجازي بالقاهرة هي الطبعة الأولى.

وتخصص هذا الكتاب في الاجتهاد الذي طالما اشتهر به الشيخ السنوسي ودعا إليه بقوة، وتضمن الكتاب مقدمة، ومقصد[8]، وخاتمة. واستهله بمقدمة تحت عنوان : في بيان جلالة مقدار الأئمة (رضي الله عنهم) وضح خلالها أهمية

---

(1) – قال النبي ﷺ : ((تنكح المرأة لأربع : لمالها ولحسبها ولجمالها ولدينها فاظفر بذات الدين تربت يداك)). ينظر : مسلم أبو الحسن، مرجع سابق : 1466/53.

(2) – بويع له يوم مات أبوه، ودامت خلافته ستة أشهر، وخلع نفسه في ربيع الأول سنة إحدى وأربعين. ينظر : مُحَمَّد بن علي السنوسي، **الدُّرر السنية في أخبار السلالة الإدريسية**، مرجع سابق، ص210.

(3) – خلفاء بن أمية كما ورد في (بلغة الظرفاء في تاريخ الخلفاء). ينظر : نفسه، ص210.

(4) – أبو العباس السفاح : يلتقي هو والنبي ﷺ في عبد المطلب، وهو أول خليفة من بني العباس. ينظر : نفسه، ص215.

(5) – نفسه، ص ص215-222.

(6) – وسنان معناه نعسان. والوسن، أول النوم. ينظر : ابن منظور، مرجع سابق، مج13، ص449.

(7) – مُحَمَّد بن علي السنوسي، **شِفاء الصَّدر بأربي المسائل العشْر من دُرَر الفِقْه المالكي**، مرجع سابق، ص14.

(8) – تضمن المقصد ثلاثة أبواب : الأول بعنوان : في وجوب التمسك بالكتاب والسنة، والثاني بعنوان : في الاجتهاد، والثالث بعنوان : في التقليد، وكل باب مقسم إلى ثلاثة فصول. ينظر : مُحَمَّد بن علي السنوسي، **إيقاظ الوسنان في العمل بالحديث والقرآن**، مرجع سابق، ص ص6، 7.

الأئمة والعلماء الذين يعتبرون نبراس الأمة ومفتاح سعادتها، لذلك وجب احترامهم وتقديرهم لعظمة شأنهم، حيث وصفهم الرسول ﷺ بِ : "ورثة الأنبياء".

واعتبر الشيخ السنوسي السنة والقرآن أساس استنباط الأحكام الشرعية دون سواهما، ودعا في مصنفه – كما يدل العنوان– إلى الاستيقاظ من النوم والغفلة التي أصابت المسلمين وهي التقليد الأعمى دون فهم أو دراية، أي أنه دعا صراحة إلى فتح باب الاجتهاد وعدم التقيد بمذهب واحد، وحجته في ذلك – كما عند الكثيرين – أن بعض الأحاديث لم تصل إلى الأئمة فقال مثلًا : « فمن لم يبلغه الحديث واستند إلى دليل أجدر بالعذر ... »[1]، وأضاف أن إمكانية وقوعهم في الخطأ وارد، وذكر تصريح مالك بنفسه بأنه بشر يصيب ويخطئ، وقال بأن إمكانية معارضة أقوال الأئمة للكتاب والسنة واردة أيضًا[2]، ولتعليل ذلك سرد اعتراف الشافعي الذي قال : « إذا وجدتم في كتابي خلاف سنة رسول الله ﷺ فقولوا بسنة رسول الله ﷺ ودعوا ما قلت »[3]، وسرد أيضا كلام الإمام أحمد بن حنبل عندما أجاب سائله قائلًا : « لا تقلد دينك أحدا من هؤلاء ما جاء عن النبي ﷺ وأصحابه فخذ به »، وأضاف بأن الإمام أحمد بن حنبل لم يؤلف كتابًا في الفقه لذلك الغرض[4]، أي حتى لا يُقلد وتُترك السنة.

وتميز هذا الكتاب بغزارة معلوماته وتعدد فصوله، وخصّ الشيخ السنوسي جزءًا كبيرا منه للاجتهاد، وذلك من خلال سرد الأدلة الشرعية التي تبين مشروعيته وتدعمه، وقد ذكر آيات قرآنية وأحاديث تدعم فكرته وهي فتح باب الاجتهاد، وأكد أن اختلاف الآراء والتأويلات وقع حتى للصحابة أيضًا وفي عهد الرسول ﷺ، وسرد أحاديث مشهورة في السيرة، منها الحديث المشهور عن عمر لما أجاب السائل عن الرجل الذي يجنب في السفر ولا يجد الماء، وغيرها.

وسرد الشيخ السنوسي الأدلة التي تؤكد التمسك بالكتاب والسنة والرجوع إليهما دون غيرهما، وأضاف بأن السلف الصالح من الصحابة والتابعين وتابع التابعين ولاسيما الأئمة الأربعة حذّروا من مخالفة الحديث، ودعوا كلهم إلى وجوب العمل به، وفي هذا المجال ذكّر بحديث ابن عباس الذي قال : "أراهم سيهلكون" أقول قال

---

(1) – مُحَمَّد بن علي السنوسي، **إيقاظ الوسنان في العمل بالحديث والقرآن**، مرجع سابق، ص19.

(2) – جمع ابن دقيق العديد من المسائل التي خالف كل واحد من الأئمة الأربعة فيها الحديث الصحيح انفرادا أو اجتماعا في مجلد ضخم. ينظر : نفسه، ص28.

(3) – نفسه، ص26.

(4) – نفسه، ص ص29، 30.

رسول الله ﷺ ويقولون قال أبو بكر وعمر[1]، وعلى هذا الأساس لم يشجع السنوسي كثيرا القياس والإجماع رغم أنهما من أصول الفقه حيث أشار إليهما بصورة مقتضبة في مصنفه، وذكر فقط الأدلة التي تدعمه رأيه منها أن القياس يكون عند عدم وجود النص، ويستبعد السنوسي أصلا أن يقف القاس على جميع السنة المروية عن النبي ﷺ ويحيط بها، وفيما يخص الإجماع ذكر قول الشافعي : "ما لم يعلم فيه الخلاف لا يقال له إجماع". ويقزم السنوسي كثيرا "الرأي" واستدل بأحمد بن حنبل الذي يرى أن الحديث الضعيف[2] خير من الرأي[3]، وفي هذا الإطار سرد طرفة وهي : قيل لأيوب ما لك لا تنظر في الرأي؟ فقال أيوب : ((قيل للحمار ما لك لا تجترّ قال أكره مضغ الباطل))، والجدير بالذكر أن الشيخ السنوسي كان في مصنفه جريئًا جدًّا حيث انتقد "المدونة"، وقال بأنها تخالف بعض ما جاء في الكتاب والسنة، ورغم ذلك لهج المتأخرون من المالكية إلى ترجيح القول والرواية بمجرد ورودها فيها[4].

لقد تنوعت معلومات كتاب "إيقاظ الوسنان"، حيث ذكر الشيخ السنوسي أغلب الآراء في أصول الفقه الإسلامي، وتميز أسلوبه بالبلاغة والدقة وأفكاره بالوضوح، وذلك بشرح المصطلحات والمفاهيم الأساسية، مثل تعريفه الاجتهاد والتقليد لغة واصطلاحا، وفي مواضع أخرى يوضح الفرق بين المفاهيم بكل دقة، وغير ذلك من الأمور التي تيسر على القارئ الفهم وتزيل عنه الالتباس.

وخص الشيخ السنوسي فصلًا كاملًا لشروط المجتهد[5]، وحصرها في ستة، الأول : جبلية أي خلقية[6]وكسبية[7]، والثاني : كونه عارفًا من (الكتاب والسنة) متعلق الأحكام، والثالث : كونه عارفًا بالقدر المحتاج إليه من العلوم اللسانية وعلم الأصول ما يتوقف عليه فهم (الكتاب والسنة)، والرابع : معرفة أنواع الحديث

---

(1) – مُحَمَّد بن علي السنوسي، **إيقاظ الوسنان في العمل بالحديث والقرآن**، مرجع سابق، ص22.

(2) – الحديث الضعيف : هو ما فقد شرطًا من شروط الحديث المقبول الستة وهي : العدالة، الضبط (ولو لم يكن تامًا)، الاتصال، فقد الشذوذ، فقد العلة القادحة، العاضد عند الاحتياج إليه. ينظر : نور الدين عتر، مرجع سابق، ص286.

(3) – مُحَمَّد بن علي السنوسي، **إيقاظ الوسنان في العمل بالحديث والقرآن**، مرجع سابق، ص127.

(4) – نفسه، ص ص144، 145.

(5) – نفسه، ص ص87-97.

(6) – هي البلوغ والعقل وفقاهة النفس. ينظر : نفسه، ص87.

(7) – كونه عارفا بما هو معروف عند الأصوليين بالدليل العقلي أي البراءة الأصلية، وعند المحدثين بالعفو عنه، ... ينظر : نفسه، ص87.

من تواتر وآحاد من صحيح وحسن وضعيف وغيرها، والخامس : معرفة حال الرواة جرحًا وتعديلًا وما يتعلق بهما، والسادس : البحث عن المعارض[1].

ولم يعارض الشيخ السنوسي في هذا الكتاب التقليد بل اعتبره مشروعًا وخصّه للعوام، وإنما عارض التقليد الأعمى والتعصب أيضًا، ورأى أن ذلك يؤدي إلى الانحراف عن دين الله القويم، ويسبب انتشار البدع والضلال، وأرجع سبب ذلك إلى اهتمام العلماء المتأخرين بالمختصرات وعدم مراعاتهم لأصول المسائل الفقهية التي تبين الأدلة والبراهين، وفي المقابل حرص السنوسي كثيرًا على مسألة وجوب العلم والمعرفة الشرعية بالنسبة لكل المذاهب، واعتبر ذلك أساس القضاء والفتوى، ووصف العمل بدونهما بالجهل.

ودعا الشيخ السنوسي إلى فتح باب الاجتهاد، وليدعم موقفه اعتمد على ما جاء في عدة كتب أبرزها : كتاب "رفع الملام عن الأئمة الأعلام" لابن تيمية، و"إيقاظ همم أولي الأبصار للاقتداء بسيد المهاجرين والأنصار"[2] للفلاني[3]، وغير ذلك.

بالنسبة للكتاب الأول يعد أحد أبرز المؤلفات التي بينت أسباب اختلاف العلماء في الفروع وحجة كل واحد منهم، وللكتاب أهمية علمية كبيرة؛ فقد اختص في الأصول والاجتهاد والخلاف والتقليد[4]، ويُعد مرجعًا أساسيًا لكل طالب علمٍ ومجتهدٍ. واعتمد الشيخ السنوسي كثيرا على "رفع الملام" إلى درجة أنه نقل أجزاءً كبيرة منه لاسيما في مصنفه "إيقاظ الوسنان في العمل بالحديث والقرآن"، وقد صرح هو نفسه بذلك حيث قال : « ... ففي (رفع الملام على[كذا]الأئمة الأعلام) ما ملخص شيء منه : (اعلم) أنه يجب على المسلمين، بعد موالاة الله ورسوله موالاة المؤمنين، وبالخصوص موالاة العلماء العاملين، الذين حازوا بوراثة الأنبياء كل فخر، وصاروا نجوم

---

[1] – قال السنوسي : « أعني التمسك بالعام قبل علم المخصص مخصصه أو المطلق قبل علم مقيده مثلا، وله حالات ... ». ينظر: مُحَمَّد بن علي السنوسي، **إيقاظ الوسنان في العمل بالحديث والقرآن**، مرجع سابق، ص91.

[2] - كتاب مطبوع بالهند في مجلد. ينظر : عبد الحي الكتاني، مرجع سابق، ج2، ص901.

[3] – ولد صالح الفلاني سنة 1166/3-1752 في مدينة لا زالت غير معروفة بفوتاجالون التي تعرف الآن جمهورية غينيا، وقضى سنواته الأولى يتلقى العلم في مدينته، ثم رحل لطلب العلم في تمبوكتو ومراكش وتونس والقاهرة وغيرها، واتصل بعدة علماء منهم القاضي المالكي علي السعيدي العداوي وأحمد الدردير ومرتضى الزبيدي، واستقر في الحجاز واشتغل بالتدريس في المدينة. ينظر : جي أو هنويك، "**صالح الفلاني (1166/3-1752-1803) تعاليم أفريقي غربي في "المدينة""**، ندوة العلماء الأفارقة ومساهمتهم في الحضارة العربية الإسلامية، الخرطوم 30/28 يوليو/تموز 1983، ص ص315-327. سمى السنوسي الفلاني : "صاحب الإيقاظ". ينظر : مُحَمَّد بن علي السنوسي، **إيقاظ الوسنان في العمل بالحديث والقرآن**، مرجع سابق، ص141.

[4] – أحمد بن تيمية، **رفع الملام عن الأئمة الأعلام**، مرجع سابق، ص ص16- 19.

هدى يقتدي[كذا] بهم في ظلمات البر والبحر، وأجمع العلماء على هدايتهم ودرايتهم، إذ كل أمة بعد بعث مُحَمَّد ﷺ علماؤها شرارها، إلا المسلمين ... »[1].

وكان الشيخ السنوسي يسرد باستمرار آراء ابن تيمية التي وردت في كتابه "رفع الملام"، ويدعم بها مواقفه، والتي جاءت متطابقة تماما، رغم الفارق الزمني بينهما، وتأثره واضح وجلي في مسألة الاجتهاد بالرغم من الاختلاف في المذهب والعقيدة. وبالنسبة للكتاب الثاني أي "إيقاظ همم أولي الأبصار للاقتداء بسيد المهاجرين والأنصار" يطابق أيضًا كتاب ابن تيمية من حيث المحتوى وهو الاجتهاد، إضافة إلى الأصول والتقليد والخلاف، وفي كثير من الأحيان ينقل مؤلفه وهو الفلاني[2] آراء ابن تيمية، وهذا الكتاب جامع لأحكام الاجتهاد، حيث تم شرحها بكل إسهاب من حيث تعريف الاجتهاد وشروطه والفتيا والفرق بين الإتباع والتقليد، كما طرح آراء أئمة المذاهب الفقهية وغيرها. ويُعد الفلاني من العلماء المتأخرين، فقد توفي بالمدينة المنورة سنة 1218هـ، وكان الشيخ السنوسي عمره آنذاك ستة عشرة سنة، والأكيد أنه اطلع على كتاب الفلاني عندما رحل إلى الحجاز. ونلاحظ أن لكلي الشيخين أي الفلاني والسنوسي قناعة وفكرة واحدة، وهي الدعوة إلى فتح باب الاجتهاد وذم التقليد وضرورة التمسك بالكتاب والسنة[3]، وعدم التقيد بمذهب واحدٍ، لذلك نقل الشيخ السنوسي أجزاءً كبيرة من كتاب الفلاني ليدعم آراءه الفقهية في أغلب مصنفاته، وللعلم فقد اعتُبر الفلاني مجدِدًا[4]، وكاد أن يكون مجتهدًا[5]، لذلك تمت تحليته بأنبل الصفات كالإمام والمحدث والحافظ والمسند والأصولي والأثري[6].

وأصر الشيخ السنوسي في مصنفه على أنه هناك فرق كبير بين الاجتهاد والإجماع، لأنه يوجد من يعتبرهما أصلًا واحدًا كحجة لغلق باب الاجتهاد، وسرد الأدلة التي تؤيد رأيه، وتطرق أيضًا إلى مسائل أخرى غير الاجتهاد منها مسألة "التعصب" و"تكفير المسلم" لمجرد الشبهة، وسرد حديث رسول الله ﷺ : ((من كفّر مسلما فقد كفر

---

(1) – مُحَمَّد بن علي السنوسي، **إيقاظ الوسنان في العمل بالحديث والقرآن**، مرجع سابق، ص9.

(2) – نسبة إلى فلان قبيلة بالسودان ولادةً ومنشأً. ينظر : عبد الحي الكتاني، مرجع سابق، ج2، ص901.

(3) – تنص تعاليم صالح الفلاني على أن أي ابتعاد عن القرآن والسنة بدعة. ينظر : جي أو هنويك، مرجع سابق، ص322.

(4) – جعله صاحب "الحطة" و"عون الودود على سنن أبي داوود" من المجددين على رأس المائة الثالثة عشر. ينظر : عبد الحي الكتاني، مرجع سابق، ج2، ص902.

(5) - قال القاوقجي في الفلان : «كاد أن يكون مجتهدا ». ينظر : نفسه، ص927.

(6) – نفسه، ص901.

))، وأسهب في شرح هذا الحديث مؤكدًا أن التكفير من فكر الخوارج[1]، ويتحرز السنوسي كثيرًا من هذه المسألة الخطيرة واستدل بقول الله تعالى :﴿ وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَىٰ إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا ﴾[2].

وختم الشيخ السنوسي كتابه "إيقاظ الوسنان في العمل بالحديث والقرآن" بتقسيم أهل اليقين – والذين سماهم "أهل الله"– إلى ثلاثة أقسام، الأول : أهل علم اليقين، والثاني : ذو التلوين من أهل اليقين، والثالث : ذوو التمكين الراقين، ويبدو أن هذا التقسيم عبارة عن مراتب يرتقي فيها الإنسان لمعرفة الله. وفي الخاتمة نصح الناس بالتقوى، لينالوا فضل الله وعلمه، واستدل بقوله تعالى : ﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ ﴾[3]، واعتبر التقوى حظ الوراثة من النبوة وذلك بأن يتولى الله تعليم عباده المتقين، لأنهم اشتركوا مع الأنبياء في الأخذ عنه[4].

ورجاء الشيخ السنوسي في آخر الكتاب هي الهداية، وأرفق ذلك بدعوات صالحات بعد التصلية، فقال : « والله الهادي إلى الصواب لا ريب غيره ولا خير إلا خيره عليه توكلت وإليه أنيب وصلى على سيدنا مُحَمَّد وعلى آله وأصحابه الذين نالوا ذرى المجد بصحبته وبلغوا كمال الكرم والشرف برؤيته نسأل الله عز وجل أن يحشرنا في وفدهم إليه وأن ينيلنا مما أعده لهم لديه إنه كريم رحيم حليم عظيم.»[5].

1-1-8- المنهل الروي الرائق في أسانيد العلوم وأصول الطرائق :

ورد هذا الكتاب أيضًا بعنوان "المنهل الرائق في الأصول والطرائق"[6]، واستهله الشيخ السنوسي بالبسملة والتصلية والحمدلة، ثم استعرض محتواه بإيجاز، وتضمن مقدمة واثنا عشرة بابا وخاتمة، وقد طُبع الكتاب بالقاهرة سنة 1373هـ/1954م[7].

---

(1) – مُحَمَّد بن علي السنوسي، **إيقاظ الوسنان في العمل بالحديث والقرآن**، مرجع سابق، ص ص36-38.

(2) – سورة النساء : الآية 94.

(3) – سورة البقرة : الآية 282.

(4) – مُحَمَّد بن علي السنوسي، **إيقاظ الوسنان في العمل بالحديث والقرآن**، مرجع سابق، ص178.

(5) – نفسه، ص184.

(6) – ثُبت للعلامة مُحَمَّد بن علي السنوسي الحسني الخطابي المدفون بالجغبوب سنة 1276هـ، كما كتبه بأوله الشيخ علي الليثي بخطه. أوله : حمدا لمن أجاز المستجيز لجوائز نيله. جزء1. مجلد 1، خط 1295. ينظر : مجهول، **فهرس الخزانة التيمورية**، القاهرة، مطبعة دار الكتب المصرية، 1947، ج2، ص100.

(7) – مُحَمَّد بن علي السنوسي، **شِفاءُ الصَّدر بأري المسائِل العشْر من دُرَر الفِقْه المالكي**، مرجع سابق، ص14.

وذكر الشيخ السنوسي في المقدمة حصوله على إجازات في عدة علوم، وذلك عقب رحلات قام بها في عدة أمصار مشرقًا ومغربًا، التقى خلالها عددًا كبيرًا من العلماء والمشايخ، وآخرين تعرّف عليهم عن طريق المراسلة. والكتاب عبارة عن "فهرس"[1]، تضمن معلومات غزيرة، تعرفنا من خلالها على العلوم التي أخذها السنوسي، وكذلك الكتب التي درسها، والتي قسمها في اثني عشرة بابًا، كل باب تضمن نحو عشرة عناوين وردت كما يلي :

1-1-8-1- الباب الأول :

اشتمل على بعض كتب الأئمة العشرة والموطأ ومسانيد الأئمة الثلاثة : أبو حنيفة، والشافعي، وابن حنبل، والكتب الستة : صحيح البخاري، وصحيح مسلم، وسنن الترمذي، وسنن النسائي، وسنن ابن ماجة[2]. ونلاحظ أنه ذكر خمسة بدلًا من ستة، والأرجح أنه خطأ مطبعي، والكتاب السادس هو سنن أبي داود حسب المحدثين[3]، وهو ما ذكره السنوسي في شرح لاحق، حيث قال : « وأروي سنن أبي داود بالسند إلى ابن حجر ... ».

1-1-8-2- الباب الثاني :

ورد في هذا الباب بعض مشاهير السنن[4]، وذكر عشرة هي : سنن الإمام الشافعي، وسنن أبي عثمان سعد بن منصور المروزي البلخي الخرساني، وسنن النسائي الكبرى، وسنن الكشي، وسننا البيهقي الكبرى والصغرى، وسنن الدارقطني، والسنة للحافظ أبي بكر الضحاك، والسنة للحافظ أبي القاسم هبة الله الطبري، والسنة للإمام أحمد بن حنبل[5]، وتُرتب السنن -كما هو معلوم- على أبواب الفقه المتعارف عليها[6].

---

(1) – المصنف عبارة عن فهرس ممتع في نحو سبعة كراريس. ينظر : عبد الحي الكتاني، مرجع سابق، ج2، ص ص602، 603.

(2) – مُحَمَّد بن علي السنوسي، **المنهل الروي الرائق في أسانيد العلوم وأصول الطرائق**، مرجع سابق، ص9.

(3) – الكتب الستة هي : الصحيحان، وسنن أبي داود، وسنن الترمذي، وسنن النسائي، وسنن ابن ماجة. ينظر : نور الدين عتر، مرجع سابق، ص ص199، 200.

(4) – السنن : هي الكتب التي تجمع أحاديث الأحكام المرفوعة مرتبة على أبواب الفقه، وأشهرها : سنن الترمذي، وسنن أبي داود، وسنن النسائي، وسنن ابن ماجة، ويطلق عليها السنن الأربعة، وإذا قالوا الثلاثة ننقص ابن ماجة، وإذا قالوا الخمسة : فمرادهم الأربعة زائد مسند أحمد، وإذا قالوا الستة : فمرادهم الصحيحان زائد السنن الأربعة. ينظر : نفسه، ص ص199، 200.

(5) – مُحَمَّد بن علي السنوسي، **المنهل الروي الرائق في أسانيد العلوم وأصول الطرائق**، مرجع سابق، ص9.

(6) – العبادات : أول باب في كل المذاهب الأربعة، ويشمل الصلاة والطهارة والزكاة والصوم والحج...الخ، ويليها باب المعاملات في المذهب الحنفي والشافعي والحنبلي، أما المالكي يليها باب النكاح وتوابعه. ينظر : عبد الوهاب أبو سليمان، **ترتيب الموضوعات الفقهية ومناسباته في المذاهب الأربعة**، ط1، المملكة العربية السعودية، طبع جامعة أم القرى، 1988، ص ص15-73.

1-1-8-3- الباب الثالث :

اشتمل على بعض مشاهير المسانيد[1]، وهي عشرة : مسند أبي داود الطيالسي، ومسند عبد بن حميد الكشي، ومسندا البزار الكبير والصغير، ومسند أبي يعلى الموصلي، ومسند ابن أبي أسامة، ومسند ابن الزبير الحميدي، ومسند الحميدي، ومسند الفردوس، ومسند ابن أبي شيبة[2].

1-1-8-4- الباب الرابع :

ذكر الشيخ السنوسي في هذا الباب مشاهير الصحاح الزائدة على الستة أو السبعة أو الثمانية السابقة[3]، وهي عشرة : صحيح ابن حبان، وصحيح ابن خزيمة، وصحيح الحاكم، وصحيح الإسماعيلي، وصحيح أبي عوانة، وصحيح الدارمي، وصحيح ابن نعيم، المستخرجان على الصحيحين البخاري ومسلم، وصحيح ابن الجارود، وصحيح الضياء المقدسي المسمى بالمختارة[4].

1-1-8-5- الباب الخامس :

ورد في هذا الباب بعض مشاهير المعاجم[5]، وهي عشرة : معاجم الطبراني الثلاثة، ومعجم ابن يعلى الموصلي، ومعجم ابن جميع الغساني، ومعجم ابن قانع البغدادي، ومعجم الإسماعيلي، ومعجم التنوخي، ومعجم الحاكم، ومعجم الصحابة للبغوي[6].

---

[1] – المسند : هو الكتاب الذي تذكر فيه الأحاديث على ترتيب الصحابة، حيث يوافق حروف الهجاء، وقد ظهرت المسانيد في مطلع القرن 3هـ مثل أحاديث أبي بكر. ينظر : نور الدين عتر، مرجع سابق، ص ص61-200.

[2] – مُحَمَّد بن علي السنوسي، **المنهل الروي الرائق في أسانيد العلوم وأصول الطرائق**، مرجع سابق، ص10.

[3] – نفسه، ص10.

[4] – نفسه، ص10.

[5] – المعاجم : المعجم في اصطلاح المحدثين كتاب تذكر فيه الأحاديث على ترتيب الشيوخ، والغالب عليها اتباع الترتيب على أحرف الهجاء، وأشهرها المعاجم الثلاثة لأبي القاسم الطبراني (ت 360هـ). ينظر : نور الدين عتر، مرجع سابق، ص203. وقال الكتاني : « كان الأوائل يطلقون لفظة ((المشيخة)) على الجزء الذي يجمع فيه المحدث أسماء شيوخه ومروياته عنهم، ثم صاروا يطلقون عليه بعد ذلك المعجم، لما صاروا يفردون أسماء الشيوخ ويرتبونهم على حروف المعجم، فكثر استعمال وإطلاق المعاجم مع المشيخات، وأهل الأندلس يستعملون ويطلقون البرنامج، أما في القرون الأخيرة فأهل المشرق يقولون إلى الآن الثبت وأهل المغرب إلى الآن يسمونه الفهرسة ». ينظر : عبد الحي الكتاني، مرجع سابق، ج1، ص67.

[6] – مُحَمَّد بن علي السنوسي، **المنهل الروي الرائق في أسانيد العلوم وأصول الطرائق**، مرجع سابق، ص10.

1-1-8-6- الباب السادس :

اشتمل هذا الباب على بعض مشاهير الجوامع[1] وهي عشرة : جامع الأصول الرزين للعبدري، وجامع الأصول لابن الأثير الجزري، وجامع عبد الرزاق الصنعاني، وجامعا السيوطي الكبير والصغير وذيله وجامعهما للمتقي المسمى بكنز العمال، وجمع الزوائد للإمام الهتمي، وجمع الفوائد من جامع الأصول، ومجمع الزوائد لابن سليمان الروداني، وكتاب الأصول إلى الأحاديث الزائدة على جامع الأصول[2].

1-1-8-7- الباب السابع :

ذكر الشيخ السنوسي في هذا الباب بعض مشاهير المختصرات وهي عشرة: مختصر جامع الأصول المسمى تجريد الأصول للبارزي، ومختصر جامع الأصول المسمى تيسير الوصول للربيع الشيباني الزبيدي، ومختصره أيضًا لمحمد طاهر الصديق الفتني، ومختصر البخاري ومسلم بالجمع بينهما للحميدي، ومختصر بهما[كذا] بالجمع بينهما للصاغاني المسمى مشارق الأنوار، ومختصر البخاري للشرجي، ومختصره أيضا للسندي، ومختصرهما ومختصر مسلم للمنذري، ومختصر مسلم للسلمي، ومختصر أبي داود للمنذري[3].

1-1-8-8- الباب الثامن :

ذكر الشيخ السنوسي في هذا الباب بعض كتب الأحكام وهي عشرة : كتابا الأحكام الكبرى والصغرى لعبد الحق الإشبيلي، وكتاب المنتقى لمجد الدين عبد السلام بن تيمية الحراني، وكتاب الأموال للقاسم بن سلم الأزدي، وكتاب الآثار لمحمد بن الحسن الشيباني، وكتاب بلوغ المرام لابن حجر العسقلاني، وكتاب الأعلام لشيخ الإسلام زكريا الأنصاري، وعمدة الأحكام لعبد الغني المقدسي، والمصابيح للبغوي، ومشكاة المصابيح للخطيب التبريزي[4].

---

[1] – الجوامع : الجامع في اصطلاح المحدثين هو كتاب الحديث المرتب على الأبواب الذي يوجد فيه أحاديث في جميع موضوعات الدين وأبوابه، وعددها ثمانية أبواب رئيسية هي : العقائد، الأحكام، السير، الآداب، التفسير، الفتن، أشراط الساعة، المناقب، وكتب الجوامع كثيرة أشهرها هذه الثلاثة : 1- الجامع الصحيح للبخاري، 2- الجامع الصحيح لمسلم، 3- الجامع للترمذي المشهور : "سنن الترمذي"، وسمي سننا لاعتنائه بأحاديث الأحكام. ينظر : نور الدين عتر، مرجع سابق، ص ص198، 199.

[2] – مُحَمَّد بن علي السنوسي، **المنهل الروي الرائق في أسانيد العلوم وأصول الطرائق**، مرجع سابق، ص ص10، 11.

[3] – نفسه، ص11.

[4] – نفسه، ص11.

1-1-8-9- الباب التاسع :

اشتمل هذا الباب على بعض مشاهير كتب السير والشمائل وهي عشرة : الشفا للقاضي عياض، والخصائص الكبرى للسيوطي، والشمائل للترمذي، ودلائل النبوة للبيهقي، وسيرة ابن هشام، تهذيب سيرة ابن إسحاق، تهذيبهما للسلمي، سيرتا ابن سيد الناس الكبرى والصغرى، الاكتفاء للكلاعي، وسيرة الحلبي، والمواهب اللدنية للقسطلاني[1].

1-1-8-10- الباب العاشر :

ذكر الشيخ السنوسي في هذا الباب ثلاثة أنواع من المصنفات : النوع الأول سمّاه الأربعينيات[2] : ذكر المشهور منها مثل الأربعين النووية، والأربعين المكية، والأربعين الباجورية، والأربعين الشحامية، وغيرها[3]. والنوع الثاني سمّاه الأجزاء[4] : منها الجزء المنسوب لأبي بكر مُحَمَّد بن فرج الأزرق، والخبر الدال على وجود القطب والأوتاد والنجباء والأبدال للسيوطي، والإتحاف السنية في الأحاديث القدسية للشيخ عبد الرّؤوف المناوي[5]، وغير ذلك[6]. والنوع الثالث المصنفات[7] : منها مصنف أبي بكر بن أبي شيبة، ومصنف عبد الرزاق الصنعاني، ومصنف وكيع بن الجراحي، ومصنف حما بن سلمة الرفعي[8].

---

(1) – مُحَمَّد بن علي السنوسي، **المنهل الروي الرائق في أسانيد العلوم وأصول الطرائق**، مرجع سابق، ص12.

(2) – شرح الحديث الأربعين : من فروع علم الحديث، اعتنى العلماء بجمع أربعين حديثا وشرحها، لما روي أن النبي ﷺ قال : من حفظ على أمتي أربعين حديثا لقي الله عز وجل يوم القيامة فقيها عالما. ينظر : حاجي خليفة، مرجع سابق، مج2، ص1036.

(3) – مُحَمَّد بن علي السنوسي، **المنهل الروي الرائق في أسانيد العلوم وأصول الطرائق**، مرجع سابق، ص12.

(4) – الأجزاء : الجزء في اصطلاح المحدثين هو تأليف يجمع الأحاديث المروية عن رجل واحد، سواء كان ذلك الرجل من طبقة الصحابة أو من بعدهم : كجزء حديث أبي بكر ... ينظر : نور الدين عتر، مرجع سابق، ص209.

(5) – المناوي : هو الإمام عبد الرءوف[كذا]بن تاج العارفين بن علي الحدادي المناوي – بضم الميم كما في كشف الظنون – أو المنوي كما لغيره قائلًا أنه نسبة إلى منى، قرية من قرى مصر، ولد سنة 952 ومات بمصر سنة 1031. ومن تصانيفه في الحديث وعلومه شرح على النخبة كبير سماه ((نتيجة الفكر)) وآخر صغير، وشرح على شرح النخبة سماه ((اليواقيت والدرر)) ... ينظر : عبد الحي الكتاني، مرجع سابق، ج2، ص ص560-562.

(6) – مُحَمَّد بن علي السنوسي، **المنهل الروي الرائق في أسانيد العلوم وأصول الطرائق**، مرجع سابق، ص12.

(7) – المصنفات : هي كتب مرتبة على الأبواب، لكنها تشمل على الحديث الموقوف، والحديث المقطوع، بالإضافة إلى الحديث المرفوع. ينظر : نور الدين عتر، مرجع سابق، ص200.

(8) – مُحَمَّد بن علي السنوسي، **المنهل الروي الرائق في أسانيد العلوم وأصول الطرائق**، مرجع سابق، ص ص12، 13.

1-1-8-11- الباب الحادي عشر :

شرح الشيخ السنوسي هذا الباب بصفة مقتضبة، وقال بأنه ضم خمسة أنواع، اشتملت على أكثر من مائة كتابٍ[1]، ولم يفصل أكثر من هذا.

1-1-8-12- الباب الثاني عشر :

اشتمل هذا الباب على نحو أربعين تفسيرًا، قسمها إلى قسمين : الأول للسلف[2]، والثاني للخلف[3].

وأردف الشيخ السنوسي في آخر مصنفه قائمةً ضمت بعض التفاسير، ويبدو أنها تتمة للباب الثاني عشر، منها التفسير المسمى "ري الضمآن" لأبي الحسن علي بن عبد الله بن النعمة، والتفسير المروي عن قتادة، وتفسير الكوراني، وتفسير ابن عجيبة وغيرها، وأضاف أيضًا الحواشي مثل حاشية الكشاف لشرف الدين حسين الطيبي، وحاشية لنجم الدين عمر الفارسي، وحاشية لقطب الدين مُحَمَّد بن محمود الرازي، وحاشية تفسير الجلالين لشيخ الإسلام عبد القادر بن علي الفاسي، وحاشية للشيخ عطية الأجهوري، وغيرها[4].

وأنهى الشيخ السنوسي مصنفه بخاتمة[5]، اشتملت على أسانيد بعض الطرق الصوفية وعددها تسعة، هي : الصديقية، الأويسية، الخضرية، الجنيدية، القادرية، الشاذلية، الخلوتية، النقشبندية، السهروردية، وهي نفسها التي وردت في كتاب "السّلسبيل المعين في الطرائق الأربعين" لكن بشرحٍ مختلفٍ، ويبدو أن هذه الخاتمة تتمة له، لكنها أُلحقت بمصنف "المنهل الروي الرائق في أسانيد العلوم وأصول الطرائق".

---

(1) – مُحَمَّد بن علي السنوسي، **المنهل الروي الرائق في أسانيد العلوم وأصول الطرائق**، مرجع سابق، ص13.

(2) – سرد التفاسير التالية : ابن جريج، والإمام مالك، والسفيانين الثوري وابن عيينة، والإمام أحمد، وابن أبي شيبة، والطبري، وابن راهويه، وابن مردويه، وعبد بن حميد، ووكيع، وأبي العالية، ومجاهد، والضحاك. ينظر : نفسه، ص13.

(3) – سرد التفاسير الآتية : ابن عطية، والقرطبي، والبغوي، والثعالبي، والواحدي (ثلاثة)، والكشاف للزمخشري، ومختصر الكواشي، والدريني، والبيضاوي، والنسفي، والسمرقندي، والبكري، والقشيري، والحاتمي، والغزالي، والحداد، والغزنوبي، وأبي حيان البحر، والنهر، والسمين، والجلالين، والدرر المنثور للسيوطي، وابن جُزّي، وأبي السعود. ينظر : نفسه، ص13.

(4) – نفسه، ص ص73، 74.

(5) – ختم السنوسي كتابه كما يلي : " الحمد لله حمدا يوافق نعمه ويكافئ مزيده وصلاته وأزكى تسليماته على خاتم أنبيائه مُحَمَّد وأله وصحبه وعلى جميع النبيين والمرسلين والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين. ". ينظر : نفسه، ص158.

1-1-9- نزهة الجنان في أوصاف مفسر القرآن :

كتاب من تأليف الإمام السنوسي، ويندرج في علم التفسير[1]، وقام مؤخرًا الدكتور أحمد جاد الله بتحقيقه ودراسته، وقد ذكر هذا الكتاب أحمد الشريف السنوسي في مخطوطه " الشموس النورانية العرفانية الاشراقية في أعلام الطريقة السنوسية ".

وحسب المحقق، تضمن الكتاب مقدمة وثلاثة أبواب وخاتمة : وأشار مؤلفه – أي الإمام السنوسي – في الباب الأول إلى شروط التفسير، وفي الثاني إلى آداب التفسير، وفي الثالث إلى طبقات المفسرين، أما الخاتمة استعرض فيها تفاسير الصوفية.

لقد أحصيت عناوين مصنفات أخرى من تأليف الشيخ مُحَمَّد بن علي السنوسي، لم ترد في مصادر السنوسية المعروفة كالأشهب وابن علي وشكري والدجاني وغيرهم، وربما وردت لكن بعبارات مختلفة أي تحريف، وتلك المصنفات هي : "اختصار الروض الأنف وعجالة في أول من ألف في الحديث" و"التحفة في أوائل الكتب الشريفة"[2] و"بغية القاصد وخلاصة الراصد ومسائل في الحديث"، واختصار الروض الأنف[3]، و"الجفر الكبير" و"مجربات السنوسي"[4]، و"أنواع الوِرد" وهو في الأذكار الخاصة بالطريقة السنوسية، و"الشر يا لطيف" وهو كتاب في التصوف[5]، ونسب مفتي الديار الليبية الطاهر أحمد الزاوي "رسالة في القبض والتقليد" إلى الشيخ السنوسي[6]، وانفرد الحشائشي – دون غيره – بسرد بعض مصنفات السنوسي، أبرزها : "تفسير القرآن الكريم" الذي سماه "الإرشاد"، و"تكملة موضوعات العلوم للشيخ سيدي محي الدين بن العربي"[كذا] زاد عليه في عشرين

---

[1] – علم التفسير : ورد في "كشف الظنون : "هو علم باحث عن معنى نظم القرآن بحسب الطاقة البشرية وبحسب ما تقتضيه القواعد العربية ومباديه[كذا] العلوم العربية وأصول الكلام واصول[كذا] الفقه والجدل وغير ذلك من العلوم الجمة والغرض منه معرفة معاني النظم وفائدته حصول القدرة على استنباط الاحكام الشرعية على وجه الصحة وموضوعه كلام الله سبحانه وتعالى الذي هو منبع كل حكمة ومعدن كل فضيلة وغايته التوصل الى فهم معاني القرآن واستنباط حكمه ليفاز به الى السعادة الدنيوية والاخروية [كذا] ... ". ينظر : حاجي خليفة، مرجع سابق، مج1، ص427.

[2] - عبد الحي الكتاني، مرجع سابق، ج1، ص286.

[3] – بشير ضيف، **فَهْرسَتُ مَعلمةُ التُّراث الجزائرِي بين القديم والحديث نماذج متنوعة للمعلوم والمجهول**. مر. وتق.عثمان بدري، ط1، الجزائر، د د ن، 2002، ج2، ص ص87-175.

[4] - أشار المؤلف في التهميش إلى وجود مخطوط بعنوان "مجربات السنوسي" في السليمانية. ينظر : نفسه، ج3، ص249.

[5] – عبد القادر زبادية، **دراسة عن إفريقيا جنوب الصحراء في مآثر ومؤلفات العرب المسلمين**، مرجع سابق، ص240.

[6] – الطاهر أحمد الزاوي، **أعلام ليبيا**، مرجع سابق، ص346.

علمًا[1]، ويبدو أنه لم يطلع عليها، وإنما رويت له بدليل أنه ذكر بعض العناوين المعروفة بشكل محرفٍ[2]، أو هناك تحريف غير مقصود عند النقل.

والجدير بالإشارة أن كثيرًا من الباحثين المعاصرين اجتهدوا في إحصاء مؤلفات الشيخ مُحَمَّد بن علي السنوسي[3]، لكن الأكيد أن هناك مؤلفات أخرى للعائلة السنوسية ضاعت وهذا حسب شهادة المؤرخين، إما بحرقها أو إتلافها من طرف الاستعمار الإيطالي، أو أنها موجودة في مكان ما، وتنتظر من ينفض الغبار عنها لترى النور.

ونثمن جهود الجمعيات الثقافية المهتمة بالتراث السنوسي في مختلف مناطق العالم العربي والإسلامي، لكن تبقى محاولات فردية معزولة، تحتاج إلى دعم أكبر من طرف الحكومات والدول، خاصة مخابر البحث المتخصصة، والتي تدفع البحث قدما إلى الأمام وتثريه.

وفي هذا السياق، وقفت على ثلاثة منظومات نُسِبت للشيخ السنوسي بعنوان "منظومات في صنْعَةِ التَّدريس للإمام الحافظ المصْلِحْ المطّلِع مُحَمَّد بن علي السنوسي 1202هـ-1276هـ"، في نسخة فريدة، ضمّنها العلامة أحمد الشريف السنوسي في كتابه الموسوم بِ : "فيوضات المواهب المكّيّة"، اعتنى بها وقدّم لها الأستاذ الشيخ عادل مُحَمَّد مختار المغربي، وقد أشار – أي المحقق – إلى أن الناسخ وقع في بعض الأخطاء، وكما هو ملاحظ يبدو أن الكتاب مطبوع، لكن للأسف لم أتمكن من الحصول على نسخة منه.

ولتعميم الفائدة، والدراسة والتوثيق، ندرج صورة لوحة من النسخة، احتوت على اثنتي وعشرين بيتًا، والأكيد أنها ليست أصلية لأنها ببساطة لم تكتب بخط مغربي كعادة الشيخ مُحَمَّد بن علي السنوسي وعائلته، والمغاربة بصفة عامة :

---

[1] – مُحَمَّد بن عثمان الحشائشي، مرجع سابق، ص155.

[2] - ذكر كتاب "بغية القاصد في الأصول وطرق الاجتهاد"، وكتاب "كيفية العمل بالحديث والقرآن". ينظر : نفسه، ص155.

[3] – ينظر : الملحق رقم 28، ص ص434، 435.

مُفَسِّرًا بِلَائِقِ الْعِبَارَهْ ... لِحَاضِرٍ بِنَافِذِ الْإِشَارَهْ
مُخْتَصِّقَارَتْقَا لِأَسْرَارِ الَّتِي ... بَيْنَ التَّرَاكِيبِ الْحِسَانِ قَرَّرَتِ
وَمَالَهَا مِنَ الْمَزَايَا النَّافِعَهْ ... لَدَى أَسَالِيبِ الْمَعَانِي الرَّائِعَهْ
لَكِنَّ ذَا أَلْيَقُ بِالَّذِي ارْتَقَى ... تَوَسُّطًا أَوِ انْتِهَاءً قَدْ رَقَى
أَمَّا الَّذِي يُعْرَفُ بِالْقُصُورِ ... عَمَّا مَضَى مِنْ فَاقِدِ السُّرُورِ
فَلْيَقْتَصِرْ لَهُ عَلَى تَرْكِيبِ ... مِمَّا يُطِيقُهُ عَلَى التَّدْرِيبِ
مُبَيِّنًا لِمُفْرَدَاتِهِ مَعَا ... بِنِسْبَتِهِ وَهَكَذَا لِيَسْتَطِعَا
وَبَانِيًا فِي كُلِّ ذَيْنِكَ عَلَى ... مَا جَاءَ فِي تَفْسِيرِهِ الَّذِي انْجَلَا
وَإِنْ تَفَسَّرْ قَوْلَ رَبِّ الْعَالَمِينْ ... فَأَعْدِدْ لَهُ عُلُومَهُ مِنْ دُونِ مِينْ
لُغَةَ النَّحْوِ اشْتِقَاقَهُمْ مَعَا ... صَرْفَ مَعَانٍ بِالْبَيَانِ مُبْدِعَا
ثُمَّ الْحَدِيثَ وَالْقِرَاءَةَ الَّذَاهِ ... هَا سَبِيلٌ لِلْعُلَا مُلَا ئِمَانِ
وَنَاسِخٌ بِهِ وَأَسْبَابُ النُّزُولِ ... وَأَصْلُ فِقْهٍ لِذَوِي الْأُصُولِ
هَذَا الَّذِي يُرَامُ بِالتَّقْرِيرِ ... بِلَائِقِ السَّمِيعِ لِلتَّصْوِيرِ
وَثَانِيهَا الْمَعْنَى لِحَلِّ الْمُشْكِلِ ... وَمَا بِمَعْنَاهُ بِرَهْمٍ مُذْهِلِ
فَبَعْدَ أَنْ يَفْرُغَ مِمَّا قَدْ مَضَى ... فَلْيَنْصَرِفْ لِحَلِّ مَا قَدْ عَرَضَا
حَيْثُ يَكُونُ صَارِفًا لِلْفَهْمِ ... لِمَا عَرَا لِبَعْضِهِمْ مِنْ وَهْمِ
وَحْيُهِ مَذَاهِبَ الضَّلَالِ ... كَالْحَلِّ الْأَحْرَى بِالْأَشْكَالِ
وَعَارِضًا إِلَى هُمْ مُقَرِّرًا لَهَا ... بِحَقِّ تَقْرِيرٍ لِغَايَةٍ أَتَتْ
بِدُونِ مَا طَيْشٍ عَجَلٍ وَخَوَرْ ... مَهَابَةَ كَذَبٍ كَزَاكَ اسْتَطَرْ
ثُمَّ يُكَرِّرُ رَاجِعًا لِمَنْتَضَى ... فَرْدًا فَقَرْدًا إِلَى انْتِهَاءِ فَرْضِهَا
بِمَا سَنَا مِنْ وَاضِحِ السَّرَاجِ ... وَمِنْ جَلَى الْبَرَاهِينِ الْقَوَاطِعِ
بِوَاضِحِ الْأَلْفَاظِ وَالْعِبَارَهْ ... وَنَافِذِ الرُّمُوزِ فِي الْإِشَارَهْ

والفرض

ولتعميم الفائدة، نقتبس منها ما يلي :

المنظومة الأولى :

قال الإمام الحافظ الحجة[1] المصلح المرشد سيدي مُحَمَّد بن علي السنوسي ﷺ ناظما آداب تدريس العلوم والمصنفات لاسيما الحواشي :

يَا طَالِبًا صِنَاعَةَ التَّدْرِيسِ ... دُونَكَهَا سَمْحًا بِلَا تَلْبِيسِ
تَقْرِيرُ مَتْنٍ مَعْ[كذا]تَبْيِينِهِ عَلَى ... مَا فِيهِ مِنْ نَقْصٍ وَحَشْوٍ حَصَلَا
وَحَلِّ مَا أَشْكَلَ مَعْ[كذا]تَوْجِيهِ ... مَا مِنْهُ يَحْتَاجُ إِلَى تَوْجِيهِ
فَأَوَّلًا فِي الصَّنْعَةِ الْمُحْتَارَةْ ... تَصَوُّرًا بِوَاضِحِ الْعِبَارَةْ
مُفَسِّرًا لِمُفْرَدَاتِ الْمَتْنِ ... بِلَائِقٍ مِنْ وَضْعِ عِلْمِ الْمَتْنِ
وَالصَّرْفُ وَالشَّرْعُ مَجَازُ حَقِّ ... مُنْفَرِدٌ مُشْتَرِكٌ فِي النُّطْقِ
وَمُفْرَدَةٌ تَثْنِيَةٌ جَمْعَيْنِ ... مَمْنُوعُ صَرْفٍ ضِدُّهُ النَّوْعَيْنِ
وَمُعْتَلُّ الصَّحِيحُ [مَعْ مِثَالِ] ... إِلَى تَمَامِ السَّبْعَةِ الْأَفْعَالِ
وَمَالَهَا مِنَ الْفُرُوعِ الْعَشْرَةْ ... وَمَا لَدَى صَرْفِهُمُ مُنْتَشِرَةْ
وَغَيْرُهَا مِنْ لَازِمِ التَّقْرِيرِ ... لِذِي الْمَرَامِ النَّاتِجِ النَّحْرِيرِ
ثُمَّ إِذَا فَرَغَ مِمَّا لَزِمَا ... بِمُفْرَدَاتِهِ كَمَا تَقَدَّمَا
رَجَعَ لِلتَّرْكِيبِ سَابِكًا عَلَى ... أَوْضَحِ نَهْجِ الْمُعْرَبَاتِ الْمُجْتَلَى
مُفَسِّرًا بِلَائِقِ الْعِبَارَةْ ... لِحَاضِرٍ بِنَافِذِ الْإِشَارَةْ
مُفَتِّقًا رَتْقَا [لِلَاسْرَارِ] الَّتِي ... بَيْنَ التَّرَاكِيبِ الْحِسَانِ قَرَّتِ

المنظومة الثانية :

إِذَا رُمْتَ دَرْسَ العِلْمِ وَالدَّرْسُ قَدْ حَوَى ... فَطِينًا لَبِيبًا ثَاقِبَ الذِّهْنِ ذَا عِلْمِ
وَغَيْرَهُ اشْرَحْ مَتْنَ دَرْسِكَ مُتْقِنًا ... مُحَلِّلَ إِشْكَالٍ عَزُوَا لَهُ تُنْمِي
وَبَعْدَهُ عُدْ لِلنَّقْلِ فَاعْزُ غَرِيبَهُ ... وَحَقِّقْ قَضَايَا نَافِذَ النَّقْلِ وَالْفَهْمِ
مُفَتِّقُ أَسْرَارَ التَّرَاكِيبِ مُبْدِيًا ... مَزَايَا أَسَالِيبِ الْمُرَكَّبِ فِي النَّظْمِ
مُبِينُ نكَاتٍ لِلنُّصُوصِ الَّتِي بِهَا ... عَلَى مَا بِهِ سَيْلُ الْبَيَانِ غَدَا يَهْمِي

[1] – الحجة : مصطلح يُطلق على الحافظ من حيث الإتقان، وعرَّفه المتأخرون بأنه من يحفظ ثلاثمائة ألف حديث مع معرفة أسانيدها ومتونها. ينظر : نور الدين عتر، مرجع سابق، ص77.

بِإِشْكَالِ مَا قَدْ ظَنَّ أَنَّهُ وَاضِحٌ وَإِيضَاحُهُ إِيضَاحَ حَقٍّ بِلَا فَصْمِ
وَإِنْ لَمْ يَكُنْ إِلَّا الْقَوَاصِرَ فَاقْتَصِرْ عَلَى أَوَّلِ الْأَبْيَاتِ تَحْظَى بِذِي عِلْمِ
عَلَى أَنَّهُ يُعْطَى الْمُخَاطَبُ كُلَّمَا تَطَلَّبَ مِنْ بَحْثٍ وَشَرْحٍ لِمُبْهَمِ

المنظومة الثالثة :

إِذَا رُمْتَ تَعْلِيمَ امْرِئٍ رَامَ مَهْيَعًا مِنَ الْعِلْمِ فِي وَقْتٍ قَرِيبٍ عَلَى عَزْمِ
فَبَادِرْ لِشَرْحِ الْمَتْنِ مَنْ قَدْرِ وُسْعِهِ لِأَنْ يَعْلَمَنْ مِنْهُ الْمُرَادَ عَلَى جَزْمِ
وَلَازِلْتَ تُعْلِيهِ لِذَرْوَةِ أَوْجِهِ مُحَلِّلَ إِشْكَالًا تَعَرَّضَ لِلْفَهْمِ
عَلَى أَنَّهُ يُعْطَى الْمُرِيدُ لِمَا لَهُ تَطَلَّبَ مِنْ بَحْثٍ وَشَرْحٍ لِمُبْهَمِ

1-2- مصنفات مُحَمَّد المهدي السنوسي :

1-2-1- المولد الشريف النبوي :

يعد هذا الكتاب المصنف الوحيد الذي وقفت عليه للشيخ مُحَمَّد المهدي السنوسي، وقد قام الدكتور جاد الله بتحقيقه مؤخرًا في طبعة أولى عام 1444هـ/2022م، معتمدًا على مخطوطتين، النسخة الأولى كُتبت بخطٍ مغربيٍ، تقع في مائة وسبعة وأربعين صفحة، نُسخت بخط السيد مُحَمَّد بن حسن بن عبد الله البسكري، وكان الفراغ من كتابتها يوم الاثنين 7 ربيع الأول 1319هـ الموافق لِ : 23 يونيو 1901م بزاوية قرو في جبال تيبستي[1]، والنسخة الثانية كُتبت بخطٍ مشرقيٍ، تقع في تسعة وخمسين صفحة، وهي نسخة كاملة لكن طُمس اسم ناسخها، وكان الفراغ من كتابتها يوم الأربعاء 24 محرم 1329هـ الموافق لِ : 5 يناير 1911م[2].

وتضمن الكتاب سيرة الرسول ﷺ، عالجها المؤلف في سبعة وخمسين مبحثًا، غطت أغلب الأحداث الهامة في حياته ﷺ، منها مولده، ونسبه، ووفاة أبيه وأمه، وكفالة عمه له، وزواجه من خديجة، وأزواجه فيما بعد، وتعبده ونزول الوحي، وبعثته وهجرته، وبيعات العقبة، وغيرها، كما تضمن الكتاب بعض معجزاته منها شق صدره، والإسراء والمعراج، وتطرق الكتاب أيضًا إلى بعض الفضائل أبرزها : فضل التسمية باسم الرسول ﷺ، وتفضيل ليلة مولده، والإحتفال بها[3].

---

[1] – مُحَمَّد المهدي السنوسي، **المولد الشريف النبوي**، تح. أحمد مُحَمَّد جاد الله، ط1، دار الصالح، دب، 2022م، ص15.

[2] – نفسه، ص15.

[3] – نفسه، ص ص9-141.

1-3- مصنفات أحمد الشريف السنوسي :

لأحمد الشريف السنوسي عدة مؤلفات ألفها خلال مسيرته الطويلة الحافلة بالنشاط الثقافي، إلا أنني وقفت له على خمسة كتب مطبوعة فقط هي :

1-3-1- الأنوار القدسية في مقدمة الطريقة السنوسية :

يندرج هذا الكتاب في ميدان التصوف، وقد وضح مؤلفه أحمد الشريف السنوسي أسس ومبادئ الطريقة السنوسية التي سماها "الطريقة المحمدية"، وقد تم طبع الكتاب في مطبعة عامره باسطنبول 1339-1342هـ[1].

وقال الكتاني بأن المؤلف شرح في كتابه تعاليم السنوسية، وتراجم رجالها، وأسانيد إمامها في الكتب الحديثة والطرائق الصوفية وآداب السلوك، ووضح أيضًا الغرض من تأليفه الكتاب وهو التعريف بالسنوسية، فقال في أوله : « لما رأيت الناس جهلوا مبنى الطريقة المحمدية. وأسانيدها العالية. وضعت هذا الكتاب مقدمة لمجموعة الأوراد والأحزاب. لينتفع بها أولو الألباب. إذ معرفة الأسانيد المتصلة من أعظم المهمات. وأولى ما اعتنى به ذوو التحصيل والرغبات فإني أبدأ أولاً ببيان محل منشأ مشايخ هذه الطريقة على العمل بالكتاب والسنة الأحمدية. ثم أبين مشايخ الطرق لتكون إن شاء الله شافية كافية ... إلخ »[2].

وأكد الكتاني أن النسخة طُبعت باسطنبول سنة 1339هـ، وذلك في 117 صحيفة[3]، وأصل الكتاب عبارة عن رسالة جامعة نافعة، رواها وألفها أحمد الشريف عقب حصوله على إجازة من طرف أربعة شيوخ[4]، وختمها بكلام نثري ونظمي عن جده السنوسي، وعلّق في الأخير وقال بأن بها تصحيف كثير، وتحريف لكثير من الكلمات والتواريخ، وللعلم فقد تلقى الكتاني هذه الرسالة مكاتبة من مؤلفها أحمد الشريف عندما كان عمره خمسين عاما[5].

---

(1) – نسخة عليها ختم أحمد الشريف السنوسي. ينظر : الملحق رقم 29، ص436.

(2) – عبد الحي الكتاني، مرجع سابق، ج1، ص207.

(3) – نفسه، ص ص207، 208.

(4) – أُجيز أحمد الشريف في هذه الرواية من طرف أربعة شيوخ وهم : أبوه مُحَمَّد الشريف، وعمه مُحَمَّد المهدي، والأستاذين عمران بن بركة وأحمد بن عبد القادر الريفي، وكلهم من جده الشيخ السنوسي بأسانيده. ينظر : نفسه، ص207.

(5) – نفسه، ص208.

وكما نلاحظ، فقد مر على طبع هذا الكتاب فترة طويلة جدًا حوالي قرن، لذلك تعد هذه النسخة مصدرًا حقيقيا للدراسة والتحقيق[1]، لأننا لا نعلم طبعة جديدة لها، ولا ندري شيئًا أيضًا عن مخطوطها الأصلي، وللعلم توجد نسخة من هذا الكتاب بنفس الطبعة والتاريخ في مكتبة قطر الوطنية، وقد وردت فيها المعلومات التالية : موضوع السنوسية (طرق صوفية)، وصف : صفحة 16سم 181، مع ملاحظة أشارت إلى وجود كشاف[2].

وحديثًا، قام الدكتور أحمد مُحَمَّد جاد الله – أستاذ اللغة العربية المشارك بجامعة عمر المختار – بإعادة إصدار هذا الكتاب والإعتناء به، لكن بصفة مختصرة بعنوان : "مختصر الأنوار القدسية في مقدمة الطريقة السنوسية"، معتمدًا على نسخة اسطنبول السالفة الذكر ونسخة بالمدينة المنورة[3]. واقتصر هذا الكتاب على التعريف بالطريقة السنوسية المحمدية، وسرد أورادها وأذكارها، وبعض أسانيدها في القرآن الكريم، وفي بعض الكتب منها البخاري ومسلم والموطأ، وغيرها[4]، بينما خلى الكتاب من أسانيد الطرائق وخاصة آداب السلوك التي أشار إليها الكتاني، والتي تشكل مادة أساسية، واكتفى المؤلف بذكرها بشكل مقتضب جدًّا[5]، ولا ندري السبب، كما أن الكتاب خلى من أوراد الطريقة السنوسية والتي مرت معنا من قبل[6].

1-3-2- الفيوضات الربانية في إجازة الطريقة الأحمدية السنوسية :

كتاب طُبِع باسطنبول عام 1342هـ/1923م أي في حياة مؤلفه أحمد الشريف السنوسي، وتوجد نسخة منه في الخزانة التيمورية بمصر[7]، والتي أشار إليها الكتاني أيضًا، وقال بأنها عبارة عن إجازة طُبعت بالأستانة في

---

(1) – قال المحقق : « تُعدُّ مثل هذه النسخة – التي مضى على طباعتها مئة[كذا]عام – في عُرف المحقِّقين المحدثين، في عداد المخطوطات، أو المطبوعات القديمة الملحقة بالمخطوطات ». ينظر : أحمد الشريف السنوسي، **مختصر الأنوار القدسية في مقدمة الطريقة السّنوسيّة**، مرجع سابق، ص17.

(2) – مكتبة قطر الوطنية، [http://www.elibrary.qnl.qa]، (زيارة الموقع 3 نوفمبر 2023م، الساعة 20.30).

(3) – نسخة محفوظة في مكتبة حفيد المؤلف السيد مالك العربي أحمد الشريف السنوسي، في المدينة المنورة، كُتبت بخط النسخ، تقع في (153) صفحة في كل صفحة (12) سطرًا، ومتوسط عدد الكلمات في السطر (12) كلمة، لم يذكر اسم ناسخها، ولا تاريخ نسخها. ينظر : أحمد الشريف السنوسي، **مختصر الأنوار القدسية في مقدمة الطريقة السنوسية**، مرجع سابق، ص17.

(4) – نفسه، ص ص7-117.

(5) – لإيضاح سند الطرائق، اكتفى المحقق بالإشارة فقط إلى كتاب "السلسبيل المعين". ينظر : نفسه، ص61.

(6) – أثبت أحمد الشريف نصوصها في كتابه ((الأنوار القدسية)). ينظر : أحمد صدقي الدجاني، مرجع سابق، ص251.

(7) - ثُبت العلامة السيد أحمد الشريف السنوسي، طبع استنبول 1342. أوله : الحمد لله واصل المنقطعين إليه، ج1. ينظر : مجهول، **فهرس الخزانة التيمورية**، مرجع سابق، ج2، ص27.

ستة عشرة صحيفة من القالب الكبير، ذكر فيها مؤلفها أحمد الشريف السنوسي أسانيده في القرآن، والصحاح الستة، والمسانيد، وأسانيد الطريقة السنوسية والشاذلية والنقشبندية، وغيرها من الأحزاب والأوراد، وذكر أيضًا روايته عن والده وعمه والمعمر أحمد الريفي[1]، وصرح الكتاني بأن المؤلف ختم رسالته بالإحالة على أثبات جده الستة وهي : الشموس الشارقة، ومختصرها البذور[كذا] السافرة، والمنهل الروي الرائق، والتحفة، والسلسبيل المعين، وسوابغ الأيد[2].

وقد ذكر أحمد الشريف السنوسي – بعد البسملة والتصلية – سبب تأليفه هذا الكتاب، وهو طلب إجازة تلقاه من أحد مراسليه يدعى الشيخ خليل صابر الذي وصفه بالجليل الأديب، وصرح بأنه تردّد في البداية، لكنه لبّ الطلب بعد استخارة الله تعالى[3]، وهو نفس أسلوب ومنهج جده.

1– 3–3– الدُّرة الفردية في بيان مبنى الطريقة السنوسية المحمدية :

كتاب من تأليف أحمد الشريف السنوسي، وهذه النسخة من المطبعة الحجازية دون تحديد التاريخ، وقد اعتمد في إعداد كتابه – كما صرح – على نسخ السادة : عمه مُحَمَّد المهدي، وأبيه مُحَمَّد الشريف، وأحمد الريفي، وعمران بن بركة، والكل قابلها بنسختي جده الإمام السنوسي والسيد أحمد بن إدريس، وهذا ما يسمى بتحقيق المخطوطات في وقتنا الحاضر، ويدل هذا على مهنية أحمد الشريف ونباهته وأمانته العلمية.

والكتاب خاص بشرح مبنى الطريقة السنوسية، أي أورادها وأسانيدها وغير ذلك، وقد اقترن اسم السنوسية بالمحمدية كما ورد في العنوان، وهذا الأمر يوحي لنا أن السنوسية منبعها الرسول مُحَمَّد ﷺ، واستهل المؤلف كتابه بعد البسملة والتصلية والحمدلة بذكر مشايخ السنوسية، وهم جده وعمه وأبيه والأستاذ أحمد بن إدريس، ثم شرح بإسهاب أذكارا عُدَّت أوراد الطريقة السنوسية – وقد مرت معنا – مثل الحزب السيفي، والحزب المغني لسيدي أويس القرني، ودعاء الاختتام، والصلاة العظيمية، وغيرها.

ومضمون الكتاب عمومًا في موضوع التصوف، ذكر فيه أحمد الشريف السنوسي سبب تأليفه، وهو التعريف بالطريقة المحمدية ومنشأ شيوخها وأسانيدها، وغير ذلك، ويركز المؤلف بشكل كبير على أذكار أحمد بن إدريس،

---

[1] – عبد الحي الكتاني، مرجع سابق، ج2، ص927.

[2] – نفسه، ص927.

[3] – أحمد الشريف السنوسي، **الفيوضات الربانية في إجازة الطريقة السنوسية الأحمدية الادريسية**، مرجع سابق، د ر ص.

ويقول بأن أغلب معلوماته استقاها من عمه مُحَمَّد المهدي الذي يشير إليه باسم "أستاذنا"، أما جده الشيخ السنوسي يميزه باسم "الأستاذ".

1-3-4- فيوض المواهب الرحمانية :

كتاب من تأليف أحمد الشريف السنوسي، فصَّل فيه أحوال سلفه ومعارفهم وواراداتهم وتراجم أصحابهم، ورتبهم على ثلاث طبقات، وهم عنده نحو ثلاثمائة، وهو كتاب مهم في مجلدين، وصفه الكتاني بِ : "الكبير جدا"[1].

1- 3-5- بغية المساعد في أحكام المجاهد :

إن كتاب "بغية المساعد في أحكام المجاهد" من تأليف أحمد الشريف السنوسي، وأحد أبرز مصنفاته، ومضمونه يعالج الجهاد كما يشير عنوانه، وقد طُبع بمصر سنة 1332هـ[2]/1913م، أي في حياة مؤلفه، وأصل الكتاب عبارة عن "رسالة" يحث فيها أحمد الشريف المسلمين على الجهاد في منطقة واسعةٍ جدًّا تمتد من السلوم إلى تونس، وقد أكد ذلك بنفسه، حيث قال : « وبعد فإني أخاطب بهذه الرسالة الموسومة باسم ((بغية المساعد في أحكام المجاهد)) أهل النفوس الأبية المحافظين على الشريعة المرعية أهل وطننا ذوي الغيرة الإسلامية والنجدة الإيمانية من السلوم إلى حد تونس ... »[3].

واستهل أحمد الشريف السنوسي مصنفه بالبسملة والتصلية والحمدلة، ثم عرَّف بنفسه مستعملًا ألفاظًا وعبارات دالة على التواضع والتذلل لله والتضرع إليه، بغية كسب رضاه وتحقيق النصر، وبعد ذلك تطرق إلى فضل الجهاد مستشهدًا بآيات قرآنية ذات الدلالة، كقوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَٰنٌ مَّرْصُوصٌ ﴾[4]، وأيضًا :﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ ٱلْكُفَّارِ ﴾[5]،

---

[1] – كتاب مطبوع. ينظر : عبد الحي الكتاني، مرجع سابق، ج2، ص927.

[2] – أحمد صدقي الدجاني، مرجع سابق، ص255.

[3] – أحمد الشريف السنوسي، **بغية المساعد في أحكام المجاهد**، القاهرة، مطبعة جريدة الشعب، 1332هـ، ص3.

[4] – سورة الصف : الآية 4.

[5] – سورة التوبة : الآية 123.

كما استشهد أيضًا بعدة أحاديث نبويةٍ، منها ما رواه أبو عبس وهو عبد الرحمن بن جبير أن رسول الله ﷺ قال ما أغبرت قدما عبد في سبيل الله فتمسه النار، وغيرها[1].

والكتاب يبين بصدق سعة علم مؤلفه أحمد الشريف السنوسي، ومدى اطلاعه على أحكام الجهاد، وقد وردت فيه عدة مسائل فقهية شائكة، منها المحافظة على النفس حيث تم التأكيد على صون النفس المسلمة، وعدم إلقائها في التهلكة، وتطرق الكتاب أيضًا إلى الرعية وتم التأكيد على وجوب مساهمتها بالمال في تجهيز الجيش، وإلزامها النفقة وتحصيل الخراج والمكس وغيرها، وذلك عندما تكون بيت المال فارغة، واعتبر القعود عن الجهاد كأنه الخروج عن الدين، أمَّا العاجز بالبدن وجب عليه الجهاد بالمال، وعالج مسألة توزيع الخمس من غنائم الحرب امتثالًا لقوله تعالى : ﴿وَاعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ ٱلْفُرْقَانِ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ﴾[2]، أما مسألة سلب المقتول ذكر أحمد الشريف في كتابه عدة آراء، منها أن طائفة من أهل الحديث ذهبت إلى أن من قتل كافرًا في الحرب استحق سلبه، وذهب الأوزاعي إلى أكثر من ذلك وهو جواز ترك الكفار عُراةً.

واستطرد أحمد الشريف السنوسي في شرح مسألة الصلح مع الكفار، مع التطرق إلى الفدية والجزية، واعتبر الجهاد فرض عين إذا نزل عدو بأرض الإسلام، لذلك وجب على إمام ذلك البلد وأهله بمن فيهم العبيد والنساء، وأشار أيضًا إلى الهجرة من دار الكفر إلى دار الإسلام، ومصير الجواسيس، وغير ذلك من المواضيع التي لها علاقة بالجهاد مستشهدًا في أغلب الأحيان بآيات قرآنية وأحاديث نبوية شريفة.

وفي الأخير، أوصى أحمد الشريف السنوسي بالرفق واستعمال اللين مع الأسرى، والإحسان إلى الأعمى والمعتوه وأصحاب الصوامع، وأكد على التقوى والصبر واعتبرهما مفتاح القبول والنصر والفلاح.

وبموازاة الأحداث التي عاشتها ليبيا في تلك الفترة فإن أحمد الشريف يقصد الجهاد ضد إيطاليا التي غزت البلد في 3 أكتوبر 1911م، ومن المعلوم أن الحركة السنوسية تحالفت مع الدولة العثمانية، واستمر ذلك خلال الحرب العالمية الأولى، رغم إمضاء تركيا معاهدة أوشي 18 أكتوبر 1912م والتي نصت على الانسحاب من طرابلس الغرب وإنهاء الحرب التركية الإيطالية. ويندرج هذا الكتاب في إطار التعبئة العامة للمسلمين في شمال أفريقيا ضد

---

[1] – أحمد الشريف السنوسي، **بغية المساعد في أحكام المجاهد**، مرجع سابق، ص12.

[2] – سورة الأنفال : الآية 41.

الغزو الإيطالي، حيث ظل أحمد الشريف مساندًا للخلافة العثمانية ويدافع عنها بوازع ديني، خاصة بعد أن أصدر شيخ الإسلام فتوى نصت على أن الجهاد فرض عين على كل المسلمين ضد الحلفاء أعداء الإسلام وهي بريطانيا وفرنسا وروسيا، وذلك خلال الحرب العالمية الأولى، وأكد أنه من يمتنع يجلب غضب الله عليه ويستحق العقاب[1]، وما يلاحظ أن الكتاب جاء مسايرًا لحركة الجهاد التي تزعمها أحمد الشريف تحت شعار "الجنة تحت ضلال السيوف"، وقد وصف الشاعر الليبي حسين بن السيد مُحَمَّد الخلافي تلك الأحداث قائلًا :

فتاريخ السنوسي الدهر باق ... على رغم الحظوب المبليات
غداة احتل جيش الظلم (ليبيا) ... شسافاته (ومدمرات)
نصير بحرها (الأسطول) نارا ... واحرق برها (بمفرقعات)
وزلزال أرضها يدوى (تك) ... وأزعج جوها (بالطائرات)
فعاف العيش في ترف وعز ... بعيد عن ضروب المهلكات
يبيت أبدع الصناع فيه ... تحوط به الحدايق باسقات
ينعم فيه بين أخ وابن ... وبين أفاضل كالنيرات
وغادر (تاجه) وسعى إليها ... ونادى معلنا بين الكلمات
أجيبوا داعي الله استعدوا ... بين قومي الى حرب الطغاة
دعى فأجابه جم غفير ... وهل حرب تكون بلا دعاة
فضل حياته يسعى ويدعو ... لتوحيد الشعوب على العداة
فكم ليل تطاول لم ينمه ... ولم يعمل به غير الصلاة
وكم يوم طواه بغير زاد ... قضاه على ظهور الصافنات
بمعمعة يشيب الطفل منها ... يضيق لهولها صدر الغلاة
فلم تنظر إذا حققت إلا ... (مدافع) كالصواعق داويات
قنابلها تدك الأرض دكا ... وتقتلع الجبال الشاهقات
فأخفى الأرض أموات وجرحى ... ووارى الشمس نقع العاديات
وكم يوم (ببرقة) مثل هذا ... تسطره تواريخ الثقاة[2]

ومسارعة الإخوان إلى الجهاد سُنَّة حميدة تميزوا بها، وقد مدحهم "شاعر الحضرة السنوسية" أبو سيف، قائلًا :

---

[1] - توفيق برو، **القضية العربية في الحرب العالمية الأولى 1914– 1918**، ط1، دمشق، طلاس للدراسات والترجمة، 1989، ص68.

[2] – مُحَمَّد الطيب الأشهب، **برقة العربية أمس واليوم**، مرجع سابق، ص ص270، 271.

كتائب من سام وحام تجمعت وما جمعت إلا الأسود الضواريا
أسود لها سر الحديد ملابس وأعينها كالجمر أحمر قانيا
وأضفارها بيض الضبا أن بسطت بها فقد مع الهام الضلا والتراقيا
ومن بعدها تأتي جيوش (ببرقة) بوارقها تعش العيون العواشيا
تلاميذ لا يعدون أمرا راده بواد وأشراف تبيد الأعاديا
إذا حملوا تحت (العقاب) تخالهم صقورا على الأشلا توالى التهاديا
كتائب أمثال الجبال رزانة وإن حملت خلت الهضاب جواريا
فكم جدلوا يوم الجدال أجادلا وكم أغمدوا في الهمام عضبا يمانيا
أولئك أقوام على الموت بايعوا مبايعة أضحى بها الصبر راضيا[1]

وانفرد الأشهب من بين كل مؤرخي الحركة السنوسية بذكر نشيد المجاهدين الليبيين سنة 1911م ضد إيطاليا، قائلًا :

يا دولة الطليان بل يا عصبة الأعداء هل
أبقى القضا لما نزل بالله كم نجم فل
ألبستموا روما الحداد

يا فتية الطليان قد مال القنا فيكم وقد
إنا إذا الحرب اتقد نمشي ولا نخشى عدد
لا لا ولا نأبى الجهاد

من حربنا يا ويلكم أفعالنا (أفعى) لكم
ولت هبا أموالكم هل غركم أسطولكم
أم ضلكم أمر الحياد

أسد الثرى لا تكر تحيا ويحيا ((أنور))
سيف السنوسي القسور ماض ففروا وانفروا[2]

---

[1] – مُحَمَّد الطيب الأشهب، **برقة العربية أمس واليوم**، مرجع سابق، ص581.

[2] – نفسه، ص338.

ولأحمد الشريف مؤلفات أخرى، بدليل أن الدجاني ذكر إحداها بعنوان "الكوكب الزاهر"[1] -والذي مر معنا-، وذكره أيضًا باسم "كوكب الزاهر في سماء مجد مجلى الظلام العاكر"[2]، حيث ورد فيه بعض شيوخ السنوسية مثل عمران بن بركة ومُحَّد السني[3]، وقد وجدت أيضًا عنوان كتابٍ نُسب لأحمد الشريف اسمه "الشموس العرفانية في سماء مجد أستاذنا ومشايخه عمد الطريقة المحمدية"[4]، وأشارت دراسة تاريخية إلى كتاب مطبوع في مصر عام 1902م من تأليفه كذلك بعنوان "آثار الأنظار ومبتكرات الأفكار"[5].

ومهما يكن من أمر، فاحتمال وجود كتبٍ أو إجازات أو أثبات أو رسائل أو غيرها واردٌ جدًّا، باعتبار أن أحمد الشريف كان عالمًا وأستاذًا فذًا في الجغبوب، إضافة إلى علاقاته ومراسلاته مع العديد من الطلاب والعلماء.

2- المخطوطات :

إن أغلب مؤلفات السنوسية لا يزال مخطوطًا يحتاج إلى بحث، وقد وفقت في العثور على بعض منها كنسخ وأخرى كعناوين، وقسمتها إلى مجموعتين : الأولى خاصة بالشيخ السنوسي، والثانية لحفيده أحمد الشريف.

2-1- مخطوطات الشيخ مُحَّد بن علي السنوسي :

2-1-1- السّلسبيل المعين[6] :

ورد في البطاقة التقنية لهذه النسخة الموجودة في مدونة برج بن عزوز ما يلي : مخطوط من تأليف مُحَّد بن علي السنوسي، الناسخ مُحَّد علي يس، تاريخ النسخ 18 ذي الحجة 1324هجري، المكان المملكة العربية السعودية، وزارة التعليم العالي، جامعة أم القرى، مكتبة الملك عبد الله بن عبد العزيز الجامعية، قسم المخطوطات. عدد

---

[1] - أحمد صدقي الدجاني، مرجع سابق، ص37.

[2] - جمع أحمد الشريف في هذا الكتاب أخبار رحلة جده من مكة في آخر سنة 1255هـ عندما قصد المغرب، وقد سمعها من مُحَّد بن الشفيع أحد مريدي ابن السنوسي، وابن الشفيع هذا من سنار السودان، وكان أحد تلاميذ أحمد بن إدريس، ثم تعرف على ابن السنوسي ولازمه. ينظر : نفسه، ص75.

[3] - [http//www.ashraf-online.com]، 15 كيلو أوكتي، (زيارة الموقع 4 سبتمبر 2021، الساعة 09:10).

[4] - يتكلم الكتاب عن النفوس السبعة وهي : النفس الشهوانية، والكاملة، والمرضية، والراضية، والمطمئنة، والملهمة، واللوامة. ينظر: أحمد الشريف السنوسي، **الدُّرة الفردية في بيان مبنى الطريقة السنوسية المحمدية**، مرجع سابق، ص73.

[5] - سالم عبد الله الفلاح، مرجع سابق، ص153.

[6] - ينظر : الملحق رقم 30، ص437.

الأوراق : 6، اللوحة : 12، المسطرة : 17، نوع الخط : النسخ. أوله : البسملة. قال سيدنا الأستاذ العارف بالله. وآخره :

أن تجد عيبا فسد الخللا جل من لا عيب فيه وخلا[1]

وأول ملاحظة نسجلها عند مقارنة هذه النسخة من المخطوط بالكتاب المطبوع الاختلاف في العنوان، فقد ورد "السّلسبيل المعين" في المخطوط، بينما في الكتاب المطبوع "السَّلسبيل المعين في الطرائق الأربعين"، واستهل المخطوط بالبسملة بينما الكتاب بالبسملة والتصلية، وكُتب في متن المخطوط عبارة "تنيف عن السبعين" في إطار الحديث عن عدد الطرق الصوفية، لكنها غير موجودة في متن الكتاب المطبوع، والطريقة الركبية موجودة في المخطوط بينما غائبة في الكتاب، وفي المخطوط أربعون بيتًا شعريًا، وعجز بيتٍ دون صدرٍ، بينما ورد في الكتاب مائة وتسعة عشرة بيتًا، ولم يشر المخطوط إلى صاحب النظم بينما هو موجود في الكتاب المطبوع ونقصد به – كما ورد – أبي عبد الله سيدي مُحَمَّد الشهير بالحوات الحسني الشغساوني.

والجدير بالإشارة أنني تحصلت أيضًا على نسخة من هذا المخطوط بعنوان "السلسبيل المعين في الطرائق الأربعين" من تأليف الشيخ مُحَمَّد بن علي السنوسي، وهي موجودة في خزانة علال الفاسي بالرباط في المغرب الأقصى تحت رقم : ع 486، متكونة من تسعة وخمسين لوحة، كُتبت بخط النسخ، بتاريخ جمادى الأول 1297هـ، دون تسجيل اسم الناسخ، أولها بعد البسملة : « الحمد لله الذي من علينا »، وآخرها : « مثال لما يحصل من هذه الصفات »[2]، وحسب الكتاني توجد نسخة من هذا المخطوط أيضًا في زاوية بقيرات [كذا] من ضواحي مستغانم، وأخرى بالمكتبة العمومية بطنجة[3].

2-1-2- هذا كتاب فيه أسانيد الشيخ السنوسي في التصوف[4] :

مخطوطٌ من تأليف الشيخ مُحَمَّد بن علي السنوسي موجودٌ في المكتبة الوطنية الجزائرية. الرقم : 948. أوله : وأما ما اشتملت عليه خاتمته من أسانيد. وآخره : كان الله له في الدارين. الناسخ : بكير بن إسماعيل بن حفيظ.

---

[1] – مدونة برج بن عزوز، [http://www.albordj-blogspot.com]، 23 كانون الأول (ديسمبر 2012)، 1.4 M. (زيارة الموقع 25 أكتوبر 2015، الساعة 13:20).

[2] – ينظر : الملحق رقم 31، ص438.

[3] - عبد الحي الكتاني، مرجع سابق، ج2، ص1059.

[4] – ينظر : الملحق رقم 32، ص439.

تاريخ النسخ : غير موجود. عدد الأوراق : 30 ورقة. المسطرة : 21. الخط : مغربي، اللوحات : محاطة بإطارين أحدهما أحمر والآخر أصفر، وأحيانًا بإطار ثالث أزرق. المداد : يغلب عليه اللون الأسود، وبعض الكلمات دونت باللون الأحمر.

ونقل الشيخ السنوسي في هذا المخطوط أسانيد الطرق الصوفية عن مشايخ مغاربة منهم : البدر المستغانمي[1]، والعلامة السنوسي[2]، وابن الشارف، وعن مشايخ مشارقة منهم : حسن العجمي وجمال العجمي وغيرهما، ولم يستند هذه المرة على رسالة أبي البقاء العجمي كما ورد في كتاب "السّلسبيل المعين في الطرائق الأربعين".

وبالنسبة إلى عدد الطرق الصوفية فهي عشرة حسب تصريح الشيخ السنوسي نفسه، حيث قال : « هذا ما تيسر جمعه من أسانيد هذه الطرق العشرة وسيأتي لها مزيد بيان في الخاتمة »[3]، وأول طريقة تصوف وردت في المخطوط هي الطريقة "المحمودية" ويقصد بها "المحمدية"، حيث قال : « فأروي الطريقة المحمودية من وجوه أعلاه ما أخذناه عن شيخنا قطب العارفين وإمام التحقيق مولانا السيد أحمد بن إدريس عن شيخه العارف بالله السيد عبد الوهاب التازي، عن مولانا عبد العزيز الدباغ وعن سيدنا ومولانا أبي العباس مولانا سيدي أحمد الخضر عن النبي ﷺ ». ووردت في المخطوط طريقة صوفية جديدة، ذُكرت لأول مرة مقارنة بمصادر السنوسية الأخرى، وهي "الطريقة الجيفرية"[4]، أما البقية فهي معروفة مثل السهروردية والأويسية والخضرية والقادرية وغيرها، ومأخوذة بالأساليب المعهودة لدى المتصوفة مثل الإجازة ولبس الخرقة والإسناد وغيرها.

---

[1] – يقصد الشيخ بدر الدين مُحَمَّد بن عبد الله المستغانمي، ودليلنا ما ذكره السنوسي نفسه في كتاب "المنهل الروي" حول أسانيد الطرق الصوفية، حيث قال : « ... عن شيخنا بدر الدين مُحَمَّد بن عبد الله المستغانمي عن الشيخ أبي عبد الله مُحَمَّد ابن علي بن الشارف المازوني ... »، وقد سماه في موضع آخر باسم "البدر المستغانمي". ينظر : مُحَمَّد بن علي السنوسي، **المنهل الروي الرائق في أسانيد العلوم وأصول الطرائق**، مرجع سابق، ص ص75-77.

[2] – اعتمادًا على سياق الكلام، يتحدث السنوسي عن أسانيده في التصوف عن شيوخ معاصرين له، نعتقد أنه يقصد العلامة سيدي مُحَمَّد بن أحمد السنوسي الحسني الشهير بالسنوسي (ت 1841م)، أحد أبرز فقهاء فاس والذي عاصره، – وقد مر معنا –. ينظر : مُحَمَّد بن علي السنوسي، **هذا كتاب فيه أسانيد الشيخ السنوسي في التصوف**، المكتبة الوطنية الجزائرية رقم : 948. مخ، مرجع سابق، ص30.

[3] – نفسه، ص30.

[4] - تُنتسب إلى الإمام أبي القاسم الجيفري ﷺ. ينظر : نفسه، ص10.

2-1-3- شرح أبيات : رأيت ربي بعين قلبي :

مخطوطٌ من تأليف الشيخ مُحَمَّد بن علي السنوسي، موجودٌ في المكتبة العامة بتطوان، تحت رقم 608[1].

2-1-4- قرة عين أهل الصفا في صلوات المصطفى ﷺ :

مخطوطٌ من تأليف الشيخ مُحَمَّد بن علي السنوسي، موجودٌ بالمكتبة الوطنية الجزائرية، تحت رقم 2760[2].

2-1-5- ثُبت :

مخطوطٌ من تأليف الشيخ مُحَمَّد بن علي السنوسي، موجودٌ في دار الكتب المصرية فهرس تيمور رقم 1746، وتوجد نسخة مخطوطة منه أيضًا ببلدية الإسكندرية رقم 3318. « الفهارس»[3].

2-1-6- المنهل الروي الرائق في أسانيد العلوم وأصول الطرائق :

مخطوطٌ موجودٌ في خزانة الحرم المكي بالمملكة العربية السعودية، تحت رقم : 747، دُوِّن في بطاقته التقنية : الناسخ عبد الستار الصديقي، دون تاريخ ومكان النسخ، وورد أيضًا في نفس الخزانة مخطوط آخر، لكن بعنوان مختلف هو: "المنهل الرائق في الأصول والطرائق"، وتتألف هذه النسخة من حوالي 128 لوحة، كُتب في بطاقتها التقنية: الناسخ : مجهول، تاريخ النسخ : الخميس 7 محرم 1295هـ، المكان : مصور عن النسخة المحفوظة بدار الكتب القومية تحت رقم 165 مصطلح تيمور، والملاحظ أنها نسخت بخط غير مغربي.

2-1-7- فهرس الشموس الشارقة بما لنا من أسانيد المغاربة والمشارقة :

نسخة مكتوبة بالآلة الراقنة، تتكون من اثنتين وثلاثين صفحة، من تأليف الشيخ مُحَمَّد بن علي السنوسي، وهي فهرسة عامة وشاملة لُخِّصَت في "البدور السافرة في عوالي الأسانيد الفاخرة " -كما مر معنا-[4]، وقد تحصلت على هذه النسخة من مكتبة الشيخ المهدي البوعبدلي.

---

(1) – بشير ضيف، مرجع سابق، ج2، ص245.

(2) – نفسه، ص245.

(3) – نفسه، ص117.

(4) – أكد ذلك أيضًا الكتاني حيث قال : « البدور السافرة في عوالي الأسانيد الفاخرة لخصه من كتاب "الشموس الشارقة فيما لنا من أسانيد المغاربة والمشارقة" ». ينظر : عبد الحي الكتاني، مرجع سابق، ج1، ص246.

2-1-8- مخطوط المسلسلات العشر :

مخطوط من تأليف مُحَمَّد بن علي السنوسي موجود في فهرس المخطوطات بِ : "م ج ل د ت" بليبيا، وقد وردت فيه المعلومات الآتية : باب: أصول الفقه، أوله: المسألة الأولى في الرفع في الصلاة، خط : مغربي، ق:12، س : 20، م : 23×16، رقم المخطوط : 1965، المكان : ليبيا (ق: عدد الأوراق. س : عدد السطور)[1].

2-1-9- البدور السافرة في عوالي الأسانيد الفاخرة :

توجد عدة نسخ لهذا المخطوط في العديد من مكتبات وخزائن العالم، منها المكتبة الوطنية الجزائرية تحت رقم : 2522[2]، حيث ورد في بطاقتها التقنية أنها من تأليف الشيخ مُحَمَّد بن علي السنوسي[3]، دون تاريخ نسخ، احتوت على خمسة عشرة ورقة من قياس 250×190مم، ويُلاحظ على هذه النسخة أنها كُتبت بخطٍ مغربيٍ، أغلبه بمداد أسودٍ، تتخلله أحيانًا كلمات بمداد أحمرٍ.

وصرح الكتاني بأن لديه كراستين من هذا المخطوط، استنسخهما من خزانة الزاوية السنوسية بالمدينة المنورة، وأضاف بأنه وجد أكثر منها في زاوية بوكَرات [كذا] بوادي الشلف عمالة مستغانم مسقط رأس الشيخ السنوسي، ويرويها عن الشيخ فالح والشيخ عبد الهادي العواد والشهاب لأحمد بن الطالب ابن سودة[4]، وللعلم لدى بعض الخواص نسخًا أيضًا، منهم الأستاذ بليل حسني بوهران[5].

وتوجد نسخة من هذه المخطوطة كذلك في موقع البحث العلمي قسم المخطوطات رقم 1194، دُوِّنت فيه المعلومات التالية : الرقم 2 : 3318/6504ج، المؤلف : السنوسي(أبو عبد الله[كذا] مُحَمَّد بن علي الحسني) م

---

(1) – إبراهيم سالم الشريف، **فهرس المخطوطات بمركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية**، ط1، بنغازي. ج ع ل ش إ ع، دار الكتب الوطنية، 2000، ج2، ص56.

(2) – ينظر : الملحق رقم 33، ص440.

(3) – قال الكتاني بأن الشيخ السنوسي ألّفها باسم أبي مُحَمَّد عبد الله بن الإمام وأبي المكارم حسن بن مُحَمَّد اليمني. ينظر : عبد الحي الكتاني، مرجع سابق، ج1، ص246.

(4) – نفسه، ص247.

(5) – مُحَمَّد أبو راس المعسكري، **عجائب الأسفار ولطائف الأخبار**، تح.مُحَمَّد بوركبة، الجزائر، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية وحدة الرغاية، 2012، ج1، ص19.

1276هـ، بلدية الإسكندرية، مصر[1]، ونسخة ثانية في نفس المدينة أي الإسكندرية وبالضبط في فهرسة مكتبتها حيث ورد في بطاقتها الفنية ما يلي : المؤلف : السنوسي مُحَمَّد بن علي 1202-1276هـ، رقم الاستدعاء 297.124، الموضوع : مخطوطات..اسناد..الحديث، الوصف المادي سم21.5 ورقة[2]. وتوجد نسخة أخرى في مكتبة الحرم المكي، سُجِّلت في بطاقتها الفنية المعلومات الآتية : نوع المخطوط CD، رقم الاستدعاء 4078، الموضوع : أصول الحديث-إجازات، المؤلف : السنوسي، مُحَمَّد بن علي 1276هـ، رقم عام 747/1 (997)، المراجع : الفهرس المختصر لمخطوطات مكتبة الحرم المكي الشريف 1/258[3].

وقد تحصلت مؤخرًا على نسخة من خزانة مكتبة الحرم المكي تحت رقم 747[4]، سُجِّلت في بطاقتها التقنية أن ناسخها هو أحمد بن حسين بن الحاج إدريس، بتاريخ 17 جمادى الأول 1333هـ، وكُتبت أيضًا عبارة "عن النسخة الموجودة بالجامع الأزهر". وتتألف هذه المخطوطة من تسعين لوحة نُسِخت بخط رقعي، تمت الإشارة في مستهلها بأنها تضم – إضافة إلى البدور السافرة – أربعة كتب أخرى وهي : المنهل الروي الرائق في أسانيد العلوم وأصول الطرائق، والسلسبيل المعين في أسانيد الطرايق[كذا]الأربعين، والكواكب الدرية في أوايل[كذا]الكتب الأثرية، وسوابغ الأيد بمرويات أبي زيد، لكن بعد تفحصنا للمخطوطة وجدنا أنها اشتملت على "البدور السافرة" و"المنهل الروي الرائق" فقط، مما يؤكد أنها نسخة مبتورة أي غير مكتملة.

ويعتبر مخطوط "البدور السافرة في عوالي الأسانيد الفاخرة" من أبرز المصنفات الخاصة بالأسانيد والإجازات، حيث تضمن أسانيد الشيخ السنوسي وهم شيوخ من المغرب والمشرق، درس أو أخذ عنهم، وقد ذكرهم هو بنفسه منذ أن كان في بلده مستغانم وصولًا إلى إقامته في الحجاز، وعدَّد أيضًا مختلف العلوم التي وصلت إليه وهي اثنتا عشرة عِلمًا، صرح بها قائلًا : « ... فيما وصل إلينا من العلوم الشرعية الاثنى عشر التي هي التفسير والحديث والفقه والفرايض وأصول الدين وأصول الفقه ... »[5]. وفي حقيقة الأمر، تُعدُّ البدور السافرة فهرسة صغرى مختصرة

---

(1) - [http://www.k-tb.com/manuscrit]، 18 كيلو أوكتي، (زيارة الموقع 17 جوان 2020، الساعة 08:45).

(2) - [http://www.balis-bibalex.org]، 13 كيلو أوكتي، (زيارة الموقع 13 مارس 2022، الساعة 17:03).

(3) – مكتبة الحرم المكي الشريف، [http://www.library1.kuniv.edu.ku/manuscript]، 162 كيلو أوكتي، (زيارة الموقع 13 مارس 2022، الساعة 16:47).

(4) – ينظر : الملحق رقم 34، ص441.

(5) - مُحَمَّد بن علي السنوسي، **البدور السافرة في عوالي الأسانيد الفاخرة**، المكتبة الوطنية الجزائرية، رقم2522، مرجع سابق، مخ.

للفهرسة الكبرى الموسومة بِ : "الشموس الشارقة فيما لنا من أسانيد المغاربة والمشارقة"، وقد صرح بذلك الشيخ السنوسي نفسه، حيث قال : « فقد حصل لنا ولله الحمد التئام بأئمة أعلام، وجهابذة من أهل الله فخام، ووصل إلينا من طرائقهم أخذا وإجازة عدة وافرة، وجملة متكاثرة ذكرنا كلها أو جلها في فهرستينا الشموس الشارقة، ومختصرها البدور السافرة ... »[1].

واستهل الشيخ السنوسي المخطوط بالبسملة والتصلية والحمدلة، ثم ذكر سبب تأليفه وهو إلحاح من بعض طلاب العلم عليه، وبعد أن استخار الله أجابهم، ثم شرح واستعرض مضمون المخطوط، حيث قسمه إلى مقدمة وثلاثة أبواب، وخاتمة.

بالنسبة للمقدمة، ورد فيها أحوال ما بعد وجوده إلى تمام التميز والرشد، والباب الأول ذكر فيه السنوسي بعض أشياخه وقسمه إلى سبعة فصول، والباب الثاني ذكر العلوم الشرعية التي وصلت إليه وعددها اثنتا عشرة – كما أسلفنا –، أما الباب الثالث خصصه للإجازات العامة التي تحصل عليها، والخاتمة ذكر بأنها نوعان : الأول وصله بالمسلسلات، والثاني بواسطة الصوفية[2].

2-1-10- بغية المقاصد في خلاصة المراصد[3]:

مخطوطٌ من تأليف الشيخ مُحَمَّد بن علي السنوسي، موجودٌ بجامعة الإمام مُحَمَّد بن سعود الإسلامية، قسم المخطوطات، تحت رقم : 918، ورد في بطاقته التقنية ما يلي : أوله : الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا مُحَمَّد خاتم النبيئين. وفي آخره : وذلك لأن مراده في مراد الحق سبحانه وتعالى وفي هذا المقدار كفاية لذوي الاستبصار انتهى، اسم الناسخ : لا يوجد، نوع الخط : نسخ[كذا]، ملاحظات : به تعليقات للسيد أحمد رافع الحسيني القاسمي الطهطاوي، عدد الاوراق: 122، عدد الأسطر : 25، المقياس : 25×16سم، المكتبة المصور عنها المخطوط ورقمه : روضة خيري بمصر رقم : 79، مكان النسخة : جامعة الامام مُحَمَّد بن سعود الاسلامية، قسم المخطوطات، رقم 918.

---

[1] - مُحَمَّد بن علي السنوسي، **السَّلسبيل المعين في الطرائق الأربعين**، مرجع سابق، ص ص5، 6.

[2] – مُحَمَّد بن علي السنوسي، **البدور السافرة في عوالي الأسانيد الفاخرة**، المكتبة الوطنية الجزائرية، رقم2522، مرجع سابق، مخ.

[3] – ينظر : الملحق رقم 35، ص442.

2-2- مخطوطات أحمد الشريف السنوسي :

2-2-1- الدُّر الفريد الوهاج في الرحلة المنيرة من الجغبوب إلى التاج[1] :

ورد في البطاقة الفنية لهذا المخطوط معلومات دُوِّنت كما يلي : المؤلف : أحمد بن الشريف السنوسي. الفن : الجغرافية (الرحلات). المكان : جامعة الإمام مُحَمَّد بن سعود الإسلامية قسم المخطوطات. الرقم : 1416. أوله : حمدا لمن جعل الظعن وصلة لجميع المقاصد. آخره : الحمد لله وكفى وسلام على عباده الذين اصطفى.أ هـ. لا يوجد اسم الناسخ. تاريخ النسخ 18 ذي الحجة 1313هـ. نوع الخط : مختلف (خطي الرقعة والنسخ). ملاحظات : به خروم كثيرة وشطب وتصحيح. عدد الأوراق : 63. عدد الأسطر: 21. المقاس : 25×18سم. المكتبة المصور عنها المخطوط ورقمه فيها : روضة خيري بمصر 689.

وحسب تاريخ النسخ وهو عام 1313هـ الموافق لسنة 1895-1896م فإن هذا المخطوط عاصر الرحلة، غير أننا نشك في ذلك لأنه يوجد إبهاض في التاريخ، كما أن الخط ليس مغربيًا والذي عادة ما ينسخ به أحمد الشريف السنوسي وأهل المغرب العربي بصفة عامة. وما يُلاحظ على هذه النسخة اختلاف الخط ولون المداد الذي نسخت به حيث نجد ثلاثة ألوان : أسود وأحمر وأزرق، مما يوحي لنا بوجود عدة نساخ، والصفحات مرقمة وبها "التعقيبة" التي تتميز بها المخطوطات العربية، لكنها أحيانا غير مطابقة لبداية الصفحة الموالية، وبناءً عليه نعتقد أنه تم جمع عدة أجزاء من نسخ الرحلة في نسخة واحدة. وفي هذا الإطار نشير إلى وجود نسخة من المخطوط في جامعة الكويت لكن بشكل "ميكرو فيلم"، رقم الاستدعاء : 576. الرف : 1576.

ووردت هذه الرحلة في كتاب آخر بعنوان مختلف، وهو : "السراج الوهاج في رحلة السيد المهدي من الجغبوب إلى التاج"[2]، وهذه الرحلة - كما هو معلوم - قام بها مُحَمَّد المهدي السنوسي عم أحمد الشريف إلى الكفرة عام 1895م، وضمت القافلة أكثر من ثلاثة آلاف وخمسمائة وستين جملًا محملة بالكتب والمخطوطات النادرة، إضافة إلى ألفين وستمائة شخص ،كبيرًا وصغيرًا، ذكورًا وإناثًا، ضمت أشخاصًا من أكبر الإخوان سنًا كالشيخ عمران بن بركة، والعلامة مُحَمَّد بن عبد الله السني[3]، وأحمد التواتي، وأحمد الثني الغدامسي، وأحمد البسكري[4]،

---

[1] - ينظر : الملحق رقم 36، ص443.

[2] - مُحَمَّد الطيب الأشهب، **برقة العربية أمس واليوم**، مرجع سابق، ص253.

[3] - أحمد الشريف السنوسي، **الدُّر الفريد الوهاج في الرحلة المنيرة من الجغبوب إلى التاج**، مرجع سابق، مخ.

[4] - علي مُحَمَّد الصلابي، **تاريخ الحركة السَّنُوسيَّة في أفريقيا**، مرجع سابق، ص201.

وغيرهم، بينما بقي في الجغبوب عددٌ من الشيوخ من بينهم الشيخ أحمد الريفي، وصنونا السيد مُحَمَّد عابد، والسيد المدني، والسيد مصطفى المحجوب.

لقد كان قرار مُحَمَّد المهدي الرحيل إلى الكفرة مفاجئًا للإخوان وكل الليبيين، لذلك خيّم الحزن على الجميع، وأُغمي على الكثير منهم، من بينهم "شاعر الحضرة السنوسية" أبو سيف مقرب، الذي صعد – بعد أن فاق – فوق هضبة متوجهًا إلى الركب، وأنشد ارتجالا قصيدة شعرية رقيقة[1]، تدمع لها العين من شدة الحزن، وصف فيها صعوبة الفراق والكآبة التي خيمت على الجغبوب، وفي نفس الوقت الرجاء في العودة واللقاء، جاء فيها :

همو هيجو يوم النوى أشجاني	وحاديهم لما ترنم أشجاني
وهم سلبوا لبي وألبس بينهم	رداء الردى جسمي وأثواب أحزاني
وهم غادروا جسمي لظًى بعد مهجة	جرى ذويها من بحر مدمعي القاني
فوالله لا أنسى عشية ودعوا	فأودعتهم صبري وأودعت سلواني
وضاعف أحزاني مواقف جمة	وبرح بي فقدانهن وأضناني
يسائلني مولاي تسئال رحمة	يحل بها شأني ويبئس الشاني
ومن أعجب الأشياء رحلة معشر	غدت محشرًا أوهت قوى كل إنسان
تبلد من جرائها كل سوقة	وطأطأ إجلالًا لها كل سلطان
وزلزلت الدنيا وماجت بأهلها	وعادت عواد بين ترك وعربان
لك الله من ركب تيمم كفرة	تتاخم كيوار المتاخم سودان
غدا طاويًا نشر البسيطة باسطًا	لأعلام عز تنجد الضارع العاني
ومنتقيًا عزمًا يفل بحده	قواطع آراء من أهل وجيران
ولم يثنه عما نوى ألم النوى	وأنه محزون ورنة صبيان
وحثوا مطاياهم ببيض قبابهم	فلاحت نجوم دونها نجم كيوان
سروا والدياجي حالك صبح لونها	يؤمنون أحقافًا ترى ذات ألوان
وخلوا بجغبوب المقدسة علية	يعلون بعدًا النهل طلاب عرفان
وقصرًا مشيدًا كان مطمح أنفس	ومطلع مطعام ومطعن مطعان
ربعًا عهدنا بهوه وهو آهل	بإنجاب أشبال وآساد خفان
وكانت لهم فيه مواقف جمة	أناب لها فخرًا على كل إيوان

[1] – علي مُحَمَّد الصلابي، **تَاريخ الحرَكَة السَّنُوسيَّة في أفريقيا**، مرجع سابق، ص199.

وحلت بواديه بواد فأصبحوا نشاوي بإنشاد وذكر وقرآن
وكانت بمغناه علومًا يبثها مشايخ أعلام، وأعلام فتيان
رووا متنها عن حافظ أي حافظ أسانيده تعلو بضبط وإتقان
هو ((ابن السنوسي)) الذي شاع ذكره بكل بلاد بين سوس وإيران
إمام همام كان للحق قبلة تيممها القاصي من الخلق والداني
وشهرته تغني عن إطراء مدحه كما اشتهر ((المهدي)) بالعالم الثاني
سقى الله أرضًا زارها صوب قطره وساق لذاك القطر عارض نسيان
على أنها تغني بعذب نواله ومدراره عن كل أوطن هتان
متى تستشفي نفسي بقرب لقائه ويستن طرف الطرف في روض إحسان
متى يأتي مولاي الشريف مصاحبًا كتائب كتاب ببيض ورمان
فإني من رجعاكم لست آيسًا ولا يأس من روح ورحمة رحمن
وإني مقيم سادتي برحابكم على عهدكم حتى ألف بأكفان
وإني أرجو نظرة مقامكم تسلي عن الدنيا وزخرفها الفاني
عليكم سلام الله ما هبت الصبا تحية صب خافق القلب هيمان[1]

ودامت الرحلة قرابة ثلاثة أشهر، قطعت مسافة أكثر من ألف وثلاثمائة كلم في صحراء قاحلة بمرافقة ثلاثة آلاف جمل[2]، واعتبر الأشهب هذه الرحلة بمثابة مذكرة يومية، ونحن نوافقه، لأن أحمد الشريف جمع فيها كل ما يقع في اليوم من مشاهدات وروايات وزيارات لأماكن، إضافة إلى تسجيل أخبار الماضي لاسيما الغريب منها، والتي عادة ما تعْلقُ في الذاكرة، وتحكيها الأجيال بعد ذلك، كما لم تخل الرحلة من نوادر وقصص عجيبة، منها ما نُسب لأحمد الشريف السنوسي نفسه صاحب المخطوط[3].

واستهل أحمد الشريف السنوسي بتعريف الرحلة مادحًا عمه مُحَمَّد المهدي، فقال : « وسميتها الدر الفريد الوهاج بالرحلة المنيرة من الجغبوب إلى التاج واتبعتها برحلة سنوسية واقتفيت برحل الأستاذ ذوي النور الساطع وأوصاف الجغبوب وأحوالها وأوصاف المهدي والأحاديث الواردة فيه ذات البرهان القاطع ... ».

---

(1) – مُحَمَّد بن عثمان الحشائشي، مرجع سابق، ص169-170.

(2) – عبد المالك بن عبد القادر بن علي، مرجع سابق، ص59.

(3) – من كرامات أحمد الشريف السنوسي، أنه في تلك الأسفار حينما يحتاج الركب إلى الماء، يطلب منه الدعاء والتوجه إلى الله، فيدعو فيستجاب له في الوقت ويغاثون بالمطر. ينظر : مجموع رقم 743، مكتبة الحرم المكي، المملكة العربية السعودية. ص4. مخ.

ووثقت الرحلة معلومات هامة، أخذ أحمد الشريف أغلبها عن عمه مُحَمَّد المهدي الذي يسميه "أستاذنا"–كما أسلفنا– احتراما له، ووصفه بِ : "القطب"، و"حافظ العصر"، و"خاتمة الأعلام"، وهذه مراتب رفيعة جدًّا لدى المتصوفة والمحدّثين، كما عدد مناقب وفضائل وكرامات جده وأبيه أيضًا.

وورد في المخطوط عدة قصائد شعرية، تتمحور أغلبها في مدح آل السنوسي والثناء عليهم باعتبارهم من أهل البيت، ومثلت تلك القصائد نشاطًا أدبيًا رائعًا أثناء الرحلة، أرتأينا أن ندرج نماذج منها :

أنشد الشيخ عمران بن بركة قائلًا :

يا آل بيت رسول الله حبكم فرض علينا وفي فؤادنا طبعا
لا زلتم في صفا عيش وفي منن وفي اقتباس علوم ظرفها وسعا
هامات قوم لنحو الارض هاوية والقوم سكري[كذا]يخاف الكل ما وقعا
هو الغياث اذا ماشتدت باكرب[كذا] وهو الملاذ الصمام قد وضعا
يبدو هناك باظفار له لبد وصوب باس تخاف الاسد ما ترعا
وعن ميامنه اسد مقذفة اشبال غاب له ما صادق فزعا
باعوا النفوس لمولاهم وسيدهم ولازموا الباب حتي[كذا] الكل قد قرعا
بهم تدرع في حرب وفي سلم سهم العواذل لا ترجوا به طمعا
فيا الهي يا ذا الجود عمدتنا بدر التمام فلا تهمل ولا تدعا
واجعل لنا صحبة لله ثابتة قطبي كمال لنشر العلم قد فزعا
ايا خليلي عج بالركب نحوهم ورد زلالا لكل المارين قد قطعا
عرج اليهم ولا توجل وكن عجلا فما التواني لدي الخلان قد نجعا
بشري[كذا]لنل معشر الاخوان ان لنا فخرا بديعا علي[كذا]العليا قد رفعا[1]

وأنشد العلامة حسن وفا قصيدة عصماء، مدح فيها الشيخ مُحَمَّد المهدي السنوسي قائلًا :

ولما رآه الدهر اصبح باسما بثغر الرضا بعد التعبس والحقد
وقال يبغي طريقا الي[كذا]العلي[كذا] عليك بهذا الحبر والجهبذ الفرد
امام به فرد الفضايل توأم وفي رتب التفضيل بلا ند
امام حباه الله علما وحكمة وحاز التقي والفضل بالجد والجد

[1] - أحمد الشريف السنوسي، **الدُّر الفريد الوهاج في الرحلة المنيرة من الجغبوب إلى التاج**، مرجع سابق، مخ.

امام جليل بشرتنا به العلي علي[كذا] انه المهدي مذ كان في المهد
امام الى بيت النبوة ينتمي ولا شك عند اثنين في أنه المهدي
كرامته كالزهر في افق السماء فلله ما يخفيه منها وما يبدي
فكم من مريد صار من نفحاتها اماما جليلا من ذوي الحل والعقد
وكم من محب لاحظت عيونها فاصبح من اهل السعادة والرشد
وكم رشقت باغ بأسهم سرها فاصبح بعد العز في حفرة اللحد
فلا تنكر والابن الامام كرامة فكم منح وافته منةسنن الجد
فلا غرو إن حاز المكارم كلها وأضحي له التصريف في الغور والنجد
وذلك فضل الله يؤتيه من يشا وكم نعم لله تسدي الي[كذا] العبد[1]

وقَدِم العلامة مُحَمَّد بن عبد الله السني من جهة فزان في نفر، وأنشد قصيدةً يُذكِّر فيها غربة الدين، نقتطف منها هذه الأبيات :

مالي ارى بهجة الاسلام تستتر ومهجة الدين قد حلت بها الغير
قد زعزع الدين وانهدت دعائمه وباد من بعد ما ساد الالى فجروا
يا طالما عمرت اركانه وسمت اعلامه وزهت ايامه الزهر[2]

ومما ميز هذه الرحلة –كما هو معلوم– وفاة السيد مُحَمَّد الشريف السنوسي[3]، وقد حكى عن تلك الفاجعة ابنه أحمد الشريف صاحب المخطوط، ووصف حالة الحزن الشديدة التي خيمت على الإخوان والركب عمومًا، وفي هذا الجو الأليم نعى "شاعر الحضرة السنوسية" أبو سيف مقرب المرحوم في قصيدة، نقتطف منها هذه الأبيات :

سرنا بنعشك خضع الاعناق سيرا دوي العدو والاعناق
يا خير محمول لاعلى جنة ولحورها يلقينه بعنـــــاق
داء اصاب المكرمات فغالها واغتال روح مكارم الاخلاق
يجري على وفق القضاء حتى فلا تبقى قواضيه على الارماق

---

[1] – أحمد الشريف السنوسي، **الدُّر الفريد الوهاج في الرحلة المنيرة من الجغبوب إلى التاج**، مرجع سابق، مخ.

[2] – نفسه، مخ.

[3] – قال أحمد الشريف : « ... فاعتراه مرض شبيه بالحمى فصار ﷺ يشتكي من فؤاده واحد جنبيه ولم ينشب ان ضعفت قوته وطهبت من الطعام لذته ولزم الوساد وفي ليلة السابع والعشرين المذكور نزل به امر سيده وناداه فاجاب[كذا] ... توفي في ليلة القدر سنة الف وثلاثماية[كذا] وثلاثة عشرة من الهجرة ». ينظر : نفسه، مخ.

والدهر يعتام الاخاير والردى ... يعتاد نهب نفايس الاعلاق
ماضره لو ان طرفه صرفه ... ابقاك للعافين والطراق
والحلم والعلم الذي شمحت به ... وافاق جغبوب على الآفـــاق
لكنه لا ينثني عن قصده ... بقطب او رقية من راق
اودى الشريف بن الشريف مُحَمَّد ... ما للمعالي بعده من راق
يا جامعا اصل العلوم وفرعها ... جمعا لمن ناواك غير مطاق
انت الامام لكل من ام الهدى ... والدين بالإجماع والاصفاق
له كنز معارف وعوارف ... تحت الصفايح محكم الاطباق[1]

ومن خلال هذا المخطوط عرفنا بعض أحداث الرحلة، حيث نقل لنا أحمد الشريف السنوسي بعض عادات وتقاليد وخصال بدو برقة، من خلال وصف يومياتهم؛ من أكل وشرب ولباس وغيرها، فمثلًا ذكر نوع الطعام المفضل في وادي قطمير وهو الحريرة المحمرة والعصيدة البيضاء، ووصف كرم أهل البادية والصحراء منهم قبائل المجابرة والأواجلة والزوي، حيث قال بأن بعض الأهالي منهم قدَّموا ما مجموعه خمسة وأربعين جملًا لحمل الماء، كمساعدة للقافلة في رحلتها إلى الكفرة.

والجدير بالإشارة، يعد شعب قبيلة الزوي أسياد صحراء الكفرة، ومن أكبر الدعمين للحركة السنوسية – كما مر معنا –، وقد أثنى عليهم "شاعر الحضرة السنوسية" أبو مقرب قائلًا :

(زوية) أهل الفخر إن جئت حيهم ... ترى العز في نادي (زوية) باديا
وأهل الفتى أمضى من السيف عزمه ... وإن كان للضيفان بالبشر باديا
إذا ما دعوا يوما إلى شن غارة ... رأيت المنايا الحمر تعلو المذاكيا
فكم من جريح قد أباحوا وأجحفوا ... بمال عني لا يخافون عاديا
فأرشدهم مرشد من حل بينهم ... فلا زال مهديا ولا زال هاديا[2]

وبالعودة إلى الرحلة، فإن أحمد الشريف لم ينقل كل الأحداث بيومياتها، بل ركز أحيانا على أخبار السنوسية التي جرت في الماضي، وشملت مآثر جده والإخوان خاصة وأن الرحلة ضمت أغلب مرافقي جده القدامى، ورغم

[1] – أحمد الشريف السنوسي، **الدُّر الفريد الوهاج في الرحلة المنيرة من الجغبوب إلى التاج**، مرجع سابق، مخ.
[2] – مُحَمَّد الطيب الأشهب، **برقة العربية أمس واليوم**، مرجع سابق، ص580.

أهمية الرحلة إلا أنها خلت من معلومات علمية دقيقة مثل التضاريس والموقع الفلكي والطقس وغيرها، والتي عادة ما يتميز بها الرحالة الأوروبيون لاعتمادهم على تقنيات وآلات علمية دقيقة[1].

ونشير في الأخير إلى ورود معلومات قيمة جدًّا في المخطوطة، منها ذكر نحو مائة وثلاثة وعشرين حطية مرت بها القافلة، مثل حطية الفاخري وزرقون والقذافي وغيرها[2]، ونحو سبعة وسبعين مدينة وقرية في ليبيا وخارجها، مثل سرت والكفرة ودرنة والإسكندرية ومكة وتونس[3]، ونحو سبعة عشرة زاوية[4]، وورد في المخطوط أيضًا حوالي مائة واثنين وتسعين اسمًا لقبائل وأشخاص، إضافة إلى نباتات كالقمح والآرك والنخل والقزام والزيتون والغردق، وحيوانات كالإبل والبغال والخيل، ومعادن كالذهب والنحاس والأطرون، وغيرها[5].

2-2-2- مخطوطة عقيدة الحفيدة :

ورد في البطاقة الفنية لهذه المخطوطة معلومات كما يلي : الرقم : فقه شافعي 961. اسم المؤلف : السنوسي أحمد الشريف بن مُحَمَّد بن علي السنوسي الخطابي 1867-1933. المكتبة : دار الكتب المصرية. البلد : مصر. التصنيف الرئيسي : فقه شافعي 961.

2-2-3- مخطوطة الكوكب الزاهر :

ورد في البطاقة الفنية لهذه المخطوطة معلومات وهي : الرقم : 31351. الرقم 2 : 8769 ن1. اسم المؤلف : السنوسي أحمد الشريف بن مُحَمَّد (1351هـ-1933م). المكتبة : الأسد. تاريخ النشر 1318. البلد سوريا. عدد الأوراق : 60 ورقة (52-112) 16س : 23x18.5سم. التصنيف الرئيسي : 620 الرحلات الجغرافية 118769. 111 مجموع. نبذة عن المخطوطة السورية: المكتبة الظاهرية – دمشق، ويبدو أن المخطوطة هي نفس الكتاب الذي مر معنا بعنوان "كوكب الزاهر في سماء مجلي الظلام العاكر".

---

(1) – مثلًا، اعتمد رولفس في رحلته على آلات علمية دقيقة ،كالبارومتر، والترمومتر، والهيبسومتر، وغيرها، ينظر:
Guerhard Rohlfs, op.cit, p 164.
واستعمل أيضا إفالد بانزه في رحلته إلى طرابلس التي بدأت عام 1906م جهاز قياس الزوايا "ثيودوليت"، وبوصلة يدوية، وساعة جيب. ينظر : إفالد بانزه، مرجع سابق، ص ص42-66.

(2) – سالم عبد الله الفلاح، مرجع سابق، ص163.

(3) – نفسه، ص163.

(4) – نفسه، ص163.

(5) – نفسه، ص ص163، 164.

2-2-4- الشموس النورانية العرفانية الاشراقية في بيان أعلام الطريقة السنوسية الإدريسية المحمدية :

مخطوطٌ من تأليف السيد أحمد الشريف السنوسي، تطرق فيه إلى موضوع التصوف، خاصة أسانيد وأعلام وشيوخ الطريقة السنوسية[1]، حيث خصّص في آخر المخطوط تراجم للإخوان السنوسيين الذين أجازهم جده[2].

2-2-5- مجموع رقم 743 :

يوجد هذا المجموع في مكتبة الحرم المكي بالمملكة العربية السعودية، ويتكون من ثلاثة أقسام :

الأول : ثُبت لأحمد الشريف السنوسي (ت 1351هـ)، متكون من ثلاثة وثمانين صفحة، ناسخه هو حمزة بن السيد مصطفى صقر الحسيني الجمازي المدني، وتم النسخ بالمدينة المنورة ليلة السبت 16 جمادى الأولى عام 1348هـ، وهو عبارة عن أسانيد الشيخ أحمد الشريف في عدة روايات ومن عدة شيوخ، بدأه بعد البسملة والحمدلة والتصلية بِ : " أما بعد فهذه نبذة من تجريد أسانيد سيدنا السيد أحمد ابن السيد مُحَمَّد الشريف السنوسي الحسني مختصرة من أصل الأسانيد العامة " ونهايته بِ : " غفر الله لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين ونفعنا الله بالعلم وأهله وجعلنا من السعداء من الذي[كذا]يعلمون ويعملون وختم الله لنا بالسعادة آمين "، والجدير بالملاحظة أنه كُتبت في آخر الصفحة الأولى من هذا الثُبت إجازة حديثة في المدينة المنورة[3].

والثاني : أوراد الطريقة السنوسية[4]، تتكون من واحد وثلاثين صفحة، عليها ختم سجل عليه ما يلي : "مالك العربي أحمد السنوسي"، المدينة المنورة، / / 14هـ". وبداية هذه الأوراد بعد البسملة والتصلية كما يلي :

---

[1] – أحمد مُحَمَّد جاد الله، « **نظمان في مسوغات الابتداء بالنكرة أحدهما : لأبي سيف البرعصي (1840-1896م) والآخر: لفالح الظاهري (1842-1910م) تحقيق ودراسة** »، مرجع سابق، ص239.

[2] – أحمد مُحَمَّد جاد الله وخالد مُحَمَّد الفيتوري، مرجع سابق، ص768.

[3] – إجازة من توقيع مالك العربي السنوسي بتاريخ 1414/6/5هـ، جاء فيها بعد البسملة والتصلية : " أجيز الشيخ يوسف عبد الرحمن المرعشلي والشيخ عسكر عبد الحكيم الافغاني في هذه الأسانيد عن والدي السيد العربي السنوسي عن والده السيد أحمد الشريف السنوسي عن مشايخه عن النبي ﷺ وأوصي المجازين بالتقوى في السر والعلن ... "، وفي حاشية نفس هذه الصفحة دونت رواية لهذا الثبت بعبارة هذا نصها : "يقول الفقير يوسف بن عبد الرحمن المرعشلي : أروي هذا الثبت عن جمع من مشايخي منهم : 1- أبو الفيض مُحَمَّد ياسين بن مُحَمَّد عيسى الفاداني المكي (ت.1410هـ). 2- أبو العربي مالك بن العربي بن أحمد بن مُحَمَّد السنوسي، عن أبيه العربي، عن أبيه المؤلف. 3- ملكة ليبيا فاطمة الشفا بنت أحمد الشريف السنوسي،عن أبيها". ينظر : أحمد الشريف السنوسي، **مجموع رقم : 743. مكتبة** الحرم المكي، المملكة العربية السعودية، مرجع سابق، مخ.

[4] – ينظر : الملحق رقم 6، ص411.

"اللهم إني أقدم إليك بين يدي كل نفس ولمحة وطرفة ..."، أما نهايتها جاءت كما يلي : "وتدفع عن شر جميع عبادك يا أرحم الراحمين يا رب العالمين آمين"، وقد لاحظنا على صفحتها الأولى إجازة غير مؤرخة، وبخط مختلف أي أنها أضيفت إلى الأصل[1].

والثالث : ترجمة أحمد الشريف السنوسي مؤلف كتاب الأنوار القدسية في مقدمة الطريقة السّنوسية، وهي من طرف تلميذه عبد المالك بن عبد القادر بن علي المعروف بالطرابلسي، المولود في الجبل الأخضر سنة 1318هـ، والمتوفي بمكة المكرمة سنة 1417هـ، وتتكون هذه الترجمة من خمس صفحات، بدايتها بعد البسملة بِ : "ترجمة مؤلف المقدمة الإمام السيد أحمد الشريف السنوسي ﷺ – نسبه – ... "، ونهايتها بِ : "انتهى مختصرًا مع بعض تصرف من كتاب الفوائد الجلية للشيخ عبد المالك بن علي تلميذ السيد أحمد والليبي الأصل والمكي الهجرة".

وفي الأخير، أُشير إلى أنني وقفت على عناوين أخرى لمخطوطات من تأليف أحمد الشريف السنوسي موجودة في مكتبة الحرم المكي، منها ما هو معلوم وهي : الشموس الشارقة، وملخص الشموس الشارقة، والكوكب الزاهر، ومنها ما هو جديد ورد لأول مرة، وهي : مقدمة الأوراد، ورسالة في فضل الجهاد والحث عليه، والدر النضيد من كلام ساداتنا المفيد[2].

3– أهمية وإسهامات تراث الحركة السنوسية :

تتميز مؤلفات الحركة السنوسية بالتنوع، وقد شملت عدة مجالاتها كالتصوف والحديث والفقه والفقه المقارن والرحلات والجهاد وغيرها، كما تضمنت أيضًا قصائد شعرية متنوعة، وفي كثير من الأحيان يصعب تصنيف تلك المؤلفات لاشتمال بعضها على أكثر من موضوع، وقد نجد أيضًا تخصص مصنفين أو أكثر في مجال واحد، ولا يختلف اثنان في الأهمية البالغة لتلك المصنفات، وإسهاماتها المتنوعة في نشاط الحركة الثقافية دينيًا وأدبيًا وعلميًا وغيرها، ووضحنا كل ذلك في النقاط التالية :

---

[1] – كُتِبت عبارة، هذا نصها بعد البسملة والتصلية : " أجيز الأخ الكريم الدكتور يوسف المرعشلي بقراءة السيفي كما أجازني في ذلك مشايخي وكذلك في إعطاء الطريقة لطلابها ..."، وكتبت إجازة أخرى بخط مختلف بهذه العبارة "أجيز السيد مالك العربي السنوسي بقراءة الحزب السيفي ... "، وبجانبها تاريخ 1406/12/25هـ، والأكيد أن هذا تاريخ غير أصلي، كما كُتب أسفلها اسم مُحَمَّد ادريس المهدي السنوسي، والذي تكفل بطبع هذه الأوراد على نفقته، وذلك سنة 1398هـ/1978م، ويبدو عليها ختمه أيضًا. ينظر : الملحق رقم 6، ص411.

[2] – مجموع رقم 743، مكتبة الحرم المكي، المملكة العربية السعودية، مرجع سابق، مخ.

3-1- المساهمة في كتابة التاريخ :

ساهم مُحَمَّد بن علي السنوسي في دراسة التاريخ الإسلامي وذلك من خلال كتابه الموسوم بِ : "الدُّرر السنية في أخبار السلالة الإدريسية"، حيث احتوى على معلومات تاريخية للمشرق والمغرب على السواء، كما تضمن أيضًا أبرز المصادر التاريخية التي تناولت الحقبات التاريخية بداية من الفتوحات وصولًا إلى دولة الموحدين، وما تبعها من دويلات في المغرب الإسلامي والأندلس.

3-2- إثراء المكتبات العربية والإسلامية :

تعد مؤلفات الحركة السنوسية إرثًا ثقافيًا حقيقيًا، وكنزًا ثمينًا، ساهم بشكل كبير في إثراء المكتبات العربية والإسلامية في عدة تخصصات، والدارس والباحث في ميدان الفقه أو التصوف أو الحديث أو الأدب أو غيرها يجد فيها مادة ثرية وغنية جدًّا، غالبًا ما تنمي الأفكار وتدفع بالبحث قُدمًا إلى الأمام.

3-3- زيادة الرصيد المعرفي :

إن تنوع مصنفات السنوسية يُبين بوضوح المستوى الثقافي الرفيع والدرجة العلمية المرموقة للشيخ السنوسي وحفيده أحمد الشريف والإخوان السنوسيين بصفة عامة، حيث دلَّت بوضوح مدى تضلعهم باللغة العربية ومعرفتهم الواسعة للعلوم المتنوعة من حساب وعلم حروف وتصوف وفقه وأدب وتاريخ وحديث وفلسفة وغيرها، لذلك يمكن أن نعد بعض المصنفات بمثابة موسوعات حقيقية.

3-4- التوثيق :

لقد ساهمت بعض مصنفات الحركة السنوسية في توثيق معلومات هامة، منها مصنف أحمد الشريف الموسوم بِ : " الدُّر الوهاج في الرحلة المنيرة من الجغبوب إلى التاج" الذي يعد إحدى أهم الرحلات في الصحراء الإفريقية في نهاية القرن التاسع عشر، حيث نقل لنا معلومات متنوعة : ثقافية وعلمية واجتماعية وجغرافية وحيوانية وغيرها.

3-5- نشر العلم والقضاء على الجهل :

تؤكد مؤلفات الشيخ السنوسي وحفيده أن السنوسية حركة علمية بامتياز، ساهمت بشكل كبير في نشر العلم والقضاء على الجهل ولا زالت إلى اليوم، وعُدّت مكتبة الجغبوب من أشهر المكتبات في العالم العربي الإسلامي خلال القرن التاسع عشر، وبداية القرن العشرين قبل مجيء الاحتلال الإيطالي الذي نهبها وسلبها.

3-6- مصادر هامة :

تندرج فهرستي الشيخ السنوسي "الكبرى" و"الصغرى" ضمن "فهرسة الفوائد" التي يكثر مؤلفها من سرد الأقوال والمرويات بأسانيد مختلفة، ونقل الأخبار والأشعار والحكم وغيرها، لذلك تعدان مصدران رئيسيان للكثير من العلوم لاسيما علم التصوف، حيث وثقتا أسانيد الطرق الصوفية من خلال روايات شيوخها بالأساليب المعهودة وهي : الأخذ بالدراية أو الرواية أو الإجازة أو كلها معا.

لقد عرَّفت مصنفات الحركة السنوسية بأهم شيوخ الطرق الصوفية وعلماء وفقهاء العالم الإسلامي ابتداءً من القرون الأولى لظهور الإسلام إلى غاية العصر الحديث، وفي كثير من الأحيان أرفقتهم بمؤلفاتهم، كما اشتملت في بعض الأحيان على تراجم مقتضبة لبعضهم.

ويمكن لدارس فهارس السنوسي خاصة الكبرى والصغرى أن يعدهما نموذجا هامًا للتأليف الفهرسي في العالم الإسلامي خلال القرن 13 الهجري، لأنها تختزن بين جنباتها مادة علمية غنية ومتنوعة : تاريخية وفقهية وأدبية وغيرها.

3-7- التعرف على الحياة العلمية خلال القرن 13هـ/19م :

تعتبر فهارس السنوسية بمثابة إثباتات وشهادات علمية تبين بوضوح أن الشيخ السنوسي وحفيده أحمد الشريف وصلا إلى درجة "العلَّامة" بمفهوم المصطلح في ذلك الزمن، ويمكن اعتبارهما أيضًا من الشيوخ الأفاضل في عصرهما، لأن الشيخ – حسب ما تعارف عليه العلماء قديمًا- عندما يصل إلى هذه الدرجة يرغب في أن يسجل لنفسه ما تحصل عليه من علوم وطرق صوفية وأسانيد وغيرها، ويذكر أيضًا شيوخه معرفًا بهم واحدًا واحدًا، ومستحضرًا ذكرياته معهم، ونحو ذلك.

وتبرز مؤلفات الشيخ السنوسي وحفيده أحمد الشريف بصفة عامة مدى قوة النشاط الثقافي والفكري للحركة السنوسية خلال القرن التاسع عشر الميلادي في العالم الإسلامي مشرقًا ومغربًا، وإذا استعرضنا مصنفاتهما فإننا لاحظنا عدة إيجابيات أبرزها إتباع منهجية تربوية في سرد المعلومات تعتمد على التدرج، أي الانتقال من السهل إلى الأصعب الذي يحتاج إلى شرح وتعليل بطريقة سلسلة ومشوقة في نفس الوقت تشد القارئ، وهذا يدل بكل تأكيد على حداقتهما وتمرسهما في مهنة التعليم التي تحتاج إلى منهجية خاصة لطرح الأفكار والمعلومات، وقد لاحظنا هذا بوضوح حيث يبدآن غالبا بالتعريف بالمفاهيم لغة واصطلاحا كتعريف المذهب والقضاء والفتيا

والاجتهاد والتقليد وغيرها، ثم ينتقلان إلى شرحها بإسهاب وبتدرج أيضًا، مستعرضان الآراء والأفكار المتطابقة تارة والمتضادة تارة أخرى، مع ذكر الجدل فيها وأسبابه، ونحو ذلك، ولا يتركان مسألة إلا ويستعرضان كل وجهات النظر التي قيلت فيها، ويستحضران الآيات والأحاديث ذات الصلة بكل احترافية، ولا يتركان مجالا للمبهمات والتأويلات إلا وضبطاه وخصاه بالشرح الوافي بطريقة تجعل القارئ يستوعب الفكرة بكل وضوح، وغالبًا ما يدعماها بآيات قرآنية أو أحاديث نبوية أو غيرها، وهذه من حنكة العلماء والخطباء والفقهاء.

وامتاز الشيخ السنوسي بخصال العلماء الأجلاء منها التواضع، حيث كان في أغلب الأحيان ينهي تحليله وآراءه بعبارة "الله أعلم" كما ورد ذلك في محاولة تأويل قول مالك في الاستعادة في قيام رمضان[1]، كما امتاز أيضًا بالأمانة حيث نجده بالرغم من اعتماده الكثير على النقل في مصنفاته إلا أنه لم ينسب أقوال غيره إليه، بل كان غالبًا ما يشير إلى مصدر اقتباسه ونقولاته.

تمثل مصنفات كل من الإمام السنوسي وحفيده أحمد الشريف، وكذا مُحَمَّد المهدي عملًا رصينًا، أُنجز عن دراية وتبصر، وتبحر في العلوم، بعيدًا عن ما كان سائدًا في تلك الفترة التي عرفت بعصر الضعف، حيث اقتصر التأليف فقط على الحواشي والشروح والتقريرات والمختصرات ونحوها، وبشكل فاضح دون إضافات أو إبداع، وكأنه اجترار لكلام الغير[2]، وهذا ما لم نقف عليه لدى شيوخنا الأفاضل، حيث بالرغم ما ضمت كتبهم من ذلك النوع من التأليف، إلا أنهم أضافوا لها في كثير من الأحيان حواشي وأدلة وبراهين وقرائن وأفكار وحجج خاصة بهم، وروايات بأسانيد جديدة وبأسلوبهم الخاص، وغير ذلك.

وأبان كل من الشيخ السنوسي وحفيده أحمد الشريف في مصنفاتهما عن تبحرهما في الأدب العربي نظمًا ونثرًا، وعن تمكنهما من اللغة العربية أسلوبًا ونحوًا وتعبيرًا، لذلك جاءت أفكارهما واضحة متسلسلة، وغالبا ما يستعملان المحسنات البديعية البليغة كالسجع والطباق والجناس وغيرها. وأغلب مؤلفات السنوسية عبارة عن رسائل التي تعتمد بالأساس على النثر المسجوع، ويتضمن نصها عادة آيات قرآنية وأحاديث نبوية وأخبار تاريخية، وأحيانا

---

[1] – مُحَمَّد بن علي السنوسي، **كتاب المسائل العشر المسمى بغية المقاصد في خلاصة المراصد**، مرجع سابق، ص328.

[2] – انتشرت الشروح والحواشي والتقريرات في تلك في الفترة في الأزهر الشريف وفي عموم الأمة، فكانت كالأغلال التي كبلت العقول وأدت إلى جمود العلوم. ينظر : علي مُحَمَّد الصلابي، **تَاريخ الحرَكَة السَّنُوسيَّة في أفريقيا**، مرجع سابق، ص32. ويذكر الإمام الشوكاني اهتمام الناس في عصره بهذه المختصرات والخطورة التي تنطوي على ذلك فيقول : " قد جعلوا غاية مطالبهم ونهاية مقاصدهم العلم بمختصر من مختصرات الفقه ... ولم يرفعوا إلى غير ذلك رأسًا من جميع أنواع العلوم، فصاروا جاهلين بالكتاب والسنة وعلمهما جهلًا شديدًا ... ". ينظر : نفسه، ص32.

أبيات شعرية وأمثال وحكم ونحو ذلك، وتهتم الرسائل بصفة عامة في تلك الفترة باستعمال التلغيز والتلميح والتورية، وتسير على طول المقدمة أو الديباجة والتفنن فيها بصفة خاصة، والدعاء للمرسل إليه، ونحو ذلك من الأساليب الإنشائية [1].

وساهمت مؤلفات الحركة السنوسية بشكل واضح وفعّال في الحفاظ على سلسلة الإسناد والذي يعده البعض من الدين[2]، وحافظت أيضا على تسلسل الرواية وتواترها بين الشيوخ والعلماء، وذلك بواسطة المناولة والإجازات العلمية والروايات والسماع، ونحو ذلك.

ورغم ما احتوت عليه مصنفات السنوسية من إيجابيات إلا أنها لم تخل من عدة سلبيات، منها الاستطراد والإطناب أي المبالغة والإكثار، حيث يتسببان في خروج المؤلف أو المتكلم من الغرض الذي هو فيه إلى غرض آخر، وقد تميز الشيخ السنوسي بهذين الأسلوبين، ويخيل إلينا أحيانًا أنه يريد إبراز سعة اطلاعه ومهاراته في الحفظ والاطلاع أكثر من اهتمامه بالموضوع نفسه، لذلك لاحظنا اعتماده على عدة مصنفات لها نفس المضمون أحيانًا، مثل الإبهاج في شرح المنهاج للبيضاوي، وجمع الجوامع للسبكي، وإيقاظ الهمم للفلاني، ورفع الملام عن الأئمة الأعلام لابن تيمية، وغيرها، حيث تشترك كلها في مجال واحد وهو الفقه، خاصة مسألة الاجتهاد.

وفي كثير من الأحيان يشرح الشيخ السنوسي الفكرة الواحدة بإسهاب وإفراط في مصنفاته، مستعرضًا أقوال وآراء العديد من الفقهاء والعلماء، ويستشهد أحيانًا بقصائد مطولة، وغالبا ما يسبب ذلك تشتت الأفكار ويصعب على القارئ فهم الفكرة بدقة ومتابعتها بوضوح.

وتميز الشيخ السنوسي بتكرار نفس المعلومات في عدة مصنفات، ولم يقتصر الأمر على فقرات أو أسطر بل تعداه أحيانًا إلى أجزاء بأكملها، إلى درجة أن بعض الكتب تتشابه فيما بينها، حيث نجدها تتناول نفس

---

[1] – أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي من القرن العاشر إلى الرابع عشر الهجري (16–20م)**، مرجع سابق، ج2، ص ص196-200.

[2] – قال عبد الله بن المبارك : "الإسناد عندي من الدين، لولا الإسناد لقال من شاء ما شاء، فإذا قيل له : من حدثك ؟ بقي !". ينظر : نور الدين عتر، مرجع سابق، ص344.

الموضوع، وهذا ما لاحظه الدجاني على خمسة مؤلفات كاملة وهي : الفهرسة الكبرى الموسومة بِ : "الشموس الشارقة" ومختصرها "البدور السافرة" و"سوابغ الأيد" و"المنهل الرائق" و"الكواكب الدرية"[1].

وعند دراستنا لمصنفاته، وقفنا على تشابه في بعض المعلومات بين " كتاب المسائل العشر المسمى بغية المقاصد في خلاصة المراصد " و"إيقاظ الوسنان في العمل بالحديث والقرآن"، نوضحه كما يلي :

لقد خص الشيخ السنوسي عدة فصول من كتابه "إيقاظ الوسنان في العمل بالحديث والقرآن" لشرح الاجتهاد، وقد وردت معلوماته واضحة ودقيقة تدل على اطلاع واسع لمصادر هذا المجال ونقصد بذلك كتب الأصول، غير أننا لاحظنا تكرار بعض المعلومات وردت في مصنفات أخرى؛ فمثلًا المقدمة في بيان حقيقة الاجتهاد وأنواعه التي وردت في هذا الكتاب[2]، تكررت في مصنف "كتاب المسائل العشر المسمى بغية المقاصد في خلاصة المراصد"[3].

ووقفنا أيضًا على تطابق حرفي في بعض المعلومات بين "السّلسبيل المعين في الطرائق الأربعين" و"المنهل الروي الرائق في أسانيد العلوم وأصول الطرائق"، وذلك في معرض كلام السنوسي عن الطريقة الخلوتية التي قال فيها : « فمبناها على الذكر بالكلمة الطيبة ... إلخ». والطرق الصوفية الأربعين التي وردت في كتاب "السّلسبيل المعين في الطرائق الأربعين" كررها السنوسي في خاتمة كتاب "المنهل الروي الرائق في أسانيد العلوم وأصول الطرائق"[4]، وتكرر أيضًا مضمون الصلاة في "كتاب المسائل العشر المسمى بغية المقاصد في خلاصة المراصد"[5] و"شفاء الصدر بأري المسائل العشر من درر الفقه المالكي"[6]، مع اختلاف بسيط في الأسلوب.

---

(1) – تميز هذا الكتاب بأسلوب عجيب وترتيب غريب، وهذا ما صرح به السنوسي قائلًا : « كتاب "الكواكب" تتبعت أسلوبه العجيب وترتيبه المرفق الغريب، ليكون مرجعا الأسانيد من رواه وما صنف من كتب الأوائل ». ينظر : مُحَمَّد بن علي السنوسي، **المَنْهل الرّوي الرّائِق في أسَانيدِ العُلُومِ وأصُول الطّرائِقِ**، مرجع سابق، ص14.

(2) - مُحَمَّد بن علي السنوسي، **إيقاظ الوسنان في العمل بالحديث والقرآن**، مرجع سابق، ص79.

(3) - مُحَمَّد بن علي السنوسي، **كتاب المسائل العشر المسمى بغية المقاصد في خلاصة المراصد**، مرجع سابق، ص119.

(4) – نفسه، ص ص13، 14.

(5) – نفسه، ص ص305-374.

(6) – مُحَمَّد بن علي السنوسي، **شفاء الصدر بأري المسائل العشر في دُرر الفقه المالكي**، مرجع سابق، ص ص18-107.

ونفس الأبواب وهي اثنتا عشرة، وبنفس العناوين والمحتوى، إضافة إلى الخاتمة، تضمنها كتاب "المنهل الروي الرائق في أسانيد العلوم وأصول الطرائق" و"الكواكب الدرية في أوائل الكتب الأثرية"، لمؤلفهما مُحَمَّد بن علي السنوسي، فهما متطابقان وكأنهما نسخة واحدة[1].

واعتمد الشيخ السنوسي على النقل الحرفي من كتب أخرى، أي اجترار معلومات من سبقه[2]، وهذا ما لاحظه المؤرخ الدجاني نقلًا عن دائرة المعارف الإسلامية[كذا]، حيث قال في سياق الحديث عن كتاب المسلسل المعين : « وهذا المصنف هو أغرب مصنفاته كلها ... إذا به يعترف بأنه نقلها عن الرسالة لحسن عجيمي التي حاكاها سيدي مرتضى الزبيدي في رسالته عقد الجمال، ونجد في الفصل المكتوب عن ذكر الحلاجية منقولا حرفا بحرف في آداب الذكر لأبي سعيد القادري الذي كتب في الهند عام 1095هـ، مما يوحي بوجود مصدر مشترك أخذ عنه الكاتبان ولعل هذا المصدر هو الإدراكات للأحمدي الشناوي »[3].

ولم يقتصر الشيخ السنوسي على نقل معلومات غيره بل يبدو أنه نقل عناوينًا أيضًا، لذلك لاحظنا تشابهًا كبيرًا لبعضها مع مصنفات لمؤلفين آخرين سبقوه، فمثلًا تشابهت فهرسته "الشموس الشارقة في أسانيد شيوخنا المغاربة والمشارقة " مع مصنف البناني الأندلسي الموسوم بِ : "الشموس المشرقة بأسانيد المغاربة والمشارقة"[4].

وظاهرة النقل والتقليد[5] لم تخص السنوسي وحده، بل كانت سمة ذلك العصر الذي تميز بالجمود وعدم الإبداع، ويمكن تصنيف أغلب مؤلفات السنوسي التي اطلعنا عليها من "الشروح" أو "المختصرات"، والشروح هي

---

[1] – ينظر : عبد الحي الكتاني، مرجع سابق، ج1، ص ص103، 104. ومُحَمَّد بن علي السنوسي، **المَنْهل الرّوي الرّائِق في أسَانيدِ العُلُوم وأصُول الطّرائِقِ**، مرجع سابق، ص ص5-158.

[2] – على سبيل المثال لا الحصر لاحظنا هذا على كتاب "المسائل العشر" بالنقل عن العياشي، حيث قال الكتاني –كما مر معنا – : « المسلسلات العشرة المنتخبة من فهرس أبي سالم العياشي، انتخاب الحافظ مُحَمَّد بن علي السنوسي المكي، أرويها بأعمالها عن الشيخ فالح عن الشيخ السنوسي ... ». ينظر : عبد الحي الكتاني، مرجع سابق، ج2، ص664.

[3] – أحمد صدقي الدجاني، مرجع سابق، ص142.

[4] – من تأليف إبراهيم بن علي(أبي الحجاج) الأندلسي السرقسطي البناني (ت بعد 1677م). ينظر : خير الدين الزركلي، مرجع سابق، ج1، ص ص53، 54.

[5] – تسبب هذه الظاهرة ندرة الإنتاج في العلوم كلها، وخصوصا العلوم الشرعية، وتجعلها عبارة عن تكرار رتيب لأعمال الآخرين. ينظر : أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي من القرن العاشر إلى الرابع عشر الهجري (16–20م)**، مرجع سابق، ج2، ص11.

المصنفات التي يشرح فيها المؤلف أعمال الآخرين وليس تأليفًا مستقلًا من عنده، ومثال ذلك مقدمة موطأ الإمام مالك ﷺ التي خصّها السنوسي بالشرح الوافي، وما ذكرناه على الشروح ينطبق تقريبًا على المختصرات.

ورغم ما اشتهر به الشيخ مُحَمَّد بن علي السنوسي من كثرة رحلاته مغربًا ومشرقًا، بغرض العلم أو الحج، إلا أن مؤلفاته خلت من كتابات أدب الرحلات خاصة الحجازية منها، والتي اشتهر بها العديد من الرحالة المغاربة كالورثيلاني الذي سبقه، والحشائشي الذي جاء بعده، وحتى أبا راس المعسكري أستاذه والذي عاصره حيث اشتهر بمصنفه "عجائب الأسفار ولطائف الأخبار". ويعد أدب الرحلات من الفنون الأدبية الراقية والهامة لما تتضمنه من أخبار ومشاهدات ومناظرات علمية ودروس، وغيرها، خاصة القصص الغريبة والنوادر والعجائب واللطائف التي تستهوي القراء وتشد فضولهم، وذلك رغبة في معرفة كل ما هو عجيب وغريب وممتع وشيق في نفس الوقت، لذلك يعاب على السنوسي لأنه قصر في هذا المجال، وحرمنا الكثير من مشاهداته وملاحظاته والتي كانت ستكون مادة دسمة تزيد من ثقافتنا وزادنا المعرفي، وللإشارة فقد تفطن حفيده أحمد الشريف السنوسي إلى هذه المسألة، حيث ألف لنا مصنفه "الدُّر الفريد الوهاج بالرحلة المنيرة من الجغبوب إلى التاج "، وتضمن ما أشرنا إليه.

وفي الأخير، نؤكد على أهمية مؤلفات السنوسية، والتي اهتم بها الفقهاء والعلماء والمؤرخون، ومختلف شرائح الطبقة المثقفة منهم الشعراء، وفي هذا الإطار نقتطف أبياتًا شعريَّة من قصيدة للشاعر أحمد رفيق المهدوي، استعرض فيها أهم كتب الشيخ السنوسي ومحتواها، قائلًا :

بالتأليف التي من فيضها (سلسبيل) (المنهل) الصافي المعين
و (شفاء الصدر) من رين الهوى و (إيقاظ لوسنان) مهين
وشروح لعلوم وضحت ما عصى من مشكلات الأولين
كتب لو طبعت أو جمعت كلها جازت حدود الأربعين
بينت ما جاءنا عن جده من علوم وأحاديث ودين
هذه آثاره من علمه كلها تدعو إلى الحق اليقين[1]

[1] – إيريك آمار فولي دي كاندول، مرجع سابق، ص160.

الخاتمـــــــــــــــة

تعتبر السنوسية طريقة تصوف حديثة، أسسها الشيخ مُحَمَّد بن علي السنوسي في القرن التاسع عشر، وسرعان ما تحولت من طريقة تصوف إلى حركة إصلاحية هدفها نشر العلم ومحاربة الجهل، وإصلاح المجتمع الإسلامي الذي انتشرت فيه البدع والخرافات، والتي ظلت تنخر كيانه لقرون.

وإذا تتبعنا مسار الحركة السنوسية ونشاطها خلال أكثر من قرن أي من 1787 إلى 1911، نجد أنها انتشرت في عدة مناطق وذلك من خلال زواياها المتعددة، بداية من زاوية أبي قُبيس في مكة المكرمة التي تعتبر اللبنة الأساسية لظهورها، وبعد عدة سنوات من الترحال قصد الشيخ مُحَمَّد بن علي السنوسي برقة واتخذها مستقرًا له عقب بناء الزاوية البيضاء في الجبل الأخضر، ثم أعقبتها زاوية الجغبوب التي أصبحت المقر الرئيسي للطريقة السنوسية، ومنها انتشرت في عدة بلدان بل وانتقلت إلى أفريقيا جنوب الصحراء خاصة السودان الأوسط.

لقد مزجت الحركة السنوسية بين التصوف والإصلاح، وذاع صيتها مشرقًا ومغربًا وجنوبًا رغم حداثة نشأتها، وكان للشيخ مُحَمَّد بن علي السنوسي دور بارز في ذلك بفضل دعوته التي اصطبغت بمناقب وفضائل وأخلاق حسنة، وعُدَّت السنوسية من أبرز الطرق الصوفية والحركات الإصلاحية التي ظهرت في أفريقيا خلال القرن التاسع عشر، وساهمت بشكل فعال في نشر الإسلام والدعوة إلى التمسك بالكتاب والسنة كطوق نجاة من الهلاك والانحراف والزيغ والضلال.

وأثَّر الشيخ السنوسي بشكل كبير على طبيعة الحركة السنوسية باعتباره عالما وفقيها وداعية، وقد تتبعنا مساره منذ طفولته وعرفنا كيف انشغل كثيرا بالعلم والتعليم متخذًا من برقة وطنًا له، ومن ثم أصبحت السنوسية رائدة الإصلاح، وتميزت بالمزج بين السياسة والدين، لذلك عرفت بانها حركة دين ودولة في نفس الوقت نظرا لطبيعة تنظيمها، حيث كان أغلب بدو ليبيا والتبو والطوارق ومريديها في مصر والسودان الأوسط والصحراء الإفريقية لا يعرفون حكمًا ولا شرعًا ولا قضاءً غيرها.

ولم يكن ينوي الشيخ السنوسي من بناء الجغبوب أن يجعله مجرد مقرًا للطريقة السنوسية فحسب، بل كان يرمي إلى جعله صرحا علميا عظيما، يضاهي الأزهر والزيتونة والقرويين، لذلك اهتم به وظل لعقود كمنارة علمية تضم خيرة العلماء والأساتذة من الإخوان، والذين ساهموا هم بدورهم في ازدهار حركة النشاط الثقافي بالتدريس والتأليف في ليبيا وغيرها من بلدان العالم.

وتعدد النشاط الثقافي وازدهر في الزوايا والمساجد والكتاتيب والخلاوي، وغيرها من المؤسسات الدينية والعلمية التابعة للحركة السنوسية، وازدهرت أيضًا حركة التأليف من كتب ورسائل، ورافقتها حركة التجليد ونسخ المخطوطات وشراء الكتب وكل ما له علاقة بالفكر والثقافة، وتبلور ذلك كله في مكتبة الجغبوب فخر الحركة السنوسية، حيث احتوت على آلاف الكتب والمخطوطات النفيسة، الأمر الذي مكّنها أن تتبوأ مكانة علمية وثقافية مرموقة، بل وعُدّت من أبرز المكتبات في العالم الإسلامي خلال القرن التاسع عشر.

إن السنوسية كغيرها من الطرق الصوفية وراثية المشيخة، لذلك انتقلت الخلافة بعد وفاة الشيخ السنوسي سنة 1859م إلى ابنه الأكبر مُحَّد المهدي الذي واصل نفس النهج والمسار، وهي الدعوة الإسلامية والإصلاح ونشر العلم، وفي عهده ازدادت الحركة السنوسية اتساعا وانتشارا ونفوذا أيضًا. وتميز مُحَّد المهدي بالجهاد في السودان الأوسط وهو ما فسر نقل مقر الحركة من الجغبوب إلى التاج بالكفرة، ثم إلى قرو في جبال تيبستي شمال تشاد، أما نشاطه الثقافي وقفت له على مصنف واحد، واحتمال أن تكون له ولصنوه مُحَّد الشريف مصنفات عديدة، باعتبارهما عالمين كانا ضمن الحركة العلمية النشطة في الجغبوب، والأرجح أنها ضاعت بسبب جرائم الاحتلال الإيطالي في حق الحركة السنوسية.

وبعد وفاة مُحَّد المهدي سنة 1902م، خلفه أحمد الشريف الذي ترأس الحركة السنوسية، وواصل نهج عمه في الجهاد ضد الاستعمار الفرنسي في تشاد، ثم ضد الاحتلال الإيطالي في برقة سنة 1911م، ورأينا مدى حرصه على التضحية في سبيل الله، وكان جهاده بالسيف، والقلم أيضًا، حيث ورث خصال جده تمامًا، وذلك بالتدريس وغزارة التأليف، وساهم بشكل كبير في الازدهار الثقافي للحركة السنوسية عبر عدة مصنفات وإجازات ورسائل في التصوف والجهاد والأدب والفقه وغيرها.

وبعد دراستنا للنشاط الثقافي للحركة السنوسية في أفريقيا 1787-1911م، توصلنا إلى النتائج الآتية :

أولًا، تميز الشيخ السنوسي منذ نشأته بالترحال طلبًا للعلم، وأول وجهته فاس ثم مصر، ولم تنضج أفكاره التصوفية إلا عندما رحل إلى الحجاز حيث التقى أستاذه وشيخه الرئيسي أحمد بن إدريس، ثم تأسيس طريقته التي سُمِّيت في البداية "الطريقة المحمدية" والتي أصبحت فيما بعد تُعرف بِـ: "الطريقة السنوسية".

ثانيًا، تعتبر السنوسية حركة إصلاحية دعوية، كان هدفها الرئيسي منذ بناء زاوية أبي قُبَيس هو نشر العلم وفعل الخير ورعاية المسلمين وخدمتهم، وتواصل ذلك في برقة من خلال إصلاح المجتمع والقضاء على الجهل، واستطاع

الشيخ السنوسي أن يُكَوِّن مجتمعًا من الإخوان السنوسيين مهيكلا بشكل دولة، له زوايا وقضاء وسلطة وإدارة وجيش وغير ذلك من مظاهر السلطة.

ثالثًا، إن السنوسية أقرب إلى الحركة الإصلاحية منها إلى التصوف، حيث لا يمكن اعتبارها طريقة تصوف بالمعنى الحقيقي، لأنه بكل بساطة ليس لها أورادا خاصة بها، وأورادها وأذكارها إنما هي في الأصل للشيخ أحمد بن إدريس الذي تأثر به مُحَمَّد بن علي السنوسي كثيرًا، كما أن نشاطها الثقافي في زواياها الرئيسية تراجع مع تقادم الزمن، إلى درجة أن أذكارها وأورادها لا تردد في عدة مناطق منها تشاد، بل وأصبحت أغلب زواياها مهجورةً.

رابعًا، يؤمن الشيخ مُحَمَّد بن علي السنوسي بالتصوف إيمانًا قويًا راسخًا، وكغيره من الطرقيين يعتقد بسلوك المتصوفة كالكشف والتجلي ولبس الخرقة، ورؤية النبي ﷺ مناما ويقظة، والعهد والبيعة، ونحو ذلك، وبالتالي فإن السنوسية ليست حركة سلفية بل هي طريقة تصوف بدعية، وتظهر معتقدات وأفكار الشيخ السنوسي جليًا في مصنفاته العديدة، ويكفي أن نذكِّر بأنه أُجيز في أربعين طريقة صوفية، ذكر أسانيدها وشرح مبادئها وأذكارها التي تنغمس في الشطحات الصوفية إلى درجة الغلو.

خامسًا، يعتبر الشيخ مُحَمَّد بن علي السنوسي مجددًا ومجتهدًا في الفقه، حيث دعا إلى فتح باب الاجتهاد الذي أغلق منذ قرون، واستدل في هذا المجال بمن سبقه ومنهم شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن قيم الجوزية، والفلاني، وأهم ما ميزه أنه دعا إلى عدم التقيد بمذهب واحد رغم أنه مالكي، وأصوله في الفقه والاجتهاد تقوم على الكتاب والسنة أي القرآن الكريم والأحاديث النبوية فقط، ولا يعتمد على الإجماع والقياس، ويعتقد بأنه يستطيع استنباط الأحكام تماما مثلما قام به الأئمة الأربعة مباشرة من القرآن والسنة، ويؤمن أيضًا بالتقليد لكن يعتبره خاصًا بالعوام وليس العلماء.

سادسًا، يجب تصحيح مغالطة تاريخية وهي أن التمسك بالقرآن والسنة من مبادئ الطريقة السنوسية، وهذا غير صحيح، لأن الشيخ السنوسي أشار إليهما من باب النصيحة والدعوة في مراسلاته، وإنما المقصود الحقيقي بهما أمر فقهي واجتهادي في باب آخر كما أسلفنا، حيث من المعلوم أن أصول الفقه أربعة مرتبة وهي : القرآن الكريم، والسنة النبوية، والإجماع، وأخيرا القياس، والشيخ السنوسي دعا إلى التمسك بالكتاب والسنة، وترك الإجماع والقياس ووصف من رجع إليهما في الاجتهاد بالغافل، وهذا ما يوضحه كتابه الموسوم بِ : "إيقاظ الوسنان في العمل بالحديث والقرآن".

سابعًا، تميزت الحركة السنوسية بغزارة التأليف من كتب ورسائل، وهذا يدل على ازدهار الثقافة زمن الشيخ محمّد بن علي السنوسي وخلفائه من بعده أيضًا، وقد أثبت الإخوان بصفة عامة مدى سعة اطلاعهم، وتمكنهم من العلوم المختلفة التي كانت تدرس في الجغبوب، والذي عُدَّ أحد أكبر الحواضر العلمية في شمال أفريقيا خلال القرن التاسع عشر، حيث كان يستقطب الطلاب ليس من طرابلس الغرب فحسب بل من مختلف مناطق العالم الإسلامي مشرقًا ومغربًا وجنوبًا.

ثامنًا، يتميز الشيخ محمّد بن علي السنوسي بالتدين والتقوى والتمسك بالكتاب والسنة، وظهر ذلك واضحًا وجليًا في مصنفاته التي تنوعت من فقه وحديث وتفسير وسيرة ونحوها، وكان يرمي من ورائها إلى الإصلاح ونشر العلم والإسلام وتثبيت العقيدة الإسلامية.

تاسعًا، كثرة زوايا الحركة السنوسية والتي تميزها عن باقي الطرق الصوفية الأخرى، فقد تجاوزت المائة في مختلف أنحاء العالم تركز معظمها في برقة، وعرفت نشاطًا ثقافيًا مزدهرًا تمثل بالأساس في تحفيظ القرآن الكريم وتعليم اللغة العربية والعلوم الشرعية وحفظ أشهر المتون، إضافة إلى مهام ونشاطات أخرى كجمع الزكاة وتقسيم الميراث وعقد الزواج وفض النزاعات وقيادة ركب الحجيج وغيرها، وساعدها في ذلك تنوع مصادر ثرائها من تجارة وأموال زكاة ووقف وهبات وصدقات وتبرعات؛ خاصة الإعفاءات الضريبية من السلطة العثمانية.

عاشرًا، أثرت الحركة السنوسية وبشكل فعال وإيجابي في المجتمعات التي انتشرت فيها، وذلك بواسطة نشر أورادها وعلوم التصوف ومختلف العلوم العقلية والنقلية، وفي المقابل تأثرت أيضًا بعادات وتقاليد وثقافة تلك الشعوب كنمط العمران والاحتفالات الدينية والمناسبات الاجتماعية ونوع الأكل واللباس وغيرها، لذلك ليس من المنطق بل إنه لإجحاف كبير أن نفصل الحركة السنوسية عن ثقافات السكان المحليين في مختلف مناطق أفريقيا.

إحدى عشرة، تنوع تراث الحركة السنوسية المادي واللامادي، والذي يعد تراثًا إسلاميًا بامتياز وجب المحافظة عليه من الضياع، ويعد أيضًا من الآثار الهامة : كالزوايا، والمساجد، والكتاتيب، والآبار، والصهاريج، والحرف، ومختلف المنتوجات والأدوات المدنية والعسكرية، والإنتاج الأدبي والفني من أمثال وقصص وشعر، وعادات وتقاليد، وغيرها، ورغم حداثة هذا التراث إلا أنه في اعتقادنا لا يقل أهمية عن آثار الحضارات القديمة كالرومانية والإغريقية وغيرها، وللإشارة ما هو حديثٌ اليوم سيصبح حتمًا قديمًا وعتيقًا يومًا ما.

إثنا عشرة، ازدهرت الحركة العلمية في معهد الجغبوب بشكل كبير، ولاسيما نشاط حركة التأليف واقتناء ونسخ الكتب، وتجسد ذلك في مكتبته لما احتوت على الآلاف منها، لكن للأسف لم يواكب ذلك النشاط الاهتمام بالطباعة، والتي كانت غائبة تمامًا في أيالة طرابلس الغرب بسبب دخولها متأخرة في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، وإهمال الدولة العثمانية للثقافة وعدم الاهتمام بها كان من أبرز مميزاتها الغالبة في آيالاتها خاصة قبل عصر التنظيمات، لذلك لم تر تلك المخطوطات النور، وبقيت حبيسة الأدراج، والكثير منها ضاع، والذي طُبع منها – وهو قليل جدا – كان في مصر التي احتكت بحضارة الفرنسيين عبر حملة نابليون على مصر، ثم دور إصلاحات مُحَمَّد علي باشا، وللعلم تعد مصر متنفسًا ثقافيًا هامًا لبرقة في العلم والتعليم والمناظرات والمؤتمرات والنوادي والطباعة والصحافة والمسرح وغيرها.

ثلاثة عشرة، ساهم الإمام السنوسي في الحفاظ على تواتر الروايات في الحديث والتصوف والتفسير والاجازات وغيرها، وعد بذلك حلقة أساسية في الإسناد والسند خلال القرن 13هـ، إضافة إلى حفيده أحمد الشريف، وبعض الإخوان كالشيخ عمران بن بركة وفالح الظاهري وأحمد بن عبد القادر الريفي وغيرهم، لذلك نجد كثير من العلماء والمحدثين والمتصوفة ونحوهم في نهاية القرن 13هـ وبداية القرن 14هـ يروون عن طريقهم إسنادًا أو إجازةً أو سماعًا أو مناولةً ونحو ذلك ، على غرار العلامة الشيخ عبد الحي الكتاني صاحب "فهرس الفهارس".

أربعة عشرة، اهتم السنوسيون بالتعليم القرآني عملًا بوصية الرسول ﷺ " بلغوا عني ولو آية "، وإيمانا منهم بأن هذا النوع من التعليم من أهم وسائل إصلاح الفرد وتهذيب النفس وتزكية الروح، وتثقيف المجتمع وإرشاده إلى خير الدين والدنيا.

خمسة عشرة، ارتبطت الحركة السنوسية في أفريقيا جنوب الصحراء بالجهاد ضد الاستعمار الفرنسي، وكانت زواياها هناك بشكل حصون ورباطات لمقاومة العدوان الأجنبي، لذلك انتهى دورها ووجودها بمجرد نهاية الحرب، وبالرغم من أسبقية تواجد السنوسية لبعض الطرق الصوفية في وداي بتشاد، إلا أن شعبيتها ظلت محدودة وعدد مريديها ضئيل، والسنوسيون المتواجدون هناك يعدون وكلاء تجاريين ورجال أعمال أكثر منهم ممثلين للطريقة السنوسية.

ستة عشرة، عدم احتكاك واندماج الطريقة السنوسية مع الأهالي في أفريقيا جنوب الصحراء كتشاد والنيجر تسبب في عزلتها وبقائها غريبة عنهم، وأغلب الإخوان السنوسيين هناك من أصل ليبي هاجروا منذ القديم مثل

قبيلة أولاد سليمان، لذلك لاحظنا قلة شيوخها من أصل سوداني إن لم ينعدموا أصلًا، وهو ما يفسر أيضًا قلة ارثها الثقافي المادي واللامادي هناك، عكس ما هو موجود بالنسبة للطرق الصوفية الأخرى.

سبعة عشرة، انتقال مقر الحركة السنوسية من الحجاز إلى الجغبوب سمح لها ممارسة جميع نشاطاتها التصوفية دون إحراج، وتكلل ذلك بعد وفاة الشيخ السنوسي ببناء ضريح فخم له، تعلوه قبة، وأصبح مزارا للعامة يتبرك به، وهو ما لم يكن ممكنا في زاوية أبي قبيس المقر الرئيسي الأول، بسبب الفكر الوهابي.

ثمانية عشرة، الطريقة السنوسية أقرب إلى التصوف السنوسي في الذكر، حيث تحرم الشطح والرقص والتمايل والتي تتميز بها الطرق الصوفية الأخرى أثناء حضرة الذكر، وفي المقابل تشترك معها في معتقدات بدعية وفكرية مثل العلم اللدني ولبس الخرقة والتوسل بالأولياء، وغيرها.

تسعة عشرة، لا تتميز الطريقة السنوسية بالتعصب والغلو في حب وقداسة الشيخ السنوسي كاعتباره خاتم الأولياء مثلا على غرار بعض الطرق، وإنما تتميز بالتسامح مع الطرق الصوفية الأخرى، فلم تذكر المصادر مشاحنات أو تحديات، وقد أُجيز الشيخ السنوسي في أربعين طريقة، بل ونصح بالأخذ منها للتبرك.

عشرون، مر نشاط الحركة السنوسية بمرحلتين مختلفتين اختلافا جدريا، الأولى : الاهتمام بالتعليم، والدعوة، والأعمال الخيرية، والثانية : الاشتغال بالسياسة، حيث حكمت مباشرة إمارة برقة، ثم المملكة الليبية، وقد وُصفت كما يلي : "السنوسية دين ودولة"، و"السنوسية من الزاوية إلى الدولة"، ونحن نقول "السنوسية من العِلم إلى العَلم".

إحدى وعشرون، كان للاستعمار الإيطالي إنعكاسات خطيرة على الحركة السنوسية في طرابلس الغرب، حيث لم يكتف بالعمليات العسكرية المدمرة، بل استهدف – وبشكل ممنهجٍ – تراثها الثقافي، وذلك بتحطيم الزوايا وحرق وإتلاف كتبها ومخطوطاتها، محاولًا بذلك طمس الشخصية الإسلامية للشعب الليبي[1].

[1] – مع بداية الاحتلال الإيطالي بدأت الحركة العلمية في التراجع، وأغلقت المدارس أبوابها، وكذلك المعاهدالعلمية ومنها الزوايا السنوسية، واستولت إيطاليا على الأراضي الموقوفة التابعة لها، وطبقت سياسة "طلينة الثقافة والتعليم" في ليبيا. ينظر : آمال يونس علي فوني، " **التعليم في برقة ابان الاحتلال الايطالي (1911–1943)** "، مجلة البحث العلمي في الآداب، العدد 18، سنة 2017م، ص ص3-17.

الملاحـــــــــــــق

الملحق رقم 1 : رسالة غير مؤرخة من الشيخ مُحَمَّد بن علي السنوسي إلى الشيخ عبد الله التواتي بشأن بناء زاوية جدة.

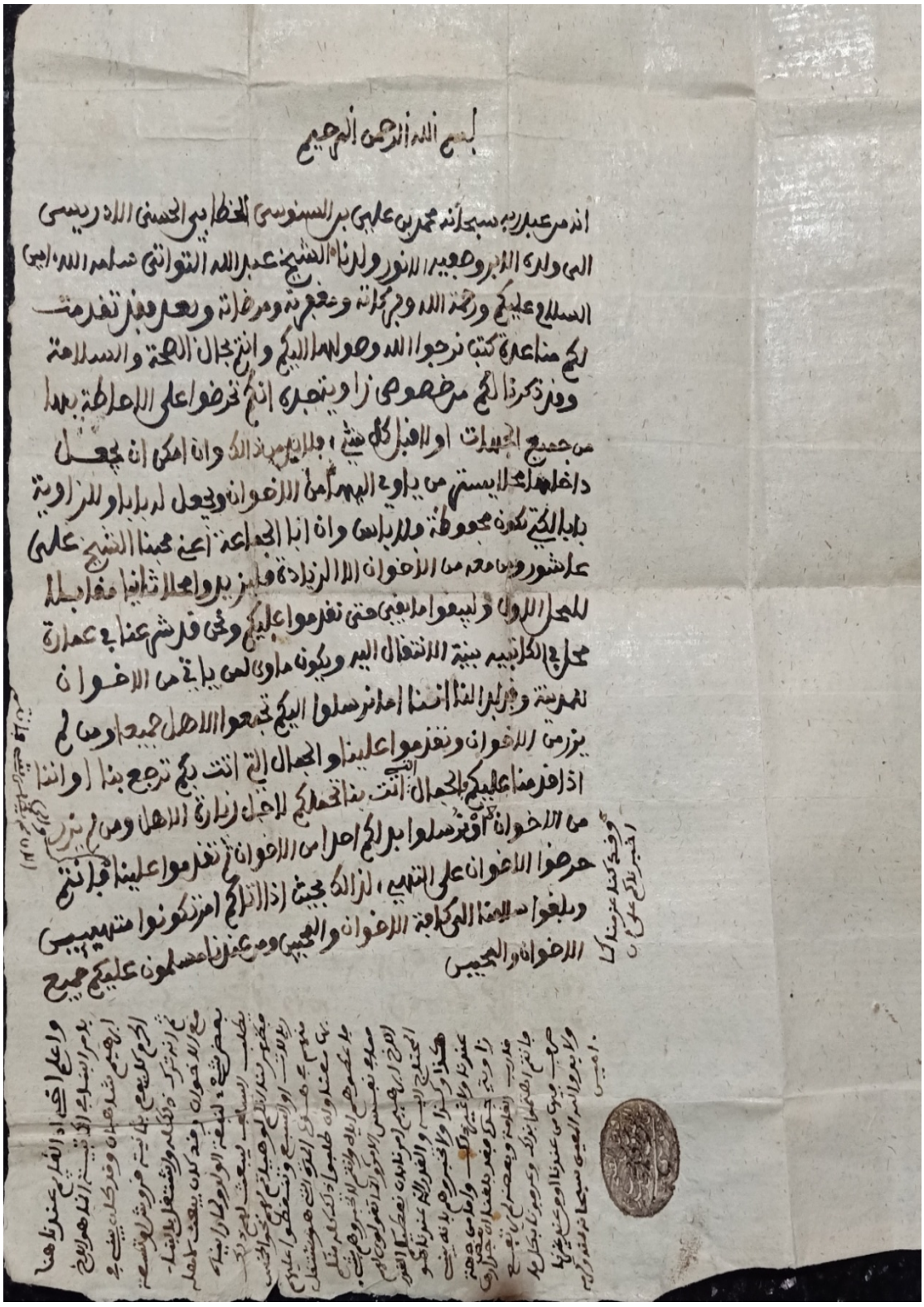

خطاب تكوك، جمعية الشيخ مُحَمَّد بن علي السنوسي لترقية التراث الصوفي، رقم الاعتماد : 23/5 أفريل 2018، مستغانم.

الملحق رقم 2 : مرثية عبد الرحيم المحبوب.

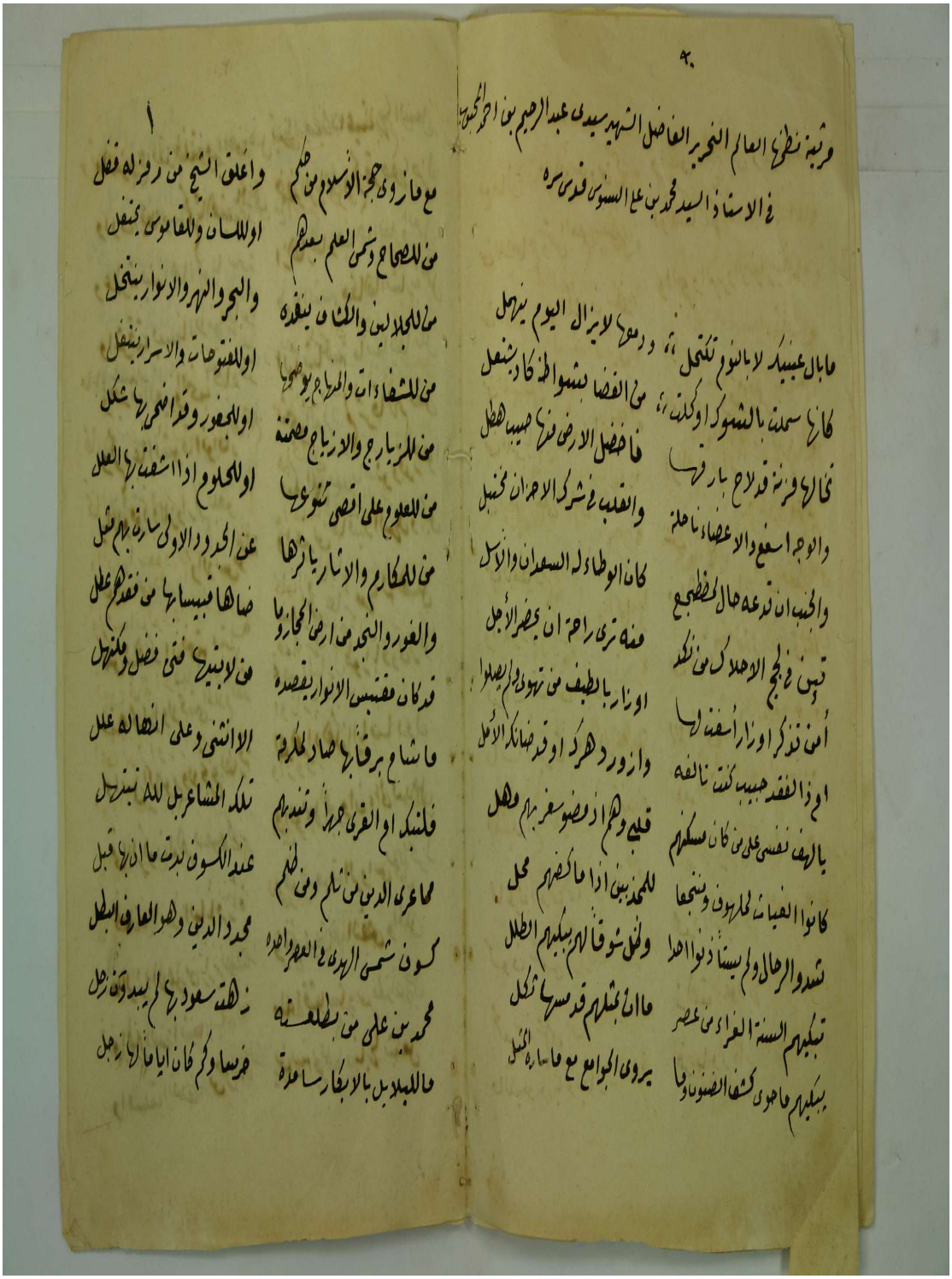

جامعة الإمام محمّد بن سعود الإسلامية. الرياض. المملكة العربية السعودية، رقم 1256.

الملحق رقم 3 : مخطط العائلة السنوسية (بتصرف).

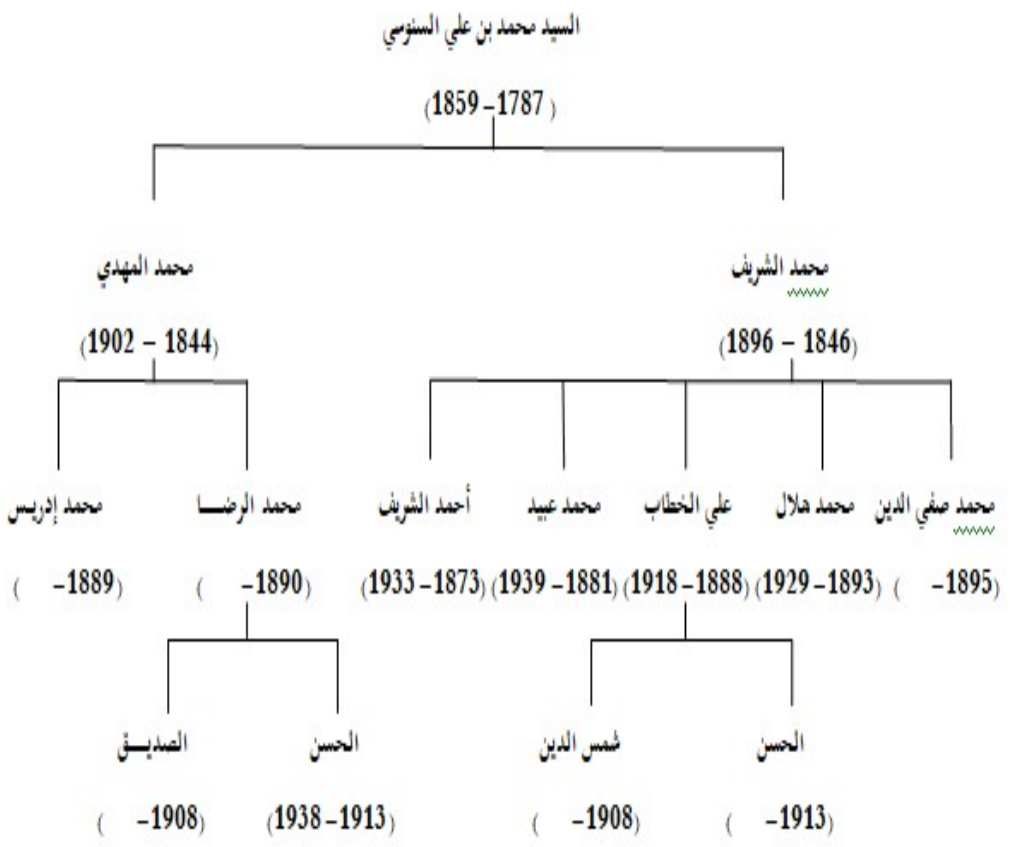

Edward Evan Evans-Pritchard, op.cit, p 20.

الملحق رقم 4 : تقرير من وزير خارجية فرنسا إلى الحاكم العام المدني بالجزائر السيد شانزي، بخصوص اجتماع عقد ببنغازي بأمر من الشيخ مُحَمَّد المهدي السنوسي عام 1878م.

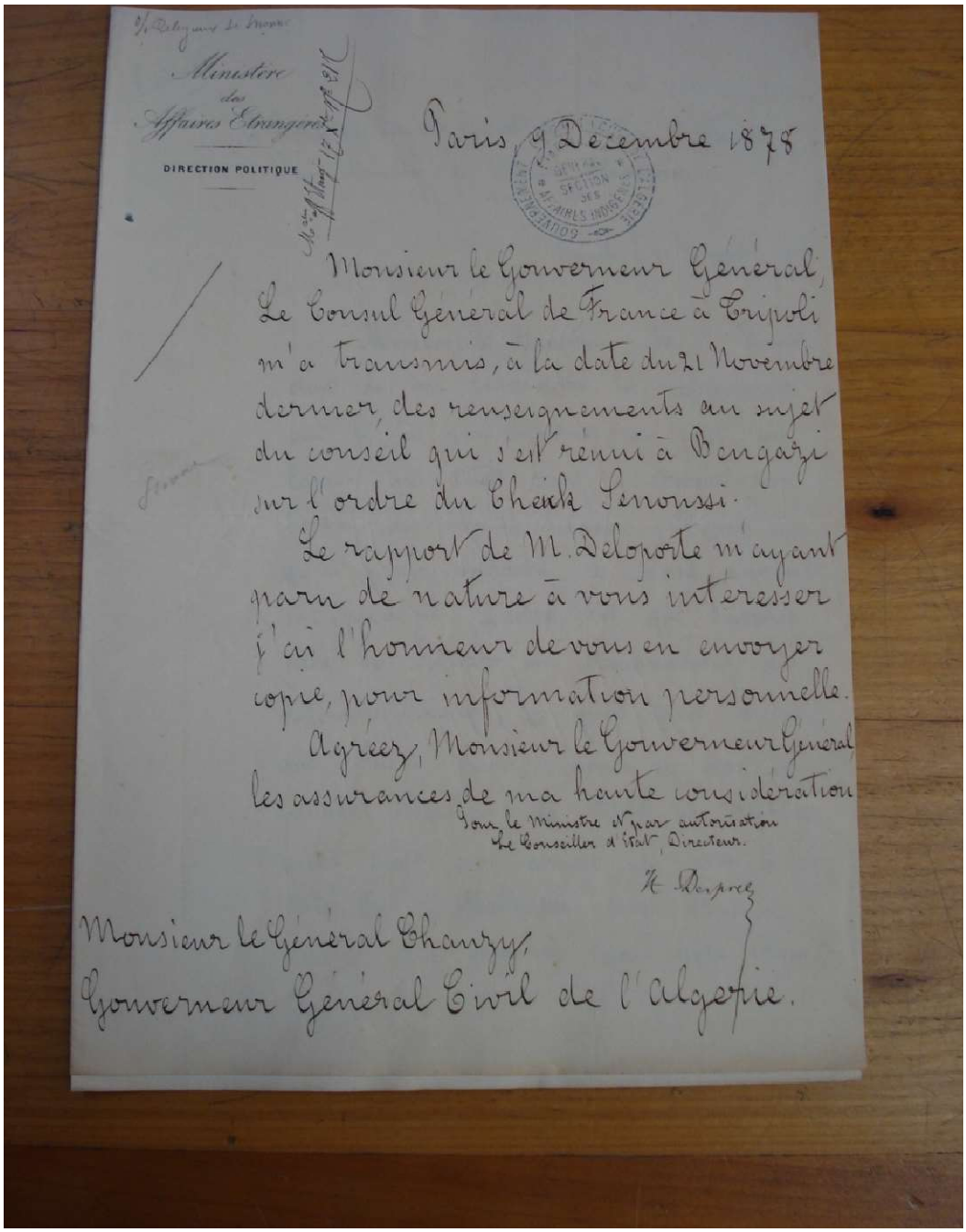

Ministère des Affaires Étrangères

DIRECTION POLITIQUE

Paris, 9 Décembre 1878

Monsieur le Gouverneur Général,

Le Consul Général de France à Tripoli m'a transmis, à la date du 21 Novembre dernier, des renseignements au sujet du conseil qui s'est réuni à Bengazi sur l'ordre du Cheikh Senoussi.

Le rapport de M. Deloporte m'ayant paru de nature à vous intéresser j'ai l'honneur de vous en envoyer copie, pour information personnelle.

Agréez, Monsieur le Gouverneur Général les assurances de ma haute considération

Pour le Ministre et par autorisation
Le Conseiller d'État, Directeur.

Monsieur le Général Chanzy,
Gouverneur Général Civil de l'Algérie.

A O M,16H55, Rapport de M. Le ministre des affaires étrangères de France à M. Chanzy le gouverneur général de l'Algérie. Paris, le 9 Décembre 1878.

الملحق رقم 5 : تقرير من السيد مدير قنصلية فرنسا العامة في طرابلس إلى وزير الشؤون الخارجية، بشأن اجتماع مجلس المقدمين.

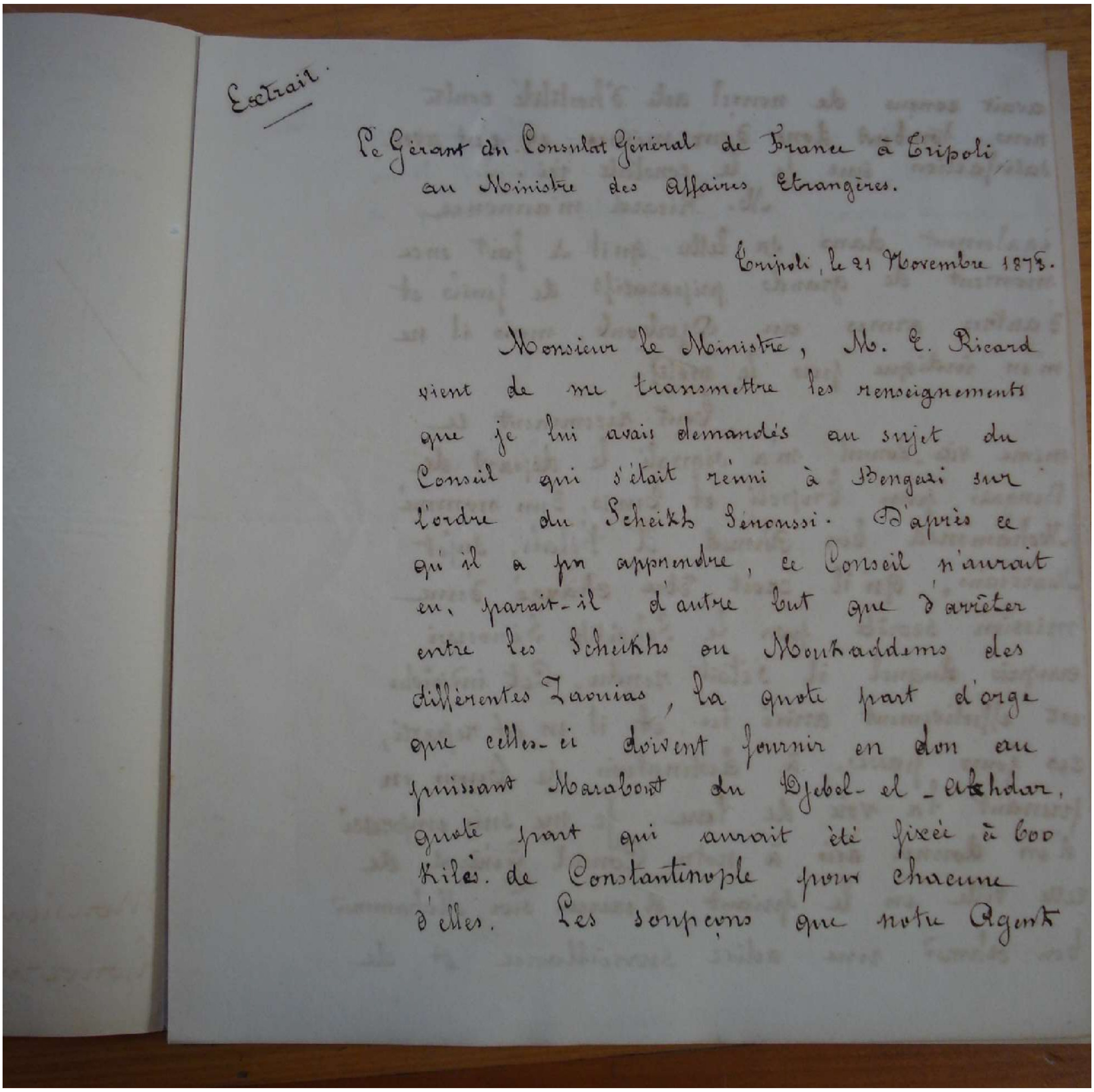

Extrait.

Le Gérant du Consulat Général de France à Tripoli
au Ministre des Affaires Etrangères.

Tripoli, le 21 Novembre 1878.

Monsieur le Ministre, M. E. Ricard vient de me transmettre les renseignements que je lui avais demandés au sujet du Conseil qui s'était réuni à Bengazi sur l'ordre du Scheikh Senoussi. D'après ce qu'il a pu apprendre, ce Conseil n'aurait eu, paraît-il, d'autre but que d'arrêter entre les Scheikhs ou Moukaddems des différentes Zaouias, la quote part d'orge que celles-ci doivent fournir en don au puissant Marabout du Djebel-el-Akhdar, quote part qui aurait été fixée à 600 Kilés. de Constantinople pour chacune d'elles. Les soupçons que notre Agent

A O M, 16H55, Rapport de M. Le gérant de consulat général de France à Tripoli au Ministre des affaires étrangères. Tripoli, le 21 Novembre 1878.

الملحق رقم 6 : أوراد الطريقة السنوسية.

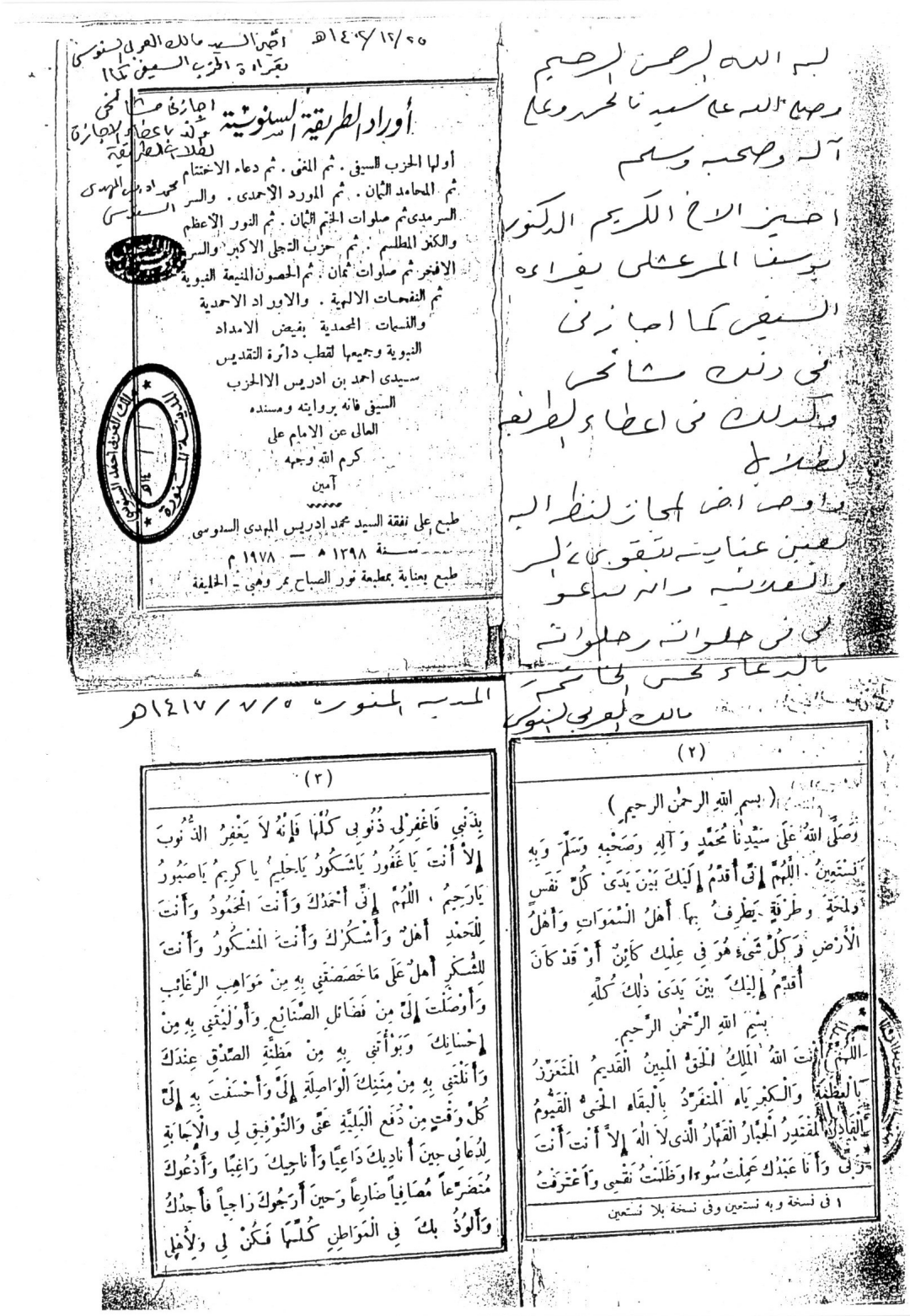

مجموع رقم 743، مكتبة الحرم المكي، المملكة العربية السعودية، مخ.

الملحق رقم 7 : زاوية البيضاء – الواجهة الرئيسية –.

مُحَّد أبو بكر السنوسي، مرجع سابق، ص28.

الملحق رقم 8 : الصحن والخلاوي والقاعات بالزاوية البيضاء.

محمّد أبو بكر السنوسي، مرجع سابق، ص28.

الملحق رقم 9 : زاوية الجغبوب.

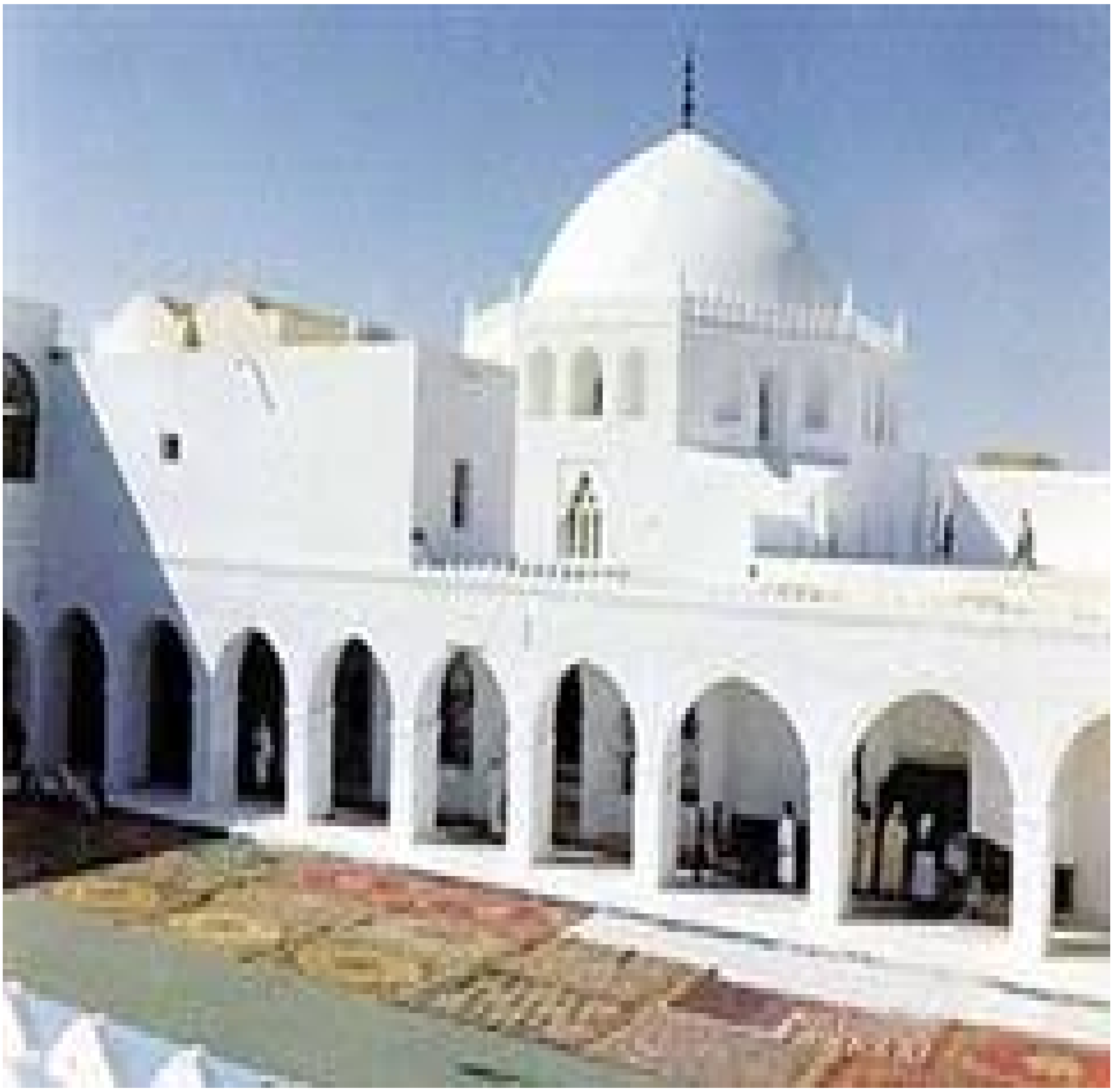

- يونس علي بالقاسم السنوسي، مرجع سابق، ص45.

- أهل البيت : [http:www.ahlubayt-libya.com] ، 19 كيلو أوكتي، (زيارة الموقع 15 جانفي 2022، الساعة 10:19).

الملحق رقم 10 : مخطط زاوية الجغبوب.

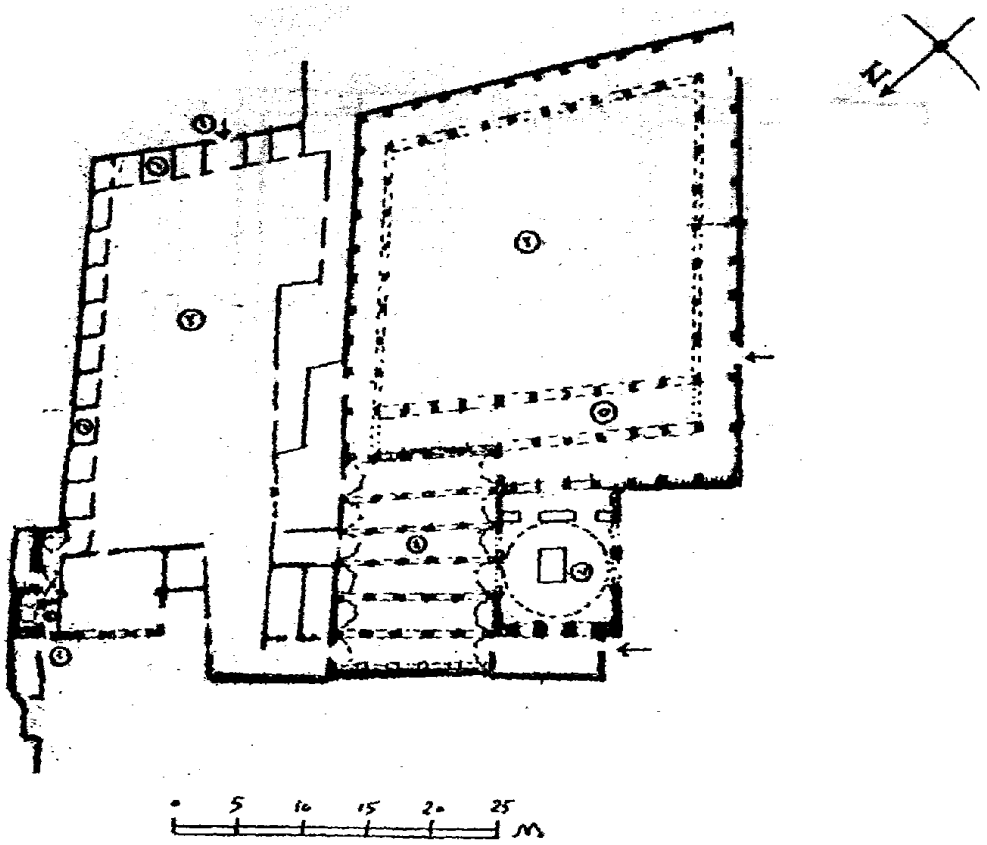

شـــكل (٣٣)

زاوية الشيخ السنوسي (بالجغبوب)

١ ــ المدخل ٢ ــ الممر

٣ ــ الصحن ٤ ــ بيت الصلاة

٥ ــ الأروقة ٦ ــ الخلاوي

٧ــ الضريح

نقلا عن / الأرشيف الهندسي بمصلحة آثار طرابلس .

خضري سمير عبد المنعم، مرجع سابق، ص583.

الملحق رقم 11 : زاوية مازونة (الجزائر).

Henri Duveyrier, **la confrérie musulmane de Sîdi Mohammed Ben Ali Es–Senûsi et son domaine géographique**, **en l'année 1300 de l'hégire=1883 de notre ère**, op.cit, p 30.

الملحق رقم 12 : الزاوية السنوسية بمدينة جانت.

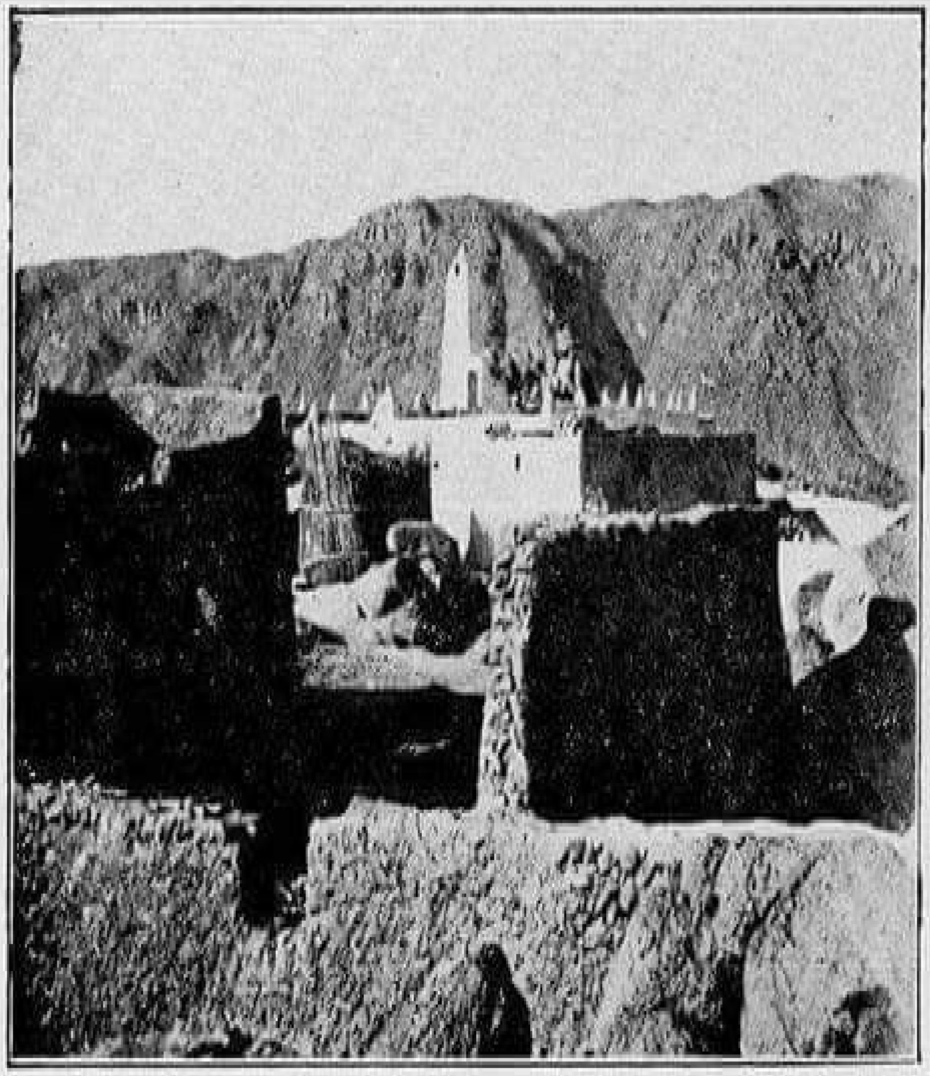

DJANET. La Mosquée senoussiste devenue le Fort Charlet

قمزر حمزة، أرشيف جمعية أمنيلال لحفظ التراث والمخطوطات بجانت، رقم الاعتماد : 06/2013 بلدية جانت.

الملحق رقم 13 : زوايا الحركة السنوسية (بتصرف)

Jean- Louis Triaud, **La Légende noire de la Sanûsiyya une confrérie musulmane saharienne sous le regard Français (1840–1930)** , op.cit, vol 1 , snp.

الملحق رقم 14 : بوابة بئر علالي.

عبد الناصر اشتيوي، **السنوسية في كتاب المؤرخ الفرنسي جان لوي تريو : الأسطورة السوداء السنوسية طريقة دينية صحراوية تحت النظرة الفرنسي[كذا] 1840–1930**، السنوسية من الزاوية إلى الدولة 1841–1969، أعمال الندوة العلمية الثانية المنعقدة بالجغبوب يومي 23–24 ديسمبر 2019م، دار الكتب الوطنية، بنغازي، ليبيا، ص26.

الملحق رقم 15 : مركز السنوسية في عين غلك.

عبد الناصر اشتيوي، مرجع سابق، ص26.

الملحق رقم 16 : تقرير من مجلس لواء بنغازي إلى وزارة التعليم العثمانية عام 1897م.

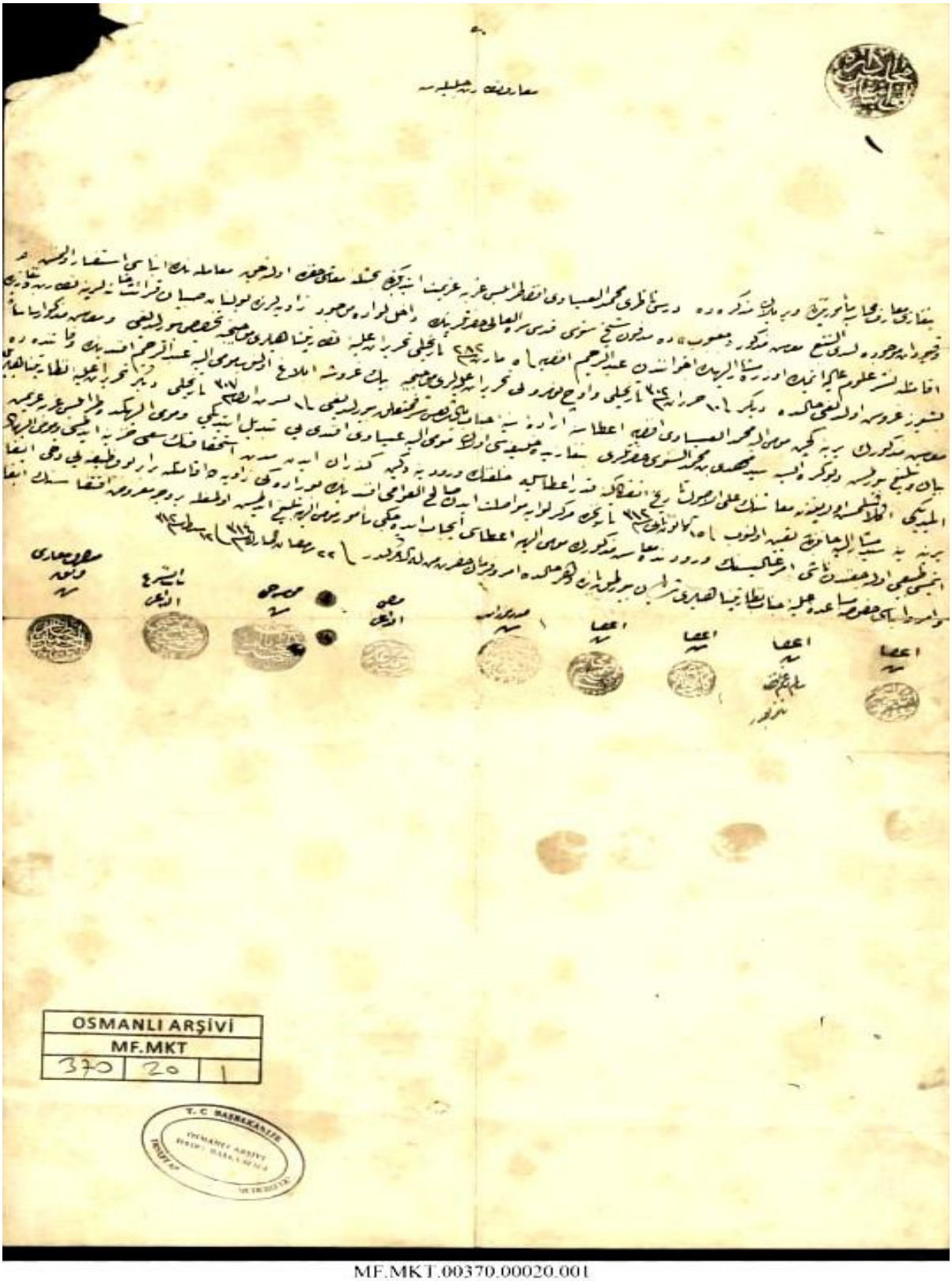

MF.MKT.00370.00020.001

الوثيقة رقم beo 70/20/1. من الأرشيف العثماني باسطنبول.

الملحق رقم 17 : مخطوط في علم البلاغة للشيخ عبد الرحمن بن أبي بكر العياشي المغربي، من مقتنيات مكتبة الجغبوب.

يونس علي بالقاسم السنوسي، مرجع سابق، ص285.

الملحق رقم 18 : قصيدة في المولد النبوي للشيخ المسلخي الحلبي، من مقتنيات مكتبة الجغبوب.

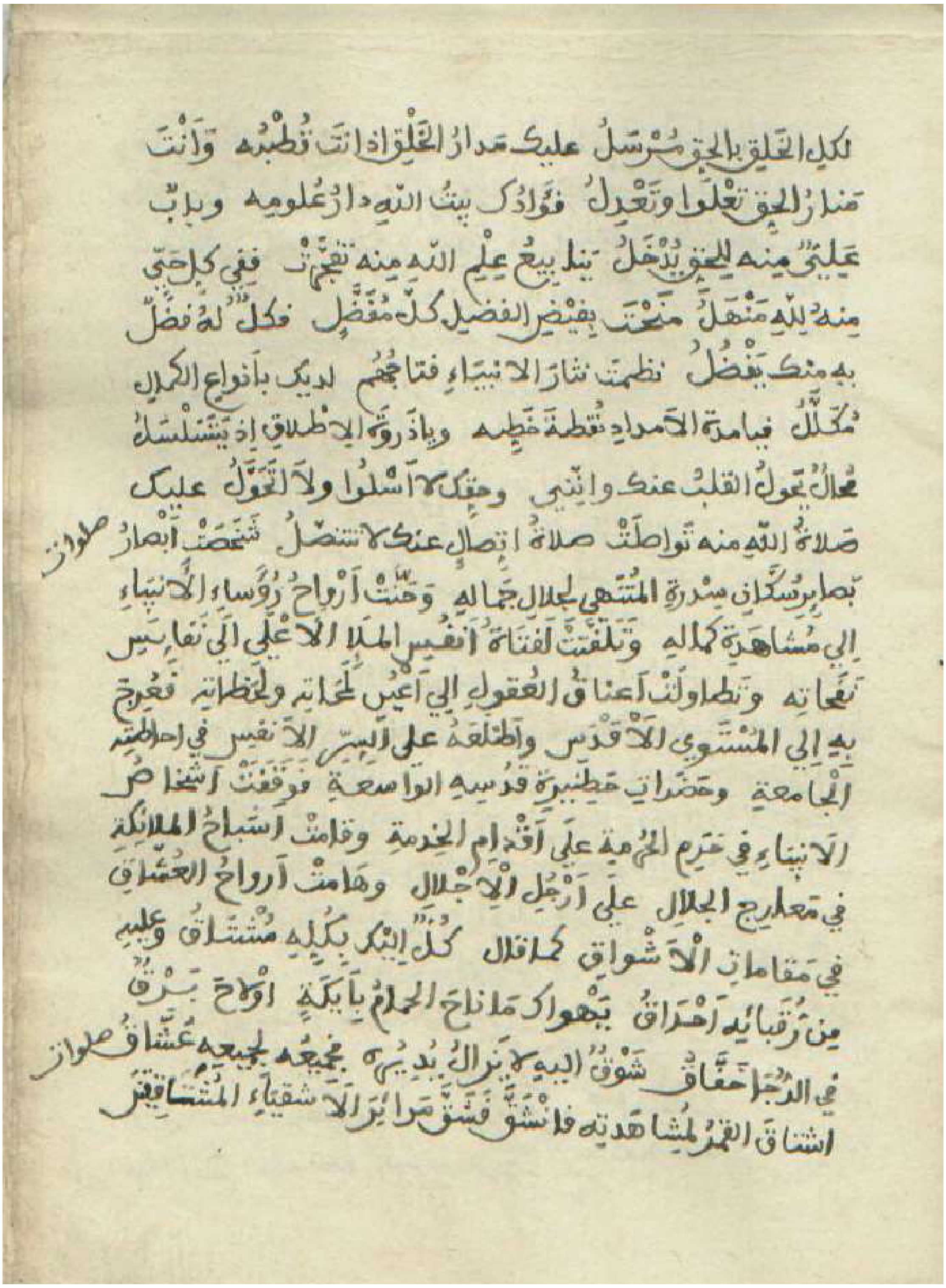
لكل الخلق بالحق مرسل عليك مدار الخلق إذ أنت قطبه وأنت
مدار الحق تعلو وتعدل فؤادك بيت الله دار علومه وباب
علي منه للحق يدخل ينابيع علم الله منه تفجرت ففي كل حي
منه لله منهل منحت بفيض الفضل كل مفضل فكل له فضل
به منك يفضل نظمت نثار الأنبياء فتاجهم لديك بأنواع الكمال
مكلل فيامدة الأمداد نقطة خطه ويا ذروة الإطلاق إذ يتسلسل
محال تحول القلب عنك وإنني وحقك لا أسلو ولا أتحول عليك
صلاة الله منه تواصلت صلاة اتصال عنك لا تتنصل شخصت أبصار صلوات
بصائر سكان سدرة المنتهى لجلال جماله وحنت أرواح رؤساء الأنبياء
إلى مشاهدة كماله وتلفتت لفتاة أنفس الملأ الأعلى إلى نفائس
نفحاته وتطاولت أعناق العقول إلى أعين لحظاته ولحظاته فعرج
به إلى المستوى الأقدس واطلعه على السر الأنفس في احاطته
الجامعة وحضرات حظيرة قدسه الواسعة فوقفت أشخاص
الأنبياء في حرم الحرمة على أقدام الخدمة وقامت أشباح الملائكة
في معارج الجلال على أرجل الإجلال وهامت أرواح العشاق
في مقامات الأشواق كما قال كل إليك بكليه مشتاق وعليه
من رقبائه احداق بهواك ما ناح الحمام بأيكه أوراح برق
في الدجى خفاق شوق إليه لا يزال بديه بجميعه لجميعه عشاق صلوات
اشتاق القمر لمشاهدته فانشق فشق مرائر الأشقياء المشافقين

يونس علي بالقاسم السنوسي، مرجع سابق، ص283.

الملحق رقم 19 :

لوحة (ا) : دواء للإزالة اليرقان وضعف البدن والبرص	**لوحة (ب) : علاج عسر الولادة والفتق**
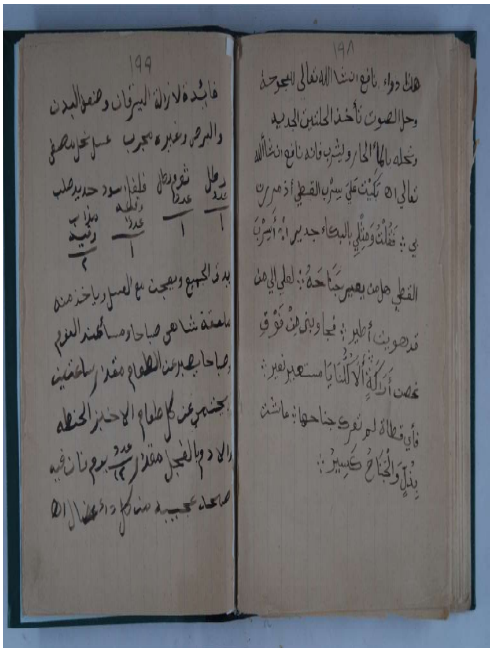	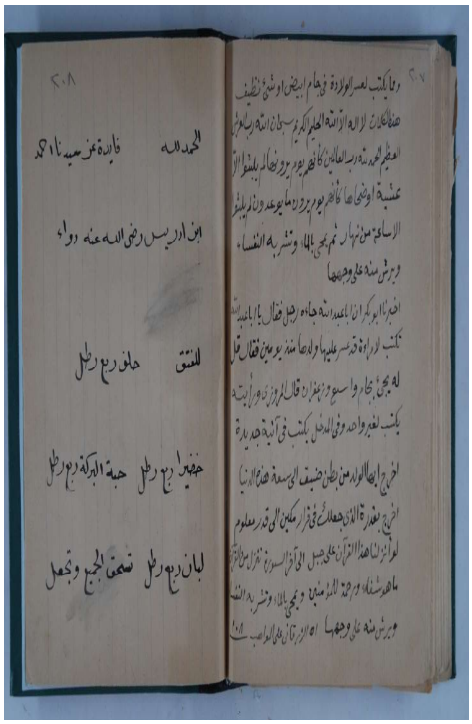
لوحة (ج) : علاج المصروع وحرق الجان	**لوحة (د) : علاج السحر وإزالة الصداع والأمن من الفالج**
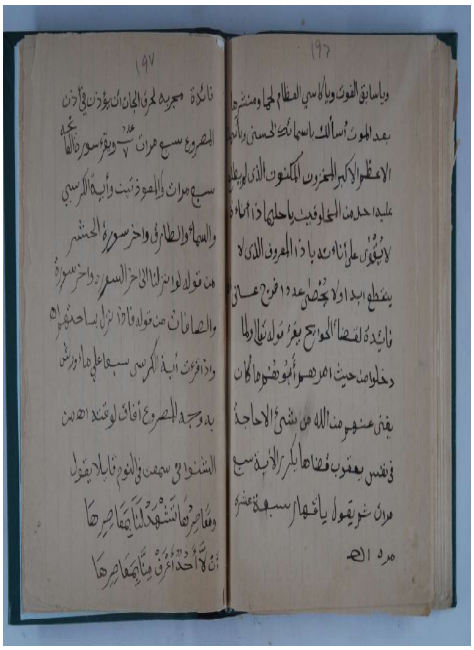	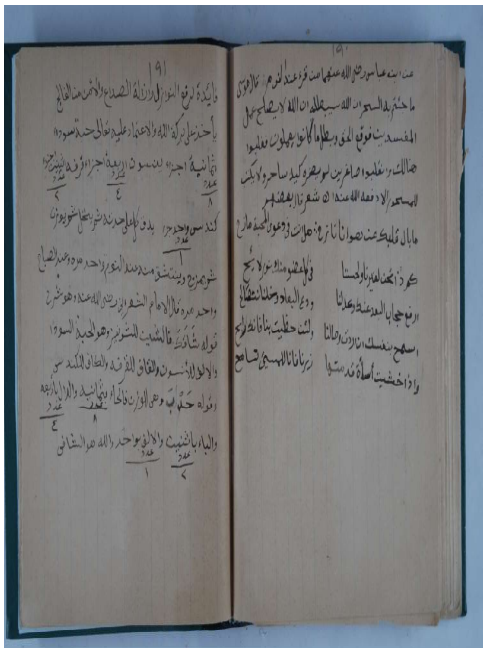

أحمد بن ادريس، مراسلات بعض التلاميذ، كناش رقم 3896، فهرس في 1427/8/20هـ، مكتبة مكة، المملكة العربية السعودية.

الملحق رقم 20 : العمارة والزخرفة في الجغبوب

الصورة 1 : أهم مرافق المجمع الديني يالجغبوب، نقلا عن نصيب طاهر

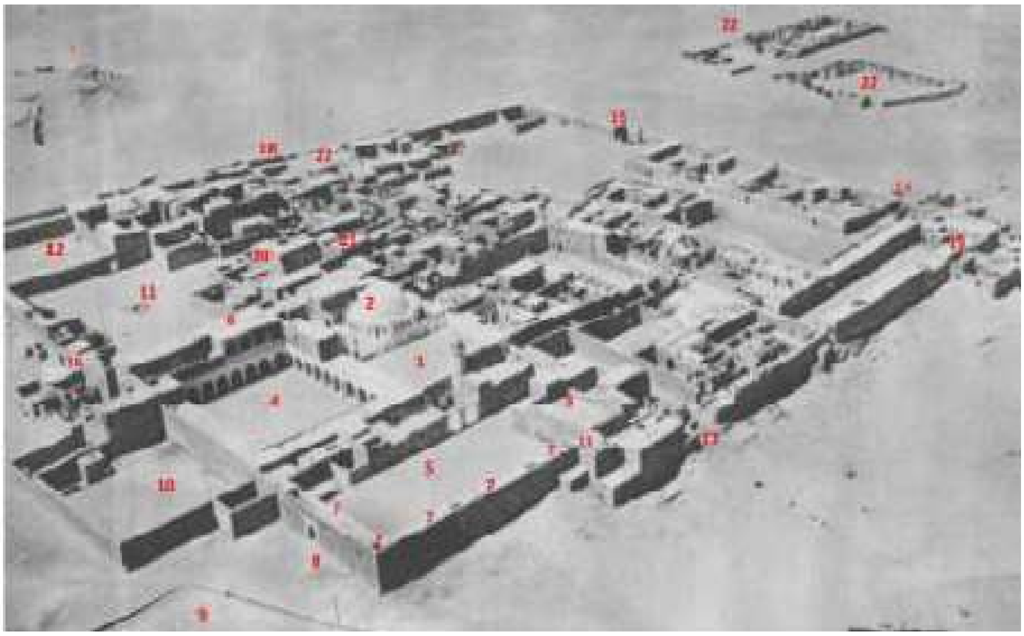

1- المسجد، 2- الضريح، 3- الكتاب، 4- الصحن المركزي، 5- رباط الكُتاب، 6- ديوان السيد المهدي، 7- غرف الطلاب، 8- باب الرحمة، 11- رباط القارة، 13- حمام بخاري، 20- منزل الإمام السنوسي.

الصورة 2 : المأذنة

الصورة 3 : بيت الصلاة والمحراب

صورة 4 : الضريح من الداخل

صورة 5 : زخارف القبة

صورة 6: زخارف الضريح

صورة 7: زخارف المداخل

يوسف خليفة خليفة، مرجع سابق، ص ص299-301.

الملحق رقم 21 : قبة ضريح الشيخ مُحَّد بن علي السنوسي بالجغبوب، من الداخل.

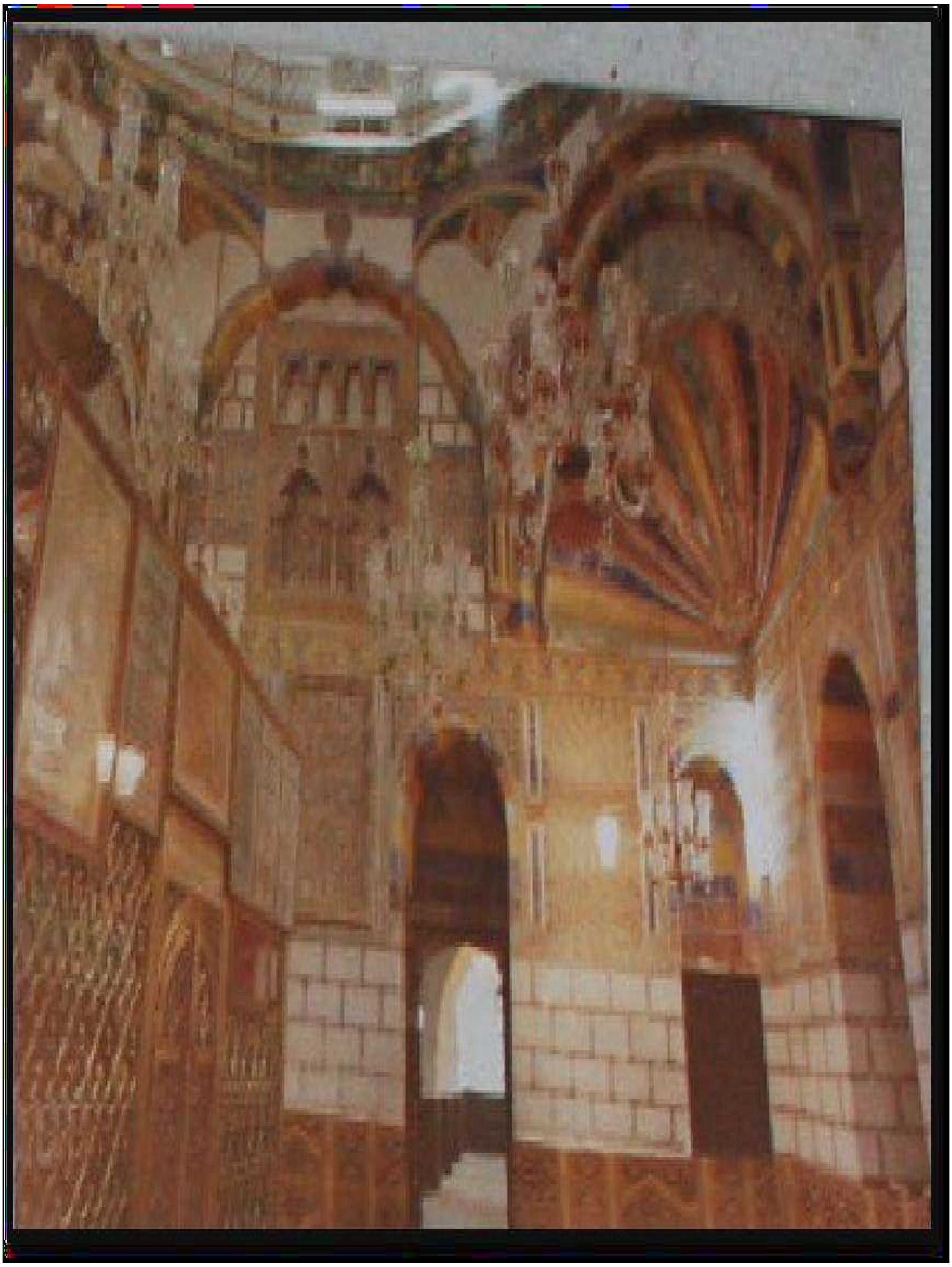

يونس علي بالقاسم السنوسي، مرجع سابق، ص116.

الملحق رقم 22 : مباني بالجغبوب

صورة (ا) : منزل العائلة السنوسية بالجغبوب

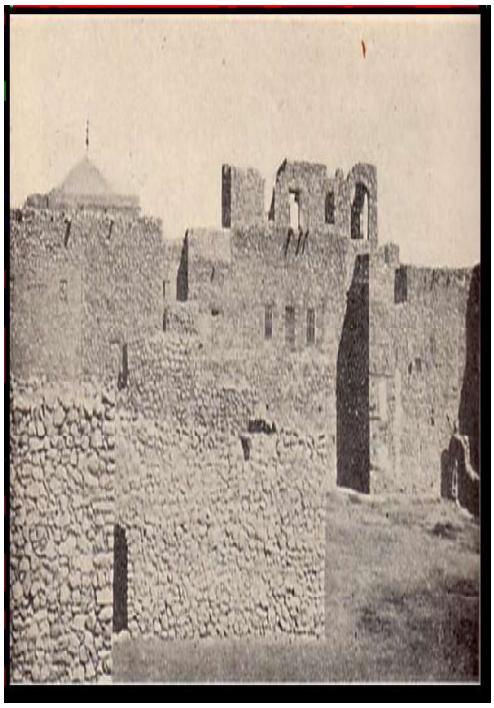

صورة (ب) : مباني في الجغبوب

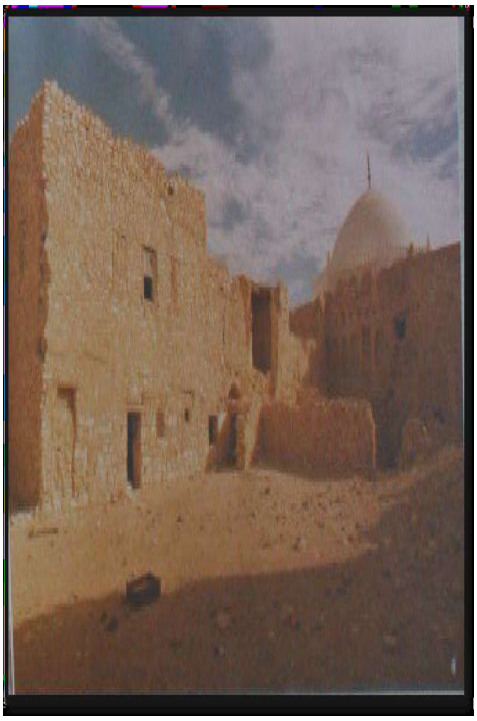

صورة (ج) : بئر ماء للشرب في الجغبوب.

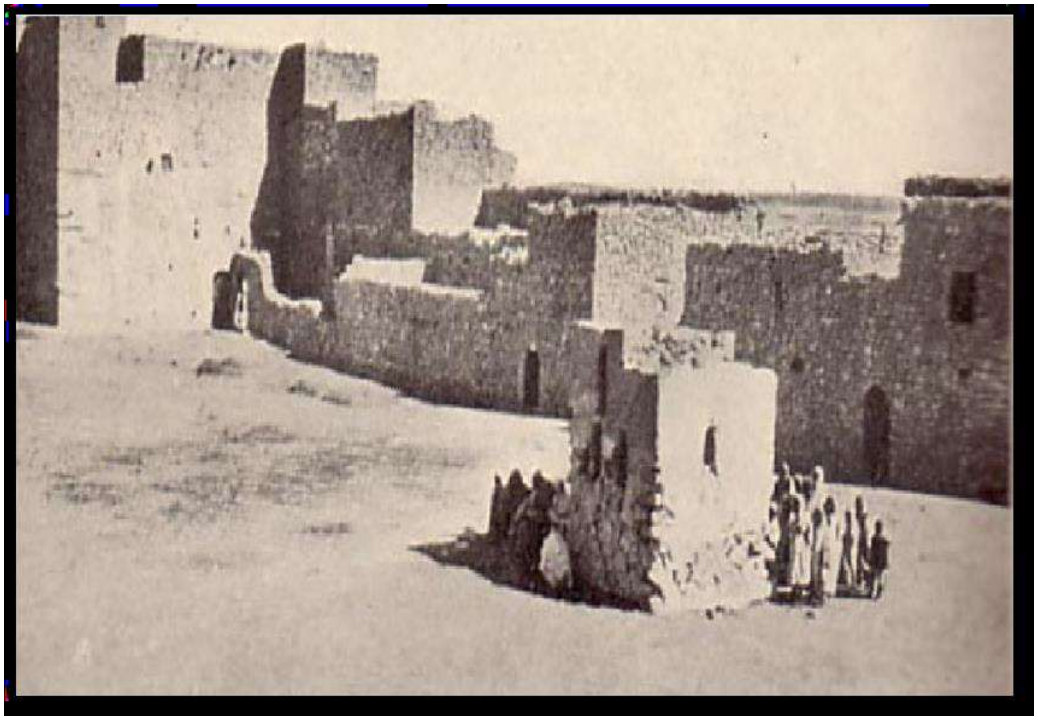

يونس علي بالقاسم السنوسي، مرجع سابق، ص ص 40-121.

الملحق رقم 23 : رسالة من مُحَمَّد عبد الرحمن غوارنغ سلطان باغرمي إلى الشيخ البراني، دون تاريخ.

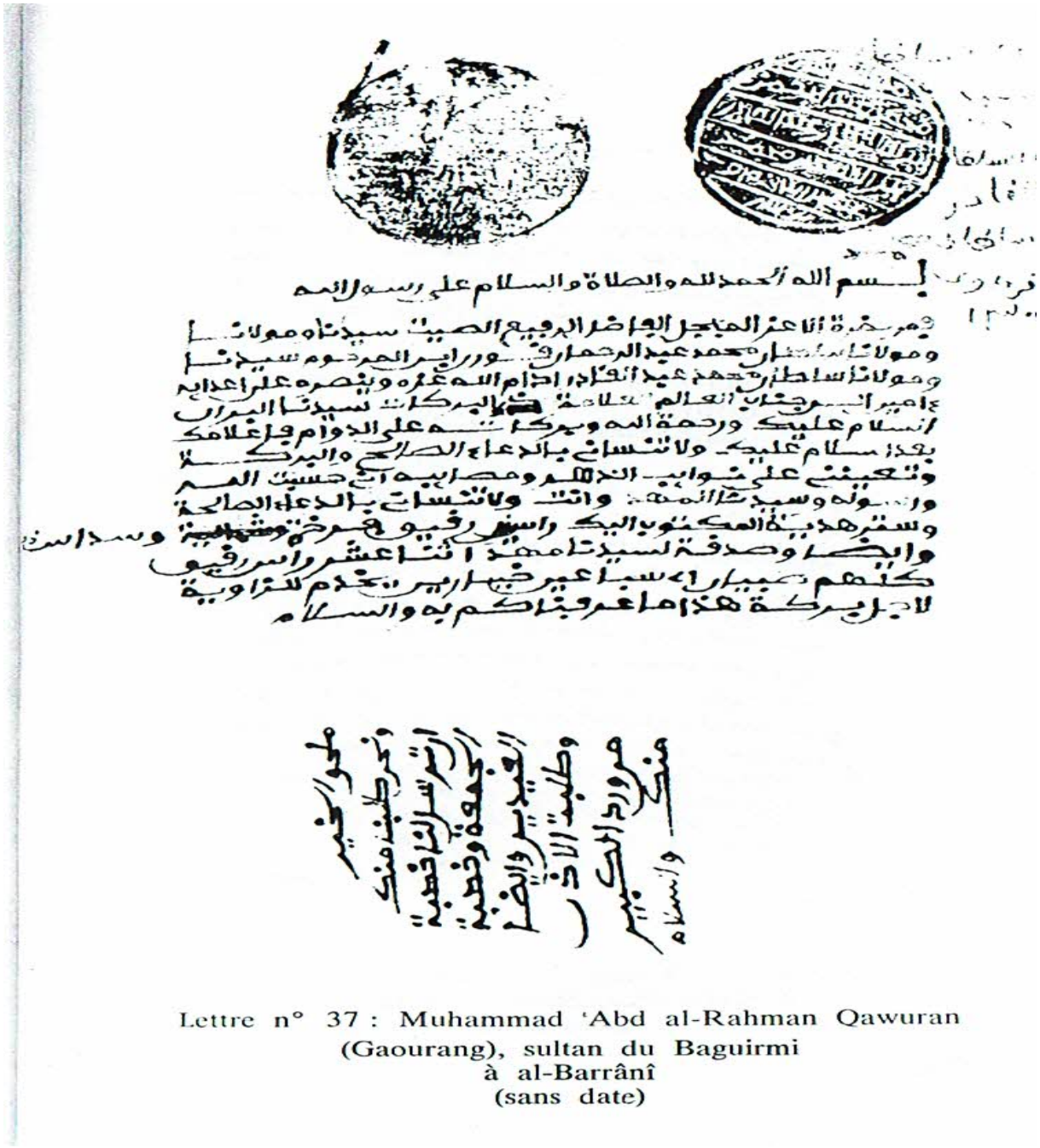

Lettre n° 37 : Muhammad 'Abd al-Rahman Qawuran (Gaourang), sultan du Baguirmi à al-Barrânî (sans date)

Jean- Louis Triaud, **Tchad 1900–1902**, **une guerre Franco–Libyenne oubliée? une confrerie musulmane**, **la Sanusiyya face a la France**, op.cit, snp.

الملحق رقم 24 : رسالة من حاكم غلفاي علوى إلى الشيخ البراني، جويلية– أوت 1901م.

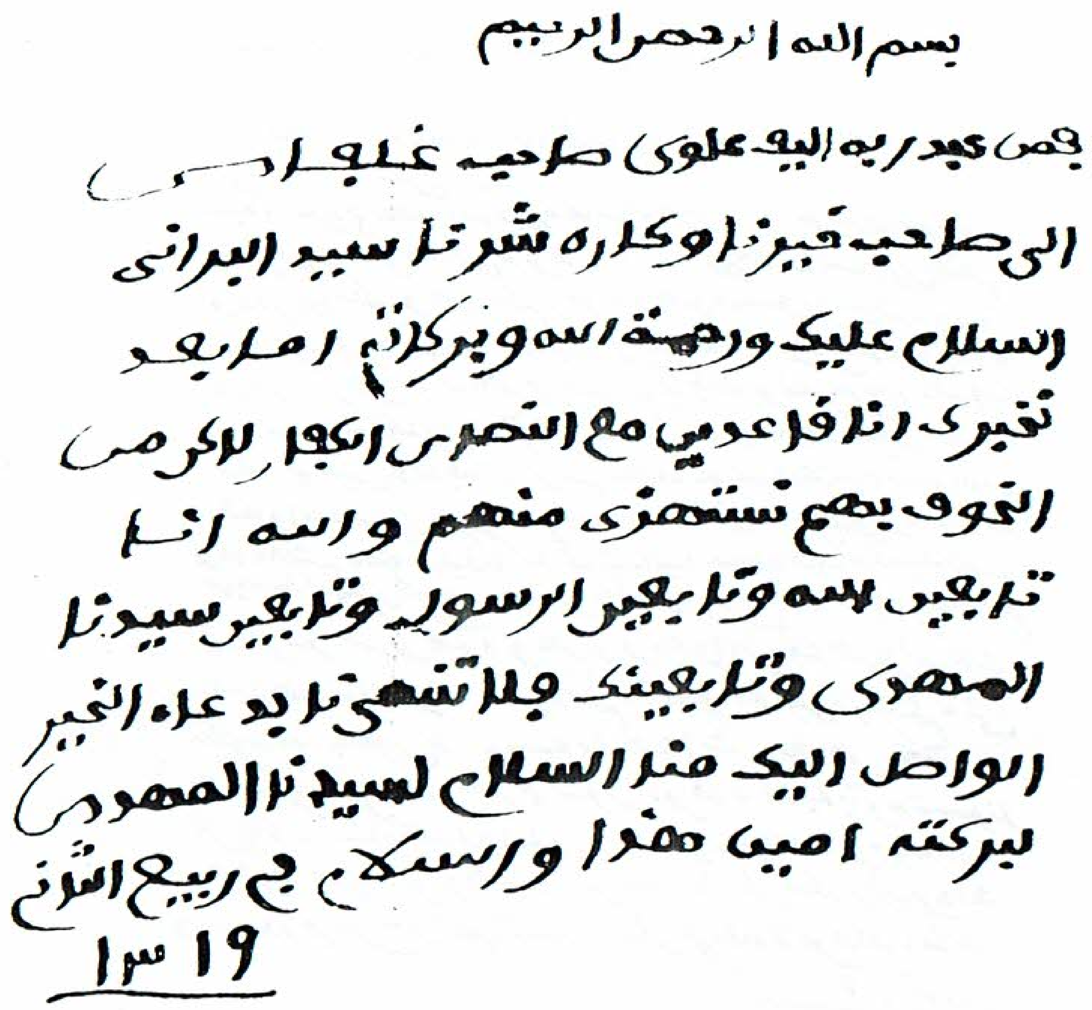
بسم الله الرحمن الرحيم

من عبد ربه الفقيه علوى صاحب غلفاي

الى صاحبه فخرنا وكاره شرفنا سيد البرانى

السلام عليك ورحمة الله وبركاته اما بعد

نخبرك انا فاعدوين مع النصارى الكفار لاكن من

الخوف بهم نستهزى منهم والله انا

تابعين الله وتابعين الرسول وتابعين سيدنا

المهدى وتابعينك فلا تنسى تابد علاء الخير

الواصل اليك منا السلام لسيدنا المهدى

ببركته امين هذا والسلام في ربيع الثاني

1319

Lettre n° 17 : 'Alwî, chef de Goulfey,
à al-Barrânî (juillet-août 1901)

Jean- Louis Triaud, **Tchad 1900-1902**, **une guerre Franco-Libyenne oubliée? une confrerie musulmane**, **la Sanusiyya face a la France**, op.cit, snp.

الملحق رقم 25 : رسالة من الشيخ مُحَمَّد المهدي السنوسي إلى الشيخ البراني، 10 ماي 1898م.

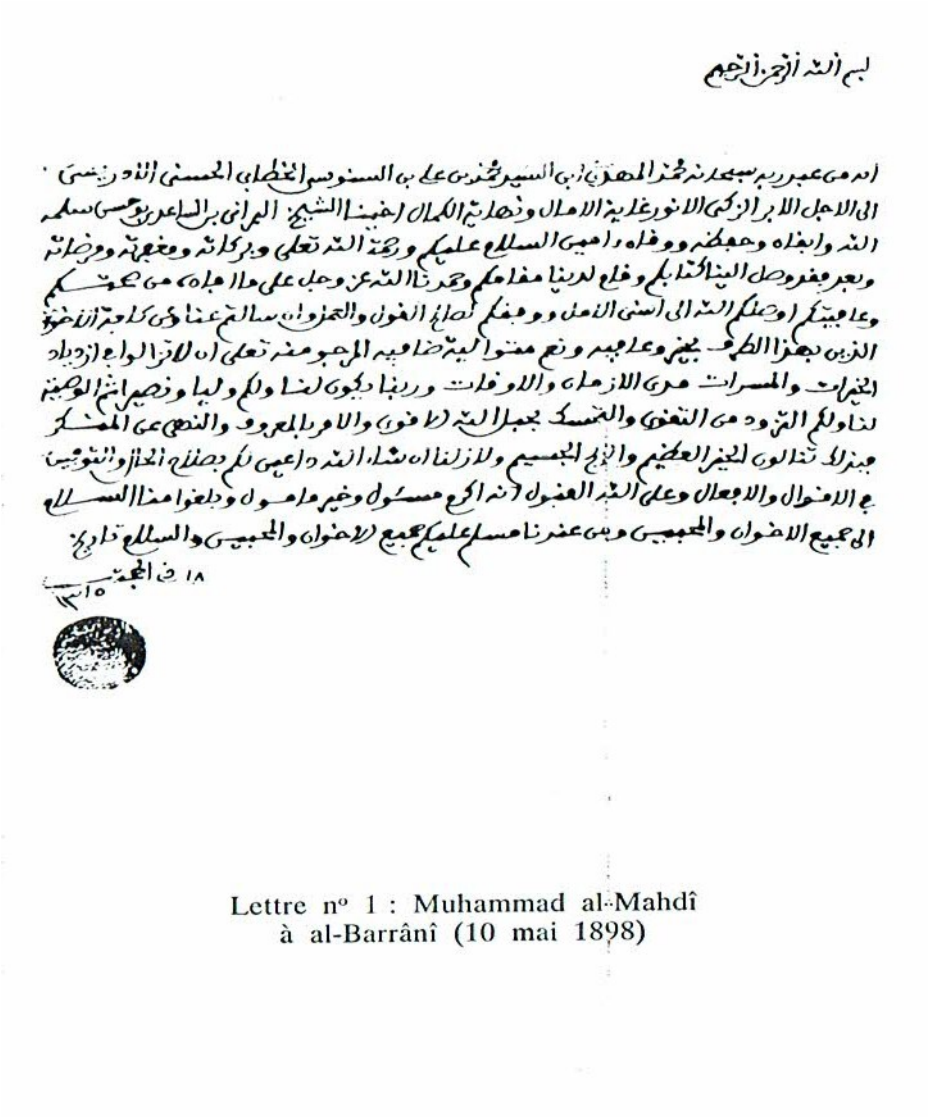

Lettre nº 1 : Muhammad al-Mahdî
à al-Barrânî (10 mai 1898)

Jean- Louis Triaud, **Tchad 1900–1902**, **une guerre Franco–Libyenne oubliée? une confrerie musulmane**, **la Sanusiyya face a la France**, op.cit, snp.

الملحق رقم 26 : رسالة من الشيخ أحمد الريفي إلى الشيخ البراني، 2 أفريل 1901م.

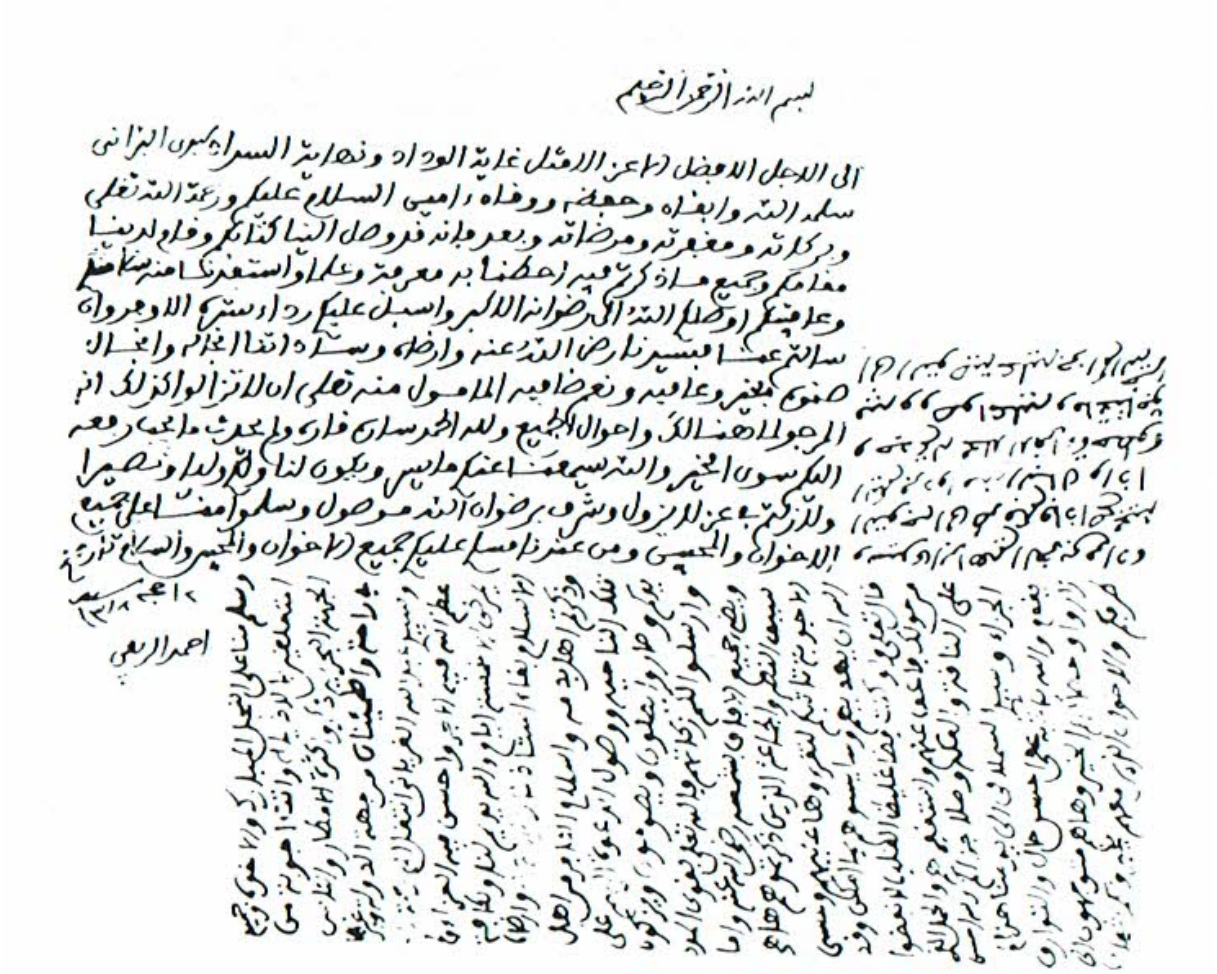

Lettre nº 11 : Ahmad al-Rîfî
à al-Barrânî (2 avril 1901)

Jean- Louis Triaud, **Tchad 1900–1902**, **une guerre Franco–Libyenne oubliée? une confrerie musulmane**, **la Sanusiyya face a la France**, op.cit, snp.

الملحق رقم 27 : طرق القوافل التجارية، وطريق الحج عبر الجغبوب.

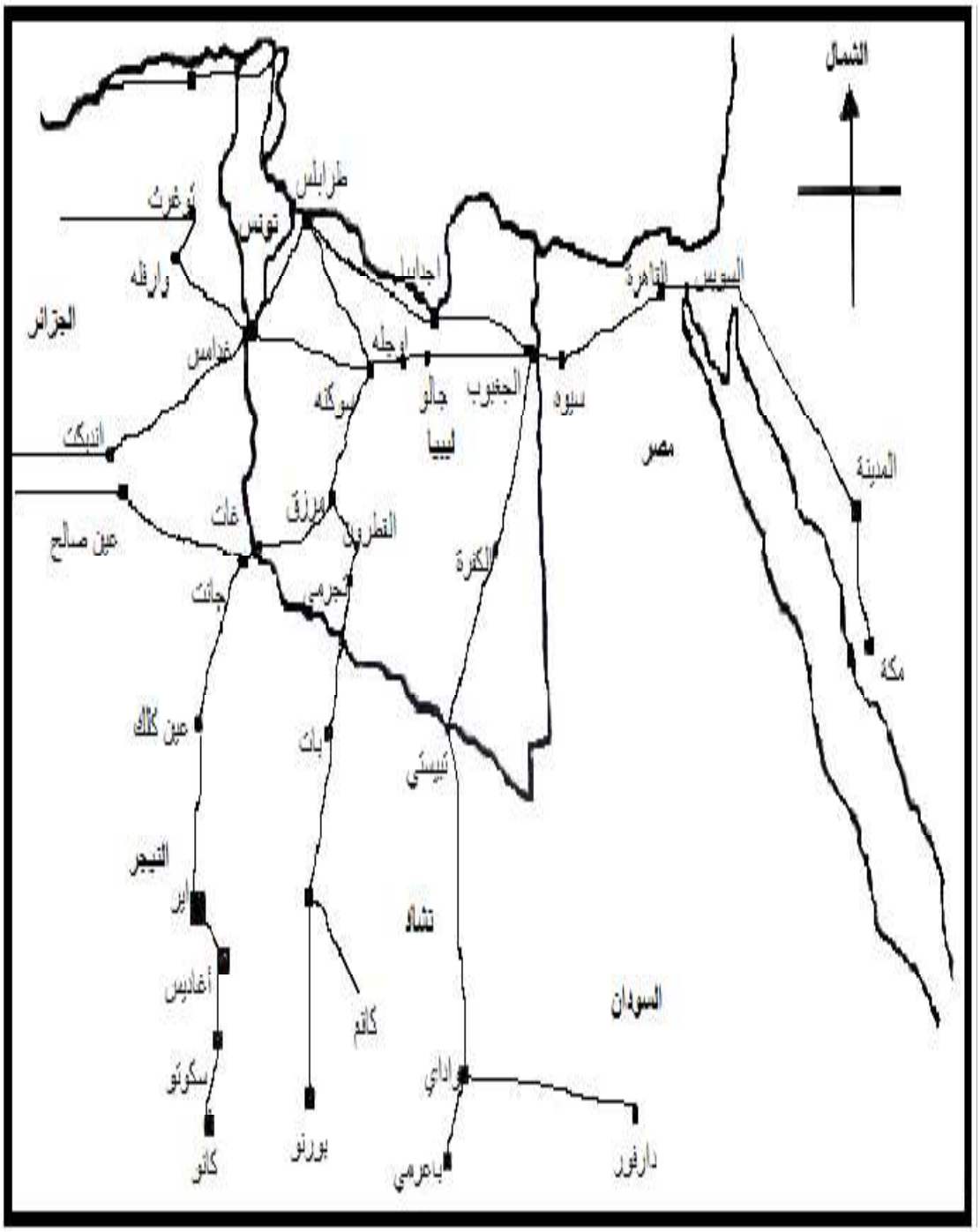

يونس علي بالقاسم السنوسي، مرجع سابق، ص29.

الملحق رقم 28 : مؤلفات الشيخ مُحَمَّد بن علي السنوسي.

1	إزاحة الأكنَّة في العمل بالكتاب والسنة.	32	شرح الأحاديث الأربعة : (إنَّما الدين النصيحة)، (إنَّما الأعمال بالنيَّات)، (الحلال بيِّن والحرام بيِّن)، (من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه).
2	إشراق شموس السنَّة اليقينيَّة على تراكم غياهب اعتراضات الأربعينيَّة.	33	شرح ألفيَّة اليدوينٍّ
3	الأصولية في العمل بالكتاب والسنة.	34	شرح على البسملة، فيه ثنا عشر علمًا
4	إيقاظ الوسنان، في العمل بالحديث والقرآن.	35	شرح على خليل بالكتاب والسنَّة
5	البدور السافرة، في عوالي الأسانيد الفاخرة.	36	شفاء الصدر، بأري المسائل العشر
6	بغية السول، في الاجتهاد والعمل بحديث الرسول.	37	الشموس الشارقة، في أسانيد شيوخنا المغاربة والمشارقة.
7	بغية المقاصد، في خلاصة المراصد المسمى (المسائل العشر).	38	طواعن الأسنَّة، في طاعني أهل السنَّة.
8	تأليف فيما يتعلق بالعصمة.	39	فحم الأكباد، في موادٍّ الاجتهاد.
9	التحفة الشريفة، والبغية السريَّة المنيفة، لأوائل بعض مشاهير الأمَّهات الحديثيَّة، من معظم منتقيات أصولها الأثرية، وبعض التفاسير الأثرية والعرفانية والتأويلية.	40	فهرسة كتاب (المواهب السريَّة، في منتقل الأوضاع الحرفيَّة)
10	تحفة المحاضرة، في آداب التفُّهم والتفهيم والمناظرة.	41	قرَّة عين أهل الصفا، في صلاة المصطفى.
11	التحفة المنيفة، المشتملة على زبدة ما لجهابذة بعض محققي مذهب الإمام أبي حنيفة.	42	كتاب عصمة الرسل
12	جامع مسانيد أبي حنيفة.	43	كتاب في الأعمال الأربعة: في الاسطرلاب والمقنطر والمجيب.
13	ختم ابن ماجة.	44	الكواكب الدُّرِّيَّة، في أوائل الكتب الأثريَّة.
14	ختم البخاريّ.	45	لوامح الخذلان، على من لم يعمل بالقرآن
15	ختم الموطَّأ.	46	مجموع مسانيد الإمام أبي حنيفة

16	ختم النسائيِّ.	47	مختصر المواهب الباريَّة.
17	ختم سنن أبي داود.	48	مختصر بغية الطلَّاب، في علم الانساب.
18	ختم سنن الترمذيِّ.	49	مختصر مسند الإمام أحمد.
19	ختم مسلم.	50	المراصد الأصوليَّة، في العمل بالحديث والسنَّة النبويَّة.
20	ختم مسند الإمام الشافعيِّ.	51	المسلسلات العشر في الأحاديث النبويَّة.
21	الدرر السنيَّة في أخبار السلالة الإدريسية (تاريخ الأدارسة).	52	معدُّ الحسام، على واجب العمل بالالهام.
22	رسالة السلوك، أو (منظومة السلوك).	53	مقدمة موطَّأ الإمام مالك.
23	رسالة الفلاح، في الفتح والنجاح.	54	منظومة السلوك، إلى ملك الملوك.
24	رسالة جامعة في أقوال السنن وأفعالها.	55	المنهج المبين، في أدلَّة المجتهدين.
25	رسالة شاملة في مسألتي القبض والتقليد.	56	المنهل الرويُّ الرائق، في أسانيد العلوم وأصول الطرائق.
26	رسالة شريفة، وتحفة منيفة، مشتملة على زبدة ما لجهابذة بعض محققي مذهب الإمام أبي حنيفة.	57	المواهب السريَّة في منتقى الأوضاع الحرفية.
27	ريحانة عواطر الجيوب، في أعمال النسب والسطوح والجيوب.	58	مواهب القيُّوم، في تذييل روضة الفهوم.
28	السلسبيل المعين، في الطرائق الأربعين.	59	نزهة الجنان، في أوصاف مفسِّر القرآن.
29	سوابغ الأيد، بمرويَّات أبي زيد.	60	نظم الإتقان، في أربعة آلاف بيت.
30	سيف النصر والتوفيق، وغاية السلوك والتحقيق.	61	هداية الوسيلة، في اتِّباع صاحب الوسيلة.
31	شذور الذهب، في محض محقِّق النسب.		

أحمد محمَّد جاد الله، **لمحات عن الحركة العلمية في الزاوية السنوسية (1841–1969)**، السنوسية من الزاوية إلى الدولة 1841–1969 أعمال الندوة العلمية الثانية المنعقدة بالجغبوب يومي 23-24 ديسمبر 2019م، دار الكتب الوطنية، بنغازي، ليبيا مرجع سابق، ص ص200، 201.

الملحق رقم 29 : صورة غلاف كتاب "الأنوار القدسية في مقدمة الطريقة السنوسية".

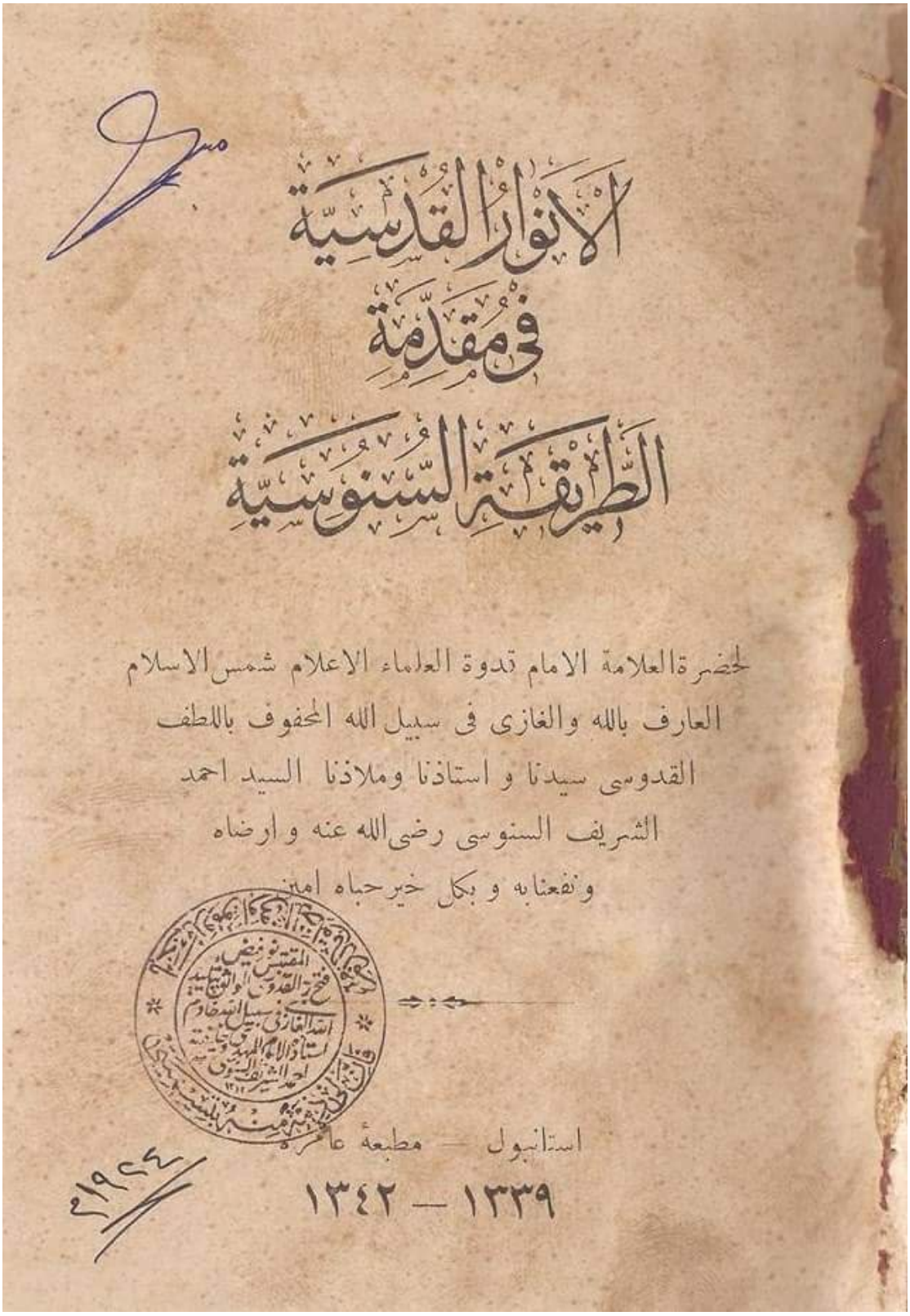

الأنوار القدسية
في مقدمة
الطريقة السنوسية

لحضرة العلامة الامام قدوة العلماء الاعلام شمس الاسلام
العارف بالله والغازى فى سبيل الله المحفوف باللطف
القدوسى سيدنا و استاذنا وملاذنا السيد احمد
الشريف السنوسى رضى الله عنه و ارضاه
ونفعنا به و بكل خير حباه امين

استانبول — مطبعة عامرة
١٣٣٩ — ١٣٤٢

أحمد الشريف السنوسي، **مختصر الأنوار القدسية في مقدمة الطريقة السنوسية**، مرجع سابق، ص22.

الملحق رقم 30 : مخطوط "السّلسبيل المعين".

اللوحة الأولى

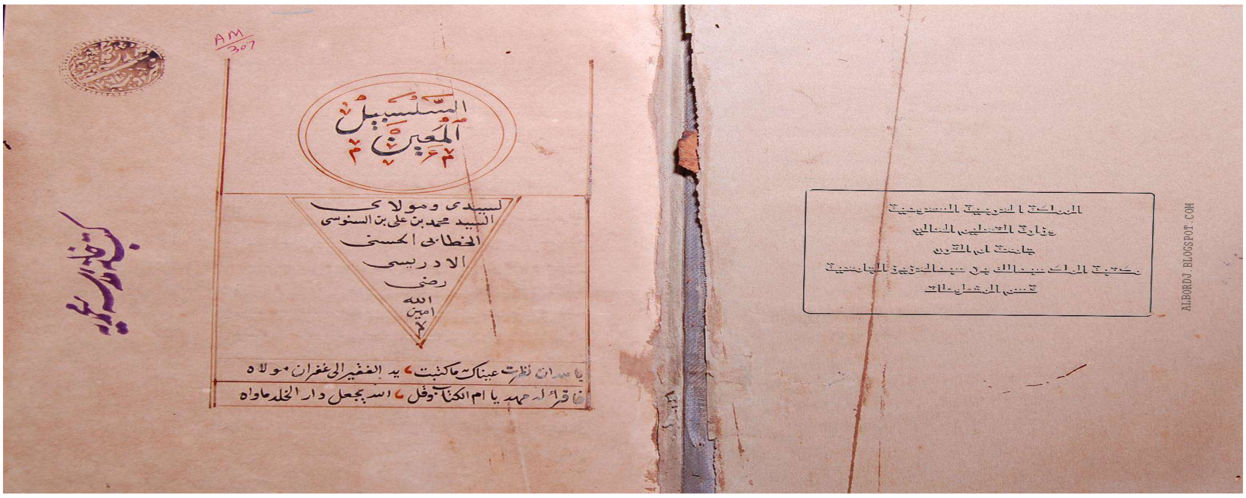

اللوحة الأخيرة

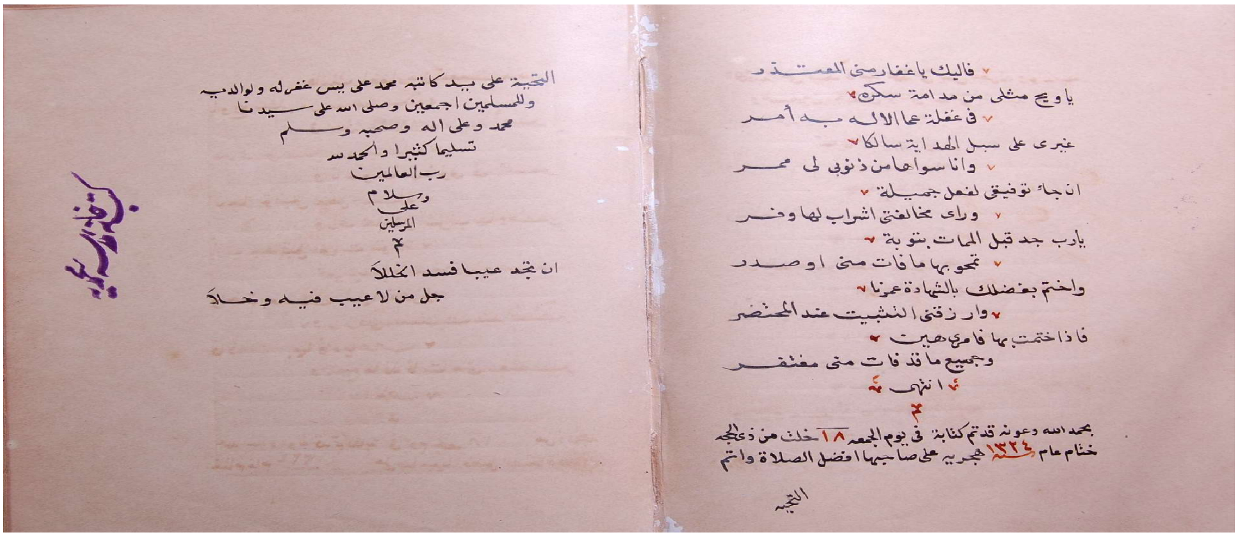

مدونة برج بن عزوز، [http;// www.albordj.blogspot.com] ، 23 كانون الأول (ديسمبر2012)، M 1.4، (زيارة الموقع 5 ماي 2021، الساعة 18:38).

الملحق رقم 31 : السلسبيل المعين في الطرائق الأربعين.

اللوحة الأولى

اللوحة الأخيرة

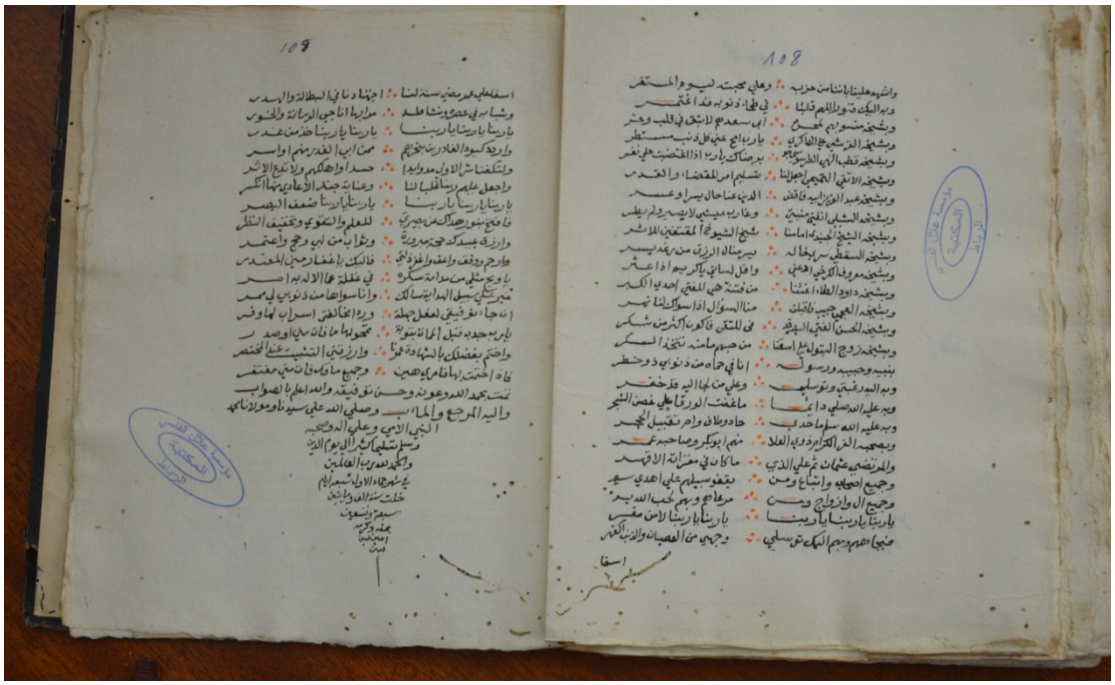

خزانة علال الفاسي، رقم 486، الرباط، المغرب.

الملحق رقم 32 : مخطوط "هذا كتاب فيه أسانيد الشيخ السنوسي في التصوف".

اللوحة الأولى

اللوحة الأخيرة

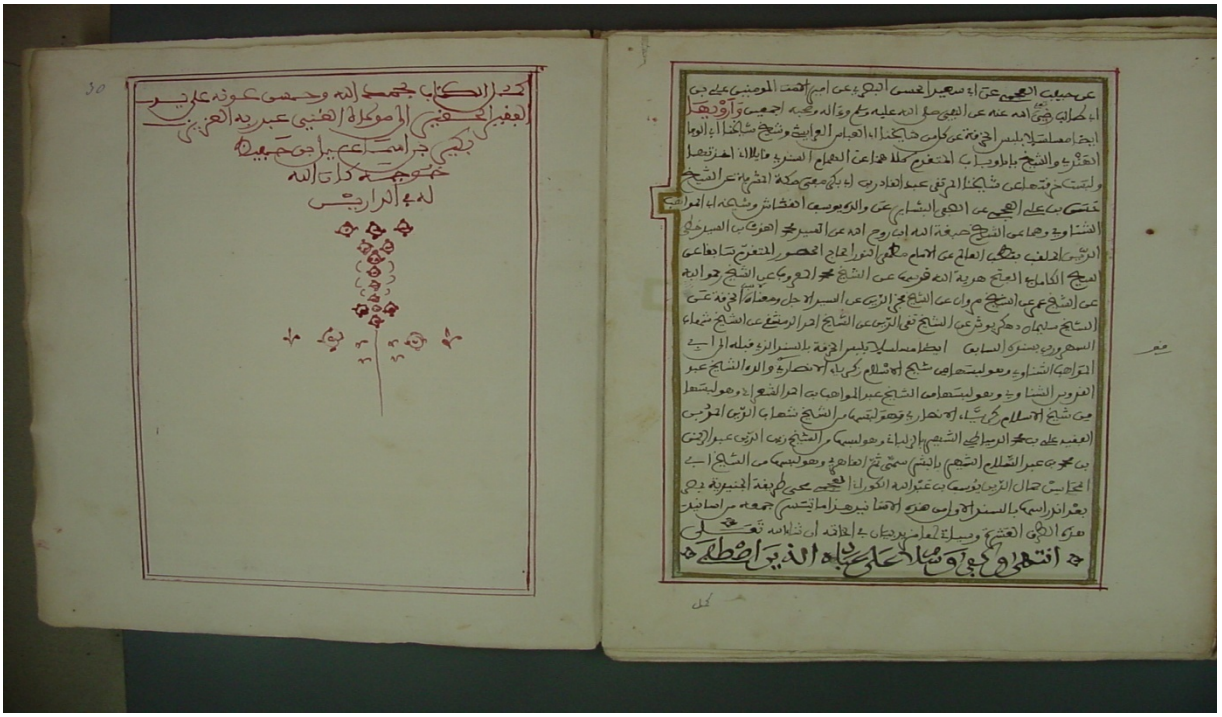

مُحَمَّد بن علي السنوسي، **هذا كتاب فيه أسانيد الشيخ السنوسي في التصوف**، المكتبة الوطنية الجزائرية، رقم 948، مخ.

الملحق رقم 33 : مخطوط البدور السافرة في عوالي الأسانيد الفاخرة.

اللوحة الأولى

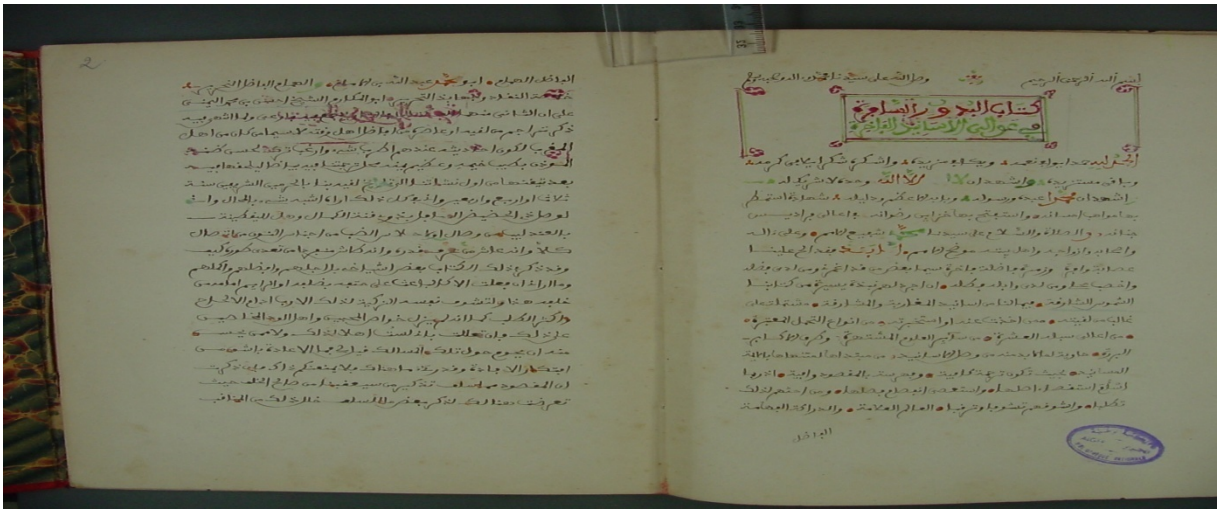

اللوحة الأخيرة

مُحَمَّد بن علي السنوسي، **البدور السافرة في عوالي الأسانيد الفاخرة**، المكتبة الوطنية الجزائرية، رقم 2522، مرجع سابق، مخ.

الملحق رقم 34 : مخطوط "البدور السافرة في عوالي الأسانيد الفاخرة".

اللوحة الأولى

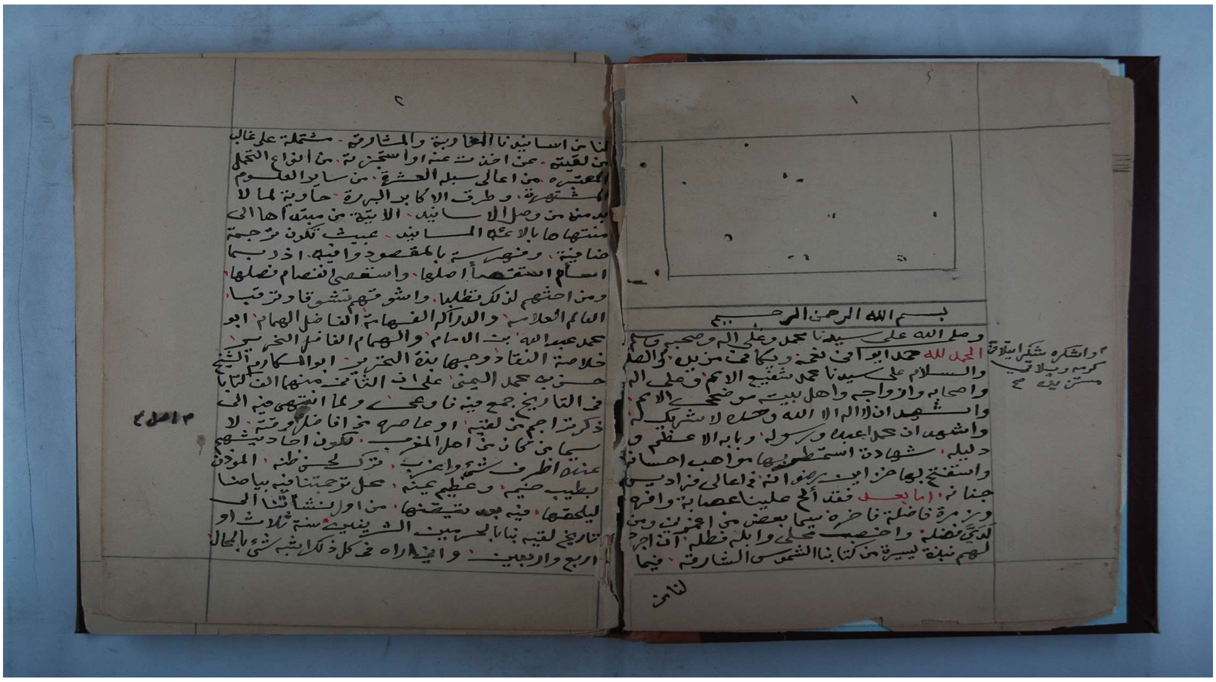

اللوحة الأخيرة

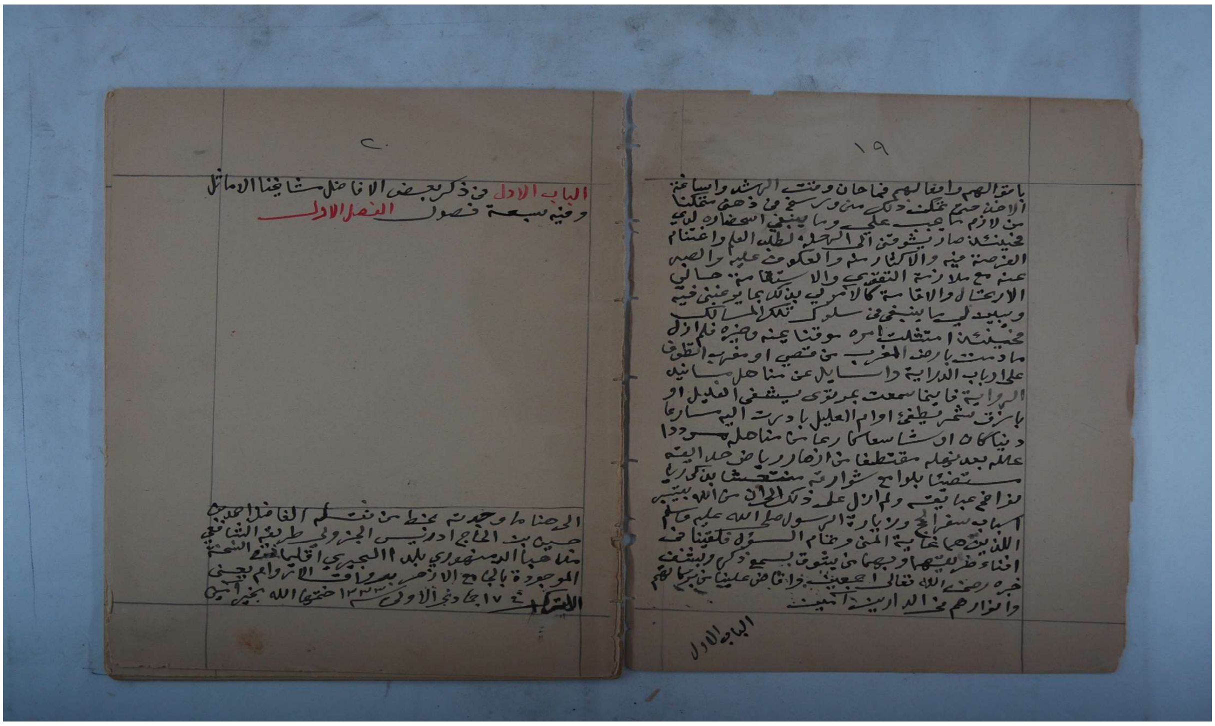

مُحَمَّد بن علي السنوسي، **البدور السافرة في عوالي الأسانيد الفاخرة**، خزانة الحرم المكي، رقم747، مرجع سابق، مخ.

الملحق رقم 35 : مخطوط "بغية المقاصد في خلاصة المراصد".

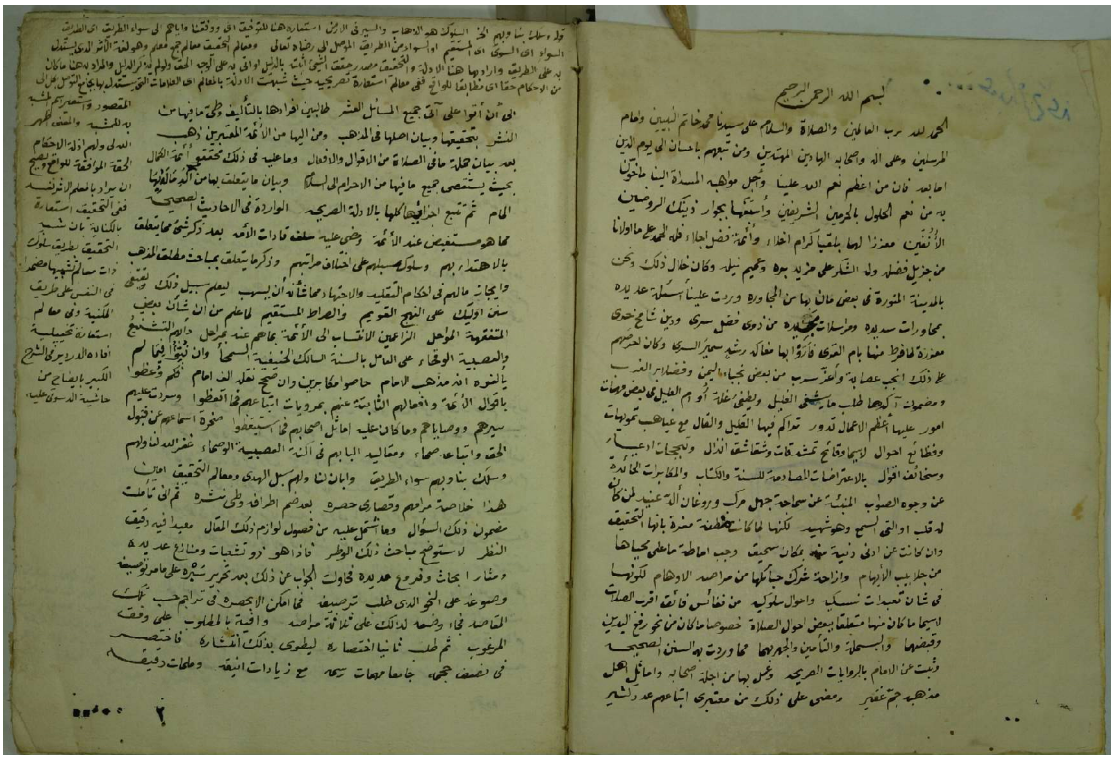

جامعة الإمام مُحَمَّد بن سعود الإسلامية. قسم المخطوطات. المملكة العربية السعودية، رقم 918.

الملحق رقم 36 : مخطوط "الدُّر الفريد الوهاج بالرحلة المنيرة من الجغبوب إلى التاج".

اللوحة الأولى

اللوحة الأخيرة

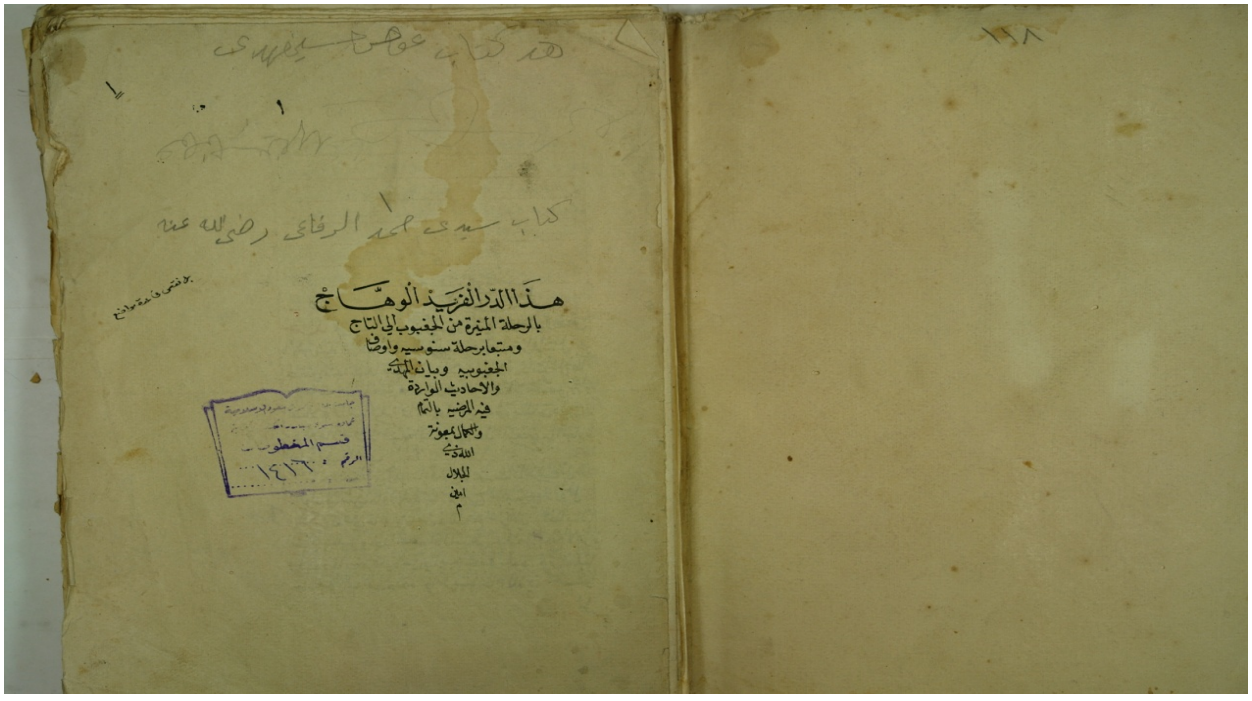

جامعة الإمام محمّد بن سعود الإسلامية، الرياض، المملكة العربية السعودية، 1416.

قائمة المصادر والمراجع (ببليوغرافيا)

أولًا- باللغة العربية :

- المصادر :

- القرآن الكريم.

1- **ابن إدريس أحمد** : مراسلات بعض التلاميذ، كناش رقم : 3896، فهرس في 1477/8/20هـ، مكتبة مكة، المملكة العربية السعودية.

2- : العقد النفيس في نظم جواهر التدريس، القاهرة، دار جوامع الكلم، دت.

3- **ابن إدريس مُحَمَّد بن أحمد** : رسالة الأوراد الإدريسية، تح.صالح الجعفري، ط2، القاهرة، دار جوامع الكلم، 2007.

4- **الأشهب مُحَمَّد الطيب** : برقة العربية أمس واليوم، مصر، مطبعة الهواري، 1967.

5- : السنوسي الكبير عرض وتحليل لدعامة حركة الإصلاح السنوسي، القاهرة.مصر، مطبعة مُحَمَّد عاطف، دت.

6- **الدجاني أحمد صدقي** : الحركة السنوسية نشأتها ونموها في القرن التاسع عشر، ط1، بيروت، لبنان، دار لبنان للطباعة والنشر، 1967.

7- **دي كاندول إيريك آمار فولي** : الملك إدريس عاهل ليبيا حياته وعصره، تر.مجهول، منشستر، الناشر مُحَمَّد عبده بن غلبون، 1989.

8- **الحشائشي مُحَمَّد بن عثمان:** رحلة الحشائشي إلى ليبيا سنة 1895، تق. وتح. علي مصطفى المصراتي، ط1، بيروت، دار لبنان للطباعة والنشر، 1965.

9- **مجهول** : الأوراد السنوسية لسيدي الإمام مُحَمَّد بن علي السنوسي ﷺ، القاهرة، دار جوامع الكلم، 2009.

10- **المحبوب عبد الرحيم** : مرثية في مُحَمَّد بن علي السنوسي (المتوفي 1276هـ)، رقم : 1256، المكتبة المصور عنها المخطوط ورقمه : روضة خيري بمصر 162، جامعة الإمام مُحَمَّد بن سعود الإسلامية، المملكة العربية السعودية، مخ.

11- **الموصلي علي الجميل** : التحفة السنية في المشايخ السنوسية، الموصل.العراق، مطبعة سرسيم، 1331هـ.

12- **ناشتيغال جوستاف** : رحلة إلى وداي ودارفور يناير 1873-أغسطس 1874، تع.سيد علي مُحَمَّد ديدان، ط3، الخرطوم، ددن، 2013.

13- **السنوسي أحمد الشريف** : الأَنوَارُ القُدُسِيّة في مُقدّمَةِ الطَّريقَةِ السُّنُوسيّة، استانبول، مطبعة عامره، 1339 – 1342هـ.

14- : بغية المساعد في أحكام المجاهد، القاهرة، مطبعة جريدة الشعب، 1332هـ.

15- : الدُّر الفريد الوهاج بالرحلة المنيرة من الجغبوب إلى التاج، مخ.

16- : الدُّرة الفردية في بيان مبنى الطريقة السنوسية المحمدية، د ب، الطبعة الحجازية، دت.

17- : مُختَصرُ الأنوارِ القُدُسِيّة في مُقَدّمةِ الطَّريقَةِ السّنوسيَّة، اعتنى به.أحمد مُحَمَّد جاد الله، ط1، بنغازي.ليبيا، دار الكتب الوطنية، 1442 هـ-2021 م.

18- : الفيوضات الربانية في إجازة الطريقة السنوسية الأحمدية الإدريسية، استانبول، مطبعة عامره، 1339-1342.

19- **السنوسي مُحَمَّد بن علي** : إيقَاظُ الوَسنَانِ في العَمَلِ بِالحَديثِ وَالقُرآنِ، إش.نجيب بن خيرة، طبعة خاصة، الجزائر، دار زمورة للنشر والتوزيع، 2011.

20- : البدور السافرة في عوالي الأسانيد الفاخرة، المكتبة الوطنية الجزائرية، رقم 2522،

مخ.

21- : البدور السافرة في عوالي الأسانيد الفاخرة، مكتبة الحرمين، رقم 747، مخ.

22- : الدُّرَرُ السَّنِيَّة في أَخْبَارِ السُّلالَةِ الإِدْرِيسِيَّة، إشراف نجيب بن خيرة، طبعة خاصة، الجزائر، دار زمورة للنشر والتوزيع، 2011.

23- : هذا كتاب فيه أسانيد الشيخ السنوسي في التصوف، المكتبة الوطنية الجزائرية، رقم : 948. مخ.

24- : كِتَابُ المسَائِلِ العَشْرِ المسَمّى بُغيَةَ المقَاصِدِ في خُلاصَةِ المراصِدِ، إش.نجيب بن خيرة، طبعة خاصة، الجزائر دار زمورة للنشر والتوزيع، 2011.

25- : المنهل الروي الرائق في أسانيد العلوم وأصول الطرائق، إشراف نجيب بن خيرة، طبعة خاصة، الجزائر، دار زمورة للنشر والتوزيع، 2011.

26- : المسَلسَلات العَشْرَة في الأحَاديثِ النَّبَويَّةِ عَلى صَاحِبهَا أفضَلُ الصَّلَاةِ وأتمُّ التَّسْلِيم، إشراف. نجيب بن خيرة، الجزائر، دار زمورة للنشر والتوزيع، 2011.

27- : مُقَدّمَة مُوَطَّأ الإمامِ مَالكٍ ﷺ، إشراف. نجيب بن خيرة، الجزائر، دار زمورة للنشر والتوزيع، 2011.

28- : السَّلسبيل المعين في الطرائق الأربعين، إشراف نجيب بن خيرة، طبعة خاصة، الجزائر، دار زمورة للنشر والتوزيع، 2011.

29- : شِفَاءُ الصَّدْرِ بِأري المسَائِل العَشْر مِن دُرَرِ الفِقْهِ المالِكيّ، إشراف. نجيب بن خيرة، الجزائر، دار زمورة للنشر والتوزيع، 2011.

30- **السنوسي مُحَمَّد المهدي** : المولد الشريف النبوي، تح. أحمد مُحَمَّد جاد الله، ط1، دار الصالح، دب، 2022م

31- **ابن علي عبد المالك بن عبد القادر** : الفوائد الجلية في تاريخ العائلة السنوسية الحاكمة بليبيا، دمشق، مطبعة دار الجزائر العربية، القسم الأول، 1966.

32- **عليش مُحَمَّد أحمد** : فتح العلى المالك في الفتوى على مذهب الإمام مالك ﷺ، بيروت.لبنان، دار المعرفة للطباعة والنشر، دت.

33- **شكري مُحَمَّد فؤاد** : السنوسية دين ودولة، مصر، دار الفكر العربي، 1948.

34- **التونسي مُحَمَّد بن عمر** : رحلة إلى وداي، تح.عبد الباقي مُحَمَّد كبير، دب، دار منكوب، دت.

- **المراجع** :

1- **أحمد عثمان مُحَمَّد طارق** : الختمية في السودان (دراسة تحليلية لأثارها الدينية والاجتماعية والسياسية)، ط1، أبو ظبي.الامارات العربية المتحدة، د د ن، 2017.

2- **أيوب مُحَمَّد صالح** : مظاهر الثقافة العربية في تشاد المعاصرة وتحديات العولمة، ط1، جامعة الملك فيصل. تشاد، د د ن، 2008.

3- **الأنصاري أحمد النائب** : المنهل العذب في تاريخ طرابلس الغرب، طرابلس الغرب.ليبيا، منشورات مكتبة الفرجاني، د ت.

4- : نفحات النسرين والريحان فيمن كان بطرابلس من الأعيان، تق. وتع.مُحَمَّد زينهم مُحَمَّد عنب، د ب، دار الفرجاني للنشر والتوزيع، د ت.

5- **الأصفهاني الراغب** : مفردات ألفاظ القرآن، تح.صفوان عدنان داوودي، ط4، دمشق، دار العلم، 2009.

6- **الأزرقي أبو الوليد مُحَمَّد** : أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار، تح.رشدي الصالح ملحس، ط3، بيروت.لبنان، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع، 1983.

7- **بوشارب عبد السلام** : الهقار أمجاد وأنجاد، رويبة، المؤسسة الوطنية للاتصال والنشر والاشهار، 1995.

8- **بازمه مُحَمَّد مصطفى** : ليبيا هذا الاسم في جذوره التاريخية، ط2، بنغازي، منشورات مكتبة قورينا للنشر والتوزيع، د ت.

9- **باحو مصطفى** : علماء المغرب ومقاومتهم للبدع والتصوف والقبورية والمواسم، ط2، دب، جريدة السلسبيل، 2007.

10- **بانزه إفالد** : طرابلس مطلع القرن العشرين في وصف الجغرافي الألماني إفالد بانزه، دراسة وتر.عماد الدين غانم، ج ع ل ش إ ع، منشورات م ج ل د ت سلسلة نصوص ووثائق (26)، 1997.

11- **باشا إسماعيل** : هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين من كشف الظنون 2، بيروت.لبنان، دار الكتب العلمية DKI، 1971.

12- **باشا جمال** : مذكرات جمال باشا، إعداد مُحَمَّد السعيدي، ط1، بيروت.لبنان، دار الفارابي، 2013.

13- **باشا مبارك علي** : الخطط التوفيقية الجديدة لمصر القاهرة ومدنها وبلادها القديمة والشهيرة، ط1، بولاق.مصر، المطبعة الكبرى الأميرية، 1305هـ.

14- **البولاقي مصطفى** : السّيفُ اليماني لمن قال بحل سماع الآلات والمغاني أو السم القاتل للمفتي المتساهل، تح.أبو عبد الله الداني الزهوي، ط1، بيروت.لبنان، دار اللؤلؤة للطباعة والنشر، 2010.

15- **بوعزيز يحي** : ثورات الجزائر في القرنين التاسع عشر والعشرين ثورات القرن التاسع عشر، طبعة خاصة، الجزائر، دار البصائر للنشر والتوزيع، 2009.

16- **البيطار عبد الرزاق** : حِليةُ البشَرِ في تاريخ القرن الثالث عشر، تح.وتنسيق.وتعل.مُحَمَّد بهجة البيطار، ط2، بيروت.لبنان، دار صادر، 1993.

17- **البلغيثي آسية الهاشمي** : المجالس العلمية السلطانية على عهد الدولة العلوية الشريفية، المملكة المغربية، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، 1996.

18- **البستاني بطرس** : دائرة المعارف، بيروت.لبنان، دار المعرفة، د ت.

19- **بعيو مصطفى عبد الله** : دراسات في التاريخ اللوبي، الإسكندرية، مطابع عابدين، 1953.

20- **بروشين نيكولاي إيليتش** : تاريخ ليبيا من نهاية القرن التاسع عشر حتى عام 1969، تر.وتق.عماد حاتم، ط2، بنغازي.ليبيا، دار الكتاب الجديد المتحدة، 2001.

21- **برو توفيق** : القضية العربية في الحرب العالمية الأولى 1914- 1918، ط1، دمشق، طلاس للدراسات والترجمة، 1989.

22- **ابن بريكة مُحَمَّد** : التصوف الإسلامي من الرمز إلى العرفان، ط1، الجزائر، دار المتون، 2006.

23- **الجبوري فلاح حسن سالم** : العهد والبيعة عند السادة الصوفية، ط1، بيروت.لبنان، دار الكتب العلمية، 2006.

24- **الجوزية بن قيم** : إعلام الموقعين عن رب العالمين، تق. وتع.أبو عبيدة مشهور بن حسين آل سليمان، ط1، الرياض.المملكة العربية السعودية، دار ابن الجوزي، 1423.

25- **الجزولي مُحَمَّد بن سليمان** : دلائل الخيرات وشوارق الأنوار في ذكر الصلاة على النبي المختار ﷺ، تح.مخلف يحي العلي، ط1، د ب، مشيخة الطريقة القادرية العلمية، 2018.

26- **أبو داود سليمان** : سنن أبي داود، تح.الأرنؤوط شعيب وقره بللي مُحَمَّد كامل، دمشق، دار الرسالة العالمية، 2009.

27- **ديدي علي بن الحبيب** : مذكرة في أصول الفقه المالكي، عين البيضاء، دار العوادي، 2012.

28- **الدخيل عبد الرحمن بن مُحَمَّد** : الفتوى أهميتها – ضوابطها – آثارها، ط1، د ب، د د ن، 2007.

29- **هويدي مصطفى علي** : الحركة الوطنية شرق ليبيا خلال الحرب العالمية الأولى، مر.صلاح الدين حسن السوري، طرابلس.ج ع ل ش إ، م م د ج ض غ إ سلسلة الدراسات التاريخية-7-، 1988.

30- **هوتسما مارتاين تيودور وآخرون** : موجز دائرة المعارف الإسلامية، تحق.إبراهيم زكي خورشيد وآخرون، ط1، د ب، مركز الشارقة للإبداع الفكري، 1998.

31- **هلايلي حنيفي** : أوراق في تاريخ الجزائر في العهد العثماني، ط1، عين مليلة.الجزائر، دار الهدى، 2008.

32- **الوزان الحسن** : وصف إفريقيا، تر.عبد الرحمن حميدة، د ب، مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب، 2005

33- **الويبه كامل علي مسعود** : الإدارة العثمانية في طرابلس الغرب (1842-1911)، مر.طاهر خلف البكاء، ج ع ل ش إ ع، منشورات م ج ل د ت، 2005.

34- **الزاوي الطاهر أحمد** : أعلام ليبيا، ط3، بنغازي.ليبيا، دار المدار الإسلامي، 2004.

35- : جهاد الأبطال في طرابلس الغرب، ط3، لندن.المملكة المتحدة، دارف المحدودة، 1984.

36- : معجم البلدان الليبية، ط1، طرابلس.ليبيا، مكتبة النور، 1968.

37- **زبادية عبد القادر** : دراسة عن إفريقيا جنوب الصحراء في مآثر ومؤلفات العرب والمسلمين، الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، دت.

38- : الحضارة العربية والتأثير الأوروبي في إفريقيا الغربية جنوب الصحراء، الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، 1989.

39- **الزبيدي زين الدين** : مختصر صحيح البخاري، ط1، دب، مؤسسة زاد للنشر والتوزيع، 2013.

40- **الزبير سعد الدين** : إمبراطورية رابح الزبير، ط1، دب، مطابع مقاد، 1953.

41- **الزحيلي وهبة** : أصول الفقه الإسلامي، دمشق، ط1، دمشق، دار الفكر، 1406هـ=1986م.

42- **زياده نقولا** : محاضرات في تاريخ ليبيا من الاستعمار الايطالي إلى الاستقلال، د ب، المطبعة الكمالية، 1958.

43- **الزياني أبو القاسم** : جَمْهَرة التّيجَان وفَهرسَة الياقوت واللؤلؤ والمرجَان في ذِكِر المُلوك وَأشياخ السّلْطان المؤلى سُلَيمان، تق.وتح.عبد المجيد خيالي، ط1، بيروت.لبنان، دار الكتب العلمية، 2003

44- **زروق أحمد** : سفينة النجا لمن إلى الله التجأ، دت ب: د د ن، دت.

45- : قواعد التصوف، ط2، تق وتح. عبد المجيد خيالي، بيروت.لبنان، دار الكتب العلمية، 2005.

46- **الزركلي خير الدين** : الأعلام، ط15، بيروت.لبنان، دار العلم للملايين، 2002.

47- **الزركشي بدر الدين مُحَمَّد بن عبد الله** : البرهان في علوم القرآن، تح.مُحَمَّد أبو الفضل إبراهيم، ط3، القاهرة. مصر، مكتبة التراث، 1984.

48- **الحاجري مُحَمَّد طه** : دراسات وصور من تاريخ الحياة الأدبية في المغرب العربي، ط1، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، 1983.

49- **الحجاجي سالم علي** : ليبيا الجديدة دراسة جغرافية اجتماعية اقتصادية وسياسية، ج ع ل ش إ، منشورات مجمع الفاتح، 1989.

50- **ابن حنبل أحمد** : مسند الإمام أحمد بن حنبل (164-241هـ)، تح.شعيب الأرناؤوط وآخرون، ط1، بيروت، مؤسسة الرسالة، 1997م.

51- **حسنين أحمد مُحَمَّد** : الواحات المفقودة، تر.أمير نبيه وعبد الرحمن حجازي، مر.طلعت الشايب، ط2، القاهرة.مصر، المركز القومي للترجمة، 2009.

52- **حسن مُحَمَّد عبد الغني** : حسن العطار، ط2، مصر، دار المعارف، 1993.

53- **أبو الحسن مسلم** : صحيح مسلم، ترقيم وترتيب.مُحَمَّد فؤاد عبد الباقي، ط1، وهران، الألفية الثالثة للنشر والتوزيع، دت.

54- **حشلاف عبد الله** : سلسلة الأصول في شجرة أبناء الرسول، تونس، المطبعة التونسية، 1929.

55- **طالبي عمار** : آثار ابن باديس مقالات اجتماعية تربوية أخلاقية دينية سياسية، ط1، الجزائر، الشركة الجزائرية، 1968.

56- **الطهطاوي رفاعة رافع** : تخليص الإبريز في تلخيص باريز (3)، د ب، مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1993.

57- **الطوسي أبو نصر السراج** : اللمع، تح. وتق. عبد الحليم محمود وطه عبد الباقي سرور، مصر، دار الكتاب الحديثة، 1960.

58- **الطيب مُحَمَّد الطيب** : المسيد، الخرطوم.السودان، دار عزة للنشر والتوزيع، 2005.

59- **الطرطوشي أبو بكر** : كِتَابُ الحَوادث والبدَع، تح.عبد المجيد تركي، ط1، دب، دار الغرب الإسلامي، 1990.

60- **اليونسكو** : تاريخ إفريقيا العام، إش.ج ت نياني، دب، د د ن، 1988.

61- **كاكيا أنتوني جوزيف** : ليبيا في العهد العثماني الثاني (1835-1911)، تعريب.يوسف حسن العسلي، دون بلد، مطبعة دار إحياء الكتب العربية، د ت.

62- **كحالة عمر رضا** : معجم المؤلفين، ط1، بيروت، مؤسسة الرسالة، 1993.

63- **الكتاني مُحَمَّد بن جعفر** : سلوة الأنفاس ومحادثة الأكياس بمن أقبر من العلماء والصلحاء بفاس، دب، ددن، دت.

64- **الكتاني عبد الحي** : فهرس الفهارس والإثبات ومعجم المعاجم والمسلسلات، تح.إحسان عباس، ط2، بيروت، دار الغرب الإسلامي، 1982.

65- **ابن كثير** : تفسير القرآن العظيم، تح.سامي بن مُحَمَّد السلامة، ط1، الرياض.المملكة العربية السعودية، دار طيبة للنشر والتوزيع، 1997.

66- **الماحي عبد الرحمن عمر** : الدعوة الإسلامية في إفريقيا الواقع والمستقبل، ط1، دولة الإمارات العربية المتحدة، منشورات دائرة الثقافة والإعلام الشارقة، 1999.

67- : تشاد من الاستعمار حتى الاستقلال 1894-1960، القاهرة، الهيئة العامة للكتاب، 1982.

68- **ماكيفيدي كولين** : أطلس التاريخ الإفريقي، تر.مختار السويفي، مر.مُحَمَّد العزب موسى، دب، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1987.

69- **مارتي بول** : دور العرب الليبيين في مقاومة الغزو الفرنسي في بلدان الحزام جنوب الصحراء بالقارة الإفريقية 1843-1918، تر.مُحَّد عبد السلام العلاقي، ط1، بنغازي.ج ع ل ش إ ع، جمعية الدعوة الإسلامية العالمية، 2001.

70- **ابن مجاهد** : كتاب السبعة في القراءات، تح.شوقي ضيف، مصر، دار المعارف، 1972.

71- **مجهول** : فهرس الخزانة التيمورية، القاهرة، مطبعة دار الكتب المصرية، 1947.

72- **مياسي إبراهيم** : مقاربات في تاريخ الجزائر 1830-1962، ط2، الجزائر، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، 2011.

73- **ابن محي الدين عبد القادر** : مذكرات الأمير عبد القادر .سيرة ذاتية، تح.مُحَّد الصغير بناني وآخران، ط7، الجزائر، شركة دار الأمة للنشر والتوزيع، 2010.

74- **ابن مُحَّد أبو القاسم** : مرجع المشكلات في الاعتقادات والعبادات والمعاملات والجنايات على مذهب الإمام مالك رضي الله عنه، طرابلس.ليبيا، مكتبة النجاح، دت.

75- **المناوي زين الدين مُحَّد عبد الرؤوف** : الكواكب الدرية في تراجم السادة الصوفية، تق. وتعل. أحمد فريد المزيري، بيروت.لبنان، دار الكتب العلمية، 1971.

76- **مناصرية يوسف** : مهمة ليون روش في الجزائر والمغرب 1832-1847، الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، 1990.

77- **المقدم مُحَّد أحمد إسماعيل** : المهدي، الإسكندرية، الدار العالمية للنشر والتوزيع، دت.

78- **مخلوف مُحَّد** : شجرة النُور الزكية في طبقاتِ المالكية، القاهرة، المطبعة السلفية، 1349هـ.

79- **الناصري أحمد بن خالد** : الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، تح.جعفر الناصري ومُحَّد الناصري، الدار البيضاء، دار الكتاب، 1997.

80- **الناصري مُحَّد أبو راس** : عجائب الأسفار ولطائف الأخبار، تح.مُحَّد بوركبة، الجزائر، المؤسسة الوطنية

للفنون المطبعية وحدة الرغاية، 2012.

81- : فتح الإله ومنته في التحدث بفضل ربي ونعمته، حققه وضبطه وعلق عليه. مُحَمَّد بن عبد الكريم، دب، المؤسسة الوطنية للكتاب، د ت ن.

82- **ناشتيغال جوستاف** : رحلة إلى وداي ودارفور يناير 1873-أغسطس 1874، تع.سيد علي مُحَمَّد ديدان، ط3، الخرطوم، ددن، 2013.

83- **نويهض عادل** : معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر، الجزائر، دار الوعي، 2017.

84- **سالم الشريف إبراهيم** : فهرس المخطوطات بمركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، ط1، بنغازي. ج ع ل ش إ ع، دار الكتب الوطنية، 2000.

85- **السبكي علي بن عبد الكافي** : الإبهاج في شرح المنهاج، بيروت.لبنان، دار الكتب العلمية، 1995.

86- **السبكي تاج الدين عبد الوهاب** : جمع الجوامع في أصول الفقه، تع.عبد المنعم خليل إبراهيم، ط3، بيروت.لبنان، دار الكتب العلمية، 2003.

87- **السهروردي** : عوارف المعارف، تح.أحمد عبد الرحيم السايح وتوفيق علي وهبة، ط1، القاهرة: مكتبة الثقافة الدينية، 2006.

88- **ابن سودة عبد السلام بن عبد القادر** : إتحافُ المطالع بوفيات أعلام القرن الثالث عشر والرابع 1171-1400هـ/1766-1980، تح.مُحَمَّد حجّي، ط1، بيروت، دار الغرب الاسلامي، 1997.

89- **ابن سحنون أحمد** : الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني، تح وتق. المهدي البوعبدلي، ط1، المحمدية.الجزائر، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، 2013.

90- **سكيرج أحمد** : كشف الحجاب عن تلاقي مع أشياخ التجاني من الأصحاب، د ب، د د ن، 1961.

91- **ابن سليم أحمد عمران** : المقالة في ليبيا نشأتها وتطورها خلال العهد العثماني الثاني 1866-1911، بنغازي، منشورات جامعة قاريونس، دت.

92- **أبو سليمان عبد الوهاب** : ترتيب الموضوعات الفقهية ومناسباته في المذاهب الأربعة، ط1، المملكة العربية السعودية، طبع جامعة أم القرى، 1988.

93- **السماحي مُحَمَّد مُحَمَّد** : المنهج الحديث في علوم الحديث، القاهرة، دار الأنوار للطبع والتجليد، 1963.

94- **سعد الله أبو القاسم** : الحركة الوطنية الجزائرية 1830-1900، ط1، بيروت.لبنان، دار الغرب الإسلامي، 1992.

95- : تاريخ الجزائر الثقافي من القرن العاشر إلى الرابع عشر الهجري (16-20م)، الجزائر، ش و ن ت، 1981.

96- **ابن سعيد رسلان أبو عبد الله مُحَمَّد** : فضل العربية ووجوب تعلمها على المسلمين، ط1، القاهرة.مصر، دار الفرقان ودار الهداية، 2013.

97- **العالم عز الدين عبد السلام مختار** : السياسة الخارجية الليبية تجاه إفريقيا دراسة في التاريخ الدبلوماسي والعلاقات الدولية (1951-1977)، ط1، طرابلس.ج ع ل ش ع، د د ن، 2009.

98- **ابن عاشر عبد الواحد** : متن ابن عاشر المسمى بالمرشد المعين على الضروري من علوم الدين، القاهرة، شركة القدس، 2009.

99- **عبد الحميد** : مذكرات السلطان عبد الحميد، تق. وتر.مُحَمَّد حرب، ط3، دمشق، دار القلم، 1991.

100- **عبده مُحَمَّد** : الإسلام والنصرانية مع العلم والمدنية، ط3، دب، دار الحداثة، 1988.

101- **ابن عجيبة أحمد** : البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، تح وتع. أحمد عبد الله، القاهرة، 1999.

102- : مصطلحات التصوف، إع. وتق. عبد الحميد صالح حمدان، ط1، القاهرة، مكتبة مدبولي، 1999.

103- **العجيلي التليلي** : الطرق الصوفية والاستعمار الفرنسي بالبلاد التونسية (1881-1939)، جامعة تونس1، منشورات كلية الآداب بمنوبة، 1992.

104- **عطية مخزوم الفيتوري** : دراسات في تاريخ شرق افريقيا وجنوب الصحراء (مرحلة انتشار الاسلام)، ط1، بنغازي، منشورات جامعة قاريونس، 1988.

105- **العياشي أبو سالم** : ماء الموائد (رحلة العياشي)، تح.سعد زغلول عبد الحميد وآخرون، الإسكندرية، منشأة المعارف، د ت.

106- **عميراوي أحميدة وآخران** : السياسة الفرنسية في الصحراء الجزائرية 1844-1916، عين مليلة.الجزائر، دار الهدى، 2009.

107- **العمري بن فضل الله** : مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، تح.كامل سلمان الجبوري، بيروت.لبنان، دار الكتب العلمية، 1971.

108- **العسقلاني ابن حجر** : بلوغ المرام من أدلة الأحكام، إعداد وتح. لجنة البحوث والدراسات عن النسخة التي حققها حامد الفقهي، ط1، بيروت.لبنان، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، 2004.

109- **العقاد عباس محمود** : الإسلام في القرن العشرين حاضره ومستقبله، صيدا.بيروت، منشورات المكتبة العصرية، 1979.

110- **العربي إسماعيل** : الصحراء الكبرى وشواطئها، الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، 1983.

111- **ابن العربي محي الدين** : رسائل ابن العربي، د ب، طبعة دار إحياء التراث، د ت.

112- **عتر نور الدين** : منهج النقد في علوم الحديث، ط2، دمشق، دار الفكر، 1979.

113- **العثيمين أحمد بن صالح** : شرح الأصول من علم الأصول، ط4، الرياض.المملكة العربية السعودية، دار ابن الجوزي، 1435هـ.

114- **فوربس روزيتا** : سر الصحراء الكبرى : الكفرة، تر.وتقد. صبري مُحَمَّد حسن، مر. يوسف فايد، ط1، القاهرة، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، 2013.

115- **فيرو شارل** : الحوليات الليبية منذ العربي حتى الغزو الايطالي، تر.مُحَمَّد عبد الكريم الوافي، ط3، بنغازي، منشورات جامعة قار يونس، 1994.

116- **الصديق حسين** : حكايا الإسطرلاب، ط1، د ب، دار الستنبولي للطباعة والنشر والتوزيع، 2019.

117- **الصلابي علي مُحَمَّد** : الحركة السنوسية في ليبيا سيرة الزعيمين مُحَمَّد إدريس السنوسي وعمر المختار، ط1، صيدا.بيروت.لبنان، المكتبة العصرية، 1428هـ/2007م.

118- : تَاريخ الحرَكَة السَّنُوسيَّة في أفريقيا، ط1، بيروت.لبنان، دار المعرفة، 2005.

119- : الثمار الزكية للحركة السنوسية في ليبيا الإمام مُحَمَّد بن علي السنوسي ومنهجه في التأسيس (التعليمي والحركي والتربوي والدعوي والسياسي)، ط1، الشارقة.الإمارات، مكتبة الصحابة، 2001.

120- **ابن صالح العبيد سليمان وآخرون** : مخطوطات مكتبة المسجد النبوي الشريف : فهرس وصفي، ط1، المدينة المنورة، مكتبة المسجد النبوي الشريف قسم المخطوطات، 2007م.

121- **القادري مُحَمَّد بن الطيب** : إلتقاط الدرر ومستفاذ المواعظ والعبر من أخبار المائة الحادية والثانية عشر، تح.هاشم العلوي القاسمي، ط1، بيروت، منشورات دار الآفاق الجديدة، 1983.

122- **القاسمي عبد المنعم** : أعلام التصوف في الجزائر من البدايات إلى غاية الحرب العالمية الأولى، (دراسة إحصائية تحليلية)، ط1، بوسعادة.المسيلة، دار الخليل القاسمي للنشر والتوزيع، 2005.

123- **القطان أحمد والزين مُحَمَّد طاهر** : إمام التوحيد الشيخ مُحَمَّد عبد الوهاب الدعوة والدولة، مر.عبد العزيز بن عبد الله بن باز، إسكندرية، دار الإيمان، 2001.

124- **القيرواني أبو زيد** : متن رسالة القيرواني، إعد.أحمد مصطفى قاسم الطهطاوي، القاهرة، دار الفضيلة للنشر والتوزيع والتصدير، 2005.

125- **القروي مُحَمَّد العربي** : الخلاصة الفقهية على مذهب السادة المالكية، الجزائر، نشر وتوزيع مكتبة رحاب، دت.

126- **القشاط مُحَمَّد سعيد** : أعلام من الصحراء، ط1، بيروت.لبنان، دار الملتقى للطباعة والنشر، 1997.

127- : الطوارق عبر الصحراء الكبرى، ط2، إيطاليا، مطابع اديتار، 1989.

128- **القشيري أبو القاسم عبد الكريم** : الرسالة القشيرية في علم التصوف، تح.هاني الحاج، دب، المكتبة التوفيقية، دت.

129- **روش ليون** : اثنان وثلاثون سنة في رحاب الإسلام، تع.وتق.وتعل.مُحَمَّد خير محمود البقاعي، ط1، بيروت.لبنان، جداول للنشر والتوزيع، 2011.

130- **شاكر محمود** : التاريخ الإسلامي-14-التاريخ المعاصر بلاد المغرب، ط2، بيروت، المكتب الإسلامي، 1996م.

131- **شبيكة مكي** : السودان عبر القرون، بيروت، دار الجيل، 1991.

132- **الشهرزوري أبو عمرو** : علوم الحديث لابن الصلاح، تح.نورالدين عتر، دمشق، دار الفكر، 1986.

133- **الشهرستاني مُحَمَّد** : الملل والنحل، ط1، القاهرة، مكتبة الصفا للنشر والتوزيع، 2017.

134- **الشيخ رأفت غنيمي** : تطور التعليم في ليبيا في العصور الحديثة، ط1، بنغازي، دار التنمية للنشر، 1972.

135- **الشريف إبراهيم سالم** : فهرس المخطوطات بمركز الجهاد الليبيين للدراسات التاريخية، ط1، بنغازي. ج ع ل ش إ ع، دار الكتب الوطنية، 2000.

136- **الشريف ناصر الدين مُحَمَّد** : الجواهر الإكليلية في أعيان علماء ليبيا من المالكية، ط1، عمان.الأردن، دار البيارق، 1999.

137- **شرف عبد العزيز طريح** : جغرافية ليبيا، ط2، الإسكندرية، منشأة المعارف، 1971.

138- **التازي عبد الهادي** : جامع القرويين المسجد والجامعة بمدينة فاس موسوعة لتاريخها المعماري والفكري، ط2، الرباط.المغرب، دار نشر المعرفة، 2000.

139- **ابن تيمية أحمد** : قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة، تح.عبد القادر الأرناؤوط، ط1، الرياض.المملكة

العربية السعودية، رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء، 1999.

140- : رفع الملام عن الأئمة الأعلام، تقد.سعد بن عبد الله الحميد، تح. وتعل.عبد الرحمن بن أحمد الجميزي، ط1، الرياض.المملكة العربية السعودية، دار العاصمة للنشر والتوزيع، 2013.

141- **التنبكتي أحمد بابا** : كفاية المحتاج لمعرفة من ليس في الديباج، تعليق عبد الله الكندري، ط1، بيروت.لبنان، دار ابن حزم، 2002.

142- **الترمذي أبو عيسى** : سنن الترمذي، ط1، القاهرة، دار التأصيل، 2014.

143- **تشايجي عبد الرحمن** : الصراع التركي الفرنسي في الصحراء الكبرى، تر.علي أعزازي، مر.مُحَمَّد الأسطي، تق.مُحَمَّد الطاهر الجراري، طرابلس.ج ع ل ش إ، منشورات م د ج ل ض غ إ، 1982.

144- **الخطيب حسن أحمد** : الفقه المقارن، دب، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1991.

145- **ابن خلدون عبد الرحمن** : ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر. مر.سهيل زكار، بيروت.لبنان، دار الفكر للطباعة والنشر 2000.

146- : المقدمة، ط8، بيروت.لبنان، منشورات دار الكتب العلمية، 2003.

147- **خليفة حاجي** : كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، بيروت.لبنان، دار إحياء التراث العربي، دت.

148- **خفاجي مُحَمَّد عبد المنعم** : قصة الأدب في ليبيا العربية، ط1، بيروت، دار الجيل، 1992.

149- **خفاجي مُحَمَّد عبد المنعم وصبح على على** : الأزهر في ألف عام، ط2، القاهرة، المكتبة الأزهرية للتراث، 2011.

150- **الخربوطلي علي حسني** : الإسلام والخلافة، بيروت، دار بيروت للطباعة والنشر، 1969.

151- **خضري سمير عبد المنعم** : عمائر الصوفية في الجماهيرية الليبية (الزوايا والرباطات) منذ الفتح الإسلامي

حتى نهاية العصر العثماني، د ب، مؤسسة الإخلاص للطباعة والنشر، 2008.

152- **ضيف بشير** : فَهْرَسَتُ مَعلمةُ التُّراث الجَزائرِيّ بين القديم والحديث. مر. وتق.عثمان بدري، ط1، الجزائر، د د ن، 2002.

153- **الغزالي أبو حامد** : إحياء علوم الدين، تق.بدوي طبانة، دب، مكتبة ومطبعة كرياطة فوترا، دت.

154- : المنقذ من الضلال والموصل إلى ذي العزة والجلال، تح.مُحَمَّد مُحَمَّد أبو ليلة ونورشيف عبد الرحيم رفعت، واشنطن، جمعية البحث في القيم والفلسفة، 2001.

– الأرشيف ووثائق متنوعة :

1- **أونال أغور وآخرون** : طرابلس الغرب في الوثائق العثمانية، الكتاب رقم : 125، تر.صالح سعداوي، استانبول، د د ن، 2013.

2- الوثيقة رقم beo 70/20/1. من الأرشيف العثماني باسطنبول.

3- وثيقة بالأرشيف العثماني، اسطنبول، ترجمة محمود التركماني، رقم beo.609/45615/60

4- **اللجنة الدينية بجاهيل** : الشيخ مرموري أخموك، 4 سبتمبر 1987، كناش (مكتوب بالآلة الراقنة).

5- **مجموع فيه** : رقم 743، مكتبة الحرم المكي، المملكة العربية السعودية.

6- **مركز د ج ل ض غ إ** : الوثائق الإيطالية المجموعة الأولى، تر.شمس الدين عرابي بن عمران، وإع.سالم الشريف الفرجاني، ج ع ل ش إ ع، د د ن، 1989.

7- **قمزر حمزة** : أرشيف جمعية أمنيلال لحفظ التراث والمخطوطات بجانت، تاريخ التأسيس عام 2013م، رقم الاعتماد : 06/2013 عن بلدية جانت.

8- **تكوك خطاب** : أرشيف "جمعية الشيخ مُحَمَّد بن علي السنوسي لترقية التراث الصوفي"، جمعية ثقافية ولائية، مستغانم، رقم الاعتماد 5، بتاريخ 23 أفريل 2018م.

– الموسوعات والقواميس :

1- **جامعة الإمام مُحَمَّد بن سعود الإسلامية** : الموسوعة الجغرافية للعالم الإسلامي إقليم الصحراء الكبرى، الرياض.المملكة العربية السعودية، طبع الإدارة العامة للثقافة والنشر، 1999.

2- **وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية الكويت** : الموسوعة الفقهية، ط2، الكويت، طباعة ذات السلاسل، 1983.

3- **حساني مختار** : موسوعة تاريخ وثقافة المدن الجزائرية، الجزائر، دار الحكمة، 2007.

4- **الحسيني الحسيني معدى** : موسوعة الصوفية، ط1، القاهرة، كنوز للنشر والتوزيع، 2013.

5- **مكتب البحوث في دار الفكر** : الموسوعة العلمية الشاملة صناعة اتصالات ومواصلات، بيروت.لبنان، دار الفكر للنشر والتوزيع، دت.

6- **ابن منظور** : لسان العرب، بيروت.لبنان، دار صادر، د ت.

7- **الفيروزآبادي مجد الدين** : القاموس المحيط، مر.أنس مُحَمَّد الشامي وزكريا جابر أحمد، القاهرة، دار الحديث، 2008.

8- **شلبي أحمد** : موسوعة التاريخ، ط10، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، 1995.

9- **خدوسي رابح وآخرون** : موسوعة العلماء والأدباء الجزائريين، تق.مُحَمَّد الأمين بلغيث، الجزائر، منشورات الحضارة، 2014.

– الأطروحات والرسائل الجامعية :

1- **ابن إبراهيم المشعل إبراهيم بن مُحَمَّد** : الدعوة السنوسية دراسة وتقويم، رسالة ماجستير، جامعة الإمام مُحَمَّد بن سعود الإسلامية، المملكة العربية السعودية.الرياض، 1404-1405هـ.

2- **بوجلال قدور** : مظاهر التقارب والقطيعة بين العلماء والسلطة العثمانية في بايلك الغرب فترة الدايات 1671- 1830م، أطروحة دكتوراه، جامعة وهران 1 أحمد بن بلة، 2016-2017م.

3- **هاشمي آمال** : الوضع الاجتماعي والفكري لطوارق الهقار من خلال الكتابات الفرنسية في بداية الاحتلال الفرنسي للجزائر، مذكرة ماجستير، جامعة وهران.السانية، 2007-2008.

4- **الواليش فتيحة** : الحياة الحضرية في بايلك الغرب الجزائري خلال القرن الثامن عشر، رسالة ماجستير، جامعة الجزائر، 1993- 1994.

5- **زويني زهراء** : نُظم السقي في الجنوب الغربي الجزائري وانعكاساتها الاجتماعية والاقتصادية خلال القرنين (20/19م) (14/13هـ)، أطروحة دكتوراه، جامعة دراية.أدرار. الجزائر، 1443/1442هـ – 2022/2021م.

6- **مداح عبد القادر** : التواصل الثقافي بين المغرب وغرب الجزائر 1518- 1830م الطريقة الهبرية نموذجا، أطروحة دكتوراه، جامعة جيلالي اليابس سيدي بلعباس، 2016-2017.

7- **مداني حرحيرة** : الرمزية الصوفية في الأزمات الاجتماعية الكرامات وتمثلاتها في المغرب الأوسط (ق10هـ/ق14هـ)، رسالة ماجستير، جامعة وهران، 2013.

8- **مصطفى مُحَّد عبد الله علي** : منهج الإصلاح بين الدعوة الوهابية والدعوة السنوسية"دراسة مقارنة"، رسالة ماجستير، جامعة القاهرة، 2005-2006.

9- **السنوسي يونس علي بالقاسم** : واحة الجغبوب ودورها في التعليم الديني في ليبيا (1855-1926م)، دكتوراه، كلية الآداب، قسم التاريخ، جامعة عين شمس، 1434هـ/2013م.

10- **السنوسي مُحَّد أبو بكر** : الزاوية السنوسية في مدينة البيضاء (دراسة ميدانية)، رسالة ليسانس غير منشورة، جامعة السيد مُحَّد بن علي السنوسي الإسلامية، 2019-2020.

11- **عبد الرسول المبروك إيمان** : العلاقات السنوسية العثمانية (1843-1918م)، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة السيد مُحَّد بن علي السنوسي، 2019-2020م.

12- **عبو إبراهيم** : العلوم النقلية في الجزائر خلال العهد العثماني 10-13هـ/16-19م، أطروحة دكتوراه، جامعة جيلالي اليابس سيدي بلعباس، 2018/2017.

13- **ابن عمر حسن** : أبو عبد الله مُحَمَّد بن سليمان الجزولي السملالي حياته وآثاره مع تحقيق كتابه المسمى: دلائل الخيرات وشوارق الأنوار في ذكر الصلاة على النبي المختار، رسالة ماجستير، جامعة أبي بكر بالقائد تلمسان، 2002- 2003.

– المقالات والندوات والدوريات :

1- **إبراهيم يحي مُحَمَّد** : "مصادر مدرسة السيد أحمد بن إدريس المغربي"، دراسات افريقية، 14، 1996.

2- **أو هنويك جي** : "صالح الفلاني (1752/3-1803) تعاليم أفريقي غربي في "المدينة""، ندوة العلماء الأفارقة ومساهمتهم في الحضارة العربية الإسلامية، الخرطوم 30/28 يوليو/تموز 1983.

3- **أحمد حسين الشريف عمران** : "النشاط الاقتصادي في ليبيا القديمة منذ عصور ما قبل التاريخ حتى نهاية العصر الفنيقي"، مجلة كلية الآداب، العدد الثاني، جامعة المرقب، د ت.

4- **بوطقوقة مبروكة** : "مقدمة في تاريخ الفانطازيا"، الفكر المتوسطي، عدد9، جوان 2015.

5- **بلعزوز العربي** : "معركة جانت سنة 1916 من خلال تقارير ضابط الصف "لابيير" "، مجلة عصور الجديدة، مج 11، العدد 2 (مارس) 1442هـ/2021م.

6- **بشي إبراهيم العيد** : "دور سكان الجنوب الشرقي في مقاومة الاستعمار الفرنسي"، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، العدد الحادي عشر، جوان 2013.

7- **جاد الله أحمد مُحَمَّد والفيتوري خالد مُحَمَّد** : "إجازة الأستاذ الأكبر، السيد مُحَمَّد بن علي السنوسي (1202-1276هـ) لبعض خواص إخوانه الطرابلسيين"، مجلة مجمع اللغة العربية، ليبيا، ع 19، 1444هـ/2022م ".

8- **جاد الله أحمد مُحَمَّد** : "لمحات عن الحركة العلمية في الزاوية السنوسية (1841-1969)"، السنوسية من الزاوية إلى الدولة 1841-1969 أعمال الندوة العلمية الثانية المنعقدة بالجغبوب يومي 23-24 ديسمبر 2019م، دار الكتب الوطنية، بنغازي، ليبيا.

9- : « نظمان في مسوِّغات الابتداء بالنكرة أحدهما : لأبي سيف البرعصيّ (1840-

1896م) والآخر: لفالح الظاهريّ (1842-1910م) تحقيق ودراسة "، مجلة الدراسات التربوية والعلمية- الجامعة العراقية، عدد 16، مج3، تموز 2020م.

10- **الجراري مُحَمَّد الطاهر** : "آليات الاستعمار الأوروبي في الجزائر وليبيا"، الندوة العلمية الأولى جامعة الأمير عبد القادر، قسنطينة، ماي 2008.

11- **دعاشي سميرة** : "رحلة بونمان فرانسوا لويس من تقرت إلى غدامس ودورها في الكشف التجاري للصحراء"، مجلة المعارف للبحوث والدراسات التاريخية، ع11، د ت.

12- **درغام أبو شعيشع عيسى عبد الرزاق** : "الأسلوب الدعوي عند الإمام مُحَمَّد بن علي السنوسي"، مجلة الجامعة الأسمرية، العدد 26، السنة 13.

13- **الحابوني أحمد** : " الأغراض الشعرية عند شعراء السنوسية "، Kastamouni universitesi llahiyat Fakultesi dergisi, cilt: 3, sayi: 1-2, 2019.

14- **حسيني مُحَمَّد الكامل** : "قراءة في أرشيف ما وراء البحار بأكس أون بروفانس الخاص بالسنوسية 1875-1888"، الحوار المتوسطي، مج11/ع 3، ديسمبر 2020.

15- **الحسناوي ظاهر مُحَمَّد صكر** : "الحرب السنوسية - الفرنسية في الصحراء الكبرى (1837-1913)"، مجلة الأستاذ، عدد 218، مج1، 2016.

16- **كديدة مُحَمَّد مبارك** : "مجالات اهتمام الكتاب الغربيين بمناطق أقصى الجنوب الجزائري (هنري دوفريي أنموذجا)"، مجلة آفاق علمية، العدد 11/جوان 2016.

17- **كرار صالح** : "عالم وصوفي على هامش الصحراء مُحَمَّد بن علي السنوسي(1859-1887) مؤسس الطريقة السنوسية"، دراسات إفريقية، 14، يناير 1996.

18- **مسعود مسعود عبد الله** : "ملامح الحياة الفكرية والثقافية في ليبيا أواخر الحكم العثماني حتى الاحتلال الإيطالي سنة 1911"، المجلة الجامعة، مج3. ع15، 2013.

19- **المريطب منال بنت عواد** : "أثر الحركة السنوسية في منطقة الحجاز الشيخ فالح الظاهري (1258هـ/1842م-1328هـ/1910م)"، جامعة الملك عبد العزيز: الآداب والعلوم الإنسانية، مج27، ع4، 2018م.

20- **السنوسي يونس علي العسكري** : "الموارد الاقتصادية والنظم الإدارية للزوايا السنوسية"، المجلة الليبية العالمية، عدد 22، 25 جوان 2017.

21- **عامر محمود** : "المصطلحات المتداولة في الدولة العثمانية"، مجلة دراسات تاريخية، 117- 118، 2012.

22- **عبد الحق عبد الحي** : "الدلالة اللغوية والتاريخية حول انتشار الإسلام في السودان الأوسط"، ندوة العلماء الأفارقة ومساهمتهم في الحضارة العربية الإسلامية، الخرطوم 30/28 يوليو/تموز 1983.

23- **العواجي علي بن سعيد** : " مَقامُ الحَمْدِ بَيْنَ الجُمْلةِ الاِسْمِيّة والفِعْلِيّة لأبي عبد الله مُحَمَّد بن أبي بكر الزّهني اليازغي، المتوفي سنة 1238هـ. دراسةً وتحقيقًا "، حولية كلية اللغة العربية بالزقازيق، جامعة الأزهر، مصر، مجلد 43، عدد 2، 2023.

24- **علاوي نسيبة عبد العزيز الحاج** : "مشكلة القهوة والتدخين في الدولة العثمانية"، مجلة جامعة تكريت للعلوم، المجلد 18، العدد 11، كانون الأول 2011.

25- **عماري الحسين** : "حدود إسهام الرواية الشفوية والأركيولوجيا في كتابة تاريخ إفريقيا جنوب الصحراء"، دورية كان التاريخية، العدد 14، ديسمبر 2011.

26- **فوني آمال يونس علي**، " التعليم في برقة ابان الاحتلال الايطالي (1911-1943) "، مجلة البحث العلمي في الآداب، العدد 18، سنة 2017م.

27- **فيغو عبد السلام** : "عمل أهل المدينة كأصل من أصول التشريع الإسلامي عند المالكية"، دعوة الحق، العدد 348، رمضان 1420/دجنبر 1999.

28- **الفلاح سالم عبد الله** : "قراءة في مخطوطة الدُّر الفريد الوهاج بالرحلة المنيرة من الجغبوب إلى التاج لصاحبها السيد أحمد الشريف السنوسي ومحققها.أ.د.عبد المولى صالح الحرير"، السنوسية من الزاوية إلى الدولة 1841-1969 أعمال الندوة العلمية الثانية المنعقدة بالجغبوب يومي 23-24 ديسمبر 2019م، دار الكتب الوطنية، بنغازي، ليبيا.

29- **ابن فضيل خديجة وبوشيبة عبد القادر** : "الألعاب التراثية في احتفالية الوعدة – منطقة تلمسان نموذجا – "، مجلة رفوف، مج 10، عدد 01، جانفي 2022.

30- **الشيباني أبو بكر سالم المهدي** : "الزّوايا السنوسية في فزان ودورها الدّعوي والإجتماعي والاقتصادي والجهادي"، مجلة القرطاس، العدد 22، مارس 2023.

31- **الشيخ نزار محمود قاسم** : "دور علماء المسلمين في تطوير المعايير الفلكية لدورتي الشمس والقمر"، المؤتمر الدولي الثاني في تاريخ العلوم عند العرب والمسلمين، الشارقة، 8-2014/12/11.

32- **اشتيوي عبد الناصر** : "السنوسية في كتاب المؤرخ الفرنسي جان لوي تريو : الأسطورة السوداء السنوسية طريقة دينية صحراوية تحت النظرة الفرنسي[كذا] 1840-**1930**"، السنوسية من الزاوية إلى الدولة 1841-1969، أعمال الندوة العلمية الثانية المنعقدة بالجغبوب يومي 23-24 ديسمبر 2019م، دار الكتب الوطنية، بنغازي، ليبيا.

33- **تريو جان لويس** : "ثقوب الذاكرة في التاريخ الإفريقي السنوسية في تشاد دراسة في حالة وداي"، تر.أحمد مراجع نجم، مجلة كلية الآداب، ع41، ديسمبر 2007.

34- **الثني نور الدين** : علاقة الحركة السنوسية بكبار تجار ليبيا في الواداي (الشيخ أمُحَّد الثني دفين الجغبوب أنموذجا)، السنوسية من الزاوية إلى الدولة 1841-1969، أعمال الندوة العلمية الثانية المنعقدة بالجغبوب يومي 23-24 ديسمبر 2019م، دار الكتب الوطنية، بنغازي، ليبيا.

35- **الخير زيد** : "طريقة السنوسية وزواياها بين الإسكندرية ودرنة"، مجلة المنار، مج15، 1912.

36- **خليفة خليفة يوسف وسرافيل يونس امُحَّد عبد الله**، " المجمع الديني بالجغبوب (الزاوية السنوسية) (ملامح العمارة والتخطيط) "، مجلة الارادة العلمية المحكمة، العدد الأول، سبتمبر 2021.

37- **خميسي ساعد** : "منزلة الحروف في فلسفة محي الدين بن العربي الصوفية"، مجلة الخطاب الصوفي، عدد1، 2007.

38- **خلادي بلهادي** : "التواصل الفكري والعلمي للطريقة السنوسية بين أقطار المغرب العربي (الجزائر أنموذجا)"، السنوسية من الزاوية إلى الدولة 1841-1969 أعمال الندوة العلمية الثانية المنعقدة بالجغبوب يومي 23-24 ديسمبر 2019م، دار الكتب الوطنية.ليبيا.

- المواقع الإلكترونية :

1- **أهل البيت** : [http:www.ahlubayt-libya.com] ، 19 كيلو أوكتي، (زيارة الموقع 15 جانفي 2022، الساعة 10:19).

2- **أطوير عبد الله** : العلاقات التاريخية بين شعوب الساحل والصحراء، [http://www.biladuna.blogspot.com]، ديسمبر 2010، 100 كيلو أوكتي، (زيارة الموقع 14 جانفي 2019، الساعة 02:59).

3- **بوعموشة سهام** : الشيخ أمود بن المختار مثال للمقاومة الباسلة، [http://www.ech-chaab.com]، السبت 07 جانفي 2017م، 659 كيلو أوكتي، (زيارة الموقع 01 جويلية 2023، الساعة 19:15).

4- **مدونة برج بن عزوز** : [http://www.albordj-blogspot.com]، 23 كانون الأول (ديسمبر 2012)، 1.4كيلو أوكتي، (زيارة الموقع 25 أكتوبر 2015، الساعة 13:20).

5- **مكتبة الحرم المكي الشريف** : [http://www.library1.kuniv.edu.ku/manuscript]، 162 كيلو أوكتي، (زيارة الموقع 13 مارس 2022، الساعة 16:47).

6- **مكتبة قطر الوطنية** : [http://www.elibrary.qnl.qa]، (زيارة الموقع 3 نوفمبر 2023م، الساعة 20.30).

7- **ملتقى أهل الحديث** : http:www.al-maktaba.org، 05-10-2008، الحجم 15 ko، ص216، الساعة 04:18، (زيارة الموقع يوم 2024/02/29م، الساعة 19:05).

8- **السنوسي مُحَمَّد الصديق الرضا** : تاريخ العائلة السنوسية، [http://www.ishraqnews.com]، 16 نوفمبر 2014، 152كيلو أوكتي، (زيارة الموقع 26 نوفمبر 2018، الساعة 02:19).

9- [http://www.ashraf-online.com]، 15 كيلو أوكتي، (زيارة الموقع 4 سبتمبر 2021، الساعة 09:10).

10- [http://www.balis-bibalex.org]، 13 كيلو أوكتي، (زيارة الموقع 13 مارس 2022، الساعة 17:03).

11- [http://www.k-tb.com/manuscript]، 18 كيلو أوكتي، (زيارة الموقع 17 جوان 2020، الساعة 08:45).

12-[http://www.library1.kuniv.edu.ku/manuscript]، 162 كيلو أوكتي، (زيارة الموقع 13 مارس 2022، الساعة 16:47).

ثانيا- باللغة الأجنبية :

- المصادر :

1- **Capitaine Cornet** : Au Tchad trois ans chez les Senoussistes, les Ouadaïens et les Kidris, Paris, librairie Plon, 1911.

2- **Ciammaichella Glauco** : Libyens et français au Tchad 1897-1914, la confrerie Senoussie et le commerce transsaharien, pref.de J.L.Miège, Paris, éditions du centre national de la recherche scientifique, 1987.

3- **Depont Octave et Coppolani Xavier** : Les confréries religieuses musulmanes, Alger, Adolphe Jourdan imprimeur-libraire-éditeur, 1897.

4- **Duveyrier Henri** : La confrérie musulmane de sîdi Mohammed ben Ali Essenoûsî et son domaine géographique : en l'année 1300 de l'hégire=1883 de notre ère, Paris, société géographie, 1884.

5- : Les Touareg du nord : exploration du Sahara, Paris, Challamel Ainé- libraire éditeur, 1864.

6- : Voyage au Sahara par Norbert Dourmaux Dupéré, extrait du bulletin de la société de géographie (Août 1874).

7- **Nachtigal Gustav** : Sahãrâ und Sûdân, Ergebnisse Sechsjähriger Reisen in Afrika, Berlin Verlagshanglung Paul Parey, 1881.

8- **Pritchard Edward Evan Evans** : The Sanusi of Cyrenaica, Great Britain, Oxford university press, 1949.

9- **Rinn Louis** : Marabouts et Khouan, étude sur l'islam en Algérie, Alger, Adolphe Jourdan-libraire éditeur, 1884.

10- **Rohlfs Guerhard** : Voyages et Explorations au Sahara, trad. et publ, Jacques Debetz, Paris, éditions Karthala, 2003.

11- **Triaud Jean- Louis** : La Légende noire de la Sanûsiyya une confrérie musulmane saharienne sous le

regard Français (1840-1930), Paris, éditions de la maison des sciences de l'homme, 1995,

12- : Tchad 1900-1902, une guerre Franco-Libyenne oubliée? une confrerie musulmane, la Sanusiyya face a la France, Paris, éditions l'Harmattan, 1987.

13- **VikØR Knut** : Sufi and scholar on the desert edge Muhammad b.'Ali al-Sanûsî and his brotherhood, Evansto.Illinois, Northwestern university press, 1995.

14- **Ziadeh**. **Nicola**.**A** : Sanusiyah a study of a revivalist movement in islam, Leiden Netherlands, 1958.

- الأرشيف :

1- **A O M** (Archive d'outre mère) Aix -en- Provence, 16H55, N° 71.

2- **A O M**, 16H55, Rapport de M.Delaporte à M.le Duc Decazes ministre des affaires étrangères. Tripoli, le 24 Août 1875.

3- **A O M**, 16H55, Rapport de M.Delaporte à M.le Duc Decazes ministre des affaires étrangères. Tripoli, le 24 Août 1877.

4- **A O M**, 16H55, Rapport de M.le gérant du consulat général de France à M.le Ministre des affaires étrangères. Tripoli, le 21 Novembre 1878.

5- **A O M**, 16H55. Rapport de M.le prefet d' Oran à M.le gouverneur général d' Alger. Oran le, 21 septembre 1886.

6- **A O M**, 16H55. Rapport de Ministère des affaires étrangères à M. le gouverneur général d'Alger, Paris, le 3 Avril 1888.

- المراجع :

1- **Barth Henry** : Travels and discoveries in north and central Africa, London, The Minerva library of famous books, 1890.

2- **Benhazera Maurice** : Six mois chez les Touareg du Ahaggar, Alger, typographie Adolphe Jourdan, 1908.

3- **Bouquet Christian** : Tchad d'un conflit, préf. Jean Chapelle et Jean Cabot, Paris, éditions Harmathan, 1982.

4- **Féraud Laurent Charles** : Histoire des sultans de Touggourt et sud Algérien les Ben-Djellab et consorts, pre.Kamel Chehrit, Alger, éditions grand-Alger livres, 2006.

5- **Hamilton James** : Wandering in north Africa, London John Murray.Albemarle street, 1856.

6- **Le Chatelier Alfred** : Les confreries musulmanes du Hejaz, Paris, Ernest Leroux éditeur, 1887.

7- **Pottier René** : Histoire du Sahara, pre.Abderrahmane Rebahi, Alger, Alger-livres editions, 2013.

8- **Zelthner Jean Claude** : Pages d'histoire du Kanem pays Tchadien, Paris, l'Harmathan, 1980.

- الأطروحات والرسائل الجامعية :

1- **Anderson Yeaw Katrina Elizabeth** : Women, Resistance and the creation of new gendered frontiers in the making of modern Libya, 1890-1980, Faculty of the graduate school of arts and sciences of Geogretown university, degree of Doctor of philosophy in history, Washinton. D.C, 2017.

2- **Bulhasen Seifelnaser** : Les relations Franco-Libyennes, Thèse pour le Doctoral, Université d'Auvergne-Clérmont.FD1, 2008.

- المقالات والدوريات :

1- **L'indépendant de Mostaganem** : N^0 453, Mercredi 27 Decembre 1893.

2- **Meynier Octave** : " La guerre saint des Senoussya dans l 'Afrique française 1915-1918 ", Revue Africaine, Vol.83, Année 1939.

3- **Kane Ousmane** : "La confrérie Tijaniya Ibrahimiya de Kano et ses liens avec la zawiya-mère de Kaolack, islam et société au sud du Sahara", Archives de sciences sociales des religions, N°3, 1989.

4- **Revue Africaine** : V.49, Année 1905.

– المواقع الإلكترونية :

1-**Barion Catherine et Magnant Jean-Pierre** : L'Islam au Tchad, [http://www.persee.fr], 1994, 300 ko, (زيارة الموقع 24 نوفمبر 2020، الساعة 14:20).

2-**Casajus Dominique** : Henry Duveyrier, un Saint-Simonien au désert, [http://www.academia.com], 2007, 1.385 ko, (زيارة الموقع: 28 ماي 2019، الساعة 09:30).

الفهـــــــــارس

فهرس الأعلام

(أ)

إبراهيم المجروح : 160، 187.

إدريس بن زيان العراقي : 20.

أحمد بن إدريس : 39، 40، 41، 42، 44، 46، 81، 83، 85، 87، 175، 180، 214، 215، 218، 225، 251، 261، 264، 273، 281، 301، 315، 321، 324، 370، 377، 400، 401.

أحمد بوسيف : 114، 175.

أحمد بن الحاج المكي السدراتي السلاوي : 22.

أحمد الطائفي : 71، 172، 196، 235، 272.

أحمد الطبول الطرابلسي : 264.

أحمد بن يوسف بن شتوان : 175.

أحمد المقرحي : 174، 290.

أحمد نائب الأنصاري : 17، 178، 181.

أحمد بن فرج الله : 50، 58، 59، 171.

أحمد أبو القاسم التواتي : 123، 131، 132، 166، 187.

أحمد الريفي : 75، 77، 78، 99، 164، 168، 169، 196، 258، 268، 370، 383، 403، 432.

أحمد رفيق المهدوي : 73، 104، 311، 397.

آمود : 147.

(ب)

أبو البقاء العجمي : 312، 377.

(هـ)

هنري دوفيري : 71، 105، 109، 113، 114، 115، 116، 117، 119، 121، 122، 124، 125، 126، 127، 131، 132، 133، 135، 136، 137، 138، 139، 140، 142، 144، 145، 148، 149، 150، 151، 152، 157، 158، 159، 161، 164، 165، 189، 195،

201، 228، 244، 246، 291.

(ز)

أبو زيد سيدي عبد الرحمن بن أبي العلاء العراقي: 19.

(ح)

حمدون بن عبد الرحمن بن الحاج : 18، 22، 263.

حسن العطار : 37، 57، 264، 293، 298.

(ط)

أبو طالب المازوني : 263.

الطيب عبد المجيد بن كيران : 22، 23، 24، 27.

(ي)

يوسف(سلطان وداي) : 160، 244، 249، 257

(ك)

كيلاني الأطيوش المغربي : 186.

(ل)

ليون روش : 14، 47، 48، 50، 54.

(م)

أبو المهل المازوني : 11، 324.

محي الدين بن شهلة : 8.

مُحَمَّد إدريس السنوسي : 2، 119، 188، 199، 205 ، 235.

مُحَمَّد الأزهري : 126، 176.

مُحَمَّد أحمد السوداني : 222.

مُحَمَّد بن أحمد السنوسي : 26.

مُحَمَّد أحمد عليش : 71، 268، 278، 291، 295، 298، 299، 301، 302.

مُحَمَّد بن أمير المداني التادلي : 17.

مُحَمَّد بن أبي زوينة : 8، 9، 10، 263.

مُحَمَّد البراني الساعدي : 163، 184، 185، 186، 249، 253، 258، 429، 430، 431، 432.

مُحَمَّد الزروالي : 24، 196.

مُحَمَّد بن حميد الشركي : 266، 295، 304، 319.

مُحَمَّد حسن البسكري : 59، 174، 196.

مُحَمَّد بن يوسف السنوسي : 5، 6، 210.

مُحَمَّد كاوصن : 183، 184.

مُحَمَّد المدني بن المبروك بن عزوز : 266.

مُحَمَّد بن منصور : 23.

مُحَمَّد السنوسي: 7.

مُحَمَّد بن عامر المعداني : 25، 263، 293، 327.

مُحَمَّد بن عبد الله المستغانمي : 8.

مُحَمَّد بن عبد الله السني : 93، 145، 154، 157، 159، 160، 170، 184، 196، 201، 236، 253، 257، 375، 382، 386.

مُحَمَّد بن عبد الله الخالدي : 48، 173.

مُحَمَّد عثمان المرغني : 43.

مُحَمَّد بن القندوز : 8، 9، 142.

مُحَمَّد بن الشفيع : 49، 123، 176، 196، 228، 295.

مُحَمَّد الشريف (ملك وداي) : 242.

مُحَمَّد الشريف السنوسي : 58، 59، 60، 64، 70، 78، 111، 148، 167، 171، 173، 196، 236، 268، 270، 307، 370، 386، 389، 400.

مُحَمَّد بن الشريف الفيلالي : 21.

مُحَمَّد التواتي : 187، 196، 236، 346.

مُحَمَّد بن تكوك(الشارف): 141، 142، 144، 145

محفوظ الورفلي : 174.

مصطفى إلياس المدني : 267.

مصطفى باشا (حاكم فزان) : 252.

مصطفى البولاقي : 36، 39، 233، 298.

مصطفى الدردفي المصراتي : 119.

مصطفى بن زكري : 181.

مصطفى المحجوب : 36، 104، 121، 174، 286، 383.

المرتضى فركاش : 51، 90، 121، 173، 251، 257.

(س)

أبو سيف مقرب حدوث : 60، 65، 69، 112، 114، 167، 196،261

236، 373، 383، 386.

سليمان (السلطان المغربي) : 17، 18، 24، 29، 30، 46.

أبو سليمان عبد الحفيظ العجيمي : 43، 327.

(ع)

عابدين الكنتي : 186، 187.

عبد الجليل بن عمر الجزايري: 266.

عبد الحميد (السلطان العثماني) : 76، 77، 79، 90، 111، 122، 189، 201.

عبد الله الطوير : 183، 258.

أبو عبد الله مُحَمَّد اليازغي : 19، 263.

عبد الله السني: 128، 129، 169، 170، 235.

عبد الله التواتي : 35، 48، 59، 96، 99، 120، 163، 166، 286، 406.

ابن عبد السلام الناصري : 21، 263، 323، 327.

عبد القادر ولد باجودة : 148.

عبد القادر بن عمور المستغانمي : 8، 263.

عبد الرحيم المحبوب : 59، 63، 71، 72، 73، 118، 120، 171، 196، 200، 236، 407.

عبد الرحمن غوارنغ : 245، 249، 429.

ابن عجيبة : 15، 16، 17، 362.

عطاء الله السكندري : 316.

عَلْوِى (حاكم غلفاي) : 245، 430.

علي التماسيني : 34.

عمران بن بركة : 33، 61، 72، 74، 75، 78، 99، 167، 173، 196، 197، 268، 370، 375، 382، 385، 403.

عمر الأشهب : 119، 120، 123، 172، 173

عمر بوحوا : 49، 114، 117.

عمر المختار : 114، 155، 156، 174، 177، 183، 199، 235.

ابن عربي : 203، 219، 222، 269، 279،

309، 313، 341، 363.

العربي بن أحمد الدرقاوي : 23، 28، 30، 49، 264.

(ف)

فاطمة (عمة السنوسي) : 7.

فاطمة بنت بن فرج الله (زوجة السنوسي): 58، 72.

فاطمة البسكرية (زوجة السنوسي) : 72، 221.

فالح الظاهري : 59، 93، 164، 168، 176، 177، 178، 181، 196، 200، 217، 235، 268، 379، 403.

(ص)

صالح بوكريم الزاوي : 183.

(ق)

أبو القاسم العيساوي : 165، 166.

قجة بن عبد الله : 184، 201.

(ر)

رابح بن الزبير : 249، 257.

أبو راس المعسكري : 10، 12، 397.

(ش)

أبو شنيف الكزة : 55، 60.

(ت)

تاودي بن سودة : 19، 23، 24، 25، 41، 327

ابن تيمية : 45، 218، 220، 275، 278، 294، 301، 302، 303، 355، 356، 360، 394، 401.

(ث)

ثعيليب (الشيخ الضرير) : 37، 264، 293.

(خ)

خديجة الحبشية (زوجة السنوسي) : 42، 72، 367.

خليل صابر : 370.

(غ)

غوستاف ناشتيغال : 124، 155، 157، 233، 243، 249.

الغزالي أبو حامد : 67، 89، 262، 279، 318.

غيث عبد الجليل سيف النصر : 185.

غرهارد رولفس : 110، 247، 292.

فهرس الأماكن

- أ -

أبشه : 160، 257.

أوجيلة : 115، 116، 117، 248، 287.

الأزهر : 4، 36، 37، 38، 39، 48، 51، 67، 173، 176، 195، 206، 207، 264، 298، 299، 300، 302، 325، 380، 399.

إسطنبول : 63، 80، 111، 152، 197، 209، 228، 290، 368، 369، 412.

الإسكندرية : 136، 137، 138، 151، 182، 378، 380، 388.

الأستانة : 93، 151، 171، 175، 177، 181، 207، 293، 369.

أغادز : 158.

الأغواط : 33، 40، 263.

- ب -

بئر علالي : 154، 155، 185، 419.

البيضاء : 54، 55، 57، 69، 93، 106، 119، 168، 171، 172، 173، 174، 175، 180، 209، 231، 232، 236، 252، 267، 286، 399، 412، 413.

بنغازي : 33، 41، 50، 53، 55، 58، 62، 76، 79، 104، 114، 116، 117، 118، 120، 121، 122، 134، 151، 155 172، 197، 209، 238، 273، 290، 238، 273، 290، 409، 421.

-ج-

جانت : 145، 146، 147، 200، 201، 230، 231، 260، 289، 290، 417.

الجوف : 111، 114، 236.

الجريد : 34، 40، 75، 138، 263.

- د -

دارفور : 157، 161، 247، 249.

درنة : 50، 58، 59، 71، 104، 114، 115، 116، 117، 120، 121، 122، 138، 151، 172، 197، 388.

- و -

واو الشعوف : 123، 166.

الواسطة : 2.

وجنقة : 156، 157، 158، 201، 255، 256

وهران: 2، 12، 128، 142، 143، 144،379

- ز -

الزيتونة : 34، 51، 93، 131، 140، 206، 207، 399.

زليطن : 33، 36، 52، 125، 167، 172.

زندر : 159، 160، 187، 246.

-ح-

حكيم (بئر) : 61، 107، 230.

- ط -

طيلمون: 104، 118، 121، 167، 174،286

طرابلس(المدينة) : 33، 35، 36، 49، 50، 51، 52، 53، 54، 58، 60، 100، 116، 122، 123، 128، 129، 132، 140، 151، 155، 163، 165، 167، 171، 174، 181، 187، 232، 235، 242، 252، 264، 267، 291، 293، 347، 410

-ي-

اليمن : 42، 164، 251.

ينبع : 48، 287.

- ك -

الكامرون : 247، 257.

كانو : 159، 249.

كوار : 157، 160، 187، 245، 246، 256.

- م -

مازونة : 8، 9، 10، 11، 12، 141، 144، 173، 214، 416.

ماسة : 58.

المدينة المنورة : 44، 59، 67، 80، 149، 166،

177، 178، 180، 251، 268،
287، 295، 308، 332، 356،
369، 379، 389.
مزدة : 126، 128، 169، 170، 201.
مكة : 31، 39، 40، 42، 43، 44، 46، 47،
48، 51، 54، 59، 60، 63، 67، 68،
137، 169، 173، 189، 214، 230،
242، 247، 250، 261، 267، 268،
294، 295، 304، 319، 327، 342،
388، 390، 399.
منى : 287.
مسوس : 96، 118، 119، 172.
مسعد: 33، 34.
مستغانم : 2، 6، 7، 8، 9، 11، 12، 32، 33،
116، 141، 142، 144، 145،
211، 214، 236، 376، 379،
380.
معسكر : 12، 143، 144، 145.
مصراتة : 36، 52، 125، 129، 169، 171،
174، 175.
المرج : 104، 118، 121.
مرزق : 53، 132، 133، 166، 184، 251.

- ن -

نجورمة : 157.
نيجيريا : 153، 159، 247، 249، 257.
النيجر: 131، 153، 155، 158، 159، 160،
183، 184، 242، 245، 247، 257،
403.
نفطة : 34، 140.

- س -

سوسة : 50، 116، 139، 152.
سيوة : 49، 62، 71، 131، 135، 136،
163، 166، 227، 278، 280، 295.
السلوم : 371.
سنار : 169، 176، 257.
السنغال : 110، 246.

سرت : 176، 388.

-ع-

العزيات : 61، 114، 165.

عين كلكة : 156، 161، 183، 185.

عين صالح : 148، 149، 160.

-ف-

فايا : 157، 188.

فاس:4، 12، 13، 14، 15، 16، 17، 18،19 20، 22، 23، 24، 25، 26، 27، 28، 29، 30، 31، 41، 42، 46، 52، 54، 86، 150، 168، 208، 251، 263، 293، 348، 350، 400.

فزان : 53، 54، 119، 123، 124، 125، 131، 132، 133، 140، 166، 170، 176، 208، 242، 252، 335، 386.

الفرافرة : 135، 136، 287.

- ص -

صبيا : 42، 46، 60.

صفاقس : 33، 179، 251.

-ق-

قابس : 21، 34، 49، 55، 75، 105، 140، 181.

القاهرة : 40، 48، 49، 51، 69، 138، 151، 181، 182، 263، 295، 320، 325 332، 346، 352، 357.

أبو قبيس : 44، 46، 58، 218، 250، 261، 287، 399، 400.

القطرون : 132، 166.

القصرين : 117.

قرو : 77، 113، 154، 161، 182، 183، 201، 256، 367، 400.

القرويين : 14، 15، 19، 20، 26، 27، 38، 39، 41، 42، 67، 93، 207، 399.

- ر -

رابغ : 176.

الرجبان : 128.

-ش-

شحات : 119، 121.

شمندرو : 157.

-ت-

تازربو : 117.

توات : 28، 132، 149، 166، 167.

توكره : 50، 98، 117، 118.

توليثة : 50.

تونس : 29، 34، 40، 50، 51، 52، 53، 128، 131، 138، 140، 149، 152، 182، 206، 207، 251، 263، 371، 388.

تلمسان : 5، 6، 11، 12، 114، 214، 349.

تماسين : 34.

تمبوكتو : 161، 187.

ترت : 114، 115، 116.

-غ-

غات : 131، 132، 133، 147، 160، 182، 184، 201، 232، 290.

غدامس : 70، 122، 129، 130، 131، 133 151، 157.

غلفاي : 245، 430.

فهرس القبائل والممالك

(أ)

الأدارسة : 3، 4، 15، 308، 347، 348، 435

أولاد نايل : 33، 139.

أولاد سيدي الشيخ : 143، 144، 148.

أولاد سليمان : 183، 185، 247، 249، 404.

أولاد علي : 53، 134.

آزجر : 133، 134.

(ب)

باغرمي : 245، 249، 254، 258، 261،429

البراعصة : 55، 57، 58، 98، 199، 236.

برنو : 132، 182، 244، 248، 254، 257، 258.

(هـ)

الهاوسا : 159، 246.

(و)

وداي : 154، 160، 182، 201، 233، 242 243، 244، 248، 249، 254، 256، 257، 403.

ورفلة (أورفلة) : 126، 169، 183، 185.

(ز)

الزوية : 103، 111، 154، 182، 183، 184 186، 247، 249، 250، 256، 387

الزنتان : 126، 128، 165، 176.

(ح)

بنو حارثة : 58.

حرب : 58.

(ط)

الطوارق : 92، 132، 133، 134، 147، 151 162، 182، 184، 185، 186، 231، 249، 259، 260، 287، 289، 399.

(ك)

كانم : 154، 185، 244، 247، 254، 258.

(م)	(ق)
المجابرة : 183، 248، 249، 387.	القرعان : 183، 185.
مجاهر : 117، 118، 128، 137، 141، 142 144، 145.	القذاذفة : 183، 185.
المغاربة : 60، 103، 185، 186، 251.	التبو : 92، 133، 151، 154، 158، 249، 251، 399.
(ع)	(خ)
العواقير : 55، 57، 58، 111، 118.	الخطاطبة : 3، 4، 6، 53.

فهرس الطرق الصوفية والزوايا

- أ -

الإدريسية : 42، 87، 389.

الأحمدية : 85، 87، 313، 369.

الأويسية : 219، 269، 313، 362، 377.

الأسمرية : 52.

الإشراقية : 277، 363، 389.

- ب -

البرهانية : 276، 277، 314.

- ج -

الجهرية : 314.

الجزولية : 28، 313.

الجيفرية 377.

الجنيدية : 313، 362.

الجشتية : 314، 316.

- د -

الدرقاوية : 12، 13، 23، 28، 50، 71.

- هـ -

الهمذانية : 281، 314.

- و -

الوفائية : 313.

- ز -

الزيانية : 28.

الزروقية : 16، 52، 313.

- ح -

الحاتمية : 204، 277، 313.

الحبيبية : 28.

الحلاجية : 313، 396.

- ك -

الكبروية : 281، 314.

- م -

المدارية : 314.

المدينية : 313، 316.

المدنية : 52، 54، 125.

المولوية : 314.

المحمدية : 28، 44، 50، 80، 276، 281، 313، 314، 368، 369، 370، 375، 377، 389، 400.

الملامتية : 314.

المشاعرية : 269.

- ن -

الناصرية : 21، 28، 80.

النورية : 314.

النقشبندية : 216، 314، 362، 370.

- س -

السهيلية : 314.

السهروردية : 89، 313، 362، 370.

السريانية : 28.

- ع -

العويسية : 28.

العيدروسية : 314.

العرابية : 313.

العشقية : 314.

-ص-

الصديقية : 313، 315، 362.

- ق -

القادرية : 52، 89، 134، 187، 217، 270، 313، 315، 362، 377.

القلندرية : 314.

القشيرية : 192، 279، 314.

- ر -

الرحمانية : 52، 134.

الركنية : 314.

الرفاعية : 313، 316.

- ش -

الشاذلية : 23، 28، 41، 42، 52، 80، 89، 152، 173، 268، 313، 362، 370

الشطارية : 224، 314.

- ت -

التجانية : 18، 29، 52، 130، 134، 149، 248، 2479.

- خ -

الخواطرية : 314.

الخلوتية : 11، 314، 316، 362، 395.

الخفيفية : 314.

الخزازية : 314.

الخضرية : 28، 41، 108، 323، 362، 377.

- غ -

الغوثية : 276.

فهرس المحتويات

مقدمة	
الفصل الأول : نشأة الحركة السّنوسية	
1- حياة الشيخ مُحَمَّد بن علي السّنوسي	2
1-1- مولده ونسبه	2
1-2- نشأته ودراسته	7
1-2-1- مستغانم	8
1-2-2- مازونة	9
1-2-3- تلمسان	11
1-3- رحلاته العلمية	13
1-3-1- فاس	13
1-3-2- المشرق العربي	31
1-4- استقراره في برقة	50
1-4-1- نشر العلم والإصلاح	57
1-4-2- زواجه الثالث	58
1-4-3- العودة إلى الحجاز	58
1-4-4- العودة إلى برقة نهائيا	60
1-5- صفاته وأخلاقه ومناقبه	65

1–6– وفاته	71
1–7– خلفاؤه	74
1–7–1– مُحَمَّد المهدي السنوسي	74
1–7–2– أحمد الشريف السنوسي	78
2– ظهور الطريقة السنوسية	80
2–1– تعريفها	80
2–2– أورادها	82
2–2–1– الحزب السيفي	82
2–2–2– الحزب المغني	83
2–2–3– دعاء الاختتام	83
2–2–4– المحامد الثماني	84
2–2–5– التسبيع	84
2–2–6– الحصون المنيعة	85
2–2–7– النفحات الإلهية	85
2–3– مبادؤها	88
2–3–1– التصوف	88
2–3–2– الزهد	89
2–3–3– التمسك بالكتاب والسنة	91

2-3-4- نشر العلم	92
2-3-5- نصرة الحق والذوذ عن الإسلام	93
الفصل الثاني : زوايا وشيوخ الحركة السّنوسية	
1- تنظيم الزوايا السّنوسية	96
2- المصادر المالية للزوايا السّنوسية	101
2-1- الزكاة	101
2-2- الهبات والتبرعات	102
2-3- الأوقاف	102
2-4- الزراعة	103
2-5- التجارة	104
3- عدد الزوايا السّنوسية	105
3-1- زوايا شمال أفريقيا	106
3-1-1- طرابلس الغرب	106
3-1-2- مصر	134
3-1-3- تونس	138
3-1-4- الجزائر	141
3-1-5- المغرب الأقصى	150
3-2- زوايا أفريقيا جنوب الصحراء	153

4- كبار الإخوان	162
4-1- الإخوان في شمال أفريقيا	165
4-2- الإخوان في أفريقيا جنوب الصحراء	182
الفصل الثالث : الدور الثقافي للحركة السّنوسية وأبعاده الدينية والفكرية والاجتماعية	
1- التعليم	191
1-1- مراحل التعليم	191
1-1- 1- المرحلة الإبتدائية	191
1-1- 2- التعليم في معهد الجغبوب	195
1-2- الأساتذة	196
1-3- الطلاب	198
1-4- المنهاج الدراسي	202
1-5- مكتبة الجغبوب	207
2- العلوم والفنون	210
2-1- العلوم	210
2-1-1- العقيدة	210
2-1-1-1- العقيدة الأشعرية	212
2-1-1-2- السلفية	218

2-1-1-3- فكرة المهدية	221
2-1-2- علم الحروف والأعداد	222
2-1-3- الطب التقليدي	225
2-1-4- العلوم النظرية والتطبيقية	226
2-2- الفنون	229
2-2-1- العمران	229
2-2-1-1- الزخرفة والجمال	229
2-2-1-2- التخطيط	230
2- 2-1-3- مواد البناء	231
2-2-2- موقف السنوسية من الموسيقى والرقص	233
2-2-3- نظم الشعر	235
3- ضرب الأمثال والحكم وسرد القصص	240
4- نشر الطريقة السنوسية	242
5- الدعوة والإرشاد	250
6- نشاط السنوسية في ميدان التصوف	261
6-1- العهد والبيعة	261
6-2- الإجازة	262
6-3- لبس الخرقة	268

6–4– الدعاء والتوسل بالأولياء	270
6–5– المشاهدة والتجلي	275
6–6– الذكر	280
6–7– المجاهدة وتزكية النفس	282
6–8– قراءة الحزب الراتب	284
7– البر والإحسان	285
8– الاحتفالات بالأعياد ومختلف المناسبات الدينية	288
9– دور الحركة السّنوسية في القضاء والإفتاء	289
10– الاجتهاد	293

الفصل الرابع : تراث الحركة السّنوسية

1– الكتب	306
1–1– مصنفات الشيخ مُحَمَّد بن علي السنوسي	307
1– 1–1– السّلسبيل المعين في الطرائق الأربعين	311
1–1– 2– المسلسلات العشرة في الأحاديث النبوية على صاحبها أفضل الصلاة وأتم التسليم	319
1–1–3– مقدمة موطأ الإمام مالك ﷺ	327
1–1–4– كتاب المسائل العشر المسمى بغية المقاصد وخلاصة المراصد	331
1–1–5– شفاء الصدر بأري المسائل العشر من درر الفقه المالكي	345
1–1–6– الدُّرر السنية في أخبار السلالة الإدريسية	346

1-1-7- إيقظ الوسنان في العمل بالحديث والقرآن	352
1-1-8- المنهل الروي الرائق في أسانيد العلوم وأصول الطرائق	357
1-1-9- نزهة الجنان في وصف مفسر القرآن	363
1-2- مصنفات مُحَمَّد المهدي السنوسي	367
1-2-1- المولد الشريف النبوي	367
1-3- مصنفات أحمد الشريف السنوسي	368
1- 3-1- الأنوار القدسية في مقدمة الطريقة السّنوسية	368
1-3- 2- الفيوضات الربانية في إجازة الطريقة الأحمدية السّنوسية	369
1-3- 3- الدُّرة الفردية في بيان مبنى الطريقة السّنوسية المحمدية	370
1-3- 4- فيوض المواهب الرحمانية	371
1-3-5- بغية المساعد في أحكام المجاهد	371
2- المخطوطات	375
2-1- مخطوطات الشيخ مُحَمَّد بن علي السنوسي	375
2-1-1- السلسبيل المعين	375
2-1-2- هذا كتاب فيه أسانيد الشيخ السنوسي في التصوف	376
2-1-3- شرح أبيات : رأيت ربي بعين قلبي	378
2-1-4- قرة عين أهل الصفا في صلوات المصطفى ﷺ	378
2-1-5- ثبت	378

2-1-6- المنهل الروي الرائق في أسانيد العلوم وأصول الطرائق	378
2-1-7- فهرس الشموس الشارقة بما لنا من أسانيد المغاربة والمشارقة	378
2-1-8- مخطوط المسلسلات العشر	379
2-1-9- البدور السافرة في عوالي الأسانيد الفاخرة	379
2-1-10- بغية المقاصد في خلاصة المراصد	381
2-2- مخطوطات أحمد الشريف السنوسي	382
2-2-1- الدُّر الفريد الوهاج في الرحلة المنيرة من الجغبوب إلى التاج	382
2-2-2- مخطوطة عقيدة الحفيدة	388
2-2-3- مخطوطة الكوكب الزاهر	388
2-2-4- الشموس النورانية العرفانية الإشراقية في بيان أعلام الطريقة السّنوسية الإدريسية المحمدية	389
2-2-5- مجموع رقم 743	389
3- أهمية وإسهامات تراث الحركة السّنوسية	390
الخاتمة	398
الملاحق	405
قائمة المصادر والمراجع (ببليوغرافيا)	444
الفهارس	
فهرس الأعلام	476

فهرس الأماكن	481
فهرس القبائل والممالك	486
فهرس الطرق الصوفية والزوايا	488
فهرس المحتويات	490